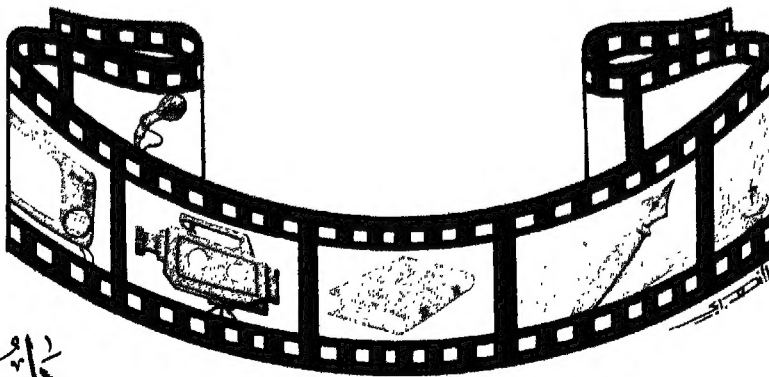


صَحَافَةُ الْإِتِّجَاهِ الْإِسْلَامِيِّ فِي مِصْرَ فِي مَابَيْنَ الْحَرْبَيْنِ الْعَالَمِيَّتَيْنِ

الدُّكْتُورُ
جَمَالُ عَبْدِ الْحَيِّ عُمَرَ الْبَنَّا



دارُ الْوُفَاءِ

صحافة الاتجاه الإسلامي في مصر
فيما بين الحربين العالميتين

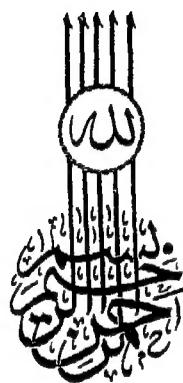
حقوق الطبع محفوظة
الطبعة الأولى
١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م

دار الفناء للطباعة والنشر والتوزيع - ج.م.ع - المنصورة
الأدوية : ش الإمام محمد عبد المجيد لكتبة الآداب ص . ب ٢٣٠
ت : ٣٤٢٧٧١ / ٣٥٦٢٢٠ / ٣٥٦٢٣٠ فاكس ٣٥٩٧٧٨
المكتبة : أمام كلية الطب ت ٣٤٧٤٢٣



صحافة الاتجاه الإسلامي في مصر فيما بين الحربين العالميتين

الدكتور
جمال عبدالحى عمر النجار



بسم الله الرحمن الرحيم المقدمة

أهمية الدراسة :

تنبع أهمية هذه الدراسة من أهمية الصحافة بوجه عام ، وفى فترة البحث بوجه خاص ، حيث تؤدي الصحافة دورا مهما فى حياة الناس على مختلف طوائفهم وثقافتهم ، فهى تتناول الأحداث السياسية والاقتصادية والاجتماعية بالتحليل والدراسة ، كما أنها أداة لتبادل الآراء فى مختلف ما يهم الناس من الأمور؛ لذلك نجد أن الصحافة مرآة حياة الناس وواقعهم ، وسجل للأحداث المهمة التى مرت بها الأمة المصرية ، كذلك تسهم فى تكوين رأى العام والتأثير فيه .

وكانت الصحافة فى تلك الفترة هى وسيلة الإعلام الأولى التى أسهمت فى بناء النهضة الفكرية المعاصرة ، فقد حملت الصحف الوطنية والإسلامية لواء الدعوة إلى مفهوم الإسلام الصحيح والدفاع عن اللغة العربية ، ومقاومة الدعوات التغريبية والغزوات الفكرية التى تعرضت لها مصر فى العشرينات من هذا القرن . فقد حاول الاستعمار البريطانى الاستيلاء على عقل الشعب المصرى وتغيير فكره ؛ لأنه علم أن الاستيلاء على الأرض يتم بقوة السلاح ، أما الاستيلاء على البشر فلا تجدى فيه الأسلحة ؛ لذلك بدأ يغتلى على تغريب عقول الشعب المصرى ، حتى يقبل الاستعمار الغربى ويصبح تابعا لحضارته ، واتجه أيضا إلى تدمير العقائد والأفكار وهدم القيم وتحطيم الأخلاق والآداب والتقاليد الإسلامية (١) .

وقد حاول الاستعمار كذلك أن يمحو الثقافة الإسلامية والعربية ، وأن يحل ثقافته الغربية فى العقل العربى ، وكانت أهدافه تتركز فى إحكام طوق التبعية حول الإنسان العربى ، تلك التبعية التى تشمل الجوانب الاقتصادية والاجتماعية والثقافية ، كما حاول الاستعمار أن يجعل التعليم على نظامه ، وحاول أن يجعل مظاهر الحياة وصور التقدم هى صورة حياته الغربية ، وأن تصبح الحياة الغربية هى النموذج والمثال الذى يحتذى (٢) .

فى ظل هذا الضغط وتلك السيطرة الاستعمارية ، نشأت صحف عربية عميلة تعبر عن الاستعمار ، وتحمل أفكاره وتروجها مثل : صحيفة المقطم ، والمقتطف ، والهلال ، والمجلة الجديدة وغيرها (٣) .

(١) يوسف القرضاوى : الحلول المستوردة وكيف جنت على أمتنا ، القاهرة : ١٩٧٣ م ، ص ١٧ ، ١٨ .

(٢) محمد سيد محمد : مقال بعنوان : «الظاهرة الإعلامية فى ضوء القرآن الكريم» الأهرام ٢٣/٥/١٩٨٦ م .

(٣) أنور الجندى : يقظة الفكر العربى المعاصر ، القاهرة : مطبعة زهران ، ١٩٧٥ م ، ص ٢٢ .

ويمكن القول : إن جذور الغزو الفكرى التى غرسها الاستعمار الإنجليزي فى التربة المصرية قد بدأت تؤتى ثمارها فى أوائل القرن العشرين ، يصور ذلك محمد فريد وجدى - أحد الذين عاصروا هذه المرحلة - قائلا :

«الذى لم ير فى مصر إلا الاحتلال العسكرى لم ير من أحوالها الاجتماعية شيئا ، فإن أنواع الاحتلال الأجنبية فى مصر كثيرة ، ففى مصر احتلال عادى خاص بالعوادات أسقط العادات المصرية أمامه ، وحول الناس وجهات مختلفة ، وتبع ذلك انحراف فى الأخلاق وانحراف فى العادات ، وفى مصر احتلال اقتصادى ، أباد الصناعة المصرية ، وجعلها أثرا بعد عين ، بل هو دائب فى إخراج الثروة من أيدي المصريين إلى الأجانب . وفى مصر احتلال مدنى سلب ذوى العقول عقولهم ، فأصبح الأب أكثر عناية بتعليم ابته البيانو من تعليمها أصول الأدب ، وصار الزوج يصرف على امرأته فى أجور الحياطات أكثر مما يصرفه على أولادها فى أجور التعليم . وفى مصر احتلال إلحادى زين للناس القول بأن الأديان من الشؤون الأثرية ، وأن العقيدة بالله والروح والخلود من بعض الخيالات القديمة التى كانت تتلهى بها الشعوب إبان سذاجتها » (١) .

لذلك فقد كانت دراسة هذه المرحلة ضرورية وملحة ، ولاشك أن صحافة الاتجاه الإسلامى فيما بين الحربين كانت مظهرا من مظاهر الصحوة الإسلامية أو اليقظة الإسلامية التى ظهرت كرد فعل لهذا الغزو الفكرى ، وكانت صورة للفكر العربى والإسلامى والفكر المصرى الحديث بوجه عام ، وكانت مرآة تنعكس عليها صورة العصر وصورة المعارك الفكرية التى حدثت ، وكل معركة خاضها العلماء والمفكرون الإسلاميون كانت هذه الصحف ميادينها وأسلحتها ، وكل صحيفة من هذه الصحف تمثل طورا من أطوار المعارك الصحفية ، ويؤرخ هذا البحث لهذه الصحف ولايعنى ذلك أننا نقتصر على تسجيل الأحداث التاريخية فحسب ، بل نقدم وجهات النظر المختلفة والتعقيب عليها بقدر الإمكان من حيث تتيح للقراء والباحثين فرصة جديدة للنظر فى تلك الصحف ، وفتح أبواب جديدة من أبواب البحث ، عن طريق تقديم طائفة من الوثائق التاريخية التى هى عبارة عن مقالات فكرية وإسلامية واجتماعية كتبها كبار العلماء والمفكرون ، والتى هى بمثابة الشهادة التى يدلى بها شهود العصر ، وأحكامهم عليها وآرائهم فيها ، فلم يدع هذا البحث رأيا من الآراء ولا اتجاها من اتجاهات تلك الصحف ولا قضية من القضايا التى برزت على صفحات هذه الصحف ، إلا قدم عليها الدلائل والبراهين ، والاستشهادات والاقباسات من هذه الصحف ، ولا تزال بعض القضايا التى أثارها البحث قضايا ساخنة ، حيث لا تزال محل أخذ ورد فى الصحافة المصرية .

(١) الشعب ، عدد ٤٢١ ، ٢٠ رجب ١٣٣١ هـ ، ٢٥ يونيه ١٩١٣ م .

وعنى هذا البحث بتقديم أسماء معظم المفكرين والعلماء من الأهر وغيره ، من الذين صمدوا فى وجه التيار العلمانى وأنصاره الذين أرادوا أن يشكلوا العقلية المصرية على غمط الحياة العربية وينقلوا كل معطيات وأطروحات الحضارة الغربية من جميع وجوها ولا سيما فى جوانبها السلبية ، والتفريق بين ما هو مفيد للمجتمع وبين ما هو خاص بعادات الغربيين وإفراز لحضارتهم وتقاليدهم وعقائدهم . وقد كتب هذا البحث ، دون أخذ مواقف مسبقة لكاتب معين ، وإذا تعرض لكاتب ما فإنما يتعرض لأرائه ، وليس لشخصه ، فالأشخاص فى ذمة الله ولكن الآراء ستظل قابلة للبحث والدرس .

عوامل اختيار هذه الدراسة :

هذه الدراسة امتداد لدراسة أخرى قام بها الباحث فى أطروحته للماجستير وكانت بعنوان : «صحافة الاتجاه الإسلامى فى مصر منذ مطلع القرن العشرين حتى نشوب الحرب العالمية الأولى» . وكان طبيعيا أن أتابع دراسة تطور صحافة الاتجاه الإسلامى فى مرحلة ما بين الحربين ، وقد دفعنى أيضا إلى القيام بهذه الدراسة ما أوصت به لجنة المناقشة الموقرة^(١) من ضرورة التأريخ للصحافة الإسلامية فى مصر فى مراحلها المختلفة ، على غرار ما قمت به فى «الماجستير» ، حيث إن الصحافة الإسلامية لم تحظ بالدراسة الكافية من قبل الدارسين والباحثين فى الصحافة المصرية . وتسد هذه الدراسة نقصا فى الدراسات الصحفية ، وهو النقص فى التأريخ للصحافة الإسلامية ، فقد تكفلت الرسائل التى أعدت فى كلية الإعلام بالتأريخ للصحافة المتخصصة فى جميع جوانبها الفكاية والفنية والعسكرية والنسائية والزراعية والصحافة اليهودية والاحتلالية ، ولم تتطرق أية رسالة هناك إلى موضوع الصحافة الإسلامية إلا نادرا .

بالإضافة إلى أن دراسة تاريخ الصحافة الإسلامية هو فى الوقت ذاته دراسة لتاريخ الفكر المصرى الحديث ، وقد ألف فيه كتاب من جزئين هو كتاب الدكتور لويس عوض ، المسمى بتاريخ الفكر المصرى الحديث ، جعل فيه تاريخ الفكر المصرى الحديث من وجهة نظره محاولة مصر المستمرة للأخذ بالفكر العلمانى الغربى ، وفى دراستنا للفكر المصرى الحديث من خلال الصحافة الإسلامية نقض للكفر الذى جاء فى هذا الكتاب وأمثاله ، ثم إن الدراسات التى تعرضت لفترة ما بين الحربين تركزت على دراسة الجوانب السياسية والجوانب الاجتماعية والاقتصادية من خلال علاقتها بالسياسة ومن وجهة نظر - أيضا - غربية ، حتى رأينا تشابه تلك الدراسات فى تناول والعرض للقضايا ، وتشابهها أيضا فى المنهج والوجهة والمصادر البحثية . فى حين أغفلت هذه الدراسات علاقة هذه الجوانب السياسية والاجتماعية بالفكر الإسلامى وأسقطته من حسابها ، ولم تتعرض للمصحف الإسلامية ولا لمعطياتها ووجهات نظر كاتبها فيما عرض فى تلك الفترة من قضايا وآراء ، وفى تقدير

(١) تكونت لجنة المناقشة من أ.د / محمد سيد محمد ، أ.د / السيد تقى الدين ، أ.د / أحمد الصاوى ، أ.د / الأحمدي أبو النور .

الباحث أن هذه إنكار للدور الإسلامى وبخس لحقوق مفكره ، وإهمال لجانب مهم فى البحوث المقدمة من الدارسين والباحثين ، والذين أرخوا للصحافة المصرية أو كتبوا كتابات متخصصة أغفلوا ذكر بعض الصحف الإسلامية وبعضهم أشار إليها إشارة عابرة لا تتناسب وقدرها ، فعلى سبيل المثال أغفل الدكتور إبراهيم عبده فى كتابه تطور الصحافة المصرية التاريخ لبعض الصحف الإسلامية ، وكتب عن صحيفة «المنار» التى أصدرها رشيد رضا عام ١٨٩٨م ، وظلت تصدر حتى عام ١٩٣٥م بضعة أسطر ، ومن ثم أصبح فى عنقنا واجب ينبغى أدائه ، وهو تقديم تلك الصفحات المشرقة من الصحف الإسلامية وجهود العلماء والكتاب المسلمين فى تلك الفترة التى أحاطت بهم ، وبالأوجب الذى فرضه عليهم العصر الذى يتسبون إليه .

تحديد المفاهيم :

يقصد بصحافة الاتجاه الإسلامى كل صحيفة (جريدة - مجلة) تصدر بصفة منتظمة وتلتزم بمفاهيم الإسلام ومناهجه الصحيحة ، وتعتمد فى معالجتها للقضايا والأحداث بشكل أساسى على الأسس الدينية والاجتماعية التى يقوم عليها المجتمع الإسلامى ، وتقوم ببيت مبادئ الإسلام الصحيحة التى تؤكد على الأخوة الإسلامية والتضامن بين المسلمين ، وتشيع - آداب الإسلام وضوابطه الأخلاقية فى مجتمعات الأمة الإسلامية ، وتحارب الرذيلة وكل فعل وسلوك لا يتفق ومكارم الأخلاق الإسلامية ، سواء كانت هذه الصحيفة دينية متخصصة أو كانت صحيفة عامة ذات اتجاه إسلامى .

أما عن معنى كلمة «اتجاه» فهى تأتى من الفعل اتجه بقلب الواو تاء ، واتجه إليه : أقبل بوجهه عليه ، والتجاه بالضم والكسر والفتح الوجه الذى نقصده (١) .

هذا من ناحية اللغة . أما من ناحية الاصطلاح : فقد اختلف العلماء فى تعريف لفظ «اتجاه» ، ولكن أبرز تعريف له هو ما يراه توماس وزنانيسكى : أن الاتجاه هو مؤشر نتفهم به الموقف الواقعى للفرد بالنسبة للقيم الاجتماعية ، فالاتجاه هو ميل الفرد أو الجماعة لفعل معين أو الاستعداد للقيام بنوع من أنواع النشاط (٢) .

مجتمع البحث :

تم حصر الصحف الإسلامية من خلال دراسة استكشافية لهذا البحث ، اتضح أن أبرز هذه الصحف هى : صحيفة المنار ١٨٩٨م ، والفتح ١٩٢٦م ، والهداية الإسلامية ١٩٢٨م ، والشبان المسلمون ١٩٢٩م ، ونور الإسلام ١٩٣٠م والإخوان المسلمون ١٩٣٣م ، والصرخة ١٩٣٣م ، والأزهر ١٩٣٥م . وتوصف هذه الصحف بالإسلامية

(١) مجمع اللغة العربية ، المعجم الوسيط ، مادة (وجه) القاهرة : مطبعة مصر ، ١٩٦١م .

(٢) إبراهيم إمام : الإعلام والاتصال بالجماهير ، القاهرة : دار الفكر العربى ، ١٩٦٩م ، ص ٢٣٣ .

لتمييزها بدراسة القضايا الإسلامية ، والقضايا العامة من منظور إسلامي .
الإطار الزمني للبحث :

تعد هذه المرحلة (١٩١٤ - ١٩٣٩م) من أخطر المراحل في تاريخ مصر الفكرى والاجتماعى والسياسى ، ففي تلك الفترة انهزمت دولة الخلافة الإسلامية ، واستطاع مصطفى كمال أتاتورك أن يلغى نظام الخلافة فى عام ١٩٢٤م ويعلن علمنة الدولة والأخذ بالقوانين الغربية ، وكانت هذه أضخم تجربة علمانية للدول الإسلامية يمكن أن تقلد أو تحاكي ، وقد أثر هذا بالطبع على الحياة الفكرية فى مصر وجرت محاولات عديدة لإعادة الحياة المصرية والعقلية المصرية على النمط الغربى ، وبرزت أصوات عديدة تنادى بالأخذ عن الغرب فى كل أنماط الحياة فى العلوم والفنون وغيرها ، تقليدا لتركيا ، وبرز هذا التيار التغريبى ، وأصبح له صحفه ومؤلفاته التى توزع على الناس ، وكان من أبرز الصحف التى حملت لواء التغريب وروجت للأفكار العلمانية : صحيفة السياسة اليومية والأسبوعية - لسان حال حزب الأحرار الدستوريين - وصحيفة الاستقلال لمحمود عزمى ، والمجلة الجديدة لسلامة موسى ، والرابطة الشرقية لعلى عبد الرازق ، وصحف الهلال والمقطم والعصور .

وفى هذه الفترة أيضا أدخلت إلى المجتمع المصرى بعض العادات والتقاليد الغربية مثل : انتشار حانات الخمر ، ودور الملاهى الليلية ، ودور البغاء ، ودور السينما والمسارح الليلية ، وامتألت صفحات الصحف بأخبار الممثلين والممثلات والأغاني ، وكثرت الترجمة للقصص الخفيفة والأدب الماجن والمذاهب الهدامة والمعادية للدين (١) .

وظهرت الدعوة إلى القومية المصرية «الفرعونية» فى الصحف المصرية ، ومن خلال الندوات والمحاضرات والكتابات التى تهدف إلى قطع صلة مصر عن العالمين العربى والإسلامى ، وكان معظم دعاة هذه الفكرة والمتحمسين لها من الأقباط المصريين ، الأمر الذى أثار حفيظة العلماء المسلمين ومشايخ الأزهر فانبهروا للتصدي له على صفحات الصحف الإسلامية .

وفى تلك الفترة ازدادت حدة حركة التبشير فى مصر وهجومها على الدين الإسلامى ، وظهرت بعض حوادث الخروج عن الدين ، وعقد المبشرون عدة مؤتمرات كانت ترمى إلى تنصير المسلمين ، والعمل على هدم الدين الإسلامى فى البلاد بتأييد من حكومات الغرب الاستعمارية .

(١) زكريا سليمان بيرومى : الإخوان المسلمون والجماعات الإسلامية فى الحياة السياسية المصرية ١٩٢٨ - ١٩٤٨م ، القاهرة : مكتبة وهبة ، ١٩٧٩م ، ص ٥١ ، ٥٢ .

كذلك تعرض الدين الإسلامى أيضا لهجمة شرسة من دعاة التغريب وصحافتهم ، وكان أخطر ما ظهر فى تلك الفترة مما يدعو إلى هدم الدين كتابا أثار عند ظهوره ضجة كبرى فى الصحف وفى المجلس النيابى ، وتناولت السلطات القضائية مؤلفه بالتحقيق وجمعت نسخه من الأسواق حتى لا يتداولها الناس ، ذلك هو كتاب: « فى الشعر الجاهلى » لطف حسين ، الذى ظهر فى عام ١٩٢٦م بعد أن ألقاه صاحبه على طلبة السنة الأولى فى كلية الآداب ، وربما كان هذا الهجوم على الإسلام السبب الذى دعا مجلس الأزهر إلى أن يقرر إصدار صحيفة شهرية تنطق باسمه وهى مجلة نور الإسلام التى ظهر العدد الأول منها فى محرم ١٣٤٩هـ يونيه ١٩٣٠م .

وفى العام نفسه الذى صدر فيه كتاب طه حسين ، بدأ سلامة موسى فى نشر عدة مقالات عبر فيها عن كرهه للشرق وحبه لأوروبا ، متمنيا أن تصبح كل ظواهر الحياة فى المجتمع المصرى كأوروبا ، وأن يقترب الشعب المصرى والحضارة المصرية من أوروبا ، وادعى أن الأزهر جامعة أوربية فى الأصل ، ووصف الذين ينقبون فى دراسة اللغة العربية وأعلام العرب - من أمثال مصطفى الرافعى والمازنى - بالمساكين ، وهاجم اللغة العربية والجامعة الإسلامية والدين الإسلامى (١) .

وخرجت مجلة «العصور» التى أنشأها إسماعيل مظهر ، صاحب دار العصور للطبع والنشر ، شعارها : حرر فكرك من كل التقاليد والأساطير الموروثة ، حتى لا تجد صعوبة فى رفض أى رأى من الآراء أو مذهب من المذاهب اطمأنت إليه وسكن إليه عقلك إذا انكشف لك من الحقائق ما يناقضه ، أغراضها : نشر العلم والمعرفة وتحرير العقل من آثار الماضى التى لا تتفق ونزعة العصر الحاضر .

وفى عام ١٩٢٩م نشر فى دار العصور هذه كتاب عنوانه : قصة الطوفان وتطورها فى ثلاث مدن قديمة : الآشورية ، البابلية والعبرانية ، والمسيحية ، وانتقالها باللقاح إلى المدنية الإسلامية ، وكان يهدف من ذلك رد النصوص الدينية إلى الميراث الأسطورى لشعوب الشرق (٢) .

اتسمت فترة هذه الدراسة بالخصوبة الفكرية الكبيرة فى مصر ، وقد صدر خلالها عدة مؤلفات كان لها صدئ واسع فى الفكر المصرى الحديث ، وأثارت معارك ساخنة ذات أصول إسلامية لم تستكمل دراستها بعد . فبالإضافة إلى ما ذكرنا صدر كتاب : « الإسلام وأصول الحكم » لعلى عبد الرازق ، وقد نادى فيه بفصل الدين عن الدولة ، وأتكم

(١) المرجع السابق ، ص ٤٩ .

(٢) عائشة عبد الرحمن ، الأهرام بتاريخ ١٢ مايو ١٩٨٦م ، صفحة الفكر الدينى .

الخلافة الإسلامية ، وتذرع العلمانيون به لإبعاد الإسلام عن واقع الحياة والمجتمع . ثم صدر كتاب آخر نادى فيه مؤلفه بالأخذ بمنهج التعليم الغربية ، وهو كتاب : «مستقبل الثقافة فى مصر» للدكتور طه حسين .

وتميزت فترة الدراسة أيضا بظهور العديد من الجمعيات الإسلامية ونمو الاتجاه الإسلامى فى الصحافة المصرية ، وكان على رأس هذه الجمعيات الإسلامية جمعيتان من أخطر الجمعيات أثرا فى التاريخ الاجتماعى والسياسى لمصر الحديثة وهما : جمعية الشبان المسلمين ، وجماعة الإخوان المسلمين ، فضلا عن الأزهر وبعض الجمعيات الإسلامية الأخرى التى أصدرت صحفا إسلامية . كذلك شهدت هذه الفترة اتجاهات صحفية أخرى كالاتجاه الاشتراكى والاتجاه القبطى واليهودى ، كل هذه الأسباب مجتمعة هى التى حددت بالباحث أن يختار هذه الفترة وهذا العنوان لبحثه :

«صحافة الاتجاه الإسلامى فى مصر فيما بين الحربين ١٩١٤ - ١٩٣٩ م» .

الدراسات السابقة :

كانت أول دراسة عن الصحافة الإسلامية فى مصر هى دراسة الباحث سامى الكومى التى أعدها للدكتوراه عن الصحافة الإسلامية فى القرن التاسع عشر ، ونوقشت فى كلية اللغة العربية - قسم الصحافة والإعلام وتبع ذلك دراسة أخرى أعدها الباحث لنيل رسالة الماجستير بعنوان : «صحافة الاتجاه الإسلامى فى مصر منذ مطلع القرن العشرين حتى نشوب الحرب العالمية الأولى» ، ثم جاءت هذه الدراسة لتكمل دراسة الصحافة الإسلامية والتاريخ لها حتى الحرب العالمية الثانية .

نمط ومنهج الدراسة :

هذه الدراسة من الدراسات الوصفية التى تستهدف تقرير خصائص ظاهرة معينة أو موقف معين ، وتعتمد على جمع الحقائق وتحليلها وتفسيرها لاستخلاص دلالتها ، بغية إصدار تعميمات بشأن الموقف أو الظاهرة التى يقوم الباحث بدراستها .

مصادر البحث :

تنوعت مصادر هذا البحث كالتالى :

١- كان الاعتماد الأول على المصادر الأصلية ، وهى الصحف ذاتها موضوع الدراسة ، حيث قمت بمسح شامل لأعدادها ومجلداتها ، وكانت المقالات والنصوص التى نشرتها هى مادة التحليل لإظهار الاتجاه الإسلامى للصحيفة أو موقف الصحيفة من القضايا المطروحة .

٢- النوع الثانى : هو المراجع التى ألفت عن هذه الفترة ، سواء تناولت تاريخها

بوجه عام أم تخصصت فى نواح دينية أو سياسية أو اجتماعية أو فكرية ، وكانت هذه المؤلفات تمثل الخلفية التاريخية لقضايا البحث .

٣- النوع الثالث : مجموعة من الرسائل الجامعية التى تناولت جوانب معينة تتصل بالقضايا المثارة فى البحث ، سواء كانت متخصصة فى جوانب صحفية أو تاريخية أو لأشخاص عايشوا فترة البحث .

٤- النوع الرابع : بعض المقالات التى تنشر فى الصحف والمجلات المعاصرة التى تحدثت عن موضوعات تخص الدراسة .

٥- النوع الخامس : بعض أعداد الصحف المناوئة لصحافة الاتجاه الإسلامى فى فترة الدراسة ، كالسياسة والسياسة الأسبوعية والمقطم وغيرها .

وبعد ، فنسأل الله - عز وجل - أن يتقبل منا عملنا هذا ، وأن يكون خالصا لوجهه الكريم، وأن ينفع به ، إنه ولى ذلك والقادر عليه ، والحمد لله رب العالمين .

المؤلف

التمهيد

اتجاهات الصحافة المصرية فى فترة ما بين الحربين

كانت الصحافة المصرية فى تلك الفترة تموج بعدة اتجاهات غير إسلامية ، وكان لكل اتجاه من هذه الاتجاهات صحف تمثله ، وتنطق باسمه ، وتنشر أفكاره . ومن أبرز هذه الاتجاهات : الاتجاه الاشتراكى ، والاتجاه العلمانى ، والاتجاه الطائفى القبطى اليهودى ، ويعطى هذا التمهيد نبذة مختصرة عن هذه الاتجاهات ، نخرج بعدها إلى التركيز على دراسة الاتجاه الإسلامى وصحفه .

أولا : الاتجاه الاشتراكى فى الصحافة المصرية :

ظهر الفكر الاشتراكى فى الصحافة المصرية قبل الحرب العالمية الأولى فى صحيفة المقتطف ، التى اختصها شبلى شميل بأبحاثه فى نظرية النشوء والارتقاء ، وفى عرض النظرية الاشتراكية ، والأفكار الاشتراكية ، ثم فى مجلة الحكومة التى أصدرها عزيز فهمى المصرى فى عام ١٩٠٦م ، «سياسية اشتراكية أسبوعية» ، ثم مجلة المستقبل التى أصدرها سلامة موسى ١٩١٤م ، وهى مجلة علمية أدبية أسبوعية (١) .

وبعد ثورة ١٩١٩م راعت الأفكار الاشتراكية وانتشرت ولا سيما بعد تكوين الحزب الاشتراكى المصرى الذى أعلن برنامجه الأول فى ١٨ أغسطس ١٩٢١م ، ثم تغير اسم الحزب إلى الحزب الشيوعى المصرى فى يناير ١٩٢٣م .

وقد حاول الحزب الاشتراكى إصدار صحيفة تعبر عن اتجاهه وفلسفته ، غير أن وزارة الداخلية لم تسمح له ؛ لأنه لم يكن هناك رضا فى ذلك الوقت عن الاتجاهات الاشتراكية من قبل الحكومة ، والسلطات البريطانية ، وأصحاب رؤوس الأموال الأجانب ، وعندما لم ينجح الحزب فى إصدار صحيفة خاصة به بحث عن جريدة فعثر على صحيفة «الشبيه» لصاحبها الشيخ عبد الحميد النجار ، وهى جريدة أسبوعية أدبية اجتماعية ، فاتفق مع صاحبها على تحويلها إلى صحيفة اشتراكية ، وبالفعل تم صدور العدد الأول فى أوائل مايو ١٩٢٢م (٢) . يحمل شعار المنجل والمطرقة ، وفيه مقالات اشتراكية متعددة ، وحيثل صدر قرار وزير الداخلية بإغلاق «الشبيه» ومنع نشرها (٣) .

(١) سليمان نسيم : صياغة التعليم المصرى الحديث ، القاهرة : الهيئة المصرية للكتاب ، ١٩٨٣م ، ص ١٥٤ ، ١٥٥ .

(٢) عواطف عبد الرحمن : مصر وفلسطين ، ط ٢ ، الكويت : سلسلة عالم المعرفة ، يونية ، ١٩٨٥م ، ص ١٣٠ .

(٣) رفعت السعيد : الصحافة اليسارية (١٩٢٥ - ١٩٤٨م) ، ط ٢ ، القاهرة ، مكتبة مدبولى ، ١٩٧٧م ، ص ١٠ .

ولهذا لجأ أنصار الحزب الاشتراكي إلى إصدار نشرات غير دورية ، حيث إنها لا تحتاج إلى تصريح خاص من الحكومة ، وفي بعض المناسبات كان يصدر الحزب نشرة مطبوعة بعنوان : «خطاب مفتوح إلى» ، صدر من هذه النشرة عدة أعداد مثل : خطاب مفتوح إلى سعد زغلول ، وخطاب مفتوح إلى المثقفين ، هذا إلى جانب النشرات السرية الخاصة التي كان يصدرها (١) .

وتعتبر صحيفة الحساب التي صدرت في أواخر عام ١٩٢٤م أول صحيفة تعبر بشكل مباشر عن الحزب الشيوعي المصري ، وكان صاحب هذه الجريدة إبراهيم الصبيحي ، وكان شعار هذه الجريدة صحيفة يومية سياسية تعنى بالشؤون الداخلية ، وقد عجز إبراهيم الصبيحي عن مواصلة إصدار الجريدة يوميا ، فأصدرها أسبوعية ، ثم توقفت عن الصدور بعد العدد العاشر الصادر في ٢٣ ديسمبر ١٩٢٤م ، حتى عاودت الصدور على يد رفيق جبور (٢) ، وأعضاء الحزب الشيوعي في ١٦ مارس ١٩٢٥م بعد أن استأجر رخصة الجريدة من صاحبها ، وجعل شعارها صحيفة سياسية اجتماعية اقتصادية يومية ، تصدر مؤقنا مرة في الأسبوع للدفاع عن حقوق العمال والفلاحين ، وقد شارك في تحرير الحساب : شاعر عبد الحليم أحد أعضاء الحزب ، وإبراهيم السمكري عضوا للجنة المركزية بالحزب ، والشاعر محمود رمزي نظيم الذي نشر عددا من القصائد بعنوان : «من الشعر الفلاحي» ووقعها بإمضاء فلاح ، كذلك نشر بعض المقالات السياسية ، وصدر من صحيفة الحساب ثمانية أعداد ، ثم توقفت ، حيث سجن رئيس تحريرها صبور ومحرروها ومندوبوها بالأقاليم بأوامر من سلطات الاحتلال (٣) .

ثم صدرت صحيفة «روح العصر» صحيفة اشتراكية سياسية أسبوعية في ١٤ فبراير ١٩٣٠م لصاحبها الدكتور عبد الفتاح القاضي ، وكانت تتحدث عن الاشتراكية بشكل سافر ، وتنشر دراسات عن الماركسية والمذاهب الاشتراكية في العالم ، وتقدم ترجمات من كتابات ماركس عن العمل ورأس المال والمادية التاريخية ، وتدافع عن التجربة السوفيتية ، وتبرز إنجازاتها ونجاحاتها في محاولة جديدة لتأليف حزب اشتراكي لوضع هذه الأفكار موضع التطبيق ، وكان من أبرز كتابها إسماعيل مظهر صاحب مجلة العصور ، ومحمود حسنى العربى الذى كان يعمل سكرتيرا للحزب الشيوعي ، وعصام الدين ناصف سكرتير

(١) المرجع السابق ، ص ١٣٠ .

(٢) رفيق جبور : هو صحفى لبنانى ، كان يكتب في جريدة النظام الوفدية الميول ، وقد ظل منذ عام ١٩١٨ - ١٩٢٥م محررا بهذه الجريدة ، وقد انضم إلى الحزب الشيوعي المصري ، وروج للمبادئ الاشتراكية حتى ألقى القبض عليه في عام ١٩٢٥م لعلاقته بالنشاط الشيوعي في مصر .

(٣) رفعت السعيد ، مرجع سابق ، ص ٢٠ ، ٢١ .

الحزب الاشتراكي المصري (١) .

وفي ٢٥ مارس عام ١٩٣٧م ، صدرت صحيفة «شبرا» جريدة سياسية اجتماعية أسبوعية لسان العمال على مبادئ الزعيم عباس حليم ، وكان صاحبها ورئيس تحريرها محمد عبد الحميد عبد الله ، وقد بدأ يظهر الاتجاه الاشتراكي في صحيفة شبرا منذ العدد الثاني لصدورها ، حيث نشرت مقالات عديدة عن الاشتراكية والدعوة إلى إقامة نظام اشتراكي على أنقاض النظام الرأسمالي القائم ، وكان يقود هذه الدعوة سلامة موسى ، وعصام الدين ناصف وغيرهما من كتاب الاشتراكية في ذلك الوقت ، وهكذا تحول مسار هذه الصحيفة من مجرد صحيفة تتحدث عن مشاكل حي من أحياء القاهرة إلى لسان يتحدث عن مشاكل العمال والفلاحين (٢) .

ويلاحظ أن الأفكار الاشتراكية في تلك الفترة ظلت حبيسة النظريات ولم تخرج إلى حيز التطبيق ، وفشلت الحركة الاشتراكية في تثبيت أقدامها في التربة المصرية ؛ لاصطدام الأفكار الاشتراكية الشيوعية بالدين الإسلامي ، ومقاومة الاستعمار البريطاني للأفكار الاشتراكية في مصر لحماية الاحتكارات والاستثمارات الأجنبية في البلاد (٣) .

فضلا عن ذلك ، فقد هاجم أنصار الفكر الإسلامي الاتجاه الاشتراكي ، والفكر الاشتراكي بصفه عامة وفي روسيا بالذات ، وأعلنوا خطورة هذا الفكر على الدين والعلاقات داخل المجتمع المصري (٤) ، وكان من أبرز المهاجمين للفكر الاشتراكي الشيخ محمد أبو الوفا التفتازاني ، الذي هاجم الحزب الاشتراكي هجوما شديدا ، مستدلا بآيات من القرآن الكريم ، في مجموعة مقالات كتبها في صحيفة الأهرام (٥) ، والشيخ رشيد رضا الذي اتهم أعضاء الحزب الاشتراكي بالعمالة للبشافية ، وأنهم يتقاضون مكافآت ورواتب من روسيا (٦) ، كذلك هاجمهم محب الدين الخطيب ، والشيخ حسن البنا ، ومحمد الشافعي من الإخوان المسلمين ، وتشير صحيفة الإخوان المسلمين إلى أن الفكر اليساري «الاشتراكي» أشد خطرا من حركة التبشير بالنصرانية ، فإذا نجح سيهدم المساجد ،

(١) المرجع السابق ، ص ٣٣ - ٣٩ .

(٢) المرجع نفسه ، ص ٥٩ - ٦٢ .

(٣) عبد العظيم رمضان : تطور الحركة الوطنية في مصر ، ١٩١٨ - ١٩٣٦م ، القاهرة : دار الكتاب العربي ، ١٩٦٨م ، ص ٥٥٩ ، ٥٦٠ .

(٤) زكريا سليمان بيومي : الإخوان المسلمون والجماعات الإسلامية ، ص ١٧٩ ، تاريخ الحركة الاشتراكية في مصر (١٩٠٠ - ١٩٢٥م) ، ط ٢ ، ١٩٧٥م ، ص ١٥٨ .

(٥) الأهرام ٢٤ ، ٢٦ أغسطس ١٩٢١م ، ٧ سبتمبر ١٩٢١م ، وعبد العظيم رمضان : تطور الحركة الوطنية ، مرجع سابق ، ص ٥١٧ .

(٦) أنور الجندي ، الفتح ، تاريخ الصحافة الإسلامية ، ج ١ ص ٩٧ .

ويعطل العبادة ، ويبيح الأعراض ، ويذل الأديان ، ويهدد كيان المجتمعات (١) .
كذلك هاجمت «النذير» الاشتراكية والشيوعية ؛ لأنها تجر الإباحية والتحلل والفجور
إلى المجتمع وتقضى على تعاليم الأديان (٢) .

وقصارى القول : إن الاتجاه الاشتراكي قد لاقى هجوما من كل فئات الرأى العام
المصرى : من الأحزاب السياسية ، ومن علماء الدين ، والصحف المصرية ، والأجنبية ،
والاستعمار البريطانى ، والحكومة المصرية ، كل هذه الأسباب عاقت وأضعفت نمو الحركة
الاشتراكية (٣) ، وتسرب الأفكار الاشتراكية والشيوعية إلى مصر فى فترة ما بين الحربين
العالميتين . لكن على صعيد آخر انتشرت الأفكار الغربية العلمانية ، ووجدت لها أنصارا
كما يتضح فيما يلى .

ثانيا : الاتجاه العلمانى فى الصحافة المصرية :

بدأت جذور هذا الاتجاه فى الصحافة المصرية فى النصف الثانى من القرن التاسع
عشر على استحياء فى الصحف التى أصدرها النصارى الشوام فى مصر «الأهرام ١٨٧٦م ،
المقتطف ١٨٧٦م ، المقطم ١٨٨٩م ، الجامعة ١٩٠٥م» ، ثم نما هذا الاتجاه فى ظل
الاحتلال البريطانى على مصر فى عام ١٨٨٢م ، حتى تزعمت هذا الاتجاه صحيفة
«الجريدة» التى أصدرها حزب الأمة فى عام ١٩٠٧م ، وكان مدير تحريرها أحمد لطفى
السيد الذى نحا بها منحى علمانيا (٤) ، غير أن هذا الاتجاه اصطدم اصطداما عنيفا
بأصحاب الفكرة الإسلامية ، التى كانت تعبر عنها فى ذلك الحين صحف الاتجاه الإسلامى
«المنار ، الحياة ، اللواء ، الهداية ، الشعب» وغيرها من الصحف التى كانت تصدر قبل
الحرب العالمية الأولى .

أما بعد هذه الحرب الكبرى فقد اتسع نطاق هذا الاتجاه العلمانى فى الصحافة
المصرية ، وساعد على ذلك انقلاب مصطفى كمال أتاتورك فى تركيا على الخلافة ثم إعلانه
الجمهورية مع قبوله بالإسلام دينا ، وتعديله الدستور وإعلانه علمنة الدولة التركية ،
واقتراس القوانين الغربية المنافية للدين ، وكانت هذه أضخم تجربة علمانية لأبناء الشرق
المسلم يمكن أن تقلد أو تحاكي ، فضلا عن ذلك كان لوجود الاحتلال البريطانى
والامتيازات الأجنبية أثر كبير على العوامل الفكرية ، والاجتماعية ، والاقتصادية

(١) الإخوان المسلمون ، غرة ذى الحجة ١٣٥٣هـ ، ٨ مارس ١٩٣٥م ، مقال بعنوان : «انقلاب خطر يهدد
العالم : محمد الشافعى» .

(٢) النذير ، عدد ٢٥ رجب ١٣٦٧هـ .

(٣) عبد العظيم رمضان : تطور الحركة الوطنية ، مرجع سابق ، ص ٥٠ - ٥٦ .

(٤) مصطفى رمضان : العالم الإسلامى فى التاريخ الحديث والمعاصر ، القاهرة : دار الوفاء ، ١٩٨٤م ص ١٥٦ .

والسياسية السائدة فى هذا العصر ، حيث وجدت الأفكار العلمانية والعادات الغربية تشجيعاً فى الاحتلال وأذنبه (١) .

وقد تزعم هذا الاتجاه طائفة من المفكرين المصريين الذين تلقوا دروسهم فى سلك التعليم العلمانى ، واستكملوها فى إنجلترا وفرنسا ، ثم رجعوا إلى بلادهم يحملون الفكر العلمانى ويعملون على تطبيقه ، وكان من أنشط هؤلاء المفكرين : د . طه حسين ، ود . محمد حسين هيكل ، ومنصور فهمى ، وسلامة موسى ، ومحمود عزمى ، وعلي عبد الرازق ، وإسماعيل مظهر وغيرهم ، وصدرت فى العقد الثانى من هذا القرن عدة صحف تروج لهذا الاتجاه فى مقدمتها السياسة التى صدرت فى ٣٠ أكتوبر ١٩٢٢م ورأس تحريرها الدكتور محمد حسين هيكل ، ثم أحمد أمين (٢) ، والسياسة الأسبوعية التى صدرت فى ١٣ مارس ١٩٢٦م ، والعصور التى صدرت فى عام ١٩٢٧م لصاحبها إسماعيل مظهر زوج شقيقة أحمد لطفى السيد ، والمجلة الجديدة التى صدرت فى عام ١٩٢٩م لسلامة موسى فضلاً عن صحيفة الهلال التى أصدرها جورجى زيدان فى عام ١٨٩٢م ، والمقتطف الصادرة فى عام ١٨٧٦م ، لأصحابها فارس نمر ، وشاهين مكاريوس ، ويعقوب صروف .

وقد حفلت هذه الصحف بالمقالات التى تشكك الناس فى كل ما يخرج عن دائرة المحسوس ، وكان معظم ما ينشر عن ذلك ينشر باسم العلم والعلمانية ، وباسم حرية الفكر والتحرير من عبودية التقليد . من ذلك مقال كتبه رئيس تحرير صحيفة الهلال إميل زيدان فى عددها الصادر فى نوفمبر ١٩٢٤م تحت عنوان : «حرية الفكر» ، شكك فيه فى كل العقائد ، وأنكر الوحى والغيبيات ، واعتبر الأنبياء فلاسفة ومفكرين ، تخضع الديانات التى جاؤوا بها للنقد والتعديل والتنقيح والتهذيب (٣) .

كذلك ارتفعت الأصوات فى تلك الصحف تنادى بإلغاء المحاكم الشرعية ، وبالمساواة بين الرجل والمرأة تقليداً للأوربيين ، وتعديل قانون الأحوال الشخصية ، وإيجاد نظام مدنى ينص على إلغاء تعدد الزوجات ، ويمنع الطلاق إلا بحكم محكمة ، ويجيز زواج الأفراد ولو اختلفوا فى الأديان ، وغير ذلك من الأفكار التى تنكر للأديان ، غير أن هذا الاتجاه العلمانى قد قوبل بالرفض من جانب الصحف الإسلامية ، وشهدت فترة ما بين الحربين معارك مشهورة فى الفكر المصرى الحديث بين أنصار الاتجاه العلمانى فى الصحافة المصرية ، وبين أنصار الاتجاه الإسلامى ، وحملت لواء الرد على الصحف العلمانية صحيفة المنار ، والفتح ، والشبان المسلمين ، والأزهر ، وصحف الإخوان المسلمين .

(١) محمد فتحى شعير : وسائل الإعلام المطبوعة فى دعوة الإخوان المسلمين ، السعودية : ١٩٨٥م ، ص ٦٣ .

(٢) ، (٣) محمد محمد حسين : الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر ، ط ٣ ، القاهرة : ١٩٨٠م ، ج ٢ ص ٢٧٩ .

وتشير المنار إلى أنه قد اشتدت الحملة على الإسلام من دعاة النصرانية وأنصارهم وتلاميذهم في مصر ، فهم يجاهرون بالكفر ويصدون عن الدين ، ويطعنون في عقائده ، ويلقون الشبهات فيما يكتبون في الجرائد والمجلات المختلفة ، ومنهم صاحب مجلة العصور ومطبعها : إسماعيل مظهر ، وبعض محرري الجرائد اليومية كصحيفة السياسة الذين يحاربون جعل الدين الرسمي للحكومة المصرية الإسلام ، ويطالبون بإيجاد قانون مدني لا يتقيد فيه بشيء من الأحكام الشرعية ، وأن تكون الحكومة المصرية لا دينية (١) .

وكتب الشيخ أحمد شاكراً في صحيفة الفتح يوضح أن صحف الهلال تهاجم الأزهر والمحاكم الشرعية ، وتعمل على إفساد أخلاق الشعب المصري وأذواقه ، ويتهمون علماء المسلمين بالجمود والرجعية لتمسكهم بالدين الإسلامي (٢) .

وانبرى محمد على غريب للرد على ما يكتبه الخواجة سلامة موسى عن الأدب المكشوف ، ونقله لآراء أناتول فرانس وغيره من الإباحيين (٣) ، وذكر الشيخ عبد الباقي سرور أن جريدة السياسة تروج للدعاية إلى الإلحاد والتبشير في مصر (٤) ، وهاجمت صحيفة الفتح على الراق حين كتب في السياسة يهاجم الدين الإسلامي ، وينكر عظمة النبي ﷺ (٥) ، وسجل عبد الله دراز في صحيفة الإخوان المسلمين أن سبب هذه الموجة العلمانية السائدة في مصر «هو الرغبة في القضاء على الدين الإسلامي ، وليس الموقف من الديانات ككل» (٦) .

وتجدر الإشارة هنا إلى أنه قد غلب تيار الصحافة الإسلامية في الثلاثينات واندحرت الصحف العلمانية ، وتغيرت بعض مواقف أصحابها ، وذلك لأن ما أعلنه التيار العلماني «من أفكار جديدة ومؤسسات حديثة ونظم دستورية وسياسية غربية ، وتنظيمات قانونية وضعية ، وأساليب مستحدثة للعيش وأنماط الحياة ، كل ذلك لم يسفر عن التحقيق الكامل للأمل المرجو في التحرر من الاستعمار والإطاحة بالاستبداد ، والرخاء الاقتصادي» (٧) .

(١) المنار ، ج ١ ، م ٣٠ ، محرم ١٣٤٨ هـ ، يونيو ١٩٢٩ م .

(٢) الفتح ، عدد ٧٤ ، ١٩ جمادى الآخرة ١٣٤٦ هـ ، ٨ ديسمبر ١٩٢٧ م .

(٣) الفتح ، عدد ٧٦ ، ٢٨ جمادى الآخرة ١٣٤٦ هـ ، ١٧ ديسمبر ١٩٢٧ م . مقال بعنوان : «الخواجة سلامة في أدبه المكشوف» .

(٤) الفتح ، عدد ٥٦ ، ٧ صفر ١٣٤٦ هـ ، ٤ أغسطس ١٩٢٧ م .

(٥) الفتح ، عدد ٦٠ ، ٥ ربيع الأول ١٣٤٦ هـ ، أول سبتمبر ١٩٢٧ م ، سلسلة مقالات كتبها الشيخ محمد شاكراً وكيل الجامع الأزهر .

(٦) الإخوان المسلمون ، عدد ١٦ ، ١٣ رجب ١٣٥٢ هـ - ١٩٣٣ م ، مقال بعنوان : «استقلال الدين في خدمة السياسة : محمد عبد الله دراز» .

(٧) طارق البشري : المسلمون والأقباط في إطار الجماعة الوطنية ، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٠ م ، ص ٤٩٥ .

واقترن هذا التيار العلماني في مصر لدى البعض بحركة التبشير ، التي ظهرت في العشرينات والهجوم على الدين الإسلامي ، مما أثار العواطف الإسلامية ودعم الاتجاه الإسلامي في مصر خلال الثلاثينات وأحدث رد فعل إسلامي إيجابى تجاه الحركة العلمانية والنشاط التبشيري (١) ، وانتعش في مصر الاهتمام بالإسلام ، خاصة فيما يتعلق بتطبيق مبادئه في حل المسائل السياسية الملحة وتنظيم شؤون الحياة على أسس إسلامية (٢) ، ومما ساعد على نمو الاتجاه الإسلامي في الصحافة المصرية أيضا الهجمة الاستعمارية السياسية ضد الإسلام في المغرب العربي وفلسطين ، ففي عام ١٩٢٩م جرت أحداث حائط المبكى ، واتخذ الصراع القومى بين العرب والصهيونية شكل صراع ديني ، كان من شأنه أن يستفز عواطف المصريين وغيرهم من الشعوب التي تدين بالإسلام (٣) .

هذا ، وقد خفت صوت الصحف العلمانية «المجلة الجديدة» ، السياسة الأسبوعية ، «العصور» ، بينما استمر تدفق الصحف الإسلامية ، وظهرت صحف جديدة تحمل لواء الدفاع عن الإسلام ؛ ولذلك كان هناك تحول إلى الكتابة في الموضوعات الدينية من بعض المفكرين العلمانيين كالدكتور طه حسين والدكتور محمد حسين هيكل ، ويفسر البعض هذا التحول على أنه كان ضرورة شعبية بعد ظهور المنظمات الإسلامية كجماعة الإخوان المسلمين ، وجمعية الشبان المسلمين ، والهداية الإسلامية ، وبعض الجمعيات الأخرى (٤) ، إضافة إلى أنهما كانا عرضة للاتهام بالإلحاد والمروق من الدين من جانب تلك المنظمات .

ويفسر الدكتور هيكل هذا التحول وأسبابه فيقول : «إن الذين درسوا في أوروبا كانوا هم رسل الحضارة الغربية الداعين إليها في مصر ، ظنا منهم أن ذلك هو السبيل إلى نهضتها ، وأن هؤلاء الشباب قد تفتحت أعينهم على حقيقة الأمر بعد الحرب الأولى ، فقد أدركوا أن كل ما بذلته الشعوب العربية من تضحيات لم يكن إلا في سبيل الاستعمار وأدركوا كذلك أن الدول الأوروبية التي تزعم أنها قد تحررت من التعصب الديني هي دول متعصبة تعصبا مسيحيا لم تنس معه الحروب الصليبية ، ثم إن هذه الدول شملت بحمايتها الجماعات التبشيرية المنبثة في كل مكان ، وعند ذلك غضب هذا الشباب لإسلامه ، الذي تريد الدول المسيحية أن تمحوه ، وجعل كل منهم يفكر في وسيلة للخلاص من الغرب» (٥) .

وقد بدأت موجة الإلحاد والعلمانية في الانحسار منذ أن كتب الدكتور هيكل أيضا في

(١) المرجع السابق ، ص ٤٩٤ .

(٢) ماجرات سبرانيان : الوفد والإخوان المسلمون ، ترجمة بشير السباعي ، ص ١٨ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٤٩٤ .

(٤) عفاف لطفى السيد : تجربة مصر الليبرالية (١٩٢٢ - ١٩٣٦م) ، القاهرة : ١٩٨١م ، ص ٣٤٣ ، ٣٤٤ .

(٥) ملحق السياسة الأدبي ، عدد ١٤ جمادى الآخرة ١٣٥١هـ ، ١٤ أكتوبر ١٩٣٢م ، نقلا عن : د . محمد

محمد حسين : الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر ، ج ٢ ص ١٥٥ .

مجلة الهلال الصادرة في فبراير ١٩٢٨ ، يثبت أن العلماء في أوروبا وأمريكا أخذوا يتطلعون إلى الشرق بالبحث عن دين تطمئن إليه نفوسهم ، وذلك بعد أن خاب الإلحاد وفشل ، وأصبح موضع الازدراء في أوروبا وأمريكا ، ويعلل الشيخ عبد الباقي سرور لماذا يتطلع العلماء في أوروبا وأمريكا إلى الشرق للبحث عن دين جديد ؛ لأنهم قد استقصوا مباحث الفلسفة الأوروبية والأمريكية ، واستوعبوا البحوث العلمية والمذاهب المنتشرة هناك ، فلم يجدوا فيها ما تطمئن إليه الإنسانية (١) ، وفي هذا دلالة واضحة على أن الفلسفة التي عادت الدين في أوروبا وأمريكا والمباحث التي شككت فيه قد باءت بالفشل ، وأنها لم تغن شيئا حيال حاجات النفس وغايتها الروحية .

كان الدكتور هيكل في مقدمة الذين تراجعوا عن مواقفهم ، وكشفوا عن مخططات الغرب للقضاء على الإسلام ، وهاجم الحركة التبشيرية النصرانية على صفحات السياسة نفسها التي حملت دعوة التغريب والعلمانية في العشرينات ، ونقل الدكتور هيكل ما قاله مستر حب في مقدمة كتابه : «وجهة الإسلام» عن تغريب الشرق وما عني به ، وهو «إبدال الشرق في نظمه وقوانينه وطرائق العيش فيه نظما وقوانين غربية وطريقة عيش غربية بحتة» ، وذهب الدكتور هيكل إلى أن حركة التبشير تعتبر جزءا من تغريب الشرق (٢) .

كذلك أعلن الدكتور منصور فهمي عن تراجعه ، وذكر في جريدة المساء ٢٢ سبتمبر ١٩٣٠م أن أغراض أدياء التجديد والعلمانية تنحصر في شيئين رئيسيين :

١- إبادة الأزهر وتعاليمه .

٢- القضاء على الدين الإسلامي واللغة العربية .

وأضاف أن سلامة موسى يهاجم العرب ويتهممهم بالتوحش والجهل ، في حين أن العرب خدموا العلم والمدنية خدمات طيبة لا ينكرها إلا جاحد ، ودعا مفكرى الأمة إلى التعاون وعدم الفرقة والاختلاف ، وحفظ ما يستحق من الماضي ، وتقبل ما يستحق القبول من الجديد (٣) .

وهكذا انكسرت حدة الاتجاه العلماني في الصحافة المصرية في الثلاثينات ، ولعل من أهم الأسباب التي عجلت بانكسارها تتلخص فيما يلي :

(١) الفتح ، عدد ٨٤ ، ٢٤ شعبان ١٣٤٦هـ ، ١٦ فبراير ١٩٢٨م .

(٢) السياسة ، عدد ١٩ مايو ١٩٣٣م ، وأنور الجندي : يقظة الفكر العربي ، القاهرة : مطبعة زهران ١٩٧٠م ، ص ١٩٧ ، ١٩٨ .

(٣) الفتح ، عدد ٢٢٣ ، ٨ جمادى الآخرة ١٣٤٩هـ مقال بعنوان : «منصور فهمي والمجددون : محمود أبورية» .

- ١- تحديات الغرب السياسية للأمة العربية والعالم الإسلامى ، وانكشاف وجهه الاستعمارى السافر .
 - ٢- انكشاف مؤامرة الاستعمار فى محاولة التبشير ، وفتنة المسلمين عن دينهم عن طريق المستشفيات والمدارس والجمعيات .
 - ٣- ظهور رسائل ودراسات تحمل خططا مرسومة لتغريب الشرق وعلمته أعدها مستشرقون يعملون فى دوائر المستعمرات وإدارات المخابرات الغربية .
 - ٤- فقدان الثقة بكثير من أدب الغرب وقيمه الحضارية، مما أدى إلى تحول بعض رعماء التغريب والعلمانية إلى المنابع الإسلامية بعد أن فقدوا الثقة فى أدب الغرب .
 - ٥- انتشار دعوة المصلحين والمجددين من أنصار الفكر الإسلامى عن طريق الصحف والجمعيات الإسلامية التى تكونت فى أواخر العشرينات وبداية الثلاثينات .
 - ٦- عودة بعض قادة العلمانية إلى الفكر الإسلامى والدفاع عنه ، من أمثال : د. محمد حسين هيكل و د . منصور فهمى ، وزكى مبارك ، وعباس العقاد (١) .
- ثالثا : الاتجاه الطائفى «القبطى - اليهودى» فى الصحافة المصرية :
- ١- الاتجاه القبطى :

كان للصحف الطائفية دور فعال فى الصحافة المصرية ، حيث استخدمها الاستعمار البريطانى كوسيلة مؤثرة فى ضرب الحركة الوطنية المصرية وشق صفوفها ، وهذا جزء من سياسته القائمة على التفرقة الطائفية بين أبناء الشعب الواحد (٢) .

وقد نجحت هذه السياسة فى الفترة الأولى من الاحتلال ، وبدأ لأول مرة الصراع الطائفى بين المسلمين والأقباط يأخذ مجراه (٣) ، ولم يقف الاحتلال عند هذا الحد بل أوجد الخلاف بين المذاهب النصرانية ذاتها ، فكانت صحيفة الوطن تؤيد المذهب الإنجيلى بينما صحيفة مصر تؤيد المذهب الأرثوذكسى ، وقد وقع بينهما الحلاق واستمر قائما حتى نهاية العشرينات ، إذ استطاع حزب الوفد أن يحبط سياسة إثارة الطائفية بين المسلمين والأقباط (٤) .

وكانت صحيفتا «الوطن» و«مصر» من أبرز الصحف القبطية فى مصر ، حيث

(١) أنور الجندى : يقظة الفكر العربى ، مرجع سابق ، ص ١٩٠ - ١٩٦ .
 (٢) طارق البشرى : الحركة السياسية فى مصر (١٩٤٥ - ١٩٥٢م) القاهرة : دار الشروق ، ١٩٨٣ ، ص ٢٥٠ .
 (٣) عواطف عبد الرحمن : مصر وفلسطين ، الكويت : سلسلة عالم المعرفة ، يونيو ، ١٩٨٥م ، ص ١٥٠ .
 (٤) أنور الجندى : الصحافة السياسية فى مصر ، مرجع سابق ، ص ١٤٩ .

صدرت الوطن في عام ١٨٧٧م لصاحبها ميخائيل عبد السيد ، وكانت تطبع في المطبعة التي استحضرها الأنبا كيرلس الرابع بطريرك الأقباط من أوروبا (١) ، وقد توقفت هذه الصحيفة عن الصدور في عام ١٨٩٢م ، ثم استأنف جندى إبراهيم إصدارها في منتصف عام ١٩٠٠م . وأيدت الحزب الإكليركى ، وأعلنت مناصرتها للإنجليز بلاخفاء ، ووقفت موقفا معاديا ومتشددا للحركة الوطنية المصرية حتى وصفها أمين الرافعى بأن «سياستها احتلالية أكثر من المقطم» (٢) ، وظلت الوطن على مناصرتها للإنجليز وتأييدها لسياستهم ، حتى بعد ثورة ١٩١٩م التي امتزجت فيها قوى الأمة المصرية ، في كيان واحد ضد الاحتلال (٣) .

أما صحيفة مصر فقد صدرت في عام ١٨٩٥م لصاحبها تادرس شنودة المنقبادى ، وكانت خطتها السياسية أيضا مناصرة الاحتلال البريطانى ، ولم يتغير موقفها إلا في ثورة ١٩١٩م (٤) ، ومنذ صدور مصر والخلاف مستمر بين شنودة المنقبادى وميخائيل عبد السيد صاحب الوطن ، ثم اتفقا معا في أحداث الفتنة الطائفية التي جرت بين المسلمين والأقباط في عام ١٩٠٩م ، وامتدت أكثر من ثلاث سنوات ، حتى انعقد المؤتمر القبطى في أسبوط عام ١٩١١م ، وطالب بحقوق الأقباط (٥) . يقول الدكتور عبد اللطيف حمزة : «إن هاتين الصحيفتين مصر والوطن قد أسرفتا في المطالبة بحقوق أساسها التعصب الدينى» (٦) .

وليس هناك شك في أن الصحافة القبطية قد أدت دورا خطيرا في تعميق الخصومة بين المسلمين والأقباط بتحريض من بريطانيا ، حيث الصلة القوية بين صحف الاتجاه القبطى والاحتلال البريطانى ، فقد كانت هذه الصحف تؤيد خطط الاحتلال في مصر وتهاجم الجامعة الإسلامية ، وكان جندى إبراهيم يدعو الإنجليز إلى ضم مصر إلى المستعمرات البريطانية ورفع العلم الإنجليزى عليها (٧) .

وقد توقف هذا الدور إلى حد ما - وخاصة من جانب صحيفة مصر - أثناء ثورة ١٩١٩م وحتى منتصف العشرينات بفضل الجهود التي بذلها الوفد من أجل إحباط الصراع بين المسلمين والأقباط ، وبفضل تشكيله الوطنى العام من المسلمين والأقباط ونشاطه

(١) أديب مروة : الصحافة العربية نشأتها وتطورها ، بيروت : ١٩٦١م ، ص ١٩٥ .

(٢) أنور الجندى : الصحافة السياسية في مصر ، مرجع سابق ، ص ١٤٩ .

(٣) طارق البشرى : المسلمون والأقباط في إطار الجامعة الوطنية ، مرجع سابق ، ص ١٥٦ .

(٤) المرجع السابق ، ص ١٣٦ .

(٥) أنور الجندى : الصحافة السياسية ، في مصر ، مرجع سابق ، ص ١٥١ .

(٦) عبد اللطيف حمزة : قصة الصحافة العربية ، بغداد : دار العراق ، ١٩٦٧م ، ص ١١٤ .

(٧) أنور الجندى : الصحافة السياسية ، مرجع سابق ، ص ١٥١ ، رد . عواطف عبد الرحمن : مصر وفلسطين ، مرجع سابق ، ص ١٥٥ .

الواعى فى حسم أى خلاف ينشب بينهما (١) .

غير أن هذا الصراع قد تجدد مرة أخرى فى أواخر العشرينات والثلاثينات نتيجة لانتشار الجمعيات الإسلامية ونشاط التيار الإسلامى فى الصحافة المصرية ، وبروز تشكيلات إسلامية تطالب بالعودة إلى الإسلام والخلافة الإسلامية ، ولا سيما جماعة الإخوان المسلمين ، وبرزت الصحافة القبطية تطالب بتعديل الدستور ، وفصل الدين عن الدولة ، وإلغاء المحاكم الشرعية ، صونا لحقوق الأقباط ، وأعلن سلامة موسى أن تمسك الأقباط فى مصر بالقوانين الأوروبية يرجع إلى أن أوروبا مسيحية وليست مسلمة ، وأن تطبيق الشريعة الإسلامية يعنى العودة لفرض الجزية على الأقباط (٢) ، وغير ذلك من الدعاوى التى تذرع بها الأقباط ؛ لمعارضة القوانين الإسلامية فى مصر .

٢- الاتجاه اليهودى فى الصحافة المصرية :

ازداد النشاط الصحفى اليهودى فى مصر بعد نشوب الحرب العالمية الأولى وصدور وعد بلفور ١٩١٧م ، فقد أصدرت المنظمة الصهيونية - التى تشكلت عام ١٩١٧م بزعامة المحامى اليهودى كاسترو - المجلة الصهيونية باللغة الفرنسية لتكون لسان حال تلك المنظمة ، واتخذت من لجمة داود شعارا لها . وفى عام ١٩١٧م أيضا أصدرت الطائفة اليهودية مجلة النهضة بالفرنسية لتكون معبرة عن أفكارها ومصالحها ، وقد استمرت هذه الصحيفة ثلاث سنوات (٣) .

ثم توالى الصحف اليهودية باللغة العربية ، فأصدر الدكتور ألبرت موصيرى فى عام ١٩٢٠م صحيفة إسرائيل بالعربية والعبرية والفرنسية ، وظلت هذه الصحيفة تصدر حتى عام ١٩٤٠م . وفى عام ١٩٢٤م ، أصدر توسيسان سيكوتو صحيفة الفجر ، وكان لهاتين الصحيفتين دور بارز فى الترويج للدعوة الصهيونية فى مصر (٤) ، وتعد صحيفة الاتحاد الإسرائيلى التى أصدرتها جمعية القرائين الإسرائيليين بالقاهرة ١٩٢٤م من أبرز الصحف اليهودية الناطقة بالعربية ، وكان يرأس تحريرها يوسف فرج ، وكانت تهتم بمعالجة شؤون طائفة اليهود القرائين ، ومتابعة أخبار اليهود فى العالم ، ولم تكن تبدى اهتماما كبيرا بنشاط الحركة الصهيونية أو الوطن القومى لليهود فى فلسطين ، إلا أنها بعد ذلك أكدت

(١) طارق البشرى : المسلمون والأقباط فى إطار الجماعة الوطنية ، مرجع سابق ص ١٣٠ .

(٢) زكريا سليمان يومى : الإخوان المسلمون والجماعات الإسلامية فى الحياة السياسية المصرية ، مرجع سابق ، ص ٣١٢ .

(٣) سهام نصار : اليهود المصريون صحفهم ومجلاتهم (١٨٧٧ - ١٩٥٠م) ، القاهرة : دار العربى ، ١٩٨٠م ، ص ٥٤ ، ٥٥ .

(٤) عواطف عبد الرحمن : مصر وفلسطين ، مرجع سابق ص ١٤٢ .

صهيونية اليهود القرائين ، وضم صوتهم إلى جميع يهود العالم فى أن تكون فلسطين وطننا قوما لليهود ، وقد توقفت هذه الصحيفة عن الصدور فى أغسطس ١٩٢٩م (١) .

أما أبرز الصحف اليهودية ذات الاتجاهات الصهيونية السافرة فهى صحيفة الشمس التى أصدرها سعد يعقوب المالكى فى سبتمبر ١٩٣٤م ، وكان الغرض الأساسى من صدورها خدمة الصهيونية من خلال بث الروح اليهودية وتقويتها بين يهود الشرق ، والعمل على إيجاد رابطة قومية بين اليهود الشرقيين من خلال ما كانت تنشره عن حياة الطوائف اليهودية فى العالم بصفة عامة والشرق بصفة خاصة ، وقد لخص صاحبها الغاية من إصدارها فيما يلى :

١- المحافظة على كيان اليهود الشرقيين من الاضمحلال نتيجة فقدانهم لغتهم العربية ، فى وقت كان الجميع يتجه فيه إلى الثقافة الغربية ، ولذلك صدرت «الشمس» باللغة العربية .

٢- العناية بشؤون الطائفة اليهودية ، ومعالجة أوجه القصور فيها .

٣- أن تكون ميدانا يعبر عما يجول بخاطر كل إسرائيلى شرقى مخلص لأمتة ووطنه (٢) .

وفى عام ١٩٣٦م أصدر الصهيونى جاك رابان صحيفة المنبر اليهودى ، التى أدت دورا خطيرا فى الدعاية للحركة الصهيونية ، حيث إن صاحبها كان يتسم بنشاط وحماس شديدين للحركة الصهيونية ، وأسهم بالكتابة فى معظم الصحف اليهودية التى كانت تصدر فى مصر ذلك الحين قبل صحيفة إسرائيل والفجر والشمس والصحف الأجنبية ذات الميول الصهيونية (٣) ، ثم أصدرت جمعية الشبان القرائين فى عام ١٩٣٧م مرة أخرى مجلة الشبان القرائين ، نصف شهرية ، باللغتين العربية والفرنسية ، وتولى إدارتها ورئاسة تحريرها توفيق إبراهيم عبد الواحد ، وقد كان الغرض من صدورها :

١- العمل على نهضة الطائفة ورقيا .

٢- العمل على إحياء القومية اليهودية وتخليدها .

٣- تكوين وحدة ورابطة قومية للطائفة القرائية .

وكان الجزء العربى من هذه المجلة يمثل الجانب الأكبر من الصفحات ، بينما كان الجزء

(١) المرجع السابق ، ص ١٤١ .

(٢) سهام نصار : اليهود المصريون صحفهم ومجلاتهم ، مرجع سابق ، ص ٦٤ ، ٦٥ .

(٣) عواطف عبد الرحمن : مصر وفلسطين ، مرجع سابق . ص ١٤٢ .

الفرنسى يمثل صفحتين ، وأحيانا ثلاثة ، وقد توقفت عن الصدور فى العام نفسه (١) .
وهكذا يتضح أن الطائفة اليهودية فى مصر تمتعت بالحرية فى إصدار العديد من
الصحف الناطقة بلسانها والمعبرة عن مصالحها ووجهات نظرها فيما يتعلق بالشؤون المصرية
أو العالمية ، وقد عملت كل هذه الصحف فى خدمة الحركة الصهيونية ، وتهيئة المناخ
المناسب لإقامة وطن قومى لليهود فى فلسطين ، والدفاع عن أحقية اليهود فى هذا
الوطن .

(١) المرجع السابق ، ص ٦٨ .

الباب الأول

صحف الاتجاه الإسلامى فيما بين الحربين

ويتناول :

الفصل الأول : تطور صحافة الاتجاه الإسلامى .

الفصل الثانى : اتجاهات الصحف الإسلامية فيما بين
الحربين .

الفصل الأول تطور صحافة الاتجاه الإسلامى

ظهر الاتجاه الإسلامى فى الصحافة المصرية من خلال صحيفة العروة الوثقى التى أصدرها جمال الدين الأفغانى ومحمد عبده فى باريس فى ١٣ مارس ١٨٨٤م ، وكانت تورع فى بعض الدول العربية والإسلامية ، وقد وضعت العروة الوثقى منهجا للصحافة الإسلامية من خلال أهداف واضحة ومحددة ، وكانت أهم هذه الأهداف التى رسمتها العروة الوثقى لنفسها هى :

- ١- إيقاظ الروح الكامنة فى النفس الشرقية ، ومحاربة اليأس ومواجهة النفوذ الأجنبى الزاحف على البلاد الإسلامية .
 - ٢- التماس منهج القرآن فى بناء الأفراد والمجتمعات بوصفه المنقذ الوحيد للمسلمين .
 - ٣- تنبيه الأمة إلى ذاتيتها الأصيلة التى أنشأت الحضارة الإسلامية الزاهرة والتذكير بعظمة التراث الإسلامى .
 - ٤- محاربة الاستعمار بكل ماتملك الأمة من وسائل بمفهوم الجهاد الإسلامى .
 - ٥- مقاومة التبعية والحيلولة دون الدوبان فى الأمية أو الفكر العلمى .
 - ٦- الدعوة إلى امتلاك أسباب القوة والتقدم العلمى والتمدين دون التخلّى عن الجذور فى دائرة مفهوم الإسلام القائم على العدل والرحمة (١) .
- ولم يقدر للعروة الوثقى البقاء طويلا ، فقد صدر العدد الأول منها فى ١٣ مارس ١٨٨٣م ، والعدد الأخير فى ١٧ أكتوبر فى عام ١٨٨٤م ، ولم تصدر سوى ثمانية عشر عددا ، ورغم هذا العمر القصير لصحيفة العروة الوثقى إلا أنها كانت ذات تأثير بعيد المدى على الصحافة العربية والمصرية كلها ، حيث خلقت اتجاهها إسلاميا قويا تأثرت به الصحف الإسلامية التى صدرت فى مصر فيما بعد ، ولم يأت عام ١٨٨٩م حتى بدأت الصحف المصرية تنحو منحى إسلاميا ، وكان فى مقدمة هذه الصحف ، صحيفة المؤيد التى أنشأها الشيخ على يوسف ، وصدر العدد الأول منها فى أول ديسمبر ١٨٨٩م واستمرت فى الصدور حتى عام ١٩١٥م . ولم تكن سياسة «المؤيد» الإسلامية صريحة فى أول صدورها لأنه كتب عليها : سياسية يومية .

(١) أنور الجندى ، المنار ، ج١ ، تاريخ الصحافة الإسلامية ، القاهرة : دار الأنصار ، ١٩٨٣م ، ص ١٩ ، ٢٠ .

فكان الشيخ على يوسف ينحو المنحى السياسى الوطنى فى بدء صدور المؤيد ، ولكن عندما بدأ الصراع بين الشيخ محمد عبده وهانوتو^(١) أفسحت المؤيد صدر صفحاتها لنشر مقالات الأستاذ الإمام والتعليق عليها ، فضلا عن أنها كانت منبرا للدعوة إلى الجامعة الإسلامية ومناصرة دعائها^(٢) .

ولم يمض على ظهور المؤيد أقل من ثلاث سنوات حتى ظهر العدد الأول من صحيفة الأستاذ «صحيفة أسبوعية» فى ٢٣ أغسطس ١٨٩٢م ، والعدد الأخير فى ١٣ يونيه ١٨٩٣م هاجم فيها عبد الله النديم الاستعمار وأعوانه هجوما شديدا ، وتصدى للدفاع عن اللغة العربية ضد الهجوم الذى شنّه مهندس الرى الإنجليزى ويلكوكس عليها^(٣) .

وكانت سياسة الأستاذ تهدف إلى :

- ١- الإصلاح الاجتماعى .
- ٢- إصلاح التربية والتعليم .
- ٣- الدفاع عن الشرق ضد أوامام الغرب .
- ٤- مهاجمة الاحتلال البريطانى دفاعا عن الخديوى عباس الثانى .
- ٥- الحملة على المبشرين النصارى .
- ٦- الدفاع عن اللغة العربية باعتبار أنها اللغة القومية ، والدعوة إلى تدريس المواد كلها باللغة العربية^(٤) .

ثم توالى صدور الصحف الإسلامية ، فصدرت مجلة «الإسلام» فى غرة رمضان المعظم ١٣١١هـ ٨ مارس ١٨٩٤م ، مجلة إسلامية متخصصة تتحدث عن فضائل الإسلام وآدابه ، وتعالج القضايا الإسلامية ، فى العقيدة والشريعة والمعاملات ، وظلت تصدر حتى عام ١٩١٢م .

وفى ٢٢ شوال ١٣١٥هـ مارس ١٨٩٨م أصدر رشيد رضا صحيفة «المنار» أسبوعية ثم شهرية على نهج العروة الوثقى ، ولا سيما فى نشر الإصلاحات الاجتماعية والدينية وإقامة الدليل على أن الإسلام باعتباره نظاما دينيا لا يتنافى مع التطورات الحديثة والنظم

(١) كاتب فرنسى هاجم الإسلام ، ورد عليه الشيخ محمد عبده .

(٢) سعد الدين الجيزاوى : أصداء الدين فى الشعر من مطلع العصر الحديث إلى ثورة ١٩١٩م ، ط١ ، القاهرة : مكتبة نهضة مصر ، ١٩٥٦م ج١ ص ٢٠٢ .

(٣) صحيفة الأستاذ ، عدد ٣ يناير ١٨٩٣م ، ود . سامى عزيز : الصحافة المصرية وموقفها من الاحتلال الإنجليزى ، القاهرة : ١٩٦٨م ، ص ٢٩٢ .

(٤) عبد اللطيف حمزة : قصة الصحافة العربية فى مصر ، مرجع سابق ، ص ١٠٣ ، ١٠٤ .

المعاصرة ، وأن الشريعة الإسلامية أداة عملية صالحة للحكم ، وأيضا فى السعى للقضاء على الخرافات والاعتقادات الدخيلة فى الإسلام ، ومحاربة التعاليم الضالة والتفاسير الباطلة لعقائده ، ومحو الأفكار الشائعة عن القضاء والقدر ، ومحاربة التعصب لمذهب من المذاهب ، وما دخل على العقائد من بدع الاعتقاد فى الأولياء ، وما تأتته طرق المتصوفة من بدع وضلالات (١) .

وقد حددت المنار أهدافها من الصدور فى عددها الأول :

- ١- الحث على تربية البنين والبنات ، والترغيب فى تحصيل العلوم والفنون وإصلاح كتب العلم وطريقة التعليم .
- ٢- المساعدة على مجارة الأمم المتقدمة فى الأعمال النافعة ، وطرق أبواب الكسب والاقتصاد .
- ٣- شرح الدخائل التى مازجت عقائد الأمة ، والأخلاق الرديئة التى أفسدت الكثير من عوائدها ، والتأويلات الباطلة التى شبهت الحق بالباطل .
- ٤- تشخيص الأمراض الروحية وأشباهاها وتوضيح عللها ووصف علاجها .
- ٥- تأليف القلوب المتنافرة ، وجمع الكلمات المتفرقة ، وإقناع أرباب النحل المتباينة والمذاهب المختلفة .
- ٦- الحث على التمسك بالدين وبيان أنه أساس السعادة ، وأن الكفر فساد العمران .
- ٧- درء الشبهات الواردة على الشريعة الإسلامية ، ودحض مزاعم من قال : إنها حائل بين الآخذين بها وبين المدنية الصحيحة ؛ لجهلهم بما انطوت عليه من الحكم الرائعة والأحكام العادلة .
- ٨ - تنبيه العثمانيين أن الشركات المالية هى مصدر العمران وينبوع العرفان وأن عليها مدار تقدم أوربا فى الفنون والصنائع لا على الملوك والأمراء .
- ٩- نشر محاسن اللغة العربية .
- ١٠- عدم الميل إلى ربح حزب من الأحزاب ، وعدم التطرف لجانب معين تفريطا أو إفراطا .
- ١١- سياسة المجلة عثمانية المشرب ، حميدية اللهجة (٢) ، تحامى عن الدولة العلية بحق ، وتخدم مولانا السلطان الأعظم بصدق .

(١) تشارلز آدمز: الإسلام والتجديد فى مصر ، ترجمة عباس محمود ، القاهرة : ١٩٣٥م ، ص ١٧٢ ، ١٧٣ .

(٢) نسبة إلى السلطان عبد الحميد .

١٢- تتجافى المطاعن الشخصية والأماديج الشعرية ، لكنها لا تنسى فى تقريرظ الأعمال العامة لإفادة الجمهور (١) .

وقد شارك فى تحريرها - فى بداية صدورها - كوكبة من أعلام الأدب والشعر والعلم، من أمثال : أحمد السكندرى ، وحفنى ناصف ، ومصطفى صادق الرافعى ، ومصطفى لطفى المنفلوطى ، وحافظ إبراهيم ، وعبد المحسن الكاظمى ، ومحمد روى الخالدى ، وعبد القادر المغربى ، ومحمد المهدي ، وحسين وصفى رضا ، وشكيب أرسلان ، وعبد الحميد الزهرواى ، وملك حفنى ناصف - المشهورة بباحثة البادية - ومحمد الخضر حسين ، ورفيق العظم ، والدكتور محمد توفيق صدقى ، وعبد الكريم سلمان ، كما كتب فيها الشيخ محمد عبده حتى وفاته فى عام ١٩٠٥ م. ويذكر رشيد رضا أن بعض الناس كان يذيع أن الشيخ محمد عبده هو الذى يكتب أكثر ما فى المنار ولم يرجع عن هذا الزعم إلا بعد وفاته (٢) ، وقد ظلت المنار توالى صدورها حتى ١٩٣٥ (٣).

وصدرت بعد المنار مجلة «الحياة» ، أصدرها محمد فريد وجدى فى غرة صفر ١٣١٧هـ التاسع من يونيه ١٨٩٩ م ، مجلة دينية شهرية ، تصدر فى أول كل شهر عربى، وكان الهدف من صدورها كما جاء فى أول عدد لها هو :

١- إقامة الأدلة العلمية على أن الديانة الإسلامية هى روح العمران ، وقوام سعادة الإنسان ، بطرق لا تجعل للشكوك مجالا للأذهان ، وتستلک لهذا الغرض المسائل العصرية فى تأييد أقاويلها بالحجج الفلسفية الحسية .

٢- تثبيت الأحوال الدينية فى العقول الطموحة ، كإثبات وجود الله تعالى والحياة الآخرة بالأدلة الدامغة ، وسنعمد فى ذلك على تحقيقات العلماء العصريين جريا مع سنة الزمان ، اعتقادا بأن نشأتنا الحديثة أحوج إلى هذه الخدمة ، وإيقانا من لدنا بأن نقش أصول العقائد فى أذهاننا بالطرق العصرية أنفع للبلاد (٤) .

وقد غلب على اهتمامات «الحياة» فى فترة صدورها بيان ريف الحضارة الأوربية ومحاورة المقلدين لها من المسلمين الذين بهرتهم بأضوائها البراقة حتى أنستهم أصلهم ، ولم يقتصر على التمتع بما أنتجته الحضارة الغربية من مخترعات الصناعة من فرش وأوان وغير ذلك ، بل تعدى إلى مجازاة الإفرنج فى أخلاقهم وعوائدهم ، كذلك أسهمت

(١) المنار ، عدد ١ ، ٢٢ شوال ١٣١٥هـ ، ١٥ مارس ١٨٩٨ م .

(٢) أحمد الشرباصى : رشيد رضا الصحفى المفسر الشاعر اللغوى ، الكتاب الثانى ، القاهرة : مطبوعات مجمع البحوث الإسلامية ، ١٩٧٧ م ، ص ٢٥ ، ٢٦ .

(٣) لنا وقفة أخرى مع المنار فى فترة صدورها بعد الحرب العالمية الأولى .

(٤) الحياة ، عدد ١ غرة صفر ١٣١٧هـ ، ٩ يونيه ١٨٩٩ م .

«الحياة» فى محاربة موجة الإلحاد التى كانت تتمثل فى مدعى العلوم الطبيعية ، والرد على الكتابات التى تصدر فى مصر ، ويكون الغرض منها تثبيت أصول الفلسفة المادية واستخدامها لنفى العقائد الدينية ، وتقوية العاطفة الدينية فى العقول لإعادة الثقة التى فقدتها بتأثير الفلسفة الإلحادية المهلكة (١) .

وتوقفت «الحياة» عن الصدور فى نهاية عام ١٩١٤ ، ولم يصدر منها سوى خمس مجلدات فقط من عام ١٨٩٩ إلى عام ١٩١٤ م .

وقد صدرت «مكارم الأخلاق الإسلامية» مجلة علمية أدبية دينية تهذيبية ، فى غرة رمضان ١٣١٧ هـ الثانى من يناير ١٩٠٠ م ، عن جمعية مكارم الأخلاق الإسلامية ، التى كان يرأسها الشيخ محمد زكى سند ، وأمينها الشيخ عبد الوهاب النجار ، وهى أول صحيفة تصدر عن جمعية إسلامية فى مصر ، وذكرت جمعية مكارم الأخلاق أن هدفها من صدور هذه المجلة هو : الدعوة إلى إحياء معالم الدين التى طمست ، وتآليف القلوب التى نفرت ، كما تريد بها سرد علوم الشريعة فى أسلوب حلو المذاق خفيف على الأسماع . مع إرشاد التائه وتنبيه الغافل (٢) .

وقد أصبحت المجلة منذ عامها السادس لسان حال جمعيتى مكارم الأخلاق الإسلامية ، وجمعية الملاجئ العباسية ، وفى اليوم نفسه الذى صدرت فيه مجلة مكارم الأخلاق الإسلامية ، أصدر مصطفى كامل جريدة «اللواء» ، وقد ذاع صيتها وانتشرت شهرتها منذ اليوم الأول لصدورها ، إذ كان لمصطفى كامل مؤيدوه ، فساعد ذلك على توزيع «اللواء» ، فكانت منذ بدء صدورها أكثر الصحف انتشارا ، وكانت «اللواء» شعلة ملتهبة من الوطنية الخالصة حيث عرضت كتابات مصطفى كامل الحماسية ضد الأجنبي ، فضلا عن أنه قد التفت حولها شباب مصر وشيوخها ، وأنشأت أول حزب سياسى فى مصر وهو الحزب الوطنى ، وكانت - على حد قول عبد الرحمن الرافعى - مثالا يحتذى فى صحافة مصر الوطنية فى ذلك الوقت من حيث المضمون والتحرير والإدارة (٣) .

وقدمت اللواء أهدافها فى أول عدد لها وهى : خدمة الوطن والإسلام بأشرف السبل وأنفعها ، والحكم على الأشياء حكما صحيحا ، والسعى وراء الاتحاد والاتفاق بين المصريين من جهة ، وبينهم وبين كافة المسلمين من جهة أخرى ، ، والسعى لتربية أبناء مصر تربية وطنية ، وترقية التجارة والصناعة ، وإجلال من يعمل عملا مفيدا للوطن

(١) الحياة ، عدد رجب ١٣٣٢ هـ ، يونيه ١٩١٤ م .

(٢) مكارم الأخلاق الإسلامية ، عدد ١ ، رمضان ١٣١٧ هـ ، يناير ١٩٠٠ م .

(٣) عبد الرحمن الرافعى : مصطفى كامل - باعث الحركة الوطنية ، القاهرة : دار النهضة ، ١٩٥٠ م ، ص ١٤٤ .

والدولة ، واجتناب الشتم والشخصيات اجتنابا تاما (١) .

وقد زادت « اللواء » حدة بعد أن تولى الشيخ عبد العزيز جاويز رئاسة تحريرها في ٣ مايو ١٩٠٨م بعد وفاة مصطفى كامل ، وقد حمل الشيخ جاويز على دانلوب وأسلوبه في نظارة المعارف ، وعلى الحكم الإنجليزي في السودان بأسلوب في غاية الشدة والقسوة ، حتى انتهى به الأمر إلى القضاء (٢) .

وعندما لم يستطع الاحتلال أن ينال منه بسبب عدم انطباق قانون العقوبات على الصحف الوطنية الكبرى مثل اللواء ، اضطرت الدون غورست المعتمد البريطاني إلى إعادة قانون المطبوعات الصادر في عام ١٨٨١م (٣) وصدر العمل به في ٢٥ مارس ١٩٠٩م ، وعطلت اللواء في سبتمبر ١٩١٢ ، وليس من شك في أن إعادة قانون المطبوعات كان مقصودا به اللواء والصحف الوطنية ، التي تحارب الاحتلال .

إضافة إلى « اللواء » أصدر مصطفى كامل جريدة «العالم الإسلامي» أسبوعية في عام ١٩٠٥م ، لينشر فيها المقالات والأخبار التي تخص الدول الإسلامية ، وما تكتبه الصحف الأوربية عن العالم الإسلامي (٤) .

ثم أصدر الشيخ عبد العزيز جاويز مجلة «الهداية» مجلة دينية عملية أدبية اجتماعية، شهرية ، في غرة محرم ١٣٢٨هـ فبراير ١٩١٠م ، وكان صاحب امتيازها حسين بك تيمور ، وقد حدد الشيخ عبد العزيز جاويز أسباب صدور الهداية في أول عدد منها فيما يلي :

- ١ - تفریط المسلمين في دينهم .
- ٢ - انقسام المسلمين على أنفسهم شيعا تجاه المدنية الغربية .
- ٣ - غرور بعض المسلمين وفتنتهم بزخارف المدنية .
- ٤ - انصراف بعض الناس عن فرائض الدين وسننه ، وسيرهم خطوات في طريق التفريق بل وتشيعهم بمبادئه .
- ٥ - التقلید الأعمى للغربيين .

(١) اللواء ، عدد ١ ، غرة رمضان ١٣١٧هـ ، يناير ١٩٠٠م .

(٢) إبراهيم عبده : تطور الصحافة المصرية ، مرجع سابق ، ص ١٨٧ .

(٣) أنور الجندي : الصحافة السياسية ، مرجع سابق ، ص ١٧٥ .

(٤) عبد الرحمن الرافعي : مصطفى كامل باعث الحركة الوطنية ، مرجع سابق ، ص ١٤٥ .

- ٦- انصراف المسلمين عن التفكير فى مصائرهم .
- ٧- دخول الشبهات على الدين الإسلامى من المستشرقين والمبشرين والقساوسة .
- ٨ - النصح للمسلمين ودعوتهم إلى السبيل القويم والتمسك بدينهم .
- ٩ - إذاعة أسرار القرآن الكريم الذى هو دستور السعادتين .
- ١٠ - درء الشبه وإدحاض الأكاذيب على الإسلام .
- ١١ - بيان أن الإسلام دين الفطرة التى فطر الناس عليها .
- ١٢- الدفاع عن اللغة العربية الفصحى (١) .

وقد بدأ الشيخ جاويش بتفسير القرآن الكريم على منهج الشيخ محمد عبده الذى يربط فيه التفسير بقضايا الناس والمجتمع ، ثم تصدت الهداية للمبشرين الذين طعنوا فى القرآن الكريم فى مجلة «بشائر السلام التبشيرية» ، وتفنيد الافتراءات والتهم الباطلة التى دأب المستعمر على توجيهها إلى الإسلام ، والتى من شأنها أن تصرف الناس عنه ، مثل : الترويج لفكرة انتشار الإسلام بالسيف ، وأنه يميل إلى سفك الدماء (٢) ، كذلك حاربت «الهداية» العادات الاجتماعية الوافدة من الغرب ، ونشرت العديد من المقالات الإصلاحية التى تصحح بعض المفاهيم الخاطئة التى آمن الناس بها نتيجة للجهل الذى سيطر على عقولهم ، مثل : الاعتقاد فى الأولياء والصالحات المعجزات بهم . وظلت الهداية تصدر حتى عام ١٩١٢ م .

وقد أصدر رجال الحزب الوطنى عدة صحف تحمل طابع الحزب الوطنى الإسلامى الوجهة والمبدأ - وهو نفس الطابع الذى تميزت به جريدة اللواء - مثل جريدة الدستور ، ومصر الفتاة ، والقطر المصرى ، ووادى النيل ، والعلم ، غير أن هذه الصحف لم تعمر طويلا ، ثم صدرت صحيفة الشعب فى ٢٠ ديسمبر ١٩١١م وانتظمت فى الصدور ، وقد رأس تحريرها أمين الرافعى الذى سار بها على كنهج الذى سارت عليه صحف الحزب الوطنى من انتقاد الاحتلال ومهاجمة الحكومة وأعوان الاستعمار (٣) ، لكن ما كادت أخبار الحرب العالمية الأولى تظهر حتى كانت معظم صحف الاتجاه الإسلامى قد أغلقت أو توقفت عن الصدور .

(١) الهداية ، عدد ١ محرم ١٣٢٨هـ ، فبراير ١٩١٠م .

(٢) الهداية ، عدد ٢ صفر ١٣٢٨هـ ، مارس ١٩١٠م .

(٣) أنور الجندى : الصحافة السياسية ، مرجع سابق ، ص ١٨٣ .

صحافة الاتجاه الإسلامى بعد الحرب الأولى :

تعتبر فترة الحرب العالمية الأولى فترة مظلمة فى حياة الصحافة المصرية كلها ولاسيما صحافة الاتجاه الإسلامى ، ففى تلك الفترة تمسك المحتل بتطبيق قانون المطبوعات لعام ١٨٨١م بعد أن بدأ العمل به فى عام ١٩٠٩م ، على الرغم من احتجاج الصحف والأحزاب عليه ، وقد حمل لواء المطالبة بحرية الصحافة أمين الرافعى فى صحيفة الشعب ؛ لأن حرية الصحافة - على حد قوله : «لا تزال ساكنة فى ذلك القبر الذى أنزلوها فيه بغير ذنب ، بينما الأمم والحكومات الغربية قد أنزلتها المنزلة اللائقة بها ، وجعلتها فى مقدمة الضمانات التى تضمن للشعوب رقيها وسعادتها» . لذلك فهو يلح فى إلغاء قانون المطبوعات ، ويطالب أعضاء الجمعية التشريعية أن يعملوا على وضع حد لذلك بمطالبة الحكومة بإعطاء الصحافة حريتها (١) .

ولكن ظلت الحكومة على تشدها فى عدم منح تراخيص لصحف جديدة ، ففى خلال شهر يونيه ١٩١٤م ، قدم إلى وزارة الداخلية ٧٣ طلبا للحصول على تراخيص لإصدار جرائد يومية وأسبوعية ومجلات ، ولكن رئيس الوزراء أمر بإحالة هذه الطلبات إلى مجلس الوزراء لبحثها ، غير أنه أرجأ النظر فيها حتى نشبت الحرب العالمية الأولى (٢) .

وقد انتهزت بريطانيا فرصة اندلاع هذه الحرب فى أغسطس ١٩١٤م ، وفرضت الحماية على مصر ، وصدرت الأوامر من الحكومة بنشر خبر إعلان الحماية البريطانية على مصر ، ولكن أبت وطنية أمين الرافعى أن تنشر إعلان الحماية على مصر ، واعتبرها إهانة للشعب المصرى ، ففضل أن يعطل صحيفته «الشعب» ولا تنشر مثل هذا الخبر (٣) . وسجل الرافعى بهذا الموقف أول احتجاج على الحماية مما اضطرت السلطات الإنجليزية أن تصدر أمرا باعتقاله ضمن أول فوج من الوطنيين المصريين الذين غيوا فى السجون ، وتم بالفعل إغلاق الشعب فى ٢٧ نوفمبر ١٩١٤م (٤) ، ولم يبق من صحافة الاتجاه الإسلامى التى ازدهرت فى أوائل القرن العشرين سوى صحيفة «المنار» لرشيد رضا .

وعمدت السلطات الإنجليزية إلى القضاء على صحافة الاتجاه الإسلامى وتصفية الحركة الوطنية التى كانت تغذيها وتقودها الصحف الإسلامية «المؤيد، اللواء ، الدستور ،

(١) الشعب ، عدد ٢ ، ٩ يناير ١٩١٤م ، ود. خليل صابات وآخرون : حرية الصحافة فى مصر (١٧٩٨ - ١٩٢٤) ، القاهرة : ١٩٧٣م ، ص ٢٩١ ، ٢٩٢ ، ومحمود جمعة أمين : على الغاياتى - حياته وشعره ، رسالة ماجستير ، كلية اللغة العربية جامعة الأزهر ١٩٨٢م ، ص ١٣ .

(٢) محمود جمعة أمين : على الغاياتى - حياته وشعره ، ص ١٣ .

(٣) عبد اللطيف حمزة : قصة الصحافة العربية فى مصر ، مرجع سابق ، ص ١٠٣ ، وأثور الجندى : الصحافة السياسية ، مرجع سابق ، ص ١٨٣ .

(٤) محمد سعد إبراهيم : أمين الرافعى صحفيا ، رسالة ماجستير كلية الإعلام ، ص ٢٢ .

العلم ، الشعب ، الهداية» وغيرها ، تلك الصحف التى أوجدت تيارا إسلاميا قويا كان يربط الحركة الوطنية المصرية بحركة الجامعة الإسلامية الشاملة التى دعا إليها جمال الدين الأفغانى وسار على نهجه رشيد رضا ، ومصطفى كامل وقادة الحزب الوطنى .

ولقد تأثر مصطفى كامل بالفكر السياسى لدى الأفغانى ، ورأى فى الإسلام الجذوة التى يجب أن تحرك وتدعم القومية المصرية ، التى أخذت تتأثر بالمذاهب الغربية ؛ ولهذا فقد حمل مصطفى كامل على الاتجاهات العربية فى المشرق العربى التى كانت تدعو إلى الانفصال عن تركيا (١) .

فضلا عن ذلك ، فقد خلقت الصحافة الإسلامية قبل الحرب العالمية الأولى حركة دفاع عن الإسلام ، ارتبطت بردود الفعل التى أثارها الاحتلال الإنجليزى ، ومهاجمة كرومر - عميد الاحتلال - الدائمة للمسلمين ودينهم فى تقاريره ، وفيما أصدره من كتب ونشرات ، وانتشار المدارس الأجنبية التى هى - على حد قول رشيد رضا : « ظاهرها العلم وباطنها التبشير » ، وانتشار المبشرين فى مصر يدعون الناس إلى ترك دينهم واعتناق النصرانية (٢) ، ورحف المؤثرات الغربية على مصر ، وبروز طائفة ممن تأثروا بالمدينة الغربية ، يروجون لها ويحطون من قدر الشريعة الإسلامية وعلماء الدين ، ويجاهرون بأقوالهم : « إن الدين الإسلامى مقوض لأركان المدينة ، مخرب لدعائم العمران ، هو والحضارة على طرفى نقيض » (٣) .

لهذا كله حاربت السلطات الإنجليزية الصحافة الإسلامية لتقضى على الاتجاه الإسلامى فى الصحافة المصرية ، ولتفسح المجال لحزب الأمة ورجاله الموالين للإنجلترا فى قيادة الحركة الوطنية والفكرية فى مصر بعد الحرب العالمية الأولى (٤) ، وقد أشار الدكتور محمد حسين هيكل فى مذكراته بأن كاتب حزب الأمة أحمد لطفى السيد راح يروج إبان الحرب العالمية الأولى لفكرة مؤداها : إذا لم يكن ثمة سبيل إلى الاستقلال الوطنى فليكن الحكم فى بلادنا للإنجليز فهم خير الحاكمين ، والتقت فى هذه الدعوة المنكرة جريدة «الجريدة» لسان حال حزب الأمة ، وجريدة «المقطم» صحيفة الاحتلال السافرة (٥) .

ثم أعلنت الأحكام العرفية ، وفرضت الرقابة على الصحف فى الثانى من نوفمبر ١٩١٤ ، وأصبح لإدارة المطبوعات تعطيل الجرائد مؤقتا أو نهائيا دون إنذار ، وعندما

(١) على شلبى : مصر الفتاة ودورها فى السياسة المصرية (١٩٣٣ - ١٩٤١م) القاهرة : دار الكتاب الجامعى ، ١٩٨٢ ، ص ٣٤ .

(٢) المنار ، عدد ٩ ، ٣ محرم ١٣١٧هـ ، ١٣ مايو ١٨٩٩م ، واللواء ، عدد ٢٧ جمادى الأولى ١٣٢٠هـ ، ٣١ أغسطس ١٩٠١م .

(٣) مكارم الاخلاق الإسلامية ، عدد ٥ ، غرة ذى القعدة ١٣١٧هـ ، ٢ مارس ١٩٠٠م .

(٤) أنور الجندى : يقظة الفكر العربى ، مرجع سابق ص ٢٠ .

(٥) فتحى رضوان : مشهورون منسيون ، كتاب اليوم ، عدد ١٩٧ ، ص ١٠٠ .

دخلت تركيا الحرب في صف ألمانيا في الخامس من نوفمبر ١٩١٤ استنفحل أمر الرقابة على الصحف ، فظهرت صحيفة «الأهالي» وتناد الرقيب أن يحيلها إلى صفحات بيضاء ، وتعسفت السلطات الإنجليزية في القبض على بعض أصحاب الاتجاه الإسلامي كالشيخ محمود خطاب من كبار العلماء في الأزهر ، وأحمد جاويش شقيق عبد العزيز جاويش ، بعد أن أرغمت زعماء الحزب الوطني على الهجرة من البلاد ، مثل : محمد فريد ، وعبد العزيز جاويش ، وعلى الغاياتي وغيرهم (١) .

وقد بدأت السلطات البريطانية توقف كل أنواع النشاط السياسي في البلاد ، وصدرت التعليمات الموجهة إلى الصحف بعدم جواز نشر أى شيء يتعلق بالحالة السياسية في مصر ، وإلزام الصحف ضرورة الحصول على موافقة مسبقة من الرقيب على ما ينشر بها (٢) ، وأصدر القائد العام للقوات البريطانية في مصر قراراً ينص على «أن جميع الذين توجد معهم أوراق مكتوبة أو مطبوعة بقصد حض الأمة على التشيع لأعداء جلالاته أو حملها على الاستهانة بنظام الحكومة القائمة بالأمر، والذين يذيعون تلك الأوراق وأشباهاها أو يحاولون إدخالها في القطر المصري، يعرضون أنفسهم للمحاكمة أمام المجلس الحربى» (٣) ، كذلك تضمنت تعليمات القائد العام للقوات البريطانية منع نشر الأخبار الوهمية أو الباعثة على الإزعاج وبخاصة ماله علاقة بالخسائر الناجمة عن الحرب أو الحالة المعيشية في بلاد الحلفاء، فضلاً عن أخبار تنقلات الجيوش وتحركات السفن وكل ما من شأنه تكدير صفاء الأمن والسلامة في القطر (٤) ، ثم تقرر السلطات العسكرية في يونيو ١٩١٧ تخفيض عدد صفحات الصحف إلى صفحتين ، مما جعلها في كثير من الأحيان تلجأ إلى الاستغناء عن العناوين المجموعة بأبناط كبيرة توفيراً للمساحة ، ونتيجة لذلك اتسم النشاط الصحفى خلال هذه الفترة بالركود (٥) .

وهكذا بدأ التضييق على الصحافة المصرية وبخاصة الإسلامية منها ؛ لذلك انحسر الاتجاه الإسلامى في الصحافة المصرية أثناء وبعد الحرب العالمية مباشرة حتى عام ١٩٢٤م ، وهو العام الذى أسقطت فيه الخلافة الإسلامية ، ولم يكن يصدر في تلك الفترة من صحافة الاتجاه الإسلامى سوى صحيفة «المنار» التى كانت هى الأخرى تخضع لقوانين الرقابة على الصحف والأحكام العرفية ، و«المجلة السلفية» التى صدرت في عام

(١) خليل صابات وآخرون : حرية الصحافة في مصر مرجع سابق ص ٣٠٧ ، وأحمد المغارى : الصحافة الفنية في مصر نشأتها وتطورها ، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٨م ، ص ٢٠٢

(٢) عبد الفتاح إبراهيم محمود : دور الصحافة في تفسير القيم الاجتماعية ، رسالة دكتوراه ، كلية الإعلام ، جامعة القاهرة ، ١٩٨٦م ، ص ١٤٦ .

(٣) د . خليل صابات : حرية الصحافة في مصر مرجع سابق ، ص ٣٠٧ .

(٤) عبد الفتاح إبراهيم : دور الصحافة في تغير القيم الاجتماعية ، مرجع سابق ، ص ١٤٦ .

(٥) خليل صابات : الصحافة المصرية في ثورة ١٩١٩م ، القاهرة : ١٩٦٩ ، ص ٥ .

١٩١٧م، ولم تستمر فى الصدور ، وهى - كما يدل اسمها - تهتم بالكتب التاريخية والمخطوطات النادرة وليس لها إسهام فى الشؤون السياسية والاقتصادية والاجتماعية المطروحة فى الساحة المصرية ، كما أعلنت ذلك فى أول عدد من صدورها (١) .

وبالإضافة إلى المعوقات التى وضعها الاحتلال فى طريق المد الإسلامى فى الصحافة المصرية ، كانت هناك ظروف محلية داخل المجتمع المصرى ، اتسمت بتصاعد المقاومة الوطنية ضد الاحتلال ، والتى بلغت مداها فى ثورة ١٩١٩ ، وانصبت جميع الجهود فى تيار وطنى واحد يمثل صوت الأمة المصرية (٢) .

ورغم ذلك كله كانت هناك توجهات إسلامية ، تظهر على استحياء فى الصحافة الأدبية التى كانت تصدر خلال الحرب العالمية الأولى حتى عام ١٩٢٤م ، كصحيفة «البيان» التى أصدرها الشيخ عبد الرحمن البرقوقي فى ٢٤ أغسطس ١٩١١م ، شهرية ، واستمرت فى الصدور حتى نوفمبر ١٩٢١م ، وصحيفة «عكاظ» التى أصدرها الشيخ فهمى قنديل فى ١٣ يوليو ١٩١٣م ، أدبية أسبوعية ، وظلت تصدر غير منتظمة حتى عام ١٩٣١م ، ومجلة «الثمرات» التى أصدرها حسن السندوبى فى يونيه عام ١٩١٦م ، مجلة شهرية أدبية ، وظلت تصدر حتى عام ١٩٢٢م ، ثم مجلة «الزهراء» التى أصدرها محب الدين الخطيب ، مجلة علمية أدبية اجتماعية ، فى عام ١٩٢٤م ، (٣) ، وتعنى بوجه خاص بالأبحاث العربية والإسلامية والشرقية (٤) .

ثم اتسع نطاق التوجهات الإسلامية فى صحف الحزب الوطنى التى صدرت بعد الحرب العالمية الأولى ، وهى وإن كانت سياسية تحمل مبادئ الحزب الوطنى ، إلا أنها كانت تروج للفكرة الإسلامية وتدعو إليها ، وهذه الصحف هى : «الأنباء» التى صدرت فى ٢٢ نوفمبر ١٩٢٠م ، وتولى رئاسة تحريرها أمين الرافعى ، وكان يرى فيها امتداداً لصحيفة «الشعب» التى صدرت قبل الحرب العالمية الأولى ، وجريدة «الأفكار» ويرجع تاريخ صدورهما إلى ١١ سبتمبر ١٩١٢م ، وكان مديرها وصاحبها هو أبو العنين بدر ، وجريدة «اللواء المصرى» التى صدرت فى يناير ١٩٢٣م ، وكان صاحب امتيازها ومدير سياستها الدكتور إسماعيل صدقى عضو الحزب الوطنى وعبد المقصود متولى وهو عضو بالحزب - أيضاً - وصحيفة «الأمة» التى صدرت فى أوائل عام ١٩١٩م بالإسكندرية ،

(١) المجلة السلفية ج ١ ، ربيع الآخر ١٣٣٥هـ ، فبراير ١٩١٧م .

(٢) عواطف عبد الرحمن : مصر وفلسطين ، مرجع سابق ، ص ٣٠ .

(٣) محمد سيد محمد : هيكل والسياسة الأسبوعية ، السعودية : دار الرفاعى ، ١٩٨٣م ، ص ١٩- ٢٣ ، ود .

محمود فياض : الصحافة الأدبية وأثرها فى تطوير الأدب بين الحريين العالميتين (١٩١٤ - ١٩٣٩م) ، ص ٧٢ .

(٤) الزهراء عدد ١ ، ١٥ محرم ١٣٤٣هـ .

وكان صاحبها عبد اللطيف الصوفاني ، عضو الحزب الوطني (١) .

وقد كان للصحافة الإسلامية التي نشأت في بداية القرن العشرين أثر واضح في ثورة ١٩١٩م ، التي كانت نتاجا طبيعيا لجهود عديدة من أبناء مصر الذين عبروا عن رفض الشعب المصرى المسلم للقهر والظلم ، بدءا من السيد جمال الدين الأفغانى والشيخ محمد عبده وأحمد عرابى وعبد الله النديم ، وتوجت جميعها في دعوة الحزب الوطنى وزعيمه مصطفى كامل ومن بعده محمد فريد والشيخ عبد العزيز جاويش ، حيث أسهموا في تبديد اليأس الذى خيم على المصريين بعد فشل الثورة العرابية ، ومجئ الاحتلال ، ووضعوا صيغة مقبولة للحركة الوطنية ربطوا فيها بين الانتماء العقائدى والانتماء الوطنى (٢) .

وقد عبر عن هذا الاتجاه المؤرخ عبد الرحمن الرافعى ومصطفى كامل ومحمد فريد وأنصارهم وتلاميذهم ، الذين كان لهم أثر كبير في قيام ثورة ١٩١٩م مما غرسوه في النفوس من الدعوة إلى الجهاد الخالص لله وللوطن ، كما عبر عنه الزعيم محمد فريد بقوله - معلقا على قيام الثورة : «تشكر الله على هذه النتيجة الحسنة ، التي دلت على أن ما ألقاه مؤسسو الحركة الوطنية من البذور في تلك الأرض الخصبة قد نبت وترعرع ساقه ، ثم أزهى وظهر ثماره» (٣) .

ومع أن أغلب الصحف التي كانت تصدر إبان ثورة ١٩١٩م تجمع على أنها ثورة علمانية ، غير أن هذه الصحف لم تكن تعبر عن رأى المصريين جميعهم ، إذ كانت بعض هذه الصحف خاضعة لمجموعة من العلمانيين كالأهرام والنظام ، وكانوا حريصين على الترويج لفكرهم ، فضلا عن أنه يتمشى مع أسلوبهم السياسى المعتدل إلى جانب حرصهم على نفي سمة التطرف الدينى والسياسى فى محاولة لجذب وتأييد الرأى العام الأوروبى وكان البعض الآخر يسيطر عليه الأقباط كصحيفة مصر ، والوطن ، أو النصارى الشوام الذين يروجون للاحتلال مثل المقطم ، وهم فى مجموعهم كانوا يروجون لهذا الاتجاه (٤) لأنهم - كنصارى - كانوا أكثر تأثرا بالمذاهب الغربية والأفكار العلمانية أكثر من غيرهم .

وفى أعقاب ثورة ١٩١٩م تولى حزب الوفد توجيه البلاد ، وكان فى ذلك الحين أكبر

(١) زكريا سليمان ييوى : الحزب الوطنى ودوره فى السياسة المصرية ١٩٠٧ / ١٩ / ١٩٥٣م ، القاهرة : ١٩٨١ ، ص ٢٨٣ - ٢٨٨ .

(٢) زكريا سليمان ييوى : الاتجاه الإسلامى فى ثورة ١٩١٩م ، ط١ القاهرة : دار الكتاب الجامعى ، ١٩٨٣ ، ص ٢٤ ، ٢٥ .

(٣) المرجع السابق، ص ١٦، وعبد الرحمن الرافعى: ثورة ١٩١٩م، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٤٦، ص ٦٦ .

(٤) د . زكريا سليمان ييوى : الاتجاه الإسلامى فى ثورة ١٩١٩م، مرجع سابق ص ٤٠ .

الأحزاب السياسية المصرية ، وأوسعها نفوذا ، وكان على رأس هذا الحزب سعد زغلول الذى كان عضوا سابقا فى حزب الأمة ، وهو حزب عرف عنه مهادنته للاحتلال ومعارضته لدعوة الجامعة الإسلامية ، وتفضيل الدعوة المصرية الفرعونية عليها ، وقد تشكلت مبادئ الوفد تحت تأثير قوى من المذاهب السياسية الأوربية ، حيث تشرب قادة الحزب الذين تلقوا تعليما وثقيفا أوروبيين أفكار القومية والديمقراطية المنقولة عن الغرب ، وحاولوا غرسها فى التربة المصرية ، دون مراعاة التقاليد العربية فى مجال الثقافة والفكر الاجتماعى والدينى ، ورغم أن قادة الوفد وقفوا ضد السيطرة الإنجليزية وطالبوا بجلء القوات الأجنبية ، لكنهم ظلوا مع ذلك ذوى نظرة تعتبر أوروبا مركز كل شيء ، وتتخذ موقفا تبعا تجاه أوروبا ، وتبنوا دون تحفظ أولوية الثقافة الأوربية (١) .

وفى عام ١٩٢٢م تكون حزب الأحرار الدستوريين من الأعضاء المنشقين عن الوفد والمخالفين لسعد زغلول ، وقد سلك هذا الحزب أيضا سياسة أكثر ليونة مع الإنجليز ، وفى عام ١٩٢٣ صدر الدستور المصري ، ونجح الاحتلال فى إقناع ساسة مصر ، بالصراع على كراسى الحكم بالانتخابات والمجالس النيابية (٢) . وكان زعماء هذه الأحزاب ، وبخاصة الذين تلقوا تعليمهم فى الغرب مقتنعين بالحضارة الغربية وقدرتها على وضع مثل عصرية تحمل محل القيم الإسلامية ، التى لم تعد فى زعمهم قادرة على إقامة مجتمع عصرية متقدم ، وقد بدأ أثر هذا الاقتناع فيما نادوا من أفكار تمثلت فى الحرية الشخصية والحياة النيابية كما عرفوها فى أوروبا ، وضرورة فصل الدين عن الدولة ، أو السلطة الزمنية عن السلطة الدينية وذلك باسم حرية الفكر ، والسعى لتحقيق حرية المرأة من القيود الدينية والاجتماعية والوصول بها إلى تقليد المرأة الأوربية (٣) وتعديل قوانين الأحوال الشخصية ، وإلغاء المحاكم الشرعية ، وناقش البرلمان المصرى فى دورته لعام ١٩٢٦ وضع الوقف الأهلى الذى ارتفعت الأصوات تطالب بإلغائه (٤) .

وقد زعم المتأثرون بالحضارة الغربية من أبناء الأمة الإسلامية أن مظاهر التحلل من المبادئ والقيم الدينية ، والانحلال والفساد من ضرورات التحضر والمدنية ، وباسم الحرية الشخصية انحرف بعض الناس عن التمسك بتعاليم الإسلام ، وافتتحت الحانات والملاهى والمراقص ودور البغاء المرخصة من الحكومة فى القاهرة وعواصم المحافظات ، وظن مرتادوها أن ذلك مظهر من مظاهر التمدن والتقدم ، وكان للصحافة المصرية التغريبية أو

(١) ماجرات سبرانيان : الوفد والإخوان المسلمون ، ترجمة بشير السباعى ، القاهرة : ١٩٨٦ ، ص ٨ ، ٩ .

(٢) محمد فتحى شخير : وسائل الإعلام المطبوعة فى دعوة الإخوان المسلمين ، ص ٧٤ .

(٣) زكريا سليمان بيومى : الإخوان المسلمون والجماعات الإسلامية فى الحياة المصرية ، مرجع سابق ، ص ٢٣ .

(٤) عواطف عبد الرحمن : مصر وفلسطين ، مرجع سابق ، ص ٣١ .

العلمانية - مثل صحيفة الهلال والسياسة الأسبوعية وغيرها - دور في ترويج هذه المفاسد، ففى الوقت الذى تدعو فيه «الهلال» إلى فوائد مذهب العرى ونشأته وإلى اختلاط الجنسين فى التعليم ، تكتب صحيفة السياسة الأسبوعية عن الخمر والرقص ، وتواصل حملتها فى الدفاع عن دور البغاء ، وكان لهذه الظاهرة أثر شديد فى سلوك الناس والاستخفاف بالأخلاق الإسلامية والآداب الإسلامية (١) .

وقد شاركت بعض الصحف والمجلات فى الدعوة إلى الإلحاد ، ومحاربة الأديان ، وكان «الهلال» أيضا فى مقدمة الداعين لذلك ، وحفلت أعدادها بالشك فى كل فكر حتى فى العقائد والأديان ، واشتهر فى ذلك المجال إميل زيدان رئيس تحريرها وسامى الجردينى، وقد أسهمت السياسة الأسبوعية أيضا فى هذه الموجة ، فأفسحت صدر صفحاتها لكل مهاجم للدين والتدين (٢) ، وكان كتاب هذه الصحف يعمدون إلى إثارة الجماهير فى مشاعرها وعواطفها بترجمة القصص الغريبة الرخيصة والفصول اللاذعة فى مهاجمة الأخلاق الإسلامية (٣) .

ولقد تحولت الجامعة المصرية من معهد أهلى إلى جامعة حكومية تديرها الدولة ، وتضم عددا من الكليات النظامية ، وكان للبحث العلمى والحياة الجامعية آنذاك فى رؤوس الكثيرين صورة غريبة ، مضمونها : أن الجامعة لن تكون جامعة علمية إلا إذا ثارت على الدين ، وحاربت التقاليد الاجتماعية المستمدة منه ، واندفعت وراء التفكير المادى المنقول عن الغرب بحذافيره ، وعرف أساتذتها وطلابها بالتحلل والانطلاق من كل القيود (٤) .

وقد ظهر لذلك رد فعل إسلامى قوى ، بدا واضحا حين نشر الدكتور طه حسين كتابه : «فى الشعر الجاهلى» وعلى عبد الرازق كتابه : «الإسلام وأصول الحكم» وقد ربط المفكرون المسلمون بين هذين الكتابين والمؤثرات الغربية التى أخذت تتغلغل فى المجتمع المصرى منذ القرن التاسع عشر (٥) .

وفى تلك الفترة قام صراع ودارت معارك فكرية بين زعماء الفكر الإسلامى وبين

-
- (١) عواطف عبد الرحمن : مصر وفلسطين ، مرجع سابق ، ص ٣١ .
 (٢) محمد فتحى شعير : وسائل الإعلام المطبوعة فى دعوة الإخوان المسلمين ، مرجع سابق ، ص ٧٣ ، ومجلة الهلال ، مقال بعنوان : «حرية الفكر» لإميل زيدان ، عدد نوفمبر ١٩٢٤ - مايو ١٩٢٥ ، وسلسلة مقالات كتبها سامى الجردينى بعنوان : «أثر الثورة العالمية فى النظام الدولى» ، السياسة الأسبوعية ، عدد ١٧ يوليو ١٩٢٦م ومقال بعنوان : «العلم والدين» للدكتور طه حسين .
 (٣) أنور الجندي : الصحافة والإعلام المسمومة القاهرة : دار الاعتصام ١٩٨٠م ص ١٩ .
 (٤) حسن البنا : مذكرات الدعوة والداعية ، القاهرة : دار الشهاب ، ١٩٦٦م ، ص ٥٣ .
 (٥) عواطف عبد الرحمن : مصر وفلسطين ، مرجع سابق ، ص ٣١ .

أنصار الحضارة الغربية والفكر العلماني في مصر على صفحات الصحف المصرية ، هذا الصراع وتلك المعارك مهما تكن أسبابها أو الدوافع لبروزها فقد أثرت الفكر المصرى الحديث والحركة الفكرية المصرية بالكثير من الدراسات العلمية والاجتماعية والأدبية والنقدية في مختلف أشكالها وفنونها ، وخلقت صحفا إسلامية جديدة خلفت تراثا أصيلا تعتز به المكتبة الصحفية الإسلامية ، فضلا عن بروز طائفة من الكتاب والمفكرين الإسلاميين الذين ساهموا بأقلامهم من خلال تلك الصحف ليس على مستوى مصر وحدها بل على مستوى العالم الإسلامى والعربى بل والعالم كله ، و قدموا حلولاً جذرية للقضايا والمشكلات العصرية على أساس المفهوم الأساسى للفكر الإسلامى المستمد من القرآن الكريم والسنة النبوية وفقا للإضافات والتطورات التى حققتها الصحافة الإسلامية قبل الحرب الأولى .

وكان من أبرز حملة راية الدفاع عن الإسلام فى فترة ما بين الحربين فى العالم الإسلامى - كما أشارت إلى ذلك «الفتح» هم : محمد أحمد الغمراوى ، والدكتور يحيى الدرديرى ، وعباس حافظ ، والدكتور أحمد فؤاد ، والدكتور محبوب ثابت ، والسيد جميل الرفاعى ، وأمين الرفاعى ، ومصطفى صادق الرفاعى ، وفريد وجدى ، وأحمد تيمور ، ورفيق العظم ، ورشيد رضا ، ومحب الدين الخطيب ، وحسن البنا ، وطنطاوى جوهرى ، والشيخ مصطفى المراغى ، والشيخ الظواهري ، والشيخ محمد بخيت ، وأحمد شاکر ، ومحمد شاکر ، ومحمد الخضر حسين وغيرهم .

ومن سوريا : معروف الأرنؤوطى ، والأستاذ محمد كرد على ، والشيخ عبد القادر المغربى ، وإسعاف النشاشيبي ، وعبد الله مخلص ، وعجاج نويهض ، وهانى أبو مصلح ، والشيخ عارف الزين - صاحب مجلة العرفان الإسلامية ، والشيخ كامل القصاب ، والشيخ يوسف ياسين ، والشيخ بهجة البيطار . والشيخ الفقى صاحب مجلة الإصلاح فى مكة . وفى تونس : الشيخ السيد سيف الدين رحال . وفى المغرب : عبد الحميد بن باديس ، والميلى صاحب تاريخ الجزائر ، والطيب العقبي ، ومحمد سعيد الزاهري التلمساني . وفى المغرب الأقصى : السيد عبد الرحمن بن زيدان المؤرخ المدقق . وفى فاس : العلامة الكتانى . وفى جنيف : الشيخ على الغياتى ، وجريدة منبر الشرق . وفى برلين : السيد نافع الشلبى بجريدته الألمانية صدى الإسلام ، والشيخ عبد الرحمن سيف الإيرانى فى جريدته الفرنسية ، وفى العراق : الشيخ يونس البحرى ، والشيخ عبد الرشيد التتارى ، ومحمد على بك ناظر الداخلية فى تركيا ، الذى أنشأ فى باريس جريدة تركية إسلامية باللغة الفرنسية ، وشكيب أرسلان ، وإحسان بك الجابري

فى جريدتهما العربية فى جنيف (١) .

وعلى صعيد آخر تشكلت مؤسسات دينية إسلامية لمواجهة المد العلمانى فى الصحافة المصرية ، تمثلت هذه المؤسسات فى الجمعيات الإسلامية التى تكونت فى أواخر العشرينات والثلاثينات من هذا القرن (٢) .

وكان أبرز الجمعيات الدينية التى أصدرت صحفا إسلامية ونشطت فى مجال الصحافة الإسلامية ، وشاركت فى التيارات الفكرية والاجتماعية والسياسية التى طرحت على بساط البحث والمناقشة فى تلك الفترة «جمعية الشبان المسلمين» ، التى أصدرت مجلة «الشبان المسلمين» ، وظهر العدد الأول منها فى جمادى الأولى ١٣٤٨هـ أكتوبر ١٩٢٩م ، و«جمعية الإخوان المسلمين» التى أصدرت العديد من الصحف ، من أهمها : صحيفة «الإخوان المسلمين» وجمعية الهداية الإسلامية التى أصدرت مجلة «الهداية الإسلامية» ، إضافة إلى المؤسسة الدينية الرسمية «الأزهر» التى أصدرت مجلة «نور الإسلام» ، التى سميت فى عام ١٩٣٥م بالأزهر . وكان ظهور هذه الجمعيات دليلا واضحا على فشل النظام الغربى وتطبيقاته فى مصر .

وقد قادت الصحافة الإسلامية فى مصر فى فترة ما بين الحربين «المنار» بزعامة رشيد رضا ، وهو الذى تولى قيادة رد الفعل الإسلامى ضد تيار التغريب والعلمانية ، والتقى رشيد رضا مع الأفغانى والشيخ محمد عبده فى الدعوة إلى التجديد الدينى وفتح باب الاجتهاد ، وبعث حيوية المسلمين ، والسير مع روح العصر ، لكن مع الحفاظ على القيم الدينية والأصول الإسلامية .

وقد سار على هذا النهج محب الدين الخطيب فى صحيفة «الفتح» التى صدرت فى يونيه ١٩٢٦م ، وظلت تصدر حتى عام ١٩٤٧م ، ووضعت برنامجا إسلاميا فى مقدمة عددها الأول يهدف إلى إحياء ذكرى المدينة الإسلامية ، ومقاومة الإلحاد ودعوى التجديد الكاذب وتأكيد العلاقة الوثيقة بين العلم والدين الإسلامى . ومضى هذا الاتجاه الإسلامى فى الصحف الإسلامية على شاكلة المنار والفتح ، وإن كانت هناك فروق فكرية واختلافات فى المعالجة الصحفية للقضايا المطروحة ، ولكن هذه الصحف كانت متفقة فى جانب رفض أسس الحضارة الغربية ، ومقاومة تيار التغريب والعلمانية الذى ازدهر فى العشرينات من هذا القرن .

(١) الفتح ، عدد ١٩٨ ، ٩ ذى الحجة ١٣٤٨ ، ٨ مايو ١٩٣٠ .

(٢) الجمعيات الإسلامية التى تشكلت فى فترة ما بين الحربين العالميتين ، هى : جمعية الشبان المسلمين ، وجمعية الإخوان المسلمين ، وجمعية الهداية الإسلامية ، وجمعية الجهاد الإسلامى ، وجمعية الأخوات المسلمات ، وجماعة شباب محمد ، وجمعية التقوى ، وجمعية المسلم العامل ، وجمعية الإخاء الإسلامى ، وجمعية السنة المحمدية ، وجماعة أنصار السنة المحمدية ، وجمعية العروة الوثقى الإسلامية ، وجمعية الأمة للمحافظة على القرآن الكريم ، وجمعية إحياء القرآن الكريم ، وجماعة المناداة بالصلاة ، وجمعية الشبان الحجازيين ، وجمعية نشر الفضائل والآداب الإسلامية وجمعية الوفاء الإسلامى ، وجمعية غزوة بدر ، وجمعية إحياء مبدى الإسلام .

الفصل الثانى

اتجاهات الصحف الإسلامية فيما بين الحربين

من المعروف أن الاتجاه الإسلامى فى الصحافة المصرية لم ينقطع منذ جمال الدين الأفغانى ومحمد عبده وعلى يوسف ومصطفى كامل ورشيد رضا ، وإن كان قد انحسر مدة أثناء الحرب العالمية الأولى ، والسنوات القليلة التى تلتها حتى عام ١٩٢٤م والذى أسقطت فيه الخلافة الإسلامية ، ثم توالى صدور الصحف الإسلامية حتى قيام الحرب العالمية بدرجة مدهشة ، حتى أطلق بعض مؤرخى الصحافة المصرية على تلك الفترة : «تيار البعث الإسلامى» أو الصحوة الإسلامية فى الصحافة الدينية (١) ، أو تيار اليقظة الإسلامية طبقاً لتعبير أنور الجندى (٢) .

وكان من أبرز الصحف ذات الاتجاه الإسلامى - بالإضافة إلى المنار والفتح : لواء الإسلام عام ١٩٢٤م ، الشورى ١٩٢٤م ، المؤتمر الإسلامى ١٩٢٤م ، حضارة الإسلام ١٩٢٥م ، الزهراء ١٩٢٥م ، مكارم الأخلاق ١٩٢٥م ، الفتح ١٩٢٦م ، بشائر الإسلام ١٩٢٦م ، الهداية الإسلامية ١٩٢٨م ، الشبان المسلمين ١٩٢٩م ، الجهاد الإسلامى ١٩٢٩م ، نور الإسلام ١٩٣٠م ، النهضة الفكرية ١٩٣١م ، الجامعة الإسلامية ١٩٣٢م ، الإخوان المسلمون ١٩٣٣م ، المعرفة ١٩٣٣م ، المسلمون ١٩٣٣م ، الصرخة ١٩٣٣م ، دار العلوم ١٩٣٤م ، هدى الإسلام ١٩٣٤م ، صوت الإسلام ١٩٣٥م ، الأزهر ١٩٣٥م ، الرابطة العربية ١٩٣٦م ، المجلة الشرعية ١٩٣٦م ، الهدى النبوى ١٩٣٧م ، التشريع الإسلامى ١٩٣٨م ، النذير ١٩٣٨م ، منبر الشرق ١٩٣٨م .

هذا ، وقد أحدثت هذه الصحف صحوة إسلامية ، ونشطت البحث فى المجالات الدينية ، ليس فى نطاق مصر فحسب بل فى العالم الإسلامى كله - كما سبق القول - ومضى تيار هذه الصحوة فى تعريف وتنوير قراء العربية بمختلف القضايا الإسلامية والعربية، وقامت بدور كبير فى مجال الكشف عن جوهر الإسلام والفكر الإسلامى ، والرد على الشبهات التى كانت تروجها الصحف العلمانية .

كذلك هاجمت هذه الصحف الربا والخمر والمخدرات والإلحاد والإباحة وانحرف الفكر المصرى ، وعرضت لآراء الإسلام ورؤى المفكرين الإسلاميين فى التعليم والتشريع

(١) عواطف عبد الرحمن : مصر وفلسطين ، مرجع سابق ، ص ٣٦ .

(٢) أنور الجندى : يقظة الفكر العربى ، مرجع سابق ، ص ٦٠ .

والتربية (١) .

وقد تطور تيار البعث الإسلامى أو الصورة الإسلامية ، وتجاوز الصحف الإسلامية إلى سواها مثل مجلة «البيان» التى كتب على صفحتها أحمد زكى صفحات من تاريخ الأندلس ، وسار الدكتور عبده البرقوقى على منهاجه .

واتجهت «البيان» إلى نقل ما كتبه المتصوفون عن الإسلام .

وعند صدور مجلة «الرسالة» فى عام ١٩٣٣ حرصت على إصدار عدد ممتاز احتفالاً بذكرى الهجرة النبوية فى كل عام .

وقد اقتدت بالرسالة مجلات أخرى مثل مجلة : «شهرزاد القصصية» ، التى كانت تصدر أعداداً ممتازة فى ذكرى مولد الرسول ﷺ ، واعدة أن تكون هذه الأعداد مصرية عربية ، خالية من القصص المترجم ، وكان هذا الاتجاه تعزيزاً للتيار الإسلامى فى الصحافة المصرية ، ومسايرة جماهير القراء التى اتجهت إلى نحو المواضيع الإسلامية (٢) .

وقد صدرت الصحف الإسلامية فى تلك الفترة لتمثل اتجاهات معينة كانت كلها تعمل فى نطاق الإسلام ، غير أن معالجة هذه الصحف لبعض القضايا الإسلامية والفكرية والاجتماعية والسياسية كانت تتفق وتختلف حسب منظور الاتجاه الذى تمثله الصحيفة وفعاليته واجتهاداته ، وطبقاً لفلسفة ورؤى خاصة .

وقد تم حصر الصحف الإسلامية واختيار أهمها وأبرزها للدراسة ، والتى تمثل التيارات النشطة العاملة فى مجال الفكر الإسلامى والصحافة الإسلامية ، وكان لها دور بارز وملاموس ، بالإضافة إلى أطول هذه الصحف عمراً نسبياً بالنسبة للصحف الإسلامية الأخرى المعاصرة لها ، وهذه الصحف هى :

«المنار» و«الفتح» : اللتان تمثلان الاتجاه الإسلامى السلفى الحديث فى الصحافة المصرية .

وصحيفة «الشبان المسلمين» : لسان حال جمعية الشبان المسلمين التى تمثل الاتجاه الإسلامى الذى يجمع بين الأصالة والمعاصرة أو بين القديم والحديث ، ومعالجة القضايا الإسلامية فى إطار عصرى ، فقد جمعت بين أنصار الاتجاه السلفى وبين ذوى الثقافة الحديثة المعاصرة .

وصحيفتا «الهداية الإسلامية» ، و«نور الإسلام» - «الأزهر» فيما بعد . اللتان اهتمتا بالمسائل العقائدية والفكرية دون الخوض فى المشاركة السياسية المباشرة .

(١) المرجع السابق ، ص ٦٣ .

(٢) عواطف عبد الرحمن : مصر وفلسطين ، مرجع سابق ، ص ٣٧ .

وصحيفة « الإخوان المسلمين » : التى تمثل الاتجاه الإسلامى الإصلاحى الشمولى :
السلفى - الوعظى - السياسى .

و«الصرخة» : وتمثل الاتجاه السياسى الإسلامى .

وتجدر الإشارة هنا إلى أن هذا التقسيم لا يعنى التقسيم الضيق أو الجارم المؤبد الذى يضع هذه الصحف فى أطر محددة لا تخرج عنها ، واتجاهات لا تعالج سواها ، فهذه ليست طبيعة الصحف ، ولا طبيعة الفترة التى ندرسها ولكن يعنى الاتجاه الغالب لاهتمامات كل صحيفة من هذه الصحف .

وفى الصفحات التالية تفصيل لاتجاهات هذه الصحف .

١ - صحيفة المنار

من أبرز وأقدم الصحف الإسلامية التي قادت التيار الإسلامي في مصر بعد الحرب العالمية الأولى ، أصدرها رشيد رضا (١) في ٢٢ شوال ١٣١٥ هـ ، ١٥ من مارس ١٨٩٨ م ، صحيفة أسبوعية ثم شهرية ، على غرار «العروة الوثقى» التي أسسها جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده في باريس ١٣ مارس ١٨٨٤ م ، وقد سبق الحديث عن خطة المنار وأهدافها من الصدور ، فقد اتفق رشيد رضا مع الأفغاني في الدعوة إلى تجديد حيوية المسلمين وإلهامهم بالإحساس بالكرامة والتضامن ومقاومة التبعية ومحاربة اليأس ، والتمشي مع روح العصر مع الحفاظ على القيم الدينية ، والدعوة إلى امتلاك أسباب القوة والتقدم .

ويذهب تشارلز آدمز إلى أن الغرض الذي رمت إليه «المنار» هو نفس الغرض الذي دعت له صحيفة العروة الوثقى إلا ما يتعلق بالأمور السياسية (٢) ، وقد أشار إلى ذلك

(١) ولد محمد رشيد رضا في ٢٧ جمادى الأولى ١٢٨٢ هـ ، ١٨٦٥ م في قرية القلمون بطرابلس الشام في بيت اشتهر بالزهد والورع والعبادة وتكريم العلم والعلماء والاهتمام بالعلوم الإسلامية ، ويتصل نسبه إلى الحسين ابن علي عليه السلام وقد درج رشيد رضا في هذا المضمار منذ طفولته الأولى ، فحفظ القرآن الكريم في كتاب القرية ، ثم انتقل إلى المدرسة الرشيدية الابتدائية فتلقى فيها مبادئ النحو والصرف والحساب والجغرافيا ، وعلمى العقائد والعبادات ، واللغة التركية ، ثم التحق بالمدرسة الوطنية الإسلامية بطرابلس التي كان لها اهتمام بالعلوم العربية والشرعية والمنطق والرياضيات والفلسفة .

وقد تلقى رشيد رضا العلم عن شيوخ أجلاء منهم : الشيخ حسين الجسر والشيخ محمود نشابة ، والشيخ عبد الفتى الرافعي والشيخ محمد القاوتجي والشيخ محمد الحسيني ، واهتم رشيد رضا بحضور جلسات العلم في شتى المواضيع ، وطالع كتاب إحياء علوم الدين للغزالي ، وتأثر به ، كما تأثر أيضا في مستقبل حياته بأراء ابن تيمية في الإصلاح ومحاربة البدع الدخيلة على الإسلام ، كما تأثر بحركة الإصلاح الإسلامي التي قامت في مصر ، على يد جمال الدين الأفغاني وتلميذه محمد عبده ، وبالعروة الوثقى التي أصدرها جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده في باريس عام ١٨٨٤ م .

وقد رحل رشيد رضا إلى مصر في شعبان ١٣١٥ هـ ، ١٨٩٨ م واستقر به العزم على إنشاء صحيفة إسلامية إصلاحية ، وقد اتصل بالشيخ محمد عبده وتأثر به ، وبحث معه فكرة إصدار هذه الصحيفة وبعد مشاورات مع الشيخ الإمام وتأثر به ، وبحث معه فكرة إصدار هذه الصحيفة وبعد مشاورات مع الشيخ الإمام أصدر صحيفة «المنار» في ٢٢ شوال ١٣١٥ هـ على غرار «العروة الوثقى» .

انظر د. إبراهيم العدوي : رشيد رضا - الإمام المجاهد ، سلسلة أعلام العرب ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر ، بدون تاريخ ، ص ١٩ - ٢٣ ، ود. أحمد الشرباصي : رشيد رضا - الصحفي المفسر الشاعر اللغوي ، مطبوعات مجمع البحوث الإسلامية ، القاهرة ١٩٧٧ ، ص ١٠ .

(٢) تشارلز آدمز ، الإسلام والتجديد ، ص ١٧٢ ، ١٧٣ .

رشيد رضا قائلا : « إن المنار وافق العروة الوثقى فى تعاليمها الاجتماعية ، وخالفها فى وجهتها السياسية ، وزاد البحث عليها فى جزئيات البدع وتفصيل القول فى التعاليم الفاسدة التى مارجت عقائد الأمة والأخلاق الرديئة التى أفسدت الكثير من عوائدها والتأويلات الباطلة التى شبهت الحق بالباطل » (١) .

ولكن المتصفح لأعداد المنار وخاصة بعد قيام الحرب العالمية الاولى يجد أن رشيد رضا قد فرضت عليه الظروف التاريخية أن يخوض بالمنار غمار السياسة على مستوى العالم العربى ، ولا سيما ما يتصل منها بالدين الإسلامى وشؤون المسلمين .

وظهور المنار فى تلك الفترة له أهمية كبيرة فى تاريخ الفكر الإسلامى المعاصر وتاريخ الصحافة الإسلامية التى صدرت فى مصر حتى الآن ، إذ كان العالم الإسلامى يسوده الضعف والاضمحلال فى حياته العلمية والفكرية والأدبية ، وفى مرافقه الزراعية والصناعية والتجارية ، وفى نظمه الاجتماعية والمنزلية والحكومية ، وفى تقاليده وعاداته وآدابه وأخلاقه ، وعقائده وشعائره الدينية وكان يرسف فى قيود الاستبداد والاستعباد ، وكان الدين الإسلامى نفسه مبتلى بشر المحن وأقساها ، ومنها البدع والخرافات والأوهام والضلالات التى ابتدعها المسلمون ، ومنها مطاعن خصومه من السياسيين الذين اتهموه بأنه سبب تأخر المسلمين وانحطاطهم ، ومنها حرب المبشرين بالنصرانية الذين تؤيدهم دول الاستعمار سياسيتها وجنودها وأموالها ، ومنها قعود علمائه عن رد المطاعن والشبهات على الإسلام ، ومنها شبهات الملحدين والخارجين على الأديان (٢) .

كانت كل هذه الأمور من البواعث التى دفعت صاحب المنار بالقدوم إلى مصر واتصاله بالأستاذ الإمام محمد عبده وإصداره صحيفة المنار ، واهتمامه بالإصلاح الدينى والاجتماعى وقد عمل رشيد رضا منذ نشأة المنار لتحقيق هذا الهدف الإصلاحى ، وكان يحرق الكثير من المقالات التى اشتملت على النقد اللاذع والصريح لكثير من الأمور فى مصر وفى غيرها من بلاد الإسلام ، ويؤكد رشيد رضا أن هدف المنار هو إقامة تعاليم القرآن ومذهب أهل السنة وسيرة السلف الصالح والأئمة المجتهدين ، ومحاربة البدع والخرافات والعادات التى التصقت بالدين ، وأن الشرق لا يصلح إلا بصلاح المسلمين ، وأن المسلمين لا يصلحون إلا بالرجوع إلى سيرة السلف الصالح فى دينهم ، ومواكبة الأمم الحية فى دنياهم (٣) .

وكان أبرز ما اهتمت به «المنار» فى فترة صدورها قبل الحرب العالمية الأولى يمكن

(١) أنور الجندى : المنار تاريخ الصحافة الإسلامية ، ج١ ، القاهرة : دار الأنصار ، ١٩٨٣م ، ص ٢٧ .

(٢) المنار ، ج٥ ، م ٣٥ ، جمادى الآخرة ١٣٥٨هـ ، يوليو ١٩٣٥م .

(٣) المنار ، ج٢ ، م ٤ ، ديسمبر ١٩٠١م .

تلخيصه فيما يلى :

- ١- الدعوة إلى الإصلاح الدينى والاجتماعى .
- ٢- محاربة البدع والخرافات التى دخلت فى الدين .
- ٣- الدعوة إلى الرجوع إلى القرآن الكريم وسيرة السلف الصالح فى دينهم والأخذ بالعلوم العصرية فى الأمور الدنيوية .
- ٤- تفسير القرآن الكريم للشيخ محمد عبده ثم مواصلة التفسير بعد موته على منهج مقارب له للشيخ رشيد رضا .
- ٥- الدفاع عن اللغة العربية الفصحى ودحض الافتراءات الموجهة إليها .
- ٦- الدعوة إلى إصلاح التعليم فى المدارس الأميرية والأزهر الشريف ومحاربة التعليم على الطريقة الغربية والتحذير من انتشار المدارس الأجنبية .
- ٧- الرد على المذاهب المتحرقة مثل مذهب الباطنية والبهائية وغلاة الشيعة .
- ٨- الرد على اقترارات المبشرين وتفنيد كتاباتهم وشبهاتهم .
- ٩- الاهتمام بأخبار العالم الإسلامى وقضاياه (١) .

وعندما قامت الحرب العالمية الأولى توقفت عن الصدور الصحف الإسلامية التى صدرت قبل الحرب العالمية الأولى ، ما عدا صحيفة المنار التى ظلت تواصل صدورها بالرغم من الظروف الصعبة التى كانت تعيشها البلاد فى ظل الأحكام العرفية وإعلان الحماية على مصر ، والرقابة على الصحف ، وغلاء أسعار الورق لتعذر استيراده ، وبالرغم أيضا من ضعف التوزيع ، والاعتماد على الاشتراكات ، وتوقف كثير من الاشتراكات . وكان مواصلة رشيد رضا لإصدار المنار خلال هذه المرحلة دليلاً على قوة إرادته وإيمانه بالفكرة الإسلامية وإصراره على الكفاح والدفاع عنها ، وظلت المنار على هذا المنهج إلا ما استجد من أحداث العصر ، ولم تتوقف إلا عاما واحداً فى سنة ١٩٢٠م لسفر صاحبها إلى سوريا للاشتراك فى الحركة العربية هناك ، ثم عاودت الصدور حتى عام ١٩٣٥م ، ثم تولى إصدارها الشيخ حسن البنا المرشد العام للإخوان المسلمين حتى عام ١٩٣٩م ، كما سيأتى بيانه فيما بعد .

وقد أعلن رشيد رضا أنه - نظرا لانقطاع الورق وغلائه المضاعف - اضطر إلى تصغير حجم المنار (٢) وتقليل عدد صفحات الجزء الواحد (٣٧ صفحة بدلا من ٨٠ صفحة) .

(١) انظر للمؤلف : صحافة الاتجاه الإسلامى من مطلع القرن العشرين حتى الحرب العالمية الأولى ١ ، القاهرة ، دار الوفاء ، ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م ، ص ٥٦ - ٧٤ .

(٢) عادت «المنار» إلى حجمها الطبيعى بعد انتهاء الحرب .

وقد أخذت المنار فى تلك الفترة تنتقد الحماية البريطانية على مصر ، وتحمل على الشيخ بخيت مفتى الديار المصرية وشيخ الأزهر لمحابتهما الاحتلال ، حيث قالت المنار : «لم تجد بريطانيا فى امبراطوريتها الهندية كهذين الشيخين تستعين بهما على حذف اسم الخليفة من الخطبة ، وهم اللذان أكرها علماء الأزهر على إعانة الصليب الأحمر ، وانفرد المفتى الشيخ بخيت بإصدار تلك الفتوى الطويلة العريضة فى تقبيح البلشفية والتنفير منها حسب اقتراح السلطة المحتلة» (١) .

وكان من رأى رشيد رضا عدم انضمام الدولة العثمانية فى الحرب العالمية ، فمن عواقب ذلك أعلنت إنجلترا سيادتها الرسمية على مصر ، وجعلها تحت الحماية البريطانية وتسميتها سلطنة ، وتسمية الأمير حسين كامل باشا - أكبر أفراد أسرة محمد على - سلطانا عليها (٢) .

وندد رشيد رضا بفكرة الحرب ذاتها وبأنها لا تتفق مع شرعة المسيح ، ولا تسير مع منهجه فى مبدأ ولا غاية ، ولو كانت روح المسيح الحق لها سلطان غالب فى أوروبا لما وقعت هذه الحرب (٣) .

وقد حارب رشيد رضا عملية تترك الدول التابعة للدولة العثمانية وآمن بفكرة تكوين الدولة العربية ، ووقف بجوار الحسين بن على - شريف مكة - مؤيدا ومناصرا ، وكانت المنار تذيب المنشورات (٤) التى كان يوجهها إلى أهل الحجاز والمسلمين والعالم كله يحمل فيها على الاتحاد بين الأتراك ويذكر فيها مساوئهم . ونقلت المنار عن جريدة «القبلة» التى كان يصدرها محب الدين الخطيب فى مكة مبايعة الشريف حسين أمير مكة ملكا على العرب ، وقال رشيد رضا : «إن مصلحة العرب السياسية أن يكون لهم دولة مستقلة ، فالعرب أمة من أقدم أمم الأرض ، وأغرقها فى الاستقلال ، ولها مجد عظيم ومدنية عالية فى التاريخ التقديم والحديث ، ولغة ممتازة فى لغات العلم والأدب ، وشرعية هى أعدل الشرائع المنزلة على البشر ، وقد ضعفت هذه الأمة الكريمة وضعفت مزاياها ولغتها وأهمل معظم شريعتها . كل ذلك لعدم وجود دولة مستقلة لها ؛ إذ يستحيل أن ترتقى أمة بغير دولة فيالدولة عربية تحبى لغة القرآن وتحيا بحياتها شريعة الإسلام» (٥) .

(١) المنار ، ج٧ ، ص ٢٢ ، ذو القعدة ١٣٢٩هـ ، ١٩٢١م .

(٢) المنار ، ج١ ، ص ١٨ ، ١٩١٥م .

(٣) المنار ج١٠ ، ص ١٨ ، ١٩١٧م .

(٤) نشرت المنار ثلاث منشورات للشريف حسين : الأولى موجهة إلى المسلمين ، والثانى إلى أهالى الحجاز ، والثالث إلى العالم كله . انظر المنار ، ج٤ ، ص ١٩ ، ١٩١٦م ، وج٦ ، ص ١٩ ، ١٩١٦م ، وج٨ ، ص ١٩ ، ١٩١٦م .

(٥) المنار ، ج٢ ، ص ١٩ ، ١٩١٦م .

ومضى رشيد رضا يهاجم اتفاق سايكس بيكو ، وأشار إلى أن الدولتين الحليفتين «فرنسا وبريطانيا» اتفقتا على تقسيم البلاد العربية لاستعبادها ، وهاجم فارس نمر الذى كتب فى المقطم يشيد بهذا الاتفاق ، ويعد تركيا عدوة للعرب ومستعمرة لهم ، ورد عليه رشيد رضا قائلا : «إن تركيا ليست مستعمرة للعرب ولا تقدر أن تستعمرهم ، بخلاف إنجلترا وفرنسا» (١) ، وأكد أن إنجلترا أوهمت شريف مكة بإعطائه الدولة العربية المزعومة مقابل أن يقف بجوارها فى الحرب ، ثم خائنه وغدرت به ، وقامت بتقسيم البلاد العربية بينها وبين فرنسا (٢) .

ودعا رشيد رضا أمراء الجزيرة العربية وحكامها إلى الوحدة والاتفاق ، مبرهنًا لهم على أهمية هذه الوحدة وهذا الاتفاق من أحداث التاريخ وعبره ، مبينا أهم الأصول التى يكون عليها عقد الاتفاق والوحدة بينهم وذلك فيما يلى :

١- إبطال الحرب بين عرب الجزيرة العربية ، وحل مشكلات الخلاف بالتحكيم ولو بصفة مؤقتة .

٢- حفظ الحالة الحاضرة باعتراف كل حكومة مستقلة فى الجزيرة العربية باستقلال سائر الحكومات الموجودة فيها آنذاك ، وترك مسائل الحدود إلى مجلس التحكيم .

٣- حرية المذاهب الدينية الموجودة فى البلاد فى التعليم والعمل والدعوة بشرط عدم طعن أحد فى مذهب غيره أو تكفير متبعيه .

٤- حرية التجارة وحفظ الأمن فى البلاد ، وتسهيل طرق المواصلات .

٥- إرسال كل حكومة معتمدا إلى عاصمة الدول الأخرى يكون وكيلا لها عندها .

٦- بعد حصول هذه التمهيدات يتألف لهذه الحكومات مجلس حلفى ، يكون هو المرجع فى جميع مسائل الخلاف ووضع الحدود بين البلاد ، وجميع ما يتعلق بحفظها وترقية شؤونها (٣) .

وعندما عقدت المعاهدة البريطانية الحجازية واتضحت نية إنجلترا وخداها للسلطان حسين شريف مكة ، وبانت أكذوبة الدولة العربية المقترحة ، حمل رشيد رضا على هذه المعاهدة ونقض بنودها ، وطالب المسلمين بأن ينكروها ؛ لأنها - فى رأيه - منكر شرعى

(١) المنار ، ج١ ، ٢٠م ، شوال ١٣٣٥هـ ، يوليو ١٩١٧م .

(٢) المنار ، ج٦ ، ٢٢م ، ١٩٢١م .

(٣) المنار ، ج٢ ، ٢٢م ، ١٩٢١م .

وخطر سياسى ، يدهم البلاد بجانب وعد بلفور المشئوم . وأكد رشيد رضا أن هذه المعاهدة أعطت العراق وشرق الأردن والدول العربية فى شبه الجزيرة استقلالاً مزيفاً .

وبناء على ذلك حملت المنار على السلطان حسين ، واتهمه رشيد رضا بعدم التمسك بالوحد العربية ، وقال : «إن الطريقة المثلى للوحدة العربية هى أن يعقد حلف بين أمراء الجزيرة العربية فى الحجاز وعسير واليمن ونجد ، أساسه استقلال كل حكومة فى إدارة بلادها ، مع اتفاق الجميع على صيانة البلاد كلها من كل عدوان أو نفوذ خارجى ، والتعاون على إنقاذ البلاد العربية التى احتلها الأجانب بالطرق الممكنة ، وأن يكون لهم مجلس حلفى تقرر فيه جميع المسائل العامة بحفظ استقلال البلاد وترقيتها» (١) .

غير أنه لما تم انتصار الملك عبد العزيز آل سعود وخروج السلطان حسين بن على من الحجاز ، انحاز رشيد رضا لآل سعود ، وهللت المنار لانتصارات آل سعود ، وبدأت تنشر منشورات عبد العزيز بن سعود ضد الشريف حسين ، وأفسح رشيد رضا صفحات صحيفته لنشر رسائل عن الدعوة الوهابية ، وما قام به الشيخ محمد بن عبد الوهاب من التجديد والإصلاح ، وقضائه على الخرافات التى كانت سائدة فى نجد ، والاعتقادات الباطلة فى السحر والحجر والنجم وعبادات القبور ، والعكوف عليها ، والاعتقاد بأهلها النفع والضر ، وغير ذلك (٢) .

كما تحدثت «المنار» عن الثورة السورية التى قادها سلطان باشا الأطرش ضد الحكومة الفرنسية فى سوريا ، وبينت فى أعداد متوالية أخبار هذه الثورة ، ومدى قسوة السلطات الفرنسية فى اضطهاد قادتها وتعسفها فى معاملة الأهالى (٣) .

وقد تولت «المنار» الرد على التيار العلمانى فى الصحافة المصرية الذى تشكل بعد ثورة ١٩١٩ م .

وكان رشيد رضا فى مقدمة الذين تصدوا لجريدة «السياسية» لسان حال حزب الأحرار الدستوريين ، دعاة القومية ، وأنصار المذاهب الغربية والفكر الغربى . وقد أشارت المنار إلى أن كتاب «السياسة» وصاحب مجلة «العصور» ومطبعها وأصحاب «الهلال» يجاهرون بالكفر والإلحاد والصد عن الدين ، والطعن فى عقائده ، وإلقاء الشكوك فيما يكتبون وما ينشرون . وتؤكد «المنار» على أنه قد تألفت جمعية للإلحاد فى مصر من بين أعضائها شيخ أزهري - الشيخ على عبد الرازق ، مؤلف كتاب «الإسلام وأصول الحكم» - وقد نشروا

(١) المنار ، ج٧ ، ص ٢٤ ، ذوالحجة ١٣٤١هـ ، يونيه ١٩٢٣ م .

(٢) المنار ، ج٣ ، ص ٢٦ ، ذو القعدة ١٣٣٣هـ ، يونيه ١٩٢٥ م .

(٣) المنار ، ج١ ، ص ٣٠ ، محرم ١٣٤٨هـ ، يونيه ١٩٢٩ م .

دعائهم فى دروس مدرسة الجامعة المصرية ومحاضراتها ، وفى جريدة السياسة ناشرة هذه الدعاية ومؤيدة جمعيتها وأفرادها ، والدعاية إلى القومية التى تحمل فى زعمها محل الدين فى التكوين المعنوى للأمم والشعوب . وأشارت «المنار» إلى أن الجامعة المصرية وأساتذتها يعلنون الحرب على الدين والفضيلة ، وفى مقدمتهم الدكتور طه حسين صاحب كتاب : «فى الشعر الجاهلى» (١) .

وكان للمنار دور كبير فى محاربة الدعوة إلى السفور ، وحرية المرأة ، التى روج لها دعاة التغريب والعلمانيون والجمعيات النسائية التى تدعو إلى ذلك سرا وعلانية على صفحات الصحف المصرية وفى المحافل الخاصة والعامة ، وقد بين شكيب أرسلان خطر هذه الدعوة ، مشيرا إلى أن الدعوة إلى نزع الحجاب ترمى إلى هدم الدين والتقاليد الإسلامية ، وأنها سبيل إلى تقليد الغربيين (٢) .

وحفلت المنار بالمقالات الإصلاحية التى تدعو إلى تقويم الأخلاق وبحث الوسائل والأسباب التى عليها مدار تقدم الأمم وإسعاد البشر ، وتنقية الدين مما علق به من الخزعبلات والانحرافات والتواكل والتعصب الأعمى ، والدفاع عن اللغة العربية وآدابها ، ومحاربة الدعوة إلى العامة ، وبيان أن القرآن الشريف يأمر بالاجتهاد والعمل ، ويرغب الناس فى الكسب والارتزاق وتحصيل الفوائد والمنافع ، وأن ما آل إليه أمر المسلمين إنما جاء من عدم تمسكهم بالدين (٣) .

ودأبت المنار على مهاجمة الطرق الصوفية وما أحدثته من بدع وضلالات ، وما تحويه كتب الصوفية من مخالفات لأصول العقيدة الإسلامية ، وقد عزا رشيد رضا تخلف المسلمين إلى تلك المعتقدات الباطلة التى تنشرها الصوفية ، وخاصة فى التوسل والوسيلة ، ودعاوى الكشف والإلهام والكذب على رسول الله ﷺ ، وابتداع بعض الأحاديث ونسبتها إليه (٤) .

كانت المنار تنشر الفتاوى المتعلقة بالشؤون المستحدثة فى الملة الإسلامية ، كمعاملات المصارف المالية «البنوك» والشركات والعقود وغير ذلك من المسائل الإسلامية (٥) ، وتهتم بالقضايا الإسلامية فى كل الأقطار الإسلامية ، وترجم من بعض الكتب الأجنبية ما

(١) المنار ، ج٢ ، ٢٧ ، شوال ١٣٤٤هـ ، مايو ١٩٢٦م . وسوف نرى ردود المنار على كتاب : «فى الشعر الجاهلى» فى الفصل الخاص بذلك .

(٢) المنار ، ج٢٩ ، ذو الحجة ١٣٤٣هـ ، يوليو ١٩٢٥م .

(٣) المنار ، ج١٠ ، ٢٨ ، رجب ١٣٤٦هـ ، يناير ١٩٢٨م ، وج٣ ، ٥ ، ٦ ، ٧ ، ١٨م ، وج٨ ، ٢٢ ، ذو الحجة ١٣٣٩هـ ، أكتوبر ١٩٢١م .

(٤) انظر : الفصل الخاص بالتصوف من هذه الدراسة .

(٥) المنار ، ج١٠ ، ٣٠ ، ربيع الآخر ١٣٤٨هـ ، أكتوبر ١٩٢٩م .

يتصل بقضايا المسلمين وتنشره على صفحاتها ، فقد ترجم شكيب أرسلان كتاب «العالم الإسلامي في الممتلكات الفرنسية» للضابط جول سبكار ، ونشرته المنار في حلقات متتابعة (١) ، فضلا عن تقديم بعض أجزاء من كتب التراث والاهتمام بسير أعلام الإسلام ومفكره ، في الماضي والحاضر ، وعرض صفحات من التاريخ الإسلامي ، والعمل على إصلاح مناهج التعليم العام والتعليم في الأزهر وإدخال تعليم الدين الإسلامي في مناهج التعليم ، والإسهام في إحياء الشريعة الإسلامية ، والعمل بالقوانين الإسلامية في القضاء والأحكام والمعاملات والسلوك .

وقد واصل رشيد رضا تفسير القرآن الكريم في «المنار» بأسلوب يتناسب مع روح العصر الحاضر ، أجلى فيه للقارئ عظمة التشريع الإسلامي ، بأسلوب جذاب يبحث في قارئه معرفة النواحي العلمية والأدبية والأخلاقية ، وكتب الشيخ محمد بهجة البيطار الدمشقي - مدير المعهد العلمي السعودي بمكة المكرمة - يبين ما انفرد به تفسير المنار عن غيره في أمور ، نلخصها فيما يلي :

- ١- تصديده لملاحدة العصر .
- ٢- مهاجمة دعاة التثليث في كتبهم التي لا تحصى .
- ٣- فتاويه التي تبحث في أدق المسائل الإسلامية .
- ٤- دعوته إلى التوحيد الخاص ، ومذهب السلف الصالح .
- ٥- دعم التفسير بأسانيد علمية حديثة ومكتشفات عصرية (٢) .

ومن أبرز ما تصدت له المنار هو : محاربة البعثات التبشيرية ، والكشف عن خطط التبشير ، التي تقوم بها الجمعية العالمية الصليبية للتنصير (٣) ، وإمالة اللثام عن البعثة الألمانية الدينية الشرقية لتنصير أبناء المسلمين ، والتأكيد على خطر ما تكتبه وما تنشره في مجلتها التي تدعى «مجلة الشرق المسيحي» (٤) ، وأشارت المنار أيضا إلى خطر الجمعيات التبشيرية وانتشارها في الأقطار المصرية ، ومساعدتها للأقباط المصريين في التغلب على المسلمين في الوظائف (٥) ، وكتب عجاج نويهض يشير إلى خطر المدارس التبشيرية أيضا قائلا : «هذه المدارس المسلحة بأحدث آلات الإفساد ، وعملها الغارة على الأمة ونشتها بدرجة لا تقل عن الغارة العسكرية ، بل غارة المدارس الأجنبية أقتل وأنفذ» (٦) .

وكان لرشيد رضا وصحيفته «المنار» دور كبير في الدعوة إلى الجامعة الإسلامية

-
- (١) المنار ، ج٢ ، ج٣ ، ج٤ ، ٣٠م ، محرم ، صفر ، ربيع أول ١٣٤٨هـ ، يونيو ، يوليو ، أغسطس ١٩٢٩م .
 - (٢) المنار ، ج٤ ، ٢٩م ، محرم ١٣٤٧هـ ، يوليو ١٩٢٨م .
 - (٣) المنار ، ج٢ ، ٢٨م ، شوال ١٣٤٥هـ ، أبريل ١٩٢٧م .
 - (٤) المنار ، صفر ١٣٤١هـ ، أكتوبر ١٩٢٣م . (٥) المنار ، ج٤ ، ٢٩م ، محرم ١٣٤٧هـ ، يوليو ١٩٢٨م .
 - (٦) المنار ، ج٣ ، ٣٠م ، ربيع الأول ١٣٤٨هـ ، أغسطس ١٩٢٩م .

والخلافة الإسلامية ، ولا سيما بعد سقوط الخلافة على يد كمال أتاتورك ١٩٢٤م ، وقد نشر رشيد رضا فى المنار كتابه : «الخلافة والإمامة العظمى» أكد فيه شرعية الخلافة وأهميتها للمسلمين وصلاحتها لكل زمان ومكان ، ورد على كتاب على عبد الرازق : «الإسلام وأصول الحكم» ، ونقد ما جاء فيه ، كما سنبينه فى الفصل الخاص بقضية الخلافة الإسلامية .

وتعد قضية فلسطين - أيضا - من أبرز القضايا التى أولتها المنار قدرا كبيرا من الاهتمام والرعاية ، فقد هاجم رشيد رضا قرار الحكومة البريطانية فى جعل فلسطين لليهود ، ونددت بالمحاولات التى تهدف إلى انتزاع شعب فلسطين من أرضه ووطنه، وإحلال اليهود مكانهم (١) ، كذلك دافعت عن ملكية حائط البراق للمسلمين وأبرزت وجهات نظر المسلمين فى الدفاع عن حقهم فى امتلاك حائط البراق ، وأفردت صفحاتها لنشر بيانات جمعية حراسة المسجد الأقصى ، والأماكن الإسلامية بالقدس، ومناصرة مجاهدى فلسطين (٢) .

وكان للمنار ومدرسة رشيد أثر فى تطوير التفكير الدينى فى مصر ، ولا سيما فى فترة ما بين الحربين العالميتين ، كذلك قامت بدور رئيسى فى خدمة الفكرة العربية والإسلامية ، وكانت دار صحيفة المنار ملتقى كثير من زعماء الحركة الإسلامية فى ذلك العهد ، واتخذت منها القرارات الأساسية فى مواجهة المؤامرات التى كانت تحاك ضد الإسلام والمسلمين ، كما كانت موئل أعلام الفكر الذين يفدون إلى مصر من كل مكان فى العالم الإسلامى (٣) .

وقد تأثر محب الدين الخطيب برشيد رضا وأصدر «الفتح» على غرار منهج المنار ، كما تأثر حسن البنا - أيضا - برشيد رضا ، ولا سيما فى تأليف جمعية إسلامية تمتد فروعها فى جميع أقطار الإسلام ، وتقوم على مبدأ واحد هو الاعتقاد بأن الأخوة الإسلامية تمحو الفوارق الجنسية والوطنية (٤) . وهو المبدأ الذى قامت عليه جماعة الإخوان المسلمين .

هذا ، وقد بلغت المنار قدرا كبيرا من الشهرة فى كل أقطار العالم الإسلامى وكان لها أثرها المباشر فى الحركة السلفية التى ظهرت فى المغرب وحملت من بعد لواء دعوة الحرية، والكفاح السياسى فى مقاومة الاستعمار الفرنسى ، وكان لها أثرها فى حركة الإمام عبد الحميد بن باديس الى حمت اللغة العربية فى الجزائر ، وكان لها أثرها فى قضايا الحرية والوطنية وفى مواجهة حركات الاستعمار الفرنسى والبريطانى والهولندى فى إفريقيا

(١) المنار ، ج٢ ، ٢٤م ، رمضان ١٣٤١هـ ، يونيه ١٩٢٣م .

(٢) المنار ، ج٢ ، ٢٩م ، ربيع الآخر ١٣٤٧هـ ، أكتوبر ١٩٢٨م ، انظر : الفصل الخاص بالقضية الفلسطينية .

(٣) محمد فتحى شعير : وسائل الإعلام المطبوعة فى دعوة الإخوان المسلمين ، مرجع سابق ، ص ٨٢ .

(٤) عواطف عبد الرحمن : مصر وفلسطين ، مرجع سابق ، ص ٣٣ .

وآسيا (١) .

المنار بعد رشيد رضا :

وقد أعلن رشيد رضا فى الجزء الأول من المجلد الخامس والثلاثين : أن المنار ستكون لسان جماعة الدعوة إلى الإسلام ، وقد توفى رشيد رضا بعد إتمام الجزء الأول ، وصار صاحب الامتياز السيد محمد شفيق رضا ، ورئيس التحرير المسؤول السيد محيى الدين رضا ، وكتب على المنار مجلة إسلامية تبحث فى جميع شؤون الإصلاح الدينى والمدنى والسياسى ، وتقوم بفريضة الدعوة إلى الإسلام ، والدفاع عنه ، وجمع كلمة المسلمين .

وقد صدر العدد الثانى فى ١٥ من ذى القعدة ١٣٥٤هـ ، ٨ من فبراير ١٩٣٦م ، ومنذ العدد الثالث من المجلد ٣٥ الصادر فى محرم ١٣٥٤هـ ، ٨ من مارس ١٩٣٦م بدأ يكتب تفسير القرآن - الذى بدأه رشيد رضا حتى الآية ١٠٢ من سورة يوسف - الشيخ محمد بهجة البيطار ، وأعلن أنه سيسير فيه على نهج الشيخ رشيد رضا .

ولكن تجدر الإشارة هنا إلى أن المنار قد اضمحلت بعد وفاة رشيد رضا ، وبدأت تنشر مقالات تاريخية عن المستشرقين والإسلام ، وقصائد ومقالات فى تأييد رشيد رضا ، وتعثرت المنار فى الصدور ، وقد عز على الإخوان المسلمين - كما قال حسن البنا المرشد العام للإخوان - أن يخبو ضوء هذا السراج المشرق بالعلم والمعرفة ، فاعتزموا على أن يتعاونوا مع ورثة السيد رشيد رضا على إصدار المنار من جديد ، وقد تم الاتفاق على ذلك وصدر العدد الخامس من السنة الخامسة والثلاثين فى غرة جمادى الآخرة ١٣٥٨هـ ، ١٨ يوليو ١٩٣٩م وتلاه خمسة أعداد تمت بها السنة الخامسة والثلاثون من المجلة ، ثم صدر أمر الحاكم العسكرى فى حكومة حسين سرى باشا بإلغاء الترخيص (٢) .

وكان الشيخ حسن البنا قد بدأ يواصل تفسير القرآن بعد أن أتم الشيخ بهجة البيطار سورة يوسف فى الجزئين اللذين صدرا بعد وفاة رشيد رضا ، وابتدأ التفسير من أول سورة الرعد ، وكتب الشيخ حسن البنا مقدمة العدد الخامس مشيدا بجهود رشيد رضا فى الدعوة ، ومبيناً المنهج الذى سوف يسلكه فى المنار والخطة التى تسير عليها جماعة الإخوان المسلمين فى تحرير «المنار» .

وأشار حسن البنا إلى أن خطة المنار هى : مناصرة الحق فى كل مكان ، ومقاربة الباطل بالحجة والبرهان ، وشعارها الدعوة إلى الإسلام ، والدفاع عنه ، وجمع كلمة

(١) محمود عبد الحليم : الإخوان المسلمون - أحداث صنعت التاريخ ، ١ ، الاسكندرية : دار الدعوة ١٣٩٩هـ ،

١٩٧٩م ، ج١ ، ص ٢٣٦ .

(٢) حسن البنا : مذكرات الدعوة والداعية ، القاهرة : دار الشهاب ، ص ٢٥٤ .

المسلمين ، والعمل للإصلاح الإسلامى فى كل نواحيه الروحية والفكرية والسياسية والمدنية ، وبين حسن البناء منهجه فى تفسير القرآن الكريم قائلا : « وسأحاول أن يكون تفسيراً سلفياً يتجه القصد فيه أول ما يتجه إلى استجلاء روح القرآن واستطلاع مقاصده ، فى بعد عن المماحكة اللفظية والمجادلة الشكلية الصناعية كما كان يفهم السلف رضوان الله عليهم كتاب الله » .

وكتب فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشيخ محمد مصطفى المراغى تصديراً للعدد الخامس - بمناسبة عودة المجلة للظهور - أشاد فيه بالمجلة وبرشيد رضا ، فقال : « كانت المنار مرجعاً من المراجع الإسلامية العالية ، تحل فيها مشاكل العقائد والفقه وتحيط بالمسائل الاجتماعية والإسلامية ، وأخبار العالم الإسلامى وما فيه من أحداث وأمراض وعلل ، وكان صاحبها السيد رشيد رضا - رحمه الله - رجلاً عاملاً غيوراً مخلصاً للإسلام ، محباً لكتاب الله وسنة رسوله وآثار السلف الصالح ، وقف حياته لخدمة دينه ، والأمم الإسلامية ، وكان شجاعاً فى الحق لا يهاب أحداً ولا يجادل ولا يحابى ، ونشأ على هذا واستمر فيه إلى أن لقى ربه » (١) ، واستبشر خيراً بصدورها على يد حسن البناء رحمه الله .

وقد حفلت الأعداد التى صدرت فى عهد حسن البناء بالمقالات التى تدعو إلى التمسك بالشرعية الإسلامية ، وتطبيق تعاليم القرآن فى كل مناحى الحياة ، وعندما نشبت الحرب العالمية الثانية كتب الشيخ حسن البناء مقالا بعنوان : « موقف العالم الإسلامى السياسى » هاجم فيه السياسة الفرنسية والإنجليزية فى العالم الإسلامى ، ثم وجه نداءً إلى ملوك المسلمين وحكامهم ، وبخاصة الملك فاروق ، والملك عبد العزيز ، والأمير عبد الإله الموصى على عرش العراق ، والإمام يحيى حميد الدين ، والحكومات الإسلامية ؛ أن يتفقوا على خطة حازمة تعلن بها إنجلترا وفرنسا فى اجتماع وفى حزم وإصرار أن تبرم المعاهدة السورية على غرار معاهدة العراق ، وأن يكون بين إنجلترا وفلسطين معاهدة تستقل بها الأراضى المقدسة ، وتظل عربية مسلمة ، وأن يكفل استقلال الأوطان الإسلامية (٢) . وكان هذا المقال هو السبب فى إصدار أمر الحاكم العسكرى فى حكومة سرى باشا بإلغاء ترخيص « المنار » بعد أن صدر منها سبعة أعداد فى عهد حسن البناء .

ويمكن إيجاز أبرز ما اهتمت به « المنار » فى الفترة (١٩١٤ - ١٩٣٩م) فيما يلى :

١- الدعوة إلى الوحدة العربية ، وتأييد الثورات العربية فى الشام وفلسطين والمغرب العربى ، والاهتمام بأحداث العالم الإسلامى وقضاياها ، والمطالبة بالخلافة الإسلامية وبيان

(١ ، ٢) المنار ، ج ٥ ، ص ٣٥ ، جمادى الآخرة ١٣٥٨ هـ ، ١٨ يوليو ١٩٣٩ م .

أهميتها للمسلمين وتأکید شرعيتها .

٢- مهاجمة الصحف التغريبية ، والتيار العلماني في الصحافة المصرية ، ومحاربة دعاة السفور وتقليد عوائد الغربيين ، والتصدي للمبشرين وكشف مخططاتهم في العالمين العربي والإسلامي .

٣- الدعوة إلى الإصلاح الإسلامي ، والإسهام في التثقيف الديني والاهتمام بتفسير القرآن الكريم والدفاع عن اللغة العربية الفصحى والنهوض بها ، وتقديم ترجمات لبعض المشاهير من مفكرى المسلمين وقادتهم من أمثال : الإمام أحمد بن حنبل ، وابن تيمية ، والسلطان محمد وحيد الدين ، وجمال الدين الأفغانى ، والشيخ محمد عبده ، وعبد الحميد الزهراوى ، وحفنى ناصف ، وعبد إبراهيم الألوسى ، وعبد الغنى الرافعى ، وطاهر الجزائري وغيرهم .

٤- عرض صفحات من التاريخ الإسلامي ، وبيان دور المسلمين في بناء الحضارة الإنسانية ، والاهتمام بقضايا الشريعة الإسلامية وبيان صلاحيتها لكل العصور ، والدعوة إلى إحياء التربية الإسلامية وإصلاح مناهج التعليم ، ومهاجمة انحرافات المتصوفة والإشارة إلى ما جاء فى بعض كتبهم من الخرافات والبدع الدخيلة على الإسلام ، ومواجهة الحركات الهدامة والمذاهب الخارجة عن الإسلام كالبهائية والأحمدية والقاديانية .

وكان من أبرز كتاب المنار بعد الحرب العالمية الأولى : رشيد رضا ، وأحمد السكندرى ، وحفنى ناصف ، ومصطفى صادق الرافعى ، ومصطفى لطفى المنفلوطى ، وحافظ إبراهيم ، وأحمد شوقى ، وعبد المحسن الكاظمى ، ومحمد روجى الخالدى ، وعبد القادر المغربى ، ومحمد المهدي ، وحسن وصفى رضا ، وعبد الحميد الزهراوى ، وملك حفنى ناصف ، ورفيق العظم ، والدكتور محمد توفيق صدقى ، وعبد الكريم سلمان ، وأحمد الألفى ، وأحمد بدوى النقاش ، وأحمد عارف الزين ، وإسماعيل حافظ ، وصالح اليافعى حسين والى ، وعبد الله الزواوى ، وعبد الغنى محمود ، والشيخ عبد الحميد البكرى ، وعبد الطاهر محمد ، والشيخ محمد الخضر حسين ، ومحمد بسيونى عمران الجاوى ، وأحمد كمال بك أمين المتحف المصرى ، وحسن أفندى كمال ، وعبد الرحمن بك الرافعى ، ومحمد فريد وجدى ، والشيخ على سرور الزنكلونى ، وشكيب أرسلان ، والسيد صالح مخلص ، وجميل الرافعى ، والشيخ محمد أحمد العدوى ، ومصطفى بك نجيب ، والسيد محيى الدين رضا ، وعيسى عبده ، وعبد الحفيظ أبو السعود ، والشيخ محمد شاكرا ، وحسن البنا ، والشيخ مصطفى المراغى ، والشيخ محمد بهجة البيطار ، ومحمد جاد المولى ، وعبد السميع البطل ، ومصطفى أحمد الرفاعى اللبان ، وعبد القادر الغندور ، وعبد القادر قبانى ، ومحب الدين

الخطيب، وكامل باشا ، وكرد على ، وطنطاوى جوهرى ، والشيخ إسماعيل الحافظ ،
ومحمد طاهر الحللى وغيرهم .

وقد اتبعت المنار فى إخراجها الطريقة الأفقية المتبعة فى إخراج الكتب ، إذ كانت
توزع مادتها التحريرية على عدد الصفحات بالترتيب ، ويلاحظ أن العناية بالإخراج كانت
تأتى فى مرتبة تالية بعد العناية بالأفكار والآراء ، ولذلك لا يوجد تغيير ملموس فى
أساليب إخراج المنار طوال فترة صدورهما ، وكذلك فى الصحف الإسلامية المعاصرة لها .
ولم تستخدم المنار الصورة الصحفية أو الخرائط والجداول ، وعوامل الجذب الأخرى
المعروفة فى إخراج الصحف ، من العناية بحروف الطباعة وتنوع أبنائها وحروفها
والوانها، وكان المقال يشغل الحيز الرئيسى فى المنار لأنها صحيفة رأى بالدرجة الأولى
وليست صحيفة إخبارية ؛ لذا كان الخبر يأتى فى المرتبة الثانية بعد المقال ، ولم تكن المنار
بالفنون الصحفية الأخرى .

٢- صحيفة الفتح

صدر العدد الأول من «الفتح» فى يوم ٢٩ من ذى القعدة ١٣٤٤هـ العاشر من يونيه ١٩٢٦م ، صحيفة إسلامية علمية أخلاقية ، تصدر يوم الخميس من كل أسبوع فى ١٦صفحة ، صاحب امتيازها : محب الدين الخطيب (١) ، ورئيس تحريرها : الشيخ عبد الباقي سرور نعيم من علماء الأزهر .

إخراج الفتح :

اتبعت فى إخراجها الطريقة الرأسية ، وكانت الصفحة الواحدة تحتوى على ثلاثة أعمدة رأسية ، وخلت الصحيفة من الصور الفوتوغرافية والجداول والرسوم ووسائل الإيضاح التى تتميز بها الصحف الحديثة ، ولم تنقيد بسياسة معينة فى توزيع صفحاتها .

الإعلانات :

فى بداية صدورها خلّت من الإعلانات ، ثم احتلت الإعلانات بعد ذلك الصفحة الأخيرة ، وكانت إعلانات الفتح فى الغالب لا تخرج عن تقرير الكتب الإسلامية

(١) محب الدين الخطيب : من علماء التاريخ الإسلامى القديم والحديث ، كما كان محيطا بتواريخ الأمم على اختلافها ، شارك فى الحركات الإصلاحية الإسلامية فى نواحي العالم الإسلامى ، ولد فى دمشق عام ١٣٠٣هـ ، ١٨٨٦م ، وتعلم بها وبالأستانة شارك عام ١٣٢٤هـ فى إنشاء جمعية بدمشق سميت النهضة العربية ، ورحل إلى اليمن وعمل فى بعض مدارسها ، ولما أعلن الدستور العثمانى عام ١٣٢٦هـ ، ١٩٠٨م عاد إلى دمشق ، ثم زار الأستانة ومنها إلى القاهرة ، ثم انتدبه إحدى الجمعيات العربية فى أوائل الحرب العالمية الأولى للاتصال بأمراء العرب ، فاعتقله الإنجليز فى البصرة سبعة أشهر ، ثم انتقل إلى مكة فى عام ١٣٤٤هـ ، ١٩١٦م ، وحكم عليه الأتراك بالإعدام غيابيا .

ولما جلا العثمانيون عن دمشق عاد إليها عام ١٣٣٧هـ ، ١٩١٩م ، ثم فر منها بعد دخول الفرنسيين إليها عام ١٣٣٨هـ ، ١٩٢٠م ، حيث استقر فى القاهرة وتوفى عام ١٣٨٩هـ ، ١٩٦٩م .

وعمل محب الدين الخطيب محررا فى جريدة المؤيد التى كان يصدرها الشيخ على يوسف ، وأصدر جريدة «القبلة» الرسمية ، وأسس المطبعة الأميرية للحكومة الحجاز حينما اشترك فى الثورة العربية عام ١٩١٦م ، وفى دمشق تولى إدارة وتحرير الجريدة الرسمية للحكومة واسمها «العاصمة» فى عام ١٣٣٧هـ ، فلما عاد إلى مصر عام ١٣٣٨هـ عمل محررا فى جريدة الأهرام لمدة خمس سنوات حتى عام ١٣٤٣هـ ، ١٩٢٥م ، ثم أصدر مجلة الزهراء عام ١٣٤٣هـ أغسطس ١٩٢٤م واستمرت خمس سنوات ثم صحيفة الفتح عام ١٣٤٤هـ ، ١٩٢٦م ، واستمرت فى الصدور حتى عام ١٩٤٧م .

كذلك تولى إدارة جريدة الإخوان المسلمين الأسبوعية فى عام ١٩٣٣م ورئاسة تحرير مجلة الأزهر لمدة ست سنوات ١٩٥٢م ، فضلا عن مئات المقالات والبحوث فى مختلف الصحف والمجلات .

لمزيد من التفاصيل انظر: محمد فتحى شعير : وسائل الإعلام المطبوعة فى دعوة الإخوان المسلمين ، ص ٩٨ ، ٩٩ .

والتعريف بها وبالروايات الأدبية .

تحرير الفتح :

احتل المقال الصحفى الحيز الأكبر من مواد الصحيفة التحريرية ، يليه الخبر ، وكان للفتح عناية أيضا بالحديث الصحفى ، وكان يصاغ بطريقة تقليدية بدائية ، ومن أمثلة الأحاديث الصحفية التى نشرتها الفتح : الحديث الذى أجراه محب الدين الخطيب مع الدكتور محبوب ثابت المصرى - الأستاذ بجامعة بروكسل الدولية وعضو الرابطة الشرقية - وكان عنوانه «حديث مع الأستاذ الدكتور محبوب ثابت بك فى لباس الرأس من الوجهتين الطبية والقومية» .

نموذج من الأسئلة :

المحرر : أريد يا أستاذ أن أقف على رأيكم فى مسألة لباس الرأس بأكثر تفصيلا مما قرأنا فى الصحف ، وما قلتموه منذ أيام فى الرابطة الشرقية .

الدكتور : « إن الذى قلته هناك كان أوسع وأكثر بيانا مما نشره فى الصحف ، ومما أسف له أن بعضها - كالسياسة - تعتمد إغفال قولى بتاتا وتجاهل وجودى فى ذلك الموقف... » (١) .

ونشرت الفتح أيضا حديثا صحفيا أجراه حسن البنا مع محمد فريد وجدى بعنوان : «حديث مع الأستاذ الباحث فريد وجدى حول ما نشرته مجلة الحديث الحلبية» حيث دار الحديث حول الفرق بين التجديد الذى يقصده المفكرون الإسلاميون والتجديد الذى يقصده دعاة التجديد ، وحول معنى كلمة التجديد والروح العصرية ، كذلك أجرى محمد السعيد الزهراوى حديثا مع الشيخ عمر راسم أحد رجال الإصلاح الإسلامى فى الجزائر عن كيفية مواجهة المبشرين الذين يجولون آفاق العالم الإسلامى .

كتاب الفتح :

ضمت الفتح مجموعة كبيرة من أعلام الفكر الإسلامى فى مصر والبلاد العربية والإسلامية ، من أبرزهم :

الشيخ مصطفى صبرى شيخ الإسلام فى تركيا ، والشيخ محمود شلتوت ، والشيخ محمد الخضر حسين ، ومحب الدين الخطيب ، والشيخ عبد الباقي سرور نعيم ، والشيخ يوسف الدجوى ، وحسن البنا ، ومحمد حامد الفقى ، والشيخ عبد العزيز الخولى ، والشيخ عرفة ، والدكتور محبوب ثابت ، وحسنى على الحسينى ، وشكيب أرسلان ،

(١) الفتح ، عدد ١٠ ، ١١ صفر ١٣٤٥هـ ، ١٩ أغسطس ١٩٢٦م .

ومولاي محمد على ، ومحمد أحمد الغمراوي ، وعبد الوهاب عزام ، وعلى الجندي ،
ومحمد على غريب ، وعبد المنعم خلاف ، وعبد الفتاح كيرشاه ، ومصطفى أحمد
الرفاعي ، وأحمد عبد السلام بلا فريج ، ومحمد السنوسي مقلد ، وعمر الدسوقي ،
وعبد السلام هارون ، والشيخ محمود شاکر ، ومحمد تقی الدين الهلالي ، وخالد
شلدریک ، ومحمود شویل ، والشيخ مصطفى الحمامي ، وعبد الكريم جرمانوس ،
وعلى أحمد باكثير ، ومحمد فريد وجدی ، ومحمد حسن النجمی ، ومسعود علي
الندوی ، وأبو الحسن الندوی ، ومصطفى السباعي ، وعبد الله الزنجاني ، ومحمد
الطاهر بن عاشور ، ومحمد عبد المطلب ، ومحمود رمزي نظيم ، وأحمد شوقي ،
وحافظ إبراهيم ، ومحمد الهياوي ، ومحمد الغزالي ، ومحمد البكري الذهبي ،
ومحمد أحمد عثمان ، وعبد الحق معوض ، وطه صديق العبادي ، ومحمد رضا الشبيبي ،
وحسن أبو على ، ومراد الأصفهاني ، وأحمد حنفي نصار ، ومحمود صدقي ،
ومصطفى بن شعبان ، وأحمد أفندي السكري ، والدكتور نجيب أرمنائي ، وعبد الرحيم
الساعاتي ، والدكتور زكي كرام ، والحسن الغزالي ، والطاهر أحمد الزواوي ، وسيد
سعد ، وأمين الشريف ، وإبراهيم الزهاوي ، وعبد الحميد السائح ، والشيخ محمد أحمد
سلامة ، ومحمد حبيب العبادي ، وأحمد تيمور باشا ، وأحمد زغلول ، ومصطفى
الغاياتي ، ومحمد الباقر اليماني ، والشيخ علي الطنطاوي ، والشيخ علي إبراهيم
القنديللي ، والشيخ محمد محمد الأودن ، والشيخ حامد عوني ، والشيخ محمد بدر
الخطيب ، والشيخ عبد الوكيل جابر ، والشيخ حسن محمد النجار ، والشيخ أمين عثمان
النواوي ، والشيخ طه محمد الساكت ، والشيخ عبد الفتاح النويهي ، والشيخ رمضان
الجدواوي ، والشيخ عبد المنعم النواوي ، والشيخ محمد عبد السلام القباني ، والشيخ
عبد المتعال الصبيدي ، والشيخ سيد علي الطوبجي ، والشيخ عبد الرزاق أحمد العطار ،
والشيخ حمدي عوني ، والشيخ محمد فريد الشنيطي ، والشيخ سعيد خضر ، والشيخ
محمد هاشم العلوي ، والشيخ عبد الله دراز ، والدكتور عبد الرحمن شهبندر ، وأحمد
سليمان ، وأبو زيد شلبي ، وأحمد علاء الدين الدسوقي ، وعبد الحميد سعد ، ومحمد
عبد الله عنان ، ومحمد محمود الخضري ، وحسن علي الشيخ وغيرهم .

ظروف نشأة الفتح وخطتها :

ذكر محب الدين الخطيب الظروف التي نشأت فيها «الفتح» في عدة مواضع من
صحيفة «الفتح» منها قوله : «لما خرج الناس من الحرب العالمية الأولى أخذ المؤمنون
بثقافة الغرب من رجالنا وشبابنا يعدون العدة للاستيلاء على الرأي العام وتحويل وجهته عن
الإسلام ، وما أنزل الله من قرآن وشريعة إلى المعاهد القائمة على ضفاف التاميز والسين

- يقصد أوربا - وما يصدر عنهما وواتاهم الحظ بما أحدثته هذه القوة من أحداث ، وما قصدت إليه من هوى ، ولم يكن للإسلام فى مصر صحف غير مجلة المنار ، ولا جمعيات إسلامية غير جمعية مكارم الأخلاق الإسلامية . . أما النزعة التغريبية «العلمانية» العاملة على تعميم دعوتها فى تقليد الغرب فكان فى أيدي رجالها أكثر الصحف ، فكانوا مشرفين على معظم المرافق والجمعيات ، وكان أنصارهم منبثين فى وزارة المعارف ومعاهدها ، ونظام الاحتلال يؤيدهم فى إبعاد الشباب عن الإسلام وحيويته جهد الطاقة ، وكان أحمد تيمور باشا هو الوجه المصرى الوحيد الذى شعر بهذا الخطر الأعظم على مصر والوطن العربى والعالم الإسلامى ، وأشفق من أن يتم فيه ما تم فى تركيا ، وكان - رحمه الله - لا ينقطع عن زيارة المطبعة السلفية يوميا إلا لمرض أو سفر ، وكانت دار المطبعة السلفية فى شارع خيرت ، فانهقد فيها اجتماعات حضرها أحمد تيمور باشا وأبو بكر يحيى باشا والشيخ عبد الرحمن قراعة ، والسيد محمد الخضر حسين وعلى ملا الحسينى ، ونحو عشرة آخرين من هذه الطبقة ، تذكروا موجة الإلحاد القوية التى طغت على العالم الإسلامى وهو على غير استعداد لدفعها ؛ لأن أمره ليس بيده ، وانتهت هذه الاجتماعات بتقرير تأليف جمعية لمقاومة الإلحاد والتعاون على ذلك مع كل من يؤله أمره فى الوطن الإسلامى الأكبر ، وبعد بضعة أشهر من هذه المحاولة تبين لنا أن الخطر أسرع من أن يعالج بمثل هذه الجمعية ، وأنه لا بد من الاتصال بالرأى العام والشباب المثقف على وجه الخصوص ، وأن الصحافة هى الوسيلة الأولى لذلك ، وكنت أصدر يومئذ مجلة الزهراء غير أنها شهرية أدبية ولا تصلح وسيلة لهذه المعركة ، فضلا عن أنه مشروط فى امتيازها ألا تتعرض للسياسة والدين ، وكان الحصول حينذاك على امتياز صحيفة إسلامية للغرض الذى نريده أشبه بالمستحيل ، غير أن أحمد تيمور باشا - رحمه الله - التمس لذلك الأسباب التى لا يقدر عليها غيره ، وتمكنا من الحصول على امتياز بإصدار الفتح» (١) .

وقد وضعت الفتح برنامجا إسلاميا فى مقدمة عددها الأول ، يهدف إلى إحياء ذكرى المدنية الإسلامية ، ومقاومة الإلحاد ودعوى التجدد الكاذب ، وتأكيد العلاقة الوثيقة بين العلم والدين الإسلامى ، وقد مضى هذا الاتجاه فى الصحف الإسلامية التى صدرت على غرار الفتح تغذية الأحداث النازلة بالعرب والمسلمين مثل جرائم فرنسا فى شمال إفريقيا وفى سوريا ، ومحاولتها القضاء على الدين الإسلامى فى المغرب العربى ، وجرائم إيطاليا فى ليبيا ، وتنكيلها بزعماء المسلمين ، وحوادث البراق التى اشتعلت فى فلسطين بين اليهود والعرب فى عام ١٩٢٩م ، ثم حملات التبشير المنظمة التى نشطت فى تنصير

(١) أنور الجندي، الفتح ، تاريخ الصحافة الإسلامية ، القاهرة : دار الأنصار ، ١٩٨٦م ، ج٢ ، ص ٧٠ ، ٧١ .

المسلمين في مصر وفي الأقطار العربية (١) .

اهتمامات الفتح في فترة صدورها :

ومن أبرز ما اهتمت به الفتح - خلال فترة صدورها - محاربة التيار العلماني في الصحافة المصرية وزعمائه وصحفه ، والتصدي لكل ما تقدمه هذه الصحف من منظور إسلامي ، والدفاع عن الشريعة الإسلامية ، والفكر الإسلامي ، وقد أطلق محب الدين الخطيب على هذا التيار العلماني وأصحابه : حركة الإلحاد ، وكان يقود هذا التيار الدكتور طه حسين ، ومجموعة من المفكرين المصريين : أمين الخولي ، وحسين فوزي ، وأميل زيدان ، وسلامة موسى ، والدكتور محمد حسين هيكل ، وعلى عبد الرازق ، ومحمود عزمي ، وعبد العزيز فهمي ، وتوفيق الحكيم وغيرهم ، في جريدتي : السياسة ، والسياسة الأسبوعية ، وصحف : الهلال ، والعصور ، والمجلة الجديدة ، والاستقلال (٢) .

وقد عنيت الفتح بمواجهة هذه الصحف التغريبية التي تكيد للإسلام ومن أطلقت عليهم دعاة الإلحاد ، واهتمت «الفتح» جريدة السياسة الأسبوعية بأنها تروج للدعاية للإلحاد في البلاد ، وذلك بما تنشره من آراء تحرض فيها الشباب المصري أن يقلدوا شرذمة ملحدى أمريكا في تأليف الجمعيات الإلحادية ، ووضع البرامج لها ، حيث نشرت السياسة الأسبوعية مقالا بعنوان : دعاة الإلحاد في أمريكا (٣) . تقول فيه : إنه قد تألفت جمعية في الولايات المتحدة الأمريكية تسمى الجمعية الأمريكية لنشر الإلحاد ، وغرضها محاربة الأديان ، وأن لهذه الجمعية فروعاً منتشرة في الكليات وفي المدارس ، وأشار الشيخ عبد الباقي سرور إلى أن السياسة الأسبوعية تلجأ إلى هذه الحيل لإقناع المصريين بالإلحاد (٤) .

ونشرت «الفتح» سلسلة مقالات بعنوان : «وجود الله توضحه الدلائل الكونية» (٥) ، حاربت فيها حركة الإلحاد وأنصارها « وقال الشيخ سرور في مقال آخر بعنوان « حركة التبشير والإلحاد » : « إن الإسلام يواجه حركتين من أخطر الحركات الهدامة : الأولى هي حركة المبشرين ، والثانية حركة الملحدين ، تتجه الأولى نحو تحويل المسلمين عن دينهم إلى النصرانية ، وتقوم بها جمعيات منظمة تؤيدها شعوب متحمسة لعداء الإسلام ، وتهدف الثانية إلى تجريد المسلمين من التدين ، ويقوم بها رجال تعلموا في الغرب ، وأحكموا طرق الدعاية ، وتمرنوا على أساليب التمويه ومن ورائهم قوم أولو

(١) عواطف عبد الرحمن : مصر وفلسطين ، مرجع سابق ، ص ٣٦ ، ٣٧ .

(٢) أنور الجندي ، الفتح ، تاريخ الصحافة الإسلامية ، ج ٢ ص ١١٢ .

(٣) السياسة الأسبوعية ، ٣٠ يوليو ١٩٢٧ م .

(٤) الفتح ، عدد ٥٧ ، ١٤ صفر ١٣٤٦ هـ ، ٤ أغسطس ١٩٢٧ م .

(٥) الفتح ، عدد ٥٢ ، ٨ محرم ١٣٤٦ هـ ، ٧ يوليو ١٩٢٧ م وما بعده .

نفوذ يحمون ظهورهم ، ويدفعون عنهم ما يصيبهم ، ولا غرض لهم من ذلك سوى إفساح المجال لدعاة الإلحاد في مصر» (١) .

ثم توالى انتقادات الفتح لصحيفة السياسة الأسبوعية وكتابها ، وانتقدت ما تكتبه السياسة في مدح مصطفى كمال أتاتورك ، وما أحدثه من تغريب لتركيا وتحويلها إلى دولة علمانية ، وإبطال الشريعة الإسلامية والأخذ بالقوانين الغربية (٢) .

وخصصت الفتح منذ العام الثانى لصدورها بابا بعنوان «بعكوكة الإلحاد» سخرت فيه من زعماء التيار العلماني سخرية مرة ، واتهمتهم بالخروج عن الدين ، وهاجم محب الدين الخطيب على عبد الرازق حينما أنكر على صفحات السياسة عظمة سيدنا محمد وجرده من مزايا النبوة ، واتهم طه حسين بأنه يدعو إلى الإلحاد فى مؤلفاته ومحاضراته ، وأنه يجرّد النفوس من الأدب والعفاف ، وأن كتابه : «فى الشعر الجاهلى» ملئ بالطعن فى القرآن الكريم ، والاعتداء على كرامة النبى ﷺ ، ونددت بالاحتفال الذى أقامته الجامعة المصرية وخطب فيه طه حسين بمناسبة مرور مائة عام ولادة الفرنسى رينان (٣) .

وحفلت الفتح بمقالات عديدة تنتقد ما جاء فى كتاب الشعر الجاهلى ، وبيان ما جاء فيه من مخالفات صريحة لنصوص القرآن الكريم وتاريخ العرب والمسلمين ، ونشرت الاستجواب الذى قدمه الشيخ مصطفى الغياثى عضو مجلس النواب لوزير المعارف عن كتاب طه حسين (٤) .

وعندما كتب طه حسين فى السياسة الأسبوعية (٥) يشير إلى أن هناك خصومة بين العلم والدين اتبرى للرد عليه مجموعة من كتاب الفتح ، ومن بينهم كتاب من الأزهر الشريف ، ونشرت سلسلة مقالات تثبت أنه ليس بين العلم والدين أية خصومة ؛ لأن لفظ العلم يطلق تارة على ما يثبت بالاختبار والتجربة ، وهذا ليس من مباحثه إثبات وجود الله ولا إثبات نبوة الأنبياء ، ومن هنا فليس بين العلم الطبيعى الثابت بالتجربة وبين الدين خصومة ، ويطلق العلم تارة على بعض المذاهب الفلسفية أو المذاهب العلمية التى دخلتها الفلسفة ، وإذا كان بين بعض هذه المذاهب وبين الدين خصومة فالقرآن لم ينزل ليعلم الناس المذاهب الفلسفية أو العلمية ، وإنما نزل للهداية والإرشاد ، فضلا عن أن الظنون والفروض لا تسمى علما ، ولا ما يثبتته الفلاسفة من الآراء أو يضعون من مذاهب ، فكل

(١) الفتح ، عدد ٤٦ ، ١٧ ذو القعدة ١٣٤٥هـ ، ١٩ مايو ١٩٢٧م .

(٢) الفتح ، عدد ٦٢ ، ١٩ ربيع الأول ١٣٤٦هـ ، ١٥ سبتمبر ١٩٢٧م .

(٣) الفتح ، عدد ٥٢ ، ٨ محرم ١٣٤٦هـ ، ٧ يوليو ١٩٢٧م .

(٤) الفتح ، عدد ٥ ، محرم ١٣٤٥هـ ، ١٥ يوليو ١٩٢٦م .

(٥) السياسة الأسبوعية ، ١٧ يوليو ١٩٢٦م .

هذا لا يعده العلماء داخلا فى حقيقة العلم (١) .

وقد دخلت «الفتح» فى معارك صحفية مع صحف «الهلال» ، وكل شىء ، والفكاهة التى روجت لمسائل ضد الدين الإسلامى ، ونشرت كتابات تمس الدين وتهزأ بعلماء الإسلام ، وكتب الشيخ أحمد محمد شاكر - قاضى محكمة ههيا الشرعية - سلسلة مقالات يهاجم فيها صحف الهلال ، مؤكدا أنها تحارب الأزهر والمحاكم الشرعية لخدمة الهيئات التبشيرية العالمية ، وأنها تعمل على إفساد أخلاق الشعب المصرى وأذواقه وعاداته وتقاليدته ، بما تنشره من صور مثيرة للشهوات ومحطمة للأخلاق ومضادة لدين البلاد الرسمى «الإسلام» (٢) .

وشنت الفتح حملة شديدة اللهجة على كتابات الخواجة سلامة موسى عن الأدب المكشوف ، ونقله لأراء أناتول فرانس وغيره من الإباحيين ، وفى مقال بعنوان : «الخواجة سلامة موسى فى أدبه المفضوح» سجل فيه : «أن المدعو سلامة موسى يستبيح التحدث عن الخدر المكنون ، والفراش المستور ، وعن العناصر الجنسية وحياتها وعما يقع عادة بين المرء وزوجه والرجل وخليلته باسم الأدب المكشوف أو الواقعى وغير ذلك من المسميات» (٣) .

ومن بين الصحف التى تصدت لها ، الفتح وأكدت أنها تكيد للإسلام والمسلمين صحيفة الأهرام التى كانت تعتبرها لسان حال الفرنسيين فى مصر كما ذكر ذلك محب الدين الخطيب ، وفى موضع آخر أشار الخطيب إلى أنها شر وسيط بين الإسلام وفرنسا ، وذلك لتجاهلها قضية البربر فى المغرب العربى وما يفعله الفرنسيون هناك من تنصير وإبادة للمسلمين (٤) ، واتهام «الأهرام» كل من يعارض موقف فرنسا فى المغرب العربى ، بزعم أنه يريد أن يشغل مصر عن قضيتها ، وأشارت الفتح إلى اهتمام الأهرام بإعلانات الخمر والميسر ودفاعها عن المدارس الفرنسية التى يقوم بالتعليم فيها الرهبان الفرنسيون الذين يقومون بالتبشير للنصرانية على أرض الإسلام (٥) .

وأولت الفتح اهتمامها بمحاربة السياسة الفرنسية والإيطالية فى بلاد المغرب العربى ، وبينت أنها تهدف إلى تنصير أهالى تلك المنطقة ، ونشرت الفتح خطاب لجنة المحافظة على

(١) انظر : أعداد الفتح الصادرة فى محرم ١٣٤٥هـ ، يوليو ١٩٢٦م .

(٢) الفتح ، عدد ٧٤ ، ١٩ جمادى الآخرة ١٣٤٦هـ ، ٨ ديسمبر ١٩٢٧م .

(٣) الفتح ، عدد ٧٦ ، ٢٨ جمادى الآخرة ١٣٤٦هـ ، ٢٢ ديسمبر ١٩٢٧م .

(٤) الفتح ، عدد ٢١٥ ، ١٠ ربيع الآخر ١٣٤٩هـ .

(٥) أنور الجندى ، الفتح . تاريخ الصحافة الإسلامية ، ص ٣٦٤ ، وعواطف عبد الرحمن : مصر وفلسطين مرجع سابق ، ص ٣٦٤ .

إسلام البربر إلى عصبة الأمم ، وكانت هذه اللجنة شعبة من جمعية الهداية الإسلامية يرؤسها محمد عبد السلام القباني ، وكتبت الفتح عن فظائع الطليان في طرابلس الغرب ، ودعت المسلمين إلى مقاطعة كل البضائع الفرنسية والإيطالية ، وكانت تنشر صور بعض القسوس وهم يقومون بالتبشير في بلاد المغرب وينشؤون الكنائس ، وتنشر الخطب ، التي تلقى في المحافل والجمعيات الإسلامية للتنديد بسياسة فرنسا وإيطاليا في البلاد الإسلامية ، وتشير إلى الفظائع التي يرتكبها الاستعمار هناك ، وحفلت صفحاتها بالكتابة عن ذلك ، يتضح هذا من عناوين المقالات التالية :

«التنصير الإجبارى وسياسة فرنسا المكشوفة بالمغرب الأقصى» ، «صدى مسألة تنصير البربر في القطر المصرى» ، «تنصير المسلمين بقوة الحديد والنار» ، «احتجاج المغاربة في مصر على ما يجرى في المغرب الأقصى» ، «فرنسا بين سياستين في المغرب الأقصى : سياسة الصراحة وسياسة النفاق» .

ونشرت الفتح احتجاجات الجمعيات الإسلامية في مصر إلى رئيس فرنسا وجمعية الأمم المتحدة وأمهات الصحف الأوروبية ، وأوضحت للمسلمين كافة ما يجرى من الحوادث في هذه البلدان القاصية ، وعرضت قضيتهم أمام الرأى العام ، وما يتعرضون له من ظلم وتعسف في دينهم ولغتهم وأرضهم .

ومن أبرز الكتاب المسلمين الذين ظهروا في هذا المجال : محب الدين الخطيب ، وأحمد بلافريج ، وعبد الظاهر سعيد هيكل ، وأحمد عبد الحليم رشيد رضا ، والدكتور يحيى الدرديرى ، وشكيب أرسلان .

وبسبب جهود «الفتح» في محاربة السياسة الفرنسية في المغرب العربى ، منعت فرنسا دخولها البلاد هناك وفرضت غرامة ٥٠ فرنكا على كل من يوجد لديه نسخة منها (١) .

كذلك اهتمت الفتح بقضايا وأخبار العالم الإسلامى والمسلمين في البوسنة والهرسك «يوغسلافيا» ، والهند ، ومسلمى إفريقيا ، وأندونيسيا ، والحبشة .

وحظيت قضية فلسطين على جانب كبير من اهتمامات صحيفة الفتح ، وكانت في مقدمة الصحف التي كشفت القناع عن مقاصد اليهود في فلسطين ، وأبرزت خطط الصهاينة في الاستيلاء على الأراضى الفلسطينية ومؤامراتهم ضد العرب والمسلمين ، كما كانت من أبرز الصحف الإسلامية التي دافعت عن البراق ، وحقوق المسلمين في بيت المقدس ، وعرضت لهذه القضية بمختلف وجوها أمام الرأى العام العربى والإسلامى ،

(١) الفتح ، عدد ٢١٢ ، ٢١٣ ، ٢١٤ ، ١٩ ربيع الاول ١٣٤٩هـ ، ٢٦ ربيع الاول ١٣٤٩هـ ، ٣ ربيع الآخر ١٣٤٩هـ ، والأعداد التالية لهم .

وحفلت صفحاتها بالحديث عن الهجرة اليهودية إلى فلسطين وبينت خطورتها في القضاء على دولة فلسطين (١) .

ومن أبرز القضايا التي واجهتها الفتح في بداية صدورها : قضية البغاء الرسمي ، وقد حمل لواء محاربة البغاء الشيخ محمود أبو العيون - أحد مشايخ الأزهر - ومجموعة من كتاب الفتح ، وحفلت صفحات الفتح بالحديث عن مخالفة البغاء للدين والشرع والقوانين وبيان مساوئ البغاء وآثاره الخطيرة على الفرد والمجتمع والأمة كلها ، وتولت الفتح الرد على جريدة «المقطم» التي طالبت بعدم الإسراع في إلغاء البغاء الرسمي .

وكتب الدكتور فؤاد شوكت في المقطم (٢) يحذر من دعوة الشيخ أبي العيون ، ويهاجم دعوة الفتح في إلغاء البغاء ، ولكن تصدى له محمد الباقر اليمنى في صحيفة الفتح متسائلا ومتعجبا أن يقول كاتب مثل الدكتور فؤاد شوكت بإبقاء المواقف والتدرج في إلغاء البغاء ، واستمرت المعركة بين أنصار البغاء وكتاب الصحافة الإسلامية فترة من الزمن ، وانتصرت «الفتح» للشيخ أبي العيون الذي تعرض لهجمات الصحف التغريبية ولاسيما جريدتي الأهرام والمقطم ، اللتين اتهمته بأنه تعدى على حقوق الإداريين والأطباء وكل هيئة صاحبة رأى ، وأن إلغاء البغاء يخشى منه على الآداب ، وانبرى للرد على ذلك الشيخ عبد الباقي سرور قائلا : «إنه من المخزيات أن يقال على صفحات الجرائد : إن إلغاء البغاء يخشى منه على الآداب ، كأن في وجود البغاء صيانة للآداب ! » (٣) .

وخاضت الفتح معارك صحفية عديدة ضد مظاهر التغريب التي بدأت تزحف إلى البلاد ويروج لها أنصار الفكر الغربي من العلمانيين والمستغربين وصحفهم كذلك الدعوة إلى لبس القبة تقليدا للغربيين (٤) والدعوة إلى السفور وإطلاق الحرية للمرأة (٥) ومحاربة التشريع الإسلامي في تعدد الزوجات ، وتقييد حرية الرجل في الطلاق وغير ذلك ، ركزت على التنديد بالمدينة الغربية ومظاهر التحلل والانحراف الذي أصاب تركيا وسار عدواه إلى مصر ، وظاهرة جنوح الشباب المسلم عن تعاليم الإسلام بزعم أن اتباع الدين لا يليق في هذا العصر (٦) . ومن هذا المنطلق اهتمت الفتح وكتابها بالدفاع عن الشريعة

(١) انظر : أعداد المجلد الثامن من الفتح ، وكذلك الفصل الخاص بقضية فلسطين .

(٢) المقطم ، عدد ٢٤ سبتمبر ١٩٢٦ م .

(٣) الفتح ، عدد ١٦ ، ٢٣ ربيع الأول ١٣٤٥ هـ ، ٣٠ سبتمبر ١٩٢٦ م .

(٤) الفتح ، عدد ٦ ، ١٩ محرم ١٣٤٥ هـ ، ٢٩ يوليو ١٩٢٦ م ، وعدد ٧ ، ٢٦ محرم ١٣٤٥ هـ ، ٦ أغسطس ١٩٢٦ م .

(٥) الفتح ، عدد ٦٦ ، ١٨ ربيع الآخر ١٣٤٦ هـ ، ١٣ أكتوبر ١٩٢٧ م .

(٦) الفتح ، عدد ١٦٨ ، ٧ جمادى الأولى ١٣٤٨ هـ ، ١٠ أكتوبر ١٩٢٩ م ، وعدد ١٦٩ ، ١٤ جمادى الأولى ١٣٤٨ هـ ، ١٧ أكتوبر ١٩٢٩ م .

الإسلامية ، والتعريف بعظمتها ، وصلاحياتها لكل زمان ومكان ، والمقارنة بينها وبين نظم الحكم المعاصرة ، والتأكيد على أهمية الدين للفرد والمجتمع (١) .

كذلك عنيت الفتح باللغة العربية الفصحى والأدب الإسلامى والشعر الإسلامى ، وأفسحت صدر صفحاتها أمام شعراء الإسلام ، من أمثال : صادق عرنوس ، ومحمود رمزى ، وأحمد محرم ، ومحمد حسن النجمى ، وأحمد شوقى ، وحافظ إبراهيم ، ومصطفى صادق الرافعى ، ومحمد على يحيى ، ويس يوسف ، ومحمد البساطى النبلسى .

وهاجمت الفتح المدارس الأجنبية المنتشرة فى البلاد ، وأشارت إلى أنها تعمل على الإساءة إلى الإسلام (٢) ، وحملت على سياسة التعليم العلمانى فى مصر ، وذكرت أنه يسير على الخطة التى رسمها له كرومر والقس دانلوب (٣) ، ودعت إلى إنشاء مدارس إسلامية يتعلم فيها النشء المسلم علوم الإسلام مع الأخذ بأسباب العلوم الدنيوية . وحملت لواء الدعوة إلى الاهتمام بالتعليم الدينى والتربية الإسلامية وإصلاح التعليم فى الأزهر ، وذلك فى محاولة لإثبات خطأ المنهج العلمانى فى التعليم الذى اتبعته مصر ، منذ مجيء الاحتلال البريطانى وسيطرته على نظم التعليم فى مصر (٤) .

وتابعت «الفتح» الحديث عن التبشير وبعثاته ومؤتمراته فى مصر والدول الإسلامية ، وهاجمت حركة التبشير التى نشأت فى القاهرة عن طريق الجامعة الأمريكية والمدارس التبشيرية ، وكشفت عن مؤامرات التبشير ضد الدين الإسلامى ، وما يثبونه فى كتبهم من الطعن على الإسلام وشريعته ، وفضحت الدور التبشيري الذى تقوم به جمعية الشبان المسيحية العالمية (٥) . وقد أعاد محب الدين الخطيب نشر الدراسة الخاصة عن أعمال المبشرين البروتستانت فى العالم الإسلامى فى «الفتح» والتى نشرت فى مجلة العالم الإسلامى التبشيرية ، وترجمها محب الدين الخطيب مع زميل له يسمى مساعد اليافى ، ونشرتها «المؤيد» ثم المنار ، وكان لهذه الدراسة أثر كبير فى يقظة عدد كبير من المسلمين الذين أدركوا ما يراد بهم وبدينهم من الكيد ، وقد تم طبع تلك الدراسة فى كتاب يسمى : «الغارة على العالم الإسلامى» (٦) .

(١) الفتح ، عدد ٢٠ ، نوفمبر ١٩٢٨ م .

(٢) الفتح ، عدد ١٨٢ ، ١٦ شعبان ١٣٤٨ هـ ، ١٦ يناير ١٩٣٠ م .

(٣) الفتح ، عدد ٧١ ، ٢٣ جمادى الأولى ١٣٤٦ هـ ، ١٧ نوفمبر ١٩٢٧ م .

(٤) الفتح ، عدد ٣٠ ، شعبان ١٣٤٨ هـ ، ٣٠ يناير ١٩٣٠ م ، وعدد ١٧ أبريل ١٩٣٠ م .

(٥) الفتح ، عدد ٢١١ ، ١٢ ربيع الأول ١٣٤٩ هـ ، وعدد ٢٥٥ ، ٢ صفر ١٣٥٠ هـ .

(٦) محمد فتحى شخير : وسائل الإعلام المطبوعة فى دعوة الإخوان المسلمين ، مرجع سابق ص ٩٩ .

واهتمت الفتح اهتماما كبيرا بانتشار الإسلام فى الغرب ، وأشارت إلى بعض الذين درسوا الإسلام من كتاب الغرب ومن دخلوا فيه ، وعرضت للمستشرقين وكتاباتهم .

وحفلت صفحات الفتح بالحديث عن التراث الإسلامى وبيان أغراض المستشرقين من دراسته ، التى كان من أهمها بث الشبهات والمخازى فى هذا التراث ، ومعرفة طرق الإحاطة به ، وكيفية مواجهته ، فضلا عن استفادتهم بكنوز المعرفة التى خلفها المسلمون ، وكانت «الفتح» فى مقدمة الصحف الإسلامية التى وقفت ضد الدعوة إلى ترجمة القرآن الكريم إلى اللغات الأجنبية ، تلك الدعوة التى أثبتت فى عام ١٩٣٢م ، وكتب فى ذلك الموضوع محب الدين الخطيب والشيخ حسن البنا - المرشد العام للإخوان المسلمين - والشيخ مصطفى صبرى ، واتفقت الآراء فى عدم استطاعة نقل آيات القرآن الكريم إلى لغة أخرى مهما بلغت من العظمة والجلال والاتساع ، حيث إن اللغة العربية تمتاز ببساطة الألفاظ وكثرة المجازات والكنائيات والاستعارات ، وقد يحمل اللفظ فيها عبارة كاملة .

وكان للفتح أيضا عناية كبرى بإبراز مخاطر المذاهب المنحرفة والدعوات الهدامة والأفكار الضالة ، وبيان ما فى هذه الدعوات من مخالفات لمبادئ الشريعة الإسلامية ، ومن أبرز هذه الدعوات التى واجهتها الفتح هى دعوة الباطنية والبهائية والإسماعيلية واليكتاشية واليزيدية والقاديانية والبهائية أو البابية والماسونية والصهيونية وغيرها (١) .

ويمكن إيجاز أهم القضايا التى تعرضت لها الفتح فيما يلى :

١- التصدى للتيار العلمانى فى الصحافة المصرية ، ومواجهة الحملات التى يشنها ضد الإسلام ، والرد على المؤلفات والكتابات التى تطعن فى الإسلام ، ونظمه ومناهجه وتشريعاته مثل كتابات طه حسين فى كتاب «الشعر الجاهلى» ، وكتابات على عبد الرازق فى «الإسلام وأصول الحكم» .

٢- محاربة السياسة الفرنسية والإيطالية فى بلاد المغرب العربى ، والكشف عن محاولات فرنسا لتنصير قبائل البربر الإسلامية فى المغرب الأقصى ، والاهتمام بقضايا وأخبار العالم الإسلامى فى الهند وأندونيسيا وتركيا وإفريقيا ، والكشف عن مقاصد اليهود فى فلسطين وبيان مخططات الصهيونية فى الاستيلاء على الأراضى الفلسطينية وتهويدها .

٣- مهاجمة البغاء الرسمى فى البلاد المصرية وبيان مخالفته للشريعة الإسلامية والعرف والقوانين ، والرد على أنصار البغاء فى الصحافة العلمانية والتنديد بمظاهر التغريب التى بدأت تزحف إلى البلاد المصرية ، ويروج لها أنصار الفكر الغربى من العلمانيين

(١) سيتم معالجة هذه القضايا بالتفصيل فى الباب الثالث من هذه الدراسة .

والمستغربين ، والدفاع عن الشريعة الإسلامية والتعريف بعظمتها وصلاحتها لكل زمان ومكان ، والعناية باللغة العربية الفصحى ، والأدب والتراث الإسلامى والعربى ، ونقد سياسة التعليم فى مصر ، والتصدى للمدارس الأجنبية ، والاهتمام بالتعليم الدينى والتربية الإسلامية ، والدعوة إلى إصلاح مناهج التعليم .

٤ - متابعة حركات التبشير فى العالم الإسلامى ، ومصر ، وكشف المؤامرات التبشيرية ضد الدين الإسلامى ، وبيان صدق انتشار الإسلام فى الغرب ، ومتابعة كتابات المستشرقين عن الفكر الإسلامى وتراثه .

٥ - معارضة الدعوة إلى ترجمة آيات القرآن الكريم إلى اللغات الأجنبية ، والعناية بإبراز مخاطر المذاهب الهدامة ، والدعوات الباطلة ، أمثال الباطنية والبهائية والقاديانية وغيرها .

٣ - صحيفة الهداية الإسلامية

صدرت هذه الصحيفة عن جمعية الهداية الإسلامية التي تأسست في ١٣ من شهر رجب ١٣٤٦ هـ الموافق ٦ يناير ١٩١٨ م ، وهي جمعية إسلامية علمية أدبية ، الغرض منها القيام بما يرشد إليه الدين الحنيف من علم نافع وأدب رفيع وخلق كريم ، وتعتمد في تحقيق هذا الغرض على الوسائل الآتية :

١ - السعى لتعارف الشعوب الإسلامية ، وتوثيق الرابطة بينها ، ورفع التجافى بين الفرق الإسلامية ، والتعارف مع كل جمعية تسعى لهذه الغاية .

٢ - نشر حقائق الإسلام بأسلوب يلائم روح العصر .

٣ - مقاومة الإلحاد والدعايات غير الإسلامية في الأوطان الإسلامية .

٤ - الجهاد في إصلاح شأن اللغة العربية وإحياء آدابها .

سبب تأليف جمعية الهداية :

١ - قلة العناية بالقيام على أصول الإسلام والشريعة الإسلامية وآدابها ، وتلقيها للنشر في أول طور من أطوار حياته العلمية ، مما مهد الطريق لنفر يحملون ألقابا إسلامية ، ثم ما يكون منهم إلا أن يتآمروا على الإسلام ، ويثو سموم دعايتهم في بعض الصحف والمجامع العلمية والتعليمية .

٢ - انتشار دعاية الإلحاد والخلاعة بين الشباب ، وسيطرة طائفة الملحدون وأدعياء التجديد على مقاعد التدريس في الجامعة ، والطعن في الدين الإسلامي دون مراعاة لأهله ذمة ، ولا لمبادئه حرمة (١) .

والذين قاموا بالدعوة إلى تأسيس هذه الجمعية مجموعة من علماء الأزهر الشريف ، ومن نهج نهجهم من ذوى العلم والفضيلة ، منهم السيد ولي الدين أسعد المدني ، وحسين شكرى الشواء ، وأحمد العربى المدني ، ويوسف عبد الرازق المشهدى ، ومحمد الحسن مصطفى ، وعبد الله مصطفى المراغى ، ومحمد البسطامى ، وخلوصى الكيالى ، وصلاح الدين أبو على ، وعبد القادر عبد العزيز يوسف ، وعبد الحليم على النجار ، ومحمد منجود .

وكان الشيخ محمد الخضر حسين رئيس مجلس إدارة الجمعية ، والشيخ محمد عبد المطلب وكيل أول ، والشيخ على محفوظ وكيل ثان ، والشيخ فكرى يس كاتم السر ،

(١) مجلة الهداية الإسلامية ، ج-٣ ، ١ ، شعبان ١٣٤٧ هـ - ١٩٢٨ م .

وعبد الحميد أفندي أمين الصندوق ، والشيخ مصطفى بدر مراقب الجمعية ، وكان للجمعية فروع في بغداد ودمشق وتونس وفلسطين .

وأصدرت جمعية الهداية الإسلامية العدد الأول من مجلة « الهداية الإسلامية » في جمادى الثانية ١٣٤٧ هـ / أول نوفمبر ١٩٢٨ م ، مجلة إسلامية علمية أدبية ، تصدر في أول كل شهر عربي ، مدير تحريرها الشيخ محمد الخضر حسين رئيس الهداية الإسلامية^(١) ، ومدير إدارتها الشيخ مصطفى بدر زيد . وفي السنة الرابعة تولى منصب الإدارة الشيخ عبد الرحيم مصطفى العدوي ، ويحرر المجلة نخبة من أعضاء جمعية الهداية ، وتتألف من ثمانية وأربعين صفحة ثم زيدت إلى ٥٨ صفحة ، تضم كل صفحة نهرا واحدا ، وكانت تطبع بالمطبعة السلفية لصاحبها محب الدين الخطيب .

الفهرس والغلاف :

كانت المجلة تقدم فهرسا لما ورد في أعدادها ، يكتب في الصفحة التي تلى الغلاف ، وأحيانا يكتب في الصفحة الأخيرة ، مع تصحيح الأخطاء المطبعية التي وردت في العدد نفسه ، وعينت المجلة بالغلاف الذي كان يكتب عليه البيانات الخاصة بالمجلة : شعار المجلة ، واسم المجلة التي تصدرها ، وهيئة التحرير والإدارة .

يلى صفحة الغلاف الصفحة الأولى التي تنقسم إلى قسمين ، القسم العلوي ويكتب عليه البيانات الخاصة بالمجلة كما هي على الغلاف وتاريخ العدد ، ورقمه ، والقسم السفلي خاص بالمقال الافتتاحي الذي كان يحضره الشيخ محمد الخضر حسين في الغالب .

واتبعت الهداية الإسلامية في إخراجها طريقة الإخراج الأفقى المثبتة في إخراج الكتب ، حيث توزع المادة التحريرية على صفحات المجلة بالتوالي دون العناية بأهميتها أو التفنن في إخراجها ، واستخدام وسائل الإبراز والمغريات الصحفية ، وخلت من الإعلانات

(١) الشيخ محمد الخضر حسين (١٢٩٣ - ١٣٧٧ هـ) : ولد في تونس وتلقى تعليمه في جامع الزيتونة ، وحصل على شهادة العالمية عام ١٣٢١ هـ ، وأصدر مجلة السعادة العظمى ، ثم تولى قضاء بيروت عام ١٣٢٤ هـ ، وانهته سلطات الحماية الفرنسية بعدائه للغرب ، فأسفر إلى الأستانة ثم إلى دمشق ، وبرلين ، ثم انتهى به المقام في مصر ، وتجنس بالجنسية المصرية ، ونال شهادة العالمية من الأزهر ، واشترك في تأسيس المركز العام لجمعيات الشبان المسلمين بالقاهرة عام ١٣٤٦ هـ ، ولما تم النجاح في هذا العمل ، تفرغ لتأسيس جمعية الهداية الإسلامية التي جمعت أهل الغيرة والنشاط من شباب الأزهر وشيوخه وبعض العاملين في حقل الدعوة الإسلامية ، وأصدر مجلة الهداية الإسلامية ، ثم تولى رئاسة مجلة نور الإسلام ، وكان ذا نشاط صحفي كبير ، وقدرة فذة على الكتابة والتحرير ، ثم تولى مشيخة الأزهر عام ١٩٥٢ م ، وتوفي في رجب ١٣٧٧ هـ عن ثمانين عاما .

انظر : على الخطيب وآخرون : البايبة والبهائية في ميزان الإسلام ، القاهرة : ١٩٨٥ م ، ص ٥ - ١٠ .

ولم تكن بالصور أو الرسوم ، وكان المقال شكل المادة الرئيسية فى تحرير المجلة .
كتاب المجلة :

تولى تحرير مجلة الهداية الإسلامية كوكبة من مشايخ الأزهر وعلمائه وبعض الأفاضل من العلماء والمفكرين من مصر والدول الإسلامية ، من أبرزهم : الشيخ محمد الخضر ، والشيخ محمد عرفة ، والشيخ صادق عرجون ، والشيخ محمد السيد الطويل ، والشيخ حافظ البطة ، والشيخ عبد المجيد الفاسى ، والشيخ عبد الله المراعى ، والشيخ عبد الحكيم المحيصن ، والشيخ شاکر الصفاقسى ، والشيخ محمد النجار ، والشيخ السيد محمد الطاهر بن عاشور من تونس ، والشيخ رباح يحيى حسونة الجليلى من فلسطين ، ومحمود ياسين من دمشق والشيخ عبد الجواد رمضان .

وكانت مجلة الهداية تعتمد على بعض المعونات من ذوى الفضل والإحسان ، وقد ذكرت فى فاتحة السنة الثالثة من صدورها أنه من أبرز الذين قدموا يد العون للمجلة الزعيم السورى الكبير الشيخ محمد القصاب وأحمد تيمور باشا ، ولم يكن لها هيئة تحريرية منتظمة ، ولا تعطى رواتب أو مكافآت على موارد التحرير ، بل إن معظم موضوعاتها هو ما يلقى فى نادى الجمعية من خطب ومحاضرات ، وما يصل إليها من الدروس والمحاضرات التى يلقها بعض المصلحين من علماء جامع الزيتونة ^(١).

أسباب صدور الهداية الإسلامية وهدفها من الصدور :

فى العدد الأول للمجلة أبرزت الأسباب الرئيسية لصدورها ، ونستطيع إيجازها فيما يلى :

١ - الفساد الذى لحق بالأمة الإسلامية ، وظهور البدع والخرافات فى الأوساط الإسلامية .

٢ - نكوص بعض العلماء عن المشاركة فى الإصلاح الاجتماعى والدينى والخلقى ، وتغير موقف الكثير من رجال العلم والأدب ، ونظرتهم إلى الحياة نظرة غير إسلامية .

٣ - ظهور فئة من الذين يعتنقون الإباحية ويخاصمون الدين الإسلامى ويحاربونه فى الصحف والمؤلفات ، وفيما يلقى من الخطب والمحاضرات .

أهداف المجلة :

حددت الهداية الإسلامية أهدافها فى أول عدد من أعدادها بأنها ستولى وجهها

(١) مجلة الهداية الإسلامية ، ج ١ ، ٣ ، جمادى الآخرة ١٣٤٩ هـ .

نحو:

١ - البحث عما يهذب النفوس ويثقف العقول ، ويقوم اللسان فتبحث في الأخلاق والعادات والتاريخ والتراجم واللغة وآدابها ، والعلوم النظرية والاجتماعية .

٢ - ترشد إلى حقائق الإسلام وآدابه ، وتنتقد المقالات والآراء ، وتجييب بقدر الإمكان عن هذه المسائل ، وتورد من أنباء العالم الإسلامى ما له صلة بالغاية التى أنشئت من أجلها .

٣ - تنشر تحت عنوان «صحف قيمة» رسائل علمية أو أدبية من مؤلفات القدماء ، متى كان فى نشرها فائدة كبيرة للقراء ، سالكة فى ذلك كل سبيل الحكمة والموعظة الحسنة ، موسعة صدرها لكل نقد ، وتصحيح ما قد تقع فيه من أخطاء .

اهتمامات مجلة الهداية الإسلامية فى فترة صدورها :

كان الدفاع عن الأزهر ورسالته الإسلامية فى مقدمة اهتمامات المجلة ، فقد لاقى الأزهر فى تلك الفترة هجوماً قاسياً من الجرائد والمجلات العلمانية وأنصار التجديد فى مصر ، باعتباره الحصن الحصين للدين الإسلامى ، والعقبة الباقية أمام اكتساح أوربا للشرق ، فقد دأبت « السياسة ، اليومية والأسبوعية » على نعت الأزهرين بالجمود والتخلف ، وتصف المجلة الجديدة لسلامة موسى الأزهرين وأنصار الفكر الإسلامى بأنهم « أوكار الرجعية » .

ومن هنا كان تصدى الهداية الإسلامية لهؤلاء المتفرنجين الذين يفترون على الإسلام والمسلمين الكذب ، ويغيرون حقائق التاريخ ، ويلوون عنقها^(١) ، ويدعون إلى القومية الضيقة التى تتعارض مع الإسلام ، ويروجون للأفكار العلمانية^(٢) ، أو الدعوة إلى فصل السلطة الزمنية عن السلطة الدينية ، مسقطين ما حدث فى أوربا على الإسلام ، وفى مقال بعنوان : « لا دين بغير دنيا ولا دنيا بغير دين » ذهب الشيخ محمد عبد المطلب - الأستاذ فى كلية دار العلوم - إلى أن منشأ الفصل بين الدين والدنيا كان فى أوربا لظروف تتصل بالكنيسة والعداوة بين رجال الدين وزعماء الإصلاح الذين أشعلوا الحرب على الدين ، هذه الظروف لم يكن لها مثل فى التاريخ الإسلامى حتى العصر الحديث^(٣) .

وهاجمت المجلة أنصار التجديد فى تركيا وبلاد الأفغان ومصر ، وأشار فكرى يس إلى أن حركة التجديد فى مصر يقتصر القائمون على أمرها فى نشر الآراء الخليعة وإذاعة

(١) الهداية الإسلامية ، ج ٥ ، م ٢ ، شوال ١٣٤٨ هـ .

(٢) الهداية الإسلامية ، ج ٢ ، م ٤ ، رجب ١٣٤٩ هـ .

(٣) الهداية الإسلامية ، ج ٩ ، م ٤ ، صفر ١٣٥١ هـ ، وج ١ ، جمادى الآخرة ١٣٤٧ هـ .

الأفكار السيئة ، وتحجيد أعمال المجنون ، وتأيد دعاة الانحراف والتحول ^(١) ودعا إلى تضافر جهود العلماء والأمراء للقضاء على كل ما يصدر عن أصحاب هذه الدعايات المغرضة من الأضاليل والأكاذيب التي يلبسونها ثوب التجديد والإصلاح وهى منه براء ، وعلى سبيل المثال : الدعوة إلى تمصير اللغة العربية والآداب العربية ، التي ترمى إلى هدم قواعد اللغة العربية والاستعاضة عنها باللغة العامية الدارجة ، الخالية من قيود النحو والصرف والعروض والقوافي ، والتي تدل إما عن جهل أصحاب هذه الدعوة بالفصحى أو أنهم معاول هدم وتخريب للآداب العربية ولغة القرآن الكريم ^(٢) ، أو أن المراد منها تمزيق الشعوب الإسلامية ؛ وذلك لأن اللغة العربية هى الرابطة الأولى التي تربط الشعوب الإسلامية بعضها ببعض ، وأن الدعوة إلى تركها أو استبدال غيرها بها قطع لهذه الرابطة ^(٣) .

ولهذه الأسباب كان دفاع مجلة الهداية الإسلامية عن الفصحى وعلومها ، وحينما ذهب الدكتور طه حسين مندوبا إلى مؤتمر المستشرقين السابع عشر بجامعة أكسفورد ، وألقى هناك محاضرة بعنوان : « ضمير الغائب واستعماله اسم إشارة فى القرآن الكريم » ونشرت مجلة الرابطة الشرقية هذه المحاضرة ، انبرى الشيخ محمد الخضر حسين للرد على ما جاء فيها من أغلاط نحوية ، وما وقع فيه الدكتور طه حسين من عثرات تخالف القواعد النحوية المشهورة ، وأبرز الشيخ الخضر آراء النحويين فى الرد على طه حسين ، واشتمل هذا الرد على ٣٢ صفحة من صفحات الهداية الإسلامية ^(٤) .

كذلك فندت الهداية الإسلامية ما ذهب إليه الدكتور طه حسين فى تعارض الدين مع العلم ، وأثبت الشيخ محمد عبد المطلب أنه ليس ثمة تعارض بين الدين والعلم ؛ لأن الدين الحق لا يتعارض مع العلم الصحيح ، فكلاهما يعملان على صلاح الدنيا وسعادتها ^(٥) .

وإزاء هجوم التيار العلماني على تقاليد المسلمين وعاداتهم ومعتقداتهم وانتشار صيحات التغريب والمتغريب فى مصر والتي تنادى أن الحياة الشرقية يجب القضاء عليها والاستعاضة عنها بحياة الغرب جملة وتفصيلا ، دعت الهداية الإسلامية إلى رفض هذا

(١) الهداية الإسلامية ، ج٣ ، ١م ، شعبان ١٣٤٧ هـ ، مقال بعنوان : « حركات التجديد فى البلاد الإسلامية » لفكرى يس .

(٢) الهداية الإسلامية ، ج١ ، ١م ، جمادى الآخرة ١٣٤٧ هـ .

(٣) الهداية الإسلامية ، ج٢ ، ٤م ، رجب ١٣٤٩ هـ .

(٤) الهداية الإسلامية ، ج٢ ، ١م ، رجب ١٣٤٧ هـ .

(٥) الهداية الإسلامية ، ج١ ، ١م ، جمادى الآخرة ١٣٤٧ هـ .

التقليد الأعمى لعادات الغربيين ، وكان رأى الشيخ عبد الوكيل جابر - أحد أساتذة الأزهر المشهورين - أنه لا ضرر أن نأخذ عن الغرب ما فيه صلاح الأمة الإسلامية ؛ لأن الأمم يعلم بعضها بعضا ، وهذه أمور تقتضيها سنة الحياة ويؤديها التطور التاريخي للحضارات ، ولكن بشرط ألا تنسلخ الأمة من عقيدتها ومبادئها وعاداتها ومظاهر قوميتها ، فالأهم على حد قوله : « تفنى إذا تنازلت عن شخصيتها وبهرها التقليد الأعمى » (١) .

وفى مقال آخر بعنوان : « مدنية أوروبا الحاضرة وكيف وصلت إليها » أكد فيها وجهة نظره السابقة فى أن الأمم تأخذ عن بعضها ، مشيرا إلى أن أوروبا مدينة بمدنيته الحاضرة وتقدمها الباهر للشرق وعلمائه وبخاصة علماء العرب والإسلام ، ومن ثم فالأجدر بالمسلمين إحياء مجد الآباء والأسلاف والعمل على نبذ الخمول والكسل ، لا أن يرمى المسلمون فى أحضان الغرب والأخذ عنه بلا تفرقة بين الصالح والفساد ، والحسن والقيح .

وقد دعت الهداية الإسلامية إلى الرجوع إلى الشريعة الإسلامية فى كل الأمور وترك القوانين الغربية ، وناشدت العلماء والحكام أن يعملوا على أن تكون القوانين فى مصر مستمدة من التشريع الإسلامى واستنكرت كل مظاهر الخروج عن الشرع الإسلامى فى العادات والسلوك والخلق وجميع أنماط الحياة .

وانتقد الشيخ محمد الخضر حسين بعض البدع والخرافات التى أدخلها المتصوفة فى الإسلام كالرقص فى حال الذكر ، واستعمال الآلات المطربة فى المساجد ، وتأويل بعض الآيات والأحاديث على وجوه توافق أذواقهم ومواجيدهم (٢) ، وكشف الشيخ السيد الطويل عن المفاصل التى تحدث أثناء الاحتفال بالمولد النبوى الشريف ، وموالد الأولياء ومظاهر البعد عن الدين فيها ، مما يتناقض مع ما تحلّى به أولياء الله من التقوى والعناية بصالح الأعمال (٣) .

ومن الأدوار البارزة لمجلة الهداية الإسلامية محاربة تبرج المرأة المسلمة وخروجها سافرة فى الأزقة والأسواق والمجتمعات ، ومهاجمة الحركة النسائية فى مصر ، التى كانت تعقد المهرجانات النسائية ، التى تظهر فيها المرأة عارية الوجه والساقين فى مظهر غير إسلامى ، لأن الإسلام نهى عن التبرج والسفور ، والآيات القرآنية والأحاديث النبوية واضحة فى هذا الشأن ، فلا مبرر لتحجيد السفور والدعوة إليه إلا الفرار من حدود هذا

(١) الهداية الإسلامية ، ج٤ ، ١م ، رمضان ١٣٤٧ هـ .

(٢) الهداية الإسلامية ، ج٢ ، ٢م ، رجب ١٣٤٨ هـ ، وجه ، ١م ، شوال ١٣٤٧ هـ .

(٣) الهداية الإسلامية ، ج٣ ، ٣م ، شعبان ١٣٤٩ هـ .

الدين ، وإسلام العنان للنفس فى تطبيق قواعده حسب الأغراض والأهواء (١) .

وأسهمت الهداية الإسلامية مع غيرها من المجالات الإسلامية فى الدعوة إلى إصلاح التعليم فى الأزهر ، وتوجيه عناية وزارة المعارف إلى الاهتمام بالتعليم الدينى فى مدارس الحكومة ، وقدمت بعض الفتاوى الدينية فى المسائل الدينية المستحدثة ، كزكاة الأوراق النقدية ، وبعض المسائل الأخرى المتعلقة بالدين .

ومن القضايا المهمة التى أدت مجلة الهداية الإسلامية فيها دورا كبيرا قضية ترجمة القرآن الكريم ، فقد أثيرت هذه القضية بين علماء الدين أنفسهم وانقسموا إزاءها إلى ثلاث فرق ، فريق يرى جواز الترجمة الحرفية لنص القرآن العربى ، وفريق يرى ترجمة تفسير القرآن مع بقاء النص العربى ، وفريق يرى عدم جواز الترجمة مطلقا ، ويلاحظ أن الهداية الإسلامية أيدت الفريق الأخير على أساس أن الرسول ﷺ لم يفعل ذلك ، فلو كانت الترجمة جائزة لأمر الرسول سلمان أن يترجم القرآن بالفارسية ، وبلا لا بالحبشية ، وصهيبا بالرومية ، ولكن الرسول ﷺ كان يكتب رسائله بالعربية ، ومن ثم لا تجوز ترجمة القرآن الكريم (٢) ، وسوف يتناول البحث هذه القضية بالتفصيل فى فصل خاص بها .

وفى إطار الدفاع عن الدين الإسلامى تصدت الهداية الإسلامية أيضا للرد على بعض الشبهات التى كانت تثار حول الدين الإسلامى ، والفرق الهدامة التى تنتسب إليه وهى تعمل على هدمه ، وقد تولى الشيخ صادق عرجون الحديث عن نشأة البابية والبهاية فى سلسلة مقالات نشرتها الهداية حول نشأة البابية والبهاية وكيفية انتشارها ، مشيرا إلى خروج هذه النحلة عن الإسلام ، فهى تنكر البعث والحشر والعقاب والقيامة واليوم الآخر ، وكشف عن زيف دعوتهم إلى توحيد الأديان وقال : « إنهم يريدون هدم الأديان لا توحيدها » (٣) .

وهكذا نرى أن أبرز الموضوعات والقضايا التى عالجتها مجلة الهداية الإسلامية يمكن ذكرها فيما يلى :

١ - التصدى لدعاة العلمانية والإلحاد ، والدفاع عن الأزهر وعلمائه ، ومواجهة النزعة التى ترمى إلى فصل الدين عن الدولة ، وبيان جهل أصحاب هذه النزعة بحقيقة

(١) الهداية الإسلامية ج٤ ، ٣م ، رمضان ١٣٤٩ هـ ، وج٤ ، ٢م ، رمضان ١٣٤٨ هـ ، وج٣ ، ١م ، شعبان ١٣٤٧ هـ .

(٢) الهداية الإسلامية ، ج١١ ، ٣م ، ربيع الآخر ١٣٥٠ هـ ، وج٢ ، ١م ، رجب ١٣٤٧ هـ .

(٣) الهداية الإسلامية ، ج٢ ، ٤م ، رجب ١٣٤٩ هـ ، وج٩ ، ٤م ، صفر ١٣٥١ هـ .

الإسلام وهدايته ، وكشف زيف الدعوات الخبيثة التى يدعو لها تيار التغريب فى مصر ، تحت ستار الإصلاحات الاجتماعية والنهضات الأدبية كالدعوة إلى تمصير اللغة العربية والأدب العربى ، والدعوة إلى السفور والاختلاط بين الجنسين وتقليد الحضارة الغربية بحسناتها وسيئاتها ، والفصل بين العلم والدين .

٢ - المشاركة فى الحركة الإصلاحية التى تهدف إلى إصلاح التعليم فى الأزهر والمدارس العمومية ، وإصلاح الطرق الصوفية ، والعمل على تنقية التصوف من البدع والخرافات كالرقص فى الذكر ، واستعمال آلات الطرب ، وغير ذلك مما لم يتسم به أصحاب رسول الله ﷺ ، وبيان زيف المذاهب الهدامة التى تنتسب إلى الإسلام وهى فى الحقيقة معاول هدم له كالبابية أو البهائية ، وغير ذلك من البحوث الإسلامية التى تتناول علاقة الإسلام بجميع شؤون الحياة وإسهامه فيها ، ودوره فى الرقى الاجتماعى والاقتصادى والسياسى ، والتصدى لأية شبهة تلقى حول الدين ، وما يوجه إليه من مطاعن .

٤ - صحيفة الشبان المسلمين

أنشأت هذه الصحيفة جمعية الشبان المسلمين التي تأسست في عام ١٩٢٧م ، كان على رأسها في بداية إنشائها مجموعة من رجال الحزب الوطنى ، وهم الدكتور عبد الحميد سعيد ، والدكتور يحيى أحمد الدرديرى ، والشيخ عبد العزيز جاويش ، وانضم إليها فيما بعد مجموعة من المفكرين وعلماء الدين والكتاب ، مثل : أحمد تيمور ومحب الدين الخطيب ، والدكتور على مظهر ، والدكتور محمد أحمد الغمراوى ، ومحمد الهياوى ، وعلى شوقى ، ومحمود محمد الخضرى ، ومحمود محمد شاكر ، وكمال اللبان ، ومصطفى محمود القياض ، وزكى القاضى ، وعبد السلام هارون ، وعبد المنعم خلاف ، ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، وتوفيق أحمد ، وعبد الهادى أبو زيد وغيرهم .

وقد برزت هذه الجمعية كرد فعل يحقق رغبة الشباب المسلم المتحمس لدينه ، ومعهم الغيورون على الدين من ذوى العلم والمنزلة الاجتماعية ليمارسوا من خلالها الوعظ والإرشاد والتوجيه ، ومقاومة موجة الإلحاد والفساد التى عمت البلاد ، إضافة إلى ذلك النشاط التبشيري الذى استفز مشاعر المسلمين فى مصر فى نهاية العشرينات ، وحوادث الخروج عن الدين ، وتهجم المبشرين على الإسلام من خلال ما يشونه فى كتبهم وما ينشرونه فى مجلاتهم ورسائلهم ومحاضراتهم من نقد وتشويه وطعن لتعاليم الإسلام ورسوله ﷺ ، وخضوع المغرب العربى لهجمة استعمارية ودينية من قبل فرنسا ، ثم إعدام عمر المختار فى ليبيا^(١)، كل ذلك أدى إلى خلق المناخ لإنشاء جمعية الشبان المسلمين ، وبعض المنظمات الإسلامية الشعبية الأخرى التى تعمل لخدمة الإسلام كجماعة الإخوان المسلمين وغيرها .

ذاع صيت جمعية الشبان المسلمين ولاقت إقبالا من الشباب المصرى المسلم المتمسك بدينه وانتشرت أيضا دعوتها بين شباب المسلمين خارج مصر ، ولم يمض وقت كبير حتى أصبح للجمعية فروع فى مصر وسوريا والعراق ، وبلغ عدد جمعياتها إلى عشرين جمعية فى أوائل الثلاثينات .

وحصرت الجمعية نشاطها من خلال بيان المساوى الاجتماعية التى دعت إلى تجنبها ، والتى تمثلت فى الجهل المنتشر والتقليد لسيئات المدنية الغربية وتقصير الطائفة المتعلمة فى واجبها نحو محاربة البدع ، والتدهور الدينى والخلقى الذى هدم الأسرة ، وهدد المجتمع

(١) عواطف عبد الرحمن : مصر وفلسطين ، مرجع سابق ، ص ٧٩ .

بالفناء ، ورات أن العلاج يكمن فى تعاليم القرآن الكريم والسنة النبوية المباركة ، وأن الإسلام صالح لكل زمان ومكان ، ولا يقف فى سبيل التقدم والإصلاح والمدنية الحققة ، وقد عبر عن ذلك الدكتور يحيى الدرديرى فى مقالاته الافتتاحية بالمجلة قائلا : « القرآن الكريم هو مفتاح السعادة ، ويجب أن يحمله كل مسلم ويعمل بأوامره ، وينتهى عن نواهيه ، وقد ساد به المسلمون فى صدر الإسلام حينما أحلوا حلاله وحرّموا حرامه ، وهلك المسلمون اليوم حينما تركوا أحكامه . . والقرآن الكريم جمع بين دفتيه جميع الحلول التى تتطلبها الإنسانية لتبرأ من أمراضها المستعصية » (١) .

ويمكن تلخيص أهداف جمعية الشبان المسلمين فيما يلى :

١ - إحياء المدنية الإسلامية ، وبعث الروح الإسلامية وعزة الإسلام بإعادة تشريعه وتطبيق أوامره ومراعاة آدابه ونواهيه .

٢ - مقاومة الإلحاد والإباحية التى استشرت بين الشباب فى مصر والعالم العربى .

٣ - السعى لتقوية الأمم الإسلامية بالمعارف والتواصل الذى يرفع مستواها العلمى والاقتصادى والاجتماعى .

٤ - بذل الجهد فى توثيق رابطة الإخاء بين جميع المسلمين ، وإزالة الجفاء والاختلاف بين طوائفهم وفرقهم ، والدعوة إلى الجامعة الإسلامية الشاملة (٢) .

وقد أصدرت جمعية الشبان المسلمين العدد الأول من مجلة الشبان المسلمين فى جمادى الأولى ١٣٤٨هـ أكتوبر ١٩٢٩م ، مجلة إسلامية علمية تهذيبية ، تصدر مرة واحدة فى أول كل شهر عربى ، ورئيس تحريرها المسؤول الدكتور يحيى أحمد الدرديرى (٣) ، ويحررها نخبة من أعضائها ، وهى مجلة تتألف من ثمانين صفحة ،

(١) الشبان المسلمون ، ج١ ، ٩م ، رجب ١٣٥٦ هـ ، أكتوبر ١٩٣٧ م .

(٢) أنور الجندي : يقظة الفكر العربى ، مرجع سابق ، ص ٦٦ ، ٦٧ .

(٣) الدكتور يحيى أحمد الدرديرى : حصل على الدكتوراه فى الحقوق والليسانس فى العلوم السياسية من سويسرا وألمانيا ، ولما عاد إلى مصر انضم إلى الحزب الوطنى ، وعنى بالدراسات الإسلامية ، وأصبح من دعاة الإسلام ، واشترك فى إنشاء جمعية الشبان المسلمين وعمل مراقبا عاما لها ، وكان يكتب المقالات الافتتاحية لمجلة الشبان المسلمين ، وشارك فيها بمقالاته أيضا ، وقد تميز أسلوبه بالاعتدال ، والعمق والكتابة فى أناة ومعالجة المسائل دون عنف ، مستشهدا فى حلولها بآيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية وأقوال مشاهير المفكرين المسلمين والغربيين فيما يتعلق بالمسألة التى يعالجها ، وكان يؤمن بالحل الإسلامى لجميع ما تعانى مصر من مشاكل .

انظر: محمد فتحى شعير: وسائل الإعلام المطبوعة لدى الإخوان المسلمين ، مرجع سابق ، ص ٢٠٠ .

ضمت كل صفحة منها نهرا واحدا ، وكانت تطبع فى المطبعة السلفية لصاحبها محب الدين الخطيب .

إخراجها :

اتبعت المجلة فى طريقة إخراجها الطريقة المتبعة فى إخراج الكتب والتى تسمى الطريقة الأفقية ، ولم تستخدم الأعمدة ولا العناوين الفرعية ، وخلت من وسائل الإبراز والجذب الصحفى كالرسوم والصور والكاريكاتير وغيرها .

الغلاف :

كانت المجلة تحاط بغلاف من ورق مميز أحيانا باللون الأحمر وأحيانا بغيره من الألوان ، وتلجأ إلى وضع البيانات الخاصة بالمجلة وسط زخرفة إسلامية تدل على قبلة المسلمين ، وفى بداية كل جزء فهرست يضم الموضوعات المشورة فيه .

يلى صفحة الغلاف الصفحة الأولى التى تقسم كما يلى : الربع الأعلى من الصفحة يكتب عليه شعار المجلة « مجلة الشبان المسلمين » مجلة إسلامية علمية تهذيبية وبيانات أخرى عن الإصدار والتحرير ، يلى ذلك « العنق » وهو الإطار الذى يوضع بداخله تاريخ العدد ورقمه ، أما القسم الباقى من الصفحة فخصص لمقالات المجلة الافتتاحية ، والتى كان يحورها فى الغالب الدكتور يحيى الدرديرى .

الإعلانات :

وقد خلا العدد الأول للمجلة من الإعلانات ، وبدأت منذ العدد الثانى لها تنشر بعض الإعلانات عن العيادات الطبية ، التى جعلت لأعضاء جمعية الشبان المسلمين امتيازاً خاصاً ، ثم توسعت بعد ذلك فى الإعلانات لتغطية نفقات المجلة التى كانت تربو على دخلها ، بالرغم من أن الذين يتولون تحرير المجلة لا يتقاضون أجراً أو مكافأة ، وكانت الخسارة تتحملها الجمعية من ميزانيتها الخاصة (١) .

كتاب المجلة :

تولى تحرير مجلة الشبان المسلمين طائفة من الكتاب الذين جمعوا بين الثقافة الدينية والثقافة العصرية ، وكانوا يرون أن الحل الصحيح لإصلاح حال المسلمين يتركز فى الرجوع إلى القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ، مع الأخذ من علوم العصر بما ينفع الأمة ويفيدها .

(١) الشبان المسلمون ، افتتاحية ج-٣ ، ٦م ، شعبان ١٣٥٣ هـ ، ديسمبر ١٩٣٤ م .

ومن أبرز هؤلاء الكتاب : الدكتور يحيى الدرديرى ، والشيخ عبد الوهاب النجار ، والدكتور ابن أكثم ، وأحمد عبد الحميد المهندس ، وإبراهيم حسن خطاب، ومحمود حفنى ، وأحمد زكى ، وإبراهيم اللبان ، وأحمد عفت ، ومحمود فريد ، والشيخ حسن منصور ، ومحمد بك مظهر سعيد ، والسيد إسماعيل العطاس ، والشيخ عبد الرشيد إبراهيم ، والشيخ حسن البنا ، وعبد الكريم السكرى ، ومحمد جمال الدين ، والشيخ صالح الشهابى ، والشيخ محمد بخيت ، والشيخ محمد أحمد عثمان ، ومحمد الناعى ، ومحمد أحمد الغمراوى ، والشيخ محمد عبد المطلب ، ومحمد قدرى ، والدكتور عبد الحميد سعيد ، وعلى محمد شاكر ، والدكتور إبراهيم طنطاوى ، والدكتور محمد محفوظ ، ومحمد على علوبة باشا ، ومحمود غنيم .

وبلاحظ أن المجلة لم يكن لها هيئة تحرير ثابتة لتولى الكتابة فى المجلة ، وإنما كان هؤلاء الكتاب يرسلون بإنتاجهم ومقالاتهم دون مقابل من الأجر ، ومعظمهم كان من الأعضاء المنتسبين إلى جمعية الشبان المسلمين .

أسباب صدور المجلة وهدفها :

حدد الدكتور يحيى الدرديرى خطة المجلة وسبب صدورها فى أول عدد من صدورها تحت عنوان : « حاجتنا إلى الإصلاح ، مبدؤنا وخطتنا » وذكر أنه من الأسباب التى دعت إلى صدورها هى :

١ - الخلل والانحلال الذى أصاب الأمة الإسلامية فى حياتها الاجتماعية والضعف والوهن الذى طرأ عليها نتيجة للجهل المنتشر بين أفراد الأمة ، وتقليدنا لسيئات المدنية الغربية .

٢ - إهمال الفئة المتعلمة القيام بواجباتها نحو محاربة البدع والضلالات التى سرت فى جسم الأمة سريان الحمى فى جسم المريض دون أن تجد أدنى مقاومة .

٣ - فضلا عن ذلك كانت حركة التجديد أو التغريب وهجومها على الدين سبب فى صدور مجلة الشبان المسلمين ، فقد صرح الدكتور الدرديرى فى معرض الحديث عن صدور المجلة أن « التجديد أصبح سلاحا فى يد الضعفاء والأغرار ، يأتون به ما يأتونه من منكرات ، وما يذيعونه من سموم الإلحاد ، متنكرين للفضيلة التى هى قوام الأمة ، وأساس تقدمها الاجتماعى والاقتصادى ، مما أسهم فى تدهورنا الأخلاقى ، وتفكك أواصر الأسرة المسلمة » (١) .

(١) الشبان المسلمون ، ج ١ ، ١م ، جمادى الأولى ١٣٤٨ هـ ، أكتوبر ١٩٢٩ م .

هدف المجلة :

وكان من أبرز أهداف « الشبان المسلمين » :

١ - معالجة العلل والأمراض الاجتماعية التي تفشت في الأمة المصرية والدعوة إلى التخلق بأخلاق القرآن الكريم وآدابه ، فهو كتاب يدعو إلى جماع الفضائل في أعلى مراتبها وذلك لعدة أسباب :

أ - أدب القرآن مؤسس على الدعوة إلى الصلاح والعمل لخير الجميع .

ب - أدب القرآن قائم على حرية العلم والفكر وهما أساس النهضة الصحيحة .

ج - أدب القرآن يدعو إلى التسامح ، وارتباط الإنسانية بعضها ببعض (١) .

٢ - أعلنت « الشبان المسلمين » أنها لن تخوض في السياسة والصراعات الحزبية ومشاكلها (٢) ، غير أنه من خلال الممارسة العملية تطرقت إلى بعض القضايا التي تمس الشؤون السياسية ولا سيما فيما يتصل بالعقيدة الإسلامية ، كطرح مسألة تطبيق الشريعة الإسلامية ، وفكرة الخلافة الإسلامية ، والتنديد بسياسة الإنجليز في فلسطين والسياسة الفرنسية في المغرب العربي .

وقد أحدث صدور مجلة « الشبان المسلمين » صدى واسعا لدى الصحف الإسلامية المعاصرة ، ولاقت ترحيبا وإقبالا من الأوساط الصحفية والإسلامية ، ومنذ صدور العدد الأول لها قرظتها « الفتح » وعرضت لما نشرته في عددها الأول، مشيرة إلى أنها لم تقتصر على الأمور الأدبية وحدها بل جاءت شاملة لكل ما ليس للشباب المسلم غنى عنه، من دين وأدب وعلم وفن وتراجم وأنباء ، فمن مقال للأستاذ الشيخ عبد الوهاب النجار في سيرة سيد المرسلين ، إلى محاضرة للعلامة أحمد زكي باشا عن هيكل سليمان ، ومن بيان منشأ التعاون وعمله في الإصلاح ، إلى الكلام عن مصر الاقتصادية ومكانتها في العالم ، إلى ذكر الحركة الفكرية في المغرب الأقصى ، إلى علم النفس وأثره في الشفاء من بعض الأمراض (٣) .

اهتمامات المجلة في فترة صدورها :

كان في مقدمة اهتمامات الشبان المسلمين في مرحلة ما بين الحربين : التصدي لدعاة

(١) العدد السابق نفسه .

(٢) الشبان المسلمون ، ج١ ، ٣م ، ذو الحجة ١٣٥١ هـ ، مايو ١٩٣٢ م .

(٣) الفتح ، عدد ١٦٧ ، جمادى الأولى ١٣٤٨ هـ ، ٣ أكتوبر ١٩٢٩ م .

التغريب والعلمانية ، الذين ينادون إلى اقتباس كل ما أتى به الغرب من نظم وطرائق فى كل مرافق الحياة وأنماطها ، ومن أبرز من تصدى لتلك الوجهة على صفحات الشبان المسلمين الدكتور يحيى الدرديرى الذى انتقد هذا المسلك وتلك النظرة ؛ لأن فى النظم الغربية - برغم تقدمها العلمى والصناعى - ما لا يتفق مع الروح الإسلامية والشرقية ، ورأى أن أولى خطوات الإصلاح ونهضة المسلمين تكمن فى إيقاظ الروح الإسلامية التى قوامها الفضيلة وغايتها العمل الصالح ، فالإسلام يدعو إلى خير الأعمال وأرقى الاخلاق، ويعمل على نشر السلام وكل ما يتوقف عليه سعادة الأمم الإسلامية (١) .

وليس الأمر - كما يزعم المتفرنجون وأنصار العلمانية - أن سبب تأخر المسلمين يرجع إلى تمسكهم بدينهم ، وأن صلاحهم لا يأتى إلا بترك اعتناق هذا الدين ، وقد أثارت هذه المقولة أنصار الاتجاه الإسلامى ، والغيورين على الدين ، وانبرى الدكتور عبد الحميد السكرى - من جمعية الشبان المسلمين - يفند هذه الشائعة الزائفة ، مبينا أن تأخر المسلمين الحالى لا يرجع إلى نقص فى الشريعة الإسلامية ، أو إلى مبادئ الدين الإسلامى وأصوله ، بل يرجع إلى عدم تطبيق المسلمين مبادئ الإسلام ونظمه الرشيدة وأصوله الصحيحة التى جاءت فى القرآن الكريم والسنة النبوية المباركة فى سلوكهم وأعمالهم (٢) .

ومضت المجلة توضح ضرورة الدين للفرد وأنه جاء لسعادة الإنسان وأن موجة الإلحاد لا تستقر ؛ لأنها بمثابة « غشاوة تحجز بصر الشخص الملحد عن النفاذ إلى التوحيد وحلاوته ، وأن دعوى حرية الرأى التى يتمسك بها الطاعنون فى الدين الإسلامى دعوى غير صحيحة ، ولا ينبغى للمسلمين أن يتركوا هؤلاء الملحدين تحت اسم هذه الدعوى يطعنون فى دينهم وسلوكهم وشرعيتهم » (٣) وذكر الأستاذ محمد الغمراوى « أن هذا لائم كبير يتحمله المسلمون ، وهو كاف وحده لتعريضهم لغضب الله » (٤) .

وأقام الدكتور يحيى الدرديرى الأدلة على فساد دعوة القائلين بتقليد المرأة الشرقية المسلمة للمرأة الغربية فى الخروج إلى العمل ، وذلك من خلال مشاهداته لحال المرأة الأوربية ، وما تعيش فيه من بؤس مادى ومعنوى ، وشن الدكتور الدرديرى حملة شعواء على الذين يطالبون بمساواة المرأة بالرجل فى الميراث وخاصة سلامة موسى الذى قاد

(١) الشبان المسلمون ، ج٢ ، ١م ، جمادى الآخرة ١٣٤٨ هـ ، نوفمبر ١٩٢٩ م .

(٢) الشبان المسلمون ، ج١ ، ٢م ، جمادى الأولى ١٣٤٩ هـ ، أكتوبر ١٩٣٠ م ، مقال : « المقياس الخلقى فى الإسلام » .

(٣) الشبان المسلمون ، ج٧ ، ٩م ، صفر ١٣٥٧ هـ ، أبريل ١٩٣٨م « إفلاس الملحدين » لمسى على نوفل .

(٤) الشبان المسلمون ، ج٨ ، ٩م ، ربيع الآخر ١٣٥٧ هـ ، يونيو ١٩٣٨ م .

الهجوم ضد الشريعة الإسلامية فى السياسة الأسبوعية تحت عنوان : « النهضة النسائية فى مصر تحتاج إلى المطالبة بالمساواة الاقتصادية » ، وتحت عنوان آخر : « النهضة والميراث »^(١) انبرى كذلك للرد على سلامة موسى الشيخ أحمد إبراهيم - أستاذ الشريعة فى كلية الحقوق بالجامعة المصرية ، وعضو مجلس إدارة جمعية الشبان المسلمين - مبينا أنه ليس من حق سلامة موسى كقبطى الحديث فى مسألة تخص المسلمين ، فهذا تدخل لا مبرر له ، وربما أثار فتنا لا محمد عقبها بين المسلمين والأقباط^(٢) .

كذلك استنكرت مجلة الشبان المسلمين هجوم الكتاب الغربيين والأقباط على الدين الإسلامى لإباحته تعدد الزوجات ، وأجلت حكمة التعدد فى الإسلام ، وأن الإسلام أباح التعدد بشرط العدل ، وأمر بالاعتصار على واحدة عند الخوف من عدم تحقيق العدالة بين الزوجين^(٣) . وأتى الدكتور الدرديرى بطائفة من الاستشهادات من أقوال الكتاب الغربيين أنفسهم الذين كتبوا عن فوائد التعدد فى إصلاح الهيئة الاجتماعية والمجتمع الإنسانى كله^(٤) ، وربما كانت هذه الاستشهادات رغم كفاية الأدلة التى أبرزها من الكتاب والسنة وأقوال الفقهاء مبعثها الرد على المتفرنجين والمقلدين للغرب الذين ينادون بالاعتصار على زوجة واحدة .

وفى إطار الحملة على الإسلام وتعاليمه من جانب المتفرنجين والملحدین رمى النبى ﷺ بأنه شهوانى وذلك لتعدد أزواجه ﷺ ، وانبرى للرد على هذه الفرية أيضا الدكتور الدرديرى ، مبينا الأسباب التى دعت ﷺ إلى الجمع بين أكثر من واحدة ، وحكمة هذا الجمع ، مشيرا إلى أن الرسول ﷺ قد تزوج نساء وهو فى سن الشيخوخة لأسباب خاصة بدعوته لا طمعا فى لذة أو استمرار لشهوة ؛ لأن هذا الزواج حدث بعد أن دخل الرسول ﷺ فى الخمسين من عمره ، مما ينفى عنه تهمة التعدد من أجل الشهوة^(٥) .

فضلا عن ذلك ، أعلنت مجلة الشبان المسلمين الحرب على السفور ، وظهور النساء

(١) الشبان المسلمون ج٥ ، ١م ، رمضان ١٣٤٨ هـ ، فبراير ١٩٣٠م « أثر المرأة وما يجب أن يكون عليه » للدكتور يحيى الدرديرى ، وج ١ ، ١م ، مقال بعنوان : « المرأة والميراث فى الإسلام مع مقارنته ببعض الشرائع » شوال ١٣٤٨ هـ ، مارس ١٩٣٠م .

(٢) الشبان المسلمون ، ج٧ ، ١م ، ذو القعدة ١٣٤٨ هـ ، أبريل ١٩٣٠م .

(٣) الشبان المسلمون ، ج٧ ، ٢م ، ذو القعدة ١٣٤٩ هـ ، أبريل ١٩٣١م .

(٤) الشبان المسلمون ، ج٢ ، ٦م ، رجب ١٣٥٣ هـ ، نوفمبر ١٩٣٤م .

(٥) الشبان المسلمون ، ج٣ ، ٦م ، شعبان ١٣٥٣ هـ ، ديسمبر ١٩٣٤م .

عاريات فى المصايف ، والاختلاط بين الجنسين فى المصايف ، والنواذى وأماكن التعليم ولاسيما فى الجامعة المصرية ، وناشدت وزير الداخلية نسيم باشا أن يصدر قرارا يمنع الاختلاط فى المصايف وغيرها (١) .

ومضت المجلة تحارب كل المظاهر السلبية فى المجتمع المصرى ، ومظاهر الخروج عن الدين الإسلامى ، بغية تحقيق الإصلاح الدينى والخلقى والاجتماعى ، الذى تهدف إليه ، ومن هنا كان هجومها على الخمر والحشيش وغيره من السموم البيضاء ، وبيان آثارها المدمرة والخطيرة على صحة الفرد والمجتمع ، ووجهت الأنظار إلى أن الغرب أخذ ينتبه إلى مضار الخمر ، وكان ذلك نتيجة للأبحاث العلمية التى قدمت فى هذا المجال (٢) .

وشاركت الشبان المسلمون أيضا فى محاربة أنصار البغاء ، ومشايخ الطرق الصوفية الذين يقولون بالتوسل والوسيلة ويتمسحون بالقبور ويستغيثون بأهلها ، محتجين على ذلك ببعض الأحاديث الموضوعة التى لم يقرأها أحد العلماء ولم ترد فى كتب الأحاديث الصحيحة (٣) . وشددت التكرير على عادة « الزار » التى انتشرت فى المجتمع المصرى حينذاك ولا سيما فى الريف ، واعتقاد الناس أن الزار له القدرة على إخراج الشياطين من جسم الإنسان ، وبين الشيخ محمد أمين محرر خطأ هذا التصور ، وذهب إلى أن الزار عادة مصرية قديمة لها ارتباط بعقائد الفراعنة المصريين القدماء (٤) .

وقد عنيت المجلة بشرح قواعد الدين الإسلامى ، وتفقيه الناس فى أمور دينهم ، فضلا عما كانت تنشره من موضوعات عن الثقافة العامة فى شتى نواحي الحياة ، يتضح ذلك من عناوين المقالات والمحاضرات التالية : رعاية الطفل ، الغزل والنسيج (٥) ، المنسوجات المعدنية ، عمر الأرض (٦) ، الحصانة الخلقية (٧) وكانت المحاضرات

-
- (١) الشبان المسلمون ، ج١ ، ٧م ، جمادى الآخرة ١٣٥٤ هـ ، أكتوبر ١٩٣٥م ، مقال بعنوان : « الاختلاط فى المصايف » وج٢ ، ٨م ، صفر ١٣٥٦ هـ ، مايو ١٩٣٧م ، مقال بعنوان : « أفلس المرأة ومعها الرجل أفلس » للدكتور يحيى الدرديرى ، وج٢ ، ٧م ، صفر ١٣٥٥ هـ ، مايو ١٩٣٦م .
- (٢) الشبان المسلمون ، ج١ ، ١١م ، ربيع الأول ١٣٤٩ هـ ، أغسطس ١٩٣٠م .
- (٣) الشبان المسلمون ، ج١ ، ٣م ، جمادى الأولى ١٣٥٠ هـ ، أكتوبر ١٩٣١م .
- (٤) الشبان المسلمون ، ج٢ ، ٣م ، جمادى الآخرة ١٣٥٠ هـ ، نوفمبر ١٩٣١م مقال بعنوان : « تاريخ الزار » .
- (٥) الشبان المسلمون ، ج٢ ، ٤م ، شعبان ١٣٤٨ هـ يناير ١٩٣٠م .
- (٦) الشبان المسلمون ، ج٥ ، ١م ، رمضان ١٣٤٨ هـ ، فبراير ١٩٣٠م .
- (٧) الشبان المسلمون ، ج٩ ، ١م ، محرم ١٣٤٩ هـ ، يونيو ١٩٣٠م .

المحاضرات التي تلقى في نادى جمعية الشبان المسلمين وتنشرها المجلة ، ذات أثر طيب في تفقيه الجماهير وإرشادهم ، وتكوين رأى عام تجاه القضايا الإسلامية المختلفة ، وكان يلقي هذه المحاضرات كبار المفكرين في العالم الإسلامى ، وتتناول هذه المحاضرات كل ألوان الثقافة ، من دينية وتهذيبية وخلقية وغيرها . وهذه نماذج مما ألقى في الجمعية من محاضرات :

- ١ - الإسلام دين حضارة ومدنية للأستاذ مختار المهندس .
- ٢ - قبائل البقارة السودانية للأستاذ عبد الحميد محمود السكندرى .
- ٣ - الدعوة المحمدية والقتال في الإسلام للشيخ محمود شلتوت .
- ٤ - الشباب وأثره في حاضر الأمة ومستقبلها للأستاذ أحمد كامل عفيفى .
- ٥ - حالة المسلمين في الهند لمحمد يعقوب .
- ٦ - الإسلام والمسيحية للمسلم الهولندى فان يتييم محمد على .

وكانت الشبان المسلمون تعقد بابا خاصا عن عظماء الرجال في العالم من مفكرين ومخترعين وباحثين وعلماء وغيرهم ، وأفردت المجلة بابا يعنى بالكشف عن الأحاديث الموضوعية والأسباب التي تؤدي إلى وضع الأحاديث والغرض من وضعها وبيان خطورتها، مع تقديم نماذج للأحاديث الموضوعية ، كذلك قدمت المجلة تفسير بعض آيات القرآن الكريم ، وتولى تفسير القرآن الشيخ حسن منصور من علماء دار العلوم ، فضلا عن أنه كان يتولى الرد على الفتاوى التي ترد إلى المجلة من القراء ، ودأبت الشبان المسلمون على الدعوة إلى التمسك بالدين ، والاعتصام بما جاء من مكارم الأخلاق والأخذ بسنته الخالدة، والمطالبة بإصلاح القضاء على أساس إسلامى ونبد القوانين المستوردة ، والمحاكم المختلطة والامتيازات الأجنبية في الديار المصرية ، وتطوير الآراء الفقهية بما يتلاءم مع العصر ، وفى ضوء القواعد الأساسية للإسلام ، والتأكيد على عروبة مصر ، ومحاربة الدعوات الانفصالية التي تهدف إلى عزل مصر عن العالمين الإسلامى والعربى^(١).

وفى مجال إصلاح التربية والتعليم أسهمت الشبان المسلمون بقدر كبير ونشرت سلسلة مقالات بعنوان : « أخطاء التعليم وكيف نربى شبابنا » للشيخ حسن محمود علم

(١) الشبان المسلمون ، ج١ ، م٧ ، جمادى الآخرة ١٣٥٤ هـ ، أكتوبر ١٩٣٥ م ، سلسلة مقالات بعنوان : مأسى العلماء فى ساحة القضاء ، و ج١ ، م٥ ، ربيع أول ١٣٥٣ هـ ، يوليو ١٩٣٤ م المحاكم المختلطة والامتيازات الأجنبية : كلمة الدكتور عبد الحميد سعيد فى مجلس النواب ، الشبان المسلمون ، و ج٢ ، م٢٠ ، نوفمبر ١٩٣٠ م .

الدين ، وجه فيها القائمين على أمور التعليم فى مصر إلى العناية بالواجبات الدينية ، وتزويد الطلاب بالأخلاق الفاضلة وقوة الشخصية ، وبعث النشاط العلمى والقدرة على الابتكار ودقة الملاحظة وحب الاستطلاع ، وربط التعليم بأمور الحياة الدنيوية (١) .

وكتب الشيخ حسن البنا ينادى بالاهتمام بالتربية الدينية الإسلامية، موضحاً أثرها فى حياة الأفراد والأمم (٢) ، وناشد وزارة المعارف أن تولى التعليم الدينى والتربية الإسلامية من الاهتمام اللائق بأثره فى تهذيب النفوس ، وإعطاء التاريخ الإسلامى واللغة العربية قدراً من العناية فى مناهج التعليم والاهتمام بالجانب الخلقى التهذيبى لدى الطلاب (٣) .

ودعا الدكتور الدرديرى إلى تدريس العلوم باللغة العربية فى المدارس المصرية ، بحيث تحل محل اللغة الأجنبية ، وتصدى للرد على الذين يتهمون العربية بالقصور أو عدم الوفاء بمتطلبات العصر والعلوم العصرية والأفكار المستحدثة (٤) .

وفى العشرينات من هذا القرن ازدادت حدة حركة التبشير فى مصر وهجومها على الدين الإسلامى ، وظهرت بعض حوادث الخروج عن الدين الإسلامى ، وعقد المبشرون عدة مؤتمرات كانت أهدافها ترمى إلى تنصير المسلمين ، والعمل على هدم الدين الإسلامى فى البلاد بإيعاز وتأييد من حكومات الغرب الاستعمارية ، ويلاحظ أن مجلة الشبان المسلمين قد أبلت بلاء حسناً فى التصدى لهذه الهجمة التبشيرية ، وخصصت معظم صفحاتها لبيان مخططات المبشرين والكشف عن أساليبهم ، وكتب الدكتور يحيى الدرديرى مشيراً إلى أن الدول الاستعمارية اتخذت طرقاً عديدة لمحو الإسلام وإضعاف المسلمين كان فى مقدمتها الوسائل التالية :

- ١ - بناء مدارس للتبشير فى البلاد الإسلامية .
- ٢ - تأسيس مستشفيات للاستحواذ على فقراء مرضى المسلمين بهدف العلاج .
- ٣ - إرسال بعثات تبشيرية تجوب آفاق البلاد الإسلامية مؤيدة بالحكومات الغربية ومحمية بالامتيازات الأجنبية .
- ٤ - مناصرة فكرة الإلحاد ونشرها بين الطبقات المتعلمة من المسلمين والشرقيين .
- ٥ - ترويج الجرائد والمجلات الخليعة بين الشبان والشابات المسلمات .

(١) الشبان المسلمون ، ج٩ ، ٥م ، صفر ١٣٥٣ هـ ، يونيه ١٩٣٤ م ، وجـ ١٠ ، ٥م ، ربيع أول ١٣٥٣ هـ ، يوليو ١٩٣٤ م .

(٢) الشبان المسلمون ، ج٢ ، ٢م ، جمادى الآخرة ١٣٤٩ هـ ، نوفمبر ١٩٣٠ م .

(٣) الشبان المسلمون ، ج١ ، ٢م ، جمادى الآخرة ١٣٤٩ هـ ، أكتوبر ١٩٣٠ م .

(٤) الشبان المسلمون ، ج٤ ، ١م ، شعبان ١٣٤٨ هـ ، يناير ١٩٣٠ م .

٦ - نشر المواد المخدرة لإضعاف القوة الحيوية فى الشعوب الإسلامية .

٧ - إرسال بعثات تعليمية إلى البلاد الغربية بدعوى تعليمهم والحقيقة أنها لتنصيرهم^(١).

وأشارت الشبان المسلمون أيضا إلى أن المبشرين يستغلون فى تنصير المسلمين طريقة التنويم المغناطيسى ، وأثيرت حادثة من هذا النوع فى مجلس النواب واستغلتها المجلة للتشهير بالمبشرين ، والجامعة الأمريكية بالقاهرة التى اتهمتها بأنها المركز الرئيسى للتبشير فى مصر^(٢) ، ونشرت نص البرقية التى رفعتها جمعية الشبان المسلمين إلى رئيس مجلس الوزراء ، للاحتجاج على المبالغ المدفوعة لحكومة السودان ، تحت اسم نفقات قوة الدفاع وكشفت عن حقيقتها ، بأنها المساعدة الإرساليات التبشيرية فى السودان ، ودعت الأزهر الشريف أن يهتم بإرسال الدعاة إلى تلك المناطق لنشر الدعوة الإسلامية وذلك لمواجهة المبشرين^(٣) .

وهكذا حفلت أعداد الشبان المسلمين بالدعوة إلى مناهضة المبشرين ومقاومتهم وتحذير المسلمين من الوقوع فى براثن شباكههم ، والكشف عن خططهم وأساليبهم ، كذلك استنكرت السياسة التى اتبعتها فرنسا فى تنصير بلاد المغرب العربى ومحاولاتها المستمرة لتغيير العادات والتقاليد الإسلامية بغية قطع الصلة بين المسلمين وأصول دينهم وجذورهم العربية ، وحذرت من هذا الخطر القادم من بلاد الإفرنج للسيطرة على مقدرات الأمة الإسلامية^(٤) .

ومن القضايا المهمة التى أولتها مجلة الشبان المسلمين قدرا كبيرا من العناية والرعاية والمتابعة المستمرة والمتصلة قضية فلسطين ، فقد أفردت لها صدر صفحاتها ، ولا نكون مبالغين فى القول إذا قلنا : إنه لا يكاد يخلو عدد من أعداد الشبان المسلمين من الحديث عن هذه القضية التى احتلت مكانا بارزا فى مواد المجلة التحريرية ، وأضحت الشغل الشاغل لجمعية الشبان المسلمين ومجلتها^(٥) .

واعتادت الشبان المسلمون على أن تنشر فى كل عام نتائج اجتماعات جمعية الشبان المسلمين التى تعقد بمناسبة ذكرى وعد بلفور ، واحتجاجات الجمعية على هذا الوعد المشؤوم واقتراحات أعضائها لمساعدة الفلسطينيين ، ورفع العرائض إلى ملوك ورؤساء

(١) الشبان المسلمون ، ج٩ ، م٢ ، محرم ١٣٥٠ هـ ، يونيو ١٩٣١ م .

(٢) الشبان المسلمون ، ج٨ ، م٣ ، ذو الحجة ١٣٥١ هـ ، مايو ١٩٣٢ م .

(٣) الشبان المسلمون ، ج٥ ، م٨ ، ذو القعدة ١٣٥٥ هـ ، فبراير ١٩٣٧ م .

(٤) الشبان المسلمون ، ج١ ، م٢ ، جمادى الأولى ١٣٤٩ هـ ، أكتوبر ١٩٣٠ م .

(٥) الشبان المسلمون ، ج١ ، م٣ ، جمادى الأولى ١٣٥٠ هـ ، أكتوبر ١٩٣١ م ، وج٣ ، م٢ ، شعبان

١٣٥٢ هـ ، ديسمبر ١٩٣٣ م .

البلاد الإسلامية وحكومات أوروبا وعصبة الأمم لهذا الغرض (١) .

وقد دافعت الشبان المسلمون عن أحقية المسلمين والعرب في البراق الشريف ، واستنكرت الاعتداءات اليهودية على مكان البراق ، وحذرت من عاقبة هذه الفتنة التي أثارها اليهود ، ومن مجيء الصهاينة إلى فلسطين ، ومن الهجرات المتزايدة التي تشكل خطرا على قضية فلسطين ، ونوهت بخطورة بيع الفلسطينيين لأراضيهم إلى اليهود (٢) .

ومضت تؤيد الحركة الوطنية الفلسطينية في المؤتمرات والمحافل الدولية، وتنشر بياناتها واحتجاجاتها على الاعتداءات اليهودية، وسلبية الحكومة الفلسطينية (٣). ودعا الدكتور يحيى الدرديري على صفحات مجلة الشبان المسلمين إلى الجهاد الإسلامي المقدس لإغاثة الفلسطينيين، ونعى على المسلمين تقاعسهم ونكوصهم عن نصره لإخوانهم الفلسطينيين (٤) .

وهكذا نرى أن الشبان المسلمين لم تتوان عن خدمة القضية الفلسطينية في شتى جوانبها ، وتقديم العون والمساعدة لقضايا العالم الإسلامي في المغرب العربي .

وبعد هذا العرض لما قدمته مجلة الشبان المسلمين في فترة صدورهما حتى قيام الحرب العالمية الثانية ، نستطيع أن نوجز أبرز ما اهتمت به خلال تلك الفترة فيما يلي :

١ - الرد على دعاة التغريب والعلمانية ، وتسفيه أقوالهم والكشف عن زيفها ، ومقاومة ما تنشره الصحف العلمانية في مصر ، والاهتمام بالموضوعات المتصلة بالمرأة ورفض دعوى السفور والاختلاط بين الجنسين ودعوى مساواة الرجل بالمرأة في الميراث ، ومحاربة كل مظاهر الخروج عن الدين الإسلامي والمظاهر السلبية في المجتمع المصري ، والمشاركة في الإصلاح الديني والاجتماعي والخلقي ، ومحاربة الهجمة التبشيرية على مصر والتصدى للمبشرين .

٢ - الاهتمام بالحركات السياسية والفكرية في كل أقطار العالم الإسلامي ، والدعوة إلى تعاون الشرقيين عامة والمسلمين خاصة للقيام بالمشاريع الاقتصادية والاجتماعية حتى تلحق الأمة الإسلامية بركب الحضارة العالمية .

٣ - الاهتمام بقضية فلسطين على وجه الخصوص واستنكار الاعتداءات اليهودية على البراق الشريف ، وتأييد الحركة الوطنية الفلسطينية ، فضلا عن قضايا المسلمين بالخارج .

(١) الشبان المسلمون ، ج ٥ ، ص ٥ ، شوال ١٣٥٢ هـ ، فبراير ١٩٣٤ م .

(٢) الشبان المسلمون ، ج ١ ، ص ١٠ ، جمادى الأولى ١٣٤٨ هـ ، أكتوبر ١٩٢٩ م .

(٣) الشبان المسلمون ، ج ١ ، ص ٣ ، جمادى الأولى ١٣٥٠ هـ ، أكتوبر ١٩٣١ م .

(٤) الشبان المسلمون ، ج ١٠ ، ص ٧ ، ربيع الآخر ١٣٥٥ هـ ، يوليو ١٩٣٦ م .

٥ - صحيفة نور الإسلام « الأزهر »

صدرت صحيفة نور الإسلام عن الجامع الأزهر ، وهى أول صحيفة يصدرها الجامع الأزهر فى مصر بعد صحيفة المؤتمر الإسلامى التى لم تستمر فى الصدور ، فقد صدر العدد الأول منها فى أكتوبر ١٩٢٤ م ، ثم صدر منها خمسة أعداد أخرى خلال عامى ١٩٢٥ ، ١٩٢٦ م .

وتجدر الإشارة هنا إلى أن الأزهر قد أدى دورا كبيرا فى نهضة الصحافة الإسلامية فى مصر ، فقد حمل الأزهر لواء الصحافة الإسلامية فى مصر ، وحماية الفكر الإسلامى واللغة العربية ، ومقاومة النفوذ الأجنبى ، برغم الكثير من العقبات التى أقامها النفوذ الاستعمارى فى وجه الأزهر ، حتى لا يكون عاملا مؤثرا فى الحياة الاجتماعية والفكرية فى مصر والأمة العربية والعالم الإسلامى ، وقد قدم الأزهر إلى الحياة الفكرية المصرية عديدا من الأعلام والقادة فى مختلف النواحي السياسية والصحفية والعلوم والآداب (١) . وكان معظم محررى الصحف من علماء الأزهر ، حتى يمكن القول إنه خلال الفترة السابقة لظهور الجمعيات والهيئات الإسلامية التى تشكلت فى العشرينات والثلاثينات من هذا القرن كان الأزهر وحده هو حامل لواء الثقافة الإسلامية والعربية ، والمدافع عن الفكر الإسلامى فى الصحافة ، ومنابر التوجيه الأخرى .

ولما رأى الأزهر أن الساحة الفكرية فى مصر تموج بتيارات عديدة فى مختلف الأغراض والاتجاهات ، منها ما كان يقدم آراء تتعارض مع الفكر الإسلامى ، ومنها ما حاول أن يدلى بدلوه فى القضايا الإسلامية والفكرية من منظور إسلامى ، وتنوعت الصحف التى تمثل كل اتجاه من هذه الاتجاهات ، رأى الأزهر أن تكون له صحيفة تنطق باسمه ، وظهرت صحيفة الأزهر باسم « نور الإسلام » مجلة دينية علمية خلقية تاريخية حكمية ، تصدرها مشيخة الأزهر فى كل شهر عربى ، وتطبع بمطابع المعاهد الدينية الإسلامية ، وصدر أول عدد منها فى محرم ١٣٤٩ هـ ، يونيه ١٩٣٠ م ، ورأس تحريرها الشيخ محمد الخضر حسين .

أسباب صدور المجلة وهدفها :

صرح الشيخ محمد الخضر حسين - رئيس التحرير - أن أسباب صدور هذه المجلة هو :

١- تعرض الدين الإسلامى للهجوم من قبل طائفة الملحدون والعلمانيين الذين ناصبوا

(١) أنور الجندى : يقظة الفكر العربى ، مرجع سابق ، ص ٧٤ ، ٧٥ .

الإسلام العداء فى الصحف والمجلات ، وفيما يصدر من مؤلفات .

٢ - الذود عن حمى الشريعة الإسلامية ، وتقرير حقائق الدين على وجهها الصحيح ، ومواجهة نشاط البعثات التبشيرية فى مصر ، والعمل على هداية الناس وإرشادهم إلى الحق ، والدعوة إلى الله بالتى هى أحسن .

وهذا ما جعل مشيخة الأزهر تعنى بإصدار صحيفة تنطق باسم الأزهر ، وقد عرض عبد العزيز بك مدير المجلة الاقتراح على المجلس الأعلى للمعاهد الدينية ، فعهد إليه بوضع تقرير فى مشروع هذه المجلة ، وفى ٨ محرم ١٣٤٦ هـ ، ٢٧ يوليو ١٩٢٧ م عرض هذا التقرير على المجلس ، وتشكلت لجنة من أصحاب الفضيلة المدير العام للمعاهد الدينية الشيخ أحمد هارون ، وشيخ معهد الإسكندرية الشيخ محمد عبد اللطيف الفحام ، ووكيل الجامع الأزهر ، وشيخ معهد طنطا الشيخ عبد الغنى محمود ، وقدمت هذه اللجنة نتيجة البحث للمجلس ، ثم أدرج مبلغ للإنفاق على هذه المجلة فى ميزانية عام ١٩٢٩ م ، ولم تظهر المجلة إلا فى عام ١٩٣٠ م ، حينما أسندت مشيخة الأزهر إلى الشيخ محمد أحمد الظواهرى (١) .

هدف المجلة :

- ١ - نشر آداب الإسلام وإظهار حقائقه نقية من كل لبس .
- ٢ - الكشف عما أُلصق بالدين من بدع ومحدثات .
- ٣ - التنبيه على ما دس فى السنة من أحاديث موضوعة .
- ٤ - دفع الشبه التى يحوم بها مرضى القلوب على أصول الشريعة الإسلامية .
- ٥ - العناية بسير العظماء من رجال الإسلام .
- ٦ - نشر المباحث القيمة فى العلوم والآداب .
- ٧ - لا تتعرض المجلة للشؤون السياسية أو مهاجمة الأديان أو الطعن فى رجال الدين والتعريض بهم .
- ٨ - تباعد عن إثارة الفتن بين أبناء الوطن الواحد .

وقد قبل صدور مجلة نور الإسلام من الجماهير القراء العريضة بفرحة غامرة ، عبروا عنها من خلال البرقيات التى وصلت إلى إدارة المجلة ، سائلين فيها الله أن يبدد بها ظلمات الشبهات التى أحاطت بالمسلمين . ونوه رشيد رضا بشأن هذه المجلة قائلاً :

(١) نور الإسلام ، ج١ ، ١م ، محرم ١٣٤٩ هـ .

«فوجود مجلة لمعهد الجامع الأزهر أمنية قديمة لنا ولكثير من مفكرى المسلمين ومحبي الإصلاح للعمل على نشر الإسلام والدفاع عنه ، ولا سيما فى هذا العصر الذى فشا فيه الإلحاد ونشر شبهاته والدعوة إليه فى جميع البلاد ، ونشط دعاة النصرانية فى محاولة تنصير المسلمين فى جميع الأقطار بمساعدة دولهم وأغنيائهم » ، وأعلن رشيد رضا أنها ستحل محل المنار بعد موته ، وعبر عن سروره بإنشاء المعهد الإسلامى الأكبر فى مصر لمجلة إسلامية يرجى دوامها بدوامه (١) .

وتولى مدير ادارة نور الإسلام عبد العزيز محمد من أعضاء المجلس الأعلى للأزهر .

الغلاف والحجم :

ظهرت المجلة فى حجم الفلوسكاب ، وكان غلافها من الورق المقوى الأخضر الشكل توزع عليه البيانات الدالة على المجلة ، وفى وسطه الأعلى يكتب شعار المجلة بالخط الثلث « مجلة دينية علمية خلقية تاريخية حكمية » وأسفل الشعار : تصدرها مشيخة الأزهر الشريف غرة كل شهر عربى .

طريقة الإخراج :

كانت المجلة تصدر فى ٨٠ صفحة تأخذ شكل الكتاب فى تسلسل صفحاته ، وتتابع موضوعاته ، ولم تكن « نور الإسلام » بالإخراج قدر عنايتها باختيار الموضوعات ، فكان الإخراج يأتى فى درجة أخيرة ، واتبعت فى طريقة إخراجها الطريقة الأفقية ، فضلاً عن ذلك لم تهتم المجلة بوسائل الإبراز والصورة الصحفية التى استخدمتها الصحف المعاصرة والتنوع فى الأبناط الصحفية ، واستخدام العناوين المختلفة الأشكال والأحجام ولأنها صحيفة رأى فقد احتل المقال الصحفى حيزاً كبيراً من صفحاتها .

وقد تغير اسم المجلة إلى « الأزهر » منذ العدد السادس من السنة السادسة لصدورها جمادى الآخرة ١٣٥٤ هـ ، ١٩٣٥ م ، وأصبح فريد وجدى مدير إدارة المجلة ورئيس تحريرها ، ومضت المجلة فى سياستها التحريرية السابقة لم تتغير ، وأعلنت الحرب على المذهب المادى ومهاجمة الماديين والإلحاديين الذين يزعمون أن جميع الكائنات نشأت بغير قصد ، وأنه لا إله ، والكون مادة . ففندت المجلة كل ذلك ، وعملت على تأكيد إثبات أن الخالق لهذا الكون هو الله - عز وجل - وهو المتفرد بالصنع والإتيان (٢) .

(١) المنار ، ج٢ ، ٣١م ، ربيع الأول ١٣٤٩ هـ ، أغسطس ١٩٣٠ م .

(٢) الأزهر ، ج١ ، ٦م ، محرم ١٣٥٤ هـ مقال بعنوان : « حكم العلم على الفلسفة المادية » بقلم محمد فريد وجدى .

أبرز كتّاب المجلة :

لما كانت مجلة الأزهر هي لسان حال الأزهر ، والمعبرة عن رأيه فيما يطرح من قضايا، ويثار من مشكلات ، فقد تولى مشايخ الأزهر تحريرها مع مجموعة أخرى من المفكرين خارج الأزهر ، وكان من أبرز من كتبوا في المجلة هم : الشيخ محمد الحضر حسين ، ومحمد فريد وجدى ، والشيخ عبد الواحد إبراهيم ، والشيخ محمد عرفة ، والشيخ عبد الرحمن الوريدى ، والشيخ محمد البهى ، والشيخ عباس طه ، والشيخ طه حبيب ، والشيخ محمود دقيق ، والشيخ محمد مصطفى المراغى ، والشيخ محمد أحمد العدوى ، ومحمد فهمي عبد اللطيف ، والشيخ سيد عفيفى ، والشيخ حسن خطاب الوكيل ، والشيخ عبد العزيز الجعدى ، والدكتور محمد غلاب ، والدكتور عبد العزيز إسماعيل ، والشيخ على سرور الزنكلونى ، والشيخ عبد الفتاح بدوى ، والشيخ عبد الجواد رمضان ، والشيخ عبد الجليل عيسى ، والشيخ محمود شلتوت ، والشيخ يوسف الدجوى ، والشيخ محمد عرنوس ، والشيخ عبد المجيد اللبان ، والشيخ عبد الله صيام ، والشيخ إبراهيم الجبالى ، والشيخ صادق عرجون ، والشيخ شحاته محمد الجوينى ، والشيخ حسن منصور ، والشيخ محمد بخيت مفتى الديار المصرية ، ومحمد سليمان ، وعلى إسماعيل ، ومحمد أحمد الغمراوى ، وأحمد المراغى ، وفكرى يس ، ومحمد كيلانى سالم ، والسيد عبد العزيز الثعالبي ، وأمين الخولى ، وعبد القادر المغربى ، وزكى مبارك ، ومحمد الحسينى رخا ، وعلى الجندى ، ومصطفى أبو على ، ومحمد الأسمر ، ومحمود شكرى .

اهتمامات مجلة الأزهر في فترة صدورها :

في مقدمة الموضوعات التى عنت بها مجلة الأزهر تفسير القرآن الكريم ، والسيرة النبوية ، وبيان ما فى القرآن والسنة النبوية المشرفة من أصول الأخلاق الفاضلة وقواعد الآداب الكريمة التى ينبغى لكل مسلم أن يسلكها ، وكان يقوم بتفسير القرآن الكريم عالمان جليلان هما : الشيخ حسن منصور - وكيل دار العلوم - والشيخ يوسف الدجوى من علماء الأزهر ، وخصصت المجلة بابا فى كل عدد من أعدادها لشرح بعض الأحاديث النبوية والتأكيد من صحتها من حيث السند والرواية ، وحفلت الأزهر بالمقالات والبحوث الدينية ، يتضح ذلك من عناوين المقالات الآتية :

أدلة وجود الله^(١)، الانحراف عن الدين : علله وآثاره ودواؤه ، البعث ، الزكاة ، الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان^(٢) ، علاقة الأخلاق بالشريعة الإسلامية

(١) نور الإسلام ، ج١ ، ١م ، محرم ١٣٤٩ هـ .

(٢) نور الإسلام ، ج٢ ، ١م ، صفر ١٣٤٩ هـ .

والقانون الوضعي ، مولده ﷺ ، الدين ضروري للعمران^(١) ، فضلا عن ذلك ، فقد أولت اهتماما بالمناسبات الدينية كالمولد النبوي ، والإسراء والمعراج ، والهجرة ، وشهر رمضان ، وكانت تنشر بعض المحاضرات التي تلقى عن هذه المناسبات في الاحتفالات الدينية ، التي يقيمها الأزهر الشريف لهذا الغرض^(٢).

واحتوت مجلة الأزهر على بعض الفصول المترجمة من الكتب الأجنبية التي تتحدث عن الإسلام ، على سبيل المثال : ترجمت الفصل العاشر من كتاب السيرة النبوية لرينيه وسليمان بن إبراهيم الجزائري ، ونشرته في حلقات متتابعة من العدد الأول محرم ١٣٤٩ هـ ، وتناولت أيضا تاريخ الإسلام والفتوحات الإسلامية ، ونشرت سلسلة مقالات عن أثر الثقافة الإسلامية في تطور النهضة الفكرية كتبها الشيخ صادق عرجون^(٣).

ومنذ العدد الثاني من السنة الثانية لصدور المجلة ، بدأت تنشر بعض الموضوعات الدينية باللغة الإنجليزية والعربية ، وتخصصت هذه الموضوعات في شرح الأحاديث والآيات القرآنية باللغة الإنجليزية ، وقد أنشئ في المجلة قسم خاص للترجمة حتى تكون متصلة بالحركة الفكرية في البلاد الأوروبية ، ويقوم هذا القسم بترجمة ما يجيء في الصحف الأجنبية من مباحث علمية أو مقالات صحفية تتحدث عن الإسلام ، وترجمة بعض المقالات النافعة من الكتب الأجنبية^(٤).

وخصصت نور الإسلام بابا للفتاوى والأحكام ترد فيه على أسئلة القراء ، وكان أبرز من تولى الرد على الفتاوى الشيخ محمد عبد اللطيف الفحام ، والشيخ يوسف الدجوى ، وبالإضافة إلى عناية المجلة واهتمامها بالثقافة الدينية ، فقد عنت أيضا ببعض الموضوعات التي تتصل بالثقافة العامة كالكهرباء والجاذبية ، والطرق الحديثة في الحفظ والتعليب ، وصناعة الورق ، وتأثير أشعة رونتجن على الجراثيم ، وتأثير درجة الحرارة على النباتات ، وتأثير المضغ في الانتفاع بالأغذية ، واكتشاف أدوية لمكافحة الملاريا وغير

(١) نور الإسلام ، ج٣ ، ١م ، ربيع أول ١٣٤٩ هـ .

(٢) الأزهر ، ج٦ ، ٩م ، ذو الحجة ١٣٥٦ هـ ، مارس ١٩٣٨ م ، مقال بعنوان : « حديث الهجرة » للشيخ إسماعيل جاب الله ، و ج١ ، ٩م ، محرم ١٣٥٧ هـ . محاضرة بعنوان : « لا علاج لأدواء المسلمين إلا أن يكونوا مسلمين » ألقاها الشيخ أحمد محمد شاكر في الاحتفال بذكرى الهجرة النبوية ، و ج٩ ، ٩م ، رمضان ١٣٥٧ هـ حديث شيخ الجامع الأزهر عن رمضان للشيخ المراغي .

(٣) نور الإسلام ، عدد ٩ ، ١م ، رمضان ١٣٤٩ هـ .

(٤) نور الإسلام ، عدد ٥ ، ١م ، جمادى الأولى ١٣٤٩ هـ ، مقال بعنوان : « القسر والحرية في التربية » للدكتور جراد بواه الألماني ، ونشرت المجلة مقتطفات من كتاب « تاريخ الأدب العربي » للمستشرق الألماني بروكلمان ، و ج٤ ، ٦م ، ربيع الآخر ١٣٥٤ هـ .

ذلك مما كان يحرره قسم الترجمة بالمجلة ، أو يترجمه عن بعض الجرائد والمجلات الأجنبية ، وفي إطار العناية بالموضوعات الإسلامية ، اهتمت المجلة بأحوال المسلمين في الدول العربية والإسلامية ، والأقليات الإسلامية في الخارج ، وتناول قضاياهم كمسلمي روسيا ، والمسلمون في يوغسلافيا ، وتركيا والهند وأسبانيا والبرتغال (١) .

وقد تولت نور الإسلام الرد على تيار الإلحاد ودعائه من العلمانيين والملحدين الذين يروجون لمفهوم مؤداه : أن يتحكم العقل والعلم في مسيرة الحياة دون مراعاة لنصوص الدين وأوامره ، وبتعبير آخر فصل الدين عن شؤون الحياة ، وبرع في الرد على هؤلاء الشيخ محمد الخضر حسين ، والشيخ محمد البهي ، والشيخ يوسف الدجوي الذي فند هذه الدعوى ، وأكد أن العقل والعلم يلحقهما القصور عن بلوغ هذه الغاية ، وأن بعض المسائل العلمية كثيرا ما تكون في محل الأخذ والرد فتحسب من العلم ، مع أنها في أول مراحل البحث العلمي (٢) .

وهاجم الشيخ محمد الخضر حسين الذين يزعمون أن الجمع بين السلطتين الدينية والزمينة من جملة المسيبات لتأخر المسلمين ، واتهمهم بالمروق عن الدين لأنهم يذهبون إلى أن أحكام الدين الإسلامي وأصوله في القضاء والسياسة غير كافية بمصالح الناس ، وغير صالحة للعصر الحاضر ، وينادون بالأخذ عن القوانين الغربية التي تناقض الشريعة الإسلامية بحجة الإصلاح والتجديد (٣) . وفسر الدكتور محمد البهي هذا المنحى من دعاة التجديد والعلمانية قائلا : إن الصورة في ذهن الشرقي عن أوربا صورة مبالغ فيها نحو الكمال والرقى الإنسانى بفضل الدعاية الثقافية والأدبية التي تقوم بها الأفلام السينمائية ومدارس الإرساليات الأجنبية ، والنشرات والكتب التي تحمل طابع البحث العلمي (٤) . بالإضافة إلى أن الذين حملوا النهضة المدنية المصرية هم جماعة من المتخرجين من المدارس الأوربية والأجنبية دون دراية بأداب الدين ، فحدادوا عن طرق الإصلاح الصحيحة ، فكانت الإشكالية أن الذين يتزعمون الإصلاح لا يعرفون الدين الإسلامي وأحكامه ، والذين يعرفون الدين وأحكامه بعيدون عن الخوض في شؤون الحياة المدنية ؛ ولهذا طالب الشيخ محمد الخضر حسين علماء الدين أن يكونوا على بصيرة مما يكتبه أنصار التيار العلماني أو يحاضروا به في النوادي مع بيان خطره ، ويعرضون حكم الدين فيما يثيرون من قضايا وآراء (٥) .

(١) نور الإسلام ، ج٣ ، ١م ، ربيع الأول ١٣٤٩ هـ .

(٢) نور الإسلام ، ج٥ ، ١م ، جمادى الأولى ١٣٤٩ هـ .

(٣) نور الإسلام ، ج٥ ، ٢م ، جمادى الأولى ١٣٥٠ هـ مقال بعنوان : « ضلالة فصل الدين عن السياسة » .

(٤) نور الإسلام ، ج٢ ، ٩م ، صفر ١٣٥٧ هـ .

(٥) نور الإسلام ، ج٤ ، ٢١م ، ربيع الآخر ١٣٤٩ هـ مقال بعنوان : « الدين والعلم » .

ومن هذا المنطلق كانت حملة الشيخ محمد الخضر حسين على محمد فريد وجدى - وهو من أنصار التيار الإسلامى - حينما كتب فى مجلة الحديث السورية فى شهر ديسمبر ١٩٢٩م تحت عنوان : « روح العصر الحاضر نفحة إلهية » يمدح فيها المدنية الغربية المعاصرة ، واتهمه الشيخ الخضر بأنه انحرف عن الطريق الإسلامى ، وسار فى طريق التجديد المزعوم ، ولكن الجدير بالذكر هنا ومن تتبع كتابات فريد وجدى - الذى اتهمه الشيخ الخضر بالسير فى طريق التجديد - أنه لما تولى رئاسة تحرير المجلة وجدنا له أدبيات تنفى عنه هذا الزعم ، وكان من أبرز الذين أشعلوا الحرب على الفلسفة المادية العلمانية وعلى تلك الطائفة التى تلقت العلم فى أوروبا وتثير على الدين الشبهات وتشكك العامة فى أمور دينهم ، وقال : « إنهم يفسدون العقائد ويعدون القلوب للإلحاد » (١) . وانتقد ما كتبه الفيلسوف الكبير جيو فى كتابه : « اللادينية المستقبلية » والذى ذكر فيه أن الأديان ليست من أصل علوى بدليل أنها نشأت ساذجة مبهمة ، ثم ترقى وتركب على مقتضى نوااميس منتظمة عامة ، وصرح فريد وجدى فى معرض رده على جيو : « أن هذا لا يصح أن يكون دليلا على أن الدين أصله أرضى ، فإن العقل الإنسانى نفسه نشأ ساذجا مبهما ثم ترقى وتركب على مقتضى نوااميس منتظمة ، والعقل ليس بأرضى الأصل لأنها مجردة منه . . فالحكم على الدين بأنه أرضى لا علوى حكم لا يسيغه عقل لا تقبله فلسفة إلا الفلسفة المادية العلمانية » (٢)

كذلك تصدى فريد وجدى لبعض العلمانيين المصريين الذين يعترضون على تطبيق الشريعة الإسلامية والحدود الإسلامية فى الزنا والقذف والسرقة والإفساد فى الأرض وغيرها ، وأشار إلى ذلك قائلا : « إنهم أباحوا الزنا وشرب الخمر ، وقرروا على القذف والسرقة والإفساد فى الأرض عقوبة لا تتناسب وخطورها ، وكان من جراء ذلك أن انتشرت الجرائم فى العالم المتمدن الذين يريدون لنا تقليده انتشارا مزعجا ، ولا يمر يوم دون أن يزداد المجرمون عددا » (٣) .

ومضت مجلة الأزهر تهاجم تقليد المصريين للإفرنج فى التبرج والعري والسفور والاختلاط بين الجنسين ، وغشيان الملاهى والمراقص والمجاهرة بالفسوق ، والجري وراء الموضة ، وبيوت الأرياء الأجنبية ، والدعوة إلى أن تأخذ المرأة المصرية طابع المرأة الأوروبية الغربية مهما كلفها ذلك من عناء ومجافاة لعادات وطنها ، وإسراف فى التقليد الأعمى ،

(١) الأزهر ، ج ٥ ، م ٧ ، جمادى الأولى ١٣٥٥ هـ « لماذا يصادف أكثر الشاكين فى المعلمين » فريد وجدى .

(٢) الأزهر ، ج ٨ ، م ٩ ، شعبان ١٣٥٧ هـ .

(٣) الأزهر ، ج ٥ ، م ٩ ، جمادى الآخرة ١٣٥٧ هـ ، « الروح الإسلامية ومدى تأثيرها فى النفس البشرية » لمحمد فريد وجدى .

واتباع مشورة الوصى الغربى^(١) ، فى حين أن المرأة المصرية تتمتع فى ظل الإسلام بحقوق لم تتلها المرأة الأوربية حتى ذلك الحين ، فقد اعتبر الإسلام المرأة مستقلة فى نظر القانون ، وأعطاهما حق الحياة لأملأها ، وجعلها مسؤولة عما تدخل فيه من الالتزامات المادية فى حين أن الحال ليست كذلك فى نظر أوربا النصرانية ، ففى أغلب الممالك الأوربية تنتقل ملكية أملاك المرأة إلى زوجها عند الزواج ، وفى إنجلترا تصبح المرأة فى نظر القانون العام هى وزوجها شخصا واحدا وليس لها الحق فى التمسك أو الدخول فى الالتزامات المالية وغيرها^(٢) .

وقال الدكتور محمد البهى : « إن علاقة الرجل بالمرأة فى أوربا هى أقرب إلى علاقة مادية منها إلى علاقة نفسية روحية ، فلا تتمتع المرأة فقط فى التصرف فى أمورها الاقتصادية ، بل عليها بحكم العرف - والعرف قانون - أن تؤسس لخطبتها بيت الزوجية » . وأضاف : « إنه إذا كان التصرف المالى للمرأة هو الحرية الديمقراطية النسوية فى القرن العشرين ، فللمرأة المسلمة أن تعتر بتمتعها بهذه الديمقراطية منذ القرن السابع الميلادى »^(٣) .

وكان موضوع البغاء الرسمى الذى أدخله الأجانب إلى مصر من المواضيع التى حظيت باهتمام مجلة الأزهر ، وقدمت فيه حكم الإسلام والشرعية ، وبيان ما فى البغاء من مفسدات دينية وصحية وأخلاقية واجتماعية^(٤) . وتولت الدفاع عن الشرعية الإسلامية ، وبيان مفسدات النظريات والمذاهب الموجودة فى العالم ، وأنه لا يصلح لإقامة العدل وتحقيق الإصلاح المنشود فى مصر إلا تطبيق شرع الله وحدوده التى جاء بها القرآن الكريم والسنة النبوية المباركة^(٥) .

وعلى صفحات مجلة الأزهر أعلن الشيخ المراغى شيخ الأزهر - فى حديث له مع مندوب جريدة البورص اجبسيان - أنه « يجب أن تسيطر تعاليم الإسلام على الحياة الاجتماعية فى مصر ؛ لأن غالبية الشعب تدين بالإسلام ، كما أن الدين الرسمى هو الإسلام ، وأن القرآن الكريم يعنى بكل حاجات الفرد والجماعة ، وقد احتاط لكل شىء وتوفر على كل الأحكام »^(٦) ، « ومن مبادئه محو الفروق الجنسية واللغوية والدينية

(١) نور الإسلام ، ج ٥ ، م ١ ، جمادى الأولى ١٣٤٩ هـ ، مقال بعنوان : « خلاعة النساء تقودنا إلى الهاوية » لعلى الجندى .

(٢) نور الإسلام ، ج ١٠ ، م ٦ ، شوال ١٣٥٤ هـ .

(٣) نور الإسلام ، ج ٢ ، م ٩ ، صفر ١٣٥٧ هـ « الحرية والديمقراطية للمرأة الأوربية » لمحمد البهى .

(٤) نور الإسلام ، ج ٦ ، م ٢ ، جمادى الآخرة ١٣٥١ هـ .

(٥) الأزهر ، ج ٥ ، م ٩ ، جمادى الأولى ١٣٥٧ هـ ، « المقومات الشرعية فى الإسلام » لمحمد فريد وجدى .

(٦) الأزهر ، ج ١ ، م ٩ ، محرم ١٣٥٧ هـ ، « الشريعة الإسلامية والتشريعات الحديثة » .

واللونية ، وأنه يبغض النعرات القومية ، ولا فرق في عرف الإسلام بين أبيض وأسود ، وأن جميع البشر ينتسبون إلى أب واحد وأم واحدة ، ولا يتميز بعضهم على بعض إلا بالمميزات الأدبية والروحية (١) .

وتابعت مجلة الأزهر حركة التبشير النصراني في العالم الإسلامي ، وأشارت إلى أن المبشرين يدبرون الخطط لمضاعفة الجهود لتنصير أرجاء الأقطار الإسلامية ، ونقلت عن مجلة العالم الإسلامي - التي يحررها القس زويمر - مؤامرات التبشير على العالم الإسلامي (٢) . وكتب الأستاذ على الجندى مشيراً إلى أن المبشرين يتذرعون لنفث سمومهم بإنشاء المستشفيات والمدارس ، ويستغلون حاجة الناس للعلاج والتعليم ، ويقومون بتلقيحهم النصرانية ، وضرب على ذلك مثلاً بمستشفى أمريكي تسمى «هنري» أنشئت في مدينة أسيوط لهذا الغرض (٣) .

ونددت بالمؤتمر الأفخارستي الذي أقامه الكاثوليك الفرنسيون من رهبان وقساوسة في قرطاجنة ، إحدى المدن التونسية ، وقررت أنه مظهر من مظاهر العمل لتنصير المسلمين في البلاد التونسية وشمال إفريقيا (٤) .

وبالإضافة إلى مهاجمة أعمال المبشرين وفضح أساليبهم ، والكشف عن أهدافهم في تنصير المسلمين ، دأبت مجلة الأزهر على الرد على شبه المستشرقين والمؤلفات الأجنبية ، وكان محمد فريد وجدي في مقدمة الذين برزوا في هذا المجال ، فقد فند فريد وجدي ادعاءات اسياه يومان - العالم الجغرافي الأمريكي - في كتابه المسمى : « العالم الجديد » والذي تعرض فيه للدين الإسلامي ، واتهمه بأنه دين يهدف إلى الإغارة على العالم غير الإسلامي وإخضاع أممه وشعوبه لحكم المسلمين ، وقد وصف هذا المستشرق الدين الإسلامي بأنه خطر على المدنية الإنسانية ، وعلى النظم الاجتماعية ، وتزعّم فريد وجدي الرد على هذه الشبهات مؤكداً على أن الأجانب من المستشرقين وغيرهم إنما يكتبون عن الإسلام بروح غير صافية ، وبعضهم يكتب عنه وهو غير فاهم لحقائقه وأصوله ، وأكد فريد وجدي أن الإسلام ليس ديناً يقوم على سفك الدماء كما زعم المستشرق الأمريكي ، وإنما الإسلام يقوم على دعوة الناس كافة إلى تعارف عام ، بعيداً عن الأوهام القومية ، والنزعات العرقية ، والفوارق الجنسية واللغوية . . ويدعو إلى وحدة الدين ويقرر أن الله

(١) الأزهر ، جـ ٢ ، م ٩ ، صفر ١٣٥٧ هـ ، « مقومات التكامل الاجتماعي » لفريد وجدي .

(٢) نور الإسلام ، جـ ١ ، م ١٠ ، محرم ١٣٤٩ هـ ، مقال بعنوان : « ليست بمستشفيات ولا مدارس ولكنها معاهد تبشير » .

(٣) نور الإسلام ، جـ ٣ ، م ١٠ ، ربيع أول ١٣٤٩ هـ .

(٤) نور الإسلام ، جـ ٩ ، م ١٠ ، رمضان ١٣٤٩ هـ .

أوحى إلى أنبيائه جميعا ديناً واحداً ، وأن الإسلام هو ذلك الدين الفطرى الأول فى نكاته ومبادئه العالفة ، وأن المسلمين هم الذين أنقذوا المدنية الإنسانية من التلاشى ، وحفظوا العلم من الزوال ، وكانوا سبباً فى ازدهار المدنية الإنسانية وتطورها (١) .

كذلك دحض فريد وجدى ما كتبه اندريه هارفيه فى جريدة « كوكب الشرق » المصرية من شبهات كاذبة على الإسلام ، وصم فيها الدين الإسلامى بنقائص واتهامات كثيرة ، وكان لمجلة الأزهر أيضاً الفضل والسبق فى مقاومة الحملات ، والشبهات التى تثيرها مجلة العالم الإسلامى التى تصدر فى الولايات المتحدة الأمريكية ، فقد كتب فى هذه المجلة المستر فرنك فوستر عن تاريخ الرسول ﷺ سلسلة مقالات اشتملت على بعض المطاعن والمغامز فى حق الرسول ﷺ ، وفيها اتهام النبى بالكذب ، والتشكيك فى أميته ، ومصادقية القرآن الكريم ، وغير ذلك من الشبهات التى عرضها محمد فريد وجدى وقام بالرد عليها ، وتفنيدها ودحض أسانيدھا وبيان كذبھا وعدم موضوعيتها (٢) .

ومن الموضوعات التى أولتها مجلة الأزهر قدراً من العناية والمتابعة الدعوة إلى إدخال التعليم الدينى فى المدارس الحكومية ومحاربة المدارس الأجنبية ، والدفاع عن اللغة العربية الفصحى ، وذهب الشيخ محمد الخضر حسين إلى أن العلاج الشافى لكل أمراض الأمة أن يكون التعليم الدينى شاملاً (٣) . وفى مقال آخر بعنوان : « التعليم الدينى فى مدارس الحكومة » أشار إلى أنه لم يتفشّ الزيغ والإلحاد إلا بوجود المدارس التى يفتحها الأجانب فى أوطاننا باسم العلم ، وهى فى الحقيقة لتغيير الهوية الإسلامية والوطنية ، وتغيير عقائد الناس ، وناشد الشيخ الخضر ملك البلاد أن يكون للتعليم الدينى فى المدارس شأن لا يقل عن شأن غيره من العلوم النافعة فى الحياة ، ولا يكفى فى تعليم الدين أن تكون له جامعة كالأزهر ، وإنما الخير أن تكون روح الدين سارية فى نفوس الأمة كلها (٤) .

ودافعت الأزهر عن اللغة العربية التى تعرضت فى تلك الفترة لثورة عامة من قبل دعاة الإصلاح الأدبى ، فنادى بعضهم بإحلال العامية محل الفصحى فى المعاهد والمدارس تلقيناً وتديساً بدعوى أن بعض الشعوب تخلت عن لغاتها ، وانبرى للرد على

(١) الأزهر ، ج٥ ، م٦ ، جمادى الأولى ١٣٥٤ هـ ، سلسلة مقالات بعنوان : « دحض شبهات عن الإسلام » لفريد وجدى .

(٢) الأزهر ، ج١ ، م٦ ، شعبان ١٣٥٤ هـ ، وج٩ ، م٦ ، رمضان ١٣٥٤ هـ ، وج١ ، م٧ ، محرم ١٣٥٥ هـ ، وج٤ ، م٧ ، ربيع الآخر ١٣٥٥ هـ ، وج٥ ، م٧ ، جمادى الأولى ١٣٥٥ هـ .

(٣) نور الإسلام ، ج٢ ، م١ ، صفر ١٣٤٩ هـ مقال بعنوان : « الانحراف عن الدين » لمحمد الخضر حسين .

(٤) نور الإسلام ، ج٥ ، م٢ ، جمادى الآخرة ١٣٥٠ هـ ، مقال بعنوان : « التعليم الدينى فى مدارس الحكومة » .

تلك الفرية الشيخ الخضر حسين ، والشيخ صادق عرجون ، وقال الشيخ الخضر : «إنه لو فرضنا أن شعوبا غير عربية تخلت عن لغاتها ، فإن الشعوب التي تنطق اللغة العربية أحرص الناس على حياة لغتهم ، وذلك لأن اللغة العربية لغة القرآن الكريم الذى هو معجزة الرسالة ومطلع الهداية » فضلا عن أن اللغة العربية استوعبت كل العلوم والحضارة لما تتميز به من غزارة مادتها وإحكام أساليبها ، وطالب فى ختام مقاله بتأليف مجمع لغوى ينظر فيما يتجدد من المعانى ويضع لكل معنى لفظا يناسبه .

ورأى الشيخ صادق عرجون أن الهدف من دعوى الإصلاح التى يزعمها أعداء اللغة الفصحى هو القضاء على لغة القرآن الكريم ودفع الشعوب العربية إلى بلبلية بربرية لا أصول لها ولا قاعدة ، فمن هؤلاء من تدفعه إلى ذلك نزعة عنصرية لا تقدر للعلم حرمة ، ومنهم من يدفعه إليه شعور بالعجز عن القيام بأعباء اللغة العربية وقواعدها الفنية من نحو وصرف وبلاغة وأدب وغير ذلك (١) .

أما عن موقف مجلة الأزهر من الدعوة إلى ترجمة القرآن الكريم لغير العربية فقد اتسم بالتناقض ، فقد رفض الشيخ محمد الخضر حسين ترجمة القرآن الكريم لغير العربية لأنها - فى رأيه - غير ميسورة ؛ لأن للقرآن معانى أصلية ومعانى ثانوية التى يسميها علماء البلاغة مستتبعات التراكيب وهى خواص النظم التى يرتفع بها شأن الكلام ، وترجمة القرآن بالنظر إلى المعانى الثانوية غير ميسورة إلا أن توجد لغة توافق اللغة العربية فى دلالة ألفاظها على هذه المعانى المسماة عند علماء البيان خواص التراكيب ، وذلك ما لا يسهل على أحد ادعاؤه (٢) .

ولكن عندما تولى رئاسة تحرير مجلة الأزهر فريد وجدى ، تبنت المجلة الدعوة إلى ترجمة القرآن الكريم ، وكان من الذين أيدوا الترجمة ودعوا إليها الشيخ محمد مصطفى المراغى وفريد وجدى ، وقد نشرت مجلة الأزهر بحثا مستفيضا عن إمكانية ترجمة القرآن الكريم ، كتبه الشيخ المراغى نفسه وذلك بمناسبة شروع الأزهر بالاشتراك مع وزارة المعارف فى ترجمة القرآن الكريم إلى أشهر اللغات الأوربية ، وفى هذا البحث اتهم الشيخ المراغى الذين يعارضون الترجمة بأنهم يقللون باب الاجتهاد ، واستدل على جواز الترجمة بإجماع المسلمين على جوازها ، ورأى أنه من الخير أن توفر لقراء الأجنبية ترجمة للقرآن يحصلون منها على طلاوة معانيه وتأثيرها على النفوس (٣) .

(١) الأزهر ، ج ١ ، ٩م ، محرم ١٣٥٧ هـ .

(٢) نور الإسلام ، ج ٢ ، ٢م ، صفر ١٣٥٠ هـ .

(٣) الأزهر ، ج ٢ ، ٧م ، صفر ١٣٥٥ هـ .

وذهب فريد وجدى إلى أن ترجمة القرآن هي تبليغ للأمانة التي كلف الله بها المسلمين ، وتحقيق لمقاصد الدين الإسلامى العالية ، وهذه المقاصد لا تتم إلا بنشر القرآن بعدة لغات أجنبية (١) .

وكان من أبرز ما انفردت به مجلة الأزهر طوال مدة صدورها هو محاربة المذاهب الضالة والنحل المنحرفة والدخيلة على الإسلام ، والكشف عن أهدافها وتتبع ما تنشره من ضلالات وسموم لهدم الإسلام ، وكان على رأس هذه المذاهب البابية والقاديانية والصوفية (٢) .

وبعد هذا العرض لما قدمته مجلة الأزهر على صفحاتها من موضوعات وقضايا نستطيع إيجاز أبرز ما اهتمت به فيما يلى :

١ - تفسير آيات من القرآن الكريم وبيان ما فى الذكر الحكيم والسنة النبوية المشرفة من أصول الأخلاق الفاضلة ، وقواعد الأدب الكريمة التي يجدر بالمسلم أن يتبعها .

٢ - متابعة الحركة الفكرية العالمية وترجمة بعض ما يجيء فى الصحف الأجنبية من مباحث علمية أو مقالات صحفية تتحدث عن الإسلام ، ومقاومة تيار الإلحاد ودعائه من العلمانيين والمليحدين الذين يروجون لفصل الدين عن شؤون الحياة العامة .

٣ - مهاجمة التبرج والعري والسفور والاختلاط بين الجنسين ، ومهاجمة الدعوة إلى تقليد المرأة المصرية للمرأة الأجنبية فى كل أنماط الحياة ، والدفاع عن الشريعة الإسلامية وأصولها وبيان فساد النظريات والمذاهب الوضعية التي تتعارض معها .

٤ - التصدى لحركة التبشير النصراني فى العالم الإسلامى ، وفضح خطط وتآمر المبشرين على المسلمين ، ودحض الشبهات التي يثيرها المستشرقون ضد الإسلام .

٥ - الدعوة إلى إدخال الدين فى المدارس الحكومية ومحاربة المدارس الأجنبية والدفاع عن اللغة العربية ، وبحث مسألة ترجمة القرآن الكريم إلى اللغات الأجنبية ، والتصدى للمذاهب الضالة والحركات الهدامة المنتسبة إلى الإسلام كالصوفية والقاديانية والبائية والبهاية .

(١) ملحق العدد السابق ، ٧م ، صفر ١٣٥٥ هـ .

(٢) سنعرض لموقف مجلة الأزهر من هذه النحل فى فصل قادم .

٦ - صحيفة الإخوان المسلمين

أسست هذه الصحيفة جماعة الإخوان المسلمين التي تكونت فى مدينة الإسماعيلية بزعامة الشيخ حسن البنا^(١) فى عام ١٩٢٨ م ، ثم انتقلت إلى القاهرة فى عام ١٩٣٢ م ، وقد نشأت جماعة الإخوان المسلمين كرد فعل لهجوم المؤثرات الغربية على مصر فى الفكر والعادات والتقاليد ، وتعثر النظام السياسى والاجتماعى القائم على أسس علمانية^(٢) ؛ لذلك أخذت جماعة الإخوان المسلمين على عاتقها مهمة صيانة وحماية وتنقية الإسلام والمجتمع الإسلامى من التأثير الأجنبى^(٣) .

وكانت جماعة الإخوان المسلمين امتدادا لجمعية الشبان المسلمين رغم بقائها ؛ لأنها حملت مبادئ وأهداف دعوة الشبان المسلمين ، وتقدمت بها خطوات إلى الأمام ، وكذلك كانت استمرارا لمواصلة جهود مدرسة المنار الفكرية ، التي كان لها أكبر الأثر على دعوة الشيخ حسن البنا وجماعة الإخوان فيما بعد ، ولعل ذلك يرجع إلى معاصرة حسن البنا للشيخ رشيد رضا وتأثره بالدور الذى أداه فى الدعوة لفكرة الجامعة الإسلامية ، وتصديه للأفكار والممارسات العلمانية ، وتأكيده على أنه لا نجاة بغير العودة إلى القرآن الكريم والسنة المطهرة^(٤) ، واتضح ذلك التأثير بما ورد عن البنا من حضور بعض مجالس

(١) حسن البنا ولد فى قرية المحمودية بمديرية البحيرة ، تلقى العلم فى مرحلته الأولى فى قريته ، ثم تلقى العلم لمدة ثلاث سنوات فى دمنهور فى معهد لإعداد مدرسين للمدارس الابتدائية ، وفى عام ١٩٢٣ م التحق بكلية دار العلوم بالقاهرة وتخرج فيها عام ١٩٢٧ م ، وفى سبتمبر من العام نفسه بدأ العمل مدرسا فى مدرسة ابتدائية حكومية فى الإسماعيلية ، وفى أكتوبر ١٩٣٢ م انتقل من الإسماعيلية إلى القاهرة ليزاول عمله كمدرس بمدرسة عباس بالسيتة ، ثم استقال من التدريس فى عام ١٩٤٦ م ، وتفرغ للنشاط السياسى ، وفى فترة تلقى العلم بالقاهرة كان البنا من أوائل من انضموا إلى جمعية الشبان المسلمين وإلى مجموعة العلماء الذين كانوا يصدرون صحيفة «الفتح» ، وعمل حسن البنا محررا فى صحيفة الفتح ، والشبان المسلمين ، والمنار ، ومنذ تأسيس جمعية الإخوان المسلمين وحتى اغتياله - رحمه الله - كان هو قائدها الأوحد والمرشد العام لها . وكان من أسباب قوة الجمعية وانتشارها ما يكمن فى قدرات المرشد العام الفائقة ، فقد كان - رحمه الله - يتمتع بهمة لا تنفد وذاكرة قوية ، وقدرة بالغة على العمل ، وكان يعرف جيدا تاريخ الإسلام وعلوم الشريعة واللغة والفقه الإسلامى ، وكان خطيبا بارعا ، وكان يمتلك قدرة كبيرة على الكتابة والتحرير الصحفى ، وكان يتمتع بقدرات تنظيمية فائقة .

انظر: الوفد والإخوان المسلمون: تأليف ياجرات سبرانيان، ترجمة بشير السباعى، مرجع سابق، ص ٤٦ ، ود . زكريا سليمان بيومي: الإخوان المسلمون والجماعات الإسلامية ، مرجع سابق ، ص ٨٠ - ٨٥ .

(٢) على شلبى : مصر الفتاة ، مرجع سابق ، ص ٣٨ .

(٣) ماجرات سبرانيان : الوفد والإخوان المسلمون ، ترجمة بشير السباعى ، مرجع سابق ، ص ٢٦ .

(٤) طارق البشرى : المسلمون والأقباط فى إطار الجماعة الوطنية ، مرجع سابق ، ص ٤٩٦ ، ود . زكريا سليمان بيومي : الإخوان المسلمون والجماعات الإسلامية ، مرجع سابق ، ص ٩٠ .

رشيد رضا وقراءته لكثير من أعداد صحيفة المنار ، وإصداره لها بعد موت رشيد رضا - كما ذكرنا من قبل - وأيضا فيما كتبه في صحفه ، وفيما صدر عنه من آراء وفتاوى .

ولذلك قامت جماعة الإخوان المسلمين على النهج نفسه الذى رسمه رشيد رضا فى « المنار » ، فقد كان من الأغراض التى تهدف إليها المنار نشر الإصلاحات الاجتماعية والدينية والاقتصادية وإقامة الحجة على أن الإسلام باعتباره نظاما دينيا لا يتنافى مع الظروف الحديثة ، وأن الشريعة الإسلامية أداة صالحة للحكم ، وكما هو الحال بالنسبة لمدرسة المنار قامت أيولوجية الإخوان المسلمين على النهج ذاته ، كما يلى :

أولا : شمولية الإسلام بمعنى اشتماله على الدين والدولة .

ثانيا : العودة إلى تعاليم الإسلام وأحكامه باعتباره سبيل النجاة من التأخر والاضمحلال فى مواجهة رأى الآخر الذى يدعو إلى الأخذ بالمدنية الغربية واقتباس الحضارة الغربية ومنهجها .

ثالثا : الدعوة إلى الجامعة الإسلامية .

رابعا : التمسك بالخلافة، فالإخوان المسلمون يجعلون فكرة الخلافة، والعمل لإعادتها فى رأس منهجهم .

خامسا : الحكومة الإسلامية ، فالإخوان يؤمنون بأن الإسلام يجعل الحكومة ركنا من أركانه ، فالإسلام حكم وتنفيذ ، كما هو تشريع وتعليم ، كما هو قانون وقضاء ، ولا يفصل واحد منهما عن الآخر .

سادسا : الإصلاح والتجديد ، فالإخوان يؤمنون بأن الطريق الوحيد للإصلاح هو : أن تعود مصر إلى تعاليم الإسلام ، تطبقها تطبيقا سليما ، وأن تقتبس من كل فكرة قديمة أو حديثة شرقية أو غربية ما لا يتنافى مع هذه التعاليم ، ويكون فيه خير الأمة الإسلامية وسعادتها (١) .

وقد أعلن حسن البنا أن فكرة الإخوان تتناول إصلاح جميع شؤون الحياة العامة ، وتمتد إلى كل ميدان من ميادينها ، ومنهجهم منهج إصلاح حيوى ليس فى ناحية الاجتماع فحسب ، بل فى كل نواحي الأمة (٢) . ومن هنا يطلق على الاتجاه الإسلامى لدى الإخوان المسلمين بالاتجاه الإسلامى الإصلاحى الشامل ، وقد عبر عن ذلك الاتجاه

(١) عبد العظيم رمضان : الفكر الثورى فى مصر قبل ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢م ، القاهرة : مكتبة مدبولى ، ١٩٨١م ، ص ٤٩ ، ٥٠ .

(٢) الإخوان المسلمون ، عدد ١ ، السنة الرابعة ، ٢٢ محرم ١٣٥٥ هـ ، ٤ أبريل ١٩٣٦م ، الفكرة التى قامت على أساسها جمعية الإخوان المسلمين لحسن البنا .

واحد من أكبر دعاة الإخوان ، وهو الدكتور مصطفى السباعي المراقب العام للإخوان المسلمين فى سوريا ولبنان فى تعريفه لجماعة الإخوان المسلمين : « نحن الإخوان المسلمين ، لسنا جمعية حزبية تنحصر مهمتها فى جمع الأموال لإغاثة الفقراء والمكويين من المحسنين والأغنياء ، ولسنا جمعية وعظية تنحصر مهمتها فى وعظ الناس بالخطب والمقالات والنشرات ، ولسنا حزبا سياسيا تنحصر مهمته فى جمع الناس حوله ليصل أعضاؤه إلى الحكم فيحققوا منهجهم السياسى المحدود ، ولسنا جمعية مادية تنحصر مهمتها فى نطاق المشاريع الاقتصادية لفائدة أعضائها ، ولسنا هيئة إقليمية تنحصر مهمتها فى نطاق محلى أو إقليمى أو قومى ضيق ، إنما نحن دعاة انقلاب لإصلاحى وفكرى عملى شامل ، دعاة رسالة شاملة تشمل الناس جميعا ، وتنظم نواحي الحياة جميعا . . . » (١) .

وبهذا المنهج الشامل لمجحت جماعة الإخوان فى اجتذاب الطبقات الشعبية وغير الشعبية وبخاصة بعد انتقالها إلى القاهرة فى عام ١٩٣٢ م ، وانتقل مركز الثقل فى الدعوة إلى العاصمة ، وتعددت نواحي النشاط بإلقاء المحاضرات والدروس وإصدار النشرات والرسائل ، وعقد المؤتمرات ، وإحياء الاحتفالات الدينية ، وإنشاء شعب الجماعة فى القاهرة والأقاليم ، وبعض عواصم الدول العربية والإسلامية ، ثم انتقل نشاط جماعة الإخوان إلى إصدار الصحف الإسلامية ، التى تعبر عن رسالتهم ودعوتهم . وكانت أول صحيفة يصدرها الإخوان المسلمون هى جريدة الإخوان المسلمين الأسبوعية ، التى ظهر العدد الأول منها فى ٢٢ صفر ١٣٥٢ هـ ، ٣٠ مايو ١٩٣٣ م فى ٢٤ صفحة ، ثم زاد عدد صفحاتها إلى ٢٨ صفحة ، وصدرت « الإخوان المسلمون » جريدة إسلامية جامعة تصدرها جمعية الإخوان المسلمين بالقاهرة ، ويحررها نخبة من أعضائها ، وهى لسان حال جمعيات الإخوان المسلمين ، وتخدم كل هيئة تعمل لرفعة الإسلام وإعادة مجده وقد استمرت « الإخوان المسلمون » خمس سنوات ، وكان يرأس تحريرها الشيخ طنطاوى جوهرى ، ومديرها محب الدين الخطيب ، يعاونه بعض رجال الدعوة مثل محمد أسعد الحكيم سكرتير الإخوان حينذاك ، وحلمى نور الدين وغيرهم ، ثم تولى إدارتها فى السنة الرابعة لصدورها (١٣٥٥ هـ - ١٩٣٣ م) أحمد عبد الرحمن شقيق الشيخ حسن البنا (٢) .

وظل الشيخ حسن البنا صاحب امتياز الصحيفة إلى أن نقل هذا الامتياز إلى محمد الشافعى منذ العدد الثانى والعشرين من السنة الخامسة ، ثم تغيرت لافتة الجريدة إلى

(١) محمد على ضناوى : كبرى الحركات الإسلامية فى العصر الحديث ، ص ١٣٦ ، ١٣٧ .

(٢) حسن البنا : مذكرات الدعوة والداعية ، ص ١٤٤ محمد فتحى شعير ، وسائل الإعلام المطبوعة لدى الإخوان المسلمين ، ص ٢٠٧ .

صحيفة الإخوان المسلمين ، صحيفة أسبوعية جامعة ، وتولى رئاسة تحريرها محمد الشافعى ، وواصلت صدورها حتى نهاية عام ١٩٣٨ م^(١) ، ولم تتعطل عن الصدور سوى ثلاثة أسابيع منذ العدد الخامس عشر جمادى الآخرة ١٣٥٢ السنة الأولى بمناسبة انتقال المطبعة السلفية التى كانت تطبع بها من مركزها بشارع الاستئناف إلى مركزها الجديد فى شارع اللبودية بالسيدة زينب .

أسباب صدور « الإخوان المسلمين » وهدفها :

أبرز الشيخ طنطاوى جوهرى رئيس التحرير سبب صدور الإخوان المسلمين فى فاتحة العدد الأول منها ، ويمكن تلخيصه فيما يلى :

أولا : انشغال الأمة الإسلامية عن دراسة الفضائل الدينية والأخلاق الكريمة والشمائل النبوية .

ثانيا : نسيان كثير من العقلاء سير السلف الصالح وسجاياهم الكريمة وطباعهم القويمة وآدابهم الشريفة .

ولذلك كانت خطة الصحيفة هى التحدث عن فضائل النبوة المحمدية ، ونشر مقاصدها والآداب المنقولة عنها ، والأحاديث الدالة على الأخلاق الفاضلة من الصدق والعفاف وحسن المعاشرة والإحسان إلى الجار والقريب ، وذكر الآيات الدالة على ذلك ، فضلا عن بيان عجائب الحكم الإلهية فى تلك المقاصد ، والتذكير بالعبادات من صلاة وصوم وزكاة وحج لتعليم الجاهل وتذكير المتعلم ، وإردىاد المؤمن إيمانا^(٢) .

وقد أعلن الشيخ حسن البنا أن الغاية من صحيفة الإخوان تتركز فى شيئين :

أولهما : تلقين الإخوان أنفسهم الفكرة الأساسية لجمعيتهم وتذكيرهم بمبادئهم وثقافتهم ثقافة خاصة يتطلبها العمل لهذه العقيدة، والإعداد للوصول إلى الغاية المنشودة .

ثانيهما : نشر الثقافة العامة وتعريف غير الإخوان بالإخوان وبمناهج الإخوان وإيصال فكرة الإخوان إلى رجال الإصلاح الرسميين وغير الرسميين ليعملوا معهم على تحقيقها وإنفاذها^(٣) ، ومنذ العدد السادس ٢٨ صفر ١٣٥٥ هـ ، يونيو ١٩٣٦ م ، صرح البنا أن

(١) أصدر الإخوان المسلمون بعدها صحيفة النذير فى ٢٩ من ربيع الأول ١٣٥٧ هـ ، سياسية إسلامية ، تصدر على مبادئ الإخوان المسلمين ، ويرأس تحريرها صالح عشموى ، وكان إصدار النذير بعد دخول الإخوان المسلمين ميدان السياسة جعلها تتميز عن « جريدة الإخوان المسلمين » واتسم أسلوبها بالنقد اللاذع لكل الأحداث التى جرت فى مصر أو فى أى بلد عربى أو إسلامى ، وبيان وجهة النظر الإسلامية فى كل هذه الأحداث . انظر : محمود عبد الحليم : الإخوان المسلمون أحداث صنعت التاريخ ١/ ١١٤ ، ١١٥ .

(٢) الإخوان المسلمون ، عدد ٢٢ صفر ١٣٥٢ .

(٣) الإخوان المسلمون ، عدد ١ ، السنة الرابعة ، ٢٢ محرم ١٣٥٥ هـ ، ١٤ أبريل ١٩٣٦ م .

الصحيفة ستخصص للدعوة إلى مبادئ الإخوان ، وتلخيص أخبار دوائرهم ، وأخبار العالم الإسلامى ، ورأى الإخوان فى الحوادث الأسبوعية ، وسيكون ذلك بأقلام إخوانية بحثة^(١) ، ولكن المتبع لأعداد الصحيفة يجدها شاملة لكل المواضيع الاجتماعية والفكرية والعلمية والدينية .

كانت صحيفة الإخوان المسلمين تطبع بالمطبعة السلفية لصاحبها محب الدين الخطيب ، منذ أول صدورها حتى العدد الثامن من السنة الثانية ، ثم تولت طباعتها بعد ذلك مطبعة الشركة التعاونية للإخوان المسلمين .

الإخراج :

واتبعت الإخوان المسلمون فى إخراجها الطريقة الرأسية ، فكانت تحتوى كل صفحة على نهرين أو عمودين توزع الصحيفة عليها المادة التحريرية ، وفى بعض الأحيان كانت تتبع الطريقة الأفقية فى الصفحات الداخلية .

الاشتراكات والتمويل والتوزيع :

كان الاشتراك فى صحيفة الإخوان ٣٠ قرشا عن سنة كاملة ، وثمان العدد منها خمس مليمات ، وكان يقوم بتمويلها جماعة الإخوان المسلمين ، إذ لم يكن لها رأس مال للإنفاق عليها ، ولم يكن محرروها يتقاضون أجرا على التحرير والكتابة ، فكانت تكاليفها قاصرة على أجرة طباعتها وثمان ورقها ؛ ولهذا كان يطبع من هذه الصحيفة بقدر عدد الإخوان الذين كانوا يقتنونها فى بداية صدورها ، وكانت ترسل إليهم عن طريق مندوبين ، وكانت الكمية التى تستبقى فى القاهرة يوزعها أعضاء الإخوان بالقاهرة^(٢) .

الإعلانات :

خلت صحيفة الإخوان المسلمين من الإعلانات فى سنتها الأولى ، ومن السنة الثانية احتوت على بعض الإعلانات عن العيادات الطبية والكتب الجديدة والإعلانات القضائية ، ولم يتعد حجم الإعلانات الصفحة أو الصفحتين الأخيرتين .

الصور والرسوم :

عنيت الصحيفة بالصور فى نطاق ضيق ، ومن السنة الرابعة لها بدأت تنشر فى كل عدد من أعدادها مجموعة صور لأعضاء الإخوان المسلمين ، فضلا عن بعض الرسوم الكاريكاتيرية للتنديد ببعض الأمور الخارجة عن الدين ، وغير ذلك من المسائل التى تهتم بها الجريدة .

(١) الإخوان المسلمون ، عدد ٦ ، ٢٨ صفر ١٣٥٥ هـ ، ١٩ مايو ١٩٣٦ م .

(٢) محمود عبد الحليم : الإخوان المسلمون - أحداث صنعت التاريخ ، مرجع سابق ، ٧٥/١ .

الفهارس :

كانت الإخوان المسلمون تقدم فهرسا فى ظهر الغلاف ، ثم انتقل إلى الصفحة الأخيرة ، واحتل مكانه شعار الإخوان المسلمين تحت عنوان : « عقيدتنا » .

الغلاف :

عنيت الصحيفة بالغلاف وزخرفته بالرسوم الإسلامية وبيانات الصحيفة ، وفى أعلى صورة الغلاف لافتة الصحيفة : « جريدة الإخوان المسلمين ، جريدة أسبوعية إسلامية جامعة » ، وأسفل اللافتة صورة للمسجد الحرام ، والمسجد النبوى ، وفى أعلى صورة المسجد الحرام الآية القرآنية : ﴿ جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ ﴾ [المائدة : ٩٧] ، وكلمة التوحيد « لا إله إلا الله » ، وأعلى صورة المسجد النبوى الآية : ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾ [الفتح : ٢٩] ، وكلمة « محمد رسول الله » وبينهما الآية الكريمة : ﴿ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا ﴾ [آل عمران : ١٠٣] ، وعلى اليمين من لافتة الصحيفة صورة القرآن الكريم يحوطه الهلال ، وفى الجانب الأيسر ثلاثة نجوم يحيطها هلال آخر ، ومن السنة الثانية ظهر الغلاف وعليه لافتة الصحيفة وصورة مثذنة وكلمة الإخوان المسلمين مكتوبة بخط ثلث كبير .

كتاب صحيفة الإخوان المسلمين :

تولى تحرير صحيفة الإخوان المسلمين مجموعة من أعضاء جماعة الإخوان المسلمين وغيرهم من ذوى الاتجاه الإسلامى ، ومن أبرز هؤلاء : الشيخ حسن البنا ، وأحمد عبد الرحمن البنا ، والشيخ طنطاوى جوهرى ، والشيخ أحمد السكرى ، ومحب الدين الخطيب ، والشيخ محمد مصطفى الحديدى الطير ، والدكتور عبد الوهاب خلاف ، وسلامة خاطر ، والشيخ محمد زكى إبراهيم ، وأمين الخولى ، وأحمد محمد المدنى ، وعفيفى الشافعى عطوة ، ومحمد الهادى عطية المحامى ، والشافعى أحمد عبد الله ، والشيخ محمد حسن المدنى ، وعبد الله سليم بدوى ، وأمين محمد السكرى ، ومبارك غنيم عبده ، ومحمد عبد السلام القبانى ، ومحمد أحمد جاد المولى ، ومحمد حلمى نور الدين ، ومحمد إبراهيم زين ، ومحمود أفندى عبد العاطى ، وإبراهيم عبد الباقي ، وعبد المتعال حسن كامل ، ومحمد زهران ، ومحمد السيد حفى ، ومحمد على إمام ، وأحمد محرم ، والشيخ مصطفى الرفاعى اللبان ، والشيخ عبد الحليم أحمد ، ومحمد جمال الدين الفندى ، والشيخ عبد الغنى المنشاوى ، والسيد على السخاوى ، وحامد أحمد شريت ، ومحمد سعيد النجار ، ومحمد عبد العزيز خاطر ، وعبد الرحمن رضا كحيلة ، ومحمد الشرقاوى ، وعمر التلمسانى ، وأسعد أفندى راجح ، وعلى يوسف علام ، وطاهر العربى ، وعبد العزيز العروسى ، ومحمد حسن العويش ، ولبيبة هانم أحمد ، وفائقة عبد العزيز ، ومديحة عثمان .

اهتمامات صحيفة الإخوان في فترة صدورها :

كان في مقدمة اهتمامات الإخوان المسلمين : مقاومة زحف المؤثرات الغربية على مصر في الفكر والعادات والتقاليد ، وصون وحماية المجتمع الإسلامى من التأثير الأجنبى الذى بدأ يغزو هذه المجتمعات ويسيطر عليها ، ولا سيما فى النواحي الاجتماعية ، وليس فى الابتكار والتقدم العلمى ، ويشير إلى ذلك الشيخ حسن البنا فى مقال له بعنوان : «المدنية الغربية وركون الشرق إليها» : «إننا ركنا إلى المدنية الغربية واطمأننا بها، وألقينا بأنفسنا فى أحضان المدنية الغربية ، واغتررنا بمظاهر الحياة الأوربية ، وجعلناها مقياسا للتقدم والرقى ، وغلونا فى ذلك حتى احتلت العادات الأوربية والأفكار الأوربية والزخارف الأوربية عقولنا وبيوتنا ، وامتدت إلى نفوسنا وأخلاقنا وعواطفنا . ومضى الشيخ البنا ينتقد هذا المسلك من المسلمين ، ويعيب عليهم هذا الانطواء تحت لواء التقاليد والعوائد الغربية ، وعدم التفكير فيما ينطوى تحتها من الخطر على كرامة المسلمين ومقدساتهم (١) .

وتجدر الإشارة إلى أنه قد تباينت مواقف قادة الإصلاح والتجديد فى مصر تجاه الأخذ عن الغرب ، ونستطيع أن نقسمهم إلى ثلاثة أقسام :

- قسم يرى الخير كله فى تقليد الغربيين والمدنية الغربية بدون تفكير ، محتجا بأنهم لم يتقدموا إلا باتباعهم لهذه التقاليد ، وتلك المدنية .

- وقسم يرى أن للشرق تقاليده الخاصة به قامت عليها الدول الشرقية منذ فجر التاريخ ، وعليهم أن يحسنوا استخدام هذه التقاليد .

- وقسم ثالث يرى أنه من العيب تقليد الغربيين تقليدا أعمى بدون بحث ولا تمحيص، وبيان ما هو صالح وما هو غير ذلك (٢) .

ويلاحظ أن جماعة الإخوان قد سلكت الطريق الأخير ، ورأى قائدهم الشيخ حسن البنا أن الطريق الوحيد للإصلاح هو العودة إلى تعاليم الإسلام وتطبيقها تطبيقا سليما ، مع الأخذ بما ينفع الأمة الإسلامية ، من وسائل التقدم الحديثة ، وعلى هذا الأساس اتخذ الإخوان المسلمون الدين وسيلة لتطهير النفوس وتجديد الأرواح وإصلاح أخلاق الأمة (٣) ؛ لأنه « يكفل نظام العمران وسعادة الأفراد والجماعات وتحقيق التقدم فى شتى

(١) الإخوان المسلمون ، عدد ٣٢ ، السنة الأولى ، ٢٩ من ذى القعدة ١٣٥٢ هـ .

(٢) الإخوان المسلمون ، عدد ٢٣ ، السنة الثانية ، ١٣ أكتوبر ١٩٣٤ م ، مقال بعنوان : «أفى تقليدنا للغربيين منفعة» لعلى حسن الملط .

(٣) الإخوان المسلمون ، عدد ١٨ ، السنة الثانية ، ٩ سبتمبر ١٩٣٤ م ، مقال بعنوان : «هل نحن قوم عمليون» لحسن البنا .

المجالات الروحية والمادية « (١) .

وبينما كانت جهود المصلحين في مصر منصرفة إلى ناحية واحدة هي الناحية السياسية، رأى الشيخ حسن البنا أن الإصلاح لا بد أن يكون شاملا لكل النواحي الاجتماعية والسياسية والقانونية والاقتصادية والخلقية والأدبية والفكرية والعلمية ، وأن المنهاج الذي يصلح لإصلاح الأخلاق والاجتماع والفكر والاقتصاد وتحقيق آمال الوطن، والسير بالأمة إلى الكمال هو المنهاج القرآني (٢) .

ومن هنا كان تصدى صحيفة الإخوان المسلمين لدعاة الإصلاح من العلمانيين الذين يزعمون أن هناك حدا فاصلا بين الدين والسياسة ، ويرون أن مهمة الدين قاصرة على إقامة العبادات ، والتميز بين الخير والشر ، والتفقه في أمور الدين ، وقد فندت الإخوان المسلمون هذا المنظور لمهمة الدين ، وذهبت إلى أن الدين شامل لكل شيء ، وأنموذج سام لأرقى النظم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية (٣) ، وفند الشيخ حسن البنا حجة القائلين بأن الدين عقبة في سبيل التطور والتقدم ، وأن الأخذ بالنظم الأوروبية التي تركت الدين جانبا كفيل بتحقيق النهضة والتطور ، وكان رد الشيخ البنا على هذه النقطة : « أن هذا جهل منهم بتعاليم الإسلام ، وبعدهم عنها ورغبتهم في تقليد الأمم الغربية ومسايرتها ولضعفهم عن الوقوف أمامها ، فليس تأخر المسلمين راجعا إلى تعاليم دينهم ؛ لأنهم عندما تمسكوا بالدين سادوا على كل الأمم ، وعندما تنكروا لدينهم ذلوا واستكانوا » (٤) .

وفي مقال آخر بعنوان : « ومع هذا يقولون أوروبا لا دينية » ذكر البنا أن قادة النهضة الحديثة في أوروبا لا يحاربون الأديان والعقائد كما هو الحاصل في مصر ، بل هم على التقيض من ذلك يؤيدونها ، وتعنى حكوماتهم بالتعليم الديني في مدارسهم ، وعلى الذين يطالبون باللا دينية في مصر اقتداء بأوروبا أن يفيقوا من سكرتهم ، ويفتحوا أعينهم على أوروبا الحديثة الفاتيكانية (٥) .

وقد حملت صحيفة الإخوان المسلمين لواء الدعوة إلى تطبيق الشريعة الإسلامية ، وإلغاء القوانين الوضعية ، والتشريعات الأجنبية المستوردة من الفرنسيين والرومان ؛ لأن هذا تعطيل لأحكام الله التي أنزلها في كتابه الكريم، والذي جاء به الرسول ﷺ (٦) ونشرت

-
- (١) الإخوان المسلمون ، العدد السابق ، مقال بعنوان : « الإسلام دين الرقى » لمحمود الشرينى .
 (٢) الإخوان المسلمون ، عدد ٣٠ ، السنة الثانية ، ٢١ شعبان ١٣٥٥ هـ ، ٢٩ نوفمبر ١٩٣٤ م .
 (٣) الإخوان المسلمون ، عدد ١٥ ، السنة الثالثة ، ٢٢ ربيع الآخر ١٣٥٤ هـ ، ٢٣ يوليو ١٩٣٥ م .
 (٤) الإخوان المسلمون ، عدد ٢٣ ، السنة الثالثة ، جمادى الآخرة ١٣٥٤ هـ ، ١٧ سبتمبر ١٩٣٥ م .
 (٥) الإخوان المسلمون ، عدد ١٠ ، جمادى الأولى ١٣٥٢ هـ .
 (٦) الإخوان المسلمون ، عدد ٢٦ ، السنة الثانية ، ٢٣ رجب ١٣٥٣ هـ ، أول نوفمبر ١٩٣٤ م .

الصحيفة النداء الذى وجهه طلاب كلية الشريعة إلى الحكومة والشعب المصرى بمناسبة تشكيل لجنة تعديل القوانين فى عام ١٩٣٦م طالبوا فيه بتحكيم الشريعة الإسلامية ، وإلغاء القوانين الوضعية^(١) . وأفسحت الإخوان المسلمون صدر صفحاتها لكثير من البحوث والدراسات التى تؤيد الحاجة إلى تطبيق الشريعة الإسلامية ، وتؤكد على صلاحيتها لكل زمان ومكان ، وأن التشريعات الإسلامية بعيدة كل البعد عن كل جمود أو تأخر ، وتتفق مع كل المبادئ الحقة فى كل البلدان ، وتتسم بالنزاهة التامة والعدالة المطلقة^(٢) . وقدمت آراء ثلاثة من جهابذة القانون فى مصر للرد على دعاة القانون الوضعى ، وهم : الدكتور عبد الرازق السنهورى ، والشيخ محمد أمين هلال ، ومصطفى حنفى بك - وكيل الحقانية - وأجمعت هذه الآراء على أن الرجوع إلى الشريعة الإسلامية فيه علاج شاف لكل الأمراض الاجتماعية التى تعانيها مصر ، وأن الشريعة الإسلامية أيضا تحمل العناصر الكافية التى تجعلها صالحة للتطور مع حاجات الزمن^(٣) .

وكان لصحيفة الإخوان موقفها من الدعوة إلى تحرير المرأة والشعارات التى رفعها دعاة أنصار المرأة ، ودعوى مساواتها بالرجل ، والسفور ، وحقوق المرأة وغيرها^(٤) وقال على إبراهيم الأقطشى : إن هذه الشعارات كانت سببا فى هدم نظام الأسرة المصرية ، وذهاب قدسياتها ، وتداعى نظام المجتمع ، وانتهاك قوانين الدين والفضيلة ، واتهم هؤلاء بالمجون والفسق ، وغير ذلك من الألفاظ الشديدة اللهجة^(٥) .

ودعت الإخوان المسلمون إلى احتجاج المرأة لدرء الفساد وصيانة الأعراض ، ومنع المرأة من السقوط فى الرذيلة ، وفندت حجج أنصار التبرج التى تزعم « أن احتجاج المرأة مجلبة للتشوف ومدعاة للاستطلاع »^(٦) ، ورد الشيخ البنا على ذلك قائلا : «إنهم يسوقون الأمة إلى خطر عظيم ، ويهددون الأسرة المصرية ، ويفتحون عليها بابا مغلقا من أبواب التهلكة والدمار ، وكان رأى الثابت لدى الإخوان المسلمين هو لزوم المرأة البيت

-
- (١) الإخوان المسلمون ، عدد ٨ ، السنة الرابعة ، ١٢ ربيع الأول ١٣٥٥ هـ ، ٢ يونيه ١٩٣٦ م .
 (٢) الإخوان المسلمون ، عدد ١٤ ، السنة الرابعة ، ٢٥ ربيع الآخر ١٣٥٥ هـ ، سلسلة مقالات بعنوان : «المقارنة بين النظام القضائى فى مصر بالشرع الإسلامى » كتبها سيد أفندى خضير .
 (٣) الإخوان المسلمون ، عدد ٢٥ ، ٢٣ رمضان ١٣٥٦ هـ ، ٢٦ نوفمبر ١٩٣٧ م .
 (٤) الإخوان المسلمون ، عدد ١٧ ، السنة الأولى ، ٢٠ رجب ١٣٥٣ هـ ، مقال بعنوان : « التجديد فى الشرق والتجديد فى الغرب » لمحمد عبد السلام القبانى .
 (٥) الإخوان المسلمون ، عدد ٢ ، السنة الثانية ، ٢٦ محرم ١٣٥٣ هـ .
 (٦) الإخوان المسلمون ، عدد ١٨ ، السنة الثالثة ، ١٤ جمادى الأولى ١٣٥٤ هـ ، حول الإصلاح بين المنع والدفع .

بعد أن تأخذ حقها من التعليم والتربية « (١) .

وقد حدد الإخوان المسلمون موقفهم من فكرة الوطنية التي افتتن بها الناس في تلك الفترة ، وراجت بين المفكرين ، وأصبح لها أنصار يدعون إليها ، وسالت بها أنهار الصحف ، وأكد حسن البنا على وطنية الإخوان المسلمين ، ووضح الخلاف بين فهم الإخوان للوطنية وفهم غيرهم لها قائلا : « إننا مع دعاة الوطنية بل مع غلاتهم في كل معانيها الصالحة التي تعود بالخير على العباد والبلاد . . . وأن تلك الدعوة الطويلة العريضة لم تخرج عن كونها جزءا من الإسلام ، أما وجه الخلاف بيننا وبينهم فهو أننا نعتبر حدود الوطنية بالعقيدة ، وهم يعتبرونها بالتخوم الأرضية والحدود الجغرافية ، فكل بقعة فيها مسلم وطن عندنا له حرمة وقداسته والجهاد في سبيله ، ودعاة الوطنية ليسوا كذلك فلا يعينهم إلا أمر تلك البقعة المحدودة الضيقة من رقعة الأرض (٢) .

ودافع حسن البنا عن عروبة مصر ، مشيرا إلى أن فكرة الفرعونية التي يحمل علمها بعض الكتاب في مصر من أمثال سلامة موسى ، وطه حسين ، وكل من يحمل ضغنا على العربية والإسلام ، هذه الفكرة هي خطأ محض ، خطأ تاريخي واجتماعي ، وخطأ في جانب القومية المصرية (٣) ، وشارك حسن البنا الرأي محب الدين الخطيب وعبد القادر حمزة في أن الدعوة إلى الفرعونية أو القومية المصرية لها صلة أكيدة بالاستعمار ، الذي يعمل على إضعاف شوكة الأمة العربية ، وإلى تفريق الصف العربي المتحد في قوميته ولغته ودينه (٤) .

وقد والت صحيفة الإخوان المسلمين اهتمامها بالقضايا العربية والإسلامية ، وكان من أبرز تلك القضايا : قضية فلسطين ، وقضايا المغرب العربي ، وقد ذكر حسن البنا أن قضية فلسطين هي قضية العرب أجمعين ، وهاجم دولة الانتداب البريطاني التي عملت على تمكين اليهود من فلسطين ، واغتصاب أرضهم وإخراجهم من ديارهم ، وناشد العرب أن يعملوا على وقف الهجرات اليهودية المستمرة إلى فلسطين ، وأن يمدوا يد المعونة لمجاهدي فلسطين (٥) . وأشار البنا إلى أن مطامع الصهيونيين لا تقف عند حد بيت المقدس فحسب ، بل تتطلع إلى دولة صهيونية مترامية الأطراف (٦) .

(١) الإخوان المسلمون ، عدد ٩ ، السنة الأولى ، ١٣٥٢ هـ .

(٢) الإخوان المسلمون ، عدد ٤ ، السنة الثالثة ، ٤ صفر سنة ١٣٥٤ هـ ، ٧ مايو ١٩٣٥ م .

(٣ ، ٤) الإخوان المسلمون ، عدد ١٥ ، غرة جمادى الأولى ١٣٥٢ هـ .

(٥) الإخوان المسلمون ، السنة الأولى ، عدد ١٧ ، ٢٠ رجب ١٣٥٢ هـ .

(٦) الإخوان المسلمون ، عدد ٧ ، السنة الرابعة ، ٥ ربيع الأول ١٣٥٥ هـ .

وبدأت صحيفة الإخوان المسلمين على التنديد بفظائع الاستعمار فى فلسطين ونسف المدن والقرى بالدناميت ، وانتهاك حرمت المساجد ، والعدوان على المصلين وعلى النساء والأطفال ، وفرض الغرامات الباهظة على الأهالى ، ومنع المؤن عنهم^(١) ، فى الوقت ذاته كانت تشيد بالثوار الفلسطينيين ، وتعمل على تأييدهم ماديا ومعنويا ، وتنتشر الاحتجاجات التى تقدمها الهيئات والمنظمات الإسلامية والعربية إلى كل من وزير الخارجية البريطانية ، والمندوب السامى فى القدس والقاهرة وسكرتير لجنة الانتداب بعصبة الأمم .

وبالنسبة لقضايا المغرب العربى ، فقد ساندت صحيفة الإخوان المسلمين قبائل البربر فى المغرب العربى ضد السياسة الفرنسية ، التى حاولت تنصير قبائل المغرب العربى وتغيير دينهم ، وتحويل المحاكم الشرعية الإسلامية هناك إلى محاكم فرنسية ، وطردهم من قبائل البربر ، والقضاء على وحدة القبائل الإسلامية ، ومحو الشريعة الإسلامية واللغة العربية من بينهم ، وجعل الأوقاف الإسلامية تحت تصرف المراقبة الفرنسية^(٢) .

وكانت قضية إصلاح التعليم فى الأزهر ، وإدخال التعليم الدينى فى المدارس العمومية من القضايا الأساسية التى برزت معالجتها على صفحات صحيفة الإخوان المسلمين ، وقدمت آراء جماعة الإخوان وجهودهم فى هذه القضية ، ونشرت نص البرقية التى أرسلتها جماعة الإخوان المسلمين إلى وزير المعارف العمومية ترجوه فيها أن يكون درس الدين الإسلامى فى التعليم درسا أساسيا ، والامتحان فيه إجباريا مثل بقية العلوم الأخرى التى يتوقف عليها نجاح الطالب فى آخر العام الدراسى^(٣) .

وبمناسبة انعقاد لجنة تعديل مناهج التعليم فى مايو ١٩٣٥ م وجهت صحيفة الإخوان نداء إلى أعضاء لجنة تعديل المناهج ووزير المعارف العمومية ، تلفت فيه نظر أعضاء اللجنة إلى قيمة مناهج التعليم فى حياة الأمة ، وعرضت لسياسة التعليم منذ عصر محمد على حتى عام ١٩٣٥ م مشيرة إلى أن هناك بعض الجوانب التى تركت دون أن يفكر فيها أحد من الذين تولوا إصلاح مناهج التعليم فى مصر ، وأبرز تلك الجوانب : التعليم الدينى ، والتاريخ الإسلامى ، والقرآن الكريم^(٤) ، كذلك اهتمت بالدعوة إلى إصلاح التعليم فى الأزهر ، ونشرت نص المذكرة التى رفعها الشيخ حسن البنا إلى فضيلة الإمام الأكبر شيخ الجامع الأزهر ، بشأن الإصلاحات التى اقترحتها جمعية الإخوان المسلمين للتعليم

(١) الإخوان المسلمون ، عدد ٢٠ ، السنة الخامسة ، ٧ جمادى الآخرة ١٣٥٥ هـ ، ٢٥ أغسطس ١٩٣٦ م .

(٢) الإخوان المسلمون ، عدد ٥ ، السنة الثالثة ١١ صفر سنة ١٣٥٤ هـ ، ١٤ مايو ١٩٣٥ م .

(٣) الإخوان المسلمون ، عدد ٧ ، السنة الثالثة ، ٢٥ صفر ١٣٥٤ هـ ، ٢٨ مايو ١٩٣٥ م .

(٤) الإخوان المسلمون ، عدد ٦ ، السنة الثالثة ، ١٨ صفر سنة ١٣٥٤ هـ ، ٢١ مايو ١٩٣٥ م .

الأزهري، وذلك للعمل على نهضة الأزهر ، ورفع شأنه (١).

وعنيت الإخوان المسلمون بتفسير بعض الآيات القرآنية والدفاع عن لغة القرآن الكريم ، وقد تولى تفسير القرآن الشيخ حسن البنا ، والشيخ محمد مصطفى الحديدي الطير ، وكانت تنشر أحيانا بعض الاقتباسات من تفسير الجواهر للشيخ طنطاوى جوهرى ، وعارض حسن البنا فكرة ترجمة القرآن الكريم إلى اللغات الأخرى ، وقرر البنا أن جماعة الإخوان : « ليست من أنصار مشروع الترجمة . . . وأن الجهود التى يستنفذها لو أنفقت فى غيره من وسائل النهوض بالمسلمين أو الدعوة إلى الإسلام لكان خيرا » (٢) . وكتب أيضا محمد الشرنوبى بنفى جواز ترجمة القرآن الكريم ، ويطالب العلماء للفصل فى هذه القضية بعد أن اختلفت حولها الآراء ، واشتد الجدل بين المؤيدين والمعارضين لفكرة الترجمة (٣) .

كذلك دافعت صحيفة الإخوان عن السنة النبوية ومكانتها فى الإسلام ، وأكدت على وجوب العناية بها ، وانبرى الشيخ حامد عسكرية - أحد أعضاء الإخوان البارزين - للرد على ما أذاعه فريق من المتفرجين بوجوب تلك السنة والاكتفاء بالقرآن الكريم ، بحجة أنها لم تكتب فى زمنه ﷺ ، ولم يأمر بكتابتها ، وذكر الشيخ عسكرية أن السنة هى بيان للقرآن وشارحة لأحكامه ، وهى بمثابة المذكرة التفصيلية للقرآن الكريم ، وهى جزء لا يتجزأ من القرآن (٤) .

كما كتب الشيخ محمد زهران يفند حجة هؤلاء المتفرجين إلى ترك السنة ، مشيرا إلى أن الرسول ﷺ لم يأمر بكتابة السنة إما لخشية اشتباه الأحاديث بالقرآن على بعض الضعفاء ، حيث لم يكن قد كثر فى الناس من يحفظونه كثرة تجعله شائعا بينهم شيوعا يحصل به تمييزه عند السماع عن غيره ، وأضاف الشيخ زهران فى نهاية مقاله : إن تلك الكتابة قد صارت بعد العصر الأول متحتمة وضرورية لتوقف حفظ الشريعة الواجب عليها (٥).

وقد أدت الصحيفة - الإخوان المسلمون - دورا بارزا فى مقاومة الهجمات التبشيرية على مصر ، واعتداءاتهم المتكررة على الدين الإسلامى ، وحذرت من مغبة هذا العمل المستفز لمشاعر المسلمين ووجداناتهم ، وناشدت حكومة مصر الإسلامية ومشايخ الأزهر

(١) الإخوان المسلمون ، عدد ١٣ ، السنة الثالثة ، ٨ ربيع الآخر ١٣٥٤ هـ ، ٩ يوليو ١٩٣٥ م .

(٢) الإخوان المسلمون ، عدد ٢ ، السنة الرابعة ، ٢٩ محرم ١٣٥٥ هـ ، ٢١ أبريل ١٩٣٦ م .

(٣) الإخوان المسلمون ، عدد ١٧ ، السنة الرابعة ، ١٦ جمادى الأولى ١٣٥٥ هـ ، ٤ أغسطس ١٩٣٦ م .

(٤) الإخوان المسلمون ، عدد ٧ ، السنة الأولى ، ٤ ربيع الآخر ١٣٥٢ هـ .

(٥) الإخوان المسلمون ، العدد ٢٠ ، السنة الأولى ، ١٢ شعبان ١٣٥٢ هـ .

ومحبى الإصلاح فى مصر أن يوقفوا هذا العدوان من قبل الهيئات التبشيرية قبل أن يستفحل الخطر وتعم البلوى ، وأهابت بالمسلمين أن ينشطوا للعمل ضد هذا العدوان المتكرر من قبل المبشرين على عقائدهم وأبنائهم^(١) ، وكتب حسن البنا يرد على القمص سرجيوس الذى كتب فى مجلة قبطية يطعن فى الإسلام ويشوه حقائقه^(٢) ، وأشار البنا إلى أن الجامعة الأمريكية بالقاهرة تقوم بدور تبشيرى خطير ، فهى ملجأ المبشرين وملاذهم لإقامة الحفلات التى يدعى إليها بعض المسلمين ، وفى هذه الحفلات يتعرض المبشرون للإسلام ، ويسئون القول فى كتابه ونيبه ، وضرب على ذلك مثلاً بما فعله مبشر يدعى جفرى ، خطب فى الجامعة الأمريكية وأساء إساءة بالغة إلى الإسلام^(٣) .

وبالإضافة إلى جهود الإخوان المسلمين فى مقاومة التبشير بالمقالات والاحتجاجات والاستنكارات ، تشكلت لجنة فى الإسماعيلية من أعضاء الإخوان لمحاربة المبشرين بالطرق العملية ، وتتبع المبشرين فى أماكن تواجدهم ، وتحذير المسلمين من الوقوع فى براثنهم أو الاستماع لهم ، وتأسيس المدارس والملاجئ والمستشفيات لحماية ضعفاء المسلمين وفقرائهم ، من أخطار المبشرين واللجوء إليهم^(٤) .

وفى مجال التفقيه والإرشاد عنت صحيفة الإخوان المسلمين بنشر الثقافة الإسلامية والدعوة إلى الإصلاح الاجتماعى والخلقى والدينى ، وكانت الصحيفة تنشر ما يلقى فى جمعية الإخوان المسلمين وفروعها من محاضرات ودروس وعظية وخلقية وخطب منبرية ، وتقدم على صفحاتها أيضاً فى القسم الذى أطلقت عليه القسم التاريخى بعض الأعلام المشهورة فى التاريخ الإسلامى من الصحابة رضوان الله عليهم ، واهتمت بشرح قواعد الدين الإسلامى ، وحث المسلمين على الالتزام بها كالحج والصلاة والصيام والزكاة وغيرها من فرائض الإسلام ، وسننه كالأعتكاف والأضحية ، وصلاة العيدين وكانت تخرج أعداداً خاصة فى المناسبات الدينية كذكرى المولد النبوى الشريف وذكرى الهجرة ، وغيرهما من المناسبات^(٥) ، وكذلك كانت تقدم بعض الفتاوى التى كان يجيب عليها الشيخ حسن البنا .

وفيما يخص الجانب الإصلاحى والخلقى ، شنت صحيفة الإخوان حرباً ضد

(١) (٢) الإخوان المسلمون ، عدد ٢ ، السنة الثانية ، ٢٦ محرم ١٣٥٣ هـ .

(٣) الإخوان المسلمون ، عدد ٣٠ ، السنة الأولى ، ذو القعدة ١٣٥٢ هـ . وكان الشيخ محمد زهران يحرر فى الصحيفة باباً بعنوان : « الأحاديث الموضوعة » .

(٤) الإخوان المسلمون ، عدد ٥ ، السنة الأولى ، ٢٠ ربيع الأول ١٣٥٢ هـ .

(٥) الإخوان المسلمون ، عدد ٤ ، السنة الأولى ، ١٣ ربيع الأول ١٣٥٢ هـ ، وعدد ١ ، السنة الرابعة ، ٢٢ محرم ١٣٥٥ هـ ، ١٤ أبريل ١٩٣٦ م .

المخدرات من الخمر والحشيش والكوكايين والدعوة إلى البغاء الرسمى والسرى ولعب الميسر ، والقمار والرشوة والربا ، وقدمت العديد من البحوث والمقالات والمحاضرات التى تسهم فى الإصلاح الاجتماعى والخلقى ، وبرز فى ذلك المجال الشيخ حسن البنا والشيخ مصطفى الحديدى الطير ، والشيخ محمود أبو العيون ، والشيخ طه محمد الساكت ، وحسين عاشور .

وانفردت صحيفة الإخوان من بين الصحف الإسلامية بالاهتمام بأحوال الفلاحين ، وصور حسن البنا ما يقع عليهم من ظلم ، وما هم فيه من بؤس وشقاء معيشتهم وصحتهم (١) .

وعنيت صحيفة الإخوان المسلمين بتنقية الإسلام من الأفكار الشاردة ، ومحاربة المذاهب المنحرفة عنه ، وكشف حسن البنا عن زيف التصوف الذى يستمد أصوله وقواعده من أصول غير إسلامية ، كالمذاهب الفلسفية ، والآراء النظرية ، وأعلن الشيخ حسن البنا أن التصوف بهذا المعنى « أمر فلسفى عقلى لا صلة له بالإسلام » (٢) ، وفى مقال آخر بعنوان : « التصوف والكتاب والسنة » ذكر الشيخ حسن البنا أن الصوفى لا يكون صوفيا إلا إذا تمسك بالكتاب والسنة ، وليس كل ما ظهرت عليه علامات التقشف وراثته الثياب وتكاسل عن أداء الفروض الدينية (٣) . وشتت الصحيفة أيضا الحرب على ممارسات الصوفية المخالفة للدين الإسلامى وما تعارف عليه الصحابة كالرقص والتمايل فى الذكر واستخدام الدفوف والطبول ، والاختلاط بين الرجال والنساء (٤) ، مشيرة إلى بعض المفاصد التى ترتكب فى الموالد باسم الدين ، ونشرت سلسلة المقالات عن مفاصد الطريقة التيجانية ، وأورادها (٥) .

وبالإضافة إلى ذلك عرضت الإخوان المسلمون لضلالات البائية أو البهائية وفساد معتقدات هذه النحلة الضالة ، وأكدت على خروجها عن قواعد الدين الإسلامى الصحيح

(١) الإخوان المسلمون ، عدد ٢١ ، السنة الثالثة ، ٤ جمادى الآخرة ١٣٥٤ هـ ، ٣ سبتمبر ١٩٣٥ م ، و عدد ٢ ، ٢٨ جمادى الأولى ١٣٥٤ هـ ، ٢٧ أغسطس ١٩٣٥ م ، سلسلة مقالات بعنوان : « صوت من الريف » ، وعدد ٥ ، السنة الرابعة ، ٢١ صفر ١٣٥٥ هـ ، مايو ١٩٣٦ م ، وعدد ٣٣ خاص عن البغاء بتاريخ ٢٢ ديسمبر ١٩٣٤ م ، وعدد ١١ ، السنة الثانية ، ٧ ربيع الآخر ١٣٥٣ هـ ، ومقال بعنوان : « الخمر والبغاء » لحسن البنا .

(٢) الإخوان المسلمون ، عدد ١١ ، السنة الأولى ، محرم ١٣٥٢ هـ ، وعدد ٢ ، ٢٨ صفر ١٣٥٢ هـ .

(٣) الإخوان المسلمون ، عدد ٥ ، السنة الأولى ، ٢٠ ربيع الأول ١٣٥٢ هـ .

(٤) الإخوان المسلمون ، عدد ١٠ ، السنة الأولى ، ٢٥ ربيع الآخر ١٣٥٢ هـ .

(٥) الإخوان المسلمون ، عدد ٢٦ ، السنة الثانية ، ٢٣ رجب ١٣٥٣ هـ ، أول نوفمبر ١٩٣٤ م .

كما أفتى بذلك شيخ الجامع الأزهر^(١) ، وكشفت أيضا عن خطورة القاديانية وانتشارها في الأوساط المصرية ، واستغلالها لمظاهر الانحلال الخلقي والأدبي والديني للترويج لدعايتها وبث سمومها^(٢) .

وبعد هذا العرض لما قدمته صحيفة الإخوان المسلمين من موضوعات وأفكار وآراء ، يمكن إيجاز أبرز ما عنت به الصحيفة خلال فترة صدورهما فيما يلي :

١ - مقاومة زحف المدنية الغربية على الأسرة الإسلامية في مصر ، وحماية المجتمع الإسلامي من الانطواء تحت لواء المؤثرات الغربية في الفكر والعادات والتقاليد دون تبصر وفهم وإدراك لها ، والدعوة إلى العودة إلى تعاليم الإسلام الصحيحة في إصلاح الجوانب الاجتماعية والسياسية والفكرية والعملية والأدبية والقانونية مع الأخذ من معطيات العصر الحاضر ما يفيد الأمة الإسلامية ، ويعمل على تقدمها العلمي والمادي ، والدعوة إلى تطبيق الشريعة الإسلامية ، وإلغاء القوانين الوضعية والتشريعات المستوردة ، ومحاربة دعاة المدنية الغربية وأنصار شعارات حقوق المرأة ، تحرير المرأة ، مساواة المرأة بالرجل .

٢ - الاهتمام بالقضايا العربية الإسلامية ، وفي مقدمتها قضية فلسطين ، والمغرب العربي ، ومحاربة الدعوة الانفصالية التي تنادى بفصل مصر عن الأمة العربية .

٣ - العمل على إصلاح مناهج التعليم في الأزهر ، وإدخال التعليم الديني في المدارس الحكومية وتغيير سياسة التعليم التي وضعها الاستعمار للتعليم في مصر ، والعناية بتفسير القرآن الكريم ، والتصدي للهجوم على اللغة العربية ، ودعوى ترجمة القرآن الكريم إلى اللغات الأوروبية ، والدفاع عن مكانة السنة المطهرة في الإسلام ووجوب العناية بها كمصدر من مصادر التشريع الإسلامي .

٤ - مقاومة المنظمات التبشيرية في مصر ، والتحذير من عاقبة اعتداء المبشرين على معتقدات المسلمين وأبنائهم ، وجرح مشاعرهم واستفزازهم ، والعناية بالثقافة الإسلامية ، وتفقيه وإرشاد المسلمين في كل ما يتصل بأمور الدين ، ومحاربة مظاهر الخروج عن الدين الإسلامي ، كشرب الخمر والسموم البيضاء ولعب الميسر والقمار والربا والرشوة ، والبعاء الرسمي والعلني ، وتنقية الإسلام من الأفكار الشاردة والضالة ، ومحاربة المذاهب المنحرفة كالصوفية والباوية والقاديانية .

(١) الإخوان المسلمون ، عدد ١٣ ، السنة الثانية ، ٢١ ربيع الثاني ١٣٥٣ هـ ، سلسلة مقالات عن الباطنية ، كتبها الشيخ عبد الوهاب العيسوي .

(٢) الإخوان المسلمون ، عدد ١٩ ، السنة الأولى ، ٥ شعبان ١٣٥٢ هـ .

٧ - صحيفة الصرخة

فى تلك الفترة الخاصة بالدراسة رأينا نمو الجمعيات والهيئات الإسلامية العاملة فى إطار العمل الإسلامى وتنوع أغراضها واتجاهاتها ، وكانت جمعية مصر الفتاة (١) التى أسسها أحمد حسين فى أكتوبر ١٩٣٣م ضمن هذه الجمعيات ذات الطبيعة العربية الإسلامية (٢) ، التى مزجت بين الدين والسياسة ، والدين والوطنية فى إطار واحد ، ورغم أن البرنامج الذى طرحته مصر الفتاة على صفحات جريدة الصرخة ٢١ أكتوبر ١٩٣٣م يتضمن أهدافا سياسية واقتصادية وثقافية إلا أنه - كما قلنا - اتسم بالاتجاه الإسلامى ، وظهر هذا الاتجاه فيما بعد فى ممارسات الحزب السياسية . يقول طارق البشرى : « إن ما يميز مصر الفتاة فى دعاويه التى طلع بها على الرأى العام أنه عمل على الجمع بين الدين والوطنية فى إطار سياسى واحد » (٣) .

كذلك أكد على فكرة الدين كميدان من ميادين العمل السياسى ، وأفرد فى برنامجه بندا خاصا بالجهاد الاجتماعى فى الدين والأخلاق ، دعا فيه إلى احترام الأديان وقداستها ، والارتقاء بالأخلاق ومحاربة الدعارة والخمر والتخث ، وصدر شعاره بلفظ الجلالة مقرونا بالوطن ثم بالملك (٤) ، وقد تصاعد الاتجاه الإسلامى السياسى لدى مصر الفتاة فى أواخر عام ١٩٣٧م ، وبلغ ذروته فى عام ١٩٤٠م بتغيير اسم الحزب إلى الحزب الوطنى الإسلامى ، وبالدعوة إلى الخلافة الإسلامية والمناداة بتغيير كافة التشريعات الإسلامية (٥) .

وقد صدرت الصرخة (٦) معبرة عن مصر الفتاة ثلاث مرات منفصلات : الأولى من ٣ مارس ١٩٣٠م إلى ٢٧ من الشهر نفسه ، وكانت تصدر أسبوعية ، مستأجرة من صاحبها عبد الرحمن العيسوى ، وأمين إبراهيم الأهرى . والفترة الثانية من ٧ أكتوبر عام ١٩٣٣ إلى ٤ أبريل ١٩٣٥م ، وتولى إدارتها أحمد حسين وفتحى رضوان مع المشاركة فى التحرير ، وكان رئيس تحريرها حافظ محمود . أما الفترة الثالثة فهى من ٥

(١) تحولت إلى حزب مصر الفتاة فى عام ١٩٣٧م .

(٢) عواطف عبد الرحمن : مصر وفلسطين ، مرجع سابق ، ص ١٢٨ ، ١٢٩ ، وأنور الجندى : بقطة الفكر العربى ، مرجع سابق ، ص ٧٠ ، ٧١ .

(٣) طارق البشرى : المسلمون والاقباط فى إطار الجماعة الوطنية ، مرجع سابق ، ص ٥١٧ ، ٥١٩ .

(٤) المرجع السابق ، ص ٥١٩ . (٥) المرجع نفسه ، ص ٥٢٩ .

(٦) كانت الصرخة قبل أن تسأجرها جمعية مصر الفتاة مجلة فنية سياسية تهتم بأخبار الفن والمسرح ، وتنتشر صور الفنانين والصور الخلية على أغلفتها ، وكان رئيس تحريرها حسن حسنى ، وبالإضافة إلى الصرخة أصدرت مصر الفتاة : الثغر والضيء ، ومصر الفتاة الاشتراكية ، وقد تعرض أكثرها للمصادرة .

نوفمبر ١٩٣٥م إلى أول أغسطس ١٩٣٦م ، وتولى إدارتها أحمد الشيمى ، ورئاسة تحريرها عبد السلام شهاب ، ثم حل محله محمد صبيح فى ٨ يناير ١٩٣٦م ، وكانت تطبع بمطبعة وادى الملوك (١) . واتبعت فى إخراجها الطريقة الرأسية ، وكانت «الصرخة» جريدة تصدر فى حجم ٣٠ × ٤٢ ، وتتكون من ست عشرة صفحة .

الصور والرسوم :

عنيت الجريدة بالصور والرسوم الكاريكاتيرية والزخارف ووسائل الإبراز الصحفية المختلفة ، وفنون التحرير بأشكالها المتعددة .

أبرز كتاب الصرخة :

تولى تحرير الصرخة مجموعة من أعضاء جمعية مصر الفتاة وبعض المفكرين الآخرين ، ومن أبرز هؤلاء الكتاب : أحمد حسين ، وحافظ محمود ، وفتحي رضوان ، وأحمد الشيمى ، وحنفى محمود جمعة ، ونعيمة على الأيوبى ، وأمين الخولى ، ومحمد حلمى ، وعبد الرحمن الرافعى ، ومسعود فراج مسعود ، وحمادة الناحل ، ومحمد صبيح ، وصالح حنفى ، ومحمد خلدون التونسى ، وإبراهيم رمزى ، وعبد الرحمن الشرقاوى ، وأحمد أنس ، وعبد الوارث الحجاجى وغيرهم .

اهتمامات جريدة الصرخة فى فترة صدورها :

رغم أن الصرخة كانت لسان جمعية مصر الفتاة ، والمعبرة عن فلسفتها ومبادئها ، إلا أنه قد غلب على كتابتها الطابع الإسلامى فى كثير من الأحيان ، وكان هذا الاتجاه الإسلامى له جذور عميقة فى فكر أحمد حسين زعيم مصر الفتاة ، ونابعاً من إيمانه بصلاحية الإسلام لقيادة الحياة . وقد عبر عن ذلك فى الصرخة قائلاً : « لا حد لإيماني برسالة الإسلام وصلاحياتها لهداية الإنسانية ، وهذا ما كرست حياتي من أجل تحقيقه أو الموت فى سبيله » (٢) .

وقد دعت الصرخة إلى التمسك بالدين الإسلامى ، وذلك لأنه مظهر من مظاهر القوة ، والأمم لا تحيا إلا بدينها ، وأن سر انحطاط المصريين وتخلفهم يرجع إلى التدهور الدينى ، وانتشار الفساد من خمر وبغاء وقمار بين أوساط المصريين ، وأن المسلمين لم يضعفوا ولم يهزموا إلا لتهاونهم فى شأن دينهم (٣) ، ومن هنا واصلت الصرخة حملاتها

(١) رشدى البدرى : أحمد حسين فى الصحافة المصرية ، رسالة ماجستير ، كلية اللغة العربية ، جامعة الأزهر ، ١٩٨٧م ، ص ٥٣ ، ٥٥ .

(٢) الصرخة ، ٢٧ من مارس ١٩٣٠م .

(٣) أحمد حسين : إيماني ، ط ٢ ، القاهرة : ١٩٤٦م ، ص ٧٨ ، ٧٩ ، والصرخة ، ١٢ ديسمبر ١٩٣٣م ، و ٢٣ ديسمبر ١٩٣٣م .

على كل صنوف الموبقات ، ومظاهر الخروج على الدين الإسلامى والانحلال والضعف للذين حلا بالأمة المصرية من جراء الاحتلال البريطانى ، والفساد الحزبى والامتيازات الأجنبية ، ودعت الصرخة إلى مقاطعة الأجانب والإنجليز فى تجارتهم ومنتجاتهم وملاهيهم ، على اعتبار أن هذا ليس عملاً وطنياً فحسب ، بل هو عمل دينى أيضاً (١) .

وما جمت الصرخة المحاكم المختلطة والامتيازات الأجنبية ، وأشار أحمد حسين - زعيم مصر الفتاة - إلى أنهما أساس التدهور الخلقي والدينى ، وما تعانيه مصر من بؤس ولا سيما قطاع العمال والفلاحين (٢) ، وكان من أبرز ما اهتمت به الصرخة أيضاً هو محاربة البغاء الرسمى والحانات ودور اللهو المنتشرة فى عرض البلاد وطولها حتى عمت القرى والنجوع ، ونددت باندفاع الشباب المصرى نحو التخنث وطراوة الأخلاق ، والاهتمام بالأغاني الرخيصة المتبدلة ، والانصراف عن الدين والوطنية إلى المقاهى ودور السينما وأماكن اللهو الحرام ، والجرى وراء الأهداف الساقطة (٣) .

وكان لجريدة الصرخة موقفها المؤيد للقضية الفلسطينية ومشاركتها الثوار الفلسطينيين فى دفاعهم عن بلادهم ضد اليهود ، وقد نددت بمواقف إنجلترا المساندة لليهود على طول الخط ، والمتكررة لحقوق الفلسطينيين أصحاب البلاد الشرعيين ، وشنت هجوماً شديداً على سياسة الحكومة المصرية بسبب موقفها المتخاذل من القضية الفلسطينية ولعدم مؤازرتها ونصرتها الحركة الوطنية الفلسطينية ودعمها بالمال والعتاد والسلاح (٤) . وقد دعا أحمد حسين على صفحات الصرخة إلى وحدة الدول العربية وترباطها حتى تكون قوة يعتد بها فى حل قضايا الأقطار العربية وفى مقدمتها فلسطين (٥) . وعلى أثر صدور صحيفة الجامعة الإسلامية فى يافا ، ومصادرة السلطات الإنجليزية لها دعت الصرخة إلى الجامعة الإسلامية حتى تتكون للبلاد الإسلامية عصابة أمم تخيف الدول الاستعمارية الطامعة فيها ، وتكون بمثابة وحدة قومية تجمع بين الأقطار الشرقية كلها فى دائرة روحية واحدة (٦) .

وهكذا نرى أن معالجة صحيفة الصرخة للقضايا الوطنية والسياسية ينبع من اتجاه إسلامى ، وإن كان لا يرقى إلى حدود الاتجاهات الإسلامية الأخرى .

ويمكن إجمال القضايا التى اهتمت بها صحيفة الصرخة فيما يلى :

- ١ - الدعوة إلى التمسك بالدين الإسلامى ، وصلاحية الإسلام لقيادة الحياة ومحاربة كل مظاهر الخروج عن الدين الإسلامى ، والانحلال والضعف للذين حلا بالأمة المصرية .
- ٢ - محاربة الاحتلال البريطانى والامتيازات الأجنبية ، ومناصرة القضية الفلسطينية ، والدعوة إلى الجامعة العربية والإسلامية .

(١) الصرخة ، ٤ فبراير ١٩٣٤م ، ٩ يونيه ١٩٣٤م . (٢) الصرخة ، ٧ أبريل ١٩٣٤م .

(٣) الصرخة ، ١٧ مارس ١٩٣٦م ، و٢٨ مارس ١٩٣٦م ، ٩ ديسمبر ١٩٣٣م .

(٤) الصرخة ، ١١ يونيه ١٩٣٦م .

(٥) الصرخة ، ٢٣ يونيه ١٩٣٤م . (٦) الصرخة ، ١٣ يناير ١٩٣٤م .

الباب الثانى

موقف صحافة الاتجاه الإسلامى من القضايا
الفكرية والاجتماعية والسياسية

ويتناول :

الفصل الثالث : صحافة الاتجاه الإسلامى والقضايا الفكرية
والاجتماعية .

الفصل الرابع : صحافة الاتجاه الإسلامى والقضايا السياسية .

الفصل الثالث

صحافة الاتجاه الإسلامى والقضايا الفكرية والاجتماعية

المبحث الأول

صحافة الاتجاه الإسلامى والتغريب ودعائه

فى بداية الحديث عن موقف الصحافة الإسلامية من التغريب ودعائه ، نوضح أدبيات مفكرى الإسلام عن معنى التغريب ، ونحدث عن نشأته وتطوره فى الفكر المصرى الحديث ووسائله وأهدافه وقضاياها ، ثم موقف الصحف الإسلامية فى التصدى لدعائه وأنصاره ، هذا ما يدور حوله هذا البحث .

التغريب - أو التغرب - كما يقول المفكر الإسلامى شكيب أرسلان : « هو التخلق بأخلاق الفرنجة والتشبه بهم ، وأخذ أخذهم فى طراز العيش وأساليب الحياة ، ويشمل ذلك المحسوس كاستعمال صنوف الأدوات والمستحدثات ، والمعنى كاقتراس الأفكار والآراء الاجتماعية والسياسية وغيرها » (١) .

وذكر الدكتور محمد حسين تعريفاً للتغريب مماثلاً لهذا التعريف إذ قال : « التغريب هو أن نسير سيرة الأوربيين ونسلك طريقهم لنكون لهم أندادا وشركاء فى الحضارة خيراً وشرها حلوها ومرها ، وما يحب وما يكره وما يحمد منها وما يعاب » (٢) .

ويرى الدكتور على عبد الحليم محمود أن التغريب هو : « مجموعة من الدراسات والأعمال والثقافات والنظم التى تجرى حول المسلمين وتطبق على مجتمعاتهم ، فتؤدى بهم فى النهاية إلى أن يتشبعوا بالفكر الغربى والحضارة الغربية المعادية للإسلام » (٣) .

وذهب الدكتور على جريشة إلى أن التغريب هو : « التغيير الذى يجرى أول ما يجرى داخل العقول والقلوب ، ثم ينتقل إلى الأخلاق والتقاليد والعادات ، ويخطط لهذا

(١) لوثرروب ستودارد : حاضر العالم الإسلامى ، نقله إلى العربية عجاج نويهض ، تعليق شكيب أرسلان ، ط٤ ، القاهرة : دار الفكر العربى ، ١٩٧٣م ، ج٤ ، ص ١ .

(٢) محمد محمد حسين : الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر ج٢ ، ص ١٩٣ .

(٣) على عبد الحليم محمود : الغزو الفكرى وأثره فى المجتمع الإسلامى المعاصر ، الكويت : دار البحوث العلمية ، ١٩٧٩م ، ص ١٢٣ .

التغيير علماء النفس والاجتماع فوق أجهزة التخابر والإحصاء العامة المختلفة» (١).

ويرادف كلمة التغريب كلمة الأمركة أو الماركسة أو الغزو الفكرى أو الغزو الثقافى فى العصر الحاضر ، وكلها تعنى حرب الإنسان بالكلمات والأفكار والمبادئ والقيم ، وما إلى ذلك من مختلف الوسائل غير العسكرية ، كما أعرب عن ذلك الدكتور محمد سيد محمد فى بحثه المقدم إلى ملتقى الفكر الإسلامى التاسع عشر بالجزائر بعنوان : « الغزو الثقافى والاتصال الحضارى مفهومان متناقضان » .

ويرجع تأثير الفكر المصرى بالأفكار والمؤثرات الغربية إلى أواخر القرن الثامن عشر مع قدوم الحملة الفرنسية على مصر ، ورغم قصر الفترة الزمنية لها ، غير أنها استطاعت أن تحدث أثرا فى أوساط المجتمع المصرى ، ولا سيما فى الميادين الفكرية والعلمية والاجتماعية أيضا ، وقد واصل محمد على المسار نفسه ، إذ سمح للكثير من علماء الحملة فى البقاء بمصر ، ومواصلة أعمالهم وأبحاثهم ، وعمل على تشجيع الأنشطة العلمية والفكرية ، وترجمة عشرات الكتب من اللغات الأجنبية وإرسال البعثات إلى أوروبا وخاصة إلى فرنسا (٢) .

ولكن المحاكاة الحقيقية للغرب فى مصر بدأت فى عهد الخديو سعيد وخلفه إسماعيل فى الستينات والسبعينات من القرن التاسع عشر ، حيث بدأ النفوذ الأوروبى يتسرب إلى مصر ، وسمح له الحكام بالتوغل فى معظم الحقول الرسمية وغير الرسمية ، وأتى الوافد الأوروبى بطرق شتى ، من رجال مغامرين ومؤسسات اقتصادية - من بنوك وبيوت إقراض ورهونات وقروض للدولة - وبعثات تبشيرية ومدارس أجنبية ، وكلها تتلمس الطريق لتكوين فئات وكوادر مصرية تدین بالولاء للغرب وكنائسه ، فى الوقت الذى كانت الفئة السياسية الحاكمة فى مصر منفصلة عن الجماهير العريضة وآمالها وأحلامها ، وبذلك فقدت المناعة فى مقاومة هذا الوافد الأجنبى ، ومن ثم بدأ التقليد والمحاكاة والاقتباس من الغرب يأخذ طريقه إلى الحياة المصرية ، فى وسائل العيش وأنماط الحياة من ملابس ومسكن ومأكل ومشرب ، بل أخذت مصر تقتبس النظم القانونية الفرنسية فيما سمي بالإصلاح القضائى فى عهد الخديو إسماعيل ، هذا الإصلاح الذى فتح الطريق للامتيازات الأجنبية ثم المحاكم المختلطة ١٨٧٥ ثم المحاكم الأهلية ١٨٨٣ (٣) .

(١) على جريشة ، وزميله زريق : أساليب الغزو الفكرى للمجتمع الإسلامى ، القاهرة : دار الاعتصام ، ١٩٧٣م ، ص ٥٨ .

(٢) عواطف عبد الرحمن : مصر وفلسطين ، مرجع سابق ، ص ٣٩ .

(٣) طارق البشرى : الحركة السياسية فى مصر (١٩٤٥ - ١٩٥٢م) ، القاهرة : دار الشروق ، ١٩٧٠م ، ص ٣٢ ، ٣٣ .

ثم أدى الاحتلال البريطاني ١٨٨٢م إلى زيادة النفوذ الأجنبي وانتشار الأفكار الغربية ، وشيوع عادات وتقاليده غربية لم يعرفها المجتمع الإسلامى المصرى قبل ذلك ، كشراب الخمر ولعب الميسر والقمار ، ووجود حانات وأندية يمارس فيها ، وأصبح فى مصر مراقص وبيوت دعارة مرخصة لتسهيل هذا العبث والفجور تحت سمع الاحتلال وبصره^(١).

واندفع المصريون يقلدون الأجانب فى كل مظهر من مظاهر الحياة العامة والخاصة ، وانتشر اختلاط الرجال بالنساء على الطريقة الأوروبية ، وبدأت العادات والتقاليد الغربية تحظى باهتمام المصريين ، وتجرباً الناس على ارتكاب الموبقات والجهر بها باسم الحرية الشخصية أو التمدين ومسيرة روح العصر تارة ، أو باسم الثقافة والفن والعلوم تارة أخرى ، ومع نهاية القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين ، بدأ رواج الفكر الغربى متمثلاً فى نظرياته السياسية والاجتماعية والفلسفية ، ولم يعد الأمر تنظيماً أو نمطاً يؤخذ أو مطلباً يستعار ، ولكن صار مذاهب ونظريات وأدبا وشعرا ، وأساسا نظريا وعقليا ووجدانيا متكاملا للحياة كلها^(٢) .

وفى مجال الصحافة تكونت مدرسة التغريب ونقل معطيات الفكر الغربى ، ممثلة من بعض خريجي المدارس الأجنبية والإرساليات التبشيرية ، وعدد من الشوام المارونيين الذين أصدروا الصحف فى مصر ، وأعدتهم مؤسسات الإرساليات التبشيرية لقيادة الحركة الفكرية فى مصر خاصة الصحافة ، وكان فى مقدمة هؤلاء فارس نمر ويعقوب صروف وشاهين مكاريوس أصحاب « المقطم » ، وفرح أنطون صاحب مجلة « الجامعة » الذى هاجم حرية الفكر فى الإسلام ، والدكتور صروف صاحب « المقتطف » الذى روج لنظريات دارون وسبنسر والأخذ عن الثقافة الإنجليزية ، وجورجى زيدان الذى كتب تاريخ التمدن الإسلامى فملاًه بالأساطير والخرافات وكتب قصص تاريخ الإسلام ، فضمنها الشبهات والاتهامات التى ردها المبشرون والمستشرقون ، وشيلى شميل حامل لواء الفلسفة المادية ، والمدافع عن الاستعمار البريطانى ضد حرية واستقلال الشعوب .

ومن المصريين : لطفى السيد محرر صحيفة « الجريدة » ونصير الدعوة إلى القومية ومروج الأفكار العلمانية فى مصر .

ومن خلال نشاط هؤلاء عرفت الثقافة المصرية دارون ونييتشه وأوجست كونت

(١) يوسف القرضاوى : الحلول المستوردة وكيف جنت على أمتنا ، ط ٣ ، القاهرة : مكتبة وهبة ، ١٩٧٧م ، ص ٦٤ .

(٢) عبد اللطيف حمزة : أدب المقالة الصحفية ، ط ١ ، القاهرة : دار الفكر العربى ، ج ٣ ، ص ١٨ ، ومحمد حسين : الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر ، ط ٣ ، ج ١ ، ص ٢٤٤ - ٢٧٢ ، وطارق البشرى : الحركة السياسية فى مصر ، مرجع سابق ، ص ٣٤ .

والروائيين الروس والبريطانيين ، هذا بالإضافة إلى الكتاب الفرنسيين أمثال : فولتير وروسو ولونديباك ومونتسكيو ، وسيجموند فرويد ، وجوستاف لوبون وغيرهم من المفكرين الأوروبيين المعاصرين^(١) .

وهكذا نرى إحكام طوق التبعية والتغريب على عنق الشعب المصرى من خلال الحكام المنفصلين عن القاعدة الجماهيرية العريضة ، والذين يعيشون فى أبراج عاجية عيشة أوربية خالصة ، ومن الاحتلال البريطانى الذى كان من أهدافه السيطرة على عقول المصريين ، والاستحواذ على قلوبهم ضمانا لتبعيةهم وتقبلهم للوافد الغربى وإحكام السيطرة والتوجيه ، وتقريب المصريين من المحتلين ، ومن العملاء من الصحفيين والمفكرين الشوام النصارى الذين أتاحت لهم السيطرة على أجهزة الحكم والتوجيه والفكر والاجتماع فى تلك الفترة .

وكان الهدف من هذه الغزوة الفكرية التغريبية على حد قول الدكتور محمد عمارة : « سحق الشخصية القومية المتميزة للأمة وإفناء طابعها الحضارى الخاص أو تشويهه ، سعيًا إلى تحويلها إلى هامش حضارى للمركز الأوروبى ، ضمانا لتأييد وتأييد أهداف الغزوة الاستعمارية الحديثة التى أرادت وتريد نهب الثروات ، وجعل بلادنا سوقا لسلعهم ، وشعوبنا أيدى عاملة رخيصة ، وتحويل الأرض إلى قواعد عسكرية تحمى هذا الاستنزاف .. أى جعلنا هامشا لأوروبا فى الاقتصاد والأمن والفكر والاجتماع »^(٢) .

وفى الفترة التى تلت الحرب العالمية الأولى ازدادت موجة التغريب ؛ لأن أشجاره قد كبرت ونمت وبدأت تؤتى ثمارها ، فضلا عن التغيرات التى طرأت على الأوضاع السياسية العالمية بعد الحرب العالمية الأولى ، وكان لها فعاليتها على مصر ، فقد انهزمت دولة الخلافة الإسلامية ، ونخت صوت التنظيمات الإسلامية فى مصر وتركيا^(٣) ، ثم كان انقلاب مصطفى كمال أتاتورك على الخلافة الإسلامية وإلغائها فى عام ١٩٢٤م وإعلانه علمنة الدولة وسنة القوانين اللادينية ، أضخم تجربة علمانية لأبناء الشرق المسلم يمكن أن تقلد أو تحاكي^(٤) .

وقد أثر هذا بالطبع على الحياة الفكرية المصرية ، وبرز دعاة الحضارة الغربية من المتفرنجين يروجون لدعوتهم ، التى لاقت استجابة لدى معظم الناس فى المدن الكبرى

(١) أنور الجندى : يقظة الفكر العربى ، مرجع سابق ، ص ٩٩ ، ١٠٠ ، وأحمد عبد الرحيم مصطفى : تطور الفكر السياسى فى مصر الحديثة ، ص ٤٧ .

(٢) محمد عمارة : الصحوة الإسلامية والتحدى الحضارى ، القاهرة : دار المستقبل العربى ، ١٩٨٥م ، ص ١٧ .

(٣) طارق البشرى : الحركة السياسية فى مصر ، مرجع سابق ، ص ٣٦ .

(٤) محمد على ضناوى : كبرى الحركات الإسلامية فى العصر الحديث ، مرجع سابق ، ص ٧٦ .

وبخاصة الشباب الذى تستهويه مظاهر الحضارة الغربية بفتنها وبهرجها ، ومن ثم أخذ يتقبل المؤثرات الغربية ويحتذى حذور الأوربيين والأجانب ، ويشاركونهم فى احتفالاتهم مثل أعياد الميلاد وغيرها (١) ، وظهرت أنماط جديدة فى الحديث والسلوك الاجتماعى بل امتد التأثير الأوروبى إلى العلاقات الاجتماعية ، فتحررت العلاقة بين الجنسين ، وخلعت المرأة الحجاب ، وزاد الاختلاط بين الرجل والمرأة فى الشوارع والمدارس والأندية ، وظهرت المرأة على الشواطئ ، وغير ذلك من مظاهر التأثير الأوروبى (٢) .

وفى مجال التوجه السياسى بدأ حزب الوفد - الذى تكون بعد ثورة ١٩١٩م - يميل بالمصرية بعيدا عن طابع الحزب الوطنى ، حزب مصطفى كامل ذى التوجهات الإسلامية ، وقريبا من حزب الأمة المعروف باتجاهه الليبرالى ، وابتعد عن التوجه الإسلامى فى صوره التطبيقية ، وسلك مسلكا علمانيا (٣) . ومن جهة أخرى تأسس حزب الأحرار الدستوريين صاحب الولاء للإنجليز فى أكتوبر ١٩٢٢م على أساس قومى مصرى ، استمرارا لحزب الأمة ، وقد ضم عددا من الإقطاعيين أو كبار أصحاب الأراضى الذين كان أكثرهم من أعضاء حزب الأمة أو أبنائهم وذويهم ، وانضم إليهم فريق من المثقفين ذوى الاتجاه العلمانى الذين درسوا فى أوروبا أو المدارس الأوربية فى الشرق وتأثروا بمعطيات الفكر الغربى وأدبياته ، وساعدتهم الظروف السياسية فى مصر على نقل دعوتهم وتطبيقها فى المجتمع المصرى ، وساعد على نجاحهم أيضا ضعف التيار الدينى ، وجمود بعض المشايخ فى تفسير الدين (٤) ، ووقوفهم موقفا سلبيا أمام حقائق العلوم الحديثة ، يليهم أهل الطرق الصوفية وخرافاتهم ، كما أشار إلى ذلك رشيد رضا فى «المنار» (٥) ، ومن ثم بدأت دعاوى التغريب تنشط فى مصر .

وفى هذا التطور الزمنى يلاحظ أن دعاة العلمانية والمذاهب الغربية لم يعودوا أمثالا شبلى شميل وفارس نمر ، ويعقوب صروف وجورجى زيدان ، وشاهين مكاريوس وغيرهم من نصارى الشام ، بل صاروا مصريين من أمثال سلامة موسى ومحمود عزمى ، وطه حسين ، ومحمد حسين هيكل ، وإسماعيل مظهر وعبد الله عنان ومنصور فهمى ، وبرز هذا التيار التغريبى قويا فى الصحافة المصرية وبلغ ذروة تألقه فى فترة ما بين الحربين ،

(١) محمد محمد حسين : الاتجاهات الوطنية ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ١٨٥ ، ١٨٦ .

(٢) حمدى حسن : تطور الفكر الدينى فى مصر ، بحث غير منشور ، ص ٢٥ .

(٣) أحمد عبد الرحيم مصطفى : تطور الفكر السياسى فى مصر الحديثة ، القاهرة : ١٩٧٣م ، ص ٣٦ ، ٣٧ .

(٤) زكريا سليمان بيومى : الإخوان المسلمون والجماعات الإسلامية ، مرجع سابق ، ص ٢٤ ، ود. محمد عمارة : الصحوة الإسلامية والتحدى الحضارى ، مرجع سابق ، ص ٥٢ ، ٥٣ ، ود. عواطف

عبد الرحمن : مصر وفلسطين ، مرجع سابق ، ص ١١٧ .

(٥) المنار ، ج ٢ ، م ٢٩ ، شوال ١٣٤٦هـ ، أبريل ١٩٢٥م .

وأصبح له صحفه ومؤلفاته التى توزع على الناس ، وكان من أبرز الصحف التى حملت لواء التغريب وروجت للأفكار العلمانية ، صحيفة السياسة اليومية والأسبوعية لسان حال الأحرار الدستوريين ، وصحيفة الاستقلال لمحمود عزمى والمجلة الجديدة لسلامة موسى ، والرابطة الشرقية لعلى عبد الرازق ، والعصور الأسبوعية والشهرية لإسماعيل مظهر ، ومجلة الأسبوع التى أصدرها إدوارد عبده ١٩٣٣م (١) ، فضلا عن صحف الهلال ، والمقطم والمقتطف .

وقد اشتد الصراع بين أنصار التغريب وبين ذوى الاتجاه الإسلامى فى الصحافة المصرية وظلت المعركة مستمرة بين الطرفين ، ولا زالت ، وإن كانت تظهر فى أشكال أخرى كالتقدمية والسلفية ، أو التراث والمعاصرة ، أو القديم والجديد ، وهذا التحول جعل شيخا كالشيخ عبد العزيز البشرى يكتب فى السياسة الأسبوعية فى مقالها الافتتاحى محتفلا بأول السنة الميلادية ، فى الوقت الذى لم تكن تحتفل فيه السياسة الأسبوعية بذكرى الهجرة أو المولد النبوى ، أو غير ذلك من المناسبات الإسلامية (٢) .

وتزعم « الهلال » الدعوة إلى التوسع فى التشريع المدنى حتى يشمل المسائل الشخصية، ويزعم سلامة موسى « أن شرط النهضة أن تكون اجتماعية واقتصادية وأدبية، فلا يجب تغيير نظامنا الحكومى فحسب ، بل تغيير نظام العائلة واعتبارات الطبقة الاجتماعية ... وسبيل ذلك إيجاد نظام لزواج مدنى يعاقب فيه من يتزوج أكثر من امرأة واحدة ، ويمنع الطلاق إلا بحكم محكمة ، ويجيز زواج الأفراد ولو اختلفوا فى الدين (٣) . ومغزى هذه الدعوة - كما هو واضح منها - هو هدم أحكام القرآن الكريم وتعاليم الإسلام فى مسائل الأحوال الشخصية والقضاء عليها ، بغية توسيع المجال للدعوة إلى تطبيق القوانين المدنية الغربية على المصريين ، وتقليد الغرب فى عدم الزواج بأكثر من واحدة .

ويكتب سامى الجردى فى « الهلال » أيضا مناديا باقتباس أساليب الحضارة الغربية قائلا : « إن السبيل إلى الوصول إلى ما وصلت إليه الحضارة الغربية لا يكون إلا بالأخذ بأسباب الحضارة الغربية فى روحها ومادتها وتكوين رابطة قومية مصرية حليفة للقومية الإنجليزية » (٤) .

وتدعو صحيفة « الرابطة الشرقية » إلى المدنية الغربية أيضا ، فيكتب أحمد أمين

(١) عواطف عبد الرحمن : مصر وفلسطين ، مرجع سابق ، ص ٤٢ ، ٤٣ .

(٢) السياسة الأسبوعية أول يناير ١٩٢٧م .

(٣) الهلال ، عدد نوفمبر ١٩٢٢م ، نقلا عن : د. محمد حسين : الانجذامات الوطنية ، مرجع سابق ، ص ٩٢ .

(٤) الهلال ، عدد مايو ١٩٢٥م .

مدعيا أن العالم لا يحتمل إلا مدنية واحدة هي المدنية الغربية ؛ لأن المدينيات الشرقية في رعمه قد أخذت في الاضمحلال ، وأن العالم الشرقي سائر لا محالة إلى المدنية الغربية^(١) ، وكانت صحف التيار التغريبي تؤازر بعضها البعض في مساندة الدعوات التغريبية والترويج لها بين طبقات المجتمع المصري ، ففي الوقت الذي تدعو فيه الهلال إلى فوائد مذهب العري وتكتب نشأته وتدعو إلى اختلاط الجنسين في التعليم ، تكتب السياسة الأسبوعية عن الخمر والرقص وحفلات أعياد الميلاد ، وتواصل السياسة الأسبوعية حملتها في الدفاع عن دور البغاء ، تشاركها جريدة البلاغ ، واشتهر في ذلك الميدان محمد حسين هيكل ، والعقاد ، وفكري أباطة ، وسلامة موسى وغيرهم^(٢) .

وحفلت هذه الصحف بالحديث عن الممثلين والمغنيين والراقصين وأخبار المسارح والسينما ، وخصصت بعض هذه الصحف أيضا بعض أبوابها للأزياء والسهرة و«الموضة» وغير ذلك من الأخبار التافهة التي تغري الشباب وتستحوذ على النفوس^(٣) . وقد تعرض الدين الإسلامي في تلك الفترة لهجمة شرسة من دعاة التغريب وصحفتهم ، وكانت تتم المقارنة بينه وبين ما توارثه مختلف الشعوب من الأساطير ؛ لأن الأديان - في زعمهم - ليست إلا مجموعة من الأساطير التي لا تصلح إلا للتلهية ولإمتاع الخيال ، فمن ذلك مقال للدكتور محمد حسين هيكل عن « إيزيس » ذهب فيه مذهب الحوار على السنة أشخاص ، وناقش من خلاله أسس العقائد الفرعونية الدينية ، مقارنة بينها وبين الأديان السماوية مشيرا إلى ما تركت فيه من آثار فيما يزعم ، وفي مقاله هذا عبارات فيها جرأة على الدين وتهكم به^(٤) ، ومن هذا القبيل ما كتبه الدكتور طه حسين في مقدمة كتابه : «على هامش السيرة » حين قرر أنه لا يروى ما يكتبه فيه إلا على أنه أساطير جميلة فيها غذاء للعواطف ومتعة للخيال^(٥) .

وكانت بعض الصحف تذهب مذهبا خبيثا في شأن الدين ، فتقدم آراء غريبة شاذة لا تعرض لها بتكذيب ولا تصديق ، ولكنها تقدمها في أسلوب يجذب الكثير من القراء ، من ذلك مقال نشرته مجلة الهلال عنوانه : « العلم والإيمان وديانة الإنسانية الجديدة » ، تزعم فيه أن هذه الديانة الجديدة قد انتشرت في أمريكا ، وأن أصحابها يقولون : « إن مسألة وجود الله أو عدم وجوده ليست من المسائل الجوهرية ؛ لأنه إذا عمل الإنسان ما

(١) الرابطة الشرقية ، عدد ٢ ، السنة الأولى ، ٣ رجب ١٣٤٧ هـ ، ٢٥ ديسمبر ١٩٢٨ م .

(٢) زكريا سليمان بيومي : الإخوان المسلمون والجماعات الإسلامية ، مرجع سابق ، ص ٥١ ، ٥٢ .

(٣) محمد حسين : الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر ، مرجع سابق ، جـ ٢ ، ص ٣٣٣ ، ٣٣٤ .

(٤) المرجع السابق ، ص ٢٨ ، والسياسة الأسبوعية ، ١٤ مايو ١٩٢٧ م .

(٥) المرجع السابق ، ص ٢٨٢ .

هو صالح في هذا العالم فقد فعل ما هو مطلوب منه ، سواء أكان له روح خالدة أو لم تكن» (١) .

ولا ريب أن هذه الدعوة تستهدف القضاء على شأفة الدين من الوجود ، وهي دعوى صريحة إلى الإلحاد وإنكار وجود الله وما يتبع ذلك من ثواب أو عقاب في الحياة الآخرة ، هذا وقد جرت الدعوة في تلك الفترة إلى القول بأن الطبقة المثقفة يجب أن تعرض عن الأمور المتصلة بالدين والإسلام ، وأن البحث في مسائل الفكر الإسلامي هو شأن الشيوخ المتأخرين ، واتهم الدين الإسلامي بأنه ثمة عقبة في طريق التقدم والرقى ، وأن المسلمين لن يتقدموا ما داموا متمسكين بالإسلام ويتكلمون عن الدين (٢) ، وهذه أيضا دعوى باطلة ، وسيأتى الحديث عنها .

وقد تصدت صحافة الاتجاه الإسلامي لهذا التيار التغريبي وصحفه ، وأخذت على عاتقها نشر الفكرة الإسلامية ، ومعارضة مؤسسات التغريب والتوجه العلماني في الفكر المصري الحديث ، وكان من أبرز الصحف الإسلامية في تلك الفترة « المنار » لرشيد رضا و« الفتاح » لمحج الدين الخطيب ، وصحيفة « الشبان المسلمين » و« الهداية الإسلامية » و« نور الإسلام » و« الأزهر » وصحف الإخوان المسلمين ومصر الفتاة .

كان رشيد رضا من أوائل المفكرين المسلمين الذين لهم إسهام كبير ودور بارز في التصدي لأعداء الإسلام وحركة التغريب ودعاتها في مصر ، وكان يرى أن تحقيق رسالة الإسلام على أحسن وجه يتطلب عدم التمسك بالعقلية الغربية أو تقليد الغرب تقليدا أعمى ، وكان يسمى المتأثرين بالغرب « المتفرنجين » أى الذين يقلدون الإفرنج في عاداتهم وتقاليدهم ، ولما اشتد هجوم المتفرنجين على الإسلام ودعوا إلى ترك الدين أطلق عليهم دعاة الإلحاد .

وقد حاول رشيد رضا أن يرد على جريدة « السياسة » لسان حال حزب الأحرار الدستوريين التي كانت تدعو إلى وطنية لا دخل فيها للدين ولا للغة ، فأشار إلى أنه من الخطورة بمكان إحلال العاطفة القومية القائمة على الجنس محل التضامن الإسلامي ؛ لأن هذه في رأيه محاولة للتفريق بين المسلمين ، ودعوة إلى المروق عن الدين ، لأن الشريعة الإسلامية قادرة على أن تتمشى مع ظروف الحياة المتغيرة (٣) . وفي مقال آخر بعنوان : « دعاية الإلحاد في مصر » مضى رشيد رضا يوضح جهود هؤلاء في نشر الإلحاد ودعوتهم إليه ، وتآليف الجمعيات لبثه وهدم الإسلام وتآليف الكتب في الطعن على أعلام الإسلام

(١) الهلال ، عدد يونيه ١٩٣١م ، ١٥ محرم ١٣٥٠هـ .

(٢) أنور الجندى : يقطعة الفكر العربى ، مرجع سابق ، ص ١٠٠ ، ١٠١ .

(٣) عواطف عبد الرحمن : مصر وفلسطين ، مرجع سابق ، ص ٣٣ .

المتقدمين كالغزالي وابن خلدون ، والتنويه بمن اتهموا بالكفر والإلحاد كالمعري ، والإشادة بأدب من اشتهر بالفسق والخلاعة كأبى نواس^(١) .

واشتد الصراع بين « المنار » وكتاب السياسة لدرجة أن الدكتور محمد حسين هيكل أعلن في « السياسة » أنه لابد من قتل صاحب المنار - يريد بذلك قتله المعنوي والصحفي - وحاول كتاب السياسة أن يتهموا رشيد رضا بأنه يعمل لحساب جمعية سرية دينية سياسية لصالح الأمير عباس حلمي ، ذلك لأن المنار كانت تتصدى لجميع أنواع الدعاية الإلحادية التي تبثها جريدة السياسة تحت مسميات التجديد والثقافة العصرية^(٢) ، على أن هناك أمرا حريا بالاعتبار والذكر وهو أن التجديد في مفهوم التيار التغريبي يختلف عن مفهوم قادة الفكر الإسلامي في التجديد ، فكلاهما كان يدعو إلى التجديد ، ولكن التجديد لدى أنصار الفكر الغربي يعني اقتباس النظم الغربية حلوها ومرها ، ما يحمد منها وما يعاب ، واحتقار ثقافة الأمة الإسلامية وماضيها ، والمروق من العقائد والعادات والتقاليد الإسلامية^(٣) ، وهذه هي طروحات كتاب الصحافة الإسلامية عن التجديد .

ويشير الشيخ مصطفى الرفاعي اللبان إلى أن التجديد في وجهة نظر المستغربين أو المقلدين يعني هذه الأمور التالية :

- ١ - الشك في الأديان والعبث بأحكامها .
- ٢ - السخرية بالشرق والشرقيين .
- ٣ - عبادة المادة الماثلة في الآلات الغربية والمخترعات الحديثة .
- ٤ - إطلاق حبل المرأة على غاربها والدعوة إلى التبرج والخلاعة والمجون .
- ٥ - قطع الصلة بين الخلف والسلف .
- ٦ - تربية النشء تربية خالية من الدين .

أما التجديد في وجهة النظر الإسلامية يعني إزالة الخرافات التي رانت على عقول المسلمين ، وتقويم الأخلاق التي درست ، والاهتمام بما يقوى الأمة ويساعد على نيل

(١) المنار ، ج ١ ، م ٢٧ ، شوال ١٣٤٤هـ ، مايو ١٩٢٦ م .

(٢) المنار ، ج ٣ ، م ٢٨ ، ذو القعدة ١٣٤٥هـ ، مايو ١٩٢٧ م .

(٣) المنار ، ج ٣ ، م ١٨ ، مارس ١٩١٧م ، مقال بعنوان : « حزب الإصلاح بين الجامدين والمقلدين » ، والفتح ، عدد ١٤ ، ٩ ربيع الأول ١٣٤٥هـ ، ١٦ سبتمبر ١٩٢٦م ، مقال بعنوان : « التجديد وشيء من آثاره وواجب الأمة نحوه » ، بقلم الشيخ مصطفى سيف الحمامي خطيب مسجد السيدة زينب في ذلك الحين .

الاستقلال الاقتصادي والاجتماعي (١) .

ويفرق رشيد رضا بين نظرة المستغربين للتجديد ونظرة الإسلاميين فيقول : « إن التجديد الذى يدعو إليه هؤلاء المستغربين هو هدم كل ما يربط الأمة ، ويشد أزرها ، ويجمع كلمتها ، ويهذب أخلاقها من روابط الدين والمحافظة على العرض ، وتسمية الكفر والإلحاد والفجور وإباحة الأعراض تجديدا ومدنية وتقدما ورقيا !! وتسمية ما يقابل ذلك من العفة والتقوى والصيانة قديما باليا !! أما التجديد فى مفهوم الإسلاميين فالمراد منه تجديد هداية الدين وبيان حقيقته ، ونفى ما يعرض لأهله من البدع والغلو فيه ، أو الفتور فى إقامته والأخذ بما انتهت إليه علوم البشر وفنونها ، مع المحافظة على مقومات الأمة ، ومراعاة مصالح الخلق وسنن الاجتماع والعمران فى شريعته ، فبالنسبة لأمر العبادات والعقائد يجب الوقوف فيها عند النص القرآنى وبيان السنة النبوية ، وسيرة السلف الصالح فيه قبل حدوث البدع والآراء ومراعاة مصالح الأمة العامة فى الأحكام الدنيوية من مدنية وسياسية ، وأما ما فوضه الشارع إلى الناس من أمور دنياهم ووكله إلى علمهم وتجاربهم فيجب التجديد فيه بلا قيد ولا شرط » (٢) .

وذهب الشيخ عبد الوكيل جابر - المدرس بالأزهر - إلى وجهة نظر فى التجديد جديدة بالذكر ، وهى : أنه لا ضرر أن تأخذ أى أمة من الأمم عن غيرها ما فيه صلاحها ، فالأمة تعلم بعضها بعضا ، وهذه سنة تقتضيها الحياة ويؤديها المسار التاريخي للتطور ، وقد أخذت أوربا عن العرب ، وأخذ العرب فى العصر العباسي عن الفرس واليونان بعض العلوم . غير أنه يرفض أن تنسلخ أمة عن عقيدتها ومبادئها وعاداتها ومظاهر قوميتها ، فالأمة - على حد قوله : « تفنى إذا تنازلت عن شخصيتها وبهرها التقليد الأعمى ، ومن هنا ندد بصيحات التجديد فى مصر وتركيا التى تزعم أن الحياة الشرقية يجب القضاء عليها جملة واحدة ، والاستعاضة عنها بحياة الغرب فى تفصيلها وجمالها ، وأشار إلى خطأ هذا المفهوم وفحواه ، مستدلا على رأيه هذا بالبلاد الغربية نفسها ، فإنه « على الرغم من تقاربها فى الرقى واشتباكها بأواصر القربى من الدم والدين ، فما زال لكل شعب فيها ميزاته الخاصة وتقاليد الصالحة وهو ينافح عن دينه ويذب عن تقاليده ، ويزود عن لغته ، ويعمل على بث شخصيته فى بقية العناصر الأخرى » (٣) . وكل هذا واضح فيما تتخذه البلاد الغربية من احتياطات بالنسبة للهجرة

(١) الفتح ، عدد ٢٠٤ ، ٢٢ محرم ١٣٤٩هـ ، مقال بعنوان : « التجديد بين الإسلاميين ودعاة التجديد » بقلم الشيخ مصطفى الرفاعى اللبان .

(٢) المنار ، ج ٢ ، م ٣٠ ، صفر ١٣٤٨هـ ، يوليو ١٩٢٩م .

(٣) الهداية الإسلامية ، ج ٤ ، م ١ ، رمضان ١٣٤٧هـ ، ١٩٢٩م ، مقال بعنوان : « التجديد فى الشرق » للشيخ عبد الوكيل جابر .

وما تعمله فى سبيل غزو البلاد الأخرى بثقافتها وفكرها ولغتها ، وما تدين به من مذاهب وعقائد وغير ذلك .

وكتب الشيخ الخضر حسين فى مجلة « نور الإسلام » - لسان الأهر - يوضح أن الجديد لا يكون بتقليد الأجانب ومحاكاتهم فى شىء من شعائر دينهم ، وإنما يكون فيما يشتمل على مصلحة دينية ولا يخالف حكما شرعيا أو أدبا دينيا^(١) .

وهكذا نرى أن نظرة أنصار الفكر الإسلامى فى الصحافة المصرية إلى التجديد والأخذ بالنظم الحديثة لم تكن رجعية ولا جامدة ، كما حلا للبعض من أنصار الفكر العلمانى أن يصفها بالجمود والتخلف من أمثال الدكتور لويس عوض فى كتابه : « الفكر المصرى الحديث » وتشارلز آدمز فى كتابه : « الإسلام والتجديد فى مصر » وسلامة موسى فى مؤلفاته وطه حسين وتوفيق الحكيم وغيرهم ، بل على العكس من ذلك اتسمت نظرة الإسلاميين بالمرونة تجاه التطور والتقدم العلمى ، والأخذ بالتقنيات الحديثة وما انتهت إليه علوم البشر من فنون ونظريات ، لكن بشرط المحافظة على مقومات الأمة الإسلامية وعاداتها وتقاليدها ، ودينها وتاريخها ، وألا يكون الاقتباس عن الغرب مخالفا للأحكام الشرعية والدينية ، وما رفضه أنصار الفكر الإسلامى إنما هو التجديد القائم على المحاكاة والتقليد للغربيين فى شعائر دينهم ومظاهر حياتهم وعاداتهم وتقاليدهم الخاصة ، والشك فى الأديان والعبث بأحكامها ، وعبادة المادة ، والتحرر من قيود الدين ، والدعوة إلى التبرج والخلاعة والمجون ، وكل مظاهر الخروج عن الدين الإسلامى الخفيف ، ولم يحدث أن رفض أحد من كتاب الصحافة الإسلامية الجوانب العقلية والعلمية واقتباس النظم ، والمخترعات العلمية التى تفتقت عنها الأذهان الغربية .

وتجدر الإشارة هنا أيضا إلى أن وجهة النظر الإسلامية تجاه التجديد لها احترامها إلى اليوم حتى من أنصار الفكر العلمانى ، وقد عبر عنها الدكتور زكى نجيب محمود الذى عرف عنه انحيازه للفكر العلمانى - فى سلسلة مقالاته التى كتبها فى الأهرام بعنوان : « هذا هو عصرنا ، عربى بين ثقافتين » ، حيث ذكر أن الجوانب المتصلة بالذات الإنسانية وذوقها - وهو جانب الفنون والآداب - لا يؤخذ عن الغرب ، وأما الجانب العقلى العلمى فهو مشترك بين الناس جميعا ، فلا ضير أن يأخذه عربى عن يونانى أو عن هندى أو إنجليزى أو أى شعب آخر يكون له سبق فى علم ما ؛ لأن ذلك كله وليد العقل ، والعقل إنسانى مشترك ، وقد نقل العرب من الحضارة القديمة المجاورة لهم ، وفتحوا أبوابهم عليها ، ونقلوا كل ما استطاعوا الحصول عليه من نتاج العقل البشرى كالعلوم والفلسفة ، لكنهم

(١) نور الإسلام ، ج ٦ ، م ٣ ، جمادى الآخرة ١٣٥١ هـ .

أحجموا عن نقل الجوانب الاجتماعية والأدبية لتلك الشعوب» (١) .

كان التجديد الذى هاجمته صحافة الاتجاه الإسلامى هو ذلك التجديد القائم « على الطعن فى الأديان والشك فيها ، والمبنى على تناسى شخصيات الأمم وإهمال مميزاتها ونشر الآراء الخليعة والأفكار السيئة وأعمال المجون وتأيد دعاة الانحراف والمذهبية ، وقد انصب هجوم الصحافة الإسلامية على حركات التجديد فى العالم الإسلامى كله ولاسيما فى تركيا وبلاد الأفغان ومصر التى كانت فيها حركات التجديد على أشدها ودعت إلى تضافر الجهود وتآزر الأفراد والجماعات للقضاء على كل ما يصدر عن أصحاب هذه الدعايات من أضرال وأكاذيب ، وأن يهتم الغيورون من أهل العلم والفضل فى البلاد الإسلامية التى لم ينتشر فيها التجديد المزعوم بحماية بلادهم منه والتصدى لأفكاره وتهيئة الأذهان لفهم الفرق بين الاستنارة العلمية الصحيحة ، والاستنارة المزورة المزعومة» (٢) .

وحينما كتب فريد وجدى فى مجلة الحديث السورية فى شهر كانون « ديسمبر » ١٩٢٩م مقالا تحت عنوان : « روح العصر الحاضر نفحة إلهية » مدح فيها التجديد والمجددين فى تركيا ، وأشاد بالمدنية الغربية المعاصرة ، انبرى للرد عليه الشيخ محمد الخضر حسين فى مجلتى نور الإسلام ، والهداية الإسلامية ، واتهم الشيخ الخضر فريد وجدى بالمحاباة لزعماء التجديد فى تركيا ومصر ، وأنه يسلك مسلكهم ، فقد قال فريد وجدى فى مجددى تركيا : « إنهم تأمروا على الدين ليقموا الإصلاح فى جوهر » ثم انتقل إلى الحديث عن حركة التجديد فى مصر فذكر أنها : « لم تصطدم بمقاومة رجال الدين » ، وذكر الشيخ الخضر فى رده على هذه النقطة أن فريد وجدى يريد القدر فى علماء الدين فى مصر ، الذين لم يتوانوا فى مقاومة حركة التجديد المزعومة ، ولم يقصروا فى محاربة التجديد الخارج عن المصلحة العامة ، والذى هو على حد رأيه « شقيق الإباحية » ، فما قعد هؤلاء العلماء عن مقاومته ، وما زالوا يكتبون ويخطبون فى تفنيد آراء الفئة التى تدعو إلى تقليد أوروبا فيما لا خير فيه (٣) .

يقول رشيد رضا : « وقد بلغ من احتقار أذعياء التجديد لنا أن يجهر بالملاحدة والأقباط بدعوتهم على المنابر فى دور المدارس والجامعات إلى ترك ديننا ، وقد تجرأ أحدهم وهو سلامة موسى إلى الطعن فى الإسلام من طريق الإلحاد والإباحية والعصبية الوطنية ، الفرعونية « القبطية » على صفحات الصحف ، وصار يشتم كل من يدافع عن الإسلام فى مصر وفى غيرها ، وسار على منهاجه محمود عزمى والدكتور فخرى

(١) زكى نجيب محمود ، الأهرام بتاريخ ١٥ / ١١ / ١٩٨٨م ، المقالة الثانية : « عربى بين ثقافتين » .

(٢) الهداية الإسلامية ، ج ٣ ، م ١ ، شعبان ١٣٤٧هـ .

(٣) نور الإسلام ، ج ١ ، م ٣ ، محرم ١٣٥١هـ ، والهداية الإسلامية ، ج ٩ ، م ٤ ، صفر ١٣٥١هـ .

عبد النور فى نبذ أحكام القرآن فى الميراث والمساواة بين الرجال والنساء» (١) .

كان من أبرز ما تصدرت له صحافة الاتجاه الإسلامى دعوى أنصار الفكر الغربى إلى نبذ الدين الإسلامى تقليدا لأوربا . يشير رشيد رضا إلى أنه من العجب أن يقوم هؤلاء ببث هذه الدعوة فى الوقت الذى لا تزال فيه أوربا باقية على نصرانيتها والدين المسيحى لا يزال يعلم فى أرقى المدارس والكلليات فى دول أوربا الراقية مثل إنجلترا والدانمرك والسويد وهولندا وألمانيا ، وأنهم يعلمون أن المسيح هو ابن الله إلى هذه الساعة ، وأنهم لا يريدون أن يعرفوا أنفسهم إلا مسيحيين (٢) .

وقادة النهضة الحديثة فى أوربا يشجعون على نشر الدين المسيحى ، ويساعدون الهيئات التى تقوم بالتبشير فى كل أنحاء الأرض ، كما صرح بذلك حسن البنا فى صحيفة الإخوان المسلمين (٣) .

ولم تهمل أوربا الروابط الدينية ولا استخفت بها كما يدعى دعاة التغريب والعلمانية ولا وجدتتها بدعا فى السياسة ، والدليل على ذلك أن ملك إنجلترا هو فى الوقت نفسه ملك الإنجليز ورئيس الكنيسة الإنجيلية ، وامبراطور ألمانيا هو رئيس الكنيسة اللوثرية ، وأن المستر غلادستون رئيس نظارة إنجلترا ، ورئيس حزب الأحرار كان قسيسا ومن أشد الإنجليز تعصبا لدينه ، ودولة فرنسا التى يقال : إنها لا دينية ، تصف نفسها بحامية النصرارى فى الشرق ، وأبرز مثل على ذلك هو تلك الرابطة بين فرنسا والموارنة رغم أنهم ليسوا بأوربيين (٤) .

وهكذا تظهر عدم مصداقية أنصار التيار التغريبى وسقوط حججهم فى دعوتهم إلى التخلّى عن الدين تقليدا لأوربا ، كما يلاحظ أن هذا الاتجاه قد هاجم الدين الإسلامى ، فى حين لم يهاجم النصرانية ولا رجالها مما يشير إلى فقدته للموضوعية والحيدة وعمالته للغربيين ، والعمل على تحطيم القيم الإسلامية وإبعاد الإسلام ومعطياته ومناهجه عن الحكم والتوجيه ، ومساعدة المبشرين على ملء الفراغ الإسلامى بالنصرانية .

وتجدر الإشارة هنا أيضا إلى تفاوت موقف هؤلاء تجاه الدين ، فمنهم المعتدلون والغلاة المارقون عن الدين الذين يحاربون أصوله وفروعه وينفثون سموم الكفر والفسق فى أهله ، ومنهم الذين لا يحبون أن يعرف حالهم ، ولا يحبون أن يتكلموا فى الدين ، ومنهم الثابت على عقيدته التى نشأ عليها ، وكان تفرنجها فى بدنه لا فى عقله ووجدانه ،

(١) المنار ، ج ١ ، م ٣٢ ، جمادى الآخرة ١٣٥٠ هـ ، أكتوبر ١٩٣١ م .

(٢) المنار ، ج ١ ، م ٢٦ ، رمضان ١٣٤٣ هـ ، أبريل ١٩٢٥ م .

(٣) الإخوان المسلمون ، ١٠ جمادى الأولى ١٣٥٢ هـ .

(٤) المنار ، ج ١ ، م ٢٦ ، رمضان ١٣٤٣ هـ ، ١٩٢٥ م .

وذلك أثر التعليم العصري والتربية الغربية التي حبيت إليه ما تلقنه وتربى عليه من تقاليد الغرب وعاداته ، قبل أن يلقن ما لأمته من ذلك ويتربى عليه ، ومنهم من تفرنج لمجرد تقليد الغربيين^(١) ، زاعما أن ذلك هو التقدم ، وهذا الصنف لا يزال موجودا حتى الوقت الحاضر .

ويمكن تقسيم المهاجمين للإسلام من المتفرنجين إلى ثلاث طبقات :

الطبقة الأولى : المجاهرون بالكفر والصد عن الدين والطعن في عقائده ، وإلقاء الشكوك والشبهات فيها ، وذلك فيما يكتبون في الجرائد والمجلات المختلفة ، ومنهم صاحب مجلة العصور ومطبعها إسماعيل مظهر ، وبعض محرري الجرائد اليومية والأسبوعية كصحيفة السياسة ، الذين يحاربون جعل الدين الرسمي للحكومة المصرية هو الإسلام ، ويطالبون بإيجاد قانون مدني للأحوال الشخصية لا يتقيد فيه بشيء من الأحكام الشرعية الإسلامية ، وأن تكون الحكومة لادينية^(٢) .

ومثل صحيفة السياسة - بل أشد - مجلة الهلال وصحف دار الهلال المشاركة للسياسة في أشهر محرريها ، والتي تدعى أنها لسان حال الشبان العصريين ، ففي كل جزء من أجزائها عدة مقالات لدعاة تجديد الإلحاد والإبادة المطلقة ، وقلما تنشر غيرهم شيئا يخالفه ، وكان سلامة موسى - نصير الفلسفة المادية - هو الركن الثابت في تحريرها ، وكانت لا تكتفي بما تنشر له من المقالات في ذلك ، بل تطبع له في كل عام كتابا جديدا في تأييد هذه الدعاية الهدامة للأمة المصرية ، والأمة الشرقية وترسله هدية إلى قرائها ترغيبا لهم في قراءته ، وكانت صحف الهلال ، والصحف العلمانية الأخرى ، التي تهاجم الإسلام وتتجرأ عليه تعتمد على النظريات الفلسفية الغربية ، وترجم من بعض الكتب والصحف الأجنبية ، وتنقل بعض آراء أهلها ونظرياتهم ، وتنشرها على أنها قضايا مُسلم بها لا تقبل الرد ولا المناقشة^(٣) .

الطبقة الثانية : الزنادقة الذين يظهرون الإسلام ويخفون الكفر ، وهم مع ذلك يطعنون في أصول الإسلام ، ويشككون في بعض آيات القرآن الكريم ، ورأى هؤلاء في الدين أنه رابطة اجتماعية سياسية ، يكفي في الاعتراف لأهلها موافقتهم للجمهور في بعض الشعائر العامة ، ويبسحون لأنفسهم السكر وترك بعض الفرائض والقمار ، وغيرها من المنكرات بحجة الحرية الشخصية .

(١) المنار ، ج ٨ ، م ٢٠ ، شعبان ١٣٣٦هـ ، مايو ١٩١٨ م .

(٢) المنار ، ج ١ ، م ٣٠ ، محرم ١٣٤٨هـ ، أبريل ١٩٢٨ م .

(٣) المنار ، ج ٢ ، م ٢٩ ، شوال ١٣٤٦هـ ، أبريل ١٩٢٨ م .

الطبقة الثالثة : المقلدون الذين ليس لهم موقف ثابت ، فهم يجمعون بين الكفر والإسلام ، ومنهم من يصلى مع المسلمين لأنه تربى على ذلك ، ثم يقرر ما هو كفر صراح بإجماع المسلمين ، ويوافق الملاحدة القائلين به ، فإسلامهم - على حد تعبير رشيد رضا - تقليدى ، وإلحادهم تقليدى أيضا (١) .

ولا يغرب عن البال أن كل هؤلاء يعملون على هدم الدين الإسلامى من جميع جهاته فى الاعتقاد والتشريع والآداب والفضائل ، وكذلك هدم سائر مقومات الأمة الإسلامية والعربية فى اللغة والزى وغيرها ، حتى لا يكون للأمة شىء من ماضيها تحافظ عليه ، بل منهم من يدعو جهرا إلى ترك الجنسية العربية والالتحاق بدولة أجنبية كالإنجليز ، ومنهم من يدعو إلى ترك القديم كله ولو كان منه ما يفيد ، وأن يستبدل به غيره من الجديد المقتبس من النظريات والآداب والتقاليد والأزياء الأوروبية ، ويعتمدون فى رواج دعايتهم على الجيل الناشئ من الشبان والشابات الذين يتعلقون بكل جديد لطرافته ، وعدم رسوخ عقائدهم ، واستكمال عقولهم ، وأيضا على العوام قصار العقول الذين يندفعون وراء شهواتهم (٢) .

وقد ساعد أنصار الفكر الغربى فى الهجوم على الدين الإسلامى ، جمود بعض فقهاء المسلمين فى تفسير الدين حقبا طويلة ، يليهم أهل الطرق الصوفية وخرافاتهم ، كان لكل ذلك تأثيره فى تشجيع هؤلاء المفسدين للمسلمين ، ذلك أن الجامدين من المسلمين كانوا يفتنون بعدم الانتفاع بالعلوم الحديثة بدعوى أنها معارضة للدين الإسلامى ، ومخالفة للقرآن الكريم ، حتى أنهم كانوا يحرمون علم الجغرافيا على سبيل المثال ، مع أنه ليس من موضوعه ولا لمسائله علاقة بالمباحث الدينية ، إلا أن يكون فى إثبات كروية الأرض ودورانها ، وكان فيهم من يقول بتحريمه ويعارض فى تعليمه إلى عهد قريب (٣) .

وهكذا ساعد جمود بعض المسلمين فى تفسير الدين ورؤيته للمسائل العلمية وضلالات الصوفية على دخول النظريات الغربية إلى ديار المسلمين ، وذويع التيار التغريبى ورواج فكره ، فضلا عن البعثات التعليمية من طلاب المسلمين إلى الدول الغربية وانتشار المدارس الأجنبية ، نشرت « المنار » خطبة الحكيم محمد أجمل خان ، أحد علماء المسلمين فى الهند ، نقلا عن جريدة الخلافة الهندية ، تحدث فيها عما شاهده فى أوروبا ، ناعيا فيها أيضا أحوال الطلاب المبعوثين من الدول الإسلامية إلى أوروبا . هذه الطبقة المتعلمة التى سيعقد عليها فى المستقبل آمال البلاد والدفاع عنها وقيادة شعبها ، قد أخذت

(١) المنار ، ج ١ ، م ٣٠ ، محرم ١٣٤٨هـ ، يونيه ١٩٢٩م .

(٢) المنار ، ج ٢ ، م ٢٩ ، شوال ١٣٤٦هـ ، إبريل ١٩٢٨م .

(٣) المنار ، ج ٢ ، م ٢٩ ، شوال ١٣٤٦هـ ، إبريل ١٩٢٥م .

تنبذ الدين ظهريا وأخذت تنحو نحو العلمانيين اللادينيين ، وتميل إلى التفرنج أكثر مما تميل إلى عوائد قومهم^(١) .

وحينما سئل رشيد رضا فى فتاوى المنار عن سبب ذبوع الإلحاد فى مصر ، ركز إجابته فى سببين رئيسيين :

أولهما : عدم التعليم الإسلامى الصحيح الذى يقتضيه حال هذا العصر ، وعدم التربية المالية الوجدانية على هدايته .

ثانيهما : انتشار الأفكار الإلحادية المادية والشبهات العلمية على الدين فى المدارس العصرية من أجنبية وأميرية ، وتولى المتخرجين فيها أمور الحكومات وسائر المصالح العامة^(٢) ، فضلا عن أن المستعمرين كانوا يعنون بإفساد دين الأمة وأخلاقها وتقاليدها وعاداتها لقطع جميع الروابط التى تكون بها أمة . ويمكن إجمال الأسباب التى ساعدت على ذبوع التيار التغريى ، وولوج الأفكار الغربية إلى الحياة الإسلامية فيما يلى .

- ١ - جمود بعض المسلمين فى تفسير الدين ورؤيته للمسائل العلمية .
- ٢ - الضلالات والبدع التى أدخلتها الطرق الصوفية فى الفكر الإسلامى والحياة الإسلامية .
- ٣ - البعثات التعليمية من طلاب المسلمين إلى الدول الغربية ، وتقلد هؤلاء الطلاب المناصب الرئيسية فى دولهم ، واحتلالهم لمنابر الفكر والتوجيه مع تشبعهم بالفكر الغربى وتقليده .
- ٤ - عدم العناية بالتربية الإسلامية والتعليم الإسلامى الصحيح الذى يقتضيه العصر الحاضر .
- ٥ - نشاط المستعمرين فى العمل على إفساد دين الأمة الإسلامية وأخلاقها وعاداتها ، وقطع الروابط بين أقطارها .
- ٦ - المدارس الأجنبية المنتشرة فى البلاد الإسلامية ومدارس التبشير .

وكان شر الهجوم على الإسلام فى تلك الفترة أن يهاجمه بعض الأعضاء فى مجلس النواب ، ويطعن فى الشرع وفى القرآن ذاته ، حتى قال أحدهم : إنه لا يحترم كتابا - يقصد القرآن الكريم - يبيع تعدد الزوجات ، بل الأخطر من ذلك أن تؤلف الأحزاب وتتعاون الجماعات على بث الدعوة إلى الإباحة والإلحاد ، ونشر الجرائد والمجلات لبث آرائهم المسمومة ، وإلقاء المحاضرات فى ذلك ، ونشر الكتب التغريية باسم التجديد

(١) المنار ، ج ٧ ، م ٢٦ ، جمادى الآخرة ١٣٤٤هـ ، يناير ١٩٢٦م .

(٢) المنار ، ج ٧ ، م ٣٠ ، شعبان ١٣٤٨هـ ، يناير ١٩٣٠م .

والعلمانية^(١) .

ومن أبرز المعارك التي دارت بين أنصار التغريب وأنصار الفكر الإسلامي تلك المعركة التي جرت بين رشيد رضا ، وبين الدكتور محمد حسين هيكل وأنصاره من دعاة التغريب ، فقد شن الدكتور هيكل حملة ضارية على رشيد رضا واتهمه بالنفاق والكذب والاتجار بالدين ، وقال مخاطباً أنصاره : « كونوا أحراراً في أفكاركم ، أحراراً في عقائدكم ، أحراراً في سعيكم إلى الإصلاح . . . كونوا مخلصين في حريتكم وإن رموكم بالإلحاد ، وليعلم أى منكم مسه هذا القول أن المخلص في إلحاده خير من المنافق في إيمانه ، إنما الإلحاد والإيمان والإسلام والنصرانية ، كلها ضروب من اليقين في العقيدة ، يأخذ بها الرجل مخلصاً لها إن قرأ في نفسه أنها الحق أما النفاق والإفك ، وما يروجونه من الأباطيل فهي من مبتدعات النفس المخربة النفس الفاسدة »^(٢) .

ويتضح من هذا القول أن الدكتور هيكل قد بالغ في عدائه ، وغالى في قوله ، وخرج عن المعقول في دعوته ، فساوى بين الإسلام والإيمان والنصرانية ، وإلا فأى حق هذا الذى أراده ، وأى إصلاح ينادى به ؟ فأى إصلاح يتعارض مع العقيدة الإسلامية هو وهم وفساد وينبغى التصدى له .

وقد أثارت هذه التصريحات وهجوم الملاحدة على الفكر الإسلامى وتعالى صيحاتهم ، موجة من السخط والاستياء من جانب الرأى العام الإسلامى فى داخل مصر وخارجها ، وشعر المسلمون فى كل مكان باضطهاد فى دينهم ، وانهالت البرقيات المؤيدة للجانب الإسلامى ، والمشاركة للصحافة الإسلامية فى نذائها للتصدي لهذا الهجوم على العقيدة الإسلامية ، وعلى سبيل المثال : نشرت المنار عريضة كتبها أهالى بلدة برنبال ، مركز فوه ، مديرية الغربية - كفر الشيخ حالياً - يعلنون فيها استياءهم وغضبهم لما وصل إليه حال الدين فى مصر ، بلد الأهر ودينها الرسمى هو الإسلام ، ويقترحون فيها عدة اقتراحات لعلاج هذا الأمر ، كان من أبرزها :

- ١ - أن يدخل التعليم الدينى فى المدارس الحكومية وغيرها ، ويكون مادة أساسية حتى يخرج النشء عارفاً بدينه نافعا لأمتة .
- ٢ - أن يقرر بجميع المدارس الإلزامية قسم لحفظ القرآن الكريم .
- ٣ - منع البغاء الرسمى فى الدولة المصرية المسلمة .
- ٤ - تحريم الخمر الرسمى فى الدولة المسلمة .

(١) المنار ، ج ١ ، م ٣٠ ، محرم ١٣٤٨ هـ ، ١٩٢٩ م .

(٢) محمد سيد كيلانى : السلطان حسين ، فترة مظلمة فى تاريخ مصر ، مرجع سابق ، ص ١٩٧ .

٥ - عقاب تاركى الصلاة عمدا .

٦ - أن تكون الحكومة المصرية حكومة إسلامية تطبق التشريعات الإسلامية ، وتتصدى للملحدين^(١) .

ومن المغرب كتب أحد المسلمين بتوقيع « مسلم غيور » موجهها نداء عاما إلى الأزهر الشريف وعلمائه يقترح فيه ما يلى :

١ - إنشاء جمعيات من علماء الأزهر فى القطر المصرى كله ، تكون وظائفها الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، عن طريق تأسيس الجرائد والمجلات الدورية وتوزيعها بأرخص الأثمان ، وإلقاء المحاضرات فى المساجد والمتدييات .

٢ - تأسيس جمعيات تشغل بالسياسة العامة لتظهر للعالم أجمع أن الإسلام دين ودولة ، وتخوض معترك الحياة السياسية ، مستعينين فى ذلك بإصدار الجرائد والمجلات أيضا .

٣ - دخول الحياة النيابية ؛ لأن أعظم وظائف مجلس النواب هو التشريع ومراقبة الحكومة ، وذلك هو معنى : الإسلام دين ودولة . وإذا لم تكن قوانين المجلس مرتكزة على علماء الدين ، فتكون قوانين مبتورة ومجحفة^(٢) .

وقد دعا رشيد رضا أيضا قادة الإصلاح الإسلامى أن يكونوا على أهبة الاستعداد لجهاد هؤلاء الملاحدة ، الذين يحاولون هدم الإسلام من كل طريق ، ومن أقرب طريق ، فمنهم من يحاول هدم الإسلام بالدعوة إلى استبدال اللغة العامية بلغة القرآن الكريم ، ومنهم من يهدف إلى التشكيك فى القرآن بنشر آراء الماديين والملحدین من القدماء والأوربيين ، ومنهم من يصد عن الإسلام وشريعته بنقل القوانين الغربية وتفضيلها على قوانين الإسلام ، وذكر رشيد رضا أنه قد « ابتليت الأمة الإسلامية بتكوين حزب الملاحدة المارقين ، ولو سكت أهل الحق على ما ينشرونه من سموم أباطيلهم لعظمت جراتهم ، وانتشرت دعوتهم ، وليس الانتصار عليهم بالأمر العسير ، فإن حججتهم داحضة وأقوالهم متناقضة ويخافون الردة الصريحة وأن ما يتوخاه هؤلاء من نباهة الذكر عند الأوروبيين ، والتشبه بمن ناهضوا الكنيسة ورجال الدين ليس بالغرض الصحيح ، فهم لا يجدون فى الإسلام ولا فى رؤسائه تلك الأسباب التى حملت بعض كتاب أوروبا على مجاهدة الكنيسة ورجالها ، والظعن فى نص النصرانية ، فالإسلام نفسه أرشد البشر إلى العلوم الكونية ، وأوجب الفنون والصناعات المدنية ، وأخرج البشر من رق رؤساء الدين والدنيا إلى فضاء

(١) المنار ، ج ١ ، م ٣١ ، محرم ١٣٤٩هـ ، مايو ١٩٣٠م .

(٢) المنار ، ج ٤ ، م ٢٨ ، ذو القعدة ١٣٤٥هـ ، مايو ١٩٢٧م .

الحرية الرحب « (١) » .

وعلى شاكلة المنار ودعوة رشيد رضا وفلسفته وتأثيره واتجاهاته ، نشأت صحيفة الفتح لمحب الدين الخطيب ، الذى يعتبر الحلقة الثالثة فى سلسلة الصحافة الإسلامية فى مصر بعد جمال الدين الأفغانى ومحمد عبده فى العروة الوثقى ورشيد رضا فى المنار ، ثم تشكلت عدة جمعيات إسلامية فى نهاية العشرينات وأوائل الثلاثينات من هذا القرن ، نشطت فى إصدار الصحف الإسلامية ، كان من أبرز هذه الجمعيات جمعية الشبان المسلمين التى أصدرت صحيفة الشبان المسلمين ، وجمعية الهداية الإسلامية التى أصدرت صحيفة الهداية الإسلامية ، ونشط الأزهر أيضا وأصدر صحيفة نور الإسلام والأزهر فيما بعد ، وجمعية الإخوان المسلمين التى أصدرت صحيفة الإخوان المسلمين ثم مجلة النذير وغيرها ، وجمعية مصر الفتاة التى أصدرت عدة صحف منها : الصرخة ومصر الفتاة والشعر والضياء .

ومن تلاميذ جمال الدين الأفغانى ومحمد عبده ورشيد رضا ومحب الدين الخطيب ورجال الحزب الوطنى ، والصحف الإسلامية تشكل تيار إسلامى قوى حمل لواء مقاومة التيار التغريبي فى الصحافة المصرية ، وفوق منابر الجمعيات والبرلمان المصرى ، وحاول فى بعض اتجاهاته أن يوائم بين تعاليم الإسلام وبين معطيات الحضارة الحديثة ، وفى بعضها الآخر حاول إعادة النظر فى وضع المؤسسات الدينية ودور الدين فى المجتمع ، وبعث المدنية الإسلامية فى مقابل المدنية الغربية ، ومحاربة زحف المؤثرات الغربية على مصر وتنقية الفكر الإسلامى وتقرير حقائق الدين على وجهها الصحيح ، والأخذ بمنهج القرآن والسنة ، ومواجهة نشاط البعثات التبشيرية فى المجتمع المصرى ، ومقاومة الإلحاد والدعايات غير الإسلامية بوجه عام .

وقد ظل عديد من أنصار الفكر الإسلامى - من أمثال رشيد رضا ، ومحب الدين الخطيب ، وحسن البنا ، والشيخ محمد الخضر حسين ، والشيخ عبد الباقي سرور ، والشيخ يوسف الدجوى ، والدكتور يحيى الدرديرى ، وأحمد حسين ، ومحمد أحمد الغمراوى ، والشيخ محمد شاکر ، وأحمد شاکر وغيرهم - يناقشون الفكر التغريبي وصحفه ، ويهاجمون أتباعه وأنصاره ويطالبون بإقصائهم عن مراكز الفكر والتوجيه فى الجامعة ووزارة المعارف طوال فترة العشرينات وحتى نشوب الحرب العالمية الثانية (٢) .

وكانت الصحف الإسلامية هى الساحة التى تألف فيها أنصار الفكر الإسلامى وعلماء

(١) المنار ، م ١٩ ، ١٦ سبتمبر ١٩١٧م ، أنور الجندى : تاريخ الصحافة الإسلامية ج١ ، القاهرة : دار الأنصار ، ١٩٨٣م ، ص ٢١٠ ، ٢١١ .

(٢) أنور الجندى : يقظة الفكر العربى ، مرجع سابق ، ص ٣٩ .

الإسلام ، وعلى صفحاتها هوجمت الصحف التغريبية الوجهة ، العلمانية المبدأ ، التي تكيد للإسلام والمسلمين ، وتشوه الحضارة الإسلامية ، وتغير حقائق التاريخ الإسلامى ومعطياته فى شؤون الحياة ، وتدعو دعوة صريحة إلى التخلي عن المدنية الإسلامية واقتباس أنماط المدنية الغربية فى كل مظاهر الحياة وأنماطها والاحتذاء بها وتطبيقها فى مصر .

ويلاحظ أن الصحف التغريبية كانت تلجأ إلى حيل والأعيب تهدف من ورائها إلى إقناع المصريين بالتغريب أو التجديد فى زعمهم ، وتغمز أيضا أنصار الفكر الإسلامى ، فتذهب السياسة : « أن هناك فى بلاد الأفغان المسلمة حركة تجديد ناجحة ، وأن الرجعيين هناك يقاومونها كما يقاوم أمثالهم فى مصر حركة التجديد فيها ، هذه الحركة التى باتت - فى زعمهم - تشمل أكثر العالم الإسلامى » (١) .

وقد انبرى الشيخ عبد الباقي سرور لمواجهة هذا الزعم ، واتهم جريدة السياسة بتشويه الحقائق ومخالفة الأمانة الصحفية ؛ لأن حركة التجديد فى بلاد الأفغان قائمة على تجديد فى التسليح وإعداد العدة . . . وغير ذلك من مستلزمات القوة الحربية آنذاك ثم يسخر من السياسة قائلا : « تخيلت جريدة السياسة أن الحركة فى بلاد الأفغان قائمة على إنكار الشعر الجاهلى ، ونشر الشك فى وجود الله ، وبعث الرسل ، وتهتك النساء ، والرجوع إلى اللغة العامية ، وجعل الأدب المكشوف قاعدة التحرير والكتابة » (٢) . وهكذا يكشف الشيخ سرور عن سوءات التجديد التى تدعو إليه « السياسة » وأنصار التجديد فى مصر ، ثم لما كتب فى السياسة الأسبوعية فى عددها الصادر فى ٣٠ يوليو ١٩٢٧م أنه قد تألفت فى الولايات المتحدة الأمريكية جمعية للإلحاد لها فروع لنشر الإلحاد ولهذه الجمعية فروع متعددة فى جميع أنحاء العالم ، كتب الشيخ سرور فى « الفتح » مشيرا إلى أن غرض « السياسة الأسبوعية » محاربة الأديان والاعتقاد فى وجود الله ، فالقارئ للسياسة الأسبوعية يرى أن شغلها الشاغل هو الدعاية إلى الإلحاد ، والتبشير وتحريض الشباب المصرى على أن يقلد شرذمة الملاحدة فى أمريكا ، وأيضا فى تأليف الجمعيات الإلحادية ، ووضع البرامج لها ورسم الخطط التى تقوم عليها (٣) .

وانتقد الشيخ سيد على الطوبجى ما كتبه عزيز طلحة فى السياسة الأسبوعية يهاجم ابن جرير الطبرى ، المفسر الشهير ، وعلماء الدين الإسلامى ، ويصفهم بالجمود ،

(١) السياسة ، عدد ٢٦ ديسمبر ١٩٢٧م .

(٢) الفتح ، عدد ٥٧٧ ، رجب ١٣٤٦هـ ، ٢٩ ديسمبر ، ١٩٢٧م .

(٣) الفتح ، عدد ٥٧ ، ١٤ صفر ١٣٤٦هـ ، ١١ أغسطس ١٩٢٧م .

وأنه قد فاتهم البحث والتنقيب فى الأمور التاريخية ، قال الشيخ الطوبجى فى الرد على ذلك : « إن الكلام على التاريخ وفوائده ومغالطه لم يفت المتقدمين ، فإن الحقائق العلمية والمسائل التاريخية وإن ترك التحقيق فيها بعض المؤلفين فهى لم تفت بقيتهم » ، ثم يضى فى ذلك الرد شارحا أن الإسلام لا يحظر على المرء أن يناقش ويبحث ويعمل عقله ، بل هو الدين الوحيد الذى فتح باب المناقشة والنظر والبحث والمطالبة بالأدلة والبراهين^(١) .

وهكذا ظلت المعركة مستمرة ومستعرة بين أنصار التيار الإسلامى فى الصحافة المصرية وبين أنصار التغريب ودعاة الفكر الغربى حتى وصلت إلى درجة السباب ، فأنصار التيار الإسلامى يتهمون أنصار التغريب بالإلحاد والإباحية فى حين يتهمهم أنصار التغريب بالجمود والرجعية ، واستمرت هذه المعركة بين الفريقين على صفحات الجرائد المصرية والمجلات يتراشقون فيها بالأقلام ، ويتبادلون الردود بالمقالات والحجج والبراهين ، وقد دخل مشايخ الأزهر إلى هذه المعركة وأسهموا فيها إسهاما كبيرا فى الرد على الصحف التغريبية ومحرريها ، ولا سيما بعد أن هاجمت صحف الهلال - الفكاهة كل شىء - الجامع الأزهر والمحاكم الشرعية ، وكتب الشيخ محمد شاكروكيل الجامع الأزهر يقول : « إن صحف الهلال ترى الأزهر والمحاكم الشرعية قذى فى أعين لا تدرى كيف تبصر ، وشجى فى حلوق جمعيات التبشير وصحف الدعاية التى تعمل على إفساد أخلاق الشعب المصرى وأذواقه ، حين تستهوى قلوب الناس بما تظهر من صور مكتوبة وأخرى مصورة تثير من شهوات الشباب المتقد ، وتنشر فى الملاء أخلاقا وآدابا جاء الإسلام حربا على كثير منها ، وخشوا أن يثوب الناس إلى رشدتهم فاتهموا العلماء بالجمود والرجعية وأنهم هم المجددون والمصلحون »^(٢) .

وأشارت مجلة الهداية الإسلامية إلى أن أصحاب الهلال والمقطم يفترون على الإسلام الكذب ، ويغيرون حقائقه التاريخية ، من ذلك ما كتبه أحدهم فى « المقطم » أن ما تفعله بعض الدول الغربية الآن من اضطهاد رعايا المسلمين ، وضغطها عليهم وإساءتها معاملتهم هو نفس ما كان يفعله المسلمون برعاياهم يوم كان لهم الغلبة . وهنا يلاحظ قلب الحقائق التاريخية ، ذلك أن المسلمين كانوا يعاملون مواطنيهم الذميين بما يعاملون به إخوانهم المسلمين ويساؤونهم بأنفسهم فى حرية النفس والمال والعرض والدين ، عملا بالقاعدة النبوية الشريفة : « لهم ما لنا وعليهم ما علينا »^(٣) ، ووصايا الرسول ﷺ

(١) الفتح ، عدد ٢٠ ، ٢١ ربيع الآخر ١٣٤٥ هـ ، ٢٥ أكتوبر ١٩٤٦ م .

(٢) الفتح ، عدد ٧٤ ، ١٩ جمادى الآخرة ١٣٤٦ هـ ، ١٨ ديسمبر ١٩٢٧ م .

(٣) الهداية الإسلامية ، ج ٢ ، م ٤ ، رجب ١٣٤٩ هـ .

بالإحسان إلى الذميين كثيرة لا تحتاج إلى بيان ، فضلا عن ذلك كانت صحف الهلال تسخر من بعض الآداب الإسلامية العالية التي أحكم الشارع وضعها ، وكفل لها وللمجتمع كل طهر وفضيلة ورقى كالحجاب والطلاق وتعدد الزوجات ، وقد أشار إلى ذلك رئيس جماعة « شباب محمد » ، وطالب بالتصدي لما تنشره صحف الهلال قائلا : « ومهما يكن من التسامح الذي يطالبنا به الإسلام ، فليس في استطاعتنا أن نتغاضى عما نعتبره تحديا لدين البلاد وشعائرها ومقدساتها » (١) .

وقد هاجمت « المنار » مجلة الرابطة الشرقية ، وأعلن رشيد رضا أن هذه المجلة لا دينية ، تؤيد ما يسميه ملاحدة هذا العصر بالتجديد اللاديني أو العلماني وتحرير المرأة المسلمة ، وأنها تدافع عن الترك والفرس والأفغان فيما يحاولون من تجديد يهدم أصول الإسلام ، وتبرأ رشيد رضا من عضوية الرابطة الشرقية ومجلتها عندما أفصحت عن هويتها غير الإسلامية وأصبحت لسان حال زعماء التغريب من أمثال القبطي : سلامة موسى ، وطه حسين ، ومصطفى عبد الرزاق ، وعلى عبد الرزاق ، ومنصور فهمي ، والدكتور محمد حسين هيكل (٢) .

وكتب محب الدين الخطيب يقول : « إن هدف على عبد الرزاق من إصدار مجلة الرابطة الشرقية هو نشر أفكاره الإلحادية التي أعلنها في كتابه « الإسلام وأصول الحكم » ، والأفكار التي تلقاها من الغرب في طعن الإسلام والنبي ﷺ » (٣) . ونقل الفتح عن جريدة الصراط المستقيم التي تصدر في القدس انتقادها للجمعية الرابطة الشرقية ، والتي أشارت فيه إلى أنها رابطة غربية وليست شرقية بدليل علاقتها بالكماليين في تركيا ، وانتدابها صاحب جريدة مخادنت التركية التي تصدر في مصر سكرتيرا تركيا ، ودفاعها أيضا عن أنصار الفكر الغربي ، والدفاع عن الحكومة الكمالية ، والإشادة بما فعلته من فصل الدين عن الدولة ، واقتباس القوانين الغربية من أوروبا وغير ذلك مما يخالف الإسلام (٤) .

كذلك هاجمت صحيفة الفتح مجلة العصور لإسماعيل مظهر والتي نشرت كتابا لقبايل آدم بعنوان : « مصطفى كمال » يدعو فيه إلى التخلي عن المبادئ الإسلامية وإلى الأخذ بالعقلية الأوروبية ، وهاجم فيه العقلية الإسلامية والمدنية الإسلامية لأنها - في زعمه - لا تتلاءم مع مقتضيات الحياة العصرية (٥) .

(١) أنور الجندي : الفتح ، تاريخ الصحافة الإسلامية ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ٣٦٩ .

(٢) المنار ، ج ٨ ، م ٢٩ ، جمادى الآخرة ١٣٤٦ هـ ، ديسمبر ١٩٢٨ م .

(٣) الفتح ، عدد ٩٥ ، ٢٠ ذى القعدة ١٣٤٦ هـ ، ١٠ مايو ١٩٢٨ م .

(٤) الفتح ، عدد ١٠٣ ، ١٧ محرم ١٣٤٧ هـ ، ٥ يوليو ١٩٢٨ م .

(٥) الفتح ، عدد ٧٣ ، ٧ جمادى الآخرة ١٣٤٦ هـ ، أول ديسمبر ١٩٢٧ م .

وفى مقابل هذا الهجوم على المدنية الإسلامية والترويج للفكر الغربى كان تركيز صحافة الاتجاه الإسلامى على محاربة مظاهر الحياة الغربية والدعوة لها فى مصر والتأكيد على الهوية الإسلامية للمصريين ، وبعث المدنية الإسلامية فى مقابل المدنية الغربية ، وبيان فضل المدنية الإسلامية أيضا على المدنية الغربية وتفوقها عليها ، وإبراز العلاقة بين التجديد والاستعمار ، وتفنيد أقاويل المجددين فى كل مسألة من المسائل التى يزعمونها تجديدا ، مثل : فصل الدين عن الدولة ، والدعوة إلى لبس القبة والبهاء الرسمى ، وغير ذلك مما طرحته الصحافة المصرية التغريبية ودعت إليه .

وقد صورت الصحف الإسلامية الحالة المؤسفة والمريرة التى وصلت إليها أحوال الناس فى مصر من جراء مظاهر التغريب ، ومن سيطرة سيئات المدنية الغربية التى انغمس فيها الناس وتغلغل فى نفوسهم وتمكنت فى قلوبهم : « ويكفى أن يأتى المرء الدنية ، ويرتكب الكبيرة ، ويجرم ويزنى ، ويلعب القمار ، ويهتك الأعراض ، ويتخثت .. يفعل كل ذلك ويسمع كل أصوات الاستحسان والإعجاب ، ويرى نظرات السرور والمرح ، ويشاهد تصفيق الجمهور وهتافه ؛ لأن هذه المظاهر الوضعية ترتكب باسم المدنية وباسم الرقى والحضارة » (١) .

ويرى حسن البنا أنه قد اغتر المصريون بمظاهر الحياة الأوربية ، وجعلوها مقياسا للتقدم والرقى ، حتى احتلت العادات والأفكار والزخارف الأوربية بيوتهم ، وامتدت إلى نفوسهم وأخلاقهم وعواطفهم ، وأصبحت بمثابة الاحتلال الفكرى والاجتماعى ، فضلا عما تشكله من خطر على دينهم وكرامتهم ومقدساتهم الإسلامية (٢) .

وقد شن محب الدين الخطيب هجوما على وزارة المعارف التى أعلنت عن إنشاء معهد للتمثيل ، ومدرسة للتصوير والنحت ، أسوة بأوروبا ، ورصدت لذلك ألوف كثيرة من الجنيهات من ميزانية الدولة ، وأن الأولى تنفق هذه الأموال فى إنشاء الصناعات المحلية المنتجة مثل صناعة المعادن والصناعات الزراعية حتى تستغنى الدولة عن استيراد البضائع الأجنبية من جميع دول العالم بأثمان مضاعفة (٣) ، ودعا الخطيب إلى مقاطعة دور السينما ، ومقاطعة البضائع الأجنبية ، ومحاربة ظاهرة التحلل التى انتشرت بين الشباب المسلم فى تلك الفترة ، وانصرافه عن تعاليم الإسلام ، بزعم أن اتباع الدين لا يليق فى هذا العصر ، مقلدا فى ذلك الغرب فى الانسلاخ عن الدين (٤) ، كذلك انتقد أحمد حسين زعيم مصر الفتاة

(١) الإخوان المسلمون ، ١٤ جمادى الأولى ١٣٥٤هـ ، ١٣ أغسطس ١٩٣٥م ، مقال بعنوان : « حول الإصلاح

الاجتماعى بين المنع والدفع » لعلى إبراهيم الأقطش .

(٢) الإخوان المسلمون ، عدد ٣٢ ، ٢٩ ذو القعدة ١٣٥٢هـ .

(٣) الفتى ، عدد ٢٢٥ ، ٢٢ جمادى الآخرة ١٣٤٩هـ .

(٤) الفتى ، عدد ٢٣١ ، ٥ شعبان ١٣٤٩هـ .

اندفاع الشباب المصرى نحو التخنت وطراوة الأخلاق ، والابتعاد عن الخشونة والقوة ، وانصرافهم عن الدين والوطنية إلى المقاهى ودور السينما ودور اللهو الحرام^(١) .

ومضت الصحف الإسلامية على هذا النحو تحارب المظاهر السيئة للمدينة الغربية وتدافع عن المدينة الإسلامية التى تحارب من قبل أعداء الإسلام فى الداخل والخارج ، وبين شكيب أرسلان أن هدف أعداء الإسلام فى الخارج هو صبغ المسلمين بالصبغة الأوربية ، وهدف أعداء الإسلام فى الداخل هو زرع بذور الإلحاد فى العالم الإسلامى ، وفند شكيب أرسلان دعوة أنصار التغريب التى تتبنى المدينة الغربية بحجة أن الإسلام لم يتمكن من تأسيس مدينة خاصة به ، مستدلين بحالة المسلمين الحاضرة ، وتأخرهم فى مضممار الحضارة الحديثة ، وذهب شكيب أرسلان إلى أن « تأخر المسلمين فى القرون الأخيرة لم يكن من الشريعة الإسلامية ، بل من الجهل بها أو من عدم تطبيق أحكامها تطبيقاً سليماً ، فمدينة الإسلام لا تقبل الجدل ، إذ ليس من أمة من أمم أوربا سواء الألمان أو الفرنسيين أو الإنجليز أو الطليان إلا وعندهم مؤلفات لا تخصى فى مدينة الإسلام ، ولو لم تكن للإسلام مدينة حقيقية وسامية وراقية مطبوعة بطابعه ، مبنية على كتابه وسنة رسوله ، ما كان علماء أوربا يكتثرون من ذكر المدينة الإسلامية أو من سرد توارixها ، والمقابلة بينها وبين غيرها من المدنات الأخرى »^(٢) .

وهكذا يتضح أن تأخر المسلمين الحالى لا يرجع إلى أصول دينهم أو إلى مبادئه أو إلى نقص فى شريعته فيما يتعلق بمقتضيات الأحوال الحاضرة ، بل على النقيض من ذلك يرجع هذا التأخر إلى إغفال المسلمين تطبيق هذه المبادئ السامية والأصول الصحيحة والنظم الرشيدة التى جاءت فى القرآن الكريم على سلوكهم وأعمالهم وسائر حياتهم^(٣) ، فضلاً عن أن المدينة الغربية الحاضرة مدينة لما سبقتها من مدنات أخرى ، وأبرزها المدينة الإسلامية التى اقتبست منها الفنون والعلوم والصناعات ووسائل العمران ، وذلك من مراكزها فى دمشق ، وحلب ، والقاهرة ، وسمرقند ، وأصفهان ، والقيروان ، والبصرة ، وفارس ، وتلمسان ، ومراكش ، وقرطبة^(٤) .

(١) الصرخة ، عدد ٢٣ ، ٢٣ ذو الحجة ١٣٥٤هـ ، ١٧ مارس ١٩٣٦م .

(٢) المنار ، ج ٧ ، م ٣١ ، رمضان ١٣٤٩هـ ، فبراير ١٩٣١م ، مقال بعنوان : « الدعوة إلى المدينة الإسلامية فى مقابل المدنات الأخرى من فرعونية وغربية » بقلم أمير البيان : شكيب أرسلان .

(٣) الشبان المسلمون ، ج ١ ، م ٢ ، جمادى الأولى ١٣٤٩هـ ، أكتوبر ١٩٢٠م ، محاضرة بعنوان : « المقياس الحلقى فى الإسلام » ألقاها الدكتور عبد الحميد السكرى بدار جمعية الشبان المسلمين .

(٤) الفتح ، عدد ١٠ ، ١١ صفر ١٣٤٥هـ ، سلسلة مقالات بعنوان : « المقارنة بين المدينة الإسلامية والمدينة الغربية » للشيخ عبد الباقي سرور ، وعدد ٧٠ ، ١٦ جمادى الأولى ١٣٤٦هـ ، ١٩ أغسطس ١٩٢٦م ، مقال بعنوان : « الإسلام والمدينة بين الشرق والغرب » للشيخ حسنى على الحسينى .

ويلاحظ أن دعوة الصحافة الإسلامية إلى محاربة المدنية الغربية كانت تتركز في نظمها الاجتماعية والتي إن لاءمت حياة الغربيين ؛ لأنها وليدة حاجاتهم ومجتمعهم إلى حد ما ، فهي لا تلائم حياة المسلمين ولا الشرقيين بوجه عام ، أما العلوم الطبيعية القائمة على التجربة والملاحظة أو الملاحظة العلمية فلم تعارض الصحف الإسلامية في اقتباسها والانتفاع بها في حياة الناس ومجتمعاتهم ، وهذا ما أكدته رشيد رضا ومحب الدين الخطيب ، وحسن البنا وغيرهم من قادة الفكر الإسلامي في الصحافة المصرية ، وقد أكدت معطيات الصحف الإسلامية ، وفعاليتها في هذا المجال - كما سلفت الإشارة إلى ذلك - أنه ليس هناك ما يمنع أن يأخذ المسلمون بكل مدنية نافعة ؛ لأن المعارف البشرية تتطور بتطور العصور والأجيال ، ولكن الذي رفضته تلك المعطيات هو اعتناق المدنية الغربية بما فيها من نافع وضار ، فالنظم الاجتماعية الغربية لا تتفق مع الروح الإسلامية والشرقية رغم تقدم الغرب العلمى والصناعى (١) .

وبالإضافة إلى ذلك ، كشفت صحافة الاتجاه الإسلامى عن علاقة التغريب بالاستعمار ، وموقف الحكومة المصرية تجاه ما تتعرض له البلاد من غزو فكرى وعقائدى وكل مقومات حياتها من عادات وتقاليده وأوجه النشاط الأخرى . ولقد كتب محب الدين الخطيب فى مقال بعنوان : « استعمار النفوس الإسلامية واستقلالها » مشيراً إلى الصلة الوثيقة بين الاستعمار ودعاة التغريب ، ذلك أن الاستعمار كما يعمل على احتلال الأرض يعمل على احتلال النفوس واستعمارها . وقد بين الغرض الذى يرمى إليه الاستعمار من العمل على تغريب المسلمين ، ومساعدة دعاة التغريب والذى يكمن فيما يلى :

أنه يجب أن تنشأ ناشئة من المسلمين والمسلمات تصلح لإنفاق المال لا لتحصيله ، وتكون متمدنة فى ظاهرها لا فى حقيقتها ، أى تكون علاقتها بموضوعات الحضارة علاقة المشتري لا البائع ، والمصنوعة له لا الصانع ، وتكون متخلقة بخُلُق الاستئناس لكل شئ غريب وبكل خلق غريب ، بحيث يرى الشاب والشابة أن التمدن يتم برقص المرأة مع الأجنبي ، وبأكل لحم الخنزير فى المطاعم الإفريقية ، وتناول المسكرات ، وحضور موائد القمار .

ويضيف محب الدين الخطيب : « إن أوروبا التى تعمل على استعمار نفوس المسلمين قسمت الحضارة إلى قسمين : قسم جعلته خاصا بالغربيين يبنى المصانع والأساطيل ،

(١) الفتح ، عدد ٣٩ ، ٦ رمضان ١٣٤٥هـ ، ١٠ مارس ١٩٢٧م ، مقال بعنوان : « المدنية الغربية وانقسام الشرق لإزاءها » ، والإخوان المسلمون ، عدد ٢٣ ، السنة الثانية ، ١٣ أكتوبر ١٩٣٤م ، والشبان المسلمون ، ج ٢ ، ١م ، جمادى الآخرة ١٣٤٨هـ ، نوفمبر ١٩٢٩م .

وينشئ المصارف ، وقسم آخر خاص بالمسلمين يراقب سير الموضة فى الملابس والمظاهر ، ويفهم أن الحضارة هى فى تناول المسكر ولعب القمار وقضاء أشهر الصيف فى ملاهى أوروبا للتمتع بمبقاتها « (١) » .

وفى مقال آخر بعنوان : « الاستعمار الفكرى فى الشرق » قرر محب الدين الخطيب أن الاستعمار الفكرى فى الشرق أعظم خطرا من الاستعمار الأرضى ، وبعبارة أخرى : « إن استعمار النفوس والعقول أخطر من استعمار الأرضى ؛ لأن الأرضى إذا استعمرتها قومية غريبة عنها ، فقد يأتى يوم يتمكن فيه أصحاب الأرض من استرداد ما سلبوه ، أما إذا تمكنت القومية الغربية من استعمار قلوب الرجال والنساء فذلك هو الخسران الأكبر » (٢) .

ويتضح صدق هذه المقولة فيما نراه ونشاهده فى الوقت الحاضر ، فما زالت معظم أرجاء العالم الإسلامى واقعة تحت سيطرة الحضارة الغربية ، برغم زوال الاستعمار وهيمته الفعلية على البلاد .

أما عن موقف الحكومة المصرية إزاء ما تتعرض له البلاد من هجوم الأفكار والمؤثرات الغربية عليها فى تلك الفترة ، فقد أشارت الفتحة إلى أن القيادة المصرية ضعيفة وليس لها صوت مسموع فى تحديد الطريقة التى يجب أن نسلکہا ، وليس لها رأى فيما ينبغى مقاطعته من بضائع الغرب الفكرية التى تخلط السم بالدسم ، وقرر أن مصر تسير فى طريق التفرنج التدريجى ، وأبرز دليل على ذلك ما ذكره رئيس الوزارة المصرية عدلى باشا يكن لمحرر جريدة ديلى ميل فى لندن : « لم تعد مصر جزءا من بلاد الشرق ، فكل ما فيها يصطبغ بصبغة الغرب ، وقد أخذ أهلها يشعرون بقيمة الآداب الإنجليزية خصوصا فى التعليم . . ويتلقى النشء الحديث عندنا العلوم طبقا للقواعد الإنجليزية ، وربما كان خير مثال يوضح مرحلة الانتقال والتغير العظيم !! التى تجتازها مصر حالة النساء الحاضرات ، فإن عددا كبيرا من بناتها يتم دراسته الآن فى إنجلترا ، وتجد المرأة عندنا كل تسهيل لتمتع بكل ما تتمتع به المرأة طبقا للقوانين المرعية لدى الدول الأوربية » (٣) .

وبدل تصريح رئيس الوزراء المصرى دلالة واضحة على أن مصر قطعت شوطا كبيرا فى طريق التفرنج والتقليد والمحاكاة لأوروبا ولا سيما فى الجوانب الاجتماعية ، وليس فى العلوم التطبيقية والجوانب الفنية والتكنولوجية ، وبين هذا التصريح - من مسؤول رسمى بهذه الدرجة - موقف الحكومة المصرية السلبي تجاه التغريب ، ومدى عناية المسؤولين

(١) الفتحة ، عدد ٥٩ ، ٢٨ صفر ١٣٤٦هـ ، ٢٥ أغسطس ١٩٢٧م .

(٢) الفتحة ، عدد ١٨١ ، ٩ شعبان ١٣٤٨هـ ، ٩ يناير ١٩٣٠م .

(٣) المصدر السابق نفسه .

ورعايتهم للتيار التغريبي الذى سرى فى الحياة المصرية الفكرية والاجتماعية ، وأصبحت له مدارس ، كان من أبرزها مدرسة سلامة موسى الذى انضم إليها إسماعيل مظهر وحسين فوزى وفخرى عبد النور ومحمود عزمى ، ومدرسة السياسة الأسبوعية والرابطة الشرقية وأنصارهما .

كما نادى سلامة موسى أنه يجب أن يتخلص المصريون مما كان يدعوه كابوس الشرق ، ويعنى الإسلام ، وأن يستبدلوه كلية بالحضارة الغربية ، ومن رأى سلامة موسى أن الاحتلال الفرنسى لمصر فى عام ١٧٩٨م كان نعمه لأنه اعتقد خطأ أن بونابرت قد غرس فى مصر بذور الحضارة الغربية ، وأكثر من هذا ادعى سلامة موسى - وهو ادعاء خاطئ - بالمثل أن كل العرب فى مصر وسوريا والعراق والعرب فى شمال إفريقيا ينبغي عليهم أن يدركوا أنهم أوروبيون بموجب الجنس والثقافة والحضارة ، ويعلق تقدم المجتمعات الشرقية على السير على نهج أوروبا وبأخذها الأساليب الغربية فى كل ميدان من ميادين المعرفة ويكل مظاهر الحياة فيها ، ومن واجب الشرق أيضا فى رعمه أن يأخذ الثقافة الغربية برمتها ، وأن تشكل عقلية الشرق والمصريين تبعاً للتطورات الفكرية الغربية (١) .

فضلا عن ذلك ، بدأ التيار التغريبي بفصائله أو مدارسه يهاجم الدين الإسلامى والشريعة الإسلامية وعلماء الإسلام والأزهر باعتباره حصن الإسلام فى مصر ، فالسياسة الأسبوعية واليومية تداوم على نعت الأزهرين بالجمود والرجعية ، وتلقب معهدهم بمبأة الانحطاط والرجعية ، والمجلة الجديدة لسلامة موسى تكتب مقالا بعنوان : « أوكار الرجعية » وتصف قادة الفكر الإسلامى ورواد الصحافة الإسلامية - من أمثال : رشيد رضا وشكيب أرسلان ومحب الدين الخطيب ، ومصطفى صادق الرافعى وغيرهم - بالرجعية والتخلف ، ومجلة العصور تبحث عن الخرافات والأكاذيب وتلصقها بالأزهرين ، وذلك لزعة الثقة بالأزهر ، وتحويل الأنظار عنه باعتباره يمثل الإسلام فى مصر والعالم الإسلامى (٢) .

(١) عفاف لطفى السيد : تجربة مصر الليبرالية (١٩٢٢ - ١٩٣٦م) ، القاهرة : ١٩٨١م ، ص ٣٥٨ .
ورغم هذه الآراء التى أعلنها سلامة موسى يلاحظ الكثير مما وقع فيه من تناقض فى أفكاره وآرائه ، لتضخ عمالته للغرب ، فقد كان يريد أن تقتلع جذور التقاليد الشرقية ، ويحل محلها حضارة أوروبية ، هذا فى الوقت الذى كان مفتونا بمصر الفرعونية والتقاليد الشعبية فى صعيد مصر ، وكان يشن حملة ضد كثرة النسل فى الوقت الذى انحبت له زوجته ثمانية أبناء ، وكان يحط من أهمية الدين فى الوقت الذى أنشأ فيه صحيفة للطائفة القبطية ، وكان يلقي محاضرات فى جمعية الشبان المسيحية فى كل أسبوع . انظر : المرجع السابق .

(٢) الهداية الإسلامية ، ج ٥ ، م ٢ ، شوال ١٣٤٨هـ مقال بعنوان : « الأزهر هو البقية الباقية أمام اكتساح أوروبا للشرق » للشيخ محمد الخضر حسين .

وقد أحدث هذا الهجوم الصارخ على الأزهر وعلمائه ومفكرى الإسلام ضجة شديدة فى الصحافة الإسلامية ، وانبرى للرد عليه كثير من كتابها من أمثال : محب الدين الخطيب ، ورشيد رضا ، وصادق الرفاعى ، وعبد الفتاح حمودة ، والشيخ محمد شاکر ، والطاهر أحمد الزواوى ، والشيخ سيد على الطوبجى ، ومصطفى أحمد الرفاعى ، وعمر إبراهيم الدسوقى ، والشيخ عبد الباقي سرور وغيرهم . وشرعت الصحافة الإسلامية تندد بصمت الأمة ، تجاه هذا الهجوم ، ودعت صحيفة الفتح أنصار الصحافة الإسلامية بجميع اتجاهاتها إلى التحالف والتآزر والتعاون لمواجهة الأخطار التى تستهدف الدين الإسلامى وكتابه وعلمائه ، ونشرت الفتح مقالا بعنوان : « هل نحن على أبواب عهد جديد ؟ وهل شرعت الصحف الإسلامية تؤدى واجبها » ، وذهب كاتب المقال إلى أنه ليس من سبيل إلى علاج هذا الأمر الخطير إلا أن يبادر حماة العلم الصحيح والعقيدة الدينية الخالصة إلى الانتظام فى صف واحد والتجند فى القيام بواجب يتوقف عليه مستقبل الدين فى مصر (١) .

وكتب محب الدين الخطيب فى مقال بعنوان : « ماذا يريد سلامة موسى وما هو مذهبه ؟ » ذكر فيه أن سلامة موسى يريد أن يطوى بساط الدين الإسلامى فى مصر ، وأن يقوض عقائد التوحيد والإيمان ، ويبطل الشريعة الإسلامية ، وتسقط تكاليفها وتنهار أحكامها ، ويقصد من ذلك أن تأخذ مصر من أقصى الحرية الاجتماعية المفرطة سنناً لها بدلا من سنن الإسلام وحدوده ، وأن يحل الاستهتار محل الآداب والفضائل ، وهو يسمى هذا بالآداب المكشوف ، وأن يسير المصريون نحو الحضارة الأوربية يغترفون منها بلا قيد ولا شرط ، مدعيا أن الالتحاق بأوروبا على هذا الوجه هو سبيل الخلاص لمصر من ربة العهد الحالى ، ويعنى بذلك الإسلام (٢) .

ورأى عمر إبراهيم الدسوقى أن تعرض سلامة موسى لقادة الفكر الإسلامى مثل : شكيب أرسلان ، مسلك يسلكه فى الطعن على الإسلام ، وأن سلامة موسى عميل للغرب ، وإن تظاهر بحبه لمصر ، وهجومه على رشيد رضا بحجة أنه سورى الأصل وأنه قضى على مجلة فرح أنطون « الجامعة » ، هذا الهجوم ليس له ما يبرره ، بدليل أن فرح

(١) الفتح ، عدد ١٨٨ ، ٢٨ رمضان ١٣٤٨هـ ، ٢٧ فبراير ١٩٣٠م .

(٢) الفتح ، المجلد الرابع ، ١٩٣٣م ، نقلا عن : أنور الجندى : تاريخ الصحافة المصرية ، مرجع سابق ، ج-٢ ، ص ١٧١ .

أنطون سورى أيضا ، إذا المسألة ليست مسألة سورى ومصرى ، وإنما الذى يشغل سلامة موسى هو الغض من شأن الإسلام وتحقيره وذم المدافعين عنه (١) .

كذلك انتقد الشيخ مصطفى أحمد الرفاعى سلامة موسى لانهامه قادة المسلمين بالرجعية والتخلف والجمود ، وبين أن الجمود عند سلامة موسى ينحصر فى « اتباع دين الله والتمسك بالفضائل وصيانة الأخلاق والحض على الكارم ، وحفظ المرأة من الابتذال والإهانة ، والجهاد فى سبيل تقوية الأمة ووقايتها من جرائم الفساد الغربى التى تغفل فى صميمها » ، أما التجديد لدى سلامة موسى والتقدم فهو نبذ الدين ، وترك الإيمان بالله ورسله ، وكره الفضائل ، وحب الرذائل ، والدعوة إلى الشيوعية المتطرفة ، وترك الحرية للمرأة بلا قيد ولا شرط (٢) .

وكان فكرى أباطة أيضا من أصحاب الأقلام المغرضة التى هاجمت الأزهر وعلماءه ، وانبرى للرد عليه الشيخ حامد محيسن المدرس بمعهد الاسكندرية الدينى ، مشيرا إلى انضمامه للتيار التغريبى الذى يكن الحقد على الإسلام المتمثل فى الجامع الأزهر وعلمائه الكرام ، الذين يقفون لهم بالمرصاد يردون عليهم أقوالهم ، ويفضحونهم أمام رأى العام المصرى (٣) .

وقد سافر محمود عزمى إلى القدس فى عام ١٩٢٦م وألقى محاضرة فى نادى جمعية الشبان المسيحيين ، محاولا نشر دعوته التغريبية هناك ، ودعا فى محاضرته إلى أن يتعد الفلسطينيون عن جزيرة العرب ، والتنكر لأهلها المتعصبين لدينهم ، وتأليف كتلة من الشعوب الناطقة بالضاد التى سرت فيهم نزعات الإفرنج واستأنسوا بها ، وتأسيس رابطة بينها وبين الأمم الإفرنجية ، ولا سيما اللاتينية منها النازلة على سواحل البحر الأبيض المتوسط ، ودعا أيضا إلى السفور ونبذ الحجاب والرقص ، وهاجم أحكام الدين الإسلامى ، وحبد لبس البرنيطة « القبعة » وترك العمائم لأن هذا - فى زعمهم - التقدم والرقى والمدنية .

وحينما ذاع خبر هذا المحاضرة فى الجرائد الفلسطينية انبرى للرد عليه الشيخ عبد الباقي سرور نعيم ، وأشار الشيخ سرور إلى هجوم صحيفة الصراط المستقيم - التى تصدر فى القدس - لأراء محمود عزمى ، فقد نشرت هذه الصحيفة نص المحاضرة التى ألقاها الشيخ عبد القادر المظفر فى روضة المعارف فى القدس للرد على محمود عزمى وتنفيذ أقواله ، حيث أشار الشيخ عبد القادر المظفر إلى أن اختلاط النساء بالرجال لا يتأتى بمدنية

(١) الفتح ، عدد ١٨٤ ، ٣٠ شعبان ١٣٤٨هـ ، ٣٠ يناير ١٩٣٠م .

(٢) الفتح ، عدد ١٨٦ ، ١٤ رمضان ١٣٤٨هـ ، ١٣ فبراير ١٩٣٠م .

(٣) الفتح ، عدد ٣٢ ، ١٦ رجب ١٣٤٥هـ ، ٢٠ يناير ١٩٢٧م .

ولا ينهض بشعب كما زعم محمود عزمى ، وإنما الذى يرفع شأن الأمم فى الحقيقة وينهض بها هو العلم ، ثم استنكر دعوته للرقص حيث قال : « إن أخلاقنا وآدابنا وشريعتنا لا تسمح بهذا التهتك الممقوت » وانتقل إلى مسألة لبس القبعة أو البرنيطة ، وأكد أن العمامة لم تكن فى عصر من العصور عنوان التأخر كما ذكر محمود عزمى ، فقد لبسها النبى ﷺ ورجال العلم والأدب ، وليس فى العمامة ولا فى غيرها مما يوضع على الرأس سر معقول يكون سببا للعلم أو الجهل أو التقدم أو التأخر^(١) ، ولكن الهدف فى زعم الباحث هو صرف المسلمين عن قضاياهم الحقيقية أو إهدار جهودهم وشغل أفكارهم فيما لا يفيد دينهم ، ولا يسهم فى تقدمهم الفكرى والاجتماعى .

ويلاحظ أن دعاة التغريب كانوا يدعون إلى اقتفاء آثار الكمالين من الأتراك فى استبدال القبعة بالطربوش ، ويعدون ذلك مظهرا من مظاهر التقدم لأنه فقط تقليد للأوربيين ، وقد أيدت الصحف التغريبية هذه الدعوة وانتصرت لها ، وكان فى مقدمة تلك الصحف صحيفة المقتطف التى كتبت مقالا بعنوان : « الطربوش أو القبعة بحث تاريخى » دعت فيه إلى لبس البرنيطة والاقتداء بالحكومة التركية التى فرضت على شعبها لبس البرنيطة وترك الطربوش^(٢) ، كذلك تحدثت صحيفة الهلال عن نهضة مصطفى كمال أتاتورك وعن إجباره التركيين على استبدال القبعة بالطربوش ، مؤيدة الحركة التى قامت فى القاهرة للدعوة إلى لبس البرنيطة^(٣) .

وقد لقيت هذه الدعوة معارضة من جانب صحافة الاتجاه الإسلامى وعلماء الدين فى مصر ؛ لأنها تشبه بالكفار فى لباسهم ، وقد أصدر المعهد الدينى فى الاسكندرية ، ورئاسة المعاهد الدينية العليا فى الأزهر فتوى بتحريم لبس القبعة ، ونشرت المنار نص هذه الفتوى التى اعتمدت على بعض الأحاديث والآيات القرآنية التى تنهى عن التشبه بالكفار فى ملابسهم ، والحكمة فى ذلك أن الشارع يريد أن يجعل فى المسلمين أمة متجانسة متحدة ذات أخلاق وعادات ونزعات وعقائد ومشارب متحدة ؛ ليتميزوا ويتعارفوا^(٤) .

ولكن الحقيقة التى يراها الدارس أن الله - عز وجل - لم يفرض زيا معيناً على المسلمين

(١) الفتح ، عدد ٢٦ ، ٤ جمادى الآخرة ١٣٤٥ هـ ، ٩ ديسمبر ١٩٢٦ م ، مقال بعنوان : « يشرون فى فلسطين

ولكن تبشيرهم قوليل بما يستحقه » .

(٢) المقتطف ، عدد أغسطس ١٩٢٦ م .

(٣) الهلال ، عدد أكتوبر ١٩٢٦ م .

(٤) المنار ، ج ١ ، م ٢٧ ، رمضان ١٣٤٤ هـ ، أبريل ١٩٢٦ م .

أو غطاء للرأس محددًا ، وليس كل المسلمين متحدين في ذلك ، ولكنى أعتقد أنه جاءت محاربة الصحف الإسلامية للباس البرنيطة على أنها مظهر من مظاهر التفرنج والتشبه بغير المسلمين وتقليدهم في شيء غير ضروري ؛ ولهذا هاجم رشيد رضا استبدال الزى الأوربي بالزى الشرقى وعده من أكبر جنائيات الأفراد على أمتهم ؛ لأن التقليد - كما ذكر - يثبت في الأمة الشعور بالمهانة بتفضيل غيرها عليها ، ولأن الذى يحقتر زى أمته وعاداتها وآدابها فهو فى الحقيقة يحقتر نفسه ، وذهب رشيد رضا إلى أن ما نحتاج اقتباسه من أوروبا هو علومها وفنونها وصناعاتها ، ولا يقتضى هذا التقليد فى الأزياء والعادات ، ويستشهد باليابان التى لم تترك عاداتها وتقاليدها ، ومع ذلك اقتبست علوم أوروبا وتقدمت وأحدثت الآن نهضة تضارع النهضة الأوروبية بل تتفوق عليها(١) .

ودعا محب الدين الخطيب إلى تقليد الهند فى خلع الملابس الإفريقية ، ولبس الملابس الوطنية ، وأشاد بموقف الزعيمة الهندية « نايدو » عندما شاهدت شابا هندية يرتدى الملابس الغربية ، فعفته ووصمته بخيانة الوطن ، ثم طالب الحكومة بتطبيق هذا فى مصر فى المدارس ودواوين الحكومة ، ورفض منتجات الغرب وبضاعتهم كلها حتى يتسنى للمصريين التحرر من كل ما هو أجنبى(٢) .

كذلك انتقد شكيب أرسلان الدعوة إلى لبس البرنيطة والملابس الإفريقية ، مشيرا إلى أن زعماء المسلمين - كالأمير محمد عبد الكريم الخطاى - لم يعبه زيه الإسلامى البرنس والعمامة ، وأن الزى لا يحول دون تحصيل العلوم المدنية وكمال المروءة كما يدعى أنصار التفرنج ، وقدم أحمد تيمور باشا المحقق اللغوى بحثا فى لفظ الطربوش وتاريخه ، نشر فى سلسلة مقالات فى صحيفة الفتح هاجم فيه الدعوة إلى لبس البرانيط تلك الدعوة التى روجها الدكتور على إبراهيم وأعضاء الرابطة الشرقية ، ودعا إلى تمسك المسلمين بأزيائهم ، لأن البرنيطة هى لبس المستعمرين(٣) . وربما كان هذا السبب الرئيسى فى محاربة لبس القبعة .

وقد جدد الدعوة إلى لبس البرنيطة فى الثلاثينات توفيق الحكيم فى مقال بعنوان : «أن الأوان بأن نلبس القبعة » نشرته صحيفة الأهرام(٤) ، دعا فيه إلى لبس القبعة تقليدا للأتراك ، غير أن صحيفة الإخوان المسلمين قد انبرت للتصدي لتلك الدعوة ، مشيرة إلى أن هناك فرقا شاسعا بين مصر العربية وبين تركيا الأعجمية ، وهاجمت التفرنج

(١) المنار ، ج ٢ ، ١٩م شوال ١٣٤٤هـ ، يوليو ١٩١٦م .

(٢) الفتح ، عدد ٢٠٢ ، محرم ١٣٤٩هـ .

(٣) الفتح ، عدد ١٥ ، ١٥ يوليو ١٩٢٦م .

(٤) الأهرام ، عدد ٧ فبراير ١٩٣٧م .

والمترجمين، مؤكدة على خطرهم على الأمة الإسلامية ، وعلى الدين الإسلامى فى مصر، وناشدت علماء الأزهر الشريف والشرعة الإسلامية أن يهبوا للدود عن دين الله وشريعته(١) .

فضلا عن ذلك حفلت الصحف الإسلامية بمقالات عديدة هاجمت فيها أنصار التغريب وكتابه وزعمائه وصحافته ، واتهمتهم بالملاحدة والكفار ، وذلك لمهاجمتهم المستمرة للدين الإسلامى وتعاليمه ونشاطهم فى العمل على محوه من الوجود ، وإطلاقهم على تعاليم الإسلام أنها أحد بقية القرون الوسطى واستنهضت الحكومة لمقاومة هؤلاء الملحدين .

وكان من أشهر المعارك بين دعاة التغريب وأنصار الفكر الإسلامى فى الصحافة المصرية معركة الخصومة بين العلم والدين ، بدأ هذه المعركة الدكتور طه حسين بمقال نشرته السياسة الأسبوعية(٢) عن العلم والدين ، أشار فيه أن بين الدين والعلم خصومة، وليس بينهما ما يمكن أن يسمى اتفاقا بحال من الأحوال ؛ لأن الدين - فى رعمه - يثبت شيئا لا يعترف به العلم ، وهو وجود الله ، ونبوة الأنبياء .

وقد أحدث هذا المقال دويا فى الصحافة المصرية كلها ، وانبرى للرد عليه بعض علماء الأزهر الشريف وكتاب الصحافة الإسلامية ، وكان من أبرزهم الشيخ عبد الباقي سرور نعيم ، والشيخ محمد عرفة ، والشيخ يوسف الدجوى ، والشيخ محمد عبد المطلب - أستاذ الآداب فى كلية دار العلوم - والشيخ محمد الخضر حسين ، والمهندس محمد خليل ، ومحمد محمود الغمراوى ، وغيرهم . وكان أول هذه الردود رد الشيخ عبد الباقي سرور الذى قال فيه : « التبس على الدكتور طه حسين ما يراد بلفظ العلم واختلط عليه مفهومه » ، متهما إياه بالجهل ؛ لأن لفظ العلم يطلق تارة على ما يثبت بالاختبار والتجربة ، ويطلق تارة أخرى ويراد منه مجموع المباحث التى تناولها الفكر الحديث من نظريات تثبت أو لم تثبت والعلم بالمعنى الأول ليس من مباحثه إثبات وجود الله ولا نبوة الأنبياء ؛ لأنهما ليسا مما ينال بالتجربة ، ومن هنا فليس بين العلم الطبيعى الثابت بالتجربة وبين الدين خصومة(٣) .

وفند الشيخ محمد عرفة ما يدعيه طه حسين فى مقاله السالف الذكر بأن للإنسان شخصيتين متميزتين : إحداهما عاقلة ، والأخرى شاعرة ، وذكر « أنه جنى على العقل

(١) الإخوان المسلمون ، عدد ٤٧ ، ٢٦ ذو الحجة ١٣٥٥ هـ ، ٩ مارس ١٩٣٧ م ، مقال بعنوان : « خطر التغريب والمترجمين » .

(٢) السياسة الأسبوعية ، عدد ١٧ يوليو ١٩٢٦ م .

(٣) الفتح ، عدد ٥ ، ٥ محرم ١٣٤٥ هـ ، ١٥ يوليو ١٩٢٦ م .

جناية خطيرة ؛ لأن العلم والدين متوقفان على العقل وقضاياه الأولية كل التوقف ، فهما أصل والدين فرع ، وإذا لم يثبت الأصل لم يثبت الفرع ، فمن اعتدى على العقل وقضاياه الأولية للدين بهما ثبت العلم والدين ، فقد اعتدى على العلم والدين معا .

ثم يتهم الشيخ عرفة من طه حسين موضحاً أنه جمع بين المتناقضين في كلامه ، قائلاً : « إنا نخاف أن يتولى القضاء طه حسين فيدعى زيد ملكية شيء وينفى عمرو هذه الملكية ويدعى أنه هو مالكاها ، فتأتى شخصيته المفكرة فتصدق الأول وتأتى شخصيته الشاعرة فتصدق الثانى ، ويصدر الحكم بأن زيدا مالك وليس مالكا ، وأن عمرا كذلك ، ولا أدري كيف ينفذ الحكم ؟ » (١) .

ويعنى ذلك عدم الإيمان بما قاله طه حسين بأن للإنسان شخصيتين متميزتين إحداهما مفكرة وأخرى شاعرة ، فهذا أقرب للخيال والتصور ، وليس إلى الحقيقة والواقع ، وعلى هذا المنوال تناول الكتاب والمفكرون مقال طه حسين بالنقد والتفنيد فى كل جزئية من جزئياته ، فعندما ذكر طه حسين أن الخلاف قوى بين التوراة والقرآن من ناحية وبين نظريات علم الجيولوجيا من ناحية أخرى وليس الخلاف بين الدين والعلم فى نشأة الإنسان بأقل منه فى خلق السموات والأرض ، فمذهب النشوء والارتقاء لا يمكن أن يتفق مع ما فى التوراة والقرآن بوجه من الوجوه ولن يتفق علم الأمبريولوجيا مع ما جاء فى القرآن من تكوين الجنين ، وقل مثل ذلك عما بين نصوص التوراة والقرآن وعلم الفلك من خلاف ، وقد تصدى للرد على هذه المزاعم المهندس سيد خليل فهمى ، ذاكرة أن الدكتور طه حسين لم يأت بأدلة مقنعة ولم يأت بنظرية واحدة من نظريات العلم مقارنة بمثيلاتها فى القرآن الكريم ، وشرح أوجه الاختلاف الواقع بينهما ، ويشير المهندس خليل إلى أن بعض النظريات العلمية تتفق مع ما جاء فى القرآن الكريم مثل كروية الأرض ، قال - تعالى : ﴿ وَالْأَرْضُ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ﴾ (٣٠) [النازعات] ، وعن دوران الأرض قال - تعالى : ﴿ وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ ﴾ [النمل : ٨٨] ، وبالنسبة لمذهب النشوء والارتقاء صرح المهندس خليل أنه لو كان دارون المنسوب إليه هذا المذهب يعرف اللغة العربية معرفة طه حسين وقرأ هذه الآية القرآنية : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سَلَالَةٍ مِّنْ طِينٍ ﴾ (١٢) ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُفْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ (١٣) [إلخ الآيات] المؤمنين [] ، لما تحمل مشاق الأسفار والتجارب فى سبيل تكوين مذهبه (٢) .

وقد أثنى الشيخ يوسف الدجوى على ما قاله المهندس خليل فهمى ، ولفت نظر

(١) الفتى ، عدد ٨ ، ٢٦ محرم ١٣٤٥ هـ ، ٥ أغسطس ١٩٢٦ م .

(٢) الفتى ، عدد ١٣ ، ٢ ربيع الأول ١٣٤٥ هـ ، ٩ سبتمبر ١٩٢٦ م .

المفكرين إلى حقيقة مهمة مؤداها : أن بعض النظريات العلمية كتنظريّة دارون - مثلاً - هي نظريات تخمينية أو ظنية ؛ لذلك لا ينبغي لمن يقارن هذه النظريات بالدين أن يعلق ما يريد من التأويل والاستدلال على ثبوت تلك النظريات ثبوتاً قطعياً^(١) .

والحقيقة التي يراها الباحث أنه لا ينبغي التكلف في إثبات كل نظرية علمية جديدة في القرآن الكريم سواء ثبتت أو لم تثبت ؛ لأن القرآن الكريم كتاب هداية وإرشاد ، ولم ينزل لإثبات النظريات العلمية أو تأكيدها ، فضلاً عن أن ذلك يجعل القرآن عرضة للخطأ - معاذ الله - لأن هذه النظريات الحديثة قابلة لأن تظهر مخالفتها للواقع ، وهناك نظريات جديدة تبين وتوضح فساد وخطأ نظريات قديمة كانت في يوم ما جديدة أو حديثة في عهدها ، ثم إن بعض النظريات العلمية - كما أشار الشيخ الدجوي - تكون تخمينية أو ظنية لم تثبت صحتها بعد .

ويلاحظ أن المعركة بين د . طه حسين وأنصار الاتجاه الإسلامي في الصحافة المصرية ظلت مستمرة طوال فترة ما بين الحربين ، وظلت الصحف الإسلامية تتبع كل ما يكتبه وما ينشره في الجرائد المصرية أو يقوله في المحافل العامة ، وحينما ألقى د . طه حسين محاضرة في الإسكندرية بعنوان : « أولية الشعر العربي » والتي نشرت بجريدة السياسة^(٢) قال فيها : « إن سائر العرب أسلموا إما رغبة أو رهبة خوف السيف أو محبة المال ، حتى كان الرسول ﷺ يتألف القلوب بالمال » ، وقد تصدت له الصحافة الإسلامية مفندة أقواله ، متهمة إياه بأنه يردد كلام المبشرين والمستشرقين ، ويتجسس على الإسلام وعلى رسوله ويغير الحقائق التاريخية الثابتة^(٣) .

ولاقى د . طه حسين هجوماً من رجال الفكر الإسلامي وعلماء الأزهر ، ولاسيما بعد أن هاجم الأزهر وعلماءه على صفحات جريدة السياسة حيث قال : « وأنا أريد أن أصارح البرلمانيين الذين إليهم أمور مصر في هذه الأيام بأن في مصر شراً عظيماً هو جمود المشايخ . . . وأريد أن أصارحهم بأن واجبهم الوطني يقضي عليهم بأمرين :

(١) الفتح ، عدد ١٤ ، ١٠ ربيع الأول ١٣٤٥هـ ، ١٧ سبتمبر ١٩٢٦م .
كذلك هاجم الشيخ سيد عفيفي والشيخ الخضر حسين الدكتور طه حسين ونفياً أن يكون بين العلم والدين أي تنافر أو خصومة ، ولا يقول بذلك إلا ملحد أو مجنون . انظر : مجلة الهداية الإسلامية ، ج ٤ ، م ١ ، ربيع الآخر ١٣٤٩هـ ، والفتح عدد ١١ ، ١٨ صفر ١٣٥٤هـ ، ٢٦ أغسطس ١٩٢٦م .
وذهب الشيخ محمد عبد المطلب إلى أن العلم الصحيح لا يتعارض مع الدين بأي شكل من الأشكال . انظر : الهداية الإسلامية ، ج ١ ، م ١ ، جمادى الآخرة ١٣٤٧هـ ، وأشارت صحيفة الإخوان المسلمين إلى أن العلم الطبيعي لا يناقض الدين الصحيح ، عدد ٣٢ ، ٢٩ ذو القعدة ١٣٥٢هـ .
(٢) السياسة ، عدد ٢٤ ديسمبر ١٩٢٨م .
(٣) الفتح ، عدد ١٢٩ ، ٢٢ رجب ١٣٤٧هـ ، ٣ يناير ١٩٢٩م .

الأول مؤقت لا بد منه ، وهو أن يتخذوا من الوسائل التشريعية والسياسية ما يحول بين الشيوخ وبين التسلط على الحياة العقلية والعلمية والسياسية ، والأمر الثاني هو استئصال هذا الجمود ووقاية الأجيال الحاضرة والمقبلة منه ، وأؤكد للبرلمان أن الشر مستمر متضاعف ما دام الأزهر قائما ، وما دامت ملحقاته قائمة كما هي لا يمسه الإصلاح ولا يتغلغل في أعماقها نور الحياة الراقية والعلم الصحيح» (١) .

وقد أثار هذا المقال ثائرة علماء الدين في مصر ومشايخ الأزهر ، وهاجمت الصحافة الإسلامية طه حسين ، واستعرضت حياته في الأزهر ، وسفره إلى أوروبا ، وتزوجه واحدة من الأوربيات ، وذكرت صحيفة الفتح أن طه حسين « رجع من أوروبا بلا عقل ولا دين ، فإذا ما سأله عن العلم حقا ، قال لك : علم أوروبا ، وإذا ما استوضحته في شأن العلماء ، قال لك في غير خفاء : إن العلماء علماء أوروبا ، وإذا ما استهديته إلى الأخلاق العالية والآداب القويمة ، أحالك إلى أدباء أوروبا » ، وأضافت أنه يقصد بالجمود في كلام طه حسين ، هو التمسك بالدين ويقصد بالحياة الراقية والعلم الصحيح نبذ الإسلام وعدم الاعتراف بتعاليمه ، وبمن جاء به (٢) .

وكان من أبرز المقالات الحادة والمحتدمة التي انتقدت طه حسين مقال محب الدين الخطيب الذي نشر في مجلة الزهراء والفتح بعنوان : « ما أعرفه عن طه حسين » أجلى فيه الخطيب أن طه حسين لم يشتهر إلا أثر نقده لكتاب : « النظرات » الذي كتبه مصطفى لطفى المنفلوطى في صحيفة المؤيد ، وأكد أن هذه المقالات كلها كان يكتبها محمد صادق عنبر ، ثم تدفع إلى طه حسين ، وذلك لسبب سياسى هو أن « النظرات » كانت تنتقد رجال الحزب الوطنى آنذاك ، فأروا أن ينتقدوا تلك المقالات فى صحيفتى الحزب الوطنى، « الشعب » و « العلم » .

ومضى محب الدين الخطيب فى مقاله يتهم طه حسين بأنه لم يتحرر الدقة فى بحوثه ، فهو يقتحم مجال الأبحاث العلمية مخدوعا بذكائه ، ومكتفيا بما يقع تحت يده من كتب قريبة المأخذ ، ظانا أن فيها العلم كله ، وأن فى الذكاء وطول اللسان غنى عن مواصلة البحث والدرس والاستقصاء العلمى ، وأشار إلى أن فى كتابه « ذكرى أبى العلاء » فضائح وأغلاط نبه على بعضها العلامة عبد العزيز الميمنى المدرس بمدرسة عليكرة الإسلامية فى الهند فى هوامش كتابه : « أبو العلاء وما عليه » ، وأن طه حسين لم يحصل على أجازته العلمية من أوروبا إلا لاعتبارات سياسية وإنسانية ، ذلك أن الأساتذة

(١) السياسة ، عدد ١٦ يوليو ١٩٢٦ م ، ٦ محرم ١٣٤٥ هـ .

(٢) الفتح ، عدد ٧ ، ١٩ محرم ١٣٤٥ هـ ، ٢٩ يوليو ١٩٢٦ م ، مقال بعنوان : « طه حسين والإسلام ، وأهل الإسلام » .

الذين تقدم إليهم ليشهدهم على نجاحه ، كانوا يتمثلون في أذهانهم رجلا شرقيا مكفوف البصر منسوباً بالباطل إلى معهد إسلامي هو الأزهر ، فلا يترددون في التسامح معه ، حيث إن العادة المتبعة في الجامعة الأوربية ألا يتقيد أساتذتها كثيراً في منح الشرقيين الشهادات العلمية ، وأكد الشيخ محمد الخضر حسين أن أطروحة طه حسين عن ابن خلدون ، والتي نوقشت في جامعة السربون الفرنسية مملوءة بالفضائح والأغلاط ، وأن طه حسين كذب على ابن خلدون فيما أتى عليه من بيان الكتب التي درسها في حياته وصباه^(١) .

ونقلت صحيفة الفتح ما كتبه أيضا أحد علماء جامع الزيتونة في تونس في جريدة النهضة التونسية بعنوان : « طه حسين وفلسفة ابن خلدون الاجتماعية » ذكر فيها بعض الأخطاء التي وقع فيها طه حسين في رسالته عن ابن خلدون^(٢) .

وهكذا واصلت الصحافة الإسلامية نقدها لكتابات طه حسين في مؤلفاته ، وفيما كتبه من مقالات في الصحف المصرية ، ولاسيما جريدة السياسية التي كانت تتولى نشر آراء طه حسين ومؤلفاته قبل نشرها .

وحينما نشر طه حسين كتابه المسمى « حديث الأربعاء » الذي كان قد نشره في السياسة في شكل مقالات قبل جمعه في كتاب ، انبرت لنقد هذا الكتاب صحيفة نور الإسلام، وكتب الشيخ محمد سليمان - العضو بالمحكمة الشرعية العليا - سلسلة مقالات في نقد وتفنيد ما جاء في كتاب طه حسين « حديث الأربعاء » فقد أنكر الشيخ محمد سليمان على طه حسين حكمه على القرن الثاني من الهجرة بأنه « عصر الشك والمجون » وأوضح ما وقع فيه طه حسين من تناقض في كلامه بعد ذلك ، إذ قال : « نعرف بأن الشك والمجون لم يكونا كل شيء في ذلك العصر ، وإنما كان إلى جانب الشك يقين وإلى جانب الهزل جد ، فكان الشعراء والكتاب والأدباء بوجه عام يشكون ويعيشون ، في حين كان المتكلمون والرواة مستيقنين يؤثرون الجد ويفلحون فيه » كذلك أخذ الشيخ سليمان على طه حسين أن يحكم على العصر كله بخمسة من الشعراء الفساق، ويصف العصر كله بالفسق والمجون دون أن يأخذ في اعتباره ما كان في ذلك العصر من فقهاء ومتكلمين ورواة وغيرهم ، إذ قال طه حسين : « حينما تريد أن تحكم على ذلك العصر حكما صادقا أن ترجع إلى الشعراء والكتاب أكثر من رجوعك إلى الفقهاء والمتكلمين والرواة » ، ثم واصل الشيخ سليمان نقده لما كتبه طه حسين متهما إياه بأنه يأخذ الآراء الضعيفة والمشكوك فيها على أنها حقائق لا تقبل الشك والجدل^(٣) .

(١) الفتح ، عدد ٢٣ ، جمادى الأولى ١٣٤٥هـ ، ١٨ نوفمبر ١٩٢٦ م .

(٢) الفتح ، عدد ١١ ، ١٨ صفر ١٣٤٥هـ ، ٢٦ أغسطس ١٩٢٦ م .

(٣) نور الإسلام « الأزهر » ج ١ ، م ٣ ، محرم ١٣٥١هـ ، والأعداد التالية .

ونخلص من هذا المبحث إلى أنه فى أوائل هذا القرن أخذت النظريات والأفكار الغربية ، فى السياسة والاجتماع والفلسفة والآداب ، تأخذ طريقها إلى الفكر المصرى ، وكان يقوم بالترويج لهذه النظريات وتلك الأفكار بعض خريجي المدارس الأجنبية والإرساليات التبشيرية من نصارى الشام ، الذين أصدروا الكثير من الصحف بمساعدة الاحتلال البريطانى ، من أمثال : شبلى شميل ، وفرح أنطون ، وفارس نمر ، وشاهين مكاريوس ، وجورجى زيدان وغيرهم ، أما فى فترة ما بين الحربين العالميتين فقد برز التيار التغريبى فى الصحافة المصرية على أيدى المصريين الذين تلقوا تعليمهم فى الغرب أو فى المدارس الأجنبية فى مصر ، وأصبح لهذا التيار صحفه ومؤلفاته التى تورع على الناس ، ومن أبرز هذه الصحف : السياسة اليومية والأسبوعية - لسان حال الأحرار الدستوريين - وصحيفة الاستقلال لمحمود عزمى ، والمجلة الجديدة لسلامة موسى ، والعصور الأسبوعية والشهرية لإسماعيل مظهر ، ومجلة الأسبوع التى أصدرها إدوارد عبده ، وصحف الهلال والمقتطف والمقطم .

وقد تزعمت هذه الصحف الدعوة إلى التوسع فى التشريع المدنى ، والهجوم على الشريعة الإسلامية والدين الإسلامى وتاريخه والأزهر ، واتهام علماء الإسلام بالجمود والرجعية والمطالبة بتطبيق القوانين الغربية المدنية على المصريين فى مسائل الزواج والطلاق وغيرها ، والأخذ بالأساليب والنظم الغربية فى كل ميدان من ميادين الحياة ، دون التفرقة بين ما يصلح لأمتنا ، وما لا يصلح ، وهدم سائر مقومات الأمة الإسلامية فى اللغة والزى وغيرها ، والدعوة إلى القومية المصرية المنفصلة عن الدين واللغة ، والقائمة على أساس الجنس فقط دون سائر الروابط الأخرى ، غير أن صحافة الاتجاه الإسلامى قد تصدت لهذا التيار التغريبى وصحفه ودعواته ، وأخذت على عاتقها نشر الفكرة الإسلامية فى مصر ، ومعارضة مؤسسات التغريب والتوجه العلمانى الغربى فى الفكر المصرى الحديث فى تلك الفترة ، وتشكل تيار إسلامى قوى فى الصحافة المصرية ، حمل لواء المقاومة فى الصحافة ، وفوق منابر الجمعيات ، وتحت قبة البرلمان .

وقد حاول أنصار التيار الإسلامى بعث المدنية الإسلامية فى مقابل المدنية الغربية ، ومحاربة رحف المؤثرات الغربية على مصر وتنقية الفكر الإسلامى ، وتقرير حقائق الدين على وجهها الصحيح ، والأخذ بالمنهج القرآنى ومواجهة نشاط البعثات التبشيرية فى مصر ، والدعوة إلى معالجة العلل والأمراض الاجتماعية التى تفشت فى المجتمع المصرى ، ومجابهة الإلحاد والدعايات غير الإسلامية .

واتسمت نظرة الإسلاميين بالمرونة تجاه التطور والتقدم العلمى ، والأخذ بالنظم الحديثة ، وما انتهت إليه علوم العصر ، وما رفضه أنصار التيار الإسلامى من حيث الأخذ

عن الغرب إنما هو المحاكاة والتقليد للغربيين فى شعائر دينهم ومظاهر حياتهم وعاداتهم وتقاليدهم الخاصة ، والشك فى الأديان والعبث بأفكارها ، وتقديس المادة والتحرر من قيود الدين والدعوة إلى التبرج والخلاعة والمجون ، وكل مظاهر الخروج على الدين الإسلامى ، ومقومات الأمة الخاصة بها .

وكان فى مقدمة أنصار الفكر الإسلامى فى تلك الفترة رشيد رضا ، ومحب الدين الخطيب ، وحسن البنا ، والشيخ محمد الخضر حسين ، ومحمد فريد وجدى ، والشيخ يوسف الدجوى ، والشيخ عبد الباقي سرور نعيم ، والدكتور يحيى الدرديرى ، والدكتور عبد الحميد سعيد ، وأحمد حسين ، والشيخ أحمد شاکر ، ومحمد شاکر ، ومحمد أحمد الغمراوى .

المبحث الثاني

صحافة الاتجاه الإسلامى وتغريب قوانين الشريعة الإسلامية

يتناول هذا المبحث موقف الصحافة الإسلامية من محاولات تغيير القوانين الإسلامية وإفساح المجال للقوانين الغربية لتحل محلها ، وتتابع أيضاً حجج القائلين بهذا التغيير من أنصار الفكر العلمانى وإسهامات صحافة الاتجاه الإسلامى فى الرد عليها .

ويلاحظ أن المعركة بين أنصار التغريب وأنصار الفكر الإسلامى قد شملت كل مجالات الحياة المصرية ، وكان النظام التشريعى جزءاً من هذه المعركة التى بدأت فى أواخر القرن التاسع عشر ، ولم تحسم حتى اليوم ، فما زالت تدور حوله الكثير من المعارك والمناقشات الحادة ، سواء فى المجالس النيابية والشعبية وفى وسائل الإعلام بكافة أنواعها (١) .

وقد عمد أنصار التيار العلمانى فى مصر إلى مهاجمة التشريعات الإسلامية والعمل على تأكيد القانون الوضعى ، وتثبيت أقدامه ، ولا سيما بعد إعلان الحماية على مصر من قبل سلطات الاحتلال البريطانى ، وإلغاء منصب القاضى الشرعى الأكبر الذى كان يعين من قبل الدولة العثمانية عليها (٢) .

وكان دعاة الفكرة الغربى يهاجمون الشريعة الإسلامية بحجة أن القانون الغربى الوضعى والأنظمة السياسية الغربية تناسب حاجة المجتمع المصرى وأوفى بحاجات الأمة ، وذلك فى ولاء للفكر الغربى وأنظمتهم وقوانينه ، فضلاً عن ذلك كان للامتيازات الأجنبية دورها الواضح فى فرض القانون الغربى على أنظمة الحكم والسياسة والاجتماع وذلك لحماية المؤسسات التبشيرية ومعاهد الإرساليات والأجانب المقيمين فى مصر (٣) .

والحقيقة أن الأوربيين كانوا يسعون للقضاء على التشريعات الإسلامية فى مصر منذ عهد السير سكوت المستشار القضائى الإنجليزى الذى اقترح إلغاء المحاكم الشرعية من مصر ، وإنشاء محاكم مدنية (٤) . وترجع فكرة تنظيم الأحكام للعمل بها فى محاكم مدنية إلى عهد إسماعيل باشا ، وكان رئيس الوزراء نوبار باشا رجل المصالح الأوربية فى مصر يرى ضرورة نقل القوانين الفرنسية إلى اللغة العربية ، والعمل بأحكامها فى المحاكم المدنية

(١) طارق البشرى : المسلمون والأقباط فى إطار الجماعة الوطنية ، مرجع سابق ، ص ٥٠٥ .

(٢) المنار ، شعبان ١٣٣٦ هـ ، مايو ١٩١٨ م .

(٣) أنور الجندى : يقظة الفكر العربى ، مرجع سابق ، ص ٣٢ .

(٤) المنار ، ج ٦ ، م ٣٢ ، شوال ١٣٤٠ هـ ، يونيو ١٩٢٢ م .

التي يراد تأسيسها ، وكان البعض من القائمين على الأمر يرى أن يكون القضاء الأهلى مستمدا من الفقه الإسلامى ، على غرار الدولة العثمانية التي قامت بتجربة موفقة ، وذلك بإنشاء قانون مدنى مستمد من الأقوال الراجحة فى مذهب الإمام أبى حنيفة ونشأت فى مصر فكرة سن قانون أوسع وأشمل مما تم فى الدولة العثمانية ، وأن تؤخذ أحكام القانون المدنى المصرى من أوفق الآراء والأحوال فى جميع المذاهب الفقهية الإسلامية .

وقد عرض الخديوى إسماعيل هذه الفكرة على العلماء فاستنكروها ؛ لأنها قائمة فى زعمهم على أساس التفتيق بين المذاهب ، باعتبار أن الأخذ بالرخص فى مختلف المذاهب غير جائز ، وبناء على ذلك عهد نوبار باشا إلى مسيو مونورى المحامى بالأسكندرية بأن يترجم للمحاكم المدنية قوانين فرنسا المدنية والجنائية والتجارية بعد أن أنقطع الأمل من جعل قوانين المحاكم الأهلية مستمدة أحكامها من الفقه الإسلامى ، وجرى وضع القوانين الفرنسية من خلال لجنة مؤلفة من حسن فخرى وبطرس غالى ومسيو موريوندو ، ووضعت هذه اللجنة القانون المدنى الأهلى باللغة الفرنسية مأخوذاً عن القانون الفرنسى ، مع قليل من التعديل ، ثم قام بطرس غالى بنقله من الفرنسية إلى العربية (١) .

ومن هنا دخلت القوانين الغربية إلى مصر وبدأ تطبيقها فى المحاكم المدنية ، دون مراعاة لظروف المجتمع وبيئته وعاداته وتقاليده ودينه وشريعته ، ولم تغرب شمس القرن التاسع عشر إلا وكانت التقنيات الوضعية قد شملت معظم العلاقات المدنية والتجارية والقوانين الجنائية ونظم الحكم ، وإجراءاتها ، وبقي للشرعية الإسلامية مجال الأحوال الشخصية ، تقضى فيها المحاكم الشرعية (٢) .

وحينما اندلعت الحرب العالمية الأولى وأعلنت إنجلترا الحماية على مصر ، وألغت منصب القاضى الشرعى الأكبر الذى كان يعين من قبل الدولة العثمانية عليها تألفت لجنة من علماء الأزهر وبعض المدرسين فى مدرسة القضاء الشرعى ومدرسة الحقوق يرأسها وزير الحقانية وذلك لوضع قانون للأحوال الشخصية المتعلقة بأحكام الزواج وما يتبعه كالطلاق والفسخ والعدة والنفقة وغيرها ، يستمد هذا القانون مواده من فقه المذاهب الأربعة المشهورة ولا تتقيد بمذهب الحنفية وحده ، بل يؤخذ من فقه المذاهب الأخرى ما تراه اللجنة أيسر وأكثر انطباقاً على مصلحة الناس فى هذا العصر .

اغتنم بعض المحامين الأهلين من دعاة الفكر الغربى هذه الفرصة واقترحوا على وزير الحقانية إبطال تعدد الزوجات وتقيد أحكام الطلاق ، على نحو ما كان قاسم أمين قد اقترحه فى كتابه : « تحرير المرأة » ، وتزعم هذه الدعوة أحمد أفندى صفوت وكيل

(١) الفتح ، م ٦ ، شوال ١٣٥١هـ ، يونيه ١٩٣٢م .

(٢) طارق البشرى : المسلمون والاقباط فى إطار الجماعة الوطنية ، مرجع سابق ، ص ٥٠٤ ، ٥٠٥ .

نيابة الدلنجات ، فألف رسالة وطبعها ووزعها على الجمهور خرج فيها عن الموضوع إلى ما هو أعم وأخطر وهو نسف أصول الشريعة الإسلامية كلها وإبطال قواعدها وأصولها ، ووضع أصول أخرى يراها مرقية لهذه الأمة من الهمجية القديمة التي كان عليها سلف المسلمين وخلفهم - في زعمه ووهمه - إلى قمة الترقى المدني الجديد الذي صعدت إليه الأمة المصرية بتقليدها للأوربيين واقتباسها لقوانينهم (١) .

وقد انبرى للرد على هذه الدعوة الآثمة رشيد رضا في سلسلة مقالات كتبها في «المنار» بعنوان : « المتفرنجون والإصلاح الإسلامى » فند فيها أقوال أحمد أفندى صفوت وكتابات و بين تأثيره بقوانين أوربا في قاعدة الحرية الشخصية المقررة في قانون العقوبات ، ومن أحكامها أن الأنثى متى تجاوزت السنة الرابعة عشرة يجوز لها أن تعاشر من تشاء بلا قيود ولا شرط ولا رباط شرعى ، وليس لوالدها حق إرجاعها إليه ، كما صرح بذلك أحمد أفندى صفوت في رسالته ، وكما أنه لا يجوز لوالد بنت الخامسة عشرة فما فوقها أن يردها عن غيها إذا اختارت أن تكون خدنا لأحد الفساق أو بغياً تعرض نفسها للزنا في بيوت الدعارة ، كذلك لا يجوز لقاضى الشرع ولا للسلطان أو نائبه أن يردها عن هذا الحق الذى أعطى القانون إياها ، وأما ما أباحه الله فى كتابه فلكل حاكم أن يحرمه عند مؤلف الرسالة السابقة ، كذلك عد هذا المؤلف جعل العقد رسيماً مغنياً عن الإشهاد على الزواج ، وأيضاً ألغى العدة للمطلقة إذا علم عدم الحمل بالإطلاع على ما فى الرحم بالأشعة التى تشف الجسم ، وبذلك يمكن إلغاء العدة وعدم التقيد بالمعاني الحرفية للألفاظ القرآنية الواردة فى القرآن الكريم ، وأما عن حكم تعدد الزوجات فقال : « إن الإنسان مخير فيه ولكن لكل حكومة أن تحدده بالقوانين الوضعية كما تشاء » (٢) .

ومن هذا يتضح أن أحمد أفندى صفوت يريد هدم أصول الشريعة الإسلامية كلها ومخالفة أحكام القرآن الكريم الواردة فيه ، والاستعاضة عنها بقوانين يضعها حاكم كل قطر مستقل برأيه ، وإن استمد هذه القوانين من قوانين أمم أخرى تخالف المسلمين فى عقائدهم وآدابهم وعاداتهم ومصالحهم ، ويؤكد رشيد رضا فى مقال آخر أن هؤلاء المتفرنجين يدعون إلى إفساد دين المسلمين وهدم شرعهم الذى هو أعظم مقومات أمهم الرابطة بين شعوبهم بما يلبس دعوته ثوب الإصلاح ، وبعض هؤلاء يتكلم باسم الإسلام ، ويدعى إمكان الجمع بينه وبين نبذ بعض أصوله ، بزعم أنها وضعت لقوم لم يرتقوا إلى الكمال الإنسانى الذى ارتقى إليه هؤلاء المتفرنجون فى زعمهم والذى يبيح البغاء ، واتخاذ

(١) المنار ، شعبان ١٣٣٦ هـ .

(٢) المنار ، رمضان ١٣٣٦ هـ ، أكتوبر ١٩١٨ م .

الأخذان لكل عذراء متى تجاوزت الرابعة عشر ١١ (١) .

ومضى رشيد رضا فى سلسلة مقالاته : « المتفرنجون والإصلاح الإسلامى » يفند آراء المتفرنجين فى رفضهم الإجماع وهو اتفاق علماء الشرع المستقلين من المسلمين لأنه إجماع المسلمين ، وما ذلك إلا لأنهم خرجوا عن دينهم ولا يجبون أن يبقى لهم به صلة ما ، بل يحاولون إفساد عقيدة كل من استطاعوا فتنته من أهل هذا الدين ، ثم إنهم يرفضون القياس الإسلامى أيضاً لأنه يستند على نصوص الكتاب والسنة التى لا يدنون بها ، ولكنهم يجيزون القياس على ما يستحسنونه من نصوص القوانين الوضعية ، كما أنهم يستحسنون العمل بما يتفق عليه علماء هذه القوانين (٢) .

ولما ألغيت الحماية البريطانية على مصر ، واعترفت إنجلترا لمصر بأنها دولة دستورية ذات سيادة وشكلت الحكومة المصرية لجنة لوضع قانون أساس الدولة المصرية ، وكان مما وضعت هذه اللجنة من مواد الدستور الأساسية أن دين الدولة المصرية الرسمى هو الدين الإسلامى ، وأنه يشترط فى ملكها أن يكون مسلماً ، رأينا من يعترض على هذا النص ، وهو محمود أفندى عزمى أحد دعاة العلمانية والمهاجمين للشريعة الإسلامية فى مصر .

دعا محمود أفندى عزمى إلى توحيد التشريع فى مصر ، بحيث توحد قوانين مصر كلها ، وتكون كلها مدنية ، فيوضع قانون مدنى للأحوال الشخصية من رواج وطلاق وغير ذلك تطبق على المصريين كلهم مهما تكن دياناتهم ، ويعنى بالمدنى ما يقابل الدينى ، واتهم الشريعة الإسلامية بأنها غير عادلة ؛ لأنها تبيح للمسلم أن يتزوج يهودية أو نصرانية ، ولا يبيح أن يتزوج غير المسلم امرأة مسلمة (٣) .

وقد ووجهت آراء محمود عزمى باعتراض شديد من جانب الصحف الإسلامية ، ومن علماء الأزهر وغيرهم من علماء الدين ، وانبرى للرد عليه كثيرون ، وكتب رشيد رضا يقول : « إن مدنية القوانين التى يسعى إليها العلمانيون هى نبد الشريعة الإسلامية من مواد الدستور الأساسية ، والاعتراض على أن دين الدولة الرسمى هو الإسلام » ، وأضاف رشيد رضا يقول : « ساءت هذه المادة محمود عزمى وبعض الملاحدة ، وقام من يقترح من الإصلاح لمصر فى عهد الاستقلال والدستور أن توحد قوانينها ، فيجعلها كلها مدنية بوضع قانون مدنى للأحوال الشخصية من رواج وطلاق وغير ذلك » ، ومضى

(١) ، ٢) المنار ، شوال ١٣٣٦هـ ، نوفمبر ١٩١٨م .

(٣) المنار ، ج ٦ ، م ٢٣ ، شوال ١٣٤٠هـ ، يونيو ١٩٢٢م ، مقال بعنوان : « غرض المتفرنجين من إبطال الشريعة الإسلامية » لرشيد رضا .

رشيد رضا يهاجم محمود عزمى وأنصاره مشيراً إلى أن محمود عزمى هو أحد المتفرجين وتلميذ المستشرقين وبعض ساسة الإفرنج أعداء الدين الذين سعوا لتحويل أحكام الشريعة الإسلامية فى مصر واستبدال قوانينهم بها ، وأن هؤلاء الملحدون من المسلمين يخدمون الأجانب من حيث لا يشعرون ؛ لأنهم لا يهتمون كما يهتم الأجانب ، ولأن المسلمين يعدونهم منهم ، وقلما يدعو أجنبى دعوة صريحة فى بلاد إسلامية إلى ترك أحكام الشريعة ، بل هم يسرون فى حل الرابطة الإسلامية فى شعوب المسلمين من عدة طرق أبررها :

- ١ - تعليم المواد الخاصة بهم فى مدارس دعاة النصرانية فى بلاد الإسلام ومدارس بلادهم التى يرحل إليها طلاب المسلمين ، ومدارس الحكومة التى يسيطرون عليها .
- ٢ - إقناع المتفرجين من الأفراد والحكام والكتاب بوجوب الفصل بين الدين والحكومة ، وبأن الشرع المبني على أصول الدين لا يصلح لترقى البشر الدنيوى .
- ٣ - أن الشرع الإسلامى قد وضع لأمة بدوية ، فلا ينطبق على مصالح الناس فى هذا العصر .

٤ - وجوب توحيد قوانين الأمة ، وجعلها موافقة لجميع أهل الأديان فى الوطن الواحد (١) .

وبالإضافة إلى ما كتبه محمود عزمى فى الهجوم على الشريعة الإسلامية كتب كامل البهنساوى فى جريدة السياسة يتهم الشريعة الإسلامية بأنها لا تصلح لهذا العصر ، ويقرر أن نظرية الانتقام التى أقرتها الديانة الإسلامية ، والتى أساسها السن بالسن والعين بالعين ، هى صورة واضحة من نظرية الانتقام التى كان يعامل بها المجرم فى الماضى ، والتى أصبحت لا تصلح مطلقاً لهذا الزمن (٢) .

وقد قوبل هذا التصريح أيضاً بموجة من الردود العنيفة فى صحافة الاتجاه الإسلامى ، وخاصة من مشايخ الأزهر الذين رأوا فى هذا القول تعدياً صارخاً على كتاب الله وطعنًا صريحاً فى آيات القرآن الكريم ، والشريعة الإسلامية ، وكان الشيخ طه الساكت والشيخ حامد محمود محسن - المدرس بمعهد الإسكندرية الدينى - من أبرز من تصدوا للرد على جريدة السياسة فى صحيفتى الفتح والمنار ، فقد أشار الشيخ حامد محسن إلى أن الناظر فى هذا التصريح يخيّل إليه أن هذا الكاتب جاهل لما يقول ، وأقل من أن يطعن فى

(١) المصدر السابق نفسه .

(٢) السياسة ، عدد ١٤ جمادى الأولى ١٣٤٦ هـ ، ٢٩ يناير ١٩٢٨ م ، مقال بعنوان : « العقوبة فى الإسلام ونظرية الانتقام » .

الديانة الإسلامية ، إذ لم يذكر فى قوله سوى الديانة الإسلامية مع أنها كغيرها من الديانات فى تقرير العقوبات ، فقد نص القرآن الكريم على أن عقوبة السن بالسن والعين بالعين كانت من تعاليم التوراة .

فضلاً عن ذلك ، أنه بدون تطبيق العقوبة التى قررها التشريع الإسلامى لا يرتدع المجرم ، أو يصلح المجتمع ، وإذا لم يشعر الجانى حين يتعدى على غيره ، بأنه نازل به من العقوبة مثل ما فعل فإن ذلك يدفعه إلى التعدى على حقوق الآخرين (١) .

ويتضح من ذلك أن الشريعة الإسلامية لم تقرر نظرية الانتقام - كما يقول كاتب السياسة - وإنما قررت حفظ الحقوق والقصاص العادل الذى يمنع النفس الأمانة بالسوء من التعدى على حقوق الآخرين وظلمهم ، وكان فى مقابل هذا الهجوم على الشريعة الإسلامية اهتمام الصحافة الإسلامية وكتابها بالدفاع عن الشريعة الإسلامية ، والتعريف بعظمتها ومكانتها بين الشرائع الأخرى ، وبيان صلاحيتها لكل زمان ومكان ؛ حيث إنها بنيت على أصول عامة وقواعد كلية لم تراعى فيها أمزجة شعب من الشعوب ولا عادات أمة معينة ، ولا تقاليد طائفة ، بل جاءت بما ينطبق على الفطرة السليمة والعقل والمصلحة العامة (٢) .

وعملت الصحف الإسلامية على بيان المقارنة بين النظام الإسلامى فى الحكم وبين أنظمة الحكومات الحديثة ، فالمسيحية بالمعنى الذى دعا إليها المسيح لا يوجد فى أوربا وأمريكا من يستطيع أن يتقيد بها ، أما الإسلام فهو دين السعادتين سعادة الدنيا وسعادة الآخرة ، والإسلام يفتقر عن النصرانية بهذه المزية ؛ لأن النصرانية تهتم بالآخرة فقط (٣) ، ومن هنا كان التشريع الإسلامى متصلاً بشؤون المسلمين الدنيوية والأخروية ؛ لأن الإسلام دين عقيدة وعبادة وحكم ، كما ذهبت إلى ذلك صحف الإخوان المسلمين وآراء كتابها ، وأوضح الشيخ حسن البنا أفضلية التشريع الإسلامى على كل التشريعات الأخرى ، وقارن بين رسالة المسلمين وهى نشر الإسلام بين العالمين وحراسة الدين ونشره ، وبين رسالة الأوربيين التى أفسدت المبادئ السياسية ؛ إذ طلعت أوربا على الناس بقوتها وبطشها وفضتها وذهبتها وفتنتها ونسائها ومخترعاتها ، ومكتشفاتها ومظاهرها حياتها المادية الصاخبة المزخرفة بحواشى الترف والنعيم ففسدت مبادئ القوم السياسية ، فهم بين ملكية مهددة وجمهورية رائفة ، ودكتاتورية مقنعة أو استبدادية سافرة ، وفسدت

(١) المنار ، ج ٥ ، م ٢٩ ، ربيع الأول ١٣٤٧ هـ ، سبتمبر ١٩٢٨ م ، والفتح ، عدد ٧٦ ، ٢٨ جمادى الآخرة ١٣٤٦ هـ .

(٢) الفتح ، عدد ٨١ ، ٣ شعبان ١٣٤٦ هـ ، ٢٦ يناير ١٩٢٨ م .

(٣) الفتح ، عدد ١٨ ، جمادى الآخرة ١٣٤٧ هـ ، ٢٠ نوفمبر ١٩٢٨ م .

قواهم الاقتصادية» (١) .

وواصل محب الدين الخطيب الدفاع عن النظام الإسلامى قائلاً : « إن الذين يقولون : إن الإسلام دين غير ديمقراطى أو الإسلام دين غير اشتراكى يلوكون بالسنتهم هذه الكلمة أو تلك ، ولا يعرفون من الإسلام إلا اسمه ؛ لأنهم متأثرون بالثقافة الغربية» ، وبين أن الإسلام دين منفرد يأخذ بالأنظمة التى تتفق مع تعاليمه ، وتحقق السعادة للبشرية كلها (٢) .

ويرد شكيب أرسلان على دعاة العلمانية الذين يهتمون الإسلام بعدائه للروح الديمقراطية والحكم النيابى ، مؤكداً أن الإسلام هو الذى أقر الديمقراطية ، ولكن لما غلب المسلمون على أمرهم ، سلب الأوروبيون محاسن الإسلام الحقيقية منه وأثبتوها لغيره . وكتب الشيخ محمد السيد الطويل فى جريدة الأخبار مقالة بعنوان : « ملاحظات وتعقيبات » توخى فيها إثبات روح الديمقراطية والحكم النيابى والنظام الشورى للشريعة الإسلامية ، والرد على من زعم أن الحكم النيابى إنما جاء من الغرب . وذهب الشيخ الطويل إلى أن الإسلام عرف الديمقراطية قبل أن تعرفها فرنسا ، ذلك أن الأمة الفرنسية كانت تنقسم فى طبقاتها الاجتماعية إلى ثلاثة أقسام : الأشراف والكهنة وسواد الأمة ، ولم تكن حقوق هذه الطبقات واحدة ، وكان الشعب آلة يستخدمها الملك والأمراء والإقطاع إلى زمن الثورة الفرنسية فى عهد لويس السادس عشر فى حين أن الإسلام كان يساوى بين الملك وعامة الناس ، ويساوى أيضاً بين الناس كلهم فى الحقوق والواجبات (٣) .

وهكذا نجد أن التيار الإسلامى فى فترة ما بين الحربين قد حاول أن يثبت أصالة النظام الإسلامى وصلاحيته للتطبيق فى محاولة للرد على من ينادون بتطبيق النموذج الحضارى الغربى فى ديار المسلمين ، واستيراد التشريعات الغربية ، وحاول أيضاً أن يوائم بين معطيات هذه الحضارة الحديثة فى نظم الحكم والتشريع وبين تعاليم الإسلام ، وبين أن الأنظمة التى وضعها للحكم كفيلة بتحقيق أمن المجتمع وسلامته وتقدمه ، وأن الشريعة الإسلامية متطابقة إلى حد كبير مع الديمقراطية والحكم النيابى والنظم الحديثة ، بل هى سابقة عليها ومتفوقة عنها فى جوانبها الروحية والأخلاقية ، أما سبب تخلف المسلمين وتقدم الغربيين فيرجع إلى أن المسلمين أمملوا الأخذ بالقيم والمبادئ التشريعية العظيمة التى تضمنها دينهم ، فى حين أخذ بها الغربيون ونسبوها إليهم ، وإذا ما عاد المسلمون إلى التمسك بمبادئ دينهم علا شأنهم وواكبوا الحضارة الغربية المتقدمة ؛ لما تتميز

(١) الإخوان المسلمون ، العددان ١٩ ، ٢٦ ، شعبان ١٣٥٢هـ ، وعدد جمادى الأولى ١٣٥٤هـ .

(٢) الفتح ، ربيع الأول ١٣٦٥هـ .

(٣) المنار ، ج٣ ، م ٢٩ ، شوال ١٣٤٦هـ ، مايو ١٩٢٨م .

به هذه المبادئ من مقومات للتقدم أفضل ما تملك النظم الغربية المادية بروحها العدوانية ، ومفاسدها الكثيرة .

وفى نهاية عام ١٩٢٦م شكلت لجنة لإصلاح المحاكم الشرعية فى مصر ، التى فكر فى إنشائها وزير الحقانية ، فانبرت صحيفة السياسة وطالبت اللجنة أن تفرق بين ما هو دين وما هو شريعة ، معتبرة أن الصلاة والصوم والزكاة والحج وسائر العبادات قسم قائم بذاته يسمى دينا ، وأن مسائله لا تتغير ولا تتبدل ، أما سائر أبواب الفقه من معاملات مدنية وقوانين جنائية وأخرى دولية فهى مسائل قابلة للتغيير والتعديل والتمحيص ، وأن ما وافق حال الأمم الاجتماعية يجب اتباعه وما لا يوافق يجب رفضه والنظر فى تشريع غيره ، وذهبت السياسة إلى أن ما تحكم به المحاكم الشرعية من الفقه الإسلامى هو آراء للمجتهدين قابلة للتغيير والتهذيب ، وأن قانون الأحوال الشخصية ليس له علاقة بالحلال ولا بالحرام ، وهو ليس من الدين فى شىء ، ويجب تغييره بما يوافق روح العصر الحاضر (١) .

وقد تولى الرد على صحيفة السياسة الشيخ عبد الباقي سرور ، مفندا أقوالها ومؤكداً على أن ما شرع فى حدود كتاب الله وسنة رسوله يسمى دينا ، وأن قسم الأحوال الشخصية وسائر أبواب الفقه هى من دين الله ؛ لأن ما كان مأموراً به فى حدود الكتاب والسنة يجب اتباعه ويحرم تركه (٢) ، كذلك انتقد محب الدين الخطيب الكاتب التركى عمر رضا الذى كتب فى السياسة الأسبوعية ينادى بتطبيق ما فعله الكماليون فى تركيا من إبطال حكم الله فى الميراث والزواج وإلغاء التشريعات الإسلامية المأخوذة من الفقه الإسلامى ، وتطبيق قانون حكومة سويسرا النصرانية (٣) .

وظلت المعركة محتدمة ومتصلة على هذا النحو بين المهاجمين للشريعة الإسلامية وبين أنصار الفكر الإسلامى وكتاب الصحافة الإسلامية الذين كان من أبرهم فى هذا المجال محب الدين الخطيب ، وحسن البنا ، ورشيد رضا ، وشكيب أرسلان ، والدكتور يحيى الدرديرى ، وفريد جدى . وتجدر الإشارة هنا إلى أن القائمين على الأمر فى البلاد المصرية ، كانوا يدعمون ويساندون دعاة الحضارة الغربية والفكر الغربى فى هجومهم على الشريعة الإسلامية والمحاكم الشرعية وتغيير القوانين الإسلامية وتغريبها وعلمتها ، وفى عام ١٩٣١م دعا إسماعيل صدقى رئيس الحكومة المصرية إلى توحيد القضاء فى مصر بإدماج القضاء الشرعى فى القضاء الأهلى ، وانبرى للرد على هذه الدعوة محب الدين الخطيب ، موضحاً أنه لا يمكن توحيد القضاء الشرعى بالقضاء الأهلى أو إدماجه إلا إذا

(١) (٢) الفتح ، عدد ٢٢ ، ٦ جمادى الأولى ١٣٤٥هـ ، ١١ نوفمبر ١٩٢٦م .

(٣) الفتح ، عدد ١١ ، ١٨ صفر ١٣٤٥هـ ، ٢٦ أغسطس ١٩٢٨م .

أراد المشرع المصرى أن يجعل التوحيد قائماً على توحيد المصدر الذى يستمد منه التشريع وهو الفقه الإسلامى ينبوع القومى ، والمصدر التاريخى للتشريع فى مصر مدة بضعة عشر قرناً من الزمان ، وأن مصر لم تعدل عنه إلى التشريع الأجنبى إلا بتأثير أجنبى منذ نصف قرن فقط .

وإذا كانت الأمم النصرانية فى أوروبا لم تأخذ تشريعاً من الفقه المسيحى ، فما ذلك إلا لأن المسيحية ليست دين حكم ، ولم يكن للنصارى فقه يصلح للقضاء ، أما الأمم الإسلامية ، فكانت ولا تزال تستمد تشريعها من الفقه الإسلامى ؛ لأن الإسلام دين حكم ، ومن ثم كان للإسلام فقه ، لم يترك أى معنى من معانى العدل إلا وقد نص عليه ولا حظه وأعطاها حقه من البيان والتوضيح ، وأشار محب الدين الخطيب فى موضع آخر أن تيار الإلحاد والتغريب شر على الأمة الإسلامية ، وعلى الدولة المصرية من الاحتلال الأجنبى النصرانى . ودعا علماء المسلمين إلى مقاومة هذا التيار بسلاح العلم والمعرفة وبيان جمال النظم الإسلامية فى تكوين المجتمع الصالح ، وإقامة الدولة المسلمة (١) .

وكتب أحد المحامين الشرعيين فى المنار - لم يصرح بذكر اسمه - بين اعتداء الحكومة على القضاء الشرعى ، وانتزاع المجالس الحسبية من سلطته بالتدريج ؛ لأنها من المؤسسات الشرعية الإسلامية فى هذا القطر المصرى ، وهى فى أصلها من اختصاص القاضى الشرعى وحده ، ثم سار فى مقاله هذا يهاجم وزير الحقانية الذى طرد وكلاء الإدارات الشرعية ، وجعل الإدارة تتسلط على القضاء الشرعى ، وأسند المجالس الحسبية للقضاء الأهلى على اعتبار أن الأحكام الشرعية أمور دينية ، لا يضر الدين فى شيء أن تتولاها المحاكم الأهلية بقوانينها استناداً على ما هو مطبق فى الغرب ، وقياس الإسلام على المسيحية رغم الاختلاف الواضح بينهما كما ذكرت (٢) ، فالمسيحية لم تحيى بحكم واحد بينما الديانة الإسلامية نظام كامل للدولة الإسلامية فى كل شؤونها (٣) .

وبمناسبة الاحتفال الذى أقيم فى عام ١٩٣٣ بالعيد الخمسينى على نشأة المحاكم الأهلية ، أشار الشيخ حسن البنا فى صحيفة الإخوان المسلمين إلى أن تلك المحاكم بنظامها وتشريعها الحالى تصطدم مع تعاليم الإسلام من جهة تجاهلها للحدود الواردة فى القرآن والسنة عن السارق والزانى وإجارتها إعفاء الزناة من العقوبة وإباحتها للربا ، وطالب الشيخ البنا بالحكومة بأن تعدل هذا التشريع بما يتمشى مع نص الدستور الذى

(١) أنور الجندى ، الفتحة ، تاريخ الصحافة الإسلامية ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ٦٨ .

(٢) المنار ، ج ٢ ، م ٣١ ، ذو الحجة ١٣٤٩ هـ ، مايو ١٩٣١ م .

(٣) المنار ، ج ٨ ، م ٣١ ، ذو الحجة ١٣٤٩ هـ ، مايو ١٩٣١ م .

يؤكد أن دين الدولة الرسمي هو الإسلام (١) .

وذكر أن القرآن الكريم فيه أصول العقائد وأسس المصالح الاجتماعية ، وكليات الشرائع الدنيوية ، وقد حدد غايات الحياة ومقاصدها للناس ، وأن العالمية والقومية والاشتراكية والرأسمالية والحرب والسلام ، وتوزيع الثروة والصلة بين المنتج والمستهلك وما يمت بصلة قريبة أو بعيدة إلى هذه البحوث التي تشغل بال الأمم وفلاسفة الاجتماع ، كل هذا قد خاض فيه الإسلام ، ووضع للعالم النظم التي تكفل له الانتفاع بما فيها من محاسن وأن أن يكون لكل أمة قانون يتحاكم إليه أبنائها ، وهذا القانون ينبغي أن يكون مستمدا من الشريعة الإسلامية ، مأخوذا من القرآن الكريم متفقا مع أصول الفقه الإسلامي (٢) .

فالإسلام لا يقف محايدا أمام أى شأن من شؤون الناس ، سواء فى المعاملات والجنايات أو العبادات ، ووسيلة العلاج لكل ما تعانيه الأمة من أمراض وعلل هو استخلاص المنهج الصحيح من كتاب الله وسنة رسوله ، فضلا عن وجود العاملين المؤمنين بهذا المنهج والقيادة الحازمة الموثوق بها فى تطبيقه على أفراد الأمة (٣) .

ونادى الشيخ حسن البنا بتطبيق أحكام القرآن الدنيوية وتشريعاته فى هذا الشأن ، وأشار إلى أن استبدالها بغيرها من التشريعات الأجنبية وما وضعه الفرنسيون والرومان تعطيل لأحكام الله ، ونعى على المسلمين جهلهم بهذه الأحكام وعدولهم عن تطبيقها واكتفاءهم من القرآن الكريم بأن جعلوه تائم لأمرضهم ، وزينة لمجتمعهم ، وسلوة فى حقلهم وأحزانهم وأمراضهم (٤) .

وحذر الدكتور يحيى الدرديرى من القوانين المستوردة ، والتشريعات الأجنبية ؛ لأن ما يصلح للغرب قد لا يصلح للشرق ، وما يكون حقا فى آسيا قد يكون باطلا فى أوروبا (٥) ، وتصدى فريد وجدى للذين يعترضون على تطبيق الحدود الإسلامية فى الزنا والقتل والسرقة والإفساد فى الأرض وغيرها ، وذكر أن العقوبات التى حددتها القوانين الوضعية لهذه الحدود لا تتناسب وخطورها ، وكان من جراء ذلك أن انتشرت

(١ ، ٢) طارق البشرى : المسلمون والاقباط فى إطار الجماعة الوطنية ، مرجع سابق ، ص ٥١٠ ، والإخوان المسلمون ، ١٨ رمضان ١٣٥٢هـ .

(٣) الإخوان المسلمون ، ٤ ، ١٧ ربيع الأول ١٣٥٤هـ .

(٤) الإخوان المسلمون ، عدد ٢٦ ، السنة الثانية ، ٢٣ رجب ١٣٥٣هـ ، ١٩٣٤م ، مقال بعنوان : «هل نحن قوم عمليون ؟» .

(٥) الشبان المسلمون ، ج ١ ، ٧م ، جمادى الآخرة ١٣٥٤هـ ، أكتوبر ١٩٣٥م ، مقال بعنوان : «مأسى العلماء فى ساحة القضاء» .

الجرائم فى العالم المتمدن الذى يريدون تقليده انتشارا مزعجا ، ولا يمر يوم دون أن يزداد المجرمون عددا ، ومضى محمد فريد وجدى فى مقاله يوضح فساد النظريات والمذاهب الموجودة فى العالم ، وخلص بنتيجة مؤداها : أنه لا يصلح لإقامة العدل وتحقيق الإصلاح المنشود إلا بتطبيق شرع الله وحدوده ، ولاسيما الحدود التى جاءت منصوصا عليها فى القرآن الكريم ؛ كحد الزنا والقذف والسكر والسرقه والإفساد فى الأرض(١).

وبعد توقيع معاهدة ١٩٣٦م التى حققت لمصر إلغاء الامتيازات الأجنبية والمحاكم المختلطة ، وأعطت لها حق التشريع المالى وغيره من التشريعات (٢) ، نشطت الصحافة الإسلامية فى المطالبة بوجوب إحلال التشريعات الإسلامية محل التشريعات الوضعية ليصبح الإسلام هو النظام السياسى الاجتماعى العام ، ومصدر التشريعات فى مصر وحفلت الصحف الإسلامية بالعديد من المقالات والمحاضرات والآراء التى تنادى بوجوب الرجوع إلى الشريعة الإسلامية عند مراجعة التشريع المصرى ، وكان من أبرز الآراء التى نشرتها صحيفة الإخوان المسلمين للرد على دعاة القانون الوضعى آراء ثلاثة من جهابذة القانون فى مصر ، وهم الدكتور عبد الرازق السنهورى ، ومصطفى حنفى بك وكيل الحقانية - والشيخ محمد أمين هلال ، حيث صرح الدكتور السنهورى أن الشريعة الإسلامية مصدر خصب لتشريع يوضع لبلاد شرقية عربية إسلامية ، وأن هناك من مبادئ الشريعة الإسلامية لو أدخل فى القانون المصرى لعد متقدما على الشرائع الغربية نفسها وشدد فى دعوته إلى وجوب الرجوع إلى الشريعة الإسلامية ، وأشار إلى أن الخطأ الذى وقعنا فيه فى القرن الماضى هو إبعاد الشريعة الإسلامية عن المصادر التى نرجع إليها.

وقال مصطفى حنفى بك وكيل الحقانية : « إنه من خلال جولتنا الموفقة فى كتب الفقه ، تبينا عظمة الشريعة الغراء ، فما من فكر ثاقب عرض على بساط البحث إلا وجد ما يؤيده من كتب الأئمة العلماء » ، وأشار الشيخ هلال إلى أن الرجوع إلى الشريعة الإسلامية فيه علاج شاف لكل الأمراض الاجتماعية ، واستئصال عوامل الشر من محيط المجتمع ، وغرس عناصر الخير ، وذكر ما قرره المؤتمر الأول للقوانين المنعقد فى لاهائ : «إن الشريعة الإسلامية تحمل العناصر الكافية التى تجعلها صالحة للتطور مع حاجات الزمن»(٣).

وقارن الأستاذ سيد أفندى خضير - من رجال القانون - بين النظام القضائى المطبق فى مصر آنذاك وبين الشرع الإسلامى ، وخرج بنتيجة مؤداها : أن الشرع الإسلامى بعيد كل البعد عن كل جمود ، ويتفق كل الاتفاق مع كل المدنية الحقة فى جميع الأزمان ، وفى

(١) الأهر ، ج٥ ، ٩م ، جمادى الأولى ١٣٥٧هـ ، مقال بعنوان : «المقومات الشرعية فى الإسلام».

(٢) عبد العظيم رمضان ، تطور الحركة الوطنية فى مصر ، القاهرة : دار الكاتب العربى ، ١٩٦٨م ، ص ٧٩٦.

(٣) الإخوان المسلمون ، عدد ٢٥ ، ٢٣ رمضان ١٣٥٦هـ ، ٢٦ نوفمبر ١٩٣٧م.

كل البلدان ، ويكفل النزاهة التامة والعدالة المطلقة ، وأثبت أن الشرع الإسلامى هو روح القوانين ، والضالة التى ينشدها علماء القانون فى العصر الحاضر ، وضرب على ذلك العديد من الأمثلة المدعمة بالبراهين والأدلة التى تؤكد سمو التشريع الإسلامى ، وعلو مبادئه القانونية ، ودحض بعض الانتقادات التى وجهها بعض كتاب التغريب إلى هذا التشريع (١) ، ونوه بالمؤلف الذى وضعه الدكتور محمد صادق فهمى بالفرنسية عن «الإثبات فى القانون المدنى المقارن» حيث جعل فيه للشرعية الإسلامية المكان الذى يجب أن تتبوأه بين شرائع العالم المتمدن ، وأظهر مقدار ما يمكن لهذا العالم أن يأخذ من منهلها العذب ، وقوانينها العادلة (٢) .

وفى الحلقة الأخيرة من سلسلة هذه المقالات التى كتبها سيد أفندى خضير فى صحيفة الإخوان المسلمين ، ذكر أنه لابد لإصلاح النظام القضائى فى مصر من العودة إلى الشريعة الإسلامية (٣) ، وعلى صفحات مجلة الأزهر قال الشيخ المراغى - شيخ الجامع الأزهر - فى تصريح له مع مندوب جريدة البورص لجبسيان أنه « يجب أن تسيطر تعاليم الإسلام على الحياة الاجتماعية فى مصر ؛ لأن غالبية الشعب تدين بالإسلام ، كما أن الدين الرسمى هو الإسلام ، وأن القرآن الكريم يفى بكل حاجات الفرد والجماعة ، وقد احتاط لكل شئ وتوفر على كل الأحكام » (٤) .

وهكذا نرى إجماع أنصار الفكر الإسلامى فى الصحافة المصرية على أنه لابد من الرجوع إلى الشريعة الإسلامية لتكون أساس التشريع فى مصر ومصدره الأول ، فقد كتب أحمد حسين فى صحيفة «مصر الفتاة» يقول : « لقد حانت الساعة التى نراجع فيها مجموعة قوانيننا ونجعل أساسها الشريعة الإسلامية ؛ لأنها الأساس الوحيد الذى يتفق مع مزاجنا » ، وبين أن اقتباس القوانين من مصادر أخرى عن الشريعة الإسلامية يؤدى إلى الفوضى الاجتماعية ، وأنه قد أجمع علماء الغرب قبل علماء الشرق على أن الشريعة الإسلامية بلغت فى تصورهما حد الكمال ، حتى اتخذتها المجامع الدولية مصدرا للتشريع الدولى ، وهذه الشريعة التى تطورت وثمرت فى بلاد المسلمين - ومنها مصر - تسير أخلاقنا وعاداتنا ، فضلا عن أنها ركن من أركان ديننا ؛ لذلك فقد تعين علينا ألا نتردد بعد اليوم فى اتخاذ الشريعة الإسلامية الأساس الأول والأخير لمجموعة قوانيننا المدنى والجنائى والشخصى » (٥) .

(١) الإخوان المسلمون ، عدد ١٤ ، السنة الرابعة ، ٢٥ ربيع الآخر ١٤٥٥ هـ ، ١٤ يوليو ١٩٣٦ م.

(٢) الإخوان المسلمون ، عدد ٢٣ ، السنة الرابعة ، ٢٨ جمادى الآخرة ١٣٥٥ هـ ، ١٥ سبتمبر ١٩٣٦ م.

(٣) الإخوان المسلمون ، عدد ٢٤ ، ٥ رجب ١٣٥٥ هـ ، ٢٢ سبتمبر ١٩٣٦ م.

(٤) الأزهر ، جـ ١ ، ٩ ، محرم ١٣٥٧ هـ ، مقال بعنوان : « الشريعة الإسلامية والتشريعات الحديثة ».

(٥) مصر الفتاة ، أول يناير ١٩٣٩ م ، وأنور الجندى : يقطعة الفكر العربى ، مرجع سابق ، ص ٢٢٧ ، ٢٢٨ .

ويلاحظ أن جماعة الإخوان المسلمين قد أسهموا إسهاما كبيرا في الدعوة إلى إصلاح القانون في مصر ، حتى يتفق من التشريع الإسلامى ، وخصوصا فى الجنايات والحدود(١) ، وأعلن الإخوان على صفحات صحفهم أنهم مستمرون فى المطالبة بهذا الإصلاح حتى يتحقق أو يموتوا دونه ، ووصف الشيخ حسن البنا الدستور فى صحيفة النذير بأنه ثوب أجنبى لا يناسب عادات وتقاليد المصريين ، ولا ينسجم مع ميولهم، وطالب بإيجاد دستور ونظام ينبع من الإسلام وتعاليمه ، واستند فى ذلك إلى المادة ١٤٩ التى تنص على أن دين الدولة هو الإسلام ، وذكر أن مطبقى القانون فى مصر ليسوا جادين فى الالتزام بما نصت عليه تلك المادة ، وأنهم بذلك يعبثون ويلهون ، ويخدعون الشعب بمثل هذا النص (٢) .

وحينما وعد رئيس الوزراء محمد محمود باشا نقابة المحامين بالنظر فى إعلان الشريعة الإسلامية ، هاجمته صحيفة النذير وقالت : « إن الشريعة الإسلامية تحتل المقام الأول عنده » وهاجمت أيضا الوزراء واتهمتهم بالفساد ، واتهمت دعوته بأنها كلام لا عمل(٣) .

كذلك وجه الشيخ حسن البنا خطابا مفتوحا إلى رئيس الحكومة مصطفى النحاس، ونشرته صحيفتنا الإخوان المسلمين والفتح ، وذلك بمناسبة تصريحاته عن الإعجاب والإشادة بحكومة كمال أتاتورك فى تركيا بلا تحفظ ، قال حسن البنا : « إن موقف الحكومة التركية الحديثة من الإسلام وأحكامه وتعاليمه وشرائعه معروف فى العالم كله لا ليس فيه ، فالحكومة التركية قلبت نظام الخلافة إلى الجمهورية ، ونبذت القانون الإسلامى، وحكمت بالقانون السويسرى مع قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ [المائدة : ٤٤] ، وصرحت فى دستورها أنها حكومة لا دينية «علمانية» ، وأجازت بمقتضى هذه التعاليم أن تتزوج المسلمة غير المسلم ، وأن ترث المرأة مثل الرجل » (٤) . وغير ذلك مما يخالف تعاليم الإسلام وشريعته الغراء .

ومن الأدوار البارزة فى الدعوة إلى الاهتمام بالشريعة الإسلامية والدفاع عنها

(١) الإخوان المسلمون ، ٢٢ شوال ١٣٥٥هـ ، ٥ يناير ١٩٣٧م.

(٢) النذير ، عدد ٦ جمادى الأولى ١٣٥٧ ، يوليو ١٩٣٨ ، مقال بعنوان : «أنفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون» لحسن البنا ، وعدد ١٩ ، جمادى الآخرة ١٣٥٧هـ ، أغسطس ١٩٣٩م.

(٣) النذير ، ١٨ ذو القعدة ١٣٥٧ هـ ، يناير ١٩٣٩م ، مقال بعنوان : « الشريعة الإسلامية فى مصر الإسلامية مهداة إلى رفعة رئيس الوزراء » لحسن البنا .

(٤) الفتح ، عدد ١٤ يونيه ١٩٣٦م ، ربيع الاول ١٣٥٥هـ ، والإخوان المسلمون ، ٤ ربيع الآخر ١٣٥٥هـ ، ١٣ يونيه ١٩٣٦م.

ومواجهة الحملات التغريبية التي تريد النيل منها، دور محب الدين الخطيب وصحيفته «الفتح» التي دعت إلى الاهتمام بالفقه الإسلامى، وإلى سن تشريع مدنى إسلامى لمصر والشرق العربى، وقدمت دعوة إلى عقد مؤتمر حكومى أو جامعى يمثل مصر والأقطار العربية والإسلامية للبحث عن إيجاد تشريع إسلامى يحل مكان التشريعات الأجنبية الدخيلة على بلاد المسلمين (١)، فضلا عن ذلك حفلت «الفتح» بالعديد من المقالات والمحاضرات عن صلاحية الشريعة الإسلامية لسن القوانين المدنية والجنائية وغيرها، ونوهت بالعديد من الكتب القيمة المؤلفة فى التشريع الإسلامى، منها على سبيل المثال: كتاب أحمد بك إبراهيم: «أحكام الوقف والمواريث» وكتاب الدكتور شفيق شحاتة: «النظرية العامة للالتزامات فى الشريعة الإسلامية» وكتاب حسن أحمد الخطيب بعنوان: «التشريع الإسلامى مصادره وقواعده العامة» وغير ذلك.

ومن خلال هذه المعطيات والمواقف التى قدمتها الصحافة الإسلامية للتصدى لتغريب ومحو التشريع الإسلامى فى مصر، نستطيع القول: إن القوانين الغربية دخلت إلى مصر، وبدأ تطبيقها فى المحاكم المصرية فى عهد الخديوى إسماعيل ورئيس حكومته نوبار باشا، الذى شجع على نقل القوانين الفرنسية المدنية والجنائية والتجارية إلى المحاكم المصرية، ولم يبق للشريعة الإسلامية بعد ذلك سوى مجال الأحوال الشخصية تقضى فيها المحاكم الشرعية، ورغم ذلك عمد أنصار الفكر الغربى فى مصر إلى مهاجمة التشريعات الإسلامية، والعمل على تأكيد القوانين الغربية الوضعية وخاصة بعد إعلان الحماية البريطانية على مصر فى بداية الحرب العالمية الأولى، وإلغاء منصب القاضى الشرعى الأكبر الذى كان يعين من قبل الدولة العثمانية على مصر.

وكان من أبرز المهاجمين للشريعة الإسلامية أحمد أفندي صفوت وكيل نيابة الدلنجات ومحمود أفندي عزمى، فقد نادى الأول بإبطال أحكام الإسلام فى مسائل الزواج وما يتبعه كالطلاق والفسخ والعدة والنفقة وغيرها، وتطبيق القوانين الغربية المدنية فى هذه المسائل، ونادى بتوحيد التشريع، وتكون القوانين كلها مدنية، تطبق على المصريين كلهم على اختلاف دياناتهم.

وقد ووجهت هذه الآراء باعتراض شديد من جانب الصحف الإسلامية ومن علماء الأثر وغيرهم الذين كشفوا عن ريف هذه الآراء، وأن الغرض منها هو نبذ الشريعة الإسلامية من مواد الدستور الأساسية، والاعتراض على أن دين الدولة الرسمى هو الإسلام، واتهام الشريعة الإسلامية بأنها لا تصلح للتطبيق فى العصر الحاضر، وكان فى مقابل هذا الهجوم أن اهتمت الصحافة الإسلامية بالدفاع عن الشريعة الإسلامية، وبيان

(١) الفتح، عدد ١٣ ديسمبر ١٩٣٦م.

صلاحيتها لكل زمان ومكان ، وتفوقها على أنظمة الحكومات الحديثة ، وإبراز المميزات التي انفرد بها الإسلام عن الشرائع الأخرى الوضعية .

وأكدت الصحف الإسلامية على أن التيار التغريبي المهاجم للشرعية الإسلامية يتلقى دعما ومساندة من القائمين على الأمر في البلاد المصرية ، أى من رؤساء الحكومة وبعض الأحزاب السياسية ، وطالب الكتاب المسلمون الحكومة بأن تعدل عن أى تشريع لا يتمشى مع الدستور الذى ينص على أن دين الدولة هو الإسلام ، وطالبوا بوجوب الرجوع إلى الشريعة الإسلامية حتى تكون أساس التشريع فى مصر ، وحذروا من القوانين المستوردة والتشريعات الأجنبية التى لا تتفق مع شريعتنا ، ولا تتلاءم مع عاداتنا وتقاليدها، ومن أبرز هؤلاء الكتاب: رشيد رضا ، وشكيب أرسلان ، ومحب الدين الخطيب ، والدكتور يحيى الدرديرى، ومحمد فريد وجدى ، والشيخ حسن البنا ، والدكتور عبد الرازق السنهورى، ومصطفى حنفى ، والشيخ أمين هلال ، وسيد أفندى خضير .

المبحث الثالث صحافة الاتجاه الإسلامى والعلمانية

يعالج هذا المبحث موقف الصحافة الإسلامية من الممارسات والأفكار اللادينية والرد على الجرائد والمجلات والمؤلفات التى تنحو منحى علمانيا فى فترة ما بين الحربين العالميتين.

والعلمانية ترجمة للكلمة الإنجليزية «Secularity» وتعنى اللادينية (١) . وفى تعريف مجمع اللغة العربية : « أن مصطلح العلمانية نسبة إلى العلم بفتح العين وسكون اللام بمعنى العالم بفتح اللام ، وهو خلاف الدينى أو الكهنوتى ، والعلمانى هو الذى يتبناها فردا أو جماعة (٢) .

ومصطلح العلمانية لا يوجد فى تراث مصر الثقافى بل ولا التراث العربى بعامة حتى أواخر القرن التاسع عشر ، والعلمانيون يحكمون العقل فى كل شىء دون التقيد بالنصوص الدينية ، ومن هنا كانوا على خلاف دائم مع علماء الدين .
وكلمة العلمانية أوربية النشأة واللفظ ، وفى التراث الأوربى هناك نوعان لفهم كلمة علمانية :

الأول : نوع فكرى عقدى يفرض فكرة اللادين على المجتمع ، ومن ثم يتخذ موقفا عدائيا من الدين ، ويعتبر العلمانية دعوة اجتماعية فلسفية ذات مضمون قابل لأن يحل محل المضمون الدينى ، ويرى حصر الدين فى المساجد والكنائس .

أما النوع الثانى : فهو العلمانية بالمعنى المحايد أو القانونى الشكلى الذى يفصل بين الدين والحكومة لا بين الدين والمجتمع ولا بين الدين والفرد ، وهذا النوع أخف حدة ، حيث إنه يترك للدين الحرية الكاملة فى مجالاته الروحية والأخلاقية والاجتماعية ، ولكن يصدر قوانين وأنظمة من شأنها أن تحقق المساواة بين المواطنين بغض النظر عن دياناتهم (٣) .

أما ماذا يعنى مفهوم العلمانية فى أدبيات الفكر المصرى الحديث ، ومن وجهة نظر مفكرى الإسلام ، فيقول الدكتور محمد البهى ، فى مفهوم العلمانية : « إنه الفصل بين

(١) على جريشة ومحمد زريق : أساليب الغزو الفكرى ، ط ٣ ، القاهرة : دار الاعتصام ، ١٩٧٩ ، ص ٥٩ .

(٢) مجمع اللغة العربية ، المعجم الوسيط ، ج ٢ ، القاهرة : ١٩٨٠ م ، ص ٦٢٤ .

(٣) أحمد زكريا الشلق : العلمانية والفكر المصرى الحديث ، المجلة التاريخية المصرية ، عدد ٣١١٣٠ ، ١٩٨٣ ، ص ٢٣٣ ، ٢٣٤ .

سلطتين غير متجانستين بين دين أو كنيسة ، أو سلطة زمنية أو دولة ، والعلمانية فصل في كتاب الحياة الأوروبية عنت به الخصومة بين الكنيسة والسلطة الزمنية في المجتمعات الأوروبية في محاولة لاستقلال كل منهما» (١) .

ويرى الدكتور محمد محمد حسين : « أن العلمانية دعوة مناهضة للدين نشأت وانتشرت في أوروبا ، وسرت عدواها إلى العرب والمسلمين والشرق بوجه عام في القرن الماضي ، وهى تدعو إلى الاعتماد على الواقع الذى تدركه الحواس ونبد كل مالا تؤيده التجربة » (٢) .

أما المفكر الإسلامى أبو الأعلى المودودى فيشير إلى أن معنى العلمانية هو عزل الدين عن الحياة الاجتماعية للأفراد ، بمعنى أن العلمانية ترى العقيدة الدينية والهدى السماوى وما يتبع ذلك من اتباع الدين وطاعة الله والوقوف عند حدود شرعه لا يجب الالتزام به فى الحياة الشخصية للأفراد ، أما ما عدا ذلك من شؤون الحياة ، فإنه يجب أن يعالج على أساس المادية البحتة وفق رغبات البشر وأهوائهم (٣) .

ونخرج من هذه التعريفات بملاحظتين أساسيتين : الأولى : أن العلمانية تعنى إبعاد الدين عن تصريف أمور الحياة ، والثانية : أن العلمانية أوربية النشأة واللفظ ، وأنه قد سرت عدواها إلى المسلمين فى القرن الماضى .

ويلاحظ أيضا أن العلمانية قد نشأت في أوروبا نتيجة لظروف دينية خاصة لم يكن لها مثيل لدى المسلمين ، حيث تسلطت الكنيسة علي جميع شؤون الحياة ، ووقفت حجر عثرة فى سبيل أى تقدم فكرى أو اختراع علمى ، ولم يقتصر فى الحجر على العقول ، بل تجاوز ذلك الحجر على القلوب حين فرضت صكوك الغفران ، وقرارات الحرمان ، وراحت تتاجر بها وتتخذها وسيلة للكسب الحرام ، فضلا عن محاكم التفتيش التى قتلت الألوف من العلماء ، غير من رج بهم فى غيابة السجون (٤) .

وقد أفررت هذه الظروف السيئة فكرة فصل الدين عن الحكومة ، وساعد على ذلك أيضا ظروف الديانة المسيحية ذاتها ، وذلك بعد ما دخل عليها من تحريف كان اليهود وراءه (٥) ، إضافة إلى أن هذه الديانة لم يكن لها من القوة فى ذاتها ما تدافع به ؛ ولذا

(١) محمد البهى : العلمانية وتطبيقها فى الإسلام ، القاهرة : مكتبة وهبة ، ١٩٨٠م ، ص ٣ .

(٢) محمد حسين : الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر ، مرجع سابق ، ص ٢٧٨ .

(٣) مصطفى الدميرى : العلمانية وأثرها فى وسائل الإعلام ، رسالة ماجستير ، كلية أصول الدين بالقاهرة ، ١٩٨٢م ، ص ١٠٢ ، وأبو الأعلى المودودى : الإسلام والمدنية الحديثة ، ص ٢ ، القاهرة : دار الأنصار ، ١٩٧٨م ، ص ١٠ .

(٤ ، ٥) على جريشة ومحمد زبيق : أساليب الغزو الفكرى ، مرجع سابق ، ص ٦٠ .

اشتعلت العداوة والبغضاء بين رجال الدين ورعماة الإصلاح في أوروبا، وكان ذلك سببا في اشتعال الحرب على الدين ذاته (١) .

ولكن السؤال الذى يطرح نفسه هنا هو : كيف دخلت العلمانية إلى الفكر المصرى والإسلامى إذا لم تكن لها جذور فى التراث المصرى والعربى والإسلامى؟

لقد لوحظ أن الأفكار العلمانية بدأت تدخل المجتمع المصرى على استحياء فى النصف الأول من القرن التاسع عشر مع بدء محاولات محمد على تحديث المجتمع المصرى على أساس أوربى ، ولم يتم قبل ذلك رغم ظهور هذه الأفكار فى أوروبا قبل ذلك التاريخ لارتباط ذلك بخصوصية المجتمع المصرى المسلم الذى كان يدين بالولاء الدينى السياسى للخليفة العثمانى المسلم ، فضلا عن ذلك - وهو الأهم - أنه لا يوجد فى الإسلام سلطة دينية وسياسية يمكن الفصل بينهما (٢) ، ولم يكن هناك أيضا اضطهاد من علماء الدين الإسلامى للعلم أو العلماء فى عصر من العصور كما حدث فى أوروبا، بل على العكس شجع الإسلام العلم ، وجعل طلبه فريضة على كل مسلم (٣) .

ونستطيع أن نميز القنوات التى دخلت خلالها الأفكار العلمانية إلى مصر على النحو التالى :

- ١ - الاحتكاك بأوروبا من خلال عملية تحديث المجتمع المصرى فى عصر محمد على والحديوى إسماعيل .
- ٢ - البعثات العلمية التى ذهبت إلى أوروبا .
- ٣ - حركة الترجمة الواسعة التى صاحبت تلك البعثات .
- ٤ - استقدام الخبراء والمعلمين الأوربيين إلى مصر .
- ٥ - انتشار المدارس الأجنبية فى مصر .
- ٦ - النشاط الاستشراقى والتبشيري تحت رعاية الاحتلال البريطانى على مصر (٤) .
- ٧ - الصحف التى أصدرها النصارى الشوام فى مصر .

(١) الهداية الإسلامية ، جـ ١ ، ١م ، جمادى الآخرة ١٣٤٧هـ ، ١٩٢٩م ، مقال بعنوان : « الدين والدنيا والصلة بينهما » للشيخ محمد عبد المطلب المدرس بكلية دار العلوم .

(٢) أحمد زكريا الشلق : العلمانية والفكر المصرى الحديث ، مرجع سابق ، ص ٢٣٥ ، ٢٣٦ .

(٣) على جريشة ومحمد الزبيق : أساليب الغزو الفكرى ، مرجع سابق ، ص ٦١ .

(٤) المرجع السابق ، ص ٦٥ - ٧٠ ، ود. أحمد زكريا الشلق : العلمانية والفكر المصرى الحديث ، مرجع سابق ، ص ٢٣٦ ، ومحمد يحيى : فى الرد على العلمانيين ، القاهرة : مطبوعات الزهراء للإعلام العربى ، ١٩٨٥م ، ص ١٣ ، ١٤ .

هذا وقد ظلت الأفكار العلمانية تتسلل إلى الفكر المصرى رويدا رويدا ، حتى كانت مرحلة ما بين الحربين العالميتين ، تلك الفترة الخطيرة التى أصبح للعلمانية أنصار يدعون إليها من المصريين أنفسهم ، وصحف تروج لها صراحة ، وتأخذ على عاتقها نشر الأفكار العلمانية وتطالب بتطبيقها فى مصر ، وقد ساعد على ذلك انقلاب مصطفى كمال أتاتورك فى تركيا على الخلافة ، ثم إعلانه الجمهورية وتعديله الدستور وإعلانه علمنة الدولة التركية وسنه القوانين المنافية للإسلام ، وكانت هذه أضخم تجربة علمانية يمكن أن تقلد أو تحاكي فى مصر والشرق بوجه عام .

وقد طفقت الدعوة إلى العلمانية ومحاربة الدين فى مصر تنتشر من خلال الخطب والمحاضرات والكتب والمجلات والجرائد التى تدعو إلى ذلك علانية ، ودون موارد وقد أنشئ ما يسمى بالمجمع الفكرى العلمى لتلقى فيه خطب ومحاضرات تهاجم الأديان صراحة ، وكان خطبائه خليطاً من المسلمين واليهود والنصارى ، ومن أبرز الكتب التى ظهرت فى تلك الفترة ، وانتهجت نهجا علمانيا خالصا ، ودعت إلى وجوب فصل الدين عن الدولة « كتاب الإسلام وأصول الحكم » (١) الذى ظهر فى عام ١٩٢٥م ، لمؤلفه الشيخ على عبد الرازق ، الذى حاول أن يثبت فيه أن الإسلام رسالة لا حكم ، ودين لا دولة (٢) .

ومن هذه الكتب : « كتاب اليوم والغد » لسلامة موسى الذى ذكر فيه أن مصر جزء من أوروبا ، وليست جزءاً من آسيا ، ودعا فيه إلى الخروج من الدين الذى جاء من آسيا ، ويقصد الدين الإسلامى وهاجم الدين فى أكثر من موضع فى هذا الكتاب ، أيضاً كتاب : « مستقبل الثقافة فى مصر » للدكتور طه حسين ، الذى دعا فيه إلى اقتباس الحياة الأوربية بخيرها وشرها (٣) .

وكان كتاب « فى الشعر الجاهلى » للدكتور طه حسين من أخطر هذه الكتب التى دعت إلى هدم التدين جملة وتفصيلاً وبخاصة الدين الإسلامى ، فقد أثار الدكتور طه حسين فى هذا الكتاب الشك حول تاريخ العرب قبل الإسلام ، ولم يقف عند هذا الحد بل تطرق لحقائق وردت فى القرآن الكريم ، حيث اعتبر صلة إبراهيم الخليل بالعرب ورفع ابنه إسماعيل لقواعد الكعبة أسطورة ، وليست حقيقة ، وكان طه حسين فى مؤلفه هذا متأثراً بأفكار المستشرقين إلى حد كبير ، وقد أسهم بهذا الكتاب فى تجسيد مفهوم الثورة على الدين من أجل العلم ، أو بمعنى آخر تنافر العلم مع الدين (٤) .

(١) لنا وقفة مع هذا الكتاب فى الفصل القادم .

(٢) محمد فتحى شعير : وسائل الإعلام المطبوعة فى دعوة الإخوان المسلمين ، ص ٦٣ ، ٦٤ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٦٤ ، ومحمد حسين : الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر جـ ٢ ، ص ٢١٢ - ٢١٨ ، ٢٨١ .

(٤) زكريا سليمان بيومي : الإخوان المسلمون والجماعات الإسلامية ، مرجع سابق ، ص ٤٨ .

وقد حاول طه حسين أن يطبق في كتابه مناهج النقد الأدبي الأوربي على دراسة الأدب العربي ، وأقام بحثه في هذا الكتاب على نظرية ديكاوت ، أى بنى بحثه على الشك فى معظم الشعر الجاهلى ، أو فى نسيته إلى العصر الجاهلى ، وخلص إلى نتيجة مؤداها أن الكثرة المطلقة مما نسميه الأدب الجاهلى ليس من الجاهلية فى شىء ، وإنما هو أدب قد انتحل على العصر الجاهلى بعد ظهور الإسلام ، وبناء على ذلك فهو أدب إسلامى يمثل حياة المسلمين وميولهم وأهواءهم أكثر مما يمثل حياة الجاهليين وميولهم وأهواءهم (١) .

كان هذا البحث وما ورد فيه من آراء سبباً فى اصطدام الدكتور طه حسين بالدين وعلمائه ، وأثار هذا البحث عاصفة من الغضب ، شغلت الصحافة المصرية من جهة والرأى العام من جهة أخرى ، وقامت الصحف الإسلامية بالتعقيب على هذا الكتاب ونقده وتفنيده ، وكان فى مقدمة تلك الصحف صحيفة المنار التى نشرت نقداً لكتاب الشعر الجاهلى ، ذهب فيه رشيد رضا إلى أن طه حسين بنى بحثه على منهج للبحث فى الآداب وغيرها غريب ، وهو أن يبنى على الشك فى كل ما روى عن المتقدمين أو تكذيبه وإن أجمعوا عليه ، وعلى التحرر من الدين والجنسية والوطنية ، ، وجميع الروابط القومية الملية ، وهو بناء على هذه القاعدة يطعن فيما ثبت بنص القرآن الكريم كبناء إبراهيم وولده إسماعيل لبیت الله الحرام بمكة المكرمة ، وشكك طه حسين أيضاً فى آيات أخرى وفى أحاديث وروايات كثيرة من صدقه فيها نبذ الدين وراه ظهرياً وأكد رشيد رضا على أن طه حسين تأثر فى كتابه بملاحدة الإفرنج ودعاة النصرانية الذين دأبوا على الطعن فى الإسلام ، وتشكيك المسلمين فى دينهم (٢) .

فضلاً عن ذلك ، أثار هذا الكتاب ضجة فى مجلس النواب المصرى بل وفى الرأى العام العالمى ، وكتبت صحيفة الديلى تلغراف مؤيدة آراء طه حسين فى هجومه على الدين ، الأمر الذى جعل رشيد رضا يهاجم هذه الصحيفة ويتهمها بالطعن فى الإسلام (٣) ، ودخل الأزهر إلى حلبة الهجوم على كتاب طه حسين ، وكلف شيخ الأزهر ورئيس المعاهد الدينية لجنة من علماء الأهر للنظر فى كتاب طه حسين ووضع تقرير عنه ، وجاء فى هذا التقرير : « إن مؤلف الكتاب أنكر الشعر الجاهلى ، وزعم أنه منتحل بعد الإسلام ، وأنه بنى بحثه على التجرد من كل شىء ، حتى من دينه وقوميته عملاً بمذهب ديكاوت الفرنسى ، والكتاب مملوء بروح الزندقة والإلحاد ، وفيه مغامز عديدة ضد الدين مثبتة فيه ، لا يجوز أن تلقى إلى تلامذة لم يكن عندهم من المعلومات الدينية ما يتقون

(١) عبد اللطيف حمزة : أدب المقالة الصحفية ، مرجع سابق ، ج ٨ ، ص ٢٤٩ .

(٢) المنار ، ج ٨ ، م ٢٧ ، ربيع الآخر ١٣٤٥ هـ ، نوفمبر ١٩٢٦ م .

(٣) المنار ، ج ٩ ، م ٢٧ ، ربيع الآخر ١٣٤٥ هـ ، ديسمبر ١٩٢٦ م .

به هذا التضليل المفسد لعقائدهم ، والموجب للخلاف والشقاق فى الأمة وإثارة فتنة دينية ضد دين الدولة ودين الأمة . . . تحت ستار حرية الرأى ، والكتاب وضع فى ظاهره لإنكار الشعر الجاهلى ، ولكن المتأمل قليلاً يجده دعامة من دعائم الكفر ومعولاً لهدم الأديان ، وكأنه ما وضع إلا لياتى عليها من أصولها ، وبخاصة الدين الإسلامى ، فإنه تدرع بهذا البحث إلى إنكار أصل كبير من أصول اللغة العربية من الشعر والنثر ، قبل الإسلام مما يرجع إليه فى فهم القرآن والحديث « ، هذا ما يرمى إليه الكتاب فى جملة هذه بعض الشواهد التى تؤكد أن ما جاء فى الكتاب بعضه كفر صريح ، وبعضه يرمى إلى الإلحاد والشك فيما جاء فى القرآن الكريم . قال طه حسين فى صفحة ٢٦ من كتابه: « للتوراة أن تحدثنا عن إبراهيم وإسماعيل ، وللقرآن أن يحدثنا عنهما أيضاً ، ولكن ورود هذين الاسمين فى التوراة والقرآن لا يكفى لإثبات وجودهما التاريخى ، فضلاً عن إثبات هذه القصة التى تحدثنا عن هجرة إسماعيل بن إبراهيم إلى مكة » .

وقد أنكر المؤلف بهذا هجرة سيدنا إبراهيم مع ولده إسماعيل - عليهما السلام - وقال: إن ورود هذين الاسمين فى التوراة والقرآن لا يكفى لإثبات وجودهما التاريخى ، وهو تكذيب صريح لقول الله - تعالى - فى سورة إبراهيم - حكاية عنه - ﷺ : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ (٣٥) رَبِّ إِنَّهُمْ أَضَلُّنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعْنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَافُورٌ رَّحِيمٌ (٣٦) رَبَّنَا إِنِّي أَصْبَحْتُ بِرَأْسِ بَرَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ ﴾ [إبراهيم : ٣٥ - ٣٧] ، وقال فى الصفحة نفسها : « ونحن مضطرون إلى أن نرى فى هذه القصة - يريد قصة الهجرة - نوعاً من الحيلة لإثبات الصلة بين اليهود والعرب من جهة وبين الإسلام واليهودية والقرآن من جهة أخرى » وهو فى النص يصرح بأن القرآن اختلق هذه الصلة بين إسماعيل والعرب ، وطعن على القرآن الكريم فى إثبات أبوة إبراهيم ﷺ للعرب فى قوله - تعالى : ﴿ وَمَا جَعَلْ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ ﴾ [الحج : ٧٨] .

وقال طه حسين فى صفحة ٢٧ : « وقد كانت قريش مستعدة كل الاستعداد لقبول مثل هذه الأسطورة ، هجرة إسماعيل إلى مكة فى القرن السابع للمسيح » إلى أن قال فى صفحة ٢٨ : « إذا فليس ما يمنع قريش من أن تقبل الأسطورة التى تفيد أن الكعبة من تأسيس إسماعيل وإبراهيم كما قبلت روما قبل ذلك ولأسباب مشابهة أسطورة أخرى وضعتها لها اليونان تثبت أن روما متصلة بامنياس بن بريام صاحب طرواده ، أمر هذه القصة إذاً واضح فهى حديثة العهد قبل الإسلام لسبب دينى ، وقبلتها مكة لسبب دينى وسياسى أيضاً ، وإذاً يستطيع التاريخ الأدبى واللغوى ألا يحفل بها عندما يريد أن يتعرف

أصل اللغة العربية الفصحى ، وهو تكذيب صريح لقول الله - تعالى : ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [البقرة : ١٢٧] وغير ذلك من الآيات التي وردت في هذا الموضوع .

وهو فوق تكذيبه للقرآن يقول : « إن فيه تدليسا واحتيالا لأسباب دينية وسياسية من أجلها اختلق هذه الأخبار » ، وبهذا وأمثاله يقرر الدكتور طه حسين أن القرآن لا يوثق به ولا بأخباره ولا بما فيه من التاريخ .

فضلاً عن ذلك صرح صاحب « الشعر الجاهلي » في صفحة ٣٣ من كتابه أن القراءات لم تكن كلها منقولة عن النبي ﷺ ، بل هي من اختلاف لهجات العرب ، فالقراءات السبع المتواترة عند طه حسين ليست واردة عن النبي ﷺ ، في حين أنه معلوم في أصل الدين أن القراءات السبع متواترة وأن طريقها الوحى ومنكرها كافر ، كذلك توجد صفحات أخرى عديدة فيها هجوم سافر على القرآن الكريم ، وتكذيب لبعض الحقائق الواردة فيه (١) .

وقد فند محب الدين الخطيب ما قاله طه حسين في كتابه : « الشعر الجاهلي » من أن حادثة إبراهيم وإسماعيل أسطورة ولو تحدثت عنها التوراة أو جاء بذكرها القرآن . وعما جاء في كتابه أيضاً أن اليهود الذين استوطنوا بلاد العرب اخترعوا هذه الأسطورة لإثبات الصلة بين اليهود والعرب وبين الإسلام واليهودية والقرآن والتوراة ، قال الخطيب : « ونحن إذا رجعنا إلى التوراة وجدناها تتحدث عن إبراهيم وإسماعيل وبنى إسماعيل في الإصحاح الخامس والعشرين من سفر التكوين ، وفي الإصحاح الأول من أخبار اليوم الأول ، وهذان الموضوعان من التوراة ولا سيما أولهما من أقدم أسفارها لأنه معاصر لموسى ﷺ » ثم يتساءل قائلاً : « فهل يخبرنا طه حسين كيف تسنى لهؤلاء الدسائسين من اليهود ، والذين استوطنوا بلاد العرب أن يدسوا هذه الأسطورة قبيل الإسلام أو بعيد الإسلام في أسفار منسوبة إلى زمان أقدم من الإسلام بأزمان كثيرة ؟ كيف دسوا هذه الدسيسة في التوراة وهم في يثرب أو خيبر أو غيرهما من بلاد العرب ، ولم يشعر بهم سائر يهود الدنيا » (٢) ، ثم إن الاكتشافات الأثرية أكدت كذب طه حسين إذا اكتشف البحاثة الآثرى أرنست سلين الألماني بالقرب من مدينة نابلس المذبح الذى بناه إبراهيم ﷺ والمدينة التى أنشأها ذووه بعد انفصال إبراهيم عن لوط ﷺ (٣) .

(١) طه حسين : فى الشعر الجاهلى ، نقلا عن : النار ، جـ ٢ ، م ٢٧ ، مايو ١٩٢٦م ، شوال ١٣٤٤هـ .

(٢) الفتح ، عدد ٢٣ ، ١٣ جمادى الأولى ١٣٤٥هـ ، ١٨ نوفمبر ١٩٢٦م .

(٣) صحيفة ديلى إكسپريس ، عدد ٢٤ سبتمبر ١٩٢٦ ، نقلا عن « الفتح » ، عدد ٢٣ ، ١٣ جمادى الأولى ١٣٤٥هـ ، ١٨ نوفمبر ١٩٢٦م .

وواصل محب الدين الخطيب انتقاداته لطله حسين مشيراً إلى أن طلّه حسين يتولى منصب الإفتاء في علوم لا يعرفها قط ، فهو مع عدم معرفته علوم الطبيعة والكيمياء والفلك وطبقات الأرض والنبات والحيوان وغيرها ، فإنه يكتب المقالات الضافية في أنها تناقض الدين وتنافيه (١) .

هذا وقد حفلت الصحف الإسلامية بمقالات عديدة تفند أقوال طلّه حسين الواردة في كتابه : « الشعر الجاهلي » ومنهجه في البحث ، وتكشف عن زيف ما ادعاه من حقائق ، وتبرهن على عدم مصداقيتها بالأدلة والبراهين والشواهد العلمية والتاريخية المؤكدة ، وتتهم طلّه حسين بالكفر والإلحاد والسرقة ، وتوضح أن طلّه حسين يحاول أن يطعن الإسلام في صميم حقائقه وفي قلب نواحيه وقواعده ، وأن هذه خطته في كل مصنفاته من « ذكرى أبي العلاء » إلى كتابه : « في الشعر الجاهلي » (٢) ، وفي مقالاته التي نشرها في جريدة السياسة تحت عنوان : « حديث الأربعاء » ، وأشارت « المنار » إلى أن هذه الخطة التي يتبعها طلّه حسين ابتدعها اليهود في أوروبا لإفساد دين النصرانية على أهله ، وأنه ليس بعيد أن يكون طلّه حسين له صلة بهذه الجمعيات اليهودية (٣) ، وكتب مصطفى صادق الرافعي في جريدة عكاظ السعودية يتهم طلّه حسين بالفسق والفجور والنقل عن الكتب الأوربية والسرقة منها ، ولا سيما نقل آراء ملاحدة أوروبا ليفسد بها مسائل التاريخ الإسلامي (٤) . وذهب الشيخ محمد عرفة - المدرس بمعهد الإسكندرية الديني - إلى أن دعوى طلّه حسين في كتابه السالف الذكر أنه قائم على منهج علمي حديث (٥) ، هي دعوى ساقطة ومزورة ، وأنه بذلك يحشر نفسه في رمة العلماء ، وحذر من اتباع هذه الطريقة في مناهج البحث .

أما الشيخ الغاياتي فقد طلب بفصل طلّه حسين من الجامعة المصرية ، وحذر من تدريس كتابه : « الشعر الجاهلي » على الطلبة ، واتهمها بالتواطؤ مع طلّه حسين ، وأنها قد دفعت ثمن الكتاب من ميزانيتها الخاصة (٦) .

وبعد هذه الجهود والانتقادات التي قدمتها صحافة الاتجاه الإسلامي في الشهر

(١) المصدر السابق نفسه .

(٢) وإن كان كتاب طلّه حسين « مرآة الإسلام » لا ينطبق عليه هذا الكلام .

(٣) المنار ، ج٩ ، م ٢٧ ، جمادى الأولى ١٣٤٥هـ ، ديسمبر ١٩٢٦م .

(٤) المنار ، ج٣ ، م ٢٧ ، ذو القعدة ١٣٤٤هـ ، يونيو ١٩٢٦م .

(٥) المنهج من حيث هو منهج صحيح ، ولكن أ يصلح هذا المنهج لدراسة تاريخ الأدب الذي هو موضوع « في الشعر الجاهلي » ؟ إن طلّه حسين في كتابه : « من بعيد » يرفض ذلك .

(٦) الفتى ، ١٢ محرم ١٣٤٥هـ ، ٢٢ يوليو ١٩٢٦م .

بكتاب : « الشعر الجاهلي » أحيل الكتاب إلى النيابة العامة بناء على بلاغ قدمه الشيخ خليل حسن بالقسم العالي بالأزهر ، وفضيلة شيخ الأزهر وعبد الحميد أفندي البنان عضو مجلس النواب ، وكانت التهمة التي وجهها المبلغون إلى طه حسين : أنه طعن في الدين الإسلامي في مواطن أربعة :

١ - أن المؤلف أهان الدين الإسلامي بتكذيب القرآن في أخباره عن سيدنا إبراهيم وإسماعيل .

٢ - ما تعرض له المؤلف في شأن القراءات السبع المجمع عليها .

٣ - أنه طعن في كتابه على النبي ﷺ طعنا فاحشاً من حيث نسبه .

٤ - أنكر المؤلف أن للإسلام أولية في بلاد العرب ، وأنه دين إبراهيم (١) .

وقد استجوبت النيابة الدكتور طه حسين فيما نسب إليه من التهم ، ولكن طه حسين رد عليها بقوله : إنه كمسلم لا يرتاب في وجود إبراهيم وإسماعيل وما يتصل بهما مما جاء في القرآن الكريم ، لكنه كعالم مضطر إلى أن يدعن لمناهج البحث العلمي ، فلا يسلم بالوجود التاريخي لإبراهيم وإسماعيل إلا إذا ثبت له وجودهما بالدليل الذي قبله العلم ، وبناء على ذلك حفظت القضية حيث صرح رئيس النيابة : « إن غرض الدكتور طه حسين لم يكن مجرد الطعن والتعدي على الدين ، بل إن العبارات الماسة بالدين التي أوردها في بعض المواضع من كتابه إنما أوردها في سبيل البحث العلمي ، مع اعتقاده أن بحثه يقتضيها ، حيث إنه من ذلك يكون القصد الجنائي غير متوفر فلذلك تحفظ الأوراق إدارياً » (٢) .

واعترض رشيد رضا على قرار النيابة وذكر أن هذا « يجرئ كل كافر على الطعن في الإسلام » ، وتعجب من قرار رئيس النيابة بحفظ أوراق القضية إدارياً في حين أنه قد أثبت أن الدكتور طه حسين طعن في الدين الإسلامي ، وكذب القرآن بما سبق إليه دعاة النصرانية ، وأثبت أن مظاعنه التي شكا منها المسلمون ، وطلب بعض رجال الدين والبرلمان محاكمته عليها ، لم يستند فيها إلى دليل علمي صحيح ، وإنما هي تخيلات وافتراضات باطلة ، وهو قد أثبت بما ذكره ارتداده عن الإسلام ، ومع هذا يرى رئيس النيابة أن الدكتور طه حسين يعتقد أن ما كتبه حق وأنه يقتضيه البحث العلمي ولم يقصد به مجرد الطعن في الإسلام ، وأنه لهذا لم يجد وجها قانونياً لمحاكمته ، فأمر بحفظ الأوراق الخاصة بالقضية إدارياً ، وأكد رشيد رضا أن غرض طه حسين مما كتبه هو تشكيك طلبة الجامعة المصرية وسائر من يقرأ كتابه في الدين الإسلامي ، بل إفساد اعتقادهم

(١) المنار ، ج ٥ ، م ٢٨ ، ذو الحجة ١٣٤٥ هـ ، يونيه ١٩٢٧ م .

(٢) د. عبد اللطيف حمزة : أدب المقالة الصحفية ، مرجع سابق ، ص ٢٥٠ .

وتجربتهم على الكفر (١) .

وقد أثير موضوع « كتاب الشعر الجاهلى » - أيضاً - فى مجلس النواب فى وزارة عدلى باشا الذى دافع عن طه حسين فى الاتهام الموجه إليه بطعنه فى القرآن الكريم ، غير أن كتاب الصحافة الإسلامية قد انبروا للرد على رئيس الوزراء وانتقاد ما ذهب إليه ، وأشار رشيد رضا قائلاً : « إن نزعات الإلحاد تدخل مجلس النواب » (٢) ، وكتب الشيخ يوسف الدجوى - عضو هيئة كبار العلماء - يستصرخ العلماء أن يهبوا لإسقاط الوزارة القائمة ، التى لم تحترم الدين الرسمى للدولة ، بل وتدافع عن الذين يطعنون فى الدين الإسلامى من أمثال طه حسين الذى أفسد العلم والدين والأدب والأخلاق ، واتهم الشيخ الدجوى رئيس الوزراء بالمحاباة للدكتور طه حسين ، وشارك الشيخ الدجوى فى هذه الحملة الكاتبان محمد حامد وخيرى سعيد فى صحيفة الفتح (٣) .

وظل موضوع الشعر الجاهلى مثارا فى الرأى العام المصرى ومطروحا فى الصحافة المصرية ، بين مؤيد ومعارض ، حتى طلب عبد العزيز بك الصوفانى مناقشته فى مجلس النواب مرة أخرى ، وقد تناولت المناقشة هذه المرة أمرين : أولهما : الإبطاء فى إعدام كتاب الشعر الجاهلى ، وثانيهما : وجوب إخراج الدكتور طه حسين من الجامعة وإبعاده عن التدريس ، غير أن هناك بعض الأعضاء دافعوا عن طه حسين وانتصروا له ، من أبرزهم العضو عباس العقاد وزكريا مهنا ، ولكن انبرى للرد عليهما الشيخ حسن البنا ، وكتب فى صحيفة الفتح مقالا بعنوان : « إلى حضرات النواب المحترمين » وبخاصة الأستاذين عباس العقاد وزكريا مهنا ، و فى هذا المقال طالب الشيخ البنا بإقصاء طه حسين من الجامعة وإعدام كتابه المذكور ، وأشار إلى أن الإبطاء فى إعدام هذا الكتاب يمس كرامة المجلس وينال من حرمة قراراته ، ويعطل حكم القضاء ، مؤكداً أن إقصاء طه حسين عن التدريس فى الجامعة أمر محتم يقتضيه واجب الوزارة للمحافظة على عقائد الطلبة وأخلاقهم ، كذلك حفل هذا المقال بنقد وهجوم شديد على طه حسين ، واتهامه بأنه لا يحسن الشعر ولا النقد ولا التدريس ، وليست له مواهب أستاذ الجامعة ولا طريقة ولا منهج فى التدريس (٤) .

وتجدر الإشارة هنا إلى أنه مع ذلك كله أفلت طه حسين من عقوبة النيابة ، ومن

(١) المنار ، ج ٥ ، م ٢٨ ، ذو الحجة ١٣٤٥هـ ، يونيه ١٩٢٧م .

(٢) المنار ، ج ٢ ، م ٢٨ ، رمضان ١٣٤٥هـ ، مارس ١٩٢٧م .

(٣) الفتح ، عدد ٩ ، ٣ صفر ١٣٤٥هـ ، ١٢ أغسطس ١٩٢٦م ، مقال بعنوان : « إلى حضرات العلماء نظرة فى الموقف الحاضر » ، ومقال آخر بعنوان : « الإسلام وأنصار طه حسين لابن العميد » ، ومقال آخر بعنوان : « عز الإسلام وغيره أهله عليه الآن وقبل الآن » لمحمد حامد .

(٤) الفتح ، عدد ٢٠٢ ، ٨ محرم ١٣٤٩هـ .

فصله من وظيفته ، وثارت ثائرة علماء الدين والأزهر ، وكتب الشيخ يوسف الدجوى مقالا ملتها بعنوان : « إذا لم تحترموا الدين فاحترموا القانون والدستور » ، وجهه إلى أعضاء البرلمان ، ووزير المعارف ، ورئيس الوزراء ، ومدير الجامعة ، ورئيس نيابة مصر ، واحتج فيه على إفلات طه حسين من العقوبة (١) ، كذلك أعلن علماء معهد الزقاريق استنكارهم وأسفهم على إفلات طه حسين من العقاب (٢) .

ولكن هذه الجهود لم تذهب سدى فقد أسفرت معركة الشعر الجاهلى عن شراء الجامعة المصرية لكتاب طه حسين كيلا تتداوله الأيدي (٣) ، وغير طه حسين عنوان كتابه من « الشعر الجاهلى » إلى « فى الأدب الجاهلى » ، واضطر طه حسين إلى إسقاط فصلين منه ، وعدل من بعض آرائه ، ولا سيما ما أثار الخلاف بينه وبين علماء الدين ، كذلك خلفت هذه المعركة من الناحية العلمية سبعة كتب فى الرد على الكتاب ونقد ما جاء فيه وهى : « المعركة بين القديم والجديد » أو « تحت راية القرآن » لمصطفى صادق الرافعى ، و « نقد كتاب الشعر الجاهلى » لمحمد فريد وجدى ، « ونقض كتاب فى الشعر الجاهلى » للشيخ محمد الخضر حسين ، و « النقد التحليلى لكتاب فى الأدب الجاهلى » لمحمد أحمد الغمراوى ، و « الشهاب الراصد » لمحمد لطفى جمعة ، و « محاضرات فى بيان الأخطاء العلمية التاريخية التى اشتمل عليها كتاب فى الشعر الجاهلى » للشيخ محمد الخضرى المدرس بالجامعة المصرية ، و « نقض مطاعن فى القرآن الكريم » للشيخ محمد أحمد عرفة (٤) .

ورغم ذلك لا يمكن فى رأى الباحث إغفال دور الدكتور طه حسين فى أنه فتح الأعين على أسلوب جديد للبحث كان غير معروف بهذه الصورة فى الأوساط العلمية وقتذاك ، وأنه قد حرك عقول العلماء نحو النظر إلى التاريخ الإسلامى نظرة علمية متجردة من العواطف الدينية ، وإن كان أساء لبعض الأمور الدينية المسلم بها ، وشكك فى قصص القرآن الكريم ، وكان هناك العديد من مجالات المعرفة لتطبق مثل هذا المنهج ، وفى الكتاب مبحث بعنوان : « الحياة الجاهلية ينبغى أن تلتمس فى القرآن لا فى الشعر الجاهلى » ، وهو من أنفع فصول الكتاب .

وبالإضافة إلى تصدى الصحافة الإسلامىة للمؤلفات التى تحارب الدين الإسلامى وتنهج فى أساليبها نهجاً علمانياً خالصاً ، تصدت أيضاً للنزعات والممارسات والمعطيات

(١) الفتح ، عدد ٤٥ ، غرة ذى القعدة ١٣٤٥هـ ، ١٣ مايو ١٩٢٧م .

(٢) الفتح ، عدد ٤٦ ، ٧ ذو القعدة ١٣٤٥هـ ، ١٩ مايو ١٩٢٧م .

(٣) السياسة ، ٧ يوليو ١٩٢٦م .

(٤) محمد محمد حسين : الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر ، مرجع سابق ، ص ٢٨٧ ، ٢٨٨ .

العلمانية التي تثيرها بين آن وآخر بعض الصحف المصرية التي يسيطر عليها ويوجهها دعاة التغريب ، وذلك كالدعوة إلى أن تكون الحكومة المصرية حكومة لادينية « علمانية كالحكومة التركية ، والدعوة إلى فصل الدين عن أمور المجتمع ، واستبدال القوانين الغريبة بالقوانين الإسلامية المستمدة من الشريعة الإسلامية في كل نواحي الحياة .

وقد لقيت هذه الدعوات معارضة شديدة من قادة الرأي الإسلامى فى الصحافة المصرية القائلين بأن الدين الإسلامى لا يقتصر على العبادات وحدها كما هو الشأن بالقياس إلى الديانات الأخرى ، بل إنه يتعدى ذلك إلى الاهتمام بتنظيم شؤون الجماعة الإسلامية سياسيا واجتماعيا واقتصاديا ، فالدين من وجهة نظر قادة الرأي الإسلامى هو الشريعة بنفسها بأحكامها المتعلقة بالعقيدة والعبادات والمعاملات المدنية والسلوك الخلقى ، استمدادا من الأصول القطعية المعلومة من الدين بالضرورة ، والشريعة هى ما يطالب المسلم باتباعه فى حياته الخاصة ، وفى سعيه وتصرفاته داخل الجماعة (١) .

ويلاحظ أنه فى تلك الفترة - التى نحن بصدد دراستها - تعرض الدين الإسلامى فى مصر لهجمات منكرة وشرسة فى عقائده وفى آدابه وأخلاقه وشريعته ، ذلك أن مصر فى ذلك الوقت كانت على مفترق الطرق : إما أن تحتفظ بصبغتها الإسلامية فى عقائدها وآدابها وأخلاقها وشريعته منذ أن دخلها الإسلام ، وإما أن تنقلب إلى دولة لا دينية « علمانية » على مثال الجمهورية التركية التى انقلبت إلى دولة علمانية ، وألغت المحاكم الشرعية ، وأبطلت نظام الوقف الإسلامى ، وحرمت تعدد الزوجات ، وساوت بين الجنسين فى الميراث ، واتخذت القانون السويسرى بدلا من الشريعة الإسلامية .

يقول الشيخ محمد شاکر وكيل الجامع الأزهر : إن دعاة العلمانية فى مصر قد تأثروا بتركيا ، وعلى سبيل المثال يدعو بعض أساتذة الجامعة المصرية إلى إلغاء الدين ويزعم «أن الدين فى نظر العلم الحديث ظاهرة كغيره من الظواهر الاجتماعية لم ينزل من السماء ولم يهبط به وحى ، وإنما خرج من الأرض كما خرجت الجماعة نفسها » (٢) ، وقنصل مصر فى الجمهورية التركية فى أحد تقاريره لوزارة الخارجية المصرية يقول : « وكما قامت حركة فعلية فى القطر المصرى تدعو إلى مجازاة الأتراك فى استبدال الطربوش بالقبعة ، فكذلك توجد حركة فكرية ترمى إلى السعى إلى مجاراتهم فى مسألة الأحوال الشخصية تفاديا من بعض الأحكام المعمول بها فى بعض مسائل الأحوال الشخصية ، ورغبة فى توحيد التقنين لكل المصريين على اختلاف دياناتهم ، فيكون لهم قانون مدنى واحد يشتمل على الأحوال الشخصية وغيرها » (٣) .

(١) محمد العربى الخطايبى : « الدين والدولة » الشرق الأوسط ١٩٨٧/٩/٢٠ م .

(٢) الفتح عدد ٧٨ ، ١٢ رجب ١٣٤٦ هـ ، ٥ يناير ١٩٢٨ م .

(٣) المصدر السابق نفسه .

ويؤكد وكيل الجامع الأزهر أنه توجد مؤامرة على الشريعة الإسلامية لحمل البرلمان المصرى على قلب نظام الحكم فى البلاد إلى نظام لادينى ، فبعض النواب يقترحون على المجلس النيابى إلغاء الوقف الأهلى بحجة أنه ليس من الدين ، ومشروع قانون بين يدى اللجنة التشريعية يتضمن تحريم تعدد الزوجات إلا بإذن القاضى ، كما يتضمن مسائل أخرى فى الحضانة والنفقة والطلاق ، وتلبية بعض مطالب جمعية الاتحاد النسوى التى تطالب أيضاً بالتسوية بين البنين والبنات فى الميراث ، وتزعم ذلك أحد النواب فى البرلمان المصرى (١) .

وتوضح كل هذه الممارسات العلمانية أن أنصار التيار العلمانى كانوا يهدفون إلى تحويل مصر إلى دولة علمانية ، وإلغاء القوانين الإسلامية فى مسائل الأحوال الشخصية ، وفصل الدين عن الدولة تشيها بالأوروبيين ، ومن قاوموا الكنيسة فى أوروبا ، وحاربوا رجال الدين هناك ، مستطيين المفاهيم الأوروبية على الدين الإسلامى ، فى حين أن الأسباب التى حملت بعض كتاب أوروبا وجمعياتها السياسية على محاربة الكنيسة ورجالها ، والطعن فى النصرانية نفسها وفصل الدين عن الدولة ، كل هذه الأسباب لا تنطبق على الإسلام ولا يوجد لها مثيل فى تاريخه ؛ لأن الإسلام لم يقف حجر عثرة فى وجه العلوم العقلية والكونية ، ولا حجر على العلماء كما فعلت الكنيسة ورجال الدين فى أوروبا ، بل إن الدين الإسلامى أرشد البشر إلى استخدام العقل والتفكير فى سنن الكون ومظاهر الطبيعة ، وأوجب التقدم العلمى والصناعات المدنية النافعة ، وأخرج البشر من رق رؤساء الدين والدنيا إلى فضاء الحرية الواسع ، ورجال الدين أو علماؤه فى مصر لم يثبت اتهامهم بالعصية الدينية ولا بمقاومة الحرية العلمية ولا العملية (٢) .

وكان فى مقدمة الصحف المصرية التى حملت لواء الدعوة إلى العلمانية فى مصر ونشر الأفكار اللادينية جريدة الضياء القبطية والسياسة اليومية والأسبوعية والمقطم والعصور والرابطة الشرقية والمجلة الجديدة ومجلة المعرفة . ويشير محب الدين الخطيب أن الصحف النصرانية التى تصدر فى مصر ، ولا سيما جريدة الضياء لصاحبها يوسف حنا تروج للدعوة إلى العلمانية والسياسة اللادينية فى مصر وبلاد المسلمين ، فى حين تعارض البلاشفة الذين يعملون على هدم الدين المسيحى هناك ، وقد وجه محب الدين خطاباً مفتوحاً إلى مسيحيى مصر يقول فيه : « إن كنتم كما نراكم أعداء للبلاشفة منكرين عليها هدم الدين المسيحى فلماذا تعجبون بأعمال مصطفى كمال أتاتورك وتسمونه مجدداً ،

(١) المصدر السابق نفسه .

(٢) المنار ، ج ٥ ، م ٢٤ ، رمضان ١٣٤١هـ ، مايو ١٩٢٣م ، وأيضاً فاتحة المجلد التاسع عشر ١٣٣٤هـ - ١٩١٦ .

وتسمون أعداءه من الأتراك المسلمين المتدينين رجعيين ؟ (١) . ويرد الخطيب على مجلة المعرفة أيضاً التي كتبت في الجزء الثالث لها تزعم أنه من جملة المسببات لتأخر المسلمين عدم التفريق بين السلطتين الدينية والدنيوية وكون الإسلام دين حكم كما أنه دين عقيدة وعبادة، وأن اجتماع السلطتين في الإسلام كان سبباً في انقسام المسلمين إلى شيعة وأحزاب.

وقد فند الخطيب هذه المزاعم مؤكداً على أن الإسلام دين عقيدة وعبادة وحكم في حياة صاحب الشريعة نفسه ، وفي زمن الخلفاء الراشدين الذين تعلمنا منهم أصول الشريعة الإسلامية ، ووضح الخطيب أن الجمع بين السلطتين في الإسلام لم يخل بنظام المسلمين العام كما ادعت مجلة المعرفة ، ولا كان سبباً في زوال الوحدة بينهم ، ويستحيل أن يكون بين الكنيسة الإنجيلية والأرثوذكسية والكاثوليكية رابطة مثل ما بين الفرق الإسلامية من روابط ، وأن شريعة الجمع بين السلطتين لم تفرق بينهم بمقدار ما بين الكاثوليك والبروتستانت والأرثوذكس التابعين جميعاً لشريعة التفريق بين السلطتين (٢) .

وهكذا كانت صحافة الاتجاه الإسلامي تتبع أقوال الصحف العلمانية المغرضة بالنقد والتفنيد ، وحينما كتبت السياسة الأسبوعية في عددها الصادر في ٢٥ سبتمبر ١٩٢٦م مقالا بعنوان : « الإنسان الأول وأطواره في الحياة » جاء فيه أن الديانات من وضع الإنسان ، وأنها لم تنزل من السماء ، وإنما أنشأها الإنسان ليؤدي واجبا للقوة الخفية التي يخشى بطشها ، ويخاف منها لضعفه ، ومن ثم عبد الكواكب والشمس وغيرها .

وقد انبرى للرد على هذه الدعوى الشيخ عبد الباقي سرور ، وذكر أن أصحابها ليس لديهم دليل ولا برهان على إقامة دعواهم ؛ لأنهم لم يستطيعوا أن يقولوا : إن هذه الدعوى مما تثبتته التجربة أو يؤيده الاختيار وذلك « لأن التجربة في ذلك الوقت كانت غير مفهومة للبشر ولا مستطاعة ؛ لانقطاع سلسلة النقل وانطماس آثاره » فمن أين جاءهم القول بأن الديانات من وضع البشر . . والبشر لم يتوارد النقل عنه بذلك ، والتجارب لم تيسر والاختبارات لم تنهأ ، إذا فالقول بأن الديانات من وضع البشر كذب على العلم واقتراء على التاريخ » (٣) .

ومضت الصحف الإسلامية تحارب كل معطيات الصحافة العلمانية التي تقلل من

(١) الفتح ، عدد ٢٤٨ ، ٥ ذو الحجة ١٣٤٩هـ .

(٢) الفتح ، عدد ٢٦٠ ، ٨ ربيع الأول ١٣٥٠هـ ، كذلك كتب الشيخ محمد الخضر حسين في مجلة نور الإسلام بعنوان : « ضلالة فصل الدين عن السياسة » ليرد على مزاعم مجلة المعرفة ، عدد ٥ ، م ٢ ، ١٣٥٠هـ ، وطالب الشيخ الخضر أهل العلم أن يرقبوا حركة هؤلاء النافرين على الدين ويكونوا على بصيرة مما يكتبون في صحفهم أو يحاضرون في نواديهم وينهون على خطره . نور الإسلام ، ٢ صفر ١٣٤٩هـ .

(٣) الفتح ، عدد ١٦ ، ٢٣ ربيع الأول ١٣٤٥هـ ، ٣٠ سبتمبر ١٩٢٦م .

شأن الدين ، وتشجع الذين يهاجمونه بدعوى حرية الفكر ، أو الدعوة إلى العقلانية التي روجت لها تلك الصحف ، والتي تعنى أن الإنسان حر فى أفكاره ، وما تؤدى إليه حريته ، دون التقييد بشيء ، ومتى وصل الإنسان إلى نتيجة أية نتيجة فهى صحيحة وإن كانت تتصادم مع أحكام الشريعة الإسلامية وأصول الدين الإسلامى .

وقد ناقشت الصحف الإسلامية الدعوة إلى العقلانية ، وفندت مقولة أدعيائها ، وبينت أن أنظار العقول ونتائجها محددة ، وأن العقل وحده دون إرشاد الشرع لا يمكنه أبداً الوصول إلى السعادة لا فى الدنيا ولا فى الآخرة . . ومتى قال الشرع كلمته فلا يجوز للعقل أن يقول غير هذا ؛ لأنه لو صح الاعتماد على العقل « لكان إرسال الرسل عبثاً ، وكان إنزال الكتب عبثاً ، وكان إقامة الحكومة عبثاً ، وكان الوعد والوعيد عبثاً ، وكان الحق هو ما يقوم بمخيلة الإنسان فينفذه » (١) .

ومن أبرز الأدلة على تهافت الدعوة إلى العقلانية أن واضعى الشرائع الوضعية يبدلون جهدهم لتكون شرائعهم مصدر السعادة للإنسان ، ولكن سرعان ما يظهر لهم كل يوم خطأ فى تشريعهم لجهلهم بكثرة كثير من الأمور ، وبناء على ذلك يتضح ريف الدعوة إلى العقلانية ، وأنه لا غنى للعقل عن الدين ، وأن مجال العقل فيما لم يرد فيه نص واضح من كتاب الله وسنة رسوله ، فضلاً عن ذلك فالإسلام كما يقول الدكتور هيفو ماركس المسلم الألماني : لم يصادر العقل ، بل إنه يمتاز بمظهره العقلى ، وأنه من أعظم الأديان أخذ بأسباب العقل ، ونزولاً عند أحكامه ومراميه ولا يكلف معتنقيه بأن يؤمنوا إلا بما يقره العقل ، والإسلام على النقيض من الأديان الأخرى يرمى إلى السير جنباً إلى جنب مع تقدم العلوم والفكر البشرى (٢) ؛ ومن ثم فإنه يترك لمعتنقيه أكبر قسط من الحرية ، هذه الحرية التى يدعى دعاة العلمانية أن الدين الإسلامى يحول دونها ، فقد كتب حليم سفين فى المقطم مقالاً بعنوان : « الاعتداء على الدين وحرية الفكر فى القانون » مصرحاً بأن الدين الإسلامى يحول دون حرية الفكر ، وأنه لا جريمة قانوناً على من يطعن فى الدين ، وإذا كان لا جريمة فلا عقوبة ، ويقصد من ذلك الدفاع عن طه حسين ، والمطالبة بعدم عقوبته فى هجومه على الدين الإسلامى ، مشيراً إلى أن المادة ٣٩ التى تعاقب المعتدى على الأديان ليس لها مثيل فى القانون الفرنسى ، وأنها مطلقة فى القانون المصرى ، وهذا الإطلاق فى رعمه خطر على حرية الفكر ، وإغلاق الأذهان ، ورجوعاً إلى عهد القرون المظلمة (٣) .

وقد رد على هذه المزاعم الشيخ عبد الباقي سرور ساخرًا من كاتب المقطم الذى

(١) الفتح ، عدد ١٠ ، ١٠ صفر ١٣٤٥ هـ ، ١٩ أغسطس ١٩٢٦ م .

(٢) الفتح ، عدد ١١ ، ١٨ صفر ١٣٤٥ هـ ، ٢٦ أغسطس ١٩٢٦ م .

(٣) المقطم ، ٢١ سبتمبر ١٩٢٦ م .

يحسب أن مصر جزءاً من فرنسا ، وأنه كان واجباً لأجل ذلك أن يكون قانون فرنسا هو قانون مصر ، ولم يفهم أننا - كمسلمين - نحترم ديننا ، وأن عواطف المسلمين غير عواطف الفرنسيين ، وليس مستبعداً أن تقوم فتنة إذا سب أحد الدين الإسلامي مهما كانت ديانتها ، واستنكر الشيخ عبد الباقي سرور على الكاتب دفاعه عن طه حسين ؛ لأنه محال أن يكون رجال البرلمان والحكومة لم يفهموا القانون ، حينما قرروا رفع الدعوة على طه حسين ومعاملته إدارياً لتعديه على الدين الإسلامي ، وإنكاره لأشياء وردت في القرآن الكريم ، معلومة من الدين بالضرورة (١) .

والمتبع لصحف الاتجاه الإسلامي في تلك الفترة يجدها حافلة بالمقالات الضافية التي تحارب دعوات الإلحاد والعلمانية ، وبيان خطرها على مستقبل الأمة في أخلاقها وعاداتها ومعاملاتها ، وتطالب بإقصاء العلمانيين من مناصبهم في الجامعة والمؤسسات التعليمية ومنابر الفكر وأجهزة التوجيه في الدولة المصرية ، وأجمعت الصحف الإسلامية على أن تعاليم الشريعة الإسلامية شاملة للدين والشريعة والأخلاق والقانون والاجتماع ، وأن محمداً ﷺ جاء بأنظمة اجتماعية عملية طبقت فوجدت صالحة لتحقيق السعادة والهناء للمجتمع ، ونشأ عن تطبيقها ظهور أمة حية سعيدة ، ودولة قوية سادت الدنيا ، وأوجدت مجتمعاً فاضلاً سليماً من الفحشاء والرذيلة (٢) ، وظلت المعركة بين الصحف الإسلامية والصحف العلمانية مستمرة طويلة مرحلة ما بين الحربين العالميتين .

وكانت الصحف الإسلامية تتصدى لكل ما تكتبه الصحافة العلمانية من هجوم على الشريعة الإسلامية ، ومن أبرز الأمثلة على ذلك مهاجمة صحيفة الفتح لصحيفة السياسة التي انتقدت الملك ابن سعود لتطبيقه الشريعة الإسلامية في الجزيرة العربية ، وأشادت بمصطفى كمال أتاتورك لإلغائه الشريعة الإسلامية ، وإعلانه علمنة الدولة التركية ، ووصفته بأنه مجدد القرن العشرين ، في حين وصفت الملك ابن سعود بالرجعية والتخلف (٣) .

وحينما كتب إسماعيل مظهر في السياسة الأسبوعية يقول : « إن رجال العلم سيحاولون في المستقبل إخفات صوت الدين » انبرى للرد عليه أمين الرافعي في صحيفة الأخبار وأحمد الخضر منسى في صحيفة الفتح ، يشيران إلى أن ما ادعاه إسماعيل مظهر فيه جرأة غير مدعومة بمعلومات صحيحة ، فمن أين جاءه هذا النبأ ، والأبحاث والتجارب العلمية قلما تخرج عن دائرة هذه الأبحاث ومعظمها لا علاقة لها بالدين مطلقاً ؟ (٤) ،

-
- (١) الفتح ، عدد ١٦ ، ٢٣ ربيع الأول ١٣٤٥هـ ، ٣٠ سبتمبر ١٩٢٦م .
 (٢) الفتح ، عدد ٢٩ ، ٢٥ جمادى الآخرة ١٣٤٥هـ ، ٣٠ ديسمبر ١٩٢٦م .
 (٣) الفتح ، عدد ٧١ ، ٢٣ جمادى الأولى ١٣٤٦هـ ، ١٧ نوفمبر ١٩٢٧م .
 (٤) الفتح ، عدد ٥٧ ، ١٤ صفر ١٣٤٦هـ ، ١١ أغسطس ١٩٢٧م .

ومن أبرز المقالات التي هاجمت الدين الإسلامى ، وأعلنت الثورة عليه للتحرر من سلطة الدين فى كل شؤون الحياة مقال كتبه الدكتور محمد حسين هيكل فى السياسة الأسبوعية أيضاً بعنوان : « فى سبيل حياة جديدة - المعرفة أساس إيماني فى المستقبل » صرح فيه : أنه : « ليس محالاً أن ترتبط صيحتنا ارتباطاً وثيقاً أو غير وثيق بصيحات أوغست كنت وفولتير وروسو وغيرهم ، ممن أرادوا أن يجعلوا العقل والعلم وحدهما المدبرين لحياة الأفراد والجماعات والمنظمين لكل شئ » .

وقد أحدث هذا التصريح رد فعل من جانب الصحافة الإسلامية ولا سيما صحيفتى الأخبار والفتح ، وكتب محب الدين الخطيب يشير إلى أن ما أورده الدكتور هيكل مجرد تشكك ، ونفى صحة ما قاله ، مستدلاً بقول السير أوليفر لودج : « مهما عظمت معارفنا واتسع نطاقها ، فسيكون هناك على الدوام مجال فسيح للأديان » (١) .

وهذا لا شك يناقض على خط مستقيم ما يريد أن يذهب إليه الدكتور هيكل فى أن العلم والعقل سيكونان أساس الإيمان فى المستقبل ، كذلك تصدى الشيخ عبد الباقي سرور نعيم لمجلة العصور التى نشرت فى أعداد متوالية كتاباً بعنوان « مصطفى كمال » لمؤلفه قابيل آدم ، الذى دعا فيه إلى الفصل بين الدين والدولة ، وروج للأفكار والممارسات العلمانية ، مدعياً « أن العقلية الأوربية هى العقلية التى تتسق وحاجات هذه الحياة الدنيا ، ونحن إنما نتبع ما توحى به إلينا هذه العقلية بحكم أننا موجودون فى هذه الحياة ، أما العقلية الآسيوية فهى العقلية التى تلائم الحياة الأخرى ، فإذا انتقلنا إلى الحياة الآخرة فهنا لك نتبع ما توحى به هذه العقلية » .

وتتبع الشيخ سرور هذا الكتاب والأفكار التى وردت فيه بالنقد والتعليق ، وأوضح أن المؤلف لم يدرس الديانة الإسلامية دراسة وافية ، بل قرأ تاريخ النزاع بين الحكومة والكنيسة ، وطبقه تطبيقاً عاماً على الديانة الإسلامية ، وأشار إلى أن العقلية الأوربية لا تتسق وحاجات هذه الحياة الدنيا - كما ادعى الكاتب - إلا إذا أريد بالحياة الدنيا حياة الملذات والملاهى ؛ لأن العقلية الأوربية اهتمت بالحياة المادية ولكنها أهملت شأن الروح وتحقيق السعادة لبنى البشر ، أما العقلية الآسيوية المستفادة من الوحي قد أنتجت سعادة وهناءة للإمبراطورية الإسلامية أيام شبابها وعزها ، فضلاً عن الصناعات والآداب والعلوم التى أنتجت العقلية الآسيوية ، وبخاصة العقلية الإسلامية التى كانت تتلقى تعاليمها من القرآن الكريم (٢) .

ولما كتب الدكتور طه حسين فى مجلة الحديث التى تصدر فى حلب « سوريا » منادياً

(١) الفتح ، عدد ٥٧ ، ١٤ صفر ١٣٤٦هـ ، ١١ أغسطس ١٩٢٧م .

(٢) الفتح ، عدد ٧٣ ، ٧ جمادى الآخرة ١٣٤٦هـ ، أول ديسمبر ١٩٢٧م .

بإلغاء النص الموجود فى الدستور المصرى من أن الدين الرسمى لمصر هو الإسلام ، بدعى أنه مصدر تفرقة بين المسلمين وغيرهم - انبرى للرد عليه الدكتور عبد الرحمن شهنبر ، متهما إياه بالإلحاد والرجعية لإنكاره نصا جوهريا من الدستور المصرى ، ونفيه عن مصر صبغة الإسلام والمناذاة بعلمنة الدولة (١) ، غير أنه قد انتصر للدكتور طه حسين وأقرانه الشاعر العراقى معروف الرصافى ، وأرسل للسياسة الأسبوعية قصيدة هاجم فيها الدين وسخر من علمائه ، وأيد دعاة العلمانية فقد قال فى مطلع هذه القصيدة :

وتكره نفسى أن أكون مخادعا لأدرك نفعا أو لأرفع ضائرا
ومن أجل مقتى للمخانيث أنكرت يدى أن تحلى فى الجنان أساورا (٢)

ويلاحظ أن الشاعر اتهم فى البيت الأول أنصار الفكر الإسلامى بالخداع وعدم الإخلاص فى دعوتهم ، وعاب الدين الإسلامى ، وفى البيت الثانى صرح أنه لا يريد أن يدخل الجنة ؛ لأنه الله - عز وجل - يقول فى وصف أهلها : ﴿ يَحْلَوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ ﴾ [الكهف : ٣١] ، وعنده أن هذا من شأن المخانيث ، ومن أجل مقتى لهم فيما رعم أنكرت يده أن تحلى فى الجنان أساورا ، وفى هذا استخفاف واضح بالعقيدة الإسلامية وبالمسلمين وتعاليم شريعتهم ، وعلى صعيد آخر يدل على ما كان يتمتع به التيار العلمانى فى مصر من شهرة وذبوع فى البلاد العربية وتأثر الأوساط الفكرية فى هذه البلاد بالفكر المصرى ، إضافة إلى ذلك انبرى للرد على الرصافى أمين الرافعى ومجموعة من الشعراء المسلمين ، كان من أبرزهم محمد حسن النجمى ، ومحمد إسماعيل عبد الله الذى كتب فى الفتح قصيدة شعرية بعنوان : « غيور » قال فيها :

ألا هل غيور فيه للحق غضبة يذود عن الدين العداوة ويرأب
نعالج أسباب الحياة وديننا يكيد له حزب المروق ويشعب (٣)

ولمّا هاجم الصحافة العلمانية على الدين الإسلامى وترويجها لنظريات الإلحاد والأفكار العلمانية التى تنكر الغيب وتحارب الدين الإسلامى وعلماءه فى مصر ، كتب الشيخ محمد السيد الطويل - من الأزهر - يناشد الجمعيات الإسلامية والصحف الإسلامية والأزهر أن يتصدوا لمحاربة الإلحاد ، ويقاوموا تلك الغزوات والنظريات الإلحادية المدمرة لعقول المصريين والمسلمين وأن يبصروا الناس بأحكام الدين (٤) ، واقترح ابن الفيحاء -

(١ ، ٢) الفتح ، عدد ٤٥ ، غرة ذى القعدة ١٣٤٥هـ ، ١٣ مايو ١٩٢٧م .

(٣) الفتح ، عدد ٣٢ ، ١٦ رجب ١٣٤٥هـ ، ٢٠ يناير ١٩٢٧م .

(٤) الفتح ، عدد ٤٠ ، ٣ رمضان ١٣٤٥هـ ، ١٧ مارس ١٩٢٧م ، وعدد ٥١ ، ٥٢ ، ٨ محرم ١٣٤٦هـ ، ٧ يوليو ١٩٢٧م .

- أحد كتاب الصحافة الإسلامية - أنه لمحاربة هذه النظريات يجب اتباع الآتى :
- ١- تأليف لجنة من خيرة العلماء لوضع كتب عصرية فى الدين الإسلامى وتاريخه وآدابه .
 - ٢ - أن تؤلف كتب التوحيد والكلام الجديدة على أساس دفع شبهات المذاهب الفلسفية الجديدة .
 - ٣ - تأسيس مدارس إسلامية على نظام المدارس العصرية .
 - ٤ - السعى فى أن يكون معلمو هذه المدارس من ذوى الدين والعلم (١) .
- ونادى مرسى على محمد - المحامى الشرعى - بوجوب تأليف حزب دينى لمواجهة الإلحاد والأفكار العلمانية فى مصر ، يتألف هذا الحزب من العلماء والقضاة والمحامين الشرعيين ، وعقلاء الأمة من التجار والمزارعين حفظا للدين الإسلامى الحنيف ، وصونا للأعراض والأخلاق والآداب من مهاجمة الفساد والمنكرات ، وكانت مبادئ هذا الحزب الدينى المقترح تقوم على ما يلى :
- ١ - الاستقلال التام لمصر والسودان .
 - ٢ - السعى لمنع المسكرات .
 - ٣ - السعى لمنع البغاء الرسمى والسرى .
 - ٤ - السعى لدى ولاية الأمور لمصادرة كتب الإلحاد التى تسلب الوازع الدينى الوجدانى من قلوب النشء .
 - ٥ - مصادرة الروايات والمجلات والنشرات التى تطبع فيها صور وألفاظ تخل بالآداب وتفسد الأخلاق .
 - ٦ - وضع حد للملابس النساء المنافية للحشمة وعدم الخروج عن حد الآداب .
 - ٧ - البحث فى حالة العلماء والدفاع عن حقوقهم وحفظ امتيازاتهم وكراماتهم .
 - ٨ - تأليف لجان من كبار العلماء لتأليف كتب إسلامية مفيدة ومجلات إسلامية علمية بأسلوب يناسب ذوق العصر الحاضر .
 - ٩ - تأليف لجنة من العلماء لرد هجمات المبشرين الأمريكين .
 - ١٠ - الدعوة لعقد مؤتمر إسلامى موسع للنظر فى التطور الحاضر (٢) .

(١) الفتح ، عدد ١٣ ، ٢٩ ربيع الأول ١٣٤٧هـ ، ١٣ سبتمبر ١٩٢٨ م .

(٢) الفتح ، عدد ٢٩ ، جمادى الآخرة ١٣٤٥هـ ، ٣٠ ديسمبر ١٩٢٦ م .

ورغم أن هذا الحزب الإسلامى لم يكتب له الظهور ، إلا أن صحته لم تذهب أدراج الرياح ، فقد ظهر أثرها فيما تشكل من جمعيات إسلامية ، وبروز صحف إسلامية تحمل مبادئ هذا الحزب وتدافع عن الفكر الإسلامى ، وتتصدى لهذه الموجة العلمانية الإلحادية التى راجت وانتشرت فى حقبتى العشرينات والثلاثينات من هذا القرن بتأثير من الدول الأوروبية الاستعمارية وعملائها، تلك الدول التى تحارب الدين الإسلامى ، وتروج للأفكار الإلحادية فى مصر ، وفى بلاد الإسلام ، وقد أشار إلى ذلك المفكر الإسلامى الشهير شكيب أرسلان ، حيث صرح أن هذه الدول الأوروبية تختلف فى كل شيء إلا فى العداوة لهذا الدين ، ويبرهن على ذلك بتضافر فرنسا وأسبانيا على هزيمة محمد بن عبد الكريم فى حرب الريف فى بلاد المغرب ، وفى تنصير فرنسا للبربر أيضا ، ويفسر ذلك على أنه انتصار للدين المسيحى، يقول شكيب أرسلان : « إن ملاحدة العالم الإسلامى يكذبون ويضللون حينما يقولون : إن الدول الأوروبية قد نبذت الدين المسيحى، وأنها قد فصلت الدين عن السياسة » (١) .

ويؤكد هذا القول حسن البنا فى صحيفة الإخوان المسلمين قائلا : « إن قادة أوروبا ولاسيما المعاصرين منهم لا يحاربون الأديان والعقائد ، بل يؤيدونها ويشبونها فى نفوس الأمة، ويبدو ذلك منهم قولاً وفعلاً ، وأن الحكومات الأوروبية تعتنى بالتعليم الدينى بجعل المذاهب الغالبية إجبارية ، ومذاهب الأقلية اختيارية » (٢) .

ويصرح محب الدين الخطيب أيضا بأن الدول النصرانية الأوروبية لم تقطع علاقتها الحكومية بالدين كما يريد القوم فى تركيا وأفغان أن يعملوا ، وكما يريد على أفندى عبد الرازق محرر مجلة الرابطة الشرقية أن يعمل أيضا هو وزملاؤه فى مصر ، فأعرق دولة فى النصرانية وهى فرنسا - على سبيل المثال - تساعد المنظمات التبشيرية وتعتمد لها فى ميزانيتها الكثير من الأموال (٣) .

وكل هذا يجعلنا لا نشك فى أن السبب فى هذه الموجة الإلحادية السائدة فى تلك الفترة فى مصر ، هو الرغبة فى القضاء على الدين الإسلامى ، وليس الموقف من الديانات ككل ، ومن ثم كان هجوم الصحافة الإسلامية على العلمانيين المصريين الذين أعلنوا الحرب على الإسلام وروجوا للإلحاد فى مصر .

ويمكن القول - فى ضوء ما سبق عرضه - أنه قد تسرب الفكر العلمانى إلى الحياة

(١) الفتح ، عدد ٢٣٦ ، ١٠ رمضان ١٣٤٩هـ .

(٢) الإخوان المسلمون عدد ١٢ ، ١٠ جمادى الأولى ١٣٥٢هـ ، مقال بعنوان : «ومع هذا يقولون أوروبا لا دينية» .

(٣) الفتح ، عدد ١٢٢ ، ٨ جمادى الأولى ١٣٥٢هـ ، ٢٠ نوفمبر ١٩٢٨م .

المصرية والفكر المصري من خلال الاحتكاك بأوروبا والمدارس الأجنبية والبعثات التعليمية والاستعانة بالخبراء والفنيين الأوروبيين في تحديث الحياة المصرية، فضلا عن الصحف التي أصدرها النصارى الشوام في مصر، والنشاط الاستشراقي تحت رعاية الدول الاستعمارية وتشجيعها.

وقد راجت الأفكار العلمانية في مصر في فترة هذه الدراسة، وظهرت مؤلفات وصحف تتهج نهجا علمانيا خالصا، وتشكل تيار علماني قوى في الفكر المصري الحديث والصحافة المصرية، اصطدم هذا التيار بعلماء الدين الإسلامي ومفكره، وبرزت الصحف الإسلامية لمواجهة، وتصدت للمؤلفات والصحف العلمانية التي تعمل على نشر الفكر العلماني وتروج للتزعات والممارسات العلمانية، وذلك كالدعوة إلى أن تكون الحكومة المصرية حكومة لا دينية كالحكومة التركية، والدعوة إلى فصل الدين عن الدولة والمجتمع واقتباس القوانين الغربية لتحل محل الشريعة الإسلامية، والهجوم على الدين الإسلامي في عقائده وأدابه وأخلاقه وشريعته، وطالبت الصحف الإسلامية بإبعاد العلمانيين عن المناصب المهمة في الجامعة والمؤسسات التعليمية ومنابر الفكر وأجهزة التوجيه في الدولة المصرية، وأجمعت على أن تعاليم الشريعة الإسلامية صالحة وشاملة لكل متطلبات الحياة وشؤونها، وكفيلة بتحقيق السعادة التي ينشدها المجتمع.

المبحث الرابع صحافة الاتجاه الإسلامى وتغريب التعليم

يعالج هذا المبحث دور صحافة الاتجاه الإسلامى فى مقاومة السياسة التعليمية المؤسسة على المناهج العلمانية ، والسياسات الغربية ، التى تستهدف النيل من الثقافة الإسلامية والعقيدة الإسلامية لدى الطلاب المصريين ، وكذلك يبرز دور هذه الصحافة فى محاربة انتشار المدارس الأجنبية وبيان خطورتها ، والاختلاط بين الجنسين فى دور التعليم ، والعمل على تدريس الدين فى المدارس العمومية ، ومحاولة إصلاح مناهج التعليم فى المدارس الحكومية والأزهر .

وكان التعليم من أبرز المجالات التى برز فيها تأثير الاحتلال البريطانى ، حيث أدى دورا مهما فى إهمال التعليم إدراكا منه لتأثير التعليم فى الوعى الدينى ، وإثارة المشاعر الوطنية لدى الطلاب ، لذلك يلاحظ أن الإصلاحات التى قام بها الاحتلال فى مجال التعليم لا تقارن بالإصلاحات فى مجال الزراعة والمواصلات (١) .

قام الاحتلال بإغلاق المدارس الحكومية ، وخفض حجم بعضها الآخر ، وجعل التعليم فى المدارس الأجنبية باللغة الإنجليزية بدلا من اللغة العربية ووجه التعليم وجهة علمانية ، وشكل المناهج التعليمية على نحو يوافق أغراض الاحتلال ، كما فرض مصروفات باهظة على دخول المدارس ، ليقطع طريق العلم على أولاد الفقراء من المصريين ، الأمر الذى حدا بقيادة الحركة الوطنية أن يلجؤوا إلى إنشاء المدارس الخاصة ، وقام مصطفى كامل بجمع التبرعات الخيرية لهذا الغرض ، وتزعم الدعوة لإقامة جامعة أهلية ، غير أنه وجد مقاومة من ناظر المعارف آنذاك سعد زغلول ، الذى أيد التوسع فى مشروع الكتاتيب ، الذى أيده الاحتلال البريطانى (٢) .

وبوجه عام شهدت سنوات الاحتلال تطورا بطيئا فى توفير الفرص التعليمية وتدعيم سياسة تخريج موظفين حكوميين ، وحتى عام ١٩١٤م كانت هناك ٦٨ مدرسة ثانوية حكومية ، فى الوقت الذى وصل فيه تعداد السكان إلى ٩ مليون نسمة ، ولم يكن هذا راجعا إلى عدم رغبة المصريين فى التعليم ، فهذه الرغبة تؤيدها الزيادة السريعة فى عدد المدارس الخاصة ، الذى وصل عام ١٩٢٤م إلى ٧٣٩ مدرسة تضم ٩٩ ألف طالب ،

(١) أنور الجندى : يقطعة الفكر العربى ، مرجع سابق ، ص ١٧٥ .

(٢) زكريا سليمان بيومى ، مرجع سابق ، ص ٣٦ .

ونحو ٣٢٨ من مدارس التبشير والطوائف الأخرى تضم ٤٨ ألف تلميذ (١) .

وفى ظل سياسة الاحتلال استمرت البعثات الدراسية فى أعداد موازية لما كان يرسل قبل الاحتلال مع تحول له مغزاه فى طبيعة الدراسة ، وفى السنوات السابقة على الاحتلال كان ٨٠٪ من طلبة البعثات يوفدون إلى فرنسا ، وكان ٩٨٪ منهم يدرسون العلوم التطبيقية ، أما فى ظل الاحتلال فكان ٧٥٪ من طلبة البعثات يدرسون فى إنجلترا ، وكان ٦٥٪ منهم يدرس الإنسانيات والعلوم الاجتماعية ، هذا التحول له دلالة فى توجيه الفكر المصرى إلى الاتجاه العلمانى (٢) .

وفى الوقت ذاته كان الاحتلال يعد مجموعة كبيرة من بين أبناء كبار الملاك المصريين ، من الذين تلقوا تعليمهم فى الغرب لتولى المناصب المهمة فى أجهزة الفكر والتوجيه المصرية ، وفى مقدمتها الجامعة ، كى يسهموا فى نشر هذه الأفكار الغربية المعادية فى معظمها للفكر الإسلامى ، وقد ظهر ذلك واضحاً حينما تولت الجامعة المصرية الدفاع عن فكرة القومية الفرعونية ، ونشر الأفكار العلمانية التى طرحت فى الساحة الفكرية المصرية (٣) .

ولا شك أن الاستعمار البريطانى كان له هدف فى علمنة المدارس وتغريب السياسة التعليمية المصرية ، حتى تميل عقول وعواطف الطلبة تجاه الاستعمار ، الأمر الذى يدعم نفوذه فى البلاد التى يحتلها ، وقد عبر اللورد لويد - عندما كان مندوباً سامياً لبريطانيا فى مصر - عن هذه الأهداف ، إذ قال فى خطبة له ألقاها فى كلية فيكتوريا بالأسكندرية فى عام ١٩٢٦م : « لقد وجد اللورد كرومر شركة وطيدة بين بريطانيا ومصر ، هذه الشركة مهما تغيرت أشكالها لازمة للشريكين ، وهذا يجعل استمرارها لامندوحة عنه ، فعلينا أن نقوى كل مالدينا من وسائل التفاهم المتبادل بين البريطانيين والمصريين ، وقد كان هذا التفاهم المتبادل غاية اللورد كرومر من تأسيس كلية فيكتوريا بوجه عام ، ومن تأسيسها فى الأسكندرية بوجه خاص ، وهى غاية أعتقد أن الكلية تحقّقها . . وليس من وسيلة لتوطيد هذه الرابطة أفضل من كلية تعلم الشبان من مختلف الأجناس المبادئ البريطانية العليا . . . » .

وبعد أن أشار إلى أن المدرسة تضم طلبة ينتمون إلى ثمانية أجناس ، قال : « كل هؤلاء لا يمشى عليهم وقت طويل حتى يتشبعوا بوجهة النظر البريطانية بفضل العشرة الوثيقة بين المعلمين والتلاميذ ، فيصرون قادرين أن يفهموا أساليبنا ويعطفوا عليها ، ومتى تسنى للجمهور أن يعرف هذه الكلية أكثر مما عرف عنها فى الماضى يتنبه

(١) ، ٢) حمدى حسن : تطور الفكر الدينى فى مصر ، ص ٨ ، بحث غير منشور .

(٣) زكريا سليمان بيومى : مرجع سابق .

الوالدون إلى أن تعليم أولادهم فيها ينمى فيهم من الشعور الإنجليزى ما يكون كافياً لجعلهم صلة للتفاهم بين الشرقى والغربى ، كما كانت الأسكندرية فى أيام عظمتها فى عهد البطالسة» (١) .

وهكذا يتضح أن الاستعمار عمل على تغريب التعليم فى مصر حتى تشبع الأجيال القادمة بوجه النظر الغربية وتتوطد العلاقة بينهما وبين الفكر الغربى ، وتكون مستأنسة ومطبعة لما يمليه عليها الغرب وأتباعه ، فضلاً عن ذلك شجع الإنجليز على ثنائية التعليم الأولى والإلزامى والأميرى والحر ، والعام والفنى ، والأجنبى ؛ لخلق الازدواجية الفكرية التى عملت على التفرقة بين المصريين وجعلتهم فى صراع مستمر ، ولقد عانت مصر ولا تزال تعاني من هذه الثنائيات (٢) ، وكما يقول الشيخ حسن البنا : « إن التعليم بكل أنواعه فى مصر مفكك الروابط ، متباعد الحلقات ، غير واضح فى غايته ، وإن ذلك التفكك والتباين فى مناهج التعليم قد أدى إلى تباعد ثقافى وروحى بين طبقات الأمة كلها ، الأمر الذى جعل التفاهم متعذراً ، وأوجد الشقاق بين الصفوف » ، واقترح حسن البنا توحيد المناهج ، فى المراحل الأولى فى كل أنواع التعليم والعناية بالتعليم الدينى ، والتاريخ الإسلامى ، والاهتمام بالجانب الخلقى والتهديبى للطلاب ، وإعادة النظر فى وضع المناهج ، واختيار المواد الملائمة (٣) .

وقد ظل الاستعمار يعمل لتغريب التعليم ، وخلق هذه الازدواجية بين طبقات الأمة والتفرقة بينها طوال فترة بقائه فى مصر ، فضلاً عن السيطرة الكاملة على مناهج وخطط التعليم والتوجيه بما يخدم الهدف الاستعمارى ، واستمر هذا النهج حتى بعد أن حصلت مصر على الدستور فى عام ١٩٢٣م ، وأصبح لها ذات مستقلة . وقد أشار محب الدين الخطيب فى صحيفة الفتح إلى أن برنامج التعليم فى مصر وضعه القس دانلوب (٤) وهو

(١) المقتطف ، عدد مايو ١٩٢٦م شوال ١٣٤٤هـ ، نقل عن د. محمد محمد حسين : الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر ، ج٢ ص ٢٧٣ .

(٢) د. سليمان نسيم ، صياغة التعليم المصرى الحديث ودور القوى السياسية والاجتماعية والفكرية ١٩٢٣ - ١٩٥٢م ، ص ٢٤ .

(٣) الشبان المسلمون ، ج٤ ، ١م شعبان ١٣٤٨هـ ، يناير ١٩٣٠م .

(٤) كان دانلوب مبشراً اسكتلندياً وقسيساً ، عين مفتشاً للتعليم ١٨٩٧م ثم أصبح مستشاراً للوزارة خلال سبعة عشر عاماً ، اختاره كرومر لهذا العمل ، فكان أقوى من الوزير المصرى ، عمل على تحقيق الهدف الذى رسمه كرومر فى تقاريره وهو تمزيق وحدة العروبة والإسلام ، والقضاء على طابع العروبة والإسلام فى التعليم والثقافة العربية ، وإزالة اعتقاد الشباب المسلمين فى كتاب الله ، ومحاربة شعور الطلبة وإحساسهم الدينى والوطنى ، وطعن روح الشباب وحماسه ، واضطهاد كل طالب يظهر ميلاً أو عاطفة نحو بلاده ، وكان يحرم على الطلبة وكل معلم أن يذكر عن مصر وتاريخها ومجدها شيئاً ، كما كان يحرم على الطلبة الصحف الوطنية ، وجعل اللغة الإنجليزية اللغة الأساسية فى التعليم ، بحيث لا يتاح للطلاب فرصة =

يهدف إلى تخريج موظفين في دواوين الحكومة ، وصفهم بأنهم « آلات ميكانيكية تديرها رؤوس إنجليزية ، وتسير بها في خطط . . . لا تؤدي إلى جعل مصر بلداً دولياً » (١) .

وذكر محمد علي الطاهر صاحب صحيفة الشورى أن سياسة الاحتلال البريطاني في وزارة المعارف استهدفت انتزاع الدين وروح الأدب العربي وتاريخ العرب ، وصلة مصر بالعرب ، والدين من برامج التعليم ، ثم أدخلت إلى هذه البرامج فكرة أن مصر فرعونية ، وأن أجداد المصريين هم فرعون وهامان ، ولا صلة لمصر بعدنان وقحطان وبالعرب (٢) .

وبناء على ذلك تصدت الصحف الإسلامية لاستمرار أوضاع التعليم في مصر كما رسمها الاحتلال ، وطالب كتابها بتحرير التعليم ومناهجه ، على أن يكون الدين الإسلامي مادة أساسية في مناهج التعليم ، وحذرت الصحافة الإسلامية ، من إرسال أولاد المسلمين إلى التعليم في أوروبا ، وبينت خطورة ذلك على كيان الإسلام والمسلمين . وكتب الأمير شكيب أرسلان تحت عنوان : « الأزمة الحقيقية الحاضرة في الإسلام هي أزمة التعليم » ، بين أهمية التعليم الديني الإسلامي في المدارس ، وخطر التوجه العلماني في التعليم ، وإرسال النشء المسلم للتعليم في أوروبا ، وقال أيضاً : « إن كل علل الضعف التي حلت بالإسلام أقل خطراً وأخف ضرراً من طريق التعليم اللاديني «العلماني» التي جرت عليها الحكومات الإسلامية والمسلمون في هذا العصر ، وهي الطريقة التي ستكون نتيجتها أشد ويلات على المسلمين من الاستعمار ومن الحروب الصليبية ، ومن الغارات الاقتصادية ومن كل مصيبة وداية » .

وأكد على أن النشء المسلم الذي يذهب إلى أوروبا لتلقى التعليم يرجع وفي نفسه احتقار وكره للإسلام والثقافة الإسلامية ، وذلك لما تعلمه في أوروبا من حب للحضارة الغربية وبغض للإسلام ، وأبرز أن الخطأ ليس خطأ أوروبا التي تعمل على بث تعاليمها ، والتي لم يوجد عندها معرفة بحقيقة الإسلام ، فالخطأ هو خطأ الحكومات الإسلامية ، التي كانت ترسل الناشئة للتعليم في فرنسا وإنجلترا وألمانيا وبلجيكا وسويسرا ، وتظن أنها ربت فيهم رجالاً للمستقبل ، مع أنهم في الحقيقة غير مجهزين بشيء من السلاح المعنوي الذي يمكنهم من الدفاع عن عقيدتهم لو تعرضت للهجوم (٣) .

= لدراسة اللغة العربية . انظر : أنور الجندي : مقدمات العلوم والمناهج ، مرجع سابق ، ص ٦٥٩ .
(١) الفتح ، عدد ٧١ ، ٢٣ جمادى الأولى ١٣٤٦ هـ ، ١٧ نوفمبر ١٩٢٧ م ، مقال بعنوان : « سياسة التعليم في مصر » .

(٢) أنور الجندي : يقظة الفكر العربي ، مرجع سابق ، ص ١٧٩ .

(٣) الفتح ، عدد ١٩٥ ، ١٨ ذو القعدة ١٣٤٨ هـ ، ١٧ أبريل ١٩٣٠ م .

وذهب شكيب أرسلان إلى وجهة نظر لها احترامها إلى اليوم ، وهى أن ما يجب أخذه واقتباسه من أوربا هو العلوم الطبيعية والميكانيكية والاقتصادية ، وفنون الزراعة والنجارة ، وفى الوقت ذاته دون أن ننسلخ من عقيدتنا وعاداتنا وأخلاقنا وأذواننا ومقوماتنا الاجتماعية ، وضرب لذلك مثلاً بدولة اليابان ، فقد سبق لها نفس التجربة ، وقد تلقى اليابانيون هذه العلوم وتلك الفنون ، دون أن يغيروا ما كانوا عليه من عادات وعقيدة وذوق وأدب وكتابة (١) .

ولكن يلاحظ أن الذين قادوا النهضة المصرية فى فترة ما بين الحربين هم الذين تعلموا فى أوربا وكان معظمهم يدرس العلوم الاجتماعية والأدبية ؛ ولهذا اتجهت البعثات الطلابية إلى دراسة هذه العلوم بتشجيع من الاحتلال ورواد التغريب والعلمانية فى مصر ، بعد أن كانت هذه البعثات فى عصر محمد على ترسل لدراسة العلوم التطبيقية (٢) ، وهذا أمر له دلالة خطيرة ودوره الهام فى عملية التغريب التى تعرضت لها مصر فى تلك الفترة ، كما أشرنا إلى ذلك سلفاً .

ومن أجل ذلك عارضت الصحف الإسلامية الأخذ بمفاهيم التربية ، والنظريات الغربية فى مجال التعليم دون نقد وتمحيص ، وأكدت أنه ينبغى أن نفرق بين ما يصلح منها فى تربية أبنائنا وبناتنا وما لا يصلح ؛ لأن الناس فى تلك الفترة قد فتنوا بمعطيات الغرب ، وشغفوا بكل ما أحدثته المدنية الغربية ، ونسوا أن لكل بلد ظروفه الاجتماعية وعاداته المتوارثة ، وعقائده الدينية وطرائقه فى التفكير ، وأنماط حياته ربما تختلف عن هذا الوافد الغربى ، وليس هناك من شك فى أن كل إصلاح لا يراعى هذه الأمور لا يمكن أن يصل بالمجتمع إلى ما يصبو إليه من غايات وتقدم ورقى ، فضلاً عن ذلك لا ينبغى قطع الحاضر عن الماضى ونسيان تراث الأمة وكنوزها العلمية ، ومعرفة ما تركه السابقون وراءهم من أفكار ومن نتاج علمى وفكرى .

وقد دعا محب الدين الخطيب إلى التحرر من نظام التعليم الغربى مع تحرر الأمم من الاستعمار « لأن هذا النظام أقيم منذ البداية على أسس رسمت لنا تحت ضغوط المستعمرين لتكون متمشية مع مقاصده ، هذه المقاصد لا تضمن لأوطاننا تربية جيل صالح قادر على تحمل المسؤولية وعبء السيادة على أرضه ومقدساته ، وأوضح أن إصلاح التعليم فى الأوطان العربية - ومنها مصر - لا يكون إلا بهدم أسسه الأجنبية ، واستئناف تأسيسه على أسس عربية إسلامية ، تضمن للمستقبل جيلاً إسلامياً ، قوى النفس ، مستقيم الأخلاق ، يحسن التوفيق بين العمل لنفسه والعمل لخير الأمة كلها ، وتساعد

(١ ، ٢) الفتح ، عدد ١٩٥ ، ١٨ ذو القعدة ١٣٤٨ هـ ، ١٧ أبريل ١٩٣٠ م .

أساليب التعليم على أن يكون رجل كفاح في ميادين العلم والبحث والصناعة والتجارة والاقتصاد» (١) .

وكتب حسن البنا تحت عنوان : « هل نسير في مدارسنا وراء الغرب ؟ » عارض فيه أن تكون النهضة التعليمية في مصر قائمة على تقليد أوروبا والإعجاب بثقافتها ومناهجها وجعل المدارس المصرية نسخة من مدارس أوروبا ، وذهب إلى ما ذهب إليه شكيب أرسلان قبل ذلك بأن نأخذ من مدارس الغرب ومناهجهم عنايتهم بالعلوم الطبيعية والمواد العلمية والمعارف الحيوية التي تهدف إلى إدراك سر الوجود ومعالجة مشاكل الحياة وهو العنصر الجوهرى في رقى الغرب ، أيضاً نأخذ عن مدارس الغرب ومناهجهم عنايتهم باتجاهات التربية الحديثة ، ومراعاة مطالبها ، وتأسيس طرق التعليم على أسس وطيدة من دراسة نفس الطفل وطبائه .

وفى الوقت ذاته أشار حسن البنا إلى أنه لا بد من العناية بأمر الدين والاهتمام بشأنه، إلا أن تكون المدارس المصرية خلوا من الدين كما هو الحال في بعض المدارس الغربية التي ترى أن هناك فرقاً بين مدارس الكهنوت ومدارس العلوم المدنية (٢) ، كذلك حاربت الصحف الإسلامية المدارس الأجنبية العلمانية ، والمدارس التبشيرية التي انتشرت في البلاد المصرية ، وأبرزت مساوئها وخطورها على العقيدة الإسلامية وعلى مستقبل النشء المصرى والأجيال القادمة ، وأكدت على دور هذه المدارس في التغريب وتغيير عوائد الأمة، ومقوماتها .

وحفلت الصحف الإسلامية بالمقالات والمحاضرات والتعليقات التي تنتقد وتندد وتحذر من خطورة المدارس الأجنبية ، فقد أشار الأستاذ عجاج نويهض في محاضرة له بعنوان : « هل هذه النهضة خاضعة لسلطان العلم ؟ » أن شر القوى المسلطة على النفسية العامة في البلدان الإسلامية هي المدارس الأجنبية بمختلف علاماتها وأنواع جمعياتها التي تنتمى إليها ، ولا فرق بين التبشيرية منها وغير التبشيرية ، وغالبيتها تقوم بالتبشير النصرانى ، ويضيف الأستاذ نويهض : « إن هذه المدارس مسلحة بأحدث آلات الإفساد ، وعملها الغارة على هذه الأمة الإسلامية ونشئها ، ولا يقل بوجه من الوجوه عن الغارة العسكرية ، بل غارة المدارس الأجنبية أشد وأنفذ من الغارة العسكرية » (٣) .

ويلاحظ أنه بعد الحرب العالمية الأولى قد دخلت جهود هذه المدارس فى دور لم

(١) أنور الجندى ، الفتح ، تاريخ الصحافة الإسلامية ، القاهرة : دار الأنصار ، ١٩٦٨ م ، ج٢ ص ٥٥ .

(٢) الفتح ، عدد ٦٦٥ ، ١٦ ربيع الآخر ١٣٤٨ هـ ، ١٩ سبتمبر ١٩٢٩ م .

(٣) المنار ، ج٣ ، م ٣٠ ، أغسطس ١٩٢٩ م ربيع الأول ١٣٤٨ هـ ، محاضرة بعنوان : « هل هذه النهضة خاضعة لسلطان العلم ؟ » ألقاها الأستاذ عجاج نويهض فى مدرسة النجاح الوطنية فى القدس ونشرتها المنار نقلاً عن : صحيفة الجامعة العربية التى تصدر فى القدس .

يسبق له مثل فى التنظيم والارتباط وكثرة الوسائل التى تتوصل بها إلى هدفها ، حتى صارت تشكل خطورة مؤكدة على مستقبل البلاد ، ومستقبل الإسلام فى مصر ، وقد بلغ عدد الذين يدرسون فى المدارس الأجنبية من المصريين حوالى ٣٥ ألفاً ، ليسوا من الطبقة الفقيرة ولا المتوسطة بل هم من أولاد الطبقة العليا ، من أبناء الوزراء والكبراء والمديرين والحكام والقضاة وغيرهم ، هؤلاء نمت مداركهم على كل ما هو أجنبى وحب كل ما هو أجنبى ، وبعد ذلك يصير إليهم الحكم فى البلد ، فيكون منهم الوزير والوكيل والقائد والحاكم ، هذه هى القيود وهذا هو الاستعمار فى الواقع ، وهذا هو الخطر المسدد إلى الروح الإسلامية ، فهى الهدف الوحيد المتجه إليها (١) .

ولا شك أن هذه المدارس الأجنبية : «العلمانية والتبشيرية» خطوة أولى فى استعمار الشعوب التى تنشأ فيها كما صرح بذلك اللورد سالسبورى الوزير البريطانى الشهير ؛ لأن الطائفة التى تتخرج فيها تخالف سائر أمتها فى عقائدها ، وأفكارها ، وتقاليدها ، فتحدث فيها صدعا وانشقاقا تنقسم به على نفسها ، فيقتلها هذا الانقسام بأيديهم ، فضلاً عما تحدثه هذه المدارس ، كما يقرر رشيد رضا « من إفساد العقائد الذى يتبعه فساد الاخلاق ، وغلبة الأفكار المادية ، وحب الشهوات والزينة على المتخرجين فيها ، فيحول ذلك دون اتفاقهم حتى فيما يفتنون به من أمور التفرنج » (٢) .

وتجدر الإشارة هنا أيضاً إلى أن خريجي هذه المدارس والمعاهد الأجنبية كان لهم دور واضح فى تغريب الحياة الفكرية والاجتماعية والمصرية ، وتغيير العوائد والتقاليد الإسلامية ، وذلك من خلال ما طرحوا من رؤى وما آمنوا به من أفكار دخيلة على المجتمع المصرى الإسلامى .

فخريجو هذه المدارس قد أنكروا معظم العقائد الدينية ، واستهجنوها وعدوها - كما يقول محب الدين الخطيب - من خرافات القرون الوسطى ، وقد أخذ هؤلاء يدعون الناس إلى التعاليم الغربية ، ويصدون عن تعاليم الدين بصور مختلفة وطرق متعددة ، كذلك أخذوا يقبحون للناس عادات أسلافهم وأخلاق شعوبهم ، ويدعونهم إلى تقليد الأمم الغربية فى عاداتهم ونظمهم الاجتماعية ، ويحاولون قطع الصلة بين تاريخ المسلمين وحاضرهم (٣) .

وعلى سبيل المثال لا الحصر ، منهم من حَسَّن للنساء ترك الحجاب ، والاختلاط بالرجال بدعى أن هذه الطريقة المثلى لترقيتهن وازدياد معارفهن ، ومنهم من تابع الغرب

(١) النذير ، ٤ ربيع الأول ١٣٥٨هـ ، مقال بعنوان : «خطورة المدارس الأجنبية» بقلم حسن البنا .

(٢) المنار ، ج١ ، م ٢٦ ، رمضان ١٣٤٣هـ ، أبريل ١٩٢٥م .

(٣) الفتىح ، عدد ١٦ ، ٢٣ ربيع الأول ١٣٤٥هـ ، ٣٠ سبتمبر ١٩٢٦م .

فى تشديد التكبر على تعدد الزوجات غافلا عن حكمة إباحة الدين لهذا التعدد ، ومنهم من خرج على الدين خروجاً صريحاً بإباحة تزويج المسلمات لغير المسلمين ، وتغيير أحكامهم فى الميراث ، التى وردت فى القرآن الكريم ، والدعوى بأن بعض ما ورد فى هذا الكتاب من الأساطير التى كانت شائعة عند العرب قبل نزوله ، ومنهم من دعا الناس إلى تغيير أزيائهم ، واتخاذ الزى الأوروبى ، بحجة أنه أكثر ملاءمة للصحة من الزى الشرقى ، ومنهم من دعا إلى الحيلولة بين طلبة المدارس وتعليم الدين (١) .

وكانت المدارس الأمريكية من أخطر المدارس الأجنبية فى الهجوم على الدين الإسلامى ، وعلى مقومات الأمة المصرية وعوائدها . ومن أبرز مساوئ هذه المدارس :

١ - أنها تجلب المجلات النصرانية كالشرق والغرب ، ومجلة الهدى وبشائر السلام التبشيرية وتوزعها على الطلاب لقراءتها والاطلاع عليها ، وهذه الصحف تحوى مطاعن شديدة للإسلام .

٢ - تقوم بنشر المساوئ الأمريكية والعادات الهدامة للعفاف والأخلاق .

٣ - تكوين الجمعيات الأدبية ، التى هى فى الحقيقة جمعيات تقوم بالتبشير تحت ستار رقيق من الخطب والأناشيد والمحاورات الفكرية .

٤ - تشويه تاريخ المسلمين والظعن فى سيرة النبى ﷺ ، إذ يقوم بتدريس التاريخ الإسلامى مبشرون وقساوسة متعصبون .

٥ - تقبيح كل ما هو شرقى ومدح كل ما هو غربى (٢) .

وقدمت الصحف الإسلامية احتجاجها لدى وزارة المعارف العمومية على الأساليب التى تتهجها المدارس الأجنبية فى الهجوم على الدين الإسلامى ، وناشدت وزارة المعارف أن تشكل لجنة للنظر فى مناهج هذه المدارس وتعديلها ، وتوحيد المناهج فى جميع المدارس الأجنبية والحكومية والأهلية ، بحيث ينال الدين والتاريخ الإسلامى القسط الأكبر من العناية فى مناهج التعليم (٣) .

ودعا حسن البنا إلى الاهتمام بالتربية الإسلامية فى مناهج التعليم ، وحث على تربية النشء على أساس إسلامى (٤) .

(١) الفتح ، عدد ١٦ ، ٢٣ ربيع الأول ١٣٤٥هـ ، ٣٠ سبتمبر ١٩٢٦م .

(٢) الفتح ، عدد ١٩٦ ، ٢٥ ذو القعدة ١٣٤٨هـ ، ٢٤ أبريل ١٩٣٠م .

(٣) الشبان المسلمون ، ج٤ ، م ١ ، شعبان ١٣٤٨هـ ، يناير ١٩٣٠م ، والفتح ، عدد ١٨٢ ، ١٦ شعبان ١٣٤٨هـ ، ١٦ يناير ١٩٣٠م .

(٤) الشبان المسلمون ، ج٢ ، م ٢ ، جمادى الآخرة ١٣٤٩هـ ، نوفمبر ١٩٣٠م .

« ومن أبرز الحملات التي شنتها الصحافة الإسلامية على المدارس الأجنبية الحملة على الجامعة الأمريكية في القاهرة ، فقد كشفت هذه الحملة عن أهداف الجامعة ، ودورها التبشيري والتغريبي ، ولا سيما بعد أن نظمت الجامعة الأمريكية عدة محاضرات ، قام فيها المحاضرون بالطعن في العقيدة الإسلامية والدعوة إلى الفرعونية ، فقد ألقى مرقص سميكة محاضرة في الجامعة الأمريكية في عام ١٩٢٦م شكر فيها وزارة المعارف لعنايتها بتدريس تاريخ الفراعنة لتلاميذ المدارس ، بعد أن كان مهملًا ، وأبدى فيها كرهه للعرب وكل ما هو عربي ، واعتبرهم محتلين لمصر كالرومان واليونان وغيرهم ، كما أنه لم يخف حقه للحضارة العربية والإسلامية (١) ، وألقى كامل منصور والدكتور فخري ميخائيل محاضرات في الجامعة الأمريكية أيضًا هاجما فيها الدين الإسلامي (٢) ، وهاجم الأستاذ جفري المدرس بالجامعة الأمريكية في محاضرة له الرسول ﷺ قائلاً : « إن مقاييس النبوة الصحيحة أن يأتي النبي بشيء جوهرى جديد ، وألا يكون شهوانيا ، وعلى هذا لا يعد محمد نبياً بل مصلحاً فقط » (٣) .

وقد أحدث هذا الهجوم ردود فعل مثيرة وشديدة من جانب كتاب الصحافة الإسلامية ، وكتب أبو زيد شلبي في صحيفة « الفتح » متسائلاً : « كيف تنظم الجامعة الأمريكية المحاضرات في الطعن على الدين الإسلامى في بلد هو كعبة المسلمين ، ودينه الرسمى هو الإسلام وحكومته إسلامية ؟ » (٤) ، وناشد أولى الأمر أن ينظروا في هذا الأمر قبل أن يستفحل خطره ويذاع أمره بين المسلمين ، فيحدث ما لا يحمد عقباه ، وأشار محمد حسن علاء الدين الطالب الفلسطينى بالجامعة الأمريكية بالقاهرة أنه كان يحسن الظن بهذه الجامعة ، ويرى أنها معهد علمى حسن النية ، ولكن لما اطلع على ما فيها من روح عدائية للإسلام تغير رأيه . . وأبان أن أساتذة الجامعة الأمريكية يرشدون الطلاب إلى مراجعة الكتب الخبيثة المليئة بالفحش والتطاول على مقام سيدنا محمد ﷺ ، ومن هذه الكتب كتاب اسمه : « مشاكل الدين » تأليف « ديورنت دريك » ، وما قاله دريك في كتابه : « كان النبي ذا مزاج عصبى مريض ، وكان يتتبع خيالات لا أصل لها تؤيد دعوته ، وتجذب الناس إليه ، لقد سود النبي محمد صفحة حياته ببعض أعمال قاسية خداعة ، حينما حشد القبائل البدوية المتوحشة تحت راية الله كيما تنشر بالسيف الدين الإسلامى الجديد ، وحللت الشريعة الإسلامية العبودية ، وتعدد الزوجات ،

(١) د. زكريا سليمان بيومي : الإخوان المسلمون والجماعات الإسلامية ، مرجع سابق ، ص ٤٩ .

(٢) الفتح ، عدد ١٩٦ ، ٢٥ ذو القعدة ١٣٤٨ هـ ، ٢٤ أبريل ١٩٣٠ م .

(٣) الفتح ، عدد ٢٦ شوال ١٣٤٨ هـ ، ٢٠ مارس ١٩٣٠ م .

(٤) الفتح ، عدد ٢٣ ، ١٣ جمادى الأولى ١٣٤٥ هـ ، ١٨ نوفمبر ١٩٢٦ م .

وأعطت قيد الطلاق للرجل « (١) » .

هذه فقرة من الكتاب الذى جعلته الجامعة الأمريكية من المراجع لطلابها ، والذى ينطوى على هجوم صريح على الدين الإسلامى ورسوله وشرائعه ، ويؤكد دور هذه الجامعة فى محاربة الإسلام ، وأن الغرض الذى قامت من أجله ليس للثقافة والتربية الخالصة لوجه الله ، وإنما أنشئت هذه الجامعة لمهاجمة الإسلام بأساليب أخرى تتخذ من العلم والتربية ستارا لتحقيق أغراضها فى تشكيك المسلمين فى أمر دينهم ، ومن ذلك المحاضرة التى ألقاها الدكتور فخرى ميخائيل فى الجامعة الأمريكية هاجم فيها الشريعة الإسلامية ، وزعم أنها ظلمت المرأة فى الميراث ، وأن الإسلام لم يعط للمرأة حقوقها ، وقد انبرى للرد عليه عمر إبراهيم الدسوقي فى « الفتح » (٢) ، غير أن الكاتب عمر عنایت دافع عن الدكتور فخرى وزعم أن أحكام الإسلام لم تعد صالحة للعصر الحالى ، هنالك تصدى له محب الدين الخطيب وأطلق عليه جورجى عنایت لأنه لا يدافع عن القبطى إلا من كان مثله ، وقال الخطيب : « سمته أمه عمر عنایت فأخطأت ، وسماه الأستاذ عباس حافظ جورجى عنایت فأصاب ، وهل يدافع عن فخرى ميخائيل إلا من يكون جورجى عنایت » (٣) .

وهكذا مضت الصحف الإسلامية توضح الهدف الذى أنشئت من أجله الجامعة الأمريكية فى مصر ، والأغراض المستهدفة منها ، وأبرزها تشكيك المسلمين فى دينهم وبث المطاعن فى الشريعة الإسلامية ، والترويج للدعوات الهدامة والمغرضة ، كالدعوة إلى الفرعونية وغيرها ، فضلاً عن دورها التبشيرية الخطير .

وكذلك عملت الصحف الإسلامية على مقاومة التيار التغريبى فى الجامعة المصرية ، والذى حاول أن يجعل من هذه الجامعة نسخة من الجامعات الغربية فى هجومها على الدين ، وفصله عن السياسة وقيادة شؤون المجتمع الأخرى .

وقد وصف رشيد رضا الجامعة المصرية « بأنها وكر الملحدین » وأشار إلى أن دعاية الإلحاد تذاع من دروس الجامعة المصرية ومحاضراتها ، وأن أساتذة هذه الجامعة يحاربون الدين والفضيلة جهراً وعلانية وفى مقدمتهم طه حسين فى كتابه « الشعر الجاهلى » ، وأكد رشيد رضا على أن ملاحدة الجامعة المصرية أضرت على عقائد الإسلام وآدابه وشرائعه وحكومته من دعاة النصرانية الذين يشك الناس فى كلامهم بتهمة العداوة الدينية ،

(١) الفتح ، عدد ٢٤٤ ، ٧ ذو القعدة ١٣٤٩ هـ .

(٢) الفتح ، عدد ١٨٦ ، ١٤ رمضان ١٣٤٨ هـ ، ١٣ فبراير ١٩٣٠ م .

(٣) الفتح ، عدد ١٨٧ ، ٢١ رمضان ١٣٤٨ هـ ، ٢٠ فبراير ١٩٣٠ م .

ويأخذون كلام هؤلاء بالقبول لانتفاء التهمة عنهم (١) .

والمتنبع للصحف الإسلامية في فترة ما بين الحربين العالميتين يجدها وقفت بالمرصاد لدعاة العلمانية ، وأخذت تحصى عليهم أعمالهم وتتابع كل أقوالهم وأفكارهم ، سواء في الصحف التي كانوا يكتبون فيها أم في الجامعة التي كانت حافلة بحاضراتهم وأقوالهم ومساجلاتهم ، أم في غيرها من المؤسسات التعليمية والفكرية .

وحينما احتفلت الجامعة المصرية بذكرى رينان - المفكر الفرنسي - وألقى في هذا الحفل الشيخ مصطفى عبد الرزاق محاضرة عن رينان والأفغانى ، ذكر فيها ما قاله رينان عن الإسلام بأنه عدو العلم والعقل ، وطعنه في العرب بأن عقولهم قاصرة بطبيعتها غير مستعدة لفهم الفلسفة وما وراء الطبيعة ، وأشار إلى أن جمال الدين الأفغانى وافق رينان على كون الإسلام عدو العلم ، والعقل ، وخالفه في طعنه على العرب .

هنالك انبرى رشيد رضا للرد على الشيخ مصطفى عبد الرزاق ومهاجمة هذا الحفل ، وما قاله رشيد رضا : « إن رينان كاتب من كتاب فرنسا وملاحدتهم ، اشتهر اسمه في مصر ، وبعض البلاد العربية من خلال محاضرة ألقاها بعنوان « الإسلام والعلم » طعن فيها في الدين الإسلامى والأمة العربية ليهدم ما ذكره علماء فرنسا من الإشادة بتاريخ العرب والإسلام ، من أمثال غوستاف لوبون صاحب كتاب (حضارة العرب) ، والعلامة سديو صاحب كتاب (تاريخ العرب) » ، ومضى رشيد رضا في ردوده قائلاً : « إنه مما يثير العجب أن الجامعة المصرية أقامت حفلاً لهذا الملحد بمناسبة عيد ميلاده » ، ثم يذكر تأثير طه حسين برينان وطعنه في الإسلام ، ورأى أن هذا هو السبب في اختيار أساتذة الجامعة ومن بينهم طه حسين للاحتفال بذكرى رينان .

وفند رشيد رضا ما أشار إليه الشيخ عبد الرزاق من أن جمال الدين وافق رينان على كون الإسلام عدو العلم والعقل ، ونقل ما كتبه الشيخ محمد عبده عن رأى أستاذه الأفغانى « فى الدين والعلم » ، ومما ذكره فى هذا الشأن أن الإسلام دين العقل والحكمة والفلسفة الصحيحة ، وأنه لولا تأثير تعاليمه لما انتقل العرب من الأمية إلى أعلى مما كان عليه البشر فى كل علم وفن ونظام وعمران فى مدة جيل واحد ، حتى سادوا الفرس والروم والأوربيين وغيرهم (٢) .

وواصل رشيد رضا هجومه على حملة الفكر الغربى فى الجامعة المصرية الذين يشككون فى فكر الأفغانى ، واتهامه بالمروق من الدين ، وبخاصة بعد سفره إلى فرنسا ، يقول رشيد رضا : « أرى فى هذا البلد أفراداً يعنون فى هذه الأيام بإفساد عقائد المسلمين

(١) المنار ، ج٢ ، م ٢٧ ، شوال ١٣٤٤هـ ، مايو ١٩٢٦م .

(٢) المنار ، ج٤ ، م ٢٤ ، شعبان ١٣٤١هـ ، أبريل ١٩٢٤م .

وتجربتهم على الكفر ، وعلى الفسق أيضاً ، حتى زعم بعضهم - يقصد الدكتور طه حسين فى حديث الأربعاء - أن أكثر المسلمين كانوا كذلك فى القرن الثانى الهجرى مرتابين فى الدين وفاسقين عنه . . بدليل ما يوجد فى بعض كتب الخلاعة والأخبار من حكاية ما يؤثر فى ذلك عن بعض الأفراد والشعراء والمغنيين والمخنثين ، مثل كتاب الأغاني ، وأشار رشيد رضا إلى أن رواة هذه الأخبار لا يوثق بهم ، وأن من يريد أن يتعرف على أحوال المسلمين يرجع إلى كتب المحدثين الثقة ، وتراجم العلماء والصالحين الذين ملأوا الدنيا علماً وفضلاً وقُدوة صالحة (١) .

وبلاحظ أن التيار التغريبى فى الجامعة المصرية كان يتركز فى كلية الآداب ، وذلك لدورها الخطير فى إحلال مفاهيم الغرب فى مجال الأدب واللغة والتاريخ ، ويكشف توفيق الحكيم عن دور الجامعة فى التغريب حين يقول : « كان المفهوم عند إنشاء الجامعة المصرية أن يقام فى مصر هيكل للفكر الحر يعنى بشؤون التعليم والفكر ، مطلقة من كل قيد كما هو مطبق فى أوروبا » (٢) ، ولكن هذا المفهوم لم يجد قبولا لدى كتاب الصحافة الإسلامية ، وانبروا للرد عليه ، وكان فى مقدمتهم شكيب أرسلان ومحب الدين الخطيب ، وذكر شكيب أرسلان أن الذين يدعون إلى حرية الفكر فى مصر فى كل شيء - ولو كان على حساب الدين - دعواهم باطلة ، ويقيم الدليل على بطلان هذه الدعوة فيقول : إن الحرية فى أوروبا هى مطلقة بالنسبة إلى بعض البلاد الشرقية وبالنسبة إلى القرون الوسطى . . . أما الحرية بعد ذلك فتبقى مطلقة إلى أن تصطدم بسبب من الأسباب السياسية أو الدينية أو الاجتماعية فأقل مدير أمن يقضى عليها « وكل عمل يحدث قلقاً فى المجتمع أو ثورة فى الأفكار تحظره الحكومة ولا يستطيع أى كاتب من كتاب أوروبا أن يسخر من الدين المسيحى » (٣) .

وكان رأى محب الدين الخطيب أن الجامعة المصرية - وكل جامعة فى العالم - مطالبة فى البيئة التى نشأت فيها بأن يتنزه القائمون بها عن كل ما يثير الشكوك نحو دين البلاد ومقدساتها وحقوقها ، فلا يتخذوا من البحث العلمى وحرية الرأى ستاراً للهجوم على الدين ولا سيما إذا كان هذا الدين صادقاً وداعياً إلى الحق والبحث والمعرفة كالدين الإسلامى (٤) ، وأشار إلى بعض الأمثلة لهجوم الجامعة على الإسلام ونبه من خلال ما تدرسه فى مقرراتها ، حيث ذكر أن رواية إنجليزية اسمها سان جوان تدرس فى كلية الآداب ، وتحمل الطعن فى النبى ﷺ ، وكتاباً للكاتب الإنجليزى برنارد شو قرره الجامعة

(١) المنار ، ج ٤ ، م ٢٤ شعبان ١٣٤١هـ ، أبريل ١٩٢٣م .

(٢) أنور الجندى : يقظة الفكر العربى فى مواجهة التغريب ، مرجع سابق ، ص ٣٣ .

(٣) الفتح ، عدد ٢٠٤ ، ٢٢ محرم ١٣٤٩هـ .

(٤) أنور الجندى : يقظة الفكر العربى فى مواجهة التغريب ، مرجع سابق ، ص ٣٣ .

أيضاً على طلابها يحتوى على هجوم صريح للإسلام ورسوله (١) .

فضلاً عن ذلك ، كان للجامعة المصرية وأساتذتها دور فى الطعن على القرآن الكريم وتغريب الطلاب ، ووضعهم على المنهج الأوربى فقد أشارت إلى ذلك صحيفة «الفتح» ، وأن الجامعة المصرية تطعن فى القرآن الكريم ، حيث قال زكى مبارك - أحد أساتذة هذه الجامعة أثناء إلقاء دروسه على الطلبة : « إن القرآن لا يوافق كل العصور بل يوافق العصر الذى نزل فيه » (٢) . وذكر الشيخ عبد الباقى سرور أن الدكتور زكى مبارك وصف لغة القرآن الكريم بالوحشية ، ووضع بلاغة العصر العباسى فوق بلاغة القرآن الكريم (٣) ، وفى مقال آخر يؤكد الشيخ عبد الباقى سرور أن الجامعة المصرية تبث روح الإلحاد فى نفوس الطلاب ، وتعتنق الآراء الشاذة ، ولم تقم بواجبها الوطنى والعلمى ، ولم تنشر مؤلفات تعتبر مراجع للناس ، ولم تقدم من العلوم والمعارف آراء جديدة ، وطالب فى نهاية مقاله بتغيير سياسة التعليم فى الجامعة المصرية ، على أسس جديدة تنبثق من روح الدين الإسلامى (٤) .

وهذا التأكيد من الشيخ سرور ، وإن كان فيه الكثير من المبالغة ؛ لأن الجامعة المصرية خرجت الكثير من المفكرين والعلماء ، ومكتبات كلياتها زاخرة بكتب العلم فى شتى مجالاته ، إلا أنه يدل دلالة قوية على نهج الجامعة نهجاً غريباً فى أنشطتها ومظاهرها العامة ، ولا سيما فى تلك الفترة بالذات ، الأمر الذى دفع طلاب كلية الحقوق بالجامعة إلى التقدم إلى مدير الجامعة ، وعمداء الكليات بمذكرة يطلبون فيها عدة طلبات أهمها :

١ - إدخال الدراسة الدينية فى جميع الكليات وتوحيد رى الطلاب .

٢ - توحيد رى الطالبات .

٣ - توحيد الطلبة فى الجامعة مع تمييز طلبة كل كلية عن الأخرى بإشارة خاصة .

٤ - تحديد أماكن للطالبات فى كلية الآداب (٥) .

وتحفظ لطفى السيد باشا مدير الجامعة فى الرد على هذا الموضوع ، وأبدى رغبته فى تأجيل الإجابة على مذكرة الطلاب ، ورأى أحد أساتذة التاريخ بكلية الآداب وهو الدكتور عبد الحميد العبادى أن الجامعة المصرية هدفها الأساسى الإسهام فى الحركة العلمية

(١) أنور الجندى ، الفتح ، تاريخ الصحافة الإسلامية ، ص ١٤٣ ، ١٤٤ .

(٢) الفتح ، عدد ٢٢ ، ٦ جمادى الأولى ١٣٤٥ هـ ، ١١ نوفمبر ١٩٢٦ م .

(٣) الفتح ، عدد ٧٠ ، ١٦ جمادى الأولى ١٣٤٦ هـ ، ١٠ نوفمبر ١٩٢٧ م .

(٤) الفتح ، عدد ٧١ ، ٢٣ جمادى الأولى ١٣٤٦ هـ ، ١٧ نوفمبر ١٩٢٧ م .

(٥) سهير إسكندر : جريدة المصرى والقضايا الوطنية ١٩٣٦ - ١٩٤٦ م ، القاهرة ، مكتبة سجل العرب ١٩٨٦ م ،

ص ٣٨٩ ، وأنور الجندى ، الفتح ، تاريخ الصحافة الإسلامية ج ٢ ص ١٣٧ .

العالمية، وأن الأزهر الشريف هو المكان المخصص لتدريس الدين ، وأنه لا داعى للفصل بين الجنسين ، وعند سؤال الدكتور طه حسين عن رأيه صرح قائلاً : « أنا لا أعرف فى كتاب الله ولا فى سنة رسوله نصا يحرم اجتماع الفتيان والفتيات حول أستاذ يعلمهم العلم والأدب والفن » (١) .

وقد أثار هذا التصريح ثائرة جهات كثيرة ترفض الاختلاط ، منها طلبة كلية الطب وأساتذة الأزهر الذين هاجموا الدكتور طه حسين بشدة (٢) ، فضلاً عن ذلك وجد هذا التصريح ردوداً مثيرة فى الصحافة الإسلامية ، كان أبرزها ما كتبه محمد إسماعيل عبد النبى فى الفتح قال : « إذا كان الدكتور طه لا يعرف هذا النص فهل معناه أنه غير موجود؟ وهل الدكتور طه عالم من علماء الدين أو فقيه من فقهاء المسلمين حتى يقام لرأيه وزن فى الشؤون الدينية » ومضى الكاتب يقرر أن الأدلة الشرعية المتفق عليها هى الكتاب والسنة الصحيحة والإجماع والقياس ، وأنه مما امتاز به الإسلام فى قواعده العامة أنه جعل درء المفسدة أساساً للأمور الأدبية الشرعية ، واختلاط الجنسين وهو ينبوع المفسد محرم بهذه القاعدة الشرعية ، وأن القرآن أورد آيات كثيرة حول هذا المعنى ، وهذه الآيات واضحة المعنى فى الدلالة على تحريم الاختلاط (٣) .

ويلاحظ أن الصحافة الإسلامية قد أخذت موقفاً معارضاً من قضية الاختلاط بين الجنسين فى مقاعد التعليم بجميع درجاته وأنواعه ، لأنه - على حد تعبير رشيد رضا « ناشئ عن تقليد الإفرنج لا عن خبرة تامة ، واستقلال فى رأى ولا موارنة بينه وبين ما يعارضه فى الضرر والنفع ، وما بيننا وبين الغربيين من تمايز وفروق » .

واعتبر رشيد رضا الاختلاط تغييراً لهويتنا الثقافية والاجتماعية ومقومات الأمة وعوائلها ، وأبطل حجج القائلين باختلاط الجنسين فى جميع مراحل التعليم وزعمهم أنه خير وسيلة للتربية الصحيحة لأن كلا منهما يختبر الآخر ، فيقف على أخلاقه وأدابه وآرائه ومقاصده من الحياة ، ومن ثم تتكون الأسرة على أساس ثابت صحيح لا يقوضه جهل أحدهما بالآخر .

ورأى رشيد رضا أن هذه نظرية خيالية تنقصها الخبرة والتجارب العملية ، ولو ثبتت من بعض الوجوه لكان ما يعارضها من مفسد الاختلاط فى الأمة أحق وأولى بالترجيح وأشار رشيد رضا إلى مخاطر الاختلاط ، والتي نوجزها فيما يلى :

(١) سهير إسكندر : جريدة المصرى والقضايا الوطنية ، مرجع سابق ، ص ٣٩٠ ، وجريدة المصرى ، ١٠ مارس ١٩٣٧ م .

(٢) سهير إسكندر : جريدة المصرى والقضايا الوطنية ، مرجع سابق ، ص ٩٢ .

(٣) أنور الجندي ، الفتح ، تاريخ الصحافة الإسلامية ، ج ٢ ص ١٣٩ ، ١٤٠ .

- ١ - الاختلاط يزكى نار الفتنة بين الجنسين ، ويصرف قوة الذهن عن التعليم .
 - ٢ - اختلاط الجنسين له مفسده الدينية والصحية والاقتصادية أيضاً .
 - ٣ - الاختلاط فى المدارس خطوة نحو الاختلاط فى جميع صوره ، وفى ذلك خطر على العادات الاجتماعية .
 - ٤ - الاختلاط فيه هدم لكثير من أحكام الدين وآدابه (١) .
- كذلك هاجمت صحيفة المنار مراد بك سيد أحمد ، الذى تولى منصب وزير المعارف بعد أحمد لطفى السيد ، وذكر رشيد رضا أنه حاول تغريب التعليم أكثر من الذى قبله ؛ لأنه أجاز التمثيل الإباحى والرقص التوقيعى بين البنين والبنات على أنه من الرياضة البدنية وتجديد المدنية .
- واتهم رشيد رضا الحكومة بأنها متعمدة القضاء على هداية الدين فى الأمة وتربية بناتها وبنيتها على الإلحاد والإباحة المطلقة (٢) .
- ويلاحظ أنه فى سبيل محاربة تغريب التعليم فى مصر رأى قادة الصحافة الإسلامية إصلاح التعليم فى الأزهر لمواجهة التعليم العلمانى فى الجامعة المصرية ، وأكدت الصحف الإسلامية على أن الذى ساعد على تغريب التعليم فى مصر ، هو حالة الضعف التى حلت بالأزهر ، وحملته بذلك التبعة لا فى تدهور التعليم الإسلامى فحسب ، بل وفى نجاح خصوم الإسلام كذلك ؛ لأن الأزهر - كما صرح الشيخ محمد عرفة ، أحد المدرسين فيه ، فى مقال بعنوان : « الإصلاح الحقيقى والواجب للأزهر والمعاهد الدينية » - وصل إلى حالة انغلقت الدراسة فيه على الكتب القديمة ، وجمد نظام التعليم فيه وانعزل عن التقدم العلمى ، وتطور الأمة ، وتغير الزمن (٣) ، فضلاً عن ذلك كان أنصار التيار العلمانى يحاولون النيل منه ومن رجاله باعتباره « الحصن الحصين للدين الإسلامى فى مصر والعالم الإسلامى » (٤) وداومت الجرائد العلمانية على وصف الأزهرين بالجمود والتأخر ، وتلقب معهدهم بمبأة الانحطاط والرجعية (٥) .
- ويذكر محمود عزمى فى حديثه عن تنظيم الجامعة المصرية لعرض قانونها على مجلس

(١) المنار ، ج٢ ، م ٣٠ ، صفر ١٣٤٨ هـ ، يوليو ١٩٢٩ م ، مقال بعنوان : « مفسد الاختلاط بين البنين والبنات فى المدارس » لرشيد رضا .

(٢) المنار ، ج٤ ، م ٣٢ ، ذو الحجة ١٣٥٠ هـ ، أبريل ١٩٣٢ م .

(٣) المنار ج١٠ ، م ٢٨ ، رجب ١٣٤٦ هـ ، يناير ١٩٢٨ م .

(٤) الهداية الإسلامية ، ج٥ ، م ٢ ، شوال ١٣٤٨ هـ .

(٥) السياسة الأسبوعية ، عدد ٤٩ بتاريخ ١٢ فبراير ١٩٢٧ م . سعالج قضية الاختلاط بتفصيل أكثر فى البحث الخاص بقضايا المرأة .

النواب ، أن الجامع الأزهر ظل جامداً بغير تحول وغير تطور منذ القرون الوسطى (١) ، وعندما ألفت الوزارة لجنة لإصلاح الأزهر عام ١٩٢٧م أخذت صحيفة السياسة تنادى بصيغ الأزهر بالصيغة العصرية ، وهجر طرق التدريس العتيقة فيه ، بينما طالبت صحيفة البلاغ بضم الأزهر والمعاهد الدينية التابعة له إلى وزارة المعارف ؛ لأنها هي الوزارة المسؤولة عن شؤون البلاد . والهدف من ذلك تقليص دور الأزهر وحصر أصحاب الثقافة الدينية والإسلامية في المساجد ومنعهم من احتلال المناصب التي تتصل بتوجيه المجتمع وتنفيذ الناس منهم ، وذلك واضح فيما كتبه طه حسين في مجلة « الرابطة الشرقية » تحت عنوان : « إصلاح الأزهر » يدعو فيه إلى عزل الأزهر عن مجال الحياة والسياسة ، وأن يصير مدرسة وعظ وإرشاد ، وألا يكون للمتخرجين فيه حق في مناصب الحكم ، والتصرف في شؤون الدولة لا في القضاء ولا في التعليم ولا في غير ذلك .

وقد رد على طه حسين الشيخ محمد الخضر حسين ، موضحاً أنه يريد بذلك إلغاء المعاهد الدينية لا إصلاحها ، وأن يوهم السذج أن الإسلام لا صلة له بالقضاء ولا شؤون الدولة ، وإلا فما الذي يمنع المتخرج من الأزهر ، والدارس للعلوم الإسلامية والعربية من أن يكون مدرساً لهذه العلوم في مدارس الحكومة ، وإذا كانت أصول الشريعة وأحكامها تدرس في الأزهر بإتقان ، فما الذي يمنع خريجى الأزهر من أن يتقلدوا مناصب القضاء (٢) .

وكذلك انبرى للرد على السياسة الأسبوعية الشيخ عبد الباقي سرور ، حينما كتبت تحت عنوان : « ظروف إنشاء الجامعة وأغراضها » تشير إلى أن الجامعة المصرية ستحل محل ناحية النفوذ خارج الحدود المصرية محل الجامع الأزهر ، ونفوذه الكبير في تلك العصور التي مضت (٣) ، قال الشيخ سرور في الرد على هذا الزعم : إن « نفوذ الإسلام في بلاد الإسلام نتج عن قيامه بخدمة علوم الإسلام ، فهل يمكن للجامعة أن تحل محله في القيام على العلوم الإسلامية » ؟ ويجيب على هذا التساؤل قائلاً : « إن غرض الجامعة المصرية ينطق بأنها ما أنشئت لتقوم بتعليم العلوم الإسلامية ، والدفاع عن الإسلام ، بل هي بعيدة كل البعد عن ذلك ، وإذا فكيف يتهى لها أن تحل محل نفوس المسلمين محل الأزهر » (٤) ، ومضى الشيخ سرور يدافع عن الأزهر ويبرر فضله في حماية الديانة

(١) السياسة الأسبوعية ، عدد ٥٨ ، ١٦ أبريل ١٩٢٧م ، نقلاً عن د. محمد سيد محمد : هيكل والسياسة ، مرجع سابق ، ص ١٥٥ .

(٢) الهداية الإسلامية ، ج ٢ ، م ١ رجب ١٣٤٧هـ ، مقال بعنوان : « إصلاح المعاهد الدينية وطه حسين » ، والفتح ، عدد ١٣١ ، ٦ شعبان ١٣٤٧هـ ، ١٧ يناير ١٩٢٩م .

(٣) السياسة الأسبوعية ، ٢٦ فبراير ١٩٢٧م .

(٤) الفتح ، عدد ٣٥ ، ٨ شعبان ١٣٤٥هـ ، ١٠ فبراير ١٩٢٧م ، مقال بعنوان : « الأزهر لا غنى للحياة =

الإسلامية والصد عنها ضد عادية الغرب وقهر أوربا ، وأشار إلى أن مصير الإسلام كدين يخشى عليه من الحملات الموجهة ضده لو تمكنت الجهود التي بذلت في محاربة الإسلام التغلب على الأزهر (١) .

ومن أجل ذلك كان الاهتمام بالجامعة الأزهرية ، والدفاع عن الأزهر وإصلاح نظم التعليم فيه والعناية بالتربية الإسلامية والتعليم الديني ، وكانت الدعوة إلى إصلاح الأزهر أن يحتفظ بشخصيته في حفظ التراث الإسلامي واللغة العربية والشريعة الإسلامية ، مع الاحتفاظ أيضاً بروح العصر وعلومه ، فلا ينطوى على نفسه ويرمى بالجمود ، أو يكون نموذجاً للمدارس العصرية العلمانية ، وهذا ما دعا إليه الشيخ محمد مصطفى المراغي (٢) حينما تولى مشيخة الأزهر ١٩٢٨م (٣) .

وبلاحظ أن الصحف الإسلامية قد أيدت الشيخ المراغي في دعوته لإصلاح الأزهر «الديني والديني» ، ونددت بمواقف الشيوخ الذين أنكروا عليه دعوته إلى الإصلاح وإدخال العلوم العصرية في الأزهر ، وطالب رشيد رضا بأن يجمع الأزهر بين التعليم الديني والتعليم المدني ، وإدخال العلوم العصرية إلى الأزهر مثل علوم النفس والأخلاق والاجتماع والتاريخ ولا سيما التاريخ الديني ، والمقارنة بين الأديان وسائر ما يسمى بالعلوم الجديدة ، بشرط أن تكون خالية عما يثير الشكوك والشبهات في الدين ، واقترح رشيد رضا لذلك الغرض تكوين لجنة للتأليف والترجمة وتحضير الدروس ، يكون بعض أعضائها من العارفين باللغات الأجنبية الألمانية والإنجليزية والفرنسية ، والبعض الآخر من أهل البصيرة والرسوخ في علوم الدين ، وبخاصة التفسير والحديث والأصول وأحكام التشريع ، فضلاً عن إنشاء لجنة في إدارة المعاهد الدينية للفتوى العامة في كل ما يتعلق بالعقائد الإسلامية وأحكام التشريع ورفع الشبهات عن الدين (٤) .

وفي البحث الذي أعده محمد أفندي درويش (٥) عن إصلاح الأزهر ونشرته صحيفة الإخوان المسلمين في سلسلة مقالات ، اقترح الباحث :

١ - أن يدلي الأزهر برأيه إزاء ما أحدثته المدنية الحديثة من تطور في مجال المعاملات

= الإسلامية عنه « بقلم الشيخ عبد الباقي سرور .

(١) الفتح ، عدد ٣٦ ، ١٥ شعبان ١٣٤٥هـ ، ١٧ فبراير ١٩٢٧م المنار ، ج٧ ، م ٢٩ ، جمادى الأولى ١٣٤٧هـ ، نوفمبر ١٩٢٨م .

(٢) من أبرز المشايخ الذين نادوا بإصلاح الأزهر قبل الشيخ المراغي : الشيخ محمد عرفة ، والشيخ محمود أبو العيون ، والشيخ محمد حسنين مخلوف ، والشيخ عبد الشكور على ، والشيخ عبد المتعال الصعيدي ، والشيخ محمد الأردن ، والشيخ عبد الباقي سرور ، والشيخ محمد العدوي .

(٣) (٤) المنار ، ج٧ ، م ٢٩ ، جمادى الأولى ١٣٤٧هـ ، نوفمبر ١٩٢٨م .

(٥) عضو مكتب الإرشاد بجماعة الإخوان المسلمين .

المالية والاقتصادية وما إليها ، مثل أعمال المصارف والبورصات والقراطيس المالية والبنوك ،
والتي لم يشهدا الفقهاء المتقدمون .

٢ - أن تؤلف لجنة من العلماء المبرزين في الأزهر تتوفر على دراسة ما كتبه
الأوروبيون في بحوثهم ومؤلفاتهم عن الإسلام ، ومحاولة تنقية هذه البحوث مما علق بها
من سموم .

٣ - العناية بالتراث الدينى والعلمى والخلقى ، وقيام الأزهر بدوره فى الهداية
والإرشاد (١) .

ورأى الشيخ عبد العزيز جاويش أنه لإصلاح الجامعة الأزهرية ينبغى العدول عن
الكتب التى وضعت فى العصور الأخيرة موجزة ومعقدة ، حتى كادت أن تكون أحاجى
والغار ، ووصف هذا بأنه مضیعة للوقت صارف للطلاب عن الجوهر واللباب ، وقرر أنه
يجب تأليف كتب حديثة سهلة التناول حسنة التوبى والتفسير يستعان فى هذه الكتب بما
للسلف من كتب فى مختلف العلوم (٢) . فضلا عن إيفاد بعثات من الأزهر إلى الخارج
للاستزادة من المعرفة فى جامعات الغرب المشهورة ودراسة اللغات الأجنبية فى الأزهر (٣) .

واقترح الأمير محمد على فى جريدة المقطم أن يقسم التعليم الدينى قسمين :
أحدهما : يناط بالجامعة المصرية ويتبع وزارة المعارف ، وثانيهما : الأزهر ، يقتصر التعليم
على ما كان يدرس فيه من العلوم الشرعية قبل نصف قرن ، وأن يستقل الأزهر عن
الحكومة ، غير أن هذا رأى لم يعجب رشيد رضا لأنه يعزل الأزهر ويقلص دوره ،
ويحرمه من الميزانية التى خصصتها الحكومة له ، فضلا عن حرمان الأزهرين من
الوظائف الشرعية ، وأشار رشيد رضا إلى أن أى إصلاح يتخذ بشأن الأزهر لابد من أخذ
رأى أهل الأزهر فيه ، فضلا عن ذلك فإن القانون الذى تقدم به الشيخ المراعى يجمع بين
النظامين اللذين اقترحهما سمو الأمير ، غير أنه يجعل كلا منهما تابعا لإدارة واحدة
وهى : إدارة المعاهد الدينية ، ولاشك أن هذا أضمن إلى جعل التعليم إسلاميا خالصا من
إدارة الجامعة المصرية له ، حيث إن بعض القائمين عليها هم من المتفرجين والملحدین (٤) .

ويلاحظ أنه على الرغم من بعض الانتقادات التى كانت توجهها الصحف الإسلامية

(١) الإخوان المسلمون ، عدد ٧٣ ، صفر ١٣٥٥هـ ، ٢٨ أبريل ١٩٣٦م .

(٢) أنور الجندى ، الفتح ، تاريخ الصحافة الإسلامية ، ج ٢ ص ٢٥١ .

(٣) الشبان المسلمون ، ج ١ ، ص ٧٤ ، جمادى الآخرة ١٣٥٤هـ ، أكتوبر ١٩٣٥م ، سلسلة مقالات كتبها الدكتور على
مظهر عن إصلاح الأزهر بعنوان : « فى سبيل الأزهر » ويلاحظ أن الشيخ حسن البنا ورشيد رضا عارضا
هذا رأى وطالب رشيد رضا بإلغاء البعثات الأزهرية إلى الخارج ، وذهب حسن البنا إلى مراعاة القصد فيها .

(٤) النار ، ج ٤ ، ص ٣٠ ، ربيع الآخر ١٣٤٨هـ ، أكتوبر ١٩٢٩م .

إلى نظام التعليم فى الأزهر إلا أنها كانت ترجو أن يكون له وزن فى الإشراف على مناهج التعليم ، وقد رفع الشيخ حسن البنا مذكرة بهذا الشأن إلى فضيلة الإمام الأكبر شيخ الجامع الأزهر طالب فيها بضم مراقبة التعليم الأولى بكل اختصاصاتها إلى الأزهر ، على أن يتبع ذلك إلغاء مدارس المعلمين الأولية ، والاستعاضة عنها بقسم إعدادى بعد شهادة الكفاءة أو البكالوريا الأزهرية لتخريج المدرسين بالمدارس الأولية ، وضم جميع الشعب التى تدرس اللغة العربية فى الجامعة المصرية ودار العلوم إلى الأزهر حتى يتوحد المعهد الذى يتخرج فيه أساتذة الدين واللغة العربية ، وطالب أيضا بتقرير تدريس الدين فى كل مراحل التعليم ، والعمل على إعادة التشريع الإسلامى فى القضاء والعناية باختيار الكتب المدرسية ، والاقتصار فى اللغات الأجنبية على ما لابد منه ، ومراعاة القصد فى البحوث الأزهرية والتمسك بالزى الأزهرى (١) .

وهكذا يبدو أن قضية التعليم الدينى - سواء فى الأزهر أو فى المدارس العامة - كانت من أبرز القضايا التى حظيت باهتمام الصحف الإسلامية ، فى أواخر العشرينات ، وحقبة الثلاثينات من هذا القرن ، وحفلت الصحف الإسلامية بالعديد من المقالات والآراء والبرقيات التى تدعو إلى وجوب التعليم الدينى فى المدارس فى مقابل التعليم المدنى الغربى ، وجعل التعليم الدينى إلزاميا وعولت عليه إصلاح أمر المجتمع والأمة فى دينها ودنياها وحتى تتحصن الأمة ضد العادات التى تتسرب إليها من الغرب (٢) .

وقد أرسلت جماعة الإخوان المسلمين برقية إلى وزير المعارف العمومية ترجوه فيها أن يكون درس الدين الإسلامى فى التعليم العام درسا أساسيا ، والامتحان فيه إجباريا مثل بقية العلوم ، التى ينبغى على التقصير فيها عدم الفوز أو الرسوب ، لأن الواجب على كل مسلم ومسلمة أن يعنى بمعرفة دينه المعرفة الصحيحة حتى يمكنه أن يؤدى ما يجب عليه لله تعالى وللناس ، وكما تعنى وزارة المعارف بتعليم التلاميذ ما يتعلق بأمر دنياهم ، فيجب أن تعنى بتعليمهم ما يتعلق بأمور دينهم (٣) .

وبمناسبة انعقاد لجنة تعديل المناهج فى مايو ١٩٣٥م وجهت صحيفة الإخوان المسلمين نداء إلى حضرة صاحب المعالى وزير المعارف وإلى حضرات الكرام أعضاء لجنة المناهج ، لفتت فيه نظر أعضاء اللجنة إلى قيمة مناهج التعليم فى حياة الأمة ، وعرضت للأدوار التى تقلبت فيها المناهج العصرية منذ أن وضع محمد على باشا سياسة التعليم فى مصر، حتى عام ١٩٣٥م ، وذكرت أن هناك بعض الجوانب التى تركت دون أن يفكر فيها أحد من الذين تولوا إصلاح مناهج التعليم ، وأظهر تلك النواحي التعليم الدينى والتاريخ

(١) الإخوان المسلمون ، عدد ١٣ ، ٨ ربيع الآخر ١٣٥٤هـ ، ٩ يوليو ١٩٣٥م .

(٢) الفتح ، عدد ١١٨ ، ٢٨ رمضان ١٣٤٨هـ ، ٢٧ فبراير ١٩٣٠م .

(٣) الإخوان المسلمون ، عدد ٦ ، ١٨ صفر ١٣٥٤هـ ، ٢١ مايو ١٩٣٥م .

الإسلامي ، والقرآن الكريم ، فالمدارس الابتدائية والثانوية والعالية والخصوصية والفنية خلو من الروح الدينية ، ففي المدارس الابتدائية بضع حصص كانت لا تتجاوز ثلاثا في كل فرقة ، إحداها للفقهاء ، والأخرى للتهذيب ، والثالثة للقرآن الكريم ، أما المدارس الثانوية فقد تقرر في حصص للدين ، وليس لها أى أثر ، أما المدارس العالية فقد خلت من كل ما يمس الدين إلا بضعة أحكام تدرس في كلية الحقوق ، لذلك يخرج التلميذ من هذه المدارس ، وهو لم يحط علما بمنهج الإسلام ، ولم تتأثر نفسه بأية عاطفة دينية^(١) .

فضلا عن ذلك ، عرضت صحيفة الإخوان المسلمين للشبهات التي يظن أنها تحول بين دراسة الدين في المدارس والرد عليها ، كما يلي :

أولا : الفكرة التي تسود عقول رجال الوزارة من وجوب إبعاد العنصر الديني عن العقول والأذهان حتى تكون المدارس علمانية فقط تقليدا لأوروبا ، وردت الصحيفة على هذه الفكرة بأن هناك فرقا بين التعليم الديني عندنا وبين أوروبا ، وأن الأمر المترتب على ذلك عندنا غير الأمر الذي أنتجته النظم الأكليروسية في مدارس أوروبا ، وأن طبيعة دراسة الدين في المدارس المصرية غير طبيعة ما كان يدرس منه في المدارس الأوروبية ، إذ كانت تلك المدارس التي حولت إلى مدارس علمانية مدارس دينية بحثية يسيطر عليها القساوسة والرهبان وكل مناهجها مستمدة من مبادئ الكنيسة ، وإرادة البابوات .

ثانيا : الاكتفاء بتخصيص معاهد يعلم فيها الدين . وقد ردت الصحيفة على ذلك قائلة : ينبغي ألا نحرم بقية المعاهد من مادة الدين الضرورية في كل أدوار الحياة ، وليس الغرض أن يكون كل طالب في تلك المدارس فقيها ضليعا ولا إماما مجتهدا ، ولكن الغرض أن يكون الطالب ملما بأصول عقائده وكيفية أداء العبادات .

ثالثا : وجود دينين مختلفين في المدارس المصرية ، وردت الجريدة على هذه الشبهة أن يكون الدين مادة أساسية يسير امتحانها كبقية المواد بشرط ألا تجمع درجاتها على بقية المواد ، أى لا يتوقف عليها ترتيب التلميذ وإن توقف عليها رسوبه ونجاحه وبذلك يهتم التلميذ بمادة الدين^(٢) ، وناشد الشيخ محمد الخضر حسين ملك البلاد بوجوب إدخال التعليم الديني في المدارس كشأن غيره من العلوم ، وأشار أنه لا يكفى في تعليم الدين أن تكون له جامعة كالأزهر ومعاهده ، وإنما الخير أن تكون روح الدين سارية في نفوس الأمة كلها^(٣) .

وبينما تطالب الصحف الإسلامية بإدخال التعليم الديني في المدارس العمومية

(١) الإخوان المسلمون ، عدد ٧ ، السنة الثالثة ، ٢٥ صفر ١٣٥٤ هـ ، ٢٨ مايو ١٩٣٥ م .

(٢) نور الإسلام « الأزهر » ، عدد ٥ ، ٢٠ جمادى الآخرة سنة ١٣٥٠ هـ .

وإصلاح شأن الأزهر فى مقابل التعليم المدنى ، ومحاربة الأساليب والمناهج الغربية والحد من علمنة التعليم ، وإحلال المفاهيم الإسلامية محل المفاهيم الغربية فى مجال التعليم إذا بالدكتور طه حسين يخرج علينا بكتابه : « مستقبل الثقافة فى مصر » ، هذا الكتاب الذى أحدث دويما فى جميع الأوساط الأدبية والتعليمية والصحفية ، وانقسمت إزاءه الآراء بين مؤيد ومعارض ، وامتألت صفحات الصحف المصرية بالجدل حول ما ورد فى هذا الكتاب من آراء ، وكان المؤيدون للدكتور طه هم الذين تربوا فى أحضان الثقافة الغربية ، والمفتونون بها ، أما المعارضون فكانوا من أنصار التيار الإسلامى والثقافة الإسلامية .

ظهر هذا الكتاب فى عام ١٩٣٨م بعد أن كثر الحديث فى الصحف المصرية عن مستقبل مصر بعد المعاهدة التى أبرمتها مع الإنجليز فى عام ١٩٣٦م ، فأراد طه حسين أن يرسم للناس سبيل النهضة التعليمية فى عهد نهضتها واستقلالها (١) ، ويلاحظ أن الدكتور طه حسين قد آمن بكل ما هو أوربى ، ونادى باقتباس الجوانب الإيجابية والسلبية للحضارة الأوربية فكتب يقول : « إن علينا أن نسلك سبيل الأوربيين ، حتى نكون شركاء متساوين لهم فى الحضارة بخيرها وشرها ، وحلوها ومرها » (٢) ، لأن مصر فى رعم طه حسين تمثل باستمرار جزءا من حضارة البحر الأبيض المتوسط التى شملت أوروبا والشرق الأدنى ، إذ يقول فى مقدمة كتابه : « إن العقل المصرى منذ عصوره الأولى عقل إن تأثر بشيء ، فهى أسرة الشعوب التى عاشت حول بحر الروم » .

وقد تصدرت الصحف الإسلامية لمزاعم هذا الكتاب ، وكان فى مقدمة الذين ردوا على الدكتور طه حسين الشيخ حسن البنا ، فى صحيفة النذير ، حيث صور الشيخ خطورة ما يدعو إليه هذا الكتاب من تطوير مناهج التعليم على حساب الفكرة الإسلامية ، وأشار إلى أن طه حسين ينحو فى هذا الكتاب منحى علمانيا خالصا (٣) .

وقد حذرت النذير طلاب الجامعة من قبولهم المطلق للفكر الغربى والبعد عن الإسلام ، موضحة أن سياسة التفريق بين التعليم المدنى والتعليم الدينى هى سياسة إنجليزية استعمارية ، وهاجمت توفيق الحكيم الذى انتصر لطله حسين وأبدى إعجابه بالفكر الغربى ، وأرجعت هذه الخطأ التى تريد النيل من الدين ، والتى تدرس فى كلية الآداب إلى السياسة الاستعمارية أيضا (٤) .

ومن الذين هاجموا طه حسين وردوا عليه الكاتب ساطع الحصرى ، حيث نشر

(١) د. محمد محمد حسين : الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر ، مرجع سابق ، جـ ٢ ص ٢١٩ .

(٢) طه حسين : مستقبل الثقافة فى مصر ، القاهرة : ١٩٤٨م ، جـ ١ ص ٤١ .

(٣) النذير ، عدد ٦ صفر ١٣٥٨هـ .

(٤) النذير ، عدد ١٣ صفر ١٣٥٨هـ نقلا عن د. زكريا سليمان بيومى : الإخوان المسلمون و .

الإسلامية ، ص ٥٢ .

سلسلة مقالات فى مجلة الرسالة بدأت فى ١١/٧/١٩٣٧م، سجل فى الأولى منها اتفاقه مع طه حسين فى أن عقلية الأوربى ليست أفضل من عقلية المصرى ، ولكنه اختلف معه فى المنهج الذى سلكه ، حيث وصفه بعدم التناسق وكثرة التداخل والارتجال والاستعجال والاستطراد.

وسجل فى مقالته الثانية مأخذه على المقدمات والبراهين التى بنى عليها طه حسين أحكامه ، وانتقد طه حسين فى اهتمامه باللغتين اللاتينية واليونانية ، ورأى أنهما من اللغات الميتة ، واتفق معه فى الاهتمام باللغات الحديثة كالفرنسية والإنجليزية . كذلك اشتد فى الهجوم على طه حسين الدكتور زكى مبارك، حيث كتب فى الرسالة مقالا مطولا بتاريخ ٢٣/١/١٩٣٩م انهال فيه على طه حسين نقدا وتهكما (١) .

كذلك هاجمت صحيفة المصلح - لسان حال جمعية مكارم الأخلاق الإسلامية - توفيق الحكيم وأنصار الفكر العلمانى ، الذين طالبوا بتعميم التعليم المدنى بعد صدور كتاب «مستقبل الثقافة فى مصر» للدكتور طه حسين (٢) .

واستقبلت الصحف الإسلامية تعيين الدكتور طه حسين مراقبا عاما لإدارة الثقافة فى وزارة المعارف بالاستياء والاستنكار ، وأرجعت موقفها ذلك لمنهج العلمانى فى التفكير والتأليف (٣) ، وهكذا ظلت الصحف الإسلامية تطالب بوجوب التعليم الدينى، حتى أثرت هذه المسألة فى مجلس النواب ، وشنت صحيفة النذير حملة على المعارضين لتدريسه مثل عباس العقاد ، وفكرى أباطة ، وفى الوقت ذاته أعلنت تأييدها لمن طالبوا بتدريسه من النواب ذوى الاتجاه الإسلامى وهم الدكتور عبد الحميد سعيد ، والشيخ محمد عبد الله دراز ، والشيخ عبد الوهاب النجار وغيرهم (٤) .

وتأسيسا على ما سبق عرضه يلاحظ أن سياسة التعليم فى مصر فى فترة ما بين الحربين العالميتين ، كان يسيطر عليها الاحتلال البريطانى ، الذى عمل على إعداد مجموعة من الذين تلقوا تعليمهم فى الغرب لتولى المناصب المهمة فى أجهزة الفكر والتوجيه المصرى ، حتى تشبع الأجيال القادمة بوجهة النظر الغربية ، وتظل على ولاء دائم لكل ما هو غربى فى الفكر والاجتماع والسياسة .

وكانت سياسة التعليم تهدف إلى تخريج موظفين فى دواوين الحكومة ، لا علماء

(١) الاهرام ، عدد ١١/٦ / ١٩٨٧م.

(٢) المصلح عدد ١٠ ، ٧ جمادى الأولى ١٣٥٧هـ ، ٥ يوليو ١٩٣٨م.

(٣) النذير ، عدد ١٨ ، غرة جمادى الأولى ١٣٥٨هـ ، ١٩ يونيه ١٩٣٩م، ود. زكريا سليمان بيومى: الإخوان

المسلمون والجماعات الإسلامية ، مرجع سابق ، ص ١٥٢ ، ١٥٣ .

(٤) النذير ، عدد ١٧ ، ٢٤ ربيع الآخر ١٣٥٨هـ ، يونيه ١٩٣٩م.

يأخذون بأيدي بلادهم إلى مصاف الدول الكبرى ، واستهدفت هذه السياسة أيضا محاربة الدين الإسلامي والتراث الإسلامي والعربي ، وقطع الصلة بين الماضي والحاضر .

وتصدت الصحف الإسلامية لاستمرار أوضاع التعليم في مصر كما رسمها الاحتلال ، وطالب كتابها بتحرير التعليم من السيطرة الإنجليزية ، والتوجه العلماني في مناهجه ، كما طالبوا بأن يكون الدين الإسلامي مادة أساسية في جميع مراحل التعليم وأنه لا يكفي في تعليم الدين أن يكون له جامعة - كالأزهر - ومعاهد .

وحذرت الصحف الإسلامية من إرسال البعثات الطلابية إلى أوروبا لدراسة العلوم الاجتماعية والإنسانية ، ورأت أن ما يجب أخذه من أوروبا ، هو العلوم التطبيقية دون أن ننسلك من عقيدتنا ، ومقومات حياتنا ؛ لأنه لوحظ أن البعثات التي ذهبت إلى أوروبا في مرحلة ما بين الحربين ، اتجهت إلى دراسة العلوم الاجتماعية والإنسانية ، بعد أن كانت في عصر محمد علي ترسل إلى أوروبا لدراسة العلوم التطبيقية ، وهذا أمر له دلالة في تغريب التعليم والحياة المصرية .

وحاربت الصحف الإسلامية المدارس الأجنبية العلمانية والتبشيرية التي انتشرت في البلاد المصرية ولاسيما المدارس الأمريكية والجامعة الأمريكية بالقاهرة ، وأبرزت مساوئها وخطورتها على الدين الإسلامي والفكر المصري ، وعارضت الأخذ بمفاهيم التربية والنظريات الغربية في مجال التعليم دون نقد وتمحيص ، والتفرقة بين ما يصلح وما لا يصلح .

وعلى صعيد آخر دعت إلى الاهتمام بالتربية الإسلامية في مناهج التعليم وتربية النشء المصري على أساس إسلامي ، ورفضت تقسيم التعليم المصري إلى تعليم ديني وآخر مدني .

وعملت الصحف الإسلامية أيضا على مقاومة التيار التغريبي في الجامعة المصرية ، والذي حاول أن يجعل من هذه الجامعة نسخة من الجامعات الغربية وخاصة هجوما على الدين ، وإبعاده عن قيادة شؤون المجتمع ، وانتقدت المؤلفات التي تنادى باقتباس الجوانب الإيجابية والسلبية للحضارة الغربية ، وطبع الحياة المصرية بالطابع الغربي ، وكان من أبرز هذه الكتب في تلك الفترة ، كتاب طه حسين : « مستقبل الثقافة في مصر » .

وأخذت الصحف الإسلامية موقفا معارضا من قضية الاختلاط بين الجنسين في مقاعد التعليم بجميع درجاته وأنواعه ؛ لأنه ناشئ عن تقليد الغرب ، فضلا عن خروجه عن تعاليم الإسلام وأحكامه . وقد رأى قادة الصحافة الإسلامية إصلاح التعليم في الأزهر لمواجهة التعليم العلماني في الجامعة المصرية ، وأكدت الصحف الإسلامية أن الذي ساعد على تغريب التعليم في مصر هو حالة الضعف التي حلت بالأزهر ، وعلى

الرغم من بعض الانتقادات التي وجهتها الصحف الإسلامية إلى نظام التعليم في الأزهر إلا أنها كانت ترجو من وراء ذلك أن يكون له وزن في الإشراف على منهج التعليم ، وأن يدلى برأيه إزاء ما أحدثته المدنية الحديثة من تطور في مجال المعاملات المالية والاقتصادية وما إليها ، وأن يعمل على تنقية ما بثه الأوروبيون في كتبهم مما يتعلق بالإسلام ، والعناية بالتراث الديني والعلمي .

وكانت الدعوة إلى إصلاح الأزهر أن يحتفظ بشخصيته في حفظ التراث الإسلامي واللغة العربية ، والشريعة الإسلامية ، مع الاحتفاظ بروح العصر وعلومه ، فلا ينطوي على نفسه ويرمى بالجمود ، أو يكون نموذجاً للمدارس العصرية « العلمانية » .

وقد ظلت الصحف الإسلامية تحارب المنهج الغربي في التعليم ، وتطالب بوجوب التعليم الديني ، وتعميمه في المدارس العمومية ، حتى أثارت هذه المسألة في مجلس النواب للبت فيها ، وكان في مقدمة الذين أسهموا في التصدي لتغريب التعليم في مصر وإصلاح الأزهر من أنصار الاتجاه الإسلامي : رشيد رضا ، ومحج الدين الخطيب ، وحسن البنا ، وشكيب أرسلان ، وصالح عسماوى ، وأبو زيد شلبى ، والشيخ عبد الباقي سرور ، ومحمد إسماعيل عبد النبى ، والشيخ محمد الخضر حسين ، والدكتور يحيى الدرديرى ، والشيخ محمد مصطفى المراغى ، والشيخ محمد عرفة ، والشيخ محمد حسنين مخلوف ، والشيخ محمود أبو العيون ، والشيخ عبد العزيز جاويش ، ومحمد أفندى درويش .

المبحث الخامس

صحافة الاتجاه الإسلامى ومعركة الحفاظ على اللغة العربية

يتناول هذا المبحث دور الصحافة الإسلامية وكتابها من الحملات الشرسة التى استهدفت النيل من اللغة العربية ، والقضاء عليها ، ومواجهة الدعوة إلى العامية والدعوة بأن يكون التدريس فى المدارس المصرية باللغة الإنجليزية ، وإقصاء اللغة العربية من مجال التعليم ، فضلا عن الدفاع عن التراث والأدب العربى .

كانت الحملة على اللغة العربية جزءا من محاولات الاستعمار البريطانى للقضاء على أبرز رافد من روافد الثقافة الإسلامية والعربية فى مصر ؛ ولهذا أعد الاستعمار الكثير من الخطط ليصل إلى هذا الهدف ، فحاول أن يجعل التعليم باللغة الإنجليزية ليقضى على اللغة العربية لغة القرآن الكريم والسنة النبوية والتراث والفكر الإسلامى ، وكان يهدف من وراء ذلك أيضا أن يقطع صلة مصر الحديثة عن ماضيها الإسلامى وقطع صلتها بالأقطار العربية الأخرى (١) ؛ لأنه أدرك أن اللغة العربية هى الرباط الذى يوحد بين أقطار العروبة والإسلام ، ويربطها بالقرآن مع سائر أوطان الإسلام فى الوقت ذاته ، فالحرب إذاً على العربية الفصحى كانت من أجل القضاء على كل أمل فى الوحدة العربية والإسلامية (٢) .

ومن أبرز خطط الاستعمار فى القضاء على الفصحى فى مصر ، الدعوة إلى العامية (٣) ، فقد حاول إقناع المصريين بأن سبب تأخرهم فى ميدان الحياة وتخلفهم عن الأوربيين فى الابتكار العلمى والأدبى هو تمسكهم بالأساليب العربية الفصحى ، وأن الأولى لهم أن ينهضوا باللغة العامية ، حتى يسايروا ركب الحضارة . . ولن يسايروها إلا إذا كانت الكتابة باللغة العامية ؛ لأنها فى رعمهم لغة حية ويفهمها جمهور الشعب (٤) .

(١) عبد الرشيد سالم : مقدمات النهضة الأدبية وعواملها فى مصر ، القاهرة : مكتبة وهبة ، ١٩٧٧م ، ص ١٠٢ .

(٢) محمد سيد محمد : المسؤولية الإعلامية فى الإسلام ، القاهرة : الخانجى ، ١٩٨٣م ، ص ١٦٢ .

(٣) لم تظهر الدعوة إلى العامية فى مصر قبل ظهور الدعوة الأجنبية التى نادى باتخاذ العامية أداة للتعبير الأدبى وكان فى مصر من دعا إلى ضبط العامية ومن استخدم العامية فعلا فى الكتابة ، ولكن لم يكن هدفه ضبط العامية أو استخدامها رفع العامية إلى الاستعمال الكتابى ، حتى تتمكن من القضاء على الذى واحتلال مكانها ، كما كان يهدف دعاة العامية من الأجانب ، وإنما كان هدفهم هو استخدام العامية لمواضع مخصصة للترفيه عن العامة حيناً ، ولتثقيفهم وتهذيبهم حيناً آخر ، على أن تظل للفصحى مكانة كلفة للأدب الرفيع والثقافة الإسلامية العامة .

انظر : نفوسة زكريا : تاريخ الدعوة إلى العامية فى مصر وآثارها ، ط ١ ، الاسكندرية ١٩٦٤م .

(٤) عمر الدسوقي : فى الأدب الحديث ، ط ١ ، القاهرة : دار الفكر العربى ، ١٩٧٠م ، ج ٢ ، ص ٤٠ .

وكان من الذين أخذوا على عاتقهم الدعوة إلى العامية في مصر إبان الاحتلال البريطاني جماعة من الأوربيين ، أبرزهم الدكتور ولهم سبتيا الألماني الجنسية ، الذى كان يعمل مديرا لدار الكتب المصرية ، ومنهم الدكتور كارل فولورس الألماني أيضا وأحد كتاب دائرة المعارف الإسلامية ، وسلدن مور الإنجليزي الجنسية ، وكان قاضيا بالمحاكم الأهلية فى القاهرة ، ووليم ويلكوكس الإنجليزي الجنسية ، وكان مهندسا للرى فى القاهرة .

ويعتبر الدكتور سبتيا الرائد الأول لكل من كتب فى العامية المصرية من الأجانب وفى عام ١٨٨٠م وضع كتابا بالألمانية عن قواعد العربية فى مصر ، ومن هذا الكتاب انبثقت الدعوة إلى اتخاذ العامية المصرية لغة أدبية ، ومنه أيضا جاءت الشكوى من صعوبة العربية الفصحى ، فضلا عن أنه أول من اقترح اتخاذ الحروف اللاتينية لكتابة العامية ، تلك الحروف التى نودى باستخدامها فيما بعد لكتابة العربية الفصحى (١) .

ووضع الدكتور فلورس الألماني فى عام ١٨٩٠م كتابا بالألمانية عن اللهجة العربية فى مصر ، وترجمه إلى الإنجليزية فى عام ١٨٩٥م ، ونهج فلورس فى كتابه نهج سبتيا فاستنبط حروفا لاتينية لكتابة العامية ودرس قواعدها وأورد كثيرا من نصوصها (٢) .

وفى تلك الأثناء كان وليم ويلكوكس مهندس الرى الإنجليزي الذى قدم إلى مصر فى عام ١٨٨٣م ، يحارب الفصحى بالدعوة إلى إبعادها عن ميدان الكتابة والأدب وإحلال العامية مكانها ، وقد ألقى خطبة فى نادى الأريكية ، وذكر فيها أن العامل الأكبر فى فقد قوة الاختراع لدى المصريين هو استخدام اللغة العربية الفصحى فى القراءة والكتابة ، ونصحهم باتخاذ العامية أداة للتعبير الأدبى (٣) .

وهكذا يظهر التجنى الواضح والحرب السافرة على اللغة العربية الفصحى من قبل الأجانب المقيمين فى مصر ، وإلا فما هى العلاقة بين قوة الاختراع واللغة العربية الفصحى؟ وما الفائدة أن تكتب العربية بالحروف اللاتينية ؟

وقد نشر ويلكوكس محاضراته السابقة فى مجلة الأزهر (٤) فى عهدها الجديد بعد أن انتقل إليه امتيازها ، وظهرت كحلقة من حلقات نشر الدعوة لاستخدام العامية وإحلالها

(١) المرجع السابق نفسه . (٢) المرجع السابق ، ص ٢٤ .

(٣) سامى عزيز : الصحافة المصرية وموقفها من الاحتلال الإنجليزي ، القاهرة : ١٩٦٨م ، ص ٢٩١ .

(٤) مجلة الأزهر مجلة علمية أدبية ، ليست هى مجلة الأزهر المشهورة الآن ، أنشأها إبراهيم مصطفى وحسن رفقى عام ١٨٨٧م باسم الصحة للاهتمام بالأنباء الطبية والمقالات الأدبية والعلمية ، ثم أطلقا عليها اسم الأزهر ، وبعد أن استمر فى إصدارها خمس سنوات حتى نهاية عام ١٨٩٢م نطت بهما أعمال أوسع من أعمالهما الأولى ، فتخلياً عن إصدار المجلة إلى المهندس الإنجليزي وليم ويلكوكس والأستاذ أحمد الأهرى . انظر : سامى عزيز : الصحافة المصرية وموقفها من الاحتلال الإنجليزي ، مرجع سابق ، ص ٢٩١ .

محل الفصحى فى التعليم والأدب ، رغم أنه قد أعلن فى بداية توليه لها فى عام ١٨٩٢م أنها ستخصص لنشر العلوم الرياضية ، وتكون موضع أبحاث المهندسين (١) .

وهذه الفكرة تعلن لأول وهلة عن خبث صاحبها وخداعه ، إذ أن اسم مجلة الأزهر يعطى للقارئ المصرى وغيره انطباعاً بأنها تتحدث بلسان الأزهر ، فيقبل ما تمليه عليه بسهولة ويسر ؛ ولهذا السبب جعلها ويلكوكس متخصصة فى الحرب على اللغة العربية الفصحى والدعوة إلى العامة .

وفى عام ١٩٠١م وضع سلدن مور القاضى الإنجليزى كتاباً فى الإنجليزية عن العامة المصرية بعنوان: « العربية المحكية فى مصر » ، سار فيه على نمط سابقه فى دراسة العامة المصرية ، سواء فى دراسة قواعدها وجمع نصوصها أم فى الدعوة إلى كتابتها بحروف لاتينية واتخاذها لغة أدبية ، وكانت له وسائله الخاصة فى تدعيم تلك الدعوة التى صادفت هوى فى نفسه ، فاستغلها ليحقق هدفاً من أهداف الاستعمار البريطانى ، وهو فصل المسلمين والعرب عن ماضيهم ، وتفتيت وحدتهم اللغوية بالقضاء على الفصحى (٢) .

ولم يقتصر الاستعمار البريطانى فى محاربة اللغة العربية على الدعوة إلى العامة من خلال إصدار بعض الكتيبات التى تنادى بذلك ، أو إلقاء المحاضرات أو كتابة المقالات فى الصحف ، بل إنهم فرضوا على تلامذة المدارس أن يتعلموا اللغة الإنجليزية ، وجعلوا إتقان هذه اللغة شرطاً للتوظيف فى الحكومة ، وأرغموا على باشا مبارك على أن يصدر قراراً ينص فيه على أن تكون لغة التعليم فى المدارس المصرية هى اللغة الإنجليزية (٣) .

ولما انتهت الحرب العالمية الأولى اشتدت الحملة ضد اللغة العربية ولاسيما حين تبنى الدعوة إلى الهجوم على العربية الفصحى نفر من المصريين أنفسهم ، وعلت صيحات المستغربين تنادى بضرورة خلق أدب قومى يكون مستقلاً عن آداب الشعوب الشرقية الأخرى الناطقة بالضاد ، وأن تغدوا اللهجات المحلية لغة الأدب ، فتقوم على أنقاض العربية الفصحى لغة مصرية ، وأخرى شامية ، وثالثة عراقية ، على نحو ما آل إليه أمر اللاتينية ، حين تحولت إلى الفرنسية والإيطالية والإسبانية ، وزعم بعضهم أن مصر ورثت من غزاتها الجدد - يعنى العرب - الإسلام واللغة ، ولكنها حافظت على خواصها القومية ، ولم تكن عربية قط (٤) .

(١) المرجع السابق ، ص ٢٩١ .

(٢) نفوسة زكريا : تاريخ الدعوة إلى العامة فى مصر وآثارها ، مرجع سابق ، ص ٢٥ ، ٢٦ .

(٣) عمر الدسوقي : فى الأدب الحديث ، مرجع سابق ، ج٢ ، ص ٣٨ .

(٤) مجلة كلية البنات الإسلامية بأسبوط ، بحث بعنوان : « اللغة العربية بين محاربة الأعداء وعقوق الأبناء » بقلم

د. محمد بدر مبدى ، عام ١٩٨٦م ، ١٤٠٦هـ .

وقد انحصرت الدعوات التى أثارها دعاة التغريب لإقصاء اللغة العربية فيما بين الحريين العالميتين فيما يلى :

١ - طالب البعض بإصلاح قواعدها ، والبعض الآخر نادى بالتحول عنها إلى العامية .

٢ - من ناحية الكتابة العربية دعا البعض إلى إصلاح قواعدها ، فى حين رأى البعض التحول عنها إلى الحروف اللاتينية .

٣ - دعا البعض إلى العناية بالأدب الحديثة وما يتصل منها بفكرة القومية بخاصة ، والعناية بالأدب الشعبى ، والحكايات الشعبية ، وكل ما هو متداول بغير العربية الفصحى (١) ، التى تجمع بين الشعوب الإسلامية ، والمقربة بينهم فى التفاهم والتخاطب ، فالدعوة إذًا إلى تركها أو استبدال غيرها بها المقصود منها تمزيق الشعوب الإسلامية والعربية كما أشار إلى ذلك محمد سعيد العرفى فى صحيفة الهداية الإسلامية فى مقال بعنوان : « اللغة العربية رابطة الشعوب الإسلامية » (٢) .

وكان دعاة التغريب يكثر من الحديث عن آداب الغرب والفنون الأدبية المستحدثة ، ويشيدون بمذاهب الأدب الغربى ، ويرمون المتمسكين بالتراث العربى من المصريين بالرجعية والجمود ، والهدف من وراء هذه الدعوات هو تنشئة جيل من المصريين ، لا يستطيع أن يتذوق أساليب البيان العربى الأصيلة ، فى الوقت الذى يتوفر فيه على دراسة أساليب البيان الغربى وموضوعاته .

وقد لجأت بعض الصحف المصرية إلى نقل أسوأ القصص الغريبة الرخيصة ، وكانت لا تفعل سوى تغيير أسماء القصة إلى العربية ، وبذلك أصبحت القصة معرضا للنماذج المنحرفة والمثيرة للغرائز والشهوات ، وتقدم باسم الواقعية تارة ، وباسم التحليل النفسى تارة أخرى ، وخاصة بعد أن دخلت القصة إلى ميدان التمثيل واستخدمت العامية فى الإلقاء (٣) .

والى هذه القصص الماجنة أشار محمد الغمراوى فى نقده لطفه حسين وكتابه « الشعر الجاهلى » حين قال : « خذ إليك مثلاً تلك القصص الفرنسية التى يترجمها صاحب الكتاب من آن لأن يلهى بها كثيراً من النشء ، ويضل بها كثيراً ، هل ترى بينها وبين روح هذه الأمة صلة أو بينها وبين روح هذه اللغة صلة ؟ ، وإذا لم يكن فهل فيها شئ يجدد

(١) محمد محمد حسين : الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر ، جـ ١ ، ص ٣٤٩ ، ٣٥٠ .

(٢) الهداية الإسلامية ، جـ ٢ ، م ٤ ، رجب ١٣٤٩ هـ .

(٣) محمد حسين : الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر ، ص ٣٣٧ .

من عناصر الفضيلة والطهارة الروحية فى هذه الأمة ويعينها على سبيل العزة التى تريدها ،
إننا لا نظن أحدا دخل تلك القصص وخرج منها وهو أقرب إلى الفضيلة والعفاف منه قبل
بدئها . . ولو كنا ضاربين مثلا لضربنا الزنبة الحمراء التى ألفها أنا تول فرانس ولخصها
صاحب الكتاب لمجلة الهلال « (١) .

ولكن أخطر دعوة على الفصحى كانت الدعوة إلى العامية ؛ لأنها أخذت فى
الانتشار بعد اتخاذ اللهجة العامية فى المسرح الهزلى ، ثم انتقلت إلى المسرح الجدى ،
حين تجرأت عليه وقتذاك فرقة تميلية تتخذ اسما فرعونيا ، وهى فرقة رمسيس ، فوجدت
مسرحياتها إقبالا من الجماهير ورواجا بينهم ، وظهرت السينما من بعد فاتخذت هذه
اللهجة ، ولم يعد للعربية الفصيحة وجود فى هذا الميدان ، ثم ظهرت اللهجة العامية أيضا
فى الأدب المكتوب واستعملها كثير من كتاب القصة فى الحوار ، وكان أول ما ظهر فى
هذا الميدان « رواية زينب » للدكتور محمد حسين هيكل ، التى كتب حوارها باللغة
العامية (٢) .

وراجت الدعوة إلى تمصير الأدب العربى واللغة العربية ، وقد ناقشت مجلة الهداية
الإسلامية هذه الدعوة ، وأشارت إلى أن هذه الدعوة لا يريدون منها أن الشاعر المصرى،
أو الكاتب المصرى يجب أن تظهر فى شعره وكتابات الروح المصرية والحياة المصرية بكل ما
فيها ، كما يزعمون ، فهذا كله متسع له الأدب العربى ، وأكدت أن الهدف من هذه
الدعوة « هو الاستعاضة عن الكلام الموافق لقواعد اللغة العربية وأحكامها والجارى على
أصولها وقوانينها باللغة العامية الدارجة الخالية من قيود النحو والصرف والعروض
والقوافى ، وبقيّة علوم اللغة واللسان ، بحيث تحل لهجات العامة والدهماء فى الكلام
المنثور محل اللغة العربية الفصيحة الجارية على سنن العلوم والقواعد ، وتحل المواويل
والطقاطيق والمنولوجات فى الكلام المنظور محل القصائد والأراجيز المصنوعة وفق قانون
الوزن والتقفية » .

ومضت الصحيفة تهاجم أنصار هذه الدعوات قائلة : « إن هذه الدعوة تدل على
جهل أصحابها بحيث لا يمكنهم التحدث بالفصحى ومجاعة المتكلمين بها ، أو أنهم معاول
هدم وتخريب للآداب العربية ولغة القرآن الكريم » (٣) .

ويلاحظ أن دعوة ويلكوكس - مهندس الرى الإنجليزى - إلى هجر اللغة العربية إلى
العامية قد تجددت مرة أخرى فى عام ١٩٢٦ م ، وخطأ بهذا الاقتراح خطوة عملية ،

(٢) المرجع السابق ، ص ٣٤٣ ، ٣٤٤ .

(١) المرجع السابق ، ص ٣٤٠ .

(٣) الهداية الإسلامية ، ج ١ ، م ١ ، جمادى الآخرة ١٣٤٧ هـ ، مقال بعنوان : « تمصير الأدب العربى والدعوة
إليه » بقلم فكرى يس .

فترجم أجزاء من الإنجيل إلى ما سماه اللغة المصرية، ونوه سلامة موسى بالسير ويلكوكس وأيده ، باستبدال اللغة الدارجة استبدالاً كاملاً باللغة الفصحى ، وتغيير الحروف العربية إلى حروف لاتينية مثل ما قام به مصطفى كمال أتاتورك في تركيا (١) .

وقد أثارت هذه الحرب السافرة من قبل دعاة الاستعمار والتغريب ضد اللغة العربية سخط الأدباء والكتاب في تلك الفترة ، فانبروا يدافعون عنها ، وألفت الجمعيات الأدبية لنشر الفصحى والزود عنها ، ومقاومة اللغة العامية وطغيانها (٢) ، وقد أدت الصحف الإسلامية دوراً كبيراً في هذه المعركة ومقاومة دعاة التغريب والاستعمار ، الذي حاول أن يثد اللغة العربية وينشر لغته في مصر ويروج لها، وحارب العربية كلغة، بل وحارب الحرف العربى أيضاً (٣) .

ونادى أنصار الاتجاه الإسلامى فى الصحافة المصرية بأن تكون لغة التعليم فى البلاد المصرية هى اللغة العربية ، وذكر أحمد وفيق رئيس تحرير صحيفة اللواء الجديد « أن كل ما يقال فى تبرير التعليم باللغة الإنجليزية ، ليس إلا تبريراً فى الواقع لبقاء النفوذ الأجنبى فى البلاد» ، واستطرد قائلاً : « نحن نريد أن تكون لغتنا العربية أداة التعليم بكل أنواعه؛ لأن اللغة أعظم مظاهر القومية ، ولأننا نبغى الاستقلال الفكرى كما نبغى الاستقلال السياسى ، ولا سبيل إلى الاستقلال الفكرى إلا بالاستقلال اللغوى الذى هو عنوانه ومظهره ، وإن تاريخ القوميات الناهضة فى أنحاء العالم قد اقترن باللغات الأهلية » (٤) .

وأشار رشيد رضا فى تقديمه للمجلد التاسع عشر من المنار إلى أن الدعوة إلى العامية هى إحدى ركائز التغريب ، وأن الهدف الذى يبتغيه الملاحدة فى مصر من هذه الدعوة هو القضاء على الإسلام وكتابه الكريم (٥) .

وكتب الشيخ مصطفى محمد أبو زيد فى « الفتح » يهاجم دعاة العامية والصحف

(١) عفاف لطفى السيد : تجربة مصر الليبرالية ، ص ٣٥٩ ، ود. محمد حسين : الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر ، ج ٢ ، ص ٣٤٥ .

(٢) عمر الدسوقي : فى الأدب الحديث ، مرجع سابق ، ص ٤٥ .

(٣) محمد سيد محمد : المسؤولية الإعلامية فى الإسلام ، ص ٣٨ .

(٤) اللواء الجديد ، ١٠ يوليو ١٩٢٢ م .

(٥) نوه رشيد رضا بشأن المجمع اللغوى الذى تكون فى دار الكتب السلطانية فى عام ١٩٢٥م لإصلاح امر اللغة العربية ، وكان من أبرز أعضائه الشيخ سليم البشرى شيخ الجامع الأزهر ورئيس المجمع ، والشيخ محمد بخيت مفتى الديار المصرية ، والسيد محمد البيلاوى ، والشيخ أحمد إبراهيم ، والشيخ أحمد السكندرى ، وأحمد براهه بك ، وأحمد تيمور بك ، وأحمد زكى باشا ، وأحمد لطفى السيد ، وغيرهم ، وكان غرض هذا المجمع هو خدمة اللغة العربية ووضع معاجم عصرية شاملة لاصطلاحات العلوم والفنون والصناعات ، واستبدال الكلمات العامية أو الأعجمية التى لم يعرب من قبل غيرها من الالفاظ العربية الموضوعية للدلالة على معناها ، ويكون وضع الكتب بطريقة المجاز أو الاشتقاق أو التحت أو غير ذلك .

المروجة لهذه الفكرة ، ويستنهض علماء الأزهر وشيوخه لمقاومة الدعوة إلى العامة ويدعو الحكومة أن تترصد لقائلها ، وتضرب على أيديهم ، كذلك أكد على خطورة العامة على الجنسية العربية ، حيث تؤدي إلى تفككها ، وتشيت أواصر الوحدة بينها .

وحينما صرح زكى باشا مبارك فى صحيفة « مصر الحديثة » المصورة فى عددها الصادر فى ٢٤ أبريل ١٩٣٠م فى حديث له بالدعوة إلى استبدال الحروف العربية وكتابتها بالحروف اللاتينية أسوة بتركيا وقال : « إنى أشجع كل حركة ترمى إلى إصلاح الحروف العربية ، ولو كان ذلك أن تتبدل بجملتها وأن نكتبها من اليسار . . ولنا أسوة بأمة شرقية ناهضة سبقتنا فى هذا السبيل - يقصد تركيا » أثار هذا التصريح ثائرة كتاب الصحافة الإسلامية وحماة الدين واللغة العربية ، وانبروا للرد عليه ، ونشرت الفتح سلسلة مقالات للرد على هذا التصريح ، وذكر محب الدين الخطيب أن هذا فيه إبطال للحروف العربية والاستعاضة عنها باللاتينية بعد أن أدت هذه الحروف العربية دورها منذ أربعة عشر قرناً من الزمان ، وتساءل الخطيب مستنكراً : هل حقاً يرى زكى باشا فرنجة اللغة العربية وحروفها ؟ وهل يود أن يجعل الأبجدية اللاتينية محل الأبجدية العربية فى دار العروبة ، فى جزيرة الفسطاط ، كما حلت فى الأندلس الذى يسميه الباشا الفردوس الإسلامى المفقود ١٩ (١) .

وأشار الشيخ محمد الخضر حسين فى صحيفة نور الإسلام إلى أنه لو فرضنا أن شعوباً غير عربية رضيت أن تتخلى عن لغاتها ، فإن الشعوب التى تنطق باللغة العربية أحرص الناس على حياة لغتهم ؛ لأن اللغة العربية لغة القرآن الذى هو معجزة الرسالة ومطلع الهداية ، فضلاً عن أن اللغة العربية استوعبت كل العلوم والحضارة لما تتميز به من غزارة مادتها وإحكام أساليبها (٢) .

ورد الدكتور يحيى الدرديرى على الذين يتهمون اللغة العربية الفصحى بالقصور قائلاً : «إن اللغة العربية التى صلحت فى الزمن الماضى ، صالحة لترجمة ما تريده الأمم الإسلامية من الثقافة الغربية ، وأبرز دليل على ذلك ماتم نقله من الكتب الطبية والكيميائية والهندسية والقانونية إلى اللغة العربية ، ولم تعجز العربية عن التعبير عنه» (٣) .

وأكد فكرى يس الدمشقى فى مجلة الهداية الإسلامية على تعارض الدعوة إلى العامة مع الميول الفطرية للجماهير المسلمة ، ومع السر الجليل المكنون فى قوله تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر] ، ومن جهة أخرى فإنها تتعارض مع

(١) الفتح ، عدد ٢٠٢ ، ٨ محرم ١٣٤٩هـ ، وعدد ٢٠٤ ، ٢٤ محرم ١٣٤٩هـ .

(٢) نور الإسلام ، ج ٤ ، م ٣ ، ربيع الآخر ١٣٥١هـ .

(٣) الشبان المسلمون ، ج ١ ، م ٢ ، جمادى الأولى ١٣٤٩هـ ، أكتوبر ١٩٣٠م .

مهمة علماء الأدب العربى فى بلاد الإسلام ، ومع واجبههم الأدبى والدينى المنوط بهم فى حفظ كيان اللغة العربية (١) .

وكتب الشيخ صادق عرجون فى مجلة الأزهر سلسلة مقالات سجل فيها أن اللغة العربية تتعرض لثورة عاصفة من قبل دعاة الإصلاح الأدبى ، وهذا الإصلاح يعتمد على وسائل لا تتفق مع طبيعة الشرق وبيئته ولا مع نشأة هذه اللغة وأطوارها ، فنادى بعضهم بإحلال العامة محل الفصحى فى المعاهد والمدارس تلقيناً وتدریساً وتأليفاً ، وأوضح أن الهدف من ذلك « هو وأد البقية الباقية من لغة القرآن الكريمة ، ودفع الشعوب العربية إلى بلبة بربرية لا أصول لها ولاقاعدة » ، وأضاف الشيخ عرجون « أن بعض هؤلاء الدعاة تدفعه إلى اختيار هذا الطريق الشائك المعروق لنهضة الأمة نزعة عنصرية لا تقدر للعلم حرمة ، ومنهم من يدفعه إليه شعور بالعجز عن القيام بأعباء اللغة العربية وقواعدها الفنية، نحواً وصرفاً وبلاغة وعروضاً وأدبا ، ومنهم من ينادى بحذف كثير من أبواب القواعد محتجاً بصعوبتها ، وتعدد ضوابطها ، وكثرة صورها وبعضهم ينادى بإنكار مآثور الأدب العربى شعراً ونثراً، وينكر على البلاغة العربية شخصيتها ، ويزعم أنها مأخوذة من البلاغة الأجنبية » (٢) .

وهكذا أظهر الشيخ صادق عرجون أبرز ما تعرضت له اللغة العربية من اتهامات كان الدافع إليها فى الغالب نزعة عنصرية ، أو عدم القدرة على تذوق الفصحى وقواعدها وأدبها نثراً وشعراً ، ولكن هذه الاتهامات من شأنها أن تقضى على لغة القرآن الكريم وتعوق نهضة الأمة العربية والإسلامية ، وتقضى على كل أمل فى الوحدة السياسية والثقافية والدينية ، وتساعد على نشر الثقافات الدخيلة ورواج فكرة الإقليمية والعنصرية .

فضلاً عن ذلك ، حفلت الصحف الإسلامية بالمقالات والتعليقات التى تندد بالدعوة إلى كتابة الحروف العربية باللاتينية ، وذكرت المنار الحديث الذى دار بين محرر الأهرام والمستشرق الإنجليزى إدوارد نيسون روسى - مدير مدرسة اللغات الشرقية فى لندن - الذى أجاب على سؤال محرر الأهرام : هل من المبشر استبدال الحروف اللاتينية بالعربية ؟ قال : « إياكم وهذا الأمر ، إنى أفهم اقتباس الحروف اللاتينية فى بلاد مثل تركيا أو إيران

(١) الهداية الإسلامية ، ج١ ، م ١ ، جمادى الآخرة ١٣٤٧هـ .

وحينما ذهب الدكتور طه حسين مندوباً إلى مؤتمر المستشرقين السابع عشر بجامعة أكسفورد ، وألقى هناك محاضرة عنوانها : « ضمير الغائب واستعماله إسم إشارة فى القرآن الكريم » ونشرت مجلة الرابطة الشرقية ملخص هذه المحاضرة ، أشارت مجلة الهداية الإسلامية إلى ما جاء فيها من أغلاط نحوية ، وما وقع فيه الدكتور طه حسين من عثرات ، تخالف القواعد النحوية المشهورة ، وأبرزت المجلة رأى النحويين فى الرد على الدكتور طه حسين ، وقد اشتمل هذا الرد على ٣٢ صفحة ، كتب هذا البحث الشيخ محمد الخضر حسين .

الهداية الإسلامية ، ج٢ ، م ١ ، رجب ١٣٤٧هـ .

(٢) الأزهر ، ج١ ، م ٩ ، محرم ١٣٥٧هـ والأعداد بعده .

أما فى مصر ، فالحذر من هذا ؛ لأن الحروف العربية هى حروف لغة القرآن ، وإذا مستم الحروف العربية مستم القرآن ، بل هدمهم صرح وحدة الإسلام . . فالعربية يجب ألا تمس ؛ لأنها إذا ضاعت ضاع الإسلام » (١) .

ويبدو من هذا الكلام أن الدعوة إلى كتابة الحروف العربية باللاتينية هى دعوة مغرضة ، الهدف منها القضاء على لغة القرآن الكريم ، وهدم الكيان الإسلامى الذى بنى عليه ، بل ضياع الإسلام ذاته .

وقد دافعت الصحف الإسلامية عن الأدب العربى والتراث العربى والشعر الإسلامى والعربى الذى هوجم من قبل الصحافة التغريبية ورواد الفكر العلمانى فى مصر ، فقد هاجمت جريدة السياسة شعر أحمد رامى فى مقال لها بعنوان : « العقلية العربية وشعر أحمد رامى » ، وانصب هجومها على تمسكه بنظام الشعر العربى الفصيح ووزنه وقافيته وذوقه العربى ، واتهمته لذلك بالجمود والرجعية والتخلف (٢) .

غير أن رشيد رضا انبرى للرد على السياسة قائلا : « كأن جريدة السياسة تدعوه إلى جمعية التجديد لينسخ من سليلته العربية ، ويتبرأ من فطرته الإسلامية ، ويتكلف تقليد الإفرنج ، فى ترك القوافى والأوزان العربية فيكون من جمعية المجددين » (٣) .

وكتب محمد على أحمد - من مشايخ الأزهر - فى « الفتح » يقرر أن الحملة التى تشنها جريدة السياسة والسياسة الأسبوعية على اللغة العربية بزعم إصلاحها وتطويرها الهدف منها « طمس اللغة العربية لغة القرآن الكريم ، والرابطة الوحيدة بين الأمم الشرقية فى مثل هذا الزمن الذى تفككت فيه عرى الشرق ، وصار مقسما بين الأمم الغربية » ، واستطرد الشيخ محمد على فى مقاله مفندا مزاعم الكتاب الذى يبررون كتابة العربية باللاتينية بزعم أن لغة النطق فى العربية تخالف لغة الكتابة (٤) .

وذكر محب الدين الخطيب أن اللغة العربية هى اللغة القومية لمائة مليون من العرب ، وهى اللغة الدينية والشرعية والعلمية لأكثر من ثلاثمائة مليون آخرين من المسلمين غير العرب ، أراد الله لها أن تكون لسان آخر الديانات وأكملها ، وبين حكمة اختيار المولى - عز وجل - لغة العرب لتكون لغة الإسلام ، ذلك لكونها أكمل اللغات وأكثرها استعدادا للمحافظة على هذه المنزلة من التفوق والكمال (٥) .

(١) المنار ، جـ ١٠ ، م ٢٩ ، رجب ١٣٤٧ هـ ، يناير ١٩٢٩ م .

(٢) السياسة ، ١٣ أغسطس ١٩٢٦ م ، ٢٢ محرم ١٣٤٥ هـ .

(٣) المنار ، جـ ٥ ، م ٢٧ ، محرم ١٣٤٥ هـ ، أغسطس ١٩٣٦ م .

(٤) الفتح ، عدد ٢٣١ ، ٥ شعبان ١٣٤٩ هـ .

(٥) أنور الجندى ، الفتح ، تاريخ الصحافة الإسلامية ، جـ ٢ ، ص ٤٠١ ، ٤٠٢ .

وحينما كتب طه حسين فى السياسة الأسبوعية مقالا بعنوان : « الأدب المصرى الحديث وأثره فى الثقافة العربية » مطالبا بتطبيق مذهب ديكرات فى دراسة الآداب العربية، هذا المذهب الذى يعتمد على الشك فى القديم وعدم التسليم به ، ويرى طه حسين أن الآداب العربية لا يمكن أن تزدهر إلا بإخضاعها لهذه الطريقة فى البحث التى يحاول المجددون من أنصار المدرسة الحديثة فى مصر نشرها وتطبيقها فى كل المجالات(١) - رد عليه الشيخ رمضان الجداوى ، مشيرا إلى أن هذا المذهب لا ينطبق على المسلمين؛ لأن هناك بعض المسائل التى صارت من المسلمات لديهم كإثبات وجود الله ، واستحقاقه وحده للعبادة ، ونبوة الرسل ، ورسالة سيدنا محمد ﷺ ، وصدق الرسل أجمعين ، وتعريض نصوص الأنبياء الصريحة للنقد شك فى نبوتهم وصدقهم ، وتردد ظاهر فى تلقيهم لعلوم الرسالة من المولى - عز وجل - وانتهى الشيخ الجداوى فى مقاله إلى أن الذين يرتضون مذهب التشكيك والإنكار يلحدون ، وإن مذهب ديكرات الذى انتحله الدكتور طه حسين ، كان بداية معركة الهجوم على الدين الإسلامى بل وعلى سائر الأديان (٢) .

وفى نطاق الدفاع عن اللغة العربية وآدابها كان اهتمام الصحافة الإسلامية بالآداب الإسلامى ، والشعر الإسلامى ، وأفسحت هذه الصحف صدر صفحاتها لشعراء الإسلام من أمثال محمد صادق عرنوس ، ومحمود رمزى ، وأحمد محرم ، ومحمد حسن النجمى، وأحمد شوقى فى إسلامياته ، وقدمت الصحف الإسلامية بعض البحوث اللغوية النافعة ، وعلى سبيل المثال لا الحصر نشرت المنار سلسلة مقالات بعنوان : «القياس فى اللغة العربية» كتبها الشيخ محمد الخضر حسين (٣) ، وسلسلة مقالات كتبها العالم الأثرى المحقق أحمد بك كمال بعنوان : « براءة القرآن الكريم من الألفاظ الأعجمية » (٤) وغير ذلك من البحوث التى كان يكتبها رشيد رضا فى المنار ومحب الدين الخطيب فى الفتى وحسن البنا ، والسيد صالح رضا - شقيق رشيد رضا - ومحمد بسيونى عمران وغيرهم .

وتحدثت الصحف الإسلامية أيضا عن التراث الإسلامى والعربى، وأوضحت أن الأجانب من الغربيين اهتموا بالتراث العربى والإسلامى أكثر من اهتمام العرب المسلمين، وقال محب الدين الخطيب عن التراث الإسلامى : « إنه تراث ضخم إذا شرعت من اليوم جميع الأمم العربية والإسلامية بتوزيع أعماله فيما بين علمائها وجامعاتها ومحافلها

(١) السياسة الأسبوعية ، ٢٤ سبتمبر ١٩٢٦م.

(٢) الفتى ، عدد ١٨ ، ٧ ربيع الآخر ١٣٤٥هـ ، ١٤ أكتوبر ١٩٢٦م.

(٣) المنار ، ج ٨ ، ٢٢م ، ذو الحجة ١٣٣٩هـ ، أكتوبر ١٩٢١م ، وانظر أيضا : ج ٩ ، ٢٢م ، ج ١٠م ٢٢م.

(٤) المنار ، ج ٦ ، ٧م ، ٢٨ محرم ، صفر ١٣٤٦هـ ، يوليو ، أغسطس ١٩٢٧م.

ولجانها، فإنها لا تنتهى من الإحاطة به وإحياء مواته إلا بعد مئات السنين ؛ لأنه تراث أجيال لا يأتى عليها الحصر ، « ثم بين كيف أهمل المسلمون تركة هذا السلف فى حين انبرى لدراسة هذا التراث الأجانب من أمثال دى ساسى ونولدكه ، وبروكلمان وجولد ريهير ولنينو بهدف الوقوف على دخائله ومعرفة طرق الإحاطة به وبأهله أكثر عما يهتمهم بعثه فى نفوس بنيه وأحفادهم » (١) .

وتحدث الخطيب عن استكشافات العرب وما نشره جوستاف لوبون فى كتابه : « حضارة العرب » وما فيها من بدائع العمران فى أسبانيا تحت حكم المسلمين ، وما نشره بروكلمان فى كتابه تحت عنوان : « مآثر العرب فى العلوم المدنية » ، وما نشرته الرحالة الإنجليزية روزنيا موريس التى تحدثت عن شهامة الرجل العربى ، وما ذكره قدرى حافظ طوقان عن أبى على ابن سينا مكتشف طفيلة الأنكلستوما (٢) .

فضلا عن ذلك ، دعت الصحافة الإسلامية إلى تخليص اللغة العربية من الكلمات الأجنبية الدخيلة عليها وعدتها من جنود الاحتلال اللغوى مثل ألفاظ يوزباشى ، ويكباشجى وصاغ ، وصول ، ولفظ ماهية ، وماهيات - التى تعنى الأجور والمرتبآت - ومارسيه ، وأرفوار ، وبنجور ، وجد مرنج ، وجد أفترنون ، وجدنيت ، وثانكيو ، وهواريو وغير ذلك من الألفاظ المأخوذة من أصل أجنبى ، ولفتت نظر الحكومة إلى حذف هذه الكلمات التى تشوه جمال لغة البلاد ، ولأن اللغة العربية ركن من مقومات الأمة التى تنحصر فى اللغة والدين والزى ، وكل أمة أضاعت ركنا من هذه الأركان أضاعت قوميتها (٣) ، لذلك فإن ضياع اللغة العربية فى مصر ضياع للقومية المصرية العربية .

وكتب الأستاذ أحمد حسن الزيات فى « الرسالة » فى عددها الحادى والعشرين ينادى بأن تكون اللغة العربية وحدها فى لافتات الحوانيت والمؤسسات والشركات ، مستقلة عما يضاف إليها من حواشى اللغات ، وعد ذلك مظهرا من مظاهر الاستقلال الصحيح ، وقد أيدته فى ذلك حسن البنا ، غير أنه أخذ عليه أن تكون مجلة الرسالة يظهر فيها الاسم العربى مقرونا باللاتينية (٤) .

(١) أنور الجندى ، الفتح ، تاريخ الصحافة الإسلامية ، ج٢ ، ص ٣٩٧ ، ٣٩٨ .
وأشارت الفتح فى باب تحقيق التراث إلى عدد من الكتب المهمة منها كتاب « الخراج » للقاضى أبى يوسف ، « وعمرو بن العاص » لمحب الدين الخطيب ، وكتاب « الجماهر فى الجواهر » ، للبيرونى « وتاريخ بغداد ، للخطيب البغدادى ، وغير ذلك من كتب التراث .

(٢) المرجع السابق ، ص ٣٩٨ .

(٣) الفتح ، عدد ٢٣٣ ، ١٩ شعبان ١٣٤٩ هـ ، والإخوان المسلمون ، عدد ٤١ ، السنة الثالثة ، ٢٦ شوال ١٣٥٤ هـ ، ٢١ يناير ١٩٣٦ م .

(٤) الإخوان المسلمون ، عدد ١٩ ، السنة الأولى ، ٥ شعبان ١٣٥٢ هـ .

وهكذا يلاحظ عناية الصحافة الإسلامية باللغة العربية ، وأيضاً فإن الدعوات التي تثار الآن بين حين وآخر لتخليص اللغة العربية من الكلمات الأعجمية أو الإفرنجية ، وكتابة اللافئات باللغة العربية قد أثارها الصحف الإسلامية منذ نصف قرن من الزمان .

ونستطيع أن نجمل هنا أبرز ما عنت به الصحافة الإسلامية فى فترة ما بين الحربين للحفاظ على اللغة العربية فيما يلى :

١ - كشفت عن خطط الاستعمار التي تهدف إلى القضاء على اللغة العربية الفصحى ، وتصدت لدعاة التغريب الذين حملوا لواء الدعوة إلى العامية ، وخلق أدب قومى يكون مستقلاً عن آداب الشعوب الشرقية الناطقة بالضاد ، والعناية بالأدب الشعبى والحكايات الشعبية ، وكل ما هو متداول بغير الفصحى وترجمة القصص الغربى الخليع والدعوة إلى كتابة الحروف العربية باللاتينية .

وقد أكدت الصحف الإسلامية على خطورة هذه الدعوات على الجنسية العربية ، وأن المقصود منها هو تمزيق الشعوب الإسلامية والعربية ، وتعويق نهضتها ، والقضاء على كل أمل فى الوحدة السياسية والثقافية والدينية فيها ، فضلاً عن القضاء على لغة القرآن الكريم وهدم الكيان الإسلامى الذى بنى عليها ، بل هدم الإسلام ذاته ، وفصل الأجيال الحاضرة عن ماضيها وتراثها .

٢ - وعنت الصحف الإسلامية أيضاً بالدفاع عن الأدب العربى والتراث العربى والشعر الإسلامى والعربى الذى هوجم من قبل الصحافة التغريبية ورواد الفكر العلمانى فى مصر ، ونادى أصحاب الاتجاه الإسلامى بأن يكون لغة التعليم فى البلاد هى اللغة العربية الفصحى ؛ لأن اللغة أعظم مظاهر القومية ، وضياح اللغة العربية هو ضياح للهوية العربية .

٣ - ودعت الصحف الإسلامية إلى تنقية اللغة العربية من الكلمات الأجنبية الدخيلة عليها وعدتها من جنود الاحتلال اللغوى ، وقدمت بعض البحوث اللغوية المتخصصة .

وظهر فى مجال الدفاع عن اللغة العربية من الكتاب المسلمين : محمد سعيد العوفى ، وفكرى يس ، وحسن البنا ، ومحب الدين الخطيب ، وأحمد وفيق ، والشيخ محمد الخضر حسين ، والشيخ محمد على أحمد ، والشيخ رمضان الجداوى ، والدكتور يحيى الدرديرى ، وحسن الزيات ، والسيد رشيد رضا ، وصالح رضا وغيرهم .

المبحث السادس

صحافة الاتجاه الإسلامى وقضايا المرأة

شملت الدعوة إلى تغيير الحياة المصرية فى فترة ما بين الحربين العالميتين كل مجالات الحياة مادية واجتماعية وعقلية وروحية ، وكانت المرأة من أبرز الموضوعات التى كثر حولها الجدل بين دعاة التغريب وبين أنصار الاتجاه الإسلامى فى الصحافة المصرية .

وكانت الدعوة إلى السفور ونبد الحجاب ، والمساواة بين الرجل والمرأة ، والاختلاط بين الجنسين - متأثرة بالحضارة الغربية ، والدعوة إلى الحرية الشخصية التى تتصل بفكرة العلمانية ، فهى تعتمد على أن الحرية الشخصية قد أصبحت فى العصر الحديث حقاً لكل إنسان ، ذكراً كان أو أنثى ، ومن ثم يجب التخلص من سلطة الدين على النفوس (١) .

ويلاحظ أن أول ما طرح من قضايا المرأة قضية الحجاب والسفور ، التى أثير حولها الجدل فى مستهل القرن العشرين ، حينما أصدر قاسم أمين كتابه الأول : « تحرير المرأة » فى عام ١٨٩٩م ، وكتابته الثانى : « المرأة الجديدة » فى عام ١٩٠١م ، حيث ذهب المؤلف فى كتابه الأول إلى أن الحجاب ليس من الإسلام فى شىء ، وأن الشريعة كليات وحدود عامة ، ولو تعرضت للجزئيات لما أخذت صفة الدوام فى كل أمة فى كل زمان ومكان ، وأن الأحكام المبنية فى المعاملات والعادات تتغير بحسب أحوال الزمان والمجتمعات على ألا يخل بالشريعة فى أى من أحكامها ، وقد تناول فى كتابه مسائل أربع وهى : الحجاب وعمل المرأة المسلمة بالشؤون العامة ، وتعدد الزوجات ، والطلاق ، وناقش هذه المسائل من زاوية المتأثر بالحضارة الغربية .

وقد بدا فى كتابه الثانى « المرأة الجديدة » أكثر وضوحاً فى الدعوة للأخذ بأساليب هذه الحضارة ، ولاسيما فيما يتعلق بما وصلت إليه المرأة الأوروبية ، وما حصلت عليه من حقوق وامتيازات فى العصر الحاضر (٢) .

وقد تبع صدور كتابى قاسم أمين ضجة كبرى فى رأى العام المصرى ، وفى الصحافة المصرية والإسلامية منها بالذات ، وكانت صحيفة « اللواء » لمصطفى كامل فى مقدمة الصحف الإسلامية التى عارضت الدعوة إلى السفور ، وكان لمصطفى كامل موقفه

(١) محمد محمد حسين : الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر ، ج٢ ، ص ٢٧٣ .

(٢) أبو الحسن الندوى : الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية ، ط ٢ ، الكويت : ١٩٦٨م ، ص ١١٦ ، ١١٧ ، وذكراً سليمان بيومى ؛ الإخوان المسلمون والجماعات الإسلامية ، مرجع سابق ، ص ٢٩٢ .

المعارض من الدعوة إلى السفور لأنها - فى رأيه - لا تتفق وتقاليد المجتمع المصرى والدين الإسلامى ، فى المقام الأول (١) ، فضلا عن ذلك كان رفض مصطفى كامل لهذه الدعوة يرجع إلى سببين :

السبب الأول : ذكره الدكتور عبد اللطيف حمزة فى موقف مصطفى كامل من السفور قال : «لقد شهد هذا الشاب الذى يمتلئ بالغيرة كيف شقى المجتمع الأوروبى بسبب سفور المرأة ، وكيف حرمت البيوت أنس الأسرة ، وكيف نشأ الأطفال الأوربيون فى غير حجب أمهاتهم وآبائهم ، وراح يلح فى أن تصان المرأة فى البيت كريمة معزة ، بعد أن تأخذ حقها كاملا من التربية والتعليم فى المدرسة ؛ لأنه يعلم أن العمل الأسمى للأم فى كل بلد هو أن تصنع الرجل للأمة ، وتلك وجهة نظر لها احترامها إلى اليوم» (٢) .

أما السبب الثانى - الذى عارض مصطفى كامل دعوة السفور من أجله : هو رفضه المطلق أخذ الحضارة من الإنجليز ، وكان هذا هو سر حملة اللواء على قاسم أمين ومحمد عبده من الذين كانت لهم صلة بكرومر وصالون نازلى فاضل الذى كان على صلة وثيقة بالوكالة البريطانية (٣) .

ولكن بعد الحرب العالمية الأولى ، أخذت هذه المسألة تتطور تطورا سريعا ، ولم يعد ذلك الذى دعا إليه قاسم أمين هو شغل الناس ، فقد استنفذت دعوة قاسم أمين فى وقت قصير كل أغراضها ، واندفع الناس إلى ما وراءها فى سرعة غير منتظرة ، حيث خلعت المرأة الحجاب وخرجت بالثياب الملونة والقصيرة والضيقة تقليدا لنساء الغرب ، ثم تجاوزت ذلك كله إلى الظهور على الشواطئ فى المصايف بملايس لا تكاد تستر شيئا من العورة ، وأصبح يتحکم فى ملابس النساء صانعو الأزياء فى أوروبا (٤) .

وقد ظهرت صحف متخصصة (٥) فى الدعوة إلى السفور ، ففى خلال الحرب العالمية الأولى أنشأ عبد الحميد حمدى صحيفة أسماها « السفور » ، احتوت على فصول لطائفة من الكتاب المعروفين باتجاههم الغربى يدعون فيها إلى التخلص من الحجاب ، ومن كافة مظاهره ، وفى مقدمة هؤلاء الكتاب : مصطفى عبد الرازق ، وعلى عبد الرازق ، وطه

(١) زكريا سليمان بيومى : الحزب الوطنى ودوره فى السياسة المصرية ، القاهرة : ١٩٨١م ، ص ٢٢٩ .
(٢) على عجمو : فن الدعاية والإعلام عند مصطفى كامل ، رسالة ماجستير ، كلية الإعلام ، جامعة القاهرة ، ص ٧٨ .

(٣) اللواء ، ١٥ مارس ١٩٠٠م .

(٤) محمد محمد حسين : الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر ، ج ٢ ، ص ٢٣٩ .

(٥) من الصحف النسائية التى ظهرت فى فترة ما بين الحربين : صحيفة الأمل ، والمرأة المصرية ، مجلة الجنس اللطيف ، ومجلة أمهات المستقبل ، والمرأة الجديدة ، ومجلة النهضة النسائية ، وصحيفة الإيجبت إن بالفرنسية ، ومجلة الفتاة ، والمجلة المصرية . انظر : الحركة النسائية فى مصر للدكتورة آمال كامل بيومى السبكى .

السباعى ، وغيرهم من أنصار المرأة (١) .

ثم كان اشتراك المرأة فى ثورة ١٩١٩م من أهم عوامل اشتداد هذه الدعوة ، وقد أعان على اندفاع المرأة إلى السفور جو الثورة التى تلت الحرب ، وما كان يوحى به من جرأة وتمرد على كل قديم ، إذ ظهرت طلائع ذلك فى مظاهرة النساء المشهورة التى طافت بشوارع القاهرة هاتفة للحرية فى طريقها إلى دار المعتمد البريطانى لتقدم إليه احتجاجا مكتوبا على تعسف سلطات الاحتلال ، وبلغ عدد المتظاهرات فيها أكثر من ثلاثمائة وعلى رأسهن صفية زغلول حرم سعد زغلول ، وهدى شعراى حرم على شعراوى باشا (٢) ، وهى أول سيدة أعلنت السفور بعد صفية زغلول ، وأصدرت هدى شعراوى مجلة «المصرية» للدعوة إلى السفور وتحرير المرأة ، وكذلك ألقت نبوية موسى كتابا عن المرأة والعمل ، وشاركتها كثيرات مثل منيرة ثابت ، وبلسم عبد الملك ، وسيزا نبراوى ، وليبية هاشم ، ومى زيادة وغيرهن (٣) .

ونجرات المرأة على المشاركة فى القضايا الوطنية وفى مختلف الميادين الاجتماعية ، وتآلفت لجنة مركزية للسيدات الوفديات شاركت مشاركة فعالة فى حركة المقاطعة الاقتصادية فى عام ١٩٢٢م (٤) ، وظهرت لأول مرة فى التاريخ المصرى ما سمي بالحركة النسائية ، وتكوّن الاتحاد النسائى المصرى فى ١٦ مارس ١٩٢٣م بقيادة هدى شعراوى التى سافرت إلى باريس وأمريكا لدراسة شؤون المرأة ، وأحاطها دعاة التغريب والسفور وصحافتهم بنشاط صحفى موسع ، حيث نشروا تصريحاتها وأحاديثها فى صحفهم ، فضلا عن المقالات التى نشرتها هذه الصحف مصورة وضع المرأة الأوربية داعية إلى ضرورة مطالبة المرأة المصرية بنفس الحقوق (٥) .

وكانت جريدة السياسة التى صدرت فى ٣٠ أكتوبر ١٩٢٢م ورأس تحريرها الدكتور محمد حسين هيكى فى مقدمة الصحف التى روجت للدعوة إلى السفور ، واهتمت بالمسائل الخاصة بالمرأة ، فقد دافعت عن المرأة ، وجعلت موضوعها حديثا يشغل بعض صفحاتها ، كما أفردت لها بين آن وآخر صفحة مصورة تعنى بمسائلها المختلفة (٦) .

وقد أدت بعض الصحف المصرية التغريبية دورا سلبيا فى معركة السفور والحجاب بما

(١) آمال كامل السبكى : الحركة النسائية فى مصر ما بين الثورتين ١٩١٩ - ١٩٥٢م ، الهيئة العامة للكتاب ، ١٩٨٦م ، ص ١٤٣ .

(٢) محمد حسين : الاتجاهات الوطنية ، ج ٢ ، ص ٢٢٤ .

(٣) سليمان نسيم : صياغة التعليم المصرى الحديث ، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٤م ، ص ١٥٦ .

(٤) محمد حسين : الاتجاهات الوطنية ، ج ٢ ، ص ٢٤٠ .

(٥) زكريا سليمان بيومى : الإخوان المسلمون والجماعات الإسلامية ، ص ٢٩٣ .

(٦) إبراهيم عبده : تطور الصحافة المصرية ، ص ٢١ .

كانت تنشر من صور للجمعيات النسائية وللأزياء ، وبما كانت تروى من أخبار وحكايات النشاط النسوى، الذى قل أن تخلو صحيفة من هذه الصحف التغريبية منه ، فضلا عن التطورات التى أحدثتها عملية انقلاب مصطفى كمال أتاتورك فى تركيا ، وآثاره فى المجتمع النسوى بخاصة (١) .

فهذه صحيفة السياسة الأسبوعية تكتب مقالا عن فتاة تركيا ١٩٢٦م تصف فيه سفر باخرة اتخذتها وزارة التجارة التركية معرضا عاما فى رحلة على نفقة الحكومة تنتقل فيها بين موانئ أوروبا الشهيرة ، فتقول : « إن هذه الباخرة كانت تقل خمسا وعشرين فتاة من فتيات تركيا الجديدة ، كلهن جميلات مقصوبات الشعور ، لا يكاد يميزهن الرائي من فتيات لندن وباريس » (٢) .

وصحيفة المقتطف تكتب مقالا عن الأحوال فى تركيا المعاصرة ، تشيد فيه بمصطفى كمال أتاتورك والتطور الاجتماعى الذى طرأ على تركيا بسفور النساء، واشتراكنهن فى المجتمعات مع الرجال ومشاركنهن الشبان فى الدراسة الجامعية (٣) .

وكانت صحيفتا الهلال والسياسة الأسبوعية أيضا تغذيان الدعوة إلى السفور بما كانتا تنشره من مقالات واستفتاءات تدور حول موضوع السفور ، والدعوة إلى الاختلاط فى دور التعليم وغيرها بزعم ترشيد العواطف بين الجنسين (٤) .

ولجأت السياسة الأسبوعية إلى اصطناع أسئلة تزعم أنها وردت إليها من القراء والقارئات ، من ذلك ما جاء فى عدد ٢٠ نوفمبر ١٩٢٦م سؤال : يقولون عهد تحرير ورمز استقلال وأبى يريد أن يزوجنى رغما عنى ، فكيف أرفع هذا الظلم ؟ إمضاء مظلومة ، وسؤال آخر : ما هى أضرار السفور التى يعلقون بها قلوبنا ؟ إمضاء سافرة . وأجابت الصحيفة فى العدد التالى عن السؤال الأول : امتنعى عن توكيله فى العقد عليك وإن خفت اضطهاده فاعقدى بنفسك على شخص تميلين إليه وترين السعادة فى زواجه ! وإجابة السؤال الثانى : لا شئ يا سيدتى يضير السافرات سوى ما يتوهمه البعض ، وهو ضياع العادات القديمة ، وما دمنا فى عهد تطور ، فكل ما تأتى به ظروفنا الاجتماعية فهو حسن! (٥) .

(١) محمد محمد حسين : الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر ، ج٢ ، ص ٢٢٤ .

(٢) السياسة الأسبوعية ، عدد ١٧ يوليو ١٩٢٦م .

(٣) المقتطف ، عدد أبريل ١٩٢٦م .

(٤) الهلال ، عدد ديسمبر ١٩٢٣م ، وأكتوبر ١٩٢٤م ، ومايو ١٩٢٥م .

(٥) السياسة الأسبوعية ، عدد ٢٧ نوفمبر ١٩٢٦م ، ومحمد حسين : الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر ، ج٢ ، ص ٢٢٦ .

وقد أحدث هذا الهجوم على الحجاب والترويج للسفور من جانب الصحافة التغريبية، فضلاً عن التغييرات التي دخلت على حياة المرأة المصرية فى تلك الفترة ، ردود فعل مثيرة فى رأى العام المصرى من جانب ، ومن جانب آخر لدى صحافة الاتجاه الإسلامى ، وحظيت هذه القضية باهتمام كبير فى الصحافة الإسلامية ، واحتدمت المعركة بين أنصار السفور وحرية المرأة بلا حدود وبين المحافظين من أنصار الاتجاه الإسلامى فى الصحافة المصرية ، الذين تصدوا لمواجهة الصحف التغريبية التى هاجمت العادات والتقاليد الإسلامية ، دون مراعاة لحرمة الدين وقداسته تعليماته ، واحتوت الصحف الإسلامية على العديد من البحوث والمقالات التى تهاجم السفور ، وخرت هذه البحوث أيضاً بأراء الكتاب المسلمين الذين دعوا إلى ضرورة بقاء المرأة فى بيتها بعد أن تنال حظها من التعليم الذى يساعدها فى أداء مهمتها فى تربية الأجيال الصالحة (١) .

وكان من أبرز الذين تصدوا لدعاة السفور فى أعقاب الحرب العالمية الأولى مصطفى صادق الرافعى ، فقد نشر قصة سلسلة بعنوان : « الطائشة » فى صحيفة البيان رد فيها على قاسم أمين ، وسخر من وضع الفتاة التى سارت فى طريق السفور والتحرر ، كما وجه اللوم إلى مناهج التعليم التى لا تقدم للفتاة ما يفيدها فى دينها ودنياها ، وكذلك إلى الحكومة التى قصرت فى توجيه الناس وإرشادهم (٢) .

ثم توالى هجوم الصحافة الإسلامية بعد ذلك ، فيكتب شكيب أرسلان فى المنار مقالاً بعنوان : « السفور والحجاب » يعرض فيه للمراحل التى مرت بها الدعوة إلى السفور ليسجل أن الدعوة إلى نزع الحجاب هى مرحلة تهيئ لما يليها من مراحل ودعوات ترمى إلى هدم الدين والتقاليد الإسلامية ، وأنها سبيل نسلك فيه مسلك الأوربيين « فتكون للمرأة حريتها تذهب حيث أرادت وتحادث من أرادت ، وتضاحك من أرادت ، وتفاخر من أرادت .. إلخ » (٣) .

وكتبت مدام رقيقة كامل فى المنار أيضاً تهاجم أنصار المرأة من المستغربين ، وتنعى على الحالة المعاصرة التى وصلت إليها المرأة المصرية ، ولا سيما الطبقة الراقية ، مشيرة إلى أنها أصبحت أوربية قلباً وقالباً ، عادة ولساناً ، رشاقة وفتنة ، ولم يصبح للدين ولا آدابه فى أخلاقها أى أثر ، وناشدت الجمعيات النسائية أن تعمل على نهضة المرأة المصرية بالرجوع بها إلى حظيرة الدين والفضيلة ، وصونها عن التبدل والخلاعة، وحتى لا يكتسح

(١) الشبان المسلمون ، ج٢ ، م ١ ، رجب ١٣٤٨ ، ديسمبر ١٩٢٩ م ، وعدد رمضان ١٣٤٨ هـ ، فبراير ١٩٣٠ م .

(٢) على عبد الحليم محمود : نحو أدب إسلامى معاصر ، ومصطفى صادق الرافعى والاتجاهات الإسلامية فى أدبه ، مطبوعات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض ، ص ٤٨ .

(٣) المنار ، ذو الحجة ١٣٤٣ هـ ، يوليو ١٩٢٥ م .

الغرب بمدنيته الخادعة كل ما بقى فى هذه الديار من آثار التقى والقرآن . . . وحتى لا تستمرئ النفوس هذا الطريق وتتمادى فيه (١) .

وتصدى الدكتور محمد البهى للرد على الذين ينادون بأن تحمل المرأة الشرقية - وخصوصاً المصرية - طابع المرأة الأوروبية الغربية مهما كلفها ذلك من عناء ومجافاة لعادات وطنها ، وتعاليم دينها وإسراف فى التقليد الأعمى واتباع لمشورة الوصى الغربى ، وقال الدكتور البهى : « إن الصورة التى فى ذهن الشرقى عن أوربا هى صورة مبالغ فيها نحو ناحية الكمال والرقى الإنسانى بفضل الدعاية الثقافية والأدبية التى تقوم لها الأفلام السينمائية ومدارس الإرساليات الأجنبية ، والنشرات والكتب التى تحمل طابع البحث العلمى » (٢) .

ونشرت الفتح سلسلة مقالات للكاتب عمر إبراهيم الدسوقي - من دار العلوم - ندد فيها بدعاة السفور ، متهما إياهم بأنهم أصحاب آراء سقيمة ، وتأثرهم بالغرب واضح ، فهم يرددون مايقوله الغربيون من دعاة النصرانية ، وأعوان الاستعمار الذين لا يعرفون شيئاً عن الإسلام ، وأوضح فى هذه المقالات أن الحجاب يعمل على صيانة المرأة من كل ما يدفع بها إلى الرذيلة ، وأن الحجاب ليس له دخل فى خمول المرأة المسلمة كما يدعى أنصار السفور ، ثم أظهر ما أحدثه السفور فى أوربا من مساوئ ، وماجره على الأسرة والأخلاق من انحطاط ، كما تناول فى هذه المقالات نظرة الإسلام إلى المرأة ، وكيف أنه أعطاها حريتها ، وسواها بالرجل فى كل شىء وفرض عليها من التكاليف مثل ما فرض على الرجل ، وأخذ يرد على كل المسائل التى يأخذونها على الإسلام ، ومن أبرزها الحجاب (٣) ، وأشار محمد عبد السلام القيانى فى صحيفة الإخوان المسلمين إلى أن السفور فى أوربا قد أنتج حوادث شائنة منها : الإضراب عن الزواج ، واستغناء الشباب عنه بالسفاح واتخاذ الأخدان ، كذلك أنتج افتقاد الطمأنينة والهناءة فى العائلات ، وعقوق البنين والبنات للآباء والأمهات ، واضطراب الأمن فى كل الجهات ؛ إذ إن حوالى ٧٠٪ من حوادث الجنائيات والجرائم إنما هو من النسائيات (٤) .

وأعلن الشيخ محمد إسماعيل - خطيب مسجد القبة الفداوية - أن دعاة السفور لا

(١) للثار ، ج٥ ، م ٢٨ ، ذو الحجة ١٣٤٥هـ ، يونيه ١٩٢٧م .

(٢) نور الإسلام ، ج٢ ، م ٩ ، صفر ١٣٥٧هـ .

(٣) الفتح ، عدد ١٨٨ ، ٢٨ رمضان ١٣٤٨هـ ، ٢٧ فبراير ١٩٣٠م والأعداد التالية له .

(٤) الإخوان المسلمون ، عدد ١٧ ، السنة الأولى ، رجب ١٣٥٢هـ ، مقال بعنوان : « التجديد فى الشرق والتجديد فى الغرب » .

همَّ لهم سوى النيل من الإسلام وتحقير آدابه ، وتنفير أبنائه من تعاليمه وأحكامه ، وحض النساء على الخروج على الدين ، ونبد العادات الشرقية ، وتشجيع الفتيات على مخالطة الرجال غير المحام ، وإغرائهن على السفور والرقص ، وتحريضهن على هجر البيوت إلى دور التمثيل الماجنة ، وشهود روايات الغرام والفسق باسم الحرية والأدب المكشوف والمدنية والحضارة ، وأكد على خطر هذه الدعوة على مقومات الأمة وكيانها قائلاً : « إن لكل أمة من الأمم شخصيتها ومميزاتها التي تفصلها عن غيرها في الدين والجنس واللغة والتقاليد والعادات والميول والمشاعر والذوق والإحساس ، والعاطفة ، فإذا قلدت أمة من الأمم أمة أخرى تغيروا ديناً ولغة وتقاليد وعادات وتربية وأفكاراً ، فقد ضاعت قوميتها وتلاشت شخصيتها . . وقطعت الصلة بينها وبين آبائها وأمجادها » (١) .

وفي مقال بعنوان : « أثر القرآن الكريم في الأخلاق والعادات » كتب الشيخ مصطفى بدر زيد في مجلة الهداية الإسلامية يبين حكم الإسلام في السفور ونهيه عن التبرج ، مستدلاً بآيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة ، مشيراً إلى أنه لا مبرر لتحجيز السفور والدعوة إليه إلا الفرار من حدود هذا الدين ، وإسلام العنان للنفس في تطبيق أحكامه حسب الأغراض والأهواء (٢) .

وشنت صحيفة نور الإسلام أيضاً حملة على تهتك المرأة وسفورها ونددت بالحالة المزرية التي وصلت إليها المرأة المسلمة في مصر من التبرج والسفور والاختلاط بين الجنسين ، وغشيان الملاهى والمراقص والمجاهرة بالفسوق ، والجرى وراء الموضة وتقليد الأجانب (٣) .

ومضت صحيفة الإخوان المسلمين تفند ما يدعيه أنصار السفور والتبرج من أن احتجاج النساء مجلبة للتشوف ومدعاة لحب الاستطلاع ، والتنقيب وراءهن ، وولوع النفس بالغريب وزهدا فيما تملك ، ومما قالته الصحيفة في الرد على هذه الشبه : « إن الشريعة الإسلامية مبنية على حفظ الأنساب ، وسد الذرائع وغلق باب الفساد وحسم الشرور أو تقليلها قدر المستطاع ، وأن احتجاج المرأة يمنعها من السقوط في الرذيلة ، وتطرق الفساد إلى المتحججات أقل منه إلى المتبذلات السافرات اللاتي يغشين النوادي ، لذلك فالأسلم احتجاج المرأة إلا للضرورة درءاً للفساد وصيانة للأعراض والأنساب » .

ثم ترد الصحيفة على شبهة أخرى يحتج بها دعاة السفور ، وهي : إن السفور يبيح

(١) الفتح ، عدد ٥٧ ، ١٨ صفر ١٣٤٨هـ ، ٢٥ يوليو ١٩٢٩م .

(٢) الهداية الإسلامية ، جـ ٣ ، ١ م ، شعبان ١٣٤٧هـ .

(٣) نور الإسلام ، عدد ٥ ، ١ م ، جمادى الأولى ١٣٤٩ مقال بعنوان : « خلاعة النساء تقودنا إلى الهاوية » بقلم على الجندي .

تخير شريكة الحياة بغير واسطة الخطابات اللاتي يغرن في الوصف ، قائلة : « إن الشارع يبيع لمن أراد الخطبة أن يرى وجه من يخطبها من النساء وكفيها حتى تطمئن نفسه ، وذلك أدعى إلى الألفة والمحبة كما ورد بذلك الحديث الشريف ، ومن البيئة تعرف الأخلاق وأهل الفتاة عنوان طباعها ودليل خلقها » (١) ، وانتقدت صحيفة الشبان المسلمين ظهور طالبات الجامعة المصرية بلباس يكشف عن أجزاء من العورة (٢) .

وهاجم الدكتور يحيى الدرديرى نساء الطبقات الأرستقراطية ، والطبقة العالية اللاتي قطعن شوطاً كبيراً في السفور ، وشبههن بالمومسات في الهيئات والأزياء والروائح العطرية ، وإغراء السواعد والمناكب والصدور وفي اقتناء الجواهر وغشيان المراقص وأماكن اللهو (٣) .

وبالإضافة إلى هذه الجهود التي بذلت من قبل الصحف الإسلامية وكتابها في محاربة أنصار « السفور » والكشف عن زيف هذه الدعوة وبيان أهدافها وأغراضها وخطرها على الأمة ، واصلت الصحف الإسلامية جهودها في نقد المؤلفات التي ظهرت في هذا المجال وآذرت جهود الجمعيات الإسلامية في رفضها للسفور ، وتصدت للحركة النسائية التي تشكلت في بداية العشرينات بقيادة هدى شعراوى ، وتابعت كل ما يصدر عنها من أنشطة ودعوات وآراء .

وانتقدت صحيفة الفتح كتاب السفور والحجاب الذى وضع على غلافه اسم الأنسة نظيرة زين الدين ، وقال محب الدين الخطيب : « إن الذى وضع هذا الكتاب فى الحقيقة رواد التغريب فى مصر للهجوم على الحجاب الإسلامى » ، وقد بذلت الصحف النصرانية ، والصحف التغريبية والنسائية أقصى جهودها للإشادة بهذا الكتاب فى الشام ومصر والعراق ، ونوه الخطيب بالكتاب الذى كتبه السيد سليم أحمد - رئيس تحرير جريدة الصفا اللبنانية - للرد على مزاعم هذا الكتاب والمغالطات التي حواها بين دفتيه (٤) .

وفى مقال آخر أثنى الخطيب على الكتاب الذى ألفه الشيخ محمد سعيد الجابى للرد أيضاً على كتاب الأنسة نظيرة زين الدين (٥) .

ومن متابعة الصحف الإسلامية يلاحظ أن الشعر قد شارك فى معركة السفور

(١) الإخوان المسلمون ، عدد ٢ ، السنة الثانية ، ٢٦ محرم ١٣٥٣ هـ .

(٢) الشبان المسلمون ، ج ٨ ، م ٧ ، صفر ١٣٥٥ هـ ، مايو ١٩٣٧ م .

(٣) الشبان المسلمون ، ج ٨ ، م ٨ ، صفر ١٣٥٦ هـ ، مايو ١٩٣٧ م ، مقال بعنوان : « أفلس المرأة ومعها الرجل أفلس » .

(٤) الفتح ، عدد ١٧ ، ٢٧ ربيع الآخر ١٣٤٧ هـ ، ١١ أكتوبر ١٩٢٨ م .

(٥) الفتح ، عدد ١٥٩ ، ٣ ربيع الأول ١٣٤٨ هـ ، ٨ أغسطس ١٩٢٩ م .

والحجاب ، فنرى الشاعر محمد عبد الرحيم عبد الكريم يهاجم دعاة السفور فى قصيدة طويلة بعنوان : « يا دعاة السفور » جاء فى مطلعها :

يا دعاة السفور قولوا صوابا
لا تطيشوا فتضربوا سهم طيش
وتحاشوا يوماً تعقوا الحجابا
فتجروا على البلاد مصابا (١)

وأشادت الفتح بديوان الشاعر ناصر الدين الذى نعى فيه على السفور والتبرج وهاجم فيه دعاة السفور ، يقول فى قصيدة مطلعها :

لك البيت لا نادى السياسة مجلس
وشأنك درس فى المفيد من الكتب
وإرضاع أطفال وإعداد مطعم
وتفريج ما يلقاه بعلك من كرب (٢)

وغير ذلك من القصائد التى رأيناها منشورة فى صفحات الصحف الإسلامية ، ويلاحظ أيضاً أن هذه الصحف آذرت الجهود المبذولة من قبل الجمعيات الإسلامية لمحاربة الدعوة إلى السفور ، ونشرت الفتح نص الرسالة التى قدمتها جمعية اللواء الإسلامى إلى رئيس مجلس الوزراء تطالب فيها بإغلاق الرقص والبغاء ؛ لأنها منافية للأداب والدين الرسمى للبلاد (٣) .

وأفسحت الفتح أيضاً صدر صفحاتها لرئيس جمعية اللواء الإسلامى على نجيب ، فكتب العديد من المقالات ، ندد فيها بالدعوة إلى السفور والآثار السيئة التى تركتها على المجتمع ، وأكد أن إطلاق الحرية للمرأة تقويض لأخلاق الأمة ، وأن أنصار السفور يهدمون المجتمع ويحطمون الفضيلة والأخلاق (٤) .

ويلاحظ أيضاً أن الصحافة الإسلامية فى تلك الفترة قد عارضت الدعوة إلى خروج المرأة للعمل ، تلك الدعوة التى نادى بها دعاة السفور ، والصحافة النسائية - مثل مجلة أمهات المستقبل وفتاة مصر وروز اليوسف - تقلدًا للمرأة الأوربية فى خروجها إلى العمل ومشاركتها للرجل فى كل مكان (٥) ، وكان من أبرز المهاجمين لخروج المرأة إلى العمل من كتاب الصحافة الإسلامية : الشيخ حسن البنا ، والدكتور يحيى الدرديرى ، ومحمد فريد وجدى .

(١) الفتح ، عدد ٢٧ ، ١١ جمادى الآخرة ١٣٤٥هـ ، ١٦ ديسمبر ١٩٢٦م .

(٢) الفتح ، عدد ٢٩ ، ٢٥ جمادى الآخرة ١٣٤٥هـ ، ٣٠ ديسمبر ١٩٢٦م .

(٣) الفتح ، عدد ٣٢ ، ١٦ رجب ١٣٤٥هـ ، ٢٠ يناير ١٩٢٦م .

(٤) الفتح ، عدد ٥٤ ، ٢٢ محرم ١٣٢٦هـ ، ٢١ يوليو ١٩٢٧م ، وعدد ٦١ ، ١٢ ربيع الأول ١٣٤٦هـ ،

٨ سبتمبر ١٩٢٧م ، وعدد ٦٤ ، ٤ ربيع الآخر ١٣٤٦هـ ، ٢٩ سبتمبر ١٩٢٧م .

(٥) آمال السبكي : الحركة النسائية فى مصر ، ص ١٧٢ .

ففرى الشيخ حسن البنا يهاجم الذين يدعون إلى خروج المرأة للعمل ويتهمهم بأنهم بهذه الدعوة « يسوقون الأمة إلى خطر عظيم ، ويهددون الأسرة المصرية ويفتحون عليها باباً مغلقاً من أبواب التهلكة والدمار وإلى مزلق من مزالق الفناء الاجتماعى » ، وأيد وجهة نظره بما نقلته الصحف عن الجرائد الألمانية من حظر القانون الألماني العمل على المتزوجات ، رغبة في تخفيف وطأة البطالة ، وثانياً : إلزاماً للمرأة أن تقول بوظيفتها الطبيعية ، وذهب الشيخ حسن البنا إلى أن وظيفة المرأة الأولى هى رعاية البيت ورعاية زوجها وأطفالها بعد أن تنال حقها من التعليم (١) .

وأقام الدكتور يحيى الدرديرى الأدلة على فساد دعوة القائلين بتقليد المرأة الشرقية والمسلمة للمرأة الغربية فى الخروج إلى العمل ، وأشار إلى أن المرأة الأوروبية العاملة فى حالة بؤس مادى ومعنوى معاً ، لعدة أسباب :

أولاً : أنهن لا يكسبن فى كثير من الأحيان ما يكفى لمعاشهن .

ثانياً : أن المرأة الأوروبية تشعر بأنها خرجت عن وظيفتها - وظيفة الأم والزوجة وربة البيت - وخروج الإنسان عن طبعه عذاب وشقاء له (٢) .

كذلك طالب فريد وجدى بعدم عمل المرأة ، وردت عليه نبوية موسى قائلة : إن المرأة مضطرة إلى العمل ، ورأت أن من الواجب أن تتعلم كل فتاة اكتساب العيش من حرفة تناسب مقامها إذا احتاجت لذلك ، حتى لا تجنى على الفتاة الزكية الرفيعة المقام (٣) .

وهكذا ظلت هذه القضية مطروحة للمناقشة فى الصحافة المصرية بين أنصار الاتجاه الإسلامى ، ودعاة التغريب ، ومازالت مطروحة إلى اليوم برغم النجاح الذى حققته بعض النسوة فى مجال العمل ، وبرغم وجود الأعمال التى تلائم طبيعة المرأة كالطب والتدريس .

وقد شنت الصحافة الإسلامية حملة شديدة اللهجة على الحركة النسائية أو الثورة النسائية التى تزعمتها هدى شعراوى واتهمتها بالجهل ، وأبان محب الدين الخطيب أن خطب ومقالات هدى شعراوى لم تكن من بنات أفكارها (٤) ، وأشارت مجلة الهداية الإسلامية إلى أن الحركة النسوية الهدف منها تمزيق ثوب الفضيلة ، ونزع أدب الحياء من

(١) الإخوان المسلمون ، عدد ٩ ، السنة الأولى ، ١٨ ربيع الأول ١٣٥٢هـ ، مقال بعنوان : « كيف يشجعون الزواج » حسن البنا .

(٢) الشبان المسلمون ، ج ٥ ، م ١ ، رمضان ١٣٤٨هـ ، فبراير ١٩٣٠م ، مقال بعنوان : « أثر المرأة وما يجب أن يكون عليه » للدكتور يحيى الدرديرى .

(٣) الشبان المسلمون ، ج ٣ ، م ٢ ، رجب ١٣٤٩هـ ، ديسمبر ١٩٣٠م .

(٤) الفتاح ، عدد ٦٧ ، ٢٥ ربيع الآخر ١٣٤٦هـ ، ٢٠ أكتوبر ١٩٢٧م .

نفوس فتياتنا وفتياننا (١) .

وقال محمد الباقر اليمنى فى مقال بعنوان : « الثورة النسائية والإصلاح النسائى » :
« إن تلك الثورة المقصود بها الإجهاز على ما بقى من التدين والطهر والعفاف ، وإشاعة
الخلاعة والعار وتسهيل السبيل إلى الإباحة المطلقة » ، وأكد « أن ما يتظاهر به تلك
النسوة وأذناهن من الحنان والشفقة كذب ، فلو كن صادقات فيما زعموا لسعوا إلى
مواخير الفسق العلنى ، وانتشلوا ما فيها من الضحايا ، وسهلوا الزواج ، ورغبوا فيه
بإبعاد النساء عن المخادنة ، والمراقبة ومخالطة الرجال » (٢) .

وندد أحمد جميل الرافعى بما يدعونه النهضة النسائية ، وذكر أن هذه النهضة لم تبني
على أسس حقيقية يفاد منها الوطن والأمة ، ويرى « أن النهضة الحقيقية لا بد أن تكون
قائمة على الدين والفضيلة حتى تستطيع الفتاة أن تُخرِّج أبناء صالحين لأمتهم ودينهم ،
وليست النهضة أن تكتفى المرأة بالإسراف والتبرج والرطن باللغة الأجنبية والعزف على
البيانو ، أو غير ذلك من المظاهر الفارعة التى تدعو إليها الحركة النسائية فى مصر » (٣) .

وعندما نادى الحركة النسائية بمساواة الرجل بالمرأة فى كل مرافق الحياة على السواء
اعتبر ذلك الكاتب دسوقي إبراهيم خروجاً عن الدين ، ووضح العلاقة بين الرجل والمرأة
فى ضوء الآداب الإسلامية وتعاليم الإسلام (٤) .

وقد دأبت صحيفة الفتح على معارضة كل ما يكتبه سلامة موسى فى مجلته
«الجديدة» ، والعمل على تسفيه آرائه فى الدعوة إلى السفور ومساواة المرأة بالرجل ،
ومؤكد على أن هذه التجربة فشلت فى أمريكا وأوربا ، وأن الأوربيين أنفسهم بدأوا
ينكرون على المرأة حريتها ، وينادون بإعادتها إلى البيت ، للعناية بأطفالها وتدبير شؤون
منزلها (٥) .

وكتب محمود حفىنى فى مجلة الشبان المسلمين : إنه لو نال النساء يوماً هذه المساواة
التي يتطلبها لهن الذين يدعون الدفاع عنهن ، فإن ضمانهن الاجتماعى يطل على قدر ما
تفسد حالتهن الأدبية ، وأكد على أن هناك فروقاً طبيعية بين الرجل والمرأة (٦) .

(١) الهداية الإسلامية ، ج ٤ ، م ٢ ، رمضان ١٣٤٨ هـ .

(٢) الفتح ، عدد ٥٥ ، ٢٩ محرم ١٣٤٦ هـ ، ٢٨ يوليو ١٩٢٧ م .

(٣) المنار ، ج ٥ ، م ٢٩ ، ربيع الأول ١٣٤٧ هـ ، سبتمبر ١٩٢٥ م .

(٤) الفتح ، عدد ٣٧ ، ٢٢ شعبان ١٣٤٥ هـ ، ٢٤ فبراير ١٩٢٧ م .

(٥) الفتح ، عدد ٢٠٩ ، ٢٨ صفر ١٣٤٩ هـ .

(٦) الشبان المسلمون ، ج ١ ، م ١ ، جمادى الأولى ١٣٤٨ هـ ، أكتوبر ١٩٢٩ م .

وكان سلامة موسى قد خطب في جمعية الشبان المسيحيين ، وتعرض في خطبته للمرأة المسلمة وقضية السفور والحجاب ، وهاجم القرآن الكريم لأنه ميز بين المرأة والرجل في الميراث ، وطالب بمساواة المرأة بالرجل في مسألة الميراث بحجة أن عدم المساواة مثبطة للشباب عن الزواج ، وذكر أيضاً أن قاسم أمين كان قصده من دعوته لتحرير المرأة المساواة بينها وبين الرجل في الميراث ، ووجه في خطبته هذه نداء إلى السيدة هدى شعراوي رعيمة الحركة النسائية لتطالب الحكومة المصرية بذلك ، وأرسل إليها برقية خاصة بهذا الشأن مصحوبة بنص الخطبة التي ألقاها في جمعية الشبان المسيحيين ، وقد نشرت هذه البرقية ، ونص الخطبة في جريدة المقطم (١) .

غير أن هدى شعراوي ردت على سلامة موسى في الأهرام ، ترفض ما طلبه بشأن المساواة بين المرأة والرجل في الميراث وقالت : « يهمني أن أبلغ حضرة الأستاذ سلامة موسى ومن حضروا خطبته أنني في خدمتي لهذه النهضة أؤدي واجباً معهوداً إليّ من جمعية الاتحاد النسائي . . . ولما كان نصيب المرأة في الميراث ليس من المسائل الداخلة في برنامجها فليس لي أن أتدخل في موضوع المساواة بين الرجل والمرأة في الميراث » .

ومضت هدى شعراوي في ردها تقول : « إنني لست من الموافقين على رأي الأستاذ الخطيب سلامة موسى ، فيما يتعلق بتعديل نصيب المرأة في الميراث . . وذلك لأن لكل بلد تشريعه وتقاليده ، وليس كل ما يصلح في بعضها يصلح في البعض الآخر ، رغم أننا متأثرين بالنهضة النسائية الأوروبية » .

أما القول بأن عدم المساواة في الميراث من دواعي إحجام كثير من الشباب عن الزواج في الشرق فغير وجيه ؛ لأننا نشاهد في أوروبا انتشار هذا الداء في عصرنا الحالي انتشاراً أشد خطورة منه في الشرق ، بالرغم من أن الأوروبية ترث بقدر ما يرث الرجل ، فضلاً عن أنها ملزمة بدفع المهر ، ومكلفة بالتخلي عن إدارة أموالها كزوجة « ، كذلك فندت هدى شعراوي ما قاله سلامة موسى بخصوص أن قاسم أمين كان ينوي المطالبة بمساواة المرأة بالرجل في الميراث ، واعتبرت ذلك رجماً بالغيب (٢) .

ويلاحظ أن صحيفة الفتح قد أثنت على رد هدى شعراوي على سلامة موسى ، وهاجمت سلامة موسى فيما نادى به ، وانتقدت أيضاً ما قاله في كتابه : « أحلام الفلاسفة » الذي دعا فيه إلى نظام تعدد الأزواج ، وشيوعية النساء ، مدعيًا أن هذه الدعوة ينشأ عنها أدب نزيه خالي من القيود ، وزعم أنها توافق الطبيعة البشرية (٣) .

(١) المقطم ، ٢٣ ديسمبر ١٩٢٨ م .

(٢) الأهرام ، عدد ٢٧ ديسمبر ١٩٢٨ م ، ١٦ رجب ١٣٢٧ هـ .

(٣) الفتح ، عدد ١٢٩ ، ٢٢ رجب ١٣٤٧ هـ ، ٣ يناير ١٩٢٩ م .

فضلاً عن ذلك ، قاد سلامة موسى حملة ضد الشريعة الإسلامية في السياسة الأسبوعية تحت عنوان : « النهضة النسائية في مصر تحتاج إلى المطالبة بالمساواة الاقتصادية » وتحت عنوان آخر : « النهضة والميراث » دعا سلامة موسى في هاتين المقتالتين إلى المساواة بين الرجل والمرأة في الناحية الاقتصادية ، والمساواة في الميراث كما هو حادث في الشريعة الغربية ، ورتب - في زعمه - على عدم المساواة في هذه المسائل إلى إحجام الشبان عن الزواج ، وانحطاط مستوى المرأة الأدبي ، وترقية الفنون الجميلة كالغناء والرقص والموسيقى (١) .

وقد قوبلت آراء سلامة موسى باعتراض شديد واستنكار من جانب كتاب الصحافة الإسلامية ، وكان في مقدمة الذين انبروا للرد على سلامة موسى الشيخ أحمد إبراهيم - أستاذ الشريعة في كلية الحقوق في الجامعة المصرية - ومصطفى صادق الرافعي ، والدكتور يحيى الدرديري ، الذي اتهم سلامة موسى بأنه يقود حملة ضد الشريعة الإسلامية بالذات ، وذلك لأن أغلب نساء مصر مسلمات ، وسجل في الرد عليه : « إنه بنى حججه على العاطفة والتقليد لا على البحث العلمي واستقصاء الحقيقة ، شأن كل مصلح ومفكر يريد أن يكون لكلامه أثر ولآرائه اعتبار ، وكان يجب عليه أيضاً قبل أن يتصدى لهذه الدعوة التي لا أساس لها أن يتحرى التاريخ والواقع ، وأن ينظر إلى ما جاءت به الشريعة الإسلامية السمحة من الضمانات الكافية لحماية مكانة المرأة الأدبية والمادية معاً ، أو يقارن بينها وبين أخواتها من الشرائع التي سبقتها في الشرائع الغربية الحديثة ، وبين لنا وجه الإصلاح القائم على الدليل ، والذي تتطلبه الحاجة ، أما أننا نعني بكل ما جاء به الغرب قصداً أو عفواً ضرورياً أو كمالياً ، حسناً أو قبيحاً ، فذلك ما لا يقول به عاقل ولا ينادى به مصلح » ، ثم بين تكريم الإسلام للمرأة وسمو مكانتها في الشريعة الإسلامية بعد انحطاطها في الشرائع السابقة ، فالدين الإسلامي حمى المرأة حماية كبيرة بأن جعل الرجل يكفلها ، كما أعطاه نصف ما للرجل من الميراث لتدفع به عن نفسها إذا ما اعتدى الرجل عليها ، ويمكنها أن تعيش مستقلة محتفظة بكرامتها واستقلالها (٢) .

وواصل الدكتور الدرديري نقده وتفنيده لكلام سلامة موسى نقطة نقطة ، متسائلاً : هل مساواة المرأة بالرجل في الميراث تستلزم رفع مستوى المرأة الأدبي ؟ وهل عدم مساواة المرأة بالرجل في الميراث يستلزم انحطاطها الأدبي ؟ ثم يشير إلى أن سلامة موسى سيرد بالإيجاب وأنه واهم في زعمه ، وإلا ماذا يقول سلامة في المرأة الإنجليزية التي لا ترث

(١) الشبان المسلمون ، ج٦ ، م ١ ، شوال ١٣٤٨ هـ ، مارس ١٩٣٠ م ، مقال بعنوان : « المرأة والميراث في الإسلام » مع مقارنته ببعض الشرائع الأخرى .

(٢) الشبان المسلمون ، ج٥ ، م ٦ ، م ١ ، رمضان وشوال ١٣٤٨ ، فبراير ومارس ١٩٣٠ م .

شيئاً ؟ فهل يعتبرها أخط المخلوقات ؟ وهل نشأ في عدم التساوى بين الرجل الإنجليزي والمرأة الإنجليزية في الميراث انحطاط في الأدب الإنجليزي والفنون الجميلة من غناء ورقص وموسيقى ؟ وهل كبرياء المرأة يتوقف على غناها المادى ؟ إن كثيراً من علماء الإنجليز يقولون العكس .

ويضيف الدكتور الدرديرى : « إن الشريعة التى يعينها سلامة موسى بأننا أخذنا بعض قوانينها هى الشريعة الفرنسية ، وأن هذه الشريعة إذا ساوت بين الرجل والمرأة فى الميراث فلم تعدل بينهما فى جوانب أخرى من التشريع ، على سبيل المثال : ليس للمرأة أن تتاجر إلا برضاء زوجها وأخذها تصريح منه ، وليس للمرأة الفرنسية أن تتصرف فى أموالها إذا لم تكتب عقداً بينها وبين الزوج قبل حصول الزواج وإلا أصبح ما لها تحت تصرف الزوج ، فضلاً عن ذلك ، فإن المساواة بين الرجل والمرأة فى الميراث لا يتبعها المساواة فى بقية الحقوق ، وإن كانت الشريعة الإسلامية أعطت المرأة نصف ما للرجل فقد حملته نفقة الحياة المنزلية ونفقة الأولاد ، ثم منحت الشريعة كفالة الرجل للمرأة فى جميع أدوار حياتها ، فإن لم تجد من يكفلها كفلتها الحكومة ، وأنفقت عليها من بيت المال ، كل هذا حرصاً على كرامة المرأة وعدم تفكك الأسرة » (١) .

وذكر مصطفى صادق الرافعى أن سلامة موسى متأثر بمصطفى كمال أتاتورك فى تقليد أوروبا فى كل شيء ، وأن سلامة موسى لا يفهم الدين الإسلامى ؛ لأنه ليس من أهله ، وأن اقتراحه هذا تطفل منه ، وذلك لأن ميراث البنت فى الشريعة الإسلامية لم يقصد لذاته بل متعلق بمسائل أخرى كالزواج والمهر والنفقة وغيرها ، وإذا وجب على المرأة أن تأخذ من جانب وجب عليها أن تدع من جانب آخر يقابله (٢) .

كذلك رد الشيخ أحمد إبراهيم أستاذ الشريعة فى كلية الحقوق بالجامعة المصرية ، وعضو مجلس إدارة جمعية الشبان المسلمين على سلامة موسى ، مبيناً أنه ليس من حقه الكلام فى مسألة دينية تخص المسلمين (٣) .

كما تصدى رشيد رضا للدكتور فخرى ميخائيل الذى كتب يطالب بمساواة المرأة بالرجل فى الميراث ، مردداً ما قاله سلامة موسى فى المقطم والسياسة الأسبوعية ، وما قاله محمود عزمى فى المناظرة التى تمت بينه وبين رشيد رضا فى الجامعة المصرية ، وذهب رشيد رضا إلى أن هؤلاء يحكمون بأهوائهم فى مسألة مساواة المرأة بالرجل فى الميراث ؛ لأن الرجل هو الذى ينفق على المرأة ، وعلى أولادها منه ، فضلاً عن أن هذا واجب لها

(١) الشبان المسلمون ، ج٦ ، ١ م ، ١ ، شوال ١٣٤٨ هـ ، مارس ١٩٣٠ م .

(٢) الفتى ، عدد ١٣٠ ، ٢٩ رجب ١٣٤٧ هـ ، ١٠ يناير ١٩٢٩ م .

(٣) الشبان المسلمون ، ج٧ ، ١ م ، ١ ، ذو القعدة ١٣٤٨ هـ ، أبريل ١٩٣٠ م .

عليه فى الشريعة الإسلامية ولها حق المطالبة به ، وأن القاضى الشرعى يحكم لها به ، ويكره الرجل عليه فى حال الامتناع ، ولها أن تعترض عليه ، ولا تكلف نفسها أن تشتري لنفسها شيئاً من مالها وإن كانت أغنى من زوجها (١) .

وأعلن محب الدين الخطيب فى الفتح نقلاً عن مقال لفائز بك الخورى صرح فيه أن المساواة بين الرجل والمرأة لم تتحقق لا فى القانون الرومانى ولا الفرنسى ولا الإنجليزى ، فالقانون المدنى الفرنسى يعتبر المرأة غير ذات أهلية حقوقية ، ولا يجوز لها عقد العقود ، ولا القيام بسائر المعاملات ، وهى بحكم القاصر ، والإنجليز يساوون بين المرأة والرجل فى الحقوق السياسية ، ولكنهم لا يساوونها فى الحقوق المدنية ، أما المرأة فى الإسلام فتمتع بحقوق كثيرة ، لم تتمتع بها المرأة الأوربية إلا منذ عهد قريب ، وأن الذين يضللون المرأة بتشجيعها على المطالبة بالمساواة يجهلون مغبة عملهم ، وإما أنهم سيئو النية (٢) .

وعارض محب الدين الخطيب ما يذهب إليه دعاة السفور بتقليد تركيا فى تجربتها ، وتقليد ما فعله مصطفى كمال أتاتورك من إطلاق العنان للمرأة ، مؤكداً أن كمال أتاتورك يعمل على تقويض الإسلام ، ونبذ الشريعة المحمدية فى المعاملات والاجتماعيات ، حيث أزال المحاكم الشرعية ، وقضى على أحكام الله فى الميراث ، وجميع مظاهر تعاليم الإسلام فى تركيا (٣) .

ويشير إلى أنه بسبب موجة الإلحاد التى أصابت تركيا ، وانغماس المجتمع فى الشهوات وانتشار القلق ، تدافع النساء إلى الانتحار (٤) ، واقترح إنشاء جمعية للشابات المسلمات على غرار جمعية الشبان المسلمين لمحاربة دعاة السفور من النساء المتفرجات وأنصار البغاء ورعيماات الحركة النسائية فى مصر (٥) .

وكانت قضية اشتغال المرأة بالتمثيل من المسائل التى أثارت فى الصحافة المصرية ، ويلاحظ أن قيام المرأة بالتمثيل قد قوبل بالرفض المطلق من أنصار الاتجاه الإسلامى فى الصحافة المصرية ، ونشرت الصحف الإسلامية فتوى مشيخة الأزهر عن تبرج المرأة وقيامها بالتمثيل ، موقعة من شيخ الجامع الأزهر ، الشيخ محمد أبى الفضل هذا فحواها :
« سأل سائل : ما حكم الشرع فى المرأة المسلمة المتبرجة ؟ وفى المرأة التى تظهر على

(١) المنار ، ج ١ ، م ٣١ ، محرم ١٣٤٩هـ ، مايو ١٩٣٠ م .

(٢) الفتح ، عدد ٢٣٣ ، ١٩ شعبان ١٣٤٩هـ .

(٣) الفتح ، عدد ١٠٤ ، ٢٤ محرم ١٣٤٧هـ ، ١٢ يوليو ١٩٢٨ م .

(٤) الفتح ، عدد ١١٥ ، ١٣ ربيع الآخر ١٣٤٧هـ ، ٢٧ سبتمبر ١٩٢٨ م .

(٥) الفتح ، عدد ١٠٤ ، ٢٤ محرم ١٣٤٧هـ ، ١٢ يوليو ١٩٢٨ م .

مسارح التمثيل كممثلة ؟

نهى الله - سبحانه وتعالى - عن التبرج بقوله : ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ
الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى ﴾ [الأحزاب : ٣٣] الخطاب فى هذه الآية الشريفة موجه إلى نساء النبى ﷺ
ولكن الحكم عام ، ومعناه المشى بتبختر وتكسر ، أو أن تلقى المرأة خمارها على رأسها
ولا تشده فيوارى قلائدها وقرطها وعنقها ، أو أن تبدى من محاسنها ما يجب عليها
ستره . . . فما يشاهد الآن من كشف المرأة عن ساقها وذراعيها وصدرها مما يستلفت
الأنظار ، تبرج منهي عنه بالإجماع ، لا تقره الشريعة الإسلامية ، ولا يتفق مع الآداب
والعفة لما يؤدي إليه من إثارة الشهوات وإفساد الأخلاق .

أما اشتغال المرأة المسلمة بالتمثيل فهو أولى بالحرمة من التبرجة ؛ لأن التمثيل تبرج
وتهتك ، بل حضور النساء مجال التمثيل والرقص والحفلات التى شأنها أن يختلط فيها
الرجال بالنساء تحرمه الشريعة الإسلامية سداً للذريعة . . . وحيث كان الأمر كذلك
فالواجب على زوج المرأة وأولياء أمرها منعها من ذلك « (١) .

والمتبع لأعداد الصحف الإسلامية فى تلك الفترة يجدها حافلة بالمقالات والتعليقات
التي تهجم الرقص ، وما يحدث فى المسارح من أشياء خارجة عن حدود العقل والشرع
والعرف ، وعد ذلك دعوة إلى عصور الهمجية ، ودليلاً على تبلد الأذهان ، واستدارة
العقول إلى الوراء (٢) .

وكتب الشيخ الخضر حسين يناشد الحكومة ووزير المعارف إلى إلغاء معهد التمثيل
والرقص ، وقد استجاب وزير المعارف حلمى عيسى باشا لطلبه ، وتم إلغاء هذا المعهد فى
عصره (٣) .

ويلاحظ أن قضية تعليم المرأة قد حظيت باهتمام الحركة النسوية فى مصر وطالبت
الصحف النسوية بفتح مجال التعليم الابتدائى والثانوى والعالى أمام المرأة تتعلم فيه حتى
نهاية المراحل التعليمية (٤) .

وحظيت أيضاً هذه القضية باهتمام الصحافة الإسلامية انطلاقاً من نظرة الإسلام إلى

(١) المنار ، ج٣ ، م ٢٦ ، ذو الحجة ١٣٤٣ هـ ، يوليو ١٩٢٥ م .

(٢) الفتح ، عدد ٢٤ ، ١٧ جمادى الأولى ١٣٤٥ هـ ، ٢٥ نوفمبر ١٩٢٦ ، والمنار ، ج١ ، م ٣ ، محرم ١٣٤٨ هـ ،
يونيه ١٩٢٩ م ، والشبان المسلمون ، ذو الحجة والمحرم ١٣٥١ هـ ، مايو ويونيه ١٩٣٢ م ، والإخوان المسلمون ،
عدد ١ ، السنة الرابعة ، ٢٢ محرم ١٣٥٥ هـ ، ٤ أبريل ١٩٣٦ م .

(٣) الهداية الإسلامية ، ج١ ، ١١ ، ١٢ ، م ٣ ، ربيع الآخر وجمادى الأولى ١٣٥٠ هـ .

(٤) النهضة النسائية ، أكتوبر ١٩٢٤ م ، والأمل ١٩٢٥/١١/٢٨ م ، نقلاً عن آمال السبكي : الحركة النسائية فى
مصر ، مرجع سابق ، ص ١٦١ .

التعليم وطلب العلم ، الذى يراه فريضة على كل مسلم ومسلمة ، ومن ممارسات النساء للعلم فى عصر النبى ﷺ ، فإنه كان فى زمنه متفقهات فى الدين حافظات لتعاليمه ، ومنهن كاتبات يعلمن النساء كالشفاء بنت عبد الله ، وكان فى نسائه ﷺ من كن يحسن الكتابة كعائشة وحفصة بنت عمر (١) .

ولكن تجدر الإشارة هنا إلى أن نظرة الكتاب المسلمين إلى تعليم المرأة فى ذلك الوقت كانت نظرة متشدة إلى حد ما ، فبينما كانت نظرة أنصار المرأة والحركة النسائية يطالبن بتعليم المرأة حتى تحصل على أعلى الشهادات كان معظم أنصار التيار الإسلامى يرى ألا يزيد سن البنت فى المدرسة عن عشر سنين أو اثني عشرة سنة على أكثر تقدير ، بحجة أنها إذا رادت عن ذلك السن ، فقد دخلت فى طور المراهقة ، وهو طور له خطره ، ومن ثم يجب على البنت ألا تتعلم إلا ما يساعدها فى إدارة منزلها (٢) .

ويزيد حسن البناء هذا الأمر وضوحاً فيذكر فى صحيفة المنار أنه « يجب تعليم البنت ما لا غنى عنه لها من القراءة والكتابة والحساب والدين ، وتاريخ السلف الصالح رجالاً ونساء ، وتدير شؤون المنزل ، والشؤون الصحية ، ومبادئ التربية وسياسة الأطفال ، وكل ما تحتاج إليه الأم فى تنظيم بيتها ورعاية أطفالها » ، غير أنه يعقب على ذلك قائلاً : « إن المرأة ليست فى حاجة إلى التبحر فى العلوم واللغات المختلفة والدراسات الفنية الخاصة ؛ لأن المرأة للمنزل أولاً وأخيراً وحسبها أن تعلم من العلوم ما يحتاج إليه عامة الناس » (٣) .

ولم نلاحظ وجهات نظر أخرى فى الصحف الإسلامية تخرج عن هذا النطاق فى تعليم المرأة سوى تصريح للدكتور الدرديرى يقول فيه : « إن الإسلام لا يحول بين المرأة وبين أن تتعلم ما تريده من العلوم ، وما تقوم به من الأعمال فى حدود الفضيلة والشرف » (٤) .

ومن أبرز القضايا الخاصة بالمرأة التى لقيت ردود فعل شديدة فى صحافة الاتجاه النسائى قضية إلغاء تعدد الزوجات ، التى ظهرت إثر تصريح من الاتجاه النسائى التى تنزعهم هدى شعراوى وسيزا نبراوى ، وقولهم بخطأ الشريعة الإسلامية فى تعدد الزوجات ، وقد قابلت إحدهن رئيس الوزراء توفيق نسيم ، وطلبت منه سن تشريع ينسخ حكم الله فى تعدد الزوجات تنفيذاً لما قرره مؤتمر سنوى للاتحاد النسائى العالمى الذى عقد على ضفاف البسفور فى خلال حكم مصطفى كمال أتاتورك باقتراح من مندوبات

(١) الفتوح ، عدد ١٩٧ ، ذو الحجة ١٣٤٨هـ ، أول مايو ١٩٣٠ م .

(٢) المنار ، ج ٨ ، م ٣٥ ، مايو ١٩٤٠ م ، ربيع الآخر ١٣٥٩هـ .

(٤) الإخوان المسلمون ، ج ٥ ، م ١ ، رمضان ١٣٤٨هـ ، فبراير ١٩٣٠ م .

الهند (١) .

وصرحت السيدة هدى شعراوى بأن تعدد الزوجات عادة ممقوتة ، وليس لها وجود إلا فى المجتمعات المتخلفة ، وأنه مظهر من مظاهر استتصغار الرجل للمرأة (٢) ، واتفقت الجمعيات النسائية على إلغاء تعدد الزوجات ، سواء تدريجياً أو سريعاً بقوة القانون (٣) ، فضلاً عن ذلك ، سلسلة مقالات كتبها الكاتب القبطى يوسف حنا فى السياسة الأسبوعية بعنوان : « مذكرة فتاة » ، هاجم فيها تعدد الزوجات ، وتطرق إلى الطعن فى الرسول ﷺ قائلاً : « حتى الأنبياء لم يقتصدوا فى ذلك الفحش » ويقصد سيدنا محمد ﷺ (٤) .

وقد واجهت الصحف الإسلامية هذا الهجوم على الشريعة الإسلامية التى أباحت تعدد الزوجات بنص القرآن الكريم ، وكتب الشيخ حسن حقى - من علماء الأزهر الشريف - رافعاً تلك المسألة إلى ملك البلاد وولاية الأمور أن يأخذوا على أيدي هذا الكاتب الذى تجرأ على الطعن فى الشريعة الإسلامية وفى الرسول ﷺ (٥) .

وحفلت الصحف الإسلامية بالمقالات التى تدعو إلى ضرورة مقاومة تيار هدى شعراوى وسيزا نبراوى والحركة النسائية . وحين كتبت ميناس خورى فى المقطم بعنوان : « حول تعدد الزوجات » تناصر الحركة النسائية وهاجم العلماء فى مسألة تعدد الزوجات وتنادى بالاحتكام إلى العقل ، انبرى للرد عليها محمد على غانم فى صحيفة الفتح ، واصفاً هذا الهجوم بأنه تعدى على الدين الإسلامى ، وما كان ينبغى لمن ليس من ديننا أن يتكلم فى أحكامه ويهجم عليه ، وقد استدلل العلماء على إباحة التعدد بنص صريح من القرآن الكريم وهو قوله تعالى : ﴿ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مِثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعٍ ﴾ [النساء : ٣] ، واشترطوا فى إباحته العدل تبعاً لقوله تعالى : ﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةٌ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ﴾ [النساء : ٣] (٦) .

وصرح الشيخ عبد الرحمن الساعاتى بأن التعدد جائز فى الإسلام وأمر لا خلاف فيه بين المسلمين بدليل هذه الآيات السابقة ، وبدليل عمل الصحابة رضی اللہ عنہم وإجماع الأمة الإسلامية على ذلك ، وفند الشيخ عبد الرحمن الساعاتى ما ذهب إليه أنصار المرأة والحركة النسائية فى اعتراضهم على التعدد بأن « الشرع قد اشترط العدالة الكاملة بين

(١) أنور الجندى ، الفتح ، تاريخ الصحافة الإسلامية ، جـ ٢ ، ص ١٢٦ .

(٢) آمال كامل السبكى : الحركة النسائية فى مصر ١٩١٩ - ١٩٥٢ م ، ص ١٥٢ .

(٣) المرجع السابق ، ص ١٥٥ .

(٤) (٥) الفتح ، عدد ١٩٠ ، ١٢ شوال ١٣٤٨ هـ ، ١٣ مارس ١٩٣٠ م .

(٦) الفتح ، عدد ١٦ ، ٤ جمادى الآخرة ١٣٤٥ هـ ، ٩ ديسمبر ١٩٢٦ م .

الزوجات وهى غير مستطاعة ؛ لأن العدل من صفات الخالق» (١) . قال الشيخ الساعاتى : « إن هذا الاعتراض فى غير محله ، وفيه نوع من المغالطة اللفظية ؛ لأن العدل المشروط فى آية التحليل هو العدل فى الكسوة والنفقة والبيت وما إلى ذلك من الأمور الموكولة لتصرف الشخص ، والعدل المنفى فى الآية الثانية ﴿ وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا ﴾ [النساء : ١٢٩] هو العدل المطلق ومنه العدل فى الميل والحب والعاطفة وهو لله وحده ، ويفسر ذلك حديث السيدة عائشة رضي الله عنها قالت : كان رسول الله ﷺ يقسم بين نسائه ويعدل ، ويقول : « اللهم هذا قسمى فيما أملك فلا تلمنى فيما تملك ولا أملك » (٢) .

وأشارت صحيفة الإخوان المسلمين إلى أن إلغاء مبدأ تعدد الزوجات يؤدى إلى حلول المخادنة محله وينشر الزنى ، ويفسد العلاقات بين الجنسين ، ويساعد على تدهور الأخلاق وسقوط الآداب (٣) .

ويرد الدكتور يحيى الدرديرى على الكتاب النصارى الذين هاجموا الدين الإسلامى لإباحته تعدد الزوجات قائلاً : « إن تعدد الزوجات كان فاشياً فى الأمم الشرقية والغربية قبل عهد النبى ﷺ بزمان بعيد ، وأن الفكرة التى يروجها الكتاب الغربيون من أن محمداً ﷺ هو الذى أوجد نظام الإكثار من الزوجات فكرة خاطئة ، تدل على مقدار جهل القائلين بها » ، ثم شرح الدكتور الدرديرى الحكمة من تعدد الزوجات فى الماضى والحاضر وما له من فوائد فى إصلاح الهيئة الاجتماعية بشهادة الغربيين أنفسهم (٤) ، مؤكداً أن الدين الإسلامى نزل ملائماً لجميع الظروف ، فهو يلائم أرقى الأمم حضارة ، وكفى لمطالب أقل الأمم مدنية ، وهذا يدل على سمو مبادئ هذا الشرع الإسلامى الحكيم (٥) .

كذلك رد الدكتور الدرديرى على جماعة المتفرجين الذين رموا النبى ﷺ بأنه شهوانى لتعدد أزواجه ، وأشار بأنه لا عجب إذا تزوج النبى ﷺ بتسع نساء توفى عنهن ، وقد تزوجهن وهو فى سن الشيخوخة لأسباب خاصة لدعوته ، لا طمعاً فى لذة أو استمراء لشهوة ؛ لأن هذا الزواج حدث بعد سن الخمسين ، وبعد بدء الرسالة بعشر سنوات ، ويذكر بعض الأسباب لتعدد ﷺ للزوجات :

١ - كانت زوجات الرسول ﷺ معلمات لنساء المؤمنين .

(١) آمال كامل السبكى : الحركة النسائية فى مصر ، مرجع سابق ، ص ١٥٦ .

(٢) الإخوان المسلمون ، عدد ١ ، السنة الأولى ، ٢٢ صفر ١٣٥٢ هـ .

(٣) الإخوان المسلمون . عدد ٢٦ ، السنة الثانية ، ٢٣ رجب ١٣٥٣ هـ ، أول نوفمبر ١٩٣٤ م .

(٤) الشبان المسلمون ، ج ٧ ، م ٢ ، ذو القعدة ١٣٤٩ هـ ، أبريل ١٩٣١ م .

(٥) الشبان المسلمون ، ج ٢ ، م ٦ ، رجب ١٣٥٣ هـ ، نوفمبر ١٩٣٤ م .

- ٢ - كان يعول بزواجه الأرملة من العائلات الكبيرة .
- ٣ - كان يواسى بزواجه بعض أصحابه تخفيفاً لأعبائهم ممن يترملن من بناتهم .
- ٤ - تحرير الأسرى بزواج بنات كبار العشائر المأسورة .
- ٥ - إبطال بدعة التبنى والقضاء على فكرة التزاوج بأزواج الأديعاء من الأبناء (أى لغرض تشريعى) (١) .

ونشرت مجلة الهداية الإسلامية بحثاً للشيخ محمد السيد النيفر من تونس رداً على الذين يتهمون الرسول بأنه كان شهوانياً لأنه جمع بين الكثير من النساء ، وبين حكمة التشريع من تعدد الزوجات ، وذهب إلى أن الرسول ﷺ كان له خصوصية فى الزواج من النساء والجمع بين أكثر من واحدة (٢) .

ثم مضت الصحافة الإسلامية تبين حكمة التشريع الإسلامى فى تعدد الزوجات وتظهر فوائده ، التى دلت عليها الوقائع فى العصر الحاضر ، وتسجل شهادة علماء أوربا ومفكرىها لميزة هذا التشريع الإسلامى العادل ، ودعوتهم الجمعيات النسائية إلى تطبيق هذا المبدأ فى أوربا لمصلحة الرجال والنساء ، وللتقليل من الفوضى الجنسية ، التى اجتاحت أوربا من جراء إجبار الرجل الأوربى على الاكتفاء بواحدة .

تشير الفتحة إلى شهادة علماء أوربا بالتشريع الإسلامى فى تعدد الزوجات ، فتذكر ما نقله الكاتب التركى جلال نورى بك فى كتابه : « اتحاد الإسلام » عن المسيو غوستاف لويون فى مقالة له بشأن استعمار الأوربيين للمسلمين ما نصه : « أنا لا أريد أن أعيب تعدد الزوجات ، فلا بد من أسباب قوية دعت إلى تشريعه فى الإسلام ، ولا أريد التعمق فى الموضوع فأبرهن على أن تعدد الزوجات غير المشروع الفاشى بين الأوربيين من وراء ستار ليس أحسن من تعدد الزوجات الشرعى عند المسلمين ، ولا هو خير من تكثير النسل الذى هو من النتائج الطبيعية لتعدد الزوجات الشرعى » (٣) .

ونقلت المنار ما كتبه الجرائد الأجنبية عن ضرورة تعدد الزوجات ومنع الاختلاط المحرم ، فقد جاء فى جريدة لاغوص ويكللى ركورد فى عددها الصادر فى ٢٠ أبريل ١٩٠١م نقلاً عن جريدة لندن ثروت بقلم كاتبة إنجليزية تقول : « ولقد كثرت الشاردات من بناتنا وعم البلاء وقل الباحثون عن أسباب ذلك ، وإذا كنت امرأة أرانى أنظر إلى هاتيك البنات ، وقلبي يتقطع شفقة ، وحزناً عليهن .. ولله در العالم تومس فإنه رأى الداء ووصف له الدواء الكامل الشفاء ، وهو أن يباح للرجل الزواج بأكثر من واحدة ،

(١) الشبان المسلمون ، ج ٣ ، م ٦ شعبان ١٣٥٣هـ ، ديسمبر ١٩٣٤م .

(٢) الهداية الإسلامية ، ج ١١ ، م ١٢ ، ربيع الآخر وجمادى الأولى ١٣٥٠هـ .

(٣) الفتحة ، عدد ٣ ، ١٨ ذو الحجة ١٣٤٥هـ ، ٢٩ يونيو ١٩٢٦م .

وبهذه الوساطة يزوال البلاء لا محالة ، وتصبح بناتنا ربوات بيوت ، فالبلاء كل البلاء فى إيجاب الرجل الأوربى على الاكتفاء بامرأة واحدة ، فهذا التحديد هو الذى جعل بناتنا شوارد ، وقذف بهن إلى التماس أعمال الرجال ، ولابد من تفاقم الشر إذا لم يبح للرجل التزوج بأكثر من واحدة .

ونشرت الكاتبة الشهيرة مس اثروود مقالة فى جريدة الإسترن ميل فى عددها الصادر فى ١٠ مايو ١٩٠١م تقول فيها : « إنه لعار على بلاد الإنجليز أن تجعل بناتنا مثلاً للردائل بكثرة مخالطة الرجال ، فما بالناس لا نسعى وراء ما يجعل البنت تعمل على ما يوافق فطرتها الطبيعية من القيام فى البيت ، وترك أعمال الرجال للرجال سلامة لشرفها . . . ألا ليت بلادنا كبلاد المسلمين فيها الحشمة والوقار والعفاف والطهارة . »

وتقول الكاتبة اللادى كوك : « وعلى قدر كثرة الاختلاط تكون كثرة أولاد الزنا ، وهذا بلاء عظيم على المرأة ، فالرجل الذى علقت منه يتركها وشأنها تتقلب مضجع الفاقة والعناء ، وتذوق مرارة الذل والمهانة والاضطهاد بل الانتحار . » وغير هؤلاء من الكتاب الأوربيين الذين أشاروا إلى عدل الإسلام فى إباحة التعدد ، مثل غوستاف لوبون الفرنسى ، وفورن الألمانى ، وبرناردشو الإنجليزى الذى صرح فى كتابه : « الترويح » بأن الدولة الإنجليزية ستضطر إلى اتخاذ الإسلام ديناً لإباحته التعدد قبل انقضاء قرن من الزمان (١) .

وقد أجلى رشيد رضا حكمة التشريع الإسلامى من التعدد ، وضرورته الإنسانية والزوجية ، ومشيراً إلى أن الرسول ﷺ عندما بعثه الله بشريعة الإسلام أبطل الزنا والانكحة الفاسدة ، التى كانت تجعل المرأة كالمتاع أو الحيوان المملوك ؛ ولذلك لم تحرم تعدد الزوجات تحريماً مطلقاً ، ولم يدع الناس على ما كانوا عليه من الإسراف فى التعدد وفى ظلم النساء ، بل قيده بالعدد الذى قد تقتضيه مصلحة النسل ، وحالة الاجتماع ، ويوافق استعداد الرجال له ، وهو ألا يتجاوز الأربع ، واشترط القدرة على النفقة عليهن ، والعدل بينهن لمنع ما كان يقع من ظلم على النساء بقدر الاستطاعة ، الأمر الذى يجعل المسلم يقتصر على زوجة واحدة إلا للضرورة (٢) .

ويلاحظ أن الإسلام لم يوجب التعدد ولم يندب إليه ولم يحرمه تحريماً قطعياً ، وإنما ترك الأمر مباحاً ؛ لأنه قد يكون هناك حاجة ماسة إلى أن يتزوج الرجل بأكثر من واحدة ، وقد يكون ذلك لمصلحة الرجال والنساء ، كأن يتزوج الرجل بامرأة عاقر فيضطر إلى الزواج من غيرها لأجل النسل ، وقد يكون من مصلحتها أو مصلحتها معاً ألا

(١ ، ٢) المنار ، ج ٥ ، م ٣٢ ، محرم ١٣٥١هـ ، مايو ١٩٣٢م .

يطلقها ، وترضى بأن يتزوج غيرها ، لاسيما إذا كان ملكاً أو أميراً ، أو قد تدخل المرأة في سن اليأس ويرى الرجل أنه مستعد للإنجاب من غيرها ، وهو قادر على مؤنة غيرها ، وكفاية أولاده ، أو أن يرى الرجل أن المرأة الواحدة لا تكفى لإحصانه ويرى نفسه مضطراً إلى أحد الأمرين : التزوج بثانية أو الزنا الذى يضيع الدين والمال والصحة . . وقد يكون التعدد لمصلحة الأمة كأن تكثر النساء كثرة فاحشة في حالة الحروب ، فتضطّر الكثيرات منهن إلى التكسب بطريقة غير شرعية ، إن لم تكن في حماية زوج يكفلها كما في بلاد الإنجليز والألمان (١) .

ومما نشرته جريدة المصور المصرية وجريدة السائح الأمريكية : « إن نساء الدول التي اشتركت في الحرب العالمية الأولى يطالبن بإيجاد قانون يقضى بتعدد الزوجات ، وقد أنشأت جمعيات لتعميم هذا المطلب في كل من لندن وباريس وبروكسل وبرلين » (٢) ، في حين يهاجم تعدد الزوجات الاتحاد النسائي المصرى ، وأنصار الحركة النسائية في مصر ! كذلك تصدت الصحافة الإسلامية لما كانت تردده رعيمة الاتحاد النسائي هدى شعراوي من المطالبة بسن قانون يمنع انفراد الرجل بالطلاق ، ووجوب مشاركة الزوجة للرجل في الطلاق على اعتبار أنها شاركت في العقد ، وطالبت أن يتم الطلاق أمام المأذون أو القاضي (٣) .

وكان في مقدمة الذين تصدوا لهذه الدعوة محب الدين الخطيب ، الذى أوضح حكمة التشريع في أن يكون الطلاق بيد الرجل ، حيث إنه قد يخطئ الاختيار ، فيقع في امرأة سيئة الخلق أو الخلقة ، فإذا لم يكن له حق الطلاق حاول التخلص منها بطريقة لا تحمد عقباها . فضلاً عن ذلك ، فإن الشرع جعل أبغض الحلال عند الله الطلاق ، ويوضح خطأ من يقول : إن هذا عقد حصل بين اثنين فلا يليق أن يحل إلا بهما ، وذلك أن المرأة ليست معقوداً عليها ، وإلا جاز التصرف فيها ، وثانياً : إن عقدة النكاح جعلها الشارع للرجل أصالة ، وهذا لا يتنافى أن بعض المذاهب ، ترى أن للرجل أن يتنازل عن هذا الحق ، ويجعله للزوجة أو للأجنبي ، وهذا غير الذى نحن بصدد من أن يسن تشريع جديد ينص على أن تكون عقدة النكاح أصلاً بين الزوجين (٤) .

وكتب المحامى الشرعى عباس طه مبيناً أسباب إباحة الطلاق في الإسلام ، نلخصها

(١) المنار ، ج ٥ ، م ٣٢ ، محرم ١٣٥١هـ ، مايو ١٩٣٢م .

(٢) الفتى ، عدد ٤٩ ، ٩ ذو الحجة ١٣٤٥هـ ، ٩ يونيو ١٩٢٧م ، مقام بعنوان : « الغرب يصير شرقاً ، والشرق يصير غرباً » لعلى نجيب رئيس جمعية اللواء الإسلامى .

(٣) آمال كامل السبكى : الحركة النسائية ، مرجع سابق ، ص ١٥٢ .

(٤) الفتى ، عدد ٢٤ ، ١٧ جمادى الأولى ١٣٤٥هـ ، ٢٥ نوفمبر ١٩٢٦م .

فى الآتى :

- ١ - عدم تعطيل النسل المرغوب فى المندوب إله على الرجل والمرأة .
- ٢ - أن المرأة قد تكون عقيماً أو آيسا والرجل فقيراً لا قدرة له على الجمع بين اثنين ، فإن لم يستبدل لم يكن مستعداً لأداء النسل .
- ٣ - رفع الحرج عن الزوجين لأنه قد يتصف أحدهما بسوء فى خلقه أو ضعف فى دينه أو يكون بينهما تخالف فى الطباع فتتأثر القلوب ، فصار الضرر - لولا الطلاق - محققاً .

ورد على الذين يطالبون بأن يكون الطلاق مشتركاً بين المرأة والرجل ، مشيراً إلى أن يكون الطلاق بيد الرجل وحده ؛ لأن ذلك أقرب لبقاء ودوام الحياة الزوجية ، بخلاف المرأة فإنها قليلة الثبوت فى الأمور ، كثرة الاضطراب فى الآراء ، سرعة السير مع الأهواء ، ضعيفة الاحتمال على المكار (١) .

وقد ظلت الحرب سجلاً بين دعاة التغريب والسفور ، وبين أنصار الاتجاه الإسلامى فى الصحافة المصرية ردحا من الزمن ، واستمرت الصحافة الإسلامية فى هجومها إزاء التطور الذى جنحت إليه قضية المرأة فى الثلاثينات من هذا القرن ، وما كان يبذل من جهود للقضاء الكامل على كل مظهر من مظاهر إسلامها وشرقيها ، وما ظهر من أعراض ذلك فى اختلاط الطلبة بالطالبات فى الجامعة المصرية بعد أن كان للطالبات مقاعد خاصة بهن ، وأيدت صحف الهلال ، والصحف النسائية هذا الاختلاط ودعت إليه ، غير أن هذه الدعوة قوبلت بمعارضة قوية من الصحف الإسلامية ، وكذلك من طلاب الجامعة أنفسهم ، حيث قامت مظاهرات من طلبة الحقوق وبعض الكليات الأخرى تعلن رفضها للاختلاط (٢) .

وكان لهذا الاعتراض أثره فى انتقال الدعوة إلى مجلس النواب ، وطالب بعض النواب بإلغاء السفور ووقف الفساد ، وألقت الصحف بالمسؤولية على هيكل باشا وزير المعارف آنذاك (٣) . كما تقدم بعض طلبة الجامعة بالتماس لإدارة الجامعة يطلب الفصل بين الطلبة والطالبات وقد علق صادق الرافعى على ذلك بمقال شكر فيه الطلبة وأكد أن مطالبهم تتمشى وتعاليم الإسلام (٤) .

(١) الفتح ، عدد ٢٤ ، ١٧ جمادى الأولى ١٣٤٥هـ ، ٢٥ نوفمبر ١٩٢٦م .

(٢) نور الإسلام ، ج٤ ، م ٦ ، ربيع الآخر ١٣٥٤هـ .

(٣) النذير ، ٢٥ ، ربيع الأول ١٣٥٨هـ ، مقال بعنوان : « من المسؤول عن تدهور الأخلاق فى البلاد » ، لصالح عشموى .

(٤) زكريا سليمان يومية : الإخوان المسلمون والجماعات الإسلامية ، مرجع سابق ، ص ٢٩٦ .

وقد حفلت الصحف الإسلامية بالمقالات التى ترفض اختلاط الرجال بالنساء ، سواء فى المحافل العامة والخاصة ، وفى أماكن التعليم وغيرها ، وكان فى مقدمة الذين رفضوا الاختلاط وتشددوا فيه الشيخ حسن البنا ، وصالح عشاوى ، والشيخ رشيد رضا ومحب الدين الخطيب ، والدكتور يحيى الدرديرى ، ومحمود حفى ، ومحمد حلمى نور الدين ، ومحمد عبد السلام القبانى ، والشيخ الخضر حسين ، وعلى الجندى وغيرهم .

وأجمعت الآراء على أن الدعوة إلى الاختلاط ، سواء فى ميدان التعليم أو فى الحياة الاقتصادية والاجتماعية ، أضر بالمرأة من الناحية الخلقية ضرراً بليغاً تتضاءل معه كل فائدة أخرى ، فقد أفقد المرأة كل ميراث الأم الصالحة والزوجة العفيفة المرغوب فيها ، وكان سبباً فى انهيار الأسرة وتقوض أركانها ، فضلاً عن مخالفته للشرع والعرف .

كذلك أشارت الصحف الإسلامية فى أكثر من موضع إلى أن الداعين إلى حرية المرأة من ناحية الاختلاط بالرجل إن هم إلا مروجو الرذيلة ، والقاضون على كرامة المرأة بحيث تكون متاعاً يتبادل به الفسقة وأهل الفجور بضمن بخس (١) ، ورغم ذلك فقد أسفرت قضية السفور والاختلاط بين الجنسين بالذات عن هزيمة أنصار الفكر الإسلامى فى الصحافة المصرية أمام أنصار المرأة والفكر الغربى .

ويمكننا على ضوء ما سبق أن نجمل أفكار هذا المبحث وموقف الصحف الإسلامية من قضايا المرأة فيما يلى :

إن أول ما طرح من قضايا المرأة قضية السفور والحجاب فى بداية القرن العشرين ، ثم أخذت هذه القضية تتطور بعد الحرب العالمية الأولى إلى المطالبة بخروج المرأة إلى العمل ، وحققها فى التعليم ، وقيامها بالتمثيل ثم الدعوة إلى إلغاء تعدد الزوجات والمطالبة بمشاركة المرأة للرجل فى الطلاق ، والاختلاط بين الجنسين .

كانت الحركة النسائية المصرية التى تكونت فى مارس ١٩٢٣م بقيادة هدى شعراوى متأثرة بالحضارة الغربية ، وتقليد تركيا فى تجربتها فى السفور وإطلاق العنان للمرأة دون

(١) انظر : الإخوان المسلمون ، ١١ ربيع الآخر ١٣٥٢ هـ ، مقال بعنوان : « وظيفة المرأة فى الحياة » لحسن البنا ، والشبان المسلمون ، ١٦ رجب ١٣٥٦ هـ ، أكتوبر ١٩٣٧م ، وجـ ٨ ، ٩ ، م ٣ ، ذو الحجة ومحرم ١٣٥١ هـ ، مايو ويونيه ١٩٣٢م ، وجـ ١ ، م ٧ ، جمادى الآخرة ١٣٥٤ هـ ، أكتوبر ١٩٣٥م ، والنار ، جـ ٣ ، م ١٨ ، جمادى الأولى ١٣٣٣ هـ ، أبريل ١٩١٥م ، مقال بعنوان : « سفور النساء واختلاطهن بالرجال وفوضى الآداب بمصر » لرشيد رضا ، وجـ ١ ، م ٣١ ، ١٣٤٩ هـ ، مايو ١٩٣٠م ، والهداية الإسلامية ، جـ ٤ ، م ١ ، رمضان ١٣٤٨ هـ ، ونور الإسلام « الأزهر » ، عدد ٥ ، م ١ ، جمادى الأولى ١٣٤٩ هـ ، والإخوان المسلمون ، عدد ١٧ ، السنة الأولى ، ٢٠ رجب ١٣٥٢ هـ ، وعدد ٢ ، السنة الثانية ، ١٣٥٣ هـ ، والفتح ، عدد ١٠٤ ، ٢٤ محرم ١٣٤٧ هـ ، ١٢ يوليو ١٩٢٨م ، وعدد ٣٧ ، ٢٢ شعبان ١٣٤٥ هـ ، ٢٤ فبراير ١٩٣٧م ، وغيرها من الأعداد .

ضوابط من دين أو شرع .

فى فترة ما بين الحربين ظهرت بعض الصحف النسائية التى أسهمت فى الدعوة إلى السفور مثل صحيفة السفور ، والنهضة النسائية ، والمرأة المصرية ، والجنس اللطيف ، وأمّهات المستقبل ، والمرأة الجديدة ، بالإضافة إلى الصحف التغريبية : المقطم ، والمقتطف والسياسة ، والسياسة الأسبوعية ، وصحف الهلال .

وقاد الدعوة إلى مساواة المرأة بالرجل فى الميراث والهجوم على تعاليم الإسلام فى ذلك بعض نصارى مصر ، من أمثال : سلامة موسى ، والدكتور فخرى ميخائيل ، ويوسف حنا ، وميناس خورى .

وحاربت الصحافة الإسلامية الدعوة إلى السفور ودعاتها ، وأكدت على خطر هذه الدعوة على مقومات الأمة وكيانها ، وبينت حكم الإسلام فى السفور ونهيه عن التبرج ، واتهمت أنصار السفور بالجهل بتعاليم الإسلام ، وتأثرهم بالغرب .

وناشدت الجمعيات النسائية بأن تعمل على نهضة المرأة المصرية بالرجوع إلى حظيرة الدين والفضيلة وصونها عن التبذل والخلاعة .

وعارض أنصار الفكر الإسلامى الدعوة إلى خروج المرأة للعمل ، ومشاركتها للرجل فى الجامعات العامة والخاصة تقليداً للمرأة الغربية .

كما شنت الصحافة الإسلامية حملة شديدة اللهجة على الحركة النسائية ورعيمتها هدى شعراوى ، واتهمتها بالجهل والعمل على إزاحة الدين والطهر والعفاف من المرأة المصرية .

وهاجمت سلامة موسى وفخرى ميخائيل فى هجومهما على القرآن الكريم ودعوتهما إلى مساواة المرأة بالرجل فى الميراث ، وأكدت أن المساواة بينهما لم تتحقق مطلقاً فى كل الشرائع ، ووضحت حكمة الإسلام فى عدم المساواة بين الجنسين فى الميراث .

واتسمت نظرة كتاب الصحافة الإسلامية إلى تعليم المرأة بالقصور بالمقارنة لمنظور الحركة النسائية فى هذه الناحية .

كما هاجمت الصحافة الإسلامية الحركة النسائية فى دعوتها إلى إلغاء تعدد الزوجات ، ووصفت هذه الدعوة بأنها تعدى على الدين الإسلامى ، وتؤدى إلى فساد الأخلاق وانتشار الزنا ، وأكدت على فوائد التعدد فى إصلاح البيئة الاجتماعية ، وضرورته الإنسانية والزوجية .

ثم تصدت لما كانت تردده زعيمة هذه الحركة من المطالبة بسن قانون ينص على مشاركة المرأة للرجل فى الطلاق .

وطالبت الصحافة الإسلامية بالفصل بين الجنسين فى أماكن التعليم وغيرها .
وقد ظهر فى هذا المجال من كتاب الصحافة الإسلامية : الشيخ حسن البنا ، ورشيد
رضا ، ومحب الدين الخطيب ، وشكيب أرسلان ، ود . محمد البهى ، ورثيقة كامل ،
ود . يحيى الدرديرى ، وعمر إبراهيم الدسوقي - من دار العلوم - والشيخ مصطفى بدر
زيد ، ومحمد فريد وجدى ، ومحمد الباقى اليمنى ، وصالح عشاوى ، والشيخ أحمد
إبراهيم - المدرس بكلية الحقوق - ومصطفى صادق الرافعى ، والشيخ عبد الرحمن
الساعاتى ، وعلى نجيب - رئيس جمعية اللواء الإسلامى - والشيخ عباس طه المحامى
الشرعى وغيرهم .

المبحث السابع صحافة الاتجاه الإسلامى والقضايا الاجتماعية الأخرى

قضية البغاء :

من أهم القضايا الاجتماعية التى أولتها الصحافة الإسلامية قدرًا كبيرًا من الاهتمام والمتابعة قضية البغاء الرسمى فى مصر ، فقد عملت على محاربته وطالبت بإلغائه ، وآزرت جهود العلماء والمصلحين الذين نادوا بإلغائه من مشايخ الأزهر وغيرهم ، ونشرت المنار المذكورة التى قدمها الشيخ محمود أبو العيون المفتش بالجامع الأزهر والمعاهد الدينية إلى رئيس الوزراء ورئيس مجلس الشيوخ ورئيس مجلس النواب لإلغاء البغاء الرسمى ، وقدم فيها الحثيات الآتية :

١ - إن دستور الدولة المصرية يجعل الإسلام دين الدولة الرسمى ، والبغاء محرم فى الإسلام .

٢ - إن تنفيذ قوانين أو أنظمة البغاء مؤذيًا أدبيًا وصحياً .

٣ - إن كثيرًا من الممالك المتمدنة كإنجلترا وألمانيا وأمريكا حرمته ؛ لأنه ظهر أن الاعتراف به رسميًا مفسد للأخلاق ، ومسبب للأمراض ، ومسهل للجريمة الاسترقاق .

٤ - إن التقارير الطبية أثبتت أن تشريع البغاء من أشد الأخطار فى انتشار الأمراض السرية ، وفوضى العلاقات التناسلية .

٥ - إن مواطن البغاء جعلت مأوى لتهديب المواد المحظورة بقانون عام ١٩٢٥ م ، وأصبحت تلك المواطن فوق كونها مواخير للدعارة فهى غرر للحشيش والأفيون والكوكايين وغيرها من المواد السامة (١) .

وعندما كتب الدكتور فؤاد شوكت تحذيرًا فى جريدة المقطم (٢) « يطالب بعدم إلغاء البغاء فوراً ، ويرى أن إبقاء المواخير مؤقتًا فيه حكمة » انبرى للرد عليه فى صحيفة «الفتح» محمد الباقى ، متهمًا إياه بعدم العقل ، إذ كيف يرى عاقل أن التعجل فى إلغاء البغاء حكمة ، وبين أن البغاء الرسمى لم تحكم به القوانين المعروفة فى العالم ، فضلاً عن الشريعة الإسلامية ، وهاجم جريدة المقطم التى تفسح صدر صفحاتها لكل

(١) المنار ، ج٣ ، م ٢٧ ، ذو القعدة ١٣٤٤ هـ ، يونيه ١٩٢٦ م .

(٢) المقطم ، ٢٤ سبتمبر ١٩٢٦ م .

الموضوعات التي تعارض الشريعة الإسلامية (١) .

كذلك هاجم الباقر جريدة الأهرام التي كتبت تقول : إن إلغاء البغاء العلني لا يفيد إلا فيما تناولته أيدى البوليس ويبقى البغاء السري ، وقد فند الباقر هذا الادعاء مشيراً إلى أن النهب والسرقة والخيانة وما شابه ذلك ممنوع شرعاً وقانوناً ، ولكنه لم يحج من الوجود ، فهل يرى كاتب الأهرام أنه لا فائدة في منع الحكومة لذلك ؟ وذهب إلى أن البغاء الرسمي أو العلني يسهل أسباب الفجور لمن لم يسبق له طرق هذه الأبواب ، ومن المؤكد أن في تسهيل سبل البغاء ترويحاً له ، وفي منعه تضيقاً لدائرة انتشاره (٢) .

وحفلت الصحف الإسلامية بالمقالات التي توارز فيها الشيخ أبا العيون الذي أخذ على عاتقه محاربة البغاء الرسمي ، وهاجمت الصحف التي انتقدته كصحيفة الأهرام والمقطم التي ذكرت أنه تعدى على حقوق الإداريين والأطباء والعلماء وكل هيئة صاحبة رأى ، ورعمت أن الإلغاء التام للبغاء ليس في طاقة حكومة من الحكومات أن تقوم به ، وانتهت في رعمها بأنه لا غنى عن وجود عاهرات يقمن بالبغاء رسمياً حفظاً على الآداب والأمن !! (٣) .

وقد أحدث هذا التصريح الذي نشرته المقطم دويماً في الصحف ، وانبرى للرد عليه الشيخ عبد الباقي سرور قائلاً : « إنه من المخزيات أن يقال على صفحات الجرائد : إن إلغاء البغاء يخشى منه على الآداب ، كأن في وجود البغاء صيانة للآداب ! لقد حرمت الشرائع السماوية بأسرها البغاء وحرمت وجوده رسمياً والأمم تدين بهذه العقيدة ، فالقول بأن العمل بهذه العقيدة يخشى منه على الآداب مما لا يعهد له مثيل في الكتابة والتحرير ، فقد وجدت مجتمعات إسلامية منذ مئات السنين وهي خالية من البغاء دون أن يخشى على الآداب ، أو تمس مسألة الأخلاق بضرر » (٤) .

وكتب أحمد زكي أبو شادي يشكر لصحيفة « الفتح » والصحف الإسلامية اهتمامها بمحاربة البغاء الرسمي في مصر ، ويذكر أن بقاء البغاء العلني في صورته الرسمية على الأخص أمر لا يرضى عنه الدين ولا الكرامة القومية ولا الأخلاق والآداب العامة ، ولا يقره العلم والصحة . ويتعجب كيف يمنع الإنجليز البغاء في بلادهم ويكون ذلك موجوداً في بلد إسلامي ، مشيراً إلى أن البغاء من أقبح الآثار الباقية لتجارة الرقيق ، ومنها امتهان

(١) الفتح ، عدد ١٦ ، ٢٣ ربيع الأول ١٣٤٥ هـ ، ٣٠ سبتمبر ١٩٢٦ م .

(٢) الفتح ، عدد ١٣ ، ١٢ ربيع الأول ١٣٤٥ هـ ، ٩ سبتمبر ١٩٢٦ م .

(٣) المقطم ، ٥ سبتمبر ١٩٢٦ م .

(٤) الفتح ، عدد ١٤ ، ١٩ ربيع الأول ١٣٤٥ هـ ، ١٦ سبتمبر ١٩٢٦ م .

الأجنبي لنا واستغلالهم البغاء الرسمى للتكسب منه (١) .

وواصلت الصحف الإسلامية حملتها على البغاء الرسمى ، ودعت إلى العفة والزواج الشرعى وتحصين الفروج ، وبينت خطر البغاء على مستقبل البلاد والأجيال الذين يكون بيدهم مقاليد أمور الأمة فى المستقبل ، وحضت على إقامة الحدود الإسلامية وتطبيق الشريعة الإسلامية ، وإلغاء القوانين الغربية الوضعية (٢) .

وقال حسن البنا المرشد العام للإخوان المسلمين : « إن البغاء الرسمى لطخة عار فى جبين كل أمة تقدر الفضيلة ، فما بالك بالأمم الإسلامية التى يفرض عليها دينها محاربة البغاء والضرب على يد الزانى والزانية بشدة وقسوة » ، وناشد الأمة الإسلامية أن تعمل على أن تكون كل مظاهر الحياة الاجتماعية مما يتفق وآداب الدين ويساير تشريع الإسلام وأوامره (٣) .

وكتب الشيخ محمود أبو العيون فى صحيفة الإخوان مقالاً بعنوان : « تنظيم البغاء هدم للدين والأخلاق » أشار فيه إلى أن إباحة البغاء امتهان لكرامة طائفة من بنى الإنسان ، واستعباداً لفئة أوقعها حظها فى أيدي سماسرة الرقيق ، وأن نظام البغاء وحماية الحكومة له معناه إعلان للرذيلة ، وتسهيل للزنا ، وتشجيع على ارتكاب الفواحش ، وأن أماكن هذه الرذيلة فى مصر يقصدها السائحون ، ويتخذونها عنواناً على انحطاط مصر وأهلها (٤) .

وتحت عنوان « فليسمع وزير الصحة وليسمع المدافعون عن البغاء » ندد أحمد حسين زعيم مصر الفتاة بالبغاء الرسمى فى مصر بلد الإسلام ، وعد ذلك فضيحة الفضيحة ، إذ كيف يكون فى مصر بلد الإسلام الزنا رسمياً بإجازة الدولة والقمار والخمر رسمياً (٥) ، ودعا أحمد حسين إلى مقاومة البغاء الرسمى بالقوة ، مستشهداً بحديث الرسول ﷺ : « من رأى منكم منكراً فليغيره بيده » ، واتهم الوزراء والنواب والشيوخ بأنهم حماة هذه المنكرات (٦) .

ونشرت مجلة نور الإسلام المذكرة التى أعدها الشيخ محمد بخيت مفتى الديار

(١) الفتح ، عدد ٩ ، ٤ صفر ١٣٤٥ هـ ، ١٢ أغسطس ١٩٢٦ م .

(٢) الهداية الإسلامية ، جـ ٢ ، م ٢ رجب ١٣٤٨ هـ ، والفتح ، عدد ١٥٣ ، ٢٠ محرم ١٣٤٨ هـ ، ٢٧ يونيو ١٩٢٩ م ، مقال بعنوان : « التشريع السماوى » لعبد الله مصطفى المراغى .

(٣) الإخوان المسلمون ، عدد ١١ ، السنة الثانية ، ٧ ربيع الآخر ١٣٥٣ هـ . وقد أصدرت صحيفة الإخوان المسلمين عدداً خاصاً للتنديد بالبغاء ، عدد ٣٣ ، ٢٢ ديسمبر ١٩٣٤ م .

(٤) الإخوان المسلمون ، عدد ٣٣ ، ٢٢ ديسمبر ١٩٣٤ م .

(٥) مصر الفتاة ، ٢٨ مارس ١٩٣٨ م .

(٦) رشدى البدرى : أحمد حسين فى الصحافة المصرية ، رسالة ماجستير ، مرجع سابق ، ص ٣٢١ .

المصرية عن البغاء الرسمى يبين فيها حكم الشارع فى البغاء ، وأوضح ضرره وما فيه من مفسد دينية وصحية وأخلاقية واجتماعية (١) .

وقصارى القول : إن صحافة الاتجاه الإسلامى قد عملت على محاربة البغاء الرسمى وناشدت المسؤولين فى الحكومة المصرية أن تعمل على إلغاء البغاء ، وهاجمت الصحف التى تعمل على الترويج له ، وساندت الجهود المبذولة من قبل العلماء والأزهر لإلغاء البغاء ، وأعلنت أن البغاء هدم للدين والأخلاق والآداب العامة والكرامة القومية ، ونادت بتطبيق الشريعة الإسلامية وإقامة الحدود ومقاومة البغاء الرسمى بالقوة .

وأبرز الكتاب الذين حاربوا البغاء الرسمى على صفحات الصحف والجرائد الإسلامية: رشيد رضا، والشيخ حسن النبا، ومحب الدين الخطيب، وأحمد حسين، والشيخ محمود أبو العيون ، والشيخ محمد بخيت - مفتى الديار المصرية - وأحمد زكى أبو شادى ، ومحمد الباقى اليمنى .

الخمور والمخدرات :

مارست صحافة الاتجاه الإسلامى سلطة النقد والتوجيه ، وحاولت أن تضبط مسار الجماهير وسلوكها ، ولا سيما ما يتصل من هذا السلوك بالدين الإسلامى وكشفت عن المظاهر السلبية فى المجتمع ، وحاربت كل مظهر من مظاهر الخروج على الشريعة الإسلامية ، وما يبطل حدًا من حدودها ، أو يسقط عقوبة قررها الشرع الإسلامى ، وجاءت معلومة من الدين بالضرورة ؛ ولهذا شنت الصحف الإسلامية الحرب على شرب الخمور وتناول المخدرات التى انتشرت فى مصر فى تلك الفترة انتشارًا خطيرًا بين جميع فئات المجتمع المصرى ، وبعد أن ظهر فيها نوع جديد فثاك وهو الكوكايين ومشتقاته ، وطالبت الصحف الإسلامية بتشديد العقوبة فيه ، وفى تجارة الرقيق الأبيض ، ودور البغاء وأوراق اليناصيب والميسر وغير ذلك من الأشياء التى حملها إلينا الغرب (٢) .

وقد هاجمت الصحف الإسلامية الصحف التغريبية التى تعلن عن الخمور وتروج لها على صفحاتها وتفتن فى طرق الدعاية لها ، تارة بالخط الكوفى وتارة بالخطوط الجميلة الأخرى ، مثل صحيفة الأهرام والبلاغ والجهاد وغيرها من الصحف التى تكيل المدح فى الخمور وتزين للناس شربها ، ودعت الصحف الإسلامية أصحاب هذه الجرائد أن يكفوا عن النشر ، ذلك أن ضرر النشر أكثر من نفعه المادى ، فالنفع المادى شخصى والضرر عام للقراء « فلتتق الله صحافتنا ومجلاتنا فى شبابنا الذين تستهويهم الفرنجة ويسلبهم القول

(١) نور الإسلام ، ج ٦ ، م ٣ ، جمادى الآخرة ١٣٥١هـ ، ومصر الفتاة ، ١٧ نوفمبر ١٩٣٨ م .

(٢) محمد محمد حسين ، الاتجاهات الوطنية فى الادب المعاصر ، مرجع سابق ، ٣٣٢/٢ ، ٣٣٣ .

المنزخرف والكلام المعسول « (١) .

ويبين المنار أضرار الخمر الجسدية وأضرارها الاقتصادية والاجتماعية ونعت على العلماء تقصيرهم وسلبيتهم عن مقاومة الخمر في مصر ، وقال صالح مخلص رضا : «لو أن الغيرة على الدين الإسلامى بقى فيها عند من يسمون أنفسهم علماء الدين لتوسلوا إلى منع هذه الموبقات بكل وسيلة ، وسلوكوا إليه كل طريق ، هل سمعت أن أحد الشيوخ طلب تعديل لائحة أو قانون لتقويم الأخلاق .. » (٢) .

وتشير الإخوان المسلمون إلى أن حانات الخمر فى أظهر شوارع المدن وأبرز أحيائها ، وتلك اللوحات الطويلة العريضة عن المشروبات الروحية ، وهذه الإعلانات الظاهرة عن الخمر مظاهر يابهاها الدين ، ويحرمها القرآن الكريم أشد التحريم ، وإن هذه الإباحية والمتعة الفاتنة واللهو العاثر فى الشوارع والمجامع والمصايف يناقض ما أوصى به الإسلام من عفة وحياء وشهامة وإباء وانصراف عن الجد (٣) .

وينعى محب الدين الخطيب على انتشار المواد المخدرة فى القطر المصرى ، وانتشار شررها بين طبقات الأمة العاملة فى المدن والقرى بعد أن كان مقصوراً على المدن ، وتعاطاه الفلاحون الذين هم عماد ثروة البلاد ، وناشد الحكومة ورجال الدين وخطباء المساجد أن يهبوا لدرء هذه المفاسد لإنقاذ حياة الشعب ويصبروا الأمة بهذه الهوة السحيقة التى تنحدر إليها ، وأشاد بجهود مجلس إدارة جمعية منع المسكرات الذى رفع عريضة إلى وزير الحقانية يطالبه فيها بتشديد الرقابة على ما يدخل البلاد من المسكرات منعاً لاردياد الجرائم والمنكرات التى تسببها هذه المسكرات (٤) .

وينتقد الشيخ عبد الباقي سرور نعيم الذين يقلدون الغربيين فى التفتن فى الملاهى والملاذ والمسكرات ، ويذهب إلى أنه ينبغي التقليد فيما ينفع كتقليدهم فى العلوم والصنائع وإعداد العدة الحربية ، وتجهيز الجيوش وغير ذلك من وسائل القوة والمنعة (٥) .

وفند المفكر الإسلامى شكيب أرسلان ما تدعيه الجرائد التركية من أن المعاقرة والمقامرة هما من ضرورات المدنية الحديثة ، وأنه لا مندوحة للأمة التركية إذا شئت أن تعلق فى سلم الرقى العصرى من أن تسوق أبناءها إلى اللعب والشرب ، وتهزأ بالأوهام

(١) الإخوان المسلمون ، عدد ٢٨ ، السنة الثانية ، ٧ شعبان ١٣٥٣ هـ ، ١٥ نوفمبر ١٩٣٤ م ، وأنور الجندي ، الفتح ، تاريخ الصحافة الإسلامية ، ص ٣٦٨ ، والفتح ، المجلد الخامس ، ١٩٣٢ م .

(٢) المنار ، ج ٩ ، م ٢٢ ، محرم ١٣٠٤ هـ ، أكتوبر ١٩٢١ م ، مقال بعنوان : « مضار الخمر » .

(٣) الإخوان المسلمون ، عدد ١١٥ ، السنة الثانية ، ٧ ربيع الآخر ١٣٥٣ هـ ، مقال بعنوان : « الخمر » .

(٤) الفتح ، عدد ٤٠ ، ١٣ رمضان ١٣٤٥ هـ ، ١٧ مارس ١٩٢٧ م .

(٥) الفتح ، عدد ٤٩ ، ٩ ذو الحجة ١٣٤٥ هـ ، ٩ يونيه ١٩٢٧ م .

والخرفات القديمة التي معناها أن لعب القمار وشرب الخمر من الرذائل (١) .

وأكدت الصحف الإسلامية على أن أوروبا تعمل على نشر الخمر والقمار في مصر ، حتى تستنزف أموال أهلها ، وليس لهذا علاقة بالمدنية كما يدعى مروجو الخمر ، فيقول الشيخ إسماعيل سعيان : « إن الخمر والقمار انتشرا فينا انتشاراً مريعاً حتى أصبحت حياتنا الاقتصادية سلبية لا إيجابية ، أموال تبدد وعقارات ترهن ، والأجانب يفتحون الحانات لسلب الأموال ، ومن ورائهم الامتيازات الأجنبية تحمي تجارتهم وأموالهم وأنفسهم وأعراضهم ، فضلاً عن تحريم الخمر والقمار في الشريعة الإسلامية ومخالفتها لكل الأخلاق الفاضلة (٢) .

وانبرى كتاب الصحافة الإسلامية للرد على بعض الكتاب الذين زعموا أن الإسلام لم يحرم من المخدرات إلا الخمر ، ولم يرد ذكر الحشيش والأفيون والكوكايين وغيرهما في القرآن ! ولم يُفْتِ الأئمة الأربعة بحرمتها ، وقد نقد هذا الزعم لأن الحشيش لم يكن معروفاً في عهد الأئمة الأربعة ، بل كان عشباً من الأعشاب المجهولة ؛ ولهذا لم يفت فيه الأئمة الأربعة بشيء ، فلما ظهر تصدى للإفتاء فيه العلماء المجتهدون من المتأخرين أتباع أولئك الأئمة ، وذلك أن الأطباء الأقدمين قرروا أنه يسكر ، وأنه يأخذ حكم الخمر ، فإن زعموا أن الله - تعالى - لم ينص في كتابه العزيز إلا على تحريم الخمر ، فما هو سند هؤلاء العلماء في تحريمه ؟ الجواب : إن الخمر لم يحرمها الله تعالى لذاتها بل لعلة الإسكار ، وقد ورد عن الرسول ﷺ في حديث صحيح : « ما أسكر كثيره فقليله حرام » ، فتعاطى المخدرات بأنواعها بناء على ذلك حرام كالخمر (٣) .

وذكرت الفتوح أن هذه الدعوى باطلة تكذبها قواعد الشريعة الإسلامية التي حرمت كل ما يضر بجسم الإنسان وعقله ، وضرر هذه المخدرات أظهر من أن يحتاج إلى بيان ، وأوردت ما قاله أئمة الفقهاء في تحريم الحشيش والأفيون والمسكرات جميعها (٤) .

ومضت الصحف الإسلامية تبين مضار المخدرات الصحية والأمراض التي تنتج عن استعمال المخدرات (٥) .

إضافة إلى ذلك حفلت الصحف الإسلامية بالمقالات التي تؤكد على مضار لعب

(١) الفتح ، عدد ٣٧ ، ٢٢ شعبان ١٣٤٥ هـ ، ٢٤ فبراير ١٩٢٧ م .

(٢) الفتح ، عدد ٨٣ ، ١٧ شعبان ١٣٤٦ هـ ، ٩ فبراير ١٩٢٨ م .

(٣) الإخوان المسلمون ، عدد ١٣٠ ، السنة الثانية ، ٢١ شعبان ١٣٣٥ هـ ، ٢٩ نوفمبر ١٩٣٤ م .

(٤) الفتح ، عدد ٨٣ ، ١٧ شعبان ١٣٤٦ هـ ، ٩ فبراير ١٩٢٨ م .

(٥) الهداية الإسلامية ، ج١ ، ٢م ، جمادى الآخرة ١٣٤٧ هـ ، مقال بعنوان : « تأثير الخمر والبيرة من الناحية الطبية » للدكتور عبد العزيز قاسم .

القمار والميسر والإشارة إلى أن ذلك يفسد الأخلاق ويتلف الأموال ويدنس النفوس ، كما أنه مضيعة للثروات الكبيرة وهدم للبيوت المجيدة، وأنها تجر أصحابها إلى الدمار والوبال، وتخالف النصوص القرآنية ، وتعاليم الإسلام وشريعته (١) .

(١) الإخوان المسلمون ، عدد ١٥ ، غرة جمادى الأولى ، مقال بعنوان « مضار لعب القمار » بقلم حسين عاشور، وعدد ٥ ، السنة الرابعة ، ٢١ صفر ١٣٥٥ هـ ، ١٢ مايو ١٩٣٦ م ، كتب حسن البنا سلسلة مقالات في الفتح عن أضرار القمار الخلقية والصحية والاجتماعية والمالية . الفتح ، عدد ١٠٥ ، صفر ١٣٤٧ هـ ، ٩ يوليو ١٩٢٨ م .

الفصل الرابع صحافة الاتجاه الإسلامى والقضايا السياسية المبحث الأول

صحافة الاتجاه الإسلامى وقضية الخلافة الإسلامية

يهتم هذا المبحث ببيان موقف الصحافة الإسلامية من قضية الخلافة الإسلامية في فترة ما بين الحربين ، والدعوة لها ، وبخاصة بعد إعلان مصطفى كمال أتاتورك إلغاء الخلافة الإسلامية في تركيا في عام ١٩٢٤م ، والتيارات السياسية والمعارك الصحفية التي أفرقتها عملية إلغاء الخلافة الإسلامية ، والتغيرات والمجاذلات التي حدثت في الفكر المصري والإسلامي ، وردود الفعل تجاه هذه القضية في الأوساط الفكرية والسياسية وانقسام الآراء حولها .

ظلت الصحف الإسلامية ، بل ومعظم الصحف المصرية في مطلع القرن العشرين تنادى بالخلافة الإسلامية ، ولم يشذ عن ذلك سوى صحيفة « الجريدة » لسان حال حزب الأمة ، والصحف الموالية للاحتلال ، وكانت قضية الخلافة الإسلامية مطروحة في الفكر المصري ، وظل تعلق المصريين بالخلافة أمرا ملحوظا (١) ، ولا سيما المسلمين منهم لأن الإسلام يجمع بين تركيا دولة الخلافة الإسلامية وبين مسلمي مصر ، وكانت هذه الجامعة الإسلامية قوية رغم كل الجهود التي بذلت لفصلها من قبل الاستعمار وأعوانه كأصحاب المقطم والمقطف ، ورغم كل العوامل التي كانت تعمل على إضعافها (٢) .

وكانت دعوة الصحافة الإسلامية إلى الخلافة الإسلامية في ذلك الوقت تهدف إلى أن يبقى العالم الإسلامى في عزة ومنعة ، وأن يكون المسلمون أمة واحدة وقوة يعتد بها فلا يطمع فيها الطامعون ، وقد ساعد على تعلق الرأي المصري والإسلامي بفكرة الجامعة الإسلامية مهاجمة اللورد كرومر ممثل الاحتلال للمسلمين ، واعتداء الدول الغربية على بعض البلاد الإسلامية الواقعة تحت سيطرة الخلافة العثمانية كطرابلس الغرب وتمرد دول البلقان النصرانية على الدولة العلية (٣) .

فترى صحيفة الشعب تهاجم فكرة نقل الخلافة عن القسطنطينية إلى إحدى الدول

(١) عواطف عبد الرحمن : مصر وفلسطين ، مرجع سابق ، ص ٣٥ .

(٢) محمد حسين : الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر ، مرجع سابق ، جـ ٢ ، ص ٦٠٥ .

(٣) الشعب ، عدد ٣٧٥ ، ٢٥ جمادى الأولى ١٣٣١ هـ ، ٢ مايو ١٩١٣ م .

العربية قائلة : « ... إن العرب وعامة المسلمين قد أجمعوا على أن تكون السلطة العثمانية صاحبة الخلافة الإسلامية إلى اليوم ، وأن آل عثمان هم أصحابها ، ولا ينبغي أن تنتقل إلى غيرهم ... » (١) .

وكان مصطفى كامل يرى أن الأساس الذي يبنى عليه مجد المسلمين ، هو التعلق الصادق براية الخلافة الإسلامية العثمانية ويؤكد تعلق المصريين بهذه الفكرة ، فيقول : « وقد رأينا من المصريين تعلقا حقيقيا بهذه الراية السامية ، وإخلاص لا ريب فيه لسيدنا ومولانا أمير المؤمنين » (٢) .

وقد ظل هذا الشعور بالعطف على موطن الخلافة من المصريين قويا طوال الحرب العالمية الأولى ، وفي السنوات القليلة التي تلتها ، ولم يقل اهتمام المصريين بتتبع تطورات الأحداث فيها رغم انقطاع ما بينهما من صلات ، منذ أن أعلنت إنجلترا الحماية على مصر في ١٨ ديسمبر ١٩١٤ م ، وأعلنت معها زوال سيادة تركيا عليها ، وخلع الخديوى عباس ، وتولية الأمير حسين كامل عرش مصر مع منحه لقب سلطان ، استكمالا لمظاهر انفصال مصر عن تركيا . وقرر مجلس الوزراء في أول اجتماع له برئاسة السلطان حسين إلغاء وظيفة قاضى قضاة مصر التركى ، وبذلك قطعت بريطانيا آخر علاقة لمصر بالخليفة العثماني (٣) . ومع ذلك ظل رأى العام فى مصر على ولائه للخلافة برغم الأحكام العرفية ، ووضع الصحف تحت الرقابة الإنجليزية ، وكبت الشعور العام للمصريين ، ولقد عبر المصريون عن سخطهم للإنجليز الذين أعلنوا الحماية على بلادهم ، وللسلطان حسين الذى قبل تولى السلطة من الإنجليز فى عدة مظاهر ، منها : امتناع طلاب الحقوق عن الذهاب إلى كليتهم لاستقباله فى اليوم الذى حدد لزيارته ١٨ فبراير ١٩١٥ م ، وحين أطلق عليه النار محمد خليل تاجر خردوات بالمنصورة عند مرور موكبه بشارع عابدين فى ١٨ أبريل ١٩١٥ م ، ومنها : أن بعض قبائل العربان قد رفضوا أن يقسموا يمين الطاعة للإنجليز ، ورفض الضباط والجنود المصريون إطلاق النار على إخوانهم الأتراك . واحتجبت صحيفة الشعب عن الظهور احتجاجا على إعلان الحماية ، ورفض أمين الرافعى إصدارها حين طلب منه السلطان حسين ذلك (٤) .

وكان هذا أمرا ملحوظا من الإنجليز أنفسهم ، فقد جاء فى بلاغ سلطة الاحتلال إلى

(١) الشعب ، عدد ٣٧٧ ، ٢٧ جمادى الأولى ١٣٣١هـ ، ٤ مايو ١٩١٣ م ، مقال بعنوان : « الخلافة الإسلامية ، العرب والترك » .

(٢) اللواء ، عدد ٥٨ ، ٤ من ذى القعدة ١٣١٨هـ ، ٥ مارس ١٩٠٠ م .

(٣) محمد محمد حسين : الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ٥ ، ٦ .

(٤) المرجع السابق ، ص ٦ ، ٧ .

السلطان حسين ما يوحى بتقديرهم لخطورة ما أقدموا عليه ، يقول ممثل الاحتلال : «ولا أرى لزوما لأن أؤكد لسموكم بأن تحرير حكومتنا من بقية أولئك الذين اغتصبوا السلطة السياسية فى الأستانة لم يكن ناتجا من أى عداء للخلافة ، فإن تاريخ مصر السابق يدل فى الواقع على أن إخلاص المسلمين المصريين للخلافة لا علاقة له البتة بالروابط السياسية بين مصر والأستانة » (١) .

وقد دخلت تركيا الحرب العالمية الأولى فى صف الألمان ضد الإنجليز وأسفرت الحرب عن هزيمة الألمان ، وتداعى الإمبراطورية العثمانية ، وتحققت أهداف أوروبا فى القضاء على دولة الخلافة الإسلامية بعد محاولات دامت أكثر من مائة عام تخطط فيها الدول الأوروبية مع اليهودية العالمية لتحقيق ذلك الهدف (٢) . واحتلت الجيوش الأوروبية دولة الخلافة الإسلامية وتقاسمها الإنجليز والفرنسيون والإيطاليون ، وكادت تفقد من أراضيها أجزاء تأمرت إيطاليا وفرنسا واليونان على نهبها ، لولا خروج الضابط مصطفى كمال الذى قاد فلول الجيش العثمانى فى معركة ظفيرة ضد غزوة يونانية يؤيدها جورج لويد رئيس وزراء بريطانيا ، حتى تم له إجلاء اليونان عن الأناضول كله فى أواخر ١٩٢٢م (٣) .

ويلاحظ أن الصحافة الإسلامية قد هللت لهذا الانتصار ، وأشادت بمصطفى كمال على اعتبار أن هذا النصر الذى حققه هو نصر للإسلام على أعدائه ، ودعت « المنار » المسلمين إلى تأييد الترك الكماليين فى موقفهم أمام دول أوروبا الطامعة فى اغتصاب ما بقى للمسلمين ، وذهب رشيد رضا إلى أنه يجب تأييد مصطفى كمال كخليفة للمسلمين وإن لم يتحل بلقب الخلافة (٤) .

ولكن سرعان ما انفرد مصطفى كمال بالسلطة فى تركيا وأعلن عزل الخليفة العثمانى وحيد الدين عن السلطنة ، وقطع كل روابط تركيا بالشرق الإسلامى ، وحاول جعل تركيا إحدى دول أوروبا تلبس لباسها ، وتستعمل حروف لغتها وتطبق قانونها . واضطهد المسلمين ، وأغلق المساجد ومنع الأذان والصلاة باللغة العربية ، وألغى تدريس العلوم الإسلامية والعربية فى المدارس والجامعات (٥) .

فضلا عن ذلك ، أذاع مصطفى كمال فصل الدين عن الدولة ، وعين ولى العهد الأمير عبد المجيد خليفة مجردا عن السلطة يقيم فى الأستانة ، ثم أعلن الجمهورية ،

(١) الوقائع المصرية، ١٩ ديسمبر ١٩١٤م ، ود.عواطف عبد الرحمن :مصر وفلسطين ، مرجع سابق ، ص٣٥.

(٢) أنور الجندى : مقدمات العلوم والمناهج ، القاهرة : دار الانتصار ، ص٦٧٤ .

(٣) فتحى رضوان : مشهورون منسيون ، مرجع سابق ، ص١٠٢ .

(٤) المنار ، ج٨ ، ٩ ، م ٢٣ ، ربيع الاول ١٣٤١هـ ، نوفمبر ١٩٢٢م .

(٥) أنور الجندى : مقدمات العلوم والمناهج ، القاهرة : دار الانتصار ، ص٦٧٦ ، ٦٧٧ .

واتخذ أنقرة - التي كانت مركز حركته - عاصمة لها ، ومقر للحكم ، مكتفيا بإرسال ممثل لحكومة أنقرة الجمهورية لدى الخليفة فى الأستانة (١) .

وقد أثار هذا التطور الذى طرأ على الخلافة بتجريدها من السلطة ردود فعل فى الصحافة المصرية ، وانشغلت الصحف بالحديث عن التطورات التى طرأت على الخلافة ، وانقسمت الآراء بين مؤيد ومعارض ، وكان معظم المفكرين المصريين يؤيدون الكمالين ، واحتدمت المعركة حين قدم الشيخ مصطفى صبرى شيخ الإسلام فى تركيا إلى مصر فارا من الكمالين ، وأراد أن ينبه المصريين إلى ما يضمه هؤلاء للإسلام وشريعته وأهله من خبث النية وفساد الدين ، وبين أن الخلافة التى ابتدعوها مجردة عن السلطة ليست من الإسلام فى شىء ، وأن فصل الدين عن الدولة ليس إلا وسيلة للتخلص من سلطانه والتحرر من شريعته وتعاليمه .

ولكن بعض الصحف المصرية هاجمت الشيخ صبرى هجوما مرا ، واتهمته بالهوى وفساد الرأى كصحيفة الأهرام والمقطم (٢) .

وعلى صعيد آخر انبرى رشيد رضا للرد على ما فعله الكماليون من فصل الدين عن الدولة ، وتعيين خليفة مجردا عن السلطة بالرغم مما أعلنه من تأييد لهم من قبل ، وكتب رشيد رضا سلسلة مقالات فى « المنار » بعنوان : « الأحكام الشرعية المتعلقة بالخلافة الإسلامية » ، بين فى الحلقة الأولى من تلك المقالات تعريف الخلافة وحكمها ومن له الحق فى نصب الخليفة وعزله وسلطة الأمة ومعنى الجماعة ، وشروط أهل الاختيار والمبايعة والخليفة الشرعى المعبر عنه بالإمام ، وصيغة المبايعة ، وما يجب على الأمة من الطاعة وشروطها (٣) .

وقد عارض رشيد رضا ما قاله مصطفى كمال باشا فى الخطبة التى ألقاها فى مجلس الجمعية الوطنية الكبرى بأنقرة فى ١٢ ربيع الأول ١٣٤١هـ ، أول نوفمبر ١٩٢٢م من أن نظام الخلافة الشرعى غير صالح ولا موافق لمصلحة الأمة ، وعلق رشيد على فصل الخلافة عن السلطنة مشيرا إلى أن فصل الخلافة عن السلطنة يخرجها عن معناها الشرعى إلى معنى آخر يخالف أصول الإسلام ، وتعبير آخر يخرجها عن كونها الخلافة

(١) محمد محمد حسين : الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر ، مرجع سابق ، جـ ٢ ، ص ٢٦ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٨ ، ألف الشيخ مصطفى صبرى فور إلغاء الخلافة كتابا بعنوان « التكبر على منكرى النعمة من الدين والخلافة والأمة » هاجم فيه الكمالين ، ونبه المصريين لسوء نيتهم ، مظهرا دورهم فى محاربة العصبية الإسلامية وتمسكهم بالعصبية التركية ، وأرجع ذلك إلى صلتهم باليهود والإنجليز ، انظر : د. ركريا سليمان بيومى : الإخوان المسلمون والجماعات الإسلامية ، مرجع سابق ، ص ٥٧ .

(٣) المنار ، جـ ١٠ ، ص ٢٣ ، ربيع الآخر ١٣٤١ هـ ، ديسمبر ١٩٢٢ م .

الإسلامية^(١).

وتناول رشيد رضا فى الحلقة الثانية الشورى فى الإسلام ، واستخلاف الإمام ، وكون طالب الولاية لا يولى ، وإمامة الضرورة والتغلب ، وما يخرج به الخليفة من الإمامة ومسألة عزله والخروج عليه ، ودار العدل ، ودار الجوار ، ووحدة الخليفة وتعددته ، ووحدة الإمام بوحدة الأمة ، وفيه بيان حال الشعوب الإسلامية الحاضرة والخلافة العثمانية وأهل الحل والعقد الآن ، وما يجب عليهم من إقامة الخلافة ، وحزب الإصلاح الإسلامى^(٢) وحزب المتفريجين ، وحزب الفقهاء الجامدين .

وأشار رشيد رضا إلى أن حزب المتفريجين من الترك أكثرهم يرى أنه يجب إلغاء منصب الخلافة الإسلامية من الدولة ، وإضعاف الدين الإسلامى فى الأمة ، واتخاذ جميع الوسائل لاستبدال الرابطة الجنسية أو الوطنية بالرابطة الدينية الإسلامية ، والترك من هؤلاء أشد خصوم إقامة الإمامة الصحيحة فى الدولة التركية .

على أن فريقا من هؤلاء المتفريجين يرى أن وجود منصب الخلافة فى تركيا يمكن الانتفاع به من بعض الوجوه السياسية والأدبية وغيرها إذا كانت الخلافة صورية أو روحانية لا سلطان لها فى التشريع ولا فى التنفيذ ، بل ينحصر نفوذها فى الدعاية السياسية للدولة من طريق الدين كسلطة البابا والبطاركة ، وجمعيات التبشير ، وأكثر هؤلاء من أصحاب العصية الطورانية^(٣) .

وعالج رشيد رضا فى الحلقة الثالثة مقاصد الناس فى الخلافة ، وما يجب على حزب الإصلاح الإسلامى ، وعلاقة الخلافة بالترك والعرب ، وجعل مركز الخلافة فى الحجاز وموانعه ، وكون ملك الحجاز وأهل بيته ليسوا أهلا للخلافة ، وإقامة الخلافة فى بلاد الترك وموانعها ، وبحث إقامة الخلافة فى منطقة وسطى ، ونموذج من النظم الواجب وضعها للخلافة ، ونهضة المسلمين وتوقفها على الاجتهاد فى الشرع ، وحاجة الترك خاصة إلى الاجتهاد ، وتوقف الاجتهاد فى الشرع على اللغة العربية .

وقد بين رشيد رضا أن إحياء الخلافة الصحيحة المستوفية لشروطها الشرعية هو العلاج الشافى للمسلمين وأن ما طرأ على المسلمين من تفرق الكلمة وضعف الدولة

(١) المصدر السابق .

(٢) حزب الإصلاح الإسلامى : هو الحزب الذى تصوره رشيد رضا ، وقال : إنه الحزب الذى يجمع بين الاستقلال فى فهم وفقه الدين وحكم الشرع الإسلامى وكنه الحضارة الإسلامية ، ويتوقف عليه صلاح الأمة الإسلامية .

(٣) المنار ، ج١ ، م ٢٤ ، ١٩ جمادى الأولى ١٣٤١ هـ ، يناير ١٩٢٣ م .

والدين ، وظهور البدع إنما نشأ من فساد الخلافة ، واستنادها إلى القوة والغلبة لا إلى بيعة أهل الحل والعقد المعبر عنهم بالجماعة^(١) .

ومضى رشيد رضا يرد على المتفرجين من المصريين الذين لا يؤيدون قيام الخلافة الإسلامية بحجة وجود بعض النصارى فى بلاد المسلمين ، موضحاً أن الحكومة الإسلامية إذا قامت على شرع الله فستكفل للنصارى كل حق وحرية ، ويستشهد بما قاله الدكتور برتكالوس السورى الجنسية : « إن حكم الشريعة الإسلامية خير لنا معشر النصارى من حكم الدستور الذى يسلبنا كثيراً مما أعطتنا الشريعة الإسلامية من الامتيازات ، ويحملنا ما أعفتنا من التكاليف ، فالشريعة الإسلامية ليس فيها ظلم لغير المسلم ، وهى تساوى بين أضعف ذمى أو معاهد وبين الخليفة الأعظم فى موقف القضاء وتقرير الحقوق^(٢) .

وفى الحلقة الأخيرة من هذه المقالات التى كتبها رشيد رضا مقالة بعنوان : « الخلافة ودول الاستعمار » سجل فيها أن إقامة الخلافة الإسلامية يسوء رجال دول الاستعمار ، وأنهم يقاومونها بكل ما أوتوا من قوة ، وأحرصهم على ذلك الدولة البريطانية ، وأشار إلى أن بريطانيا كانت تسعى قبل الحرب الكبرى لجعل الخلافة فى الأمة العربية ، على أن تكون خلافة صورية تكون آلة بيدها لإبطال تأثير إعلان الخليفة العثمانى إلى الجهاد الدينى بدعوى بطلان صحة خلافته من جهة ، وبدعوى أخرى أن الحرب لا شأن للدين فيها من جهة أخرى^(٣) .

وذكر رشيد رضا فى موضع آخر : أن العامل الأول لكون الدولة البريطانية هى الخصم الأكبر لإقامة الخلافة الإسلامية هو خشيتها أن تتجدد بها حياة الإسلام ، وتحقق فكرة الجامعة الإسلامية ، فيحول ذلك دون استعبادها للشرق كله^(٤) .

وأوضح رشيد رضا أن الخلافة الإسلامية لا يمكن أن تقوم فى بلاد الحجاز على ما هى عليه فى تلك الفترة لعدة موانع ، نوجزها فيما يلى :

١- أن ملك الحجاز « الشريف حسين » يعتمد فى تأييد ملكه على دولة غير إسلامية مستعبدة لشعوب المسلمين ، ولاسيما العرب .

٢ - أن هذا الملك قد لقب نفسه بملك العرب لتكون كل الدول العربية مرتبطة باتفاقيات مع الاستعمار التى تسلب استقلالها ، بالإضافة إلى أن كل حكومة

(١) المنار ، ج٣ ، م٢٤ ، رجب ١٣٤١ هـ ، مارس ١٩٢٣ م .

(٢) المنار ، ج٤ ، م٢٤ ، شعبان ١٣٤١ هـ ، أبريل ١٩٢٣ م .

(٣ ، ٤) المنار ، ج٥ ، م٢٤ ، رمضان ١٣٤١ هـ ، مايو ١٩٢٣ م .

من الحكومات العربية أقوى وأصلح من حكومته وغير مقيدة باتفاقيات مع الاستعمار .

- ٣ - أنه رضى أن يجعل ولديه رئيسين فى بعض البلاد العربية التى استولت عليها الدول الاستعمارية ، وتابعين لوزارة الاستعمار فى تلك الدولة .
 - ٤ - أن حكومة الشريف حسين حكومة استبدادية لا تقوم على الشورى .
 - ٥ - أن حكومته خصم لكل علم يعين على الإصلاح الدينى والدنى .
 - ٦ - أن أهل بيته فاقدون لأهم شروط الخلافة ولا سيما العلم الشرعى .
 - ٧ - أن معظم العالم الإسلامى غير راض عن حكومة الحجاز الحاضرة .
 - ٨ - أن الحجاز فاقدا لما تتوقف عليه إقامة الخلافة من الشوكة والثروة (١) .
- كذلك نوه رشيد رضا إلى أن الخلافة فى بلاد الترك لا تصلح لأمرين :

- ١ - امتناع أكثر الزعماء العسكريين والسياسيين من توحيد السلطة العامة فى شخص الخليفة ، وجعل الخلافة روحانية أو بمعنى آخر فصل السلطة عن الدين .
- ٢ - معارضته الأمة العربية ولا سيما فى الجزيرة العربية وما يتبعها ، واقترح رشيد رضا أن تكون الخلافة الإسلامية فى منطقة وسطى تجمع بين العرب والترك ، واختار لذلك منطقة الموصل فى العراق ، وأن يفوض حزب الإصلاح الإسلامى المشكل من جميع الدول الإسلامية ، فى وضع النظام لإقامة الإمامة العظمى فى هذه المنطقة ، وأن يضع نظاما أساسيا لحكومة الخلافة على أتم الوجوه التى تقتضيها حال العصر فى حراسة الدين وسياسة الدول الإسلامية وإصلاح الأمة ، وبرنامجا لتنفيذ هذا النظام بالتدرج ، على أن تنشأ مدرسة عالية لتخريج المرشحين للإمامة العظمى ، وللإجتهد فى الشرع ، والذين ينتخب منهم رجال ديوان الخلافة الخاص وأهل القضاء والإفتاء ، وواضعى القوانين العامة ونظم الدعوة إلى الإسلام والدفاع عنه (٢) .

وقد جمع رشيد رضا سلسلة مقالاته المتعلقة بالخلافة فى كتاب سماه : « الخلافة أو الإمامة العظمى » ، وقد أحدث هذا الكتاب ضجة كبرى فى الصحافة المصرية والرأى العام الإسلامى وتناولته بعض الصحف بالثناء ، وبعضها بالنقد ، وكتبت جريدة الأهرام مقالة فى المقابلة بين كتاب « الخلافة » العربى الذى نشره رشيد رضا ، وكتاب « الخلافة والحاكمية القومية » الذى صدر عن أنقرة ، وقالت الأهرام : إن كتاب رشيد رضا أحفل كتاب ألف من صدر الإسلام إلى الآن فى موضوع الخلافة ، حيث تناوله من جميع

(١) (٢) المنار ، ج٢ ، ٢٤م ، جمادى الآخرة ١٣٤١هـ ، فبراير ١٩٢٣ م .

أطرافه ، ووفاء حقه من التمهيد ، وبين حقه الذى يقره عليه فحول علماء الإسلام ، وفى مقدمتهم علماء مصر والهند القطارين الإسلاميين العظمين .

وأما الكتاب الثانى فهو الكتاب الذى صدر من أنقرة باللغة التركية ، وقد ضمنه أصحابه أقصى ما يمكن من عبارات الاعتذار للكماليين عما فعلوه من أمر الخلافة حتى اضطروا إلى أن يطعنوا فى جميع أمراء المسلمين ، حتى الخلفاء الراشدين ، كل ذلك ليبرروا أن الخلافة لا تصلح كنظام للحكم (١) .

وهذا الكتاب الأخير مجهول المؤلف والطبعة والناشر واسم البلد الذى طبع فيه ، وأشار رشيد رضا إلى أن حكومة المجلس الوطنى الكبير هى التى نشرت هذا الكتاب تأييدا لخطتها فى هذه المسألة الإسلامية الكبرى ، وقد تولت أمر نشره فى العالم كله مديرية الاستخبارات التركية . وقد أراد مؤلفو الكتاب إثبات أن الخلافة الإسلامية ليست من مسائل الدين بل هى مسألة دنيوية وسياسية ، وانتقد رشيد رضا ما تضمنه الكتاب وخاصة فى مسألة الخلافة وما جاء فيها من أنها مسألة دنيوية وسياسية لا دخل لها بالدين ، وفند ما جاء فى هذا الكتاب من أغلاط تاريخية وشرعية وملية (٢) .

وتجدر الإشارة هنا إلى أنه قد تباينت مواقف المفكرين المصريين تجاه ما أحدثه مصطفى كمال بشأن فصل الخلافة عن السلطة ، وتشكل فى مصر تياران مختلفان : تيار يرى فى حركة كمال أتانورك نكسة كبرى للإسلام لا فى تركيا وحدها ، بل فى العالم الإسلامى كله ، وقاد هذا التيار رشيد رضا ، وأنصار الفكر الإسلامى فى الصحافة المصرية .

أما التيار الآخر فكان يرى فى سياسة أتانورك اتجاهها عمليا ووطنيا وحضاريا يستحق الإعجاب وينبغى الاقتداء به (٣) . وكان معظم أنصار هذا التيار من المتفرجين الذين يعتقدون أن الدين الإسلامى لا يتفق مع هذا العصر ولا يواكبه ، وأنه يمنع الدولة إذا تمسكت به من أن تسير الأمم المتحضرة ، وأكثر هؤلاء ممن تعلموا فى أوروبا أو فى المدارس الأجنبية ، وتشربوا العلوم العصرية ، ويرون إلغاء منصب الخلافة الإسلامية ، واستبدال الرابطة الجنسية أو الوطنية بالرابطة الدينية الإسلامية (٤) .

وكان من أوائل المعارضين لفكرة الخلافة الإسلامية الشيخ على عبد الرازق ، فقد

(١) (٢) المنار ، جـ ١٠ ، ٢٤م ، صفر ١٣٤١ هـ ، أكتوبر ١٩٢٣ م .

(٣) أخبار اليوم بتاريخ ٢٣ فبراير ١٩٨٠ م ، سلسلة مقالات كتبها عبد الحميد الكاتب عن الخلافة الإسلامية .

(٤) د. مصطفى حلمى : نظام الخلافة فى الفكر الإسلامى ، القاهرة : دار الدعوة ١٩٧٧ م .

كتب فى السياسة الأسبوعية يهاجم مسألة الخلافة ، ويؤيد ما ذهب إليه مصطفى كمال أتاتورك فى الفصل بين الخلافة والسلطة (١) .

وبينما الناس فى مصر مختلفون حول ما فعله مصطفى كمال أتاتورك بشأن الخلافة الإسلامية إذا به يكشف القناع عن وجه الحركة الكمالية ، ويسفر عن حقيقة نواياه فىلغى نظام الخلافة فى منتصف مارس ١٩٢٤ م ويطرد الخليفة وأله وأسرتة إلى خارج حدود تركيا ، بعد أن جردهم من أموالهم وممتلكاتهم (٢) .

ولذلك أخذت معظم الصحف المصرية تهاجم مصطفى كمال والكماليين مهاجمة عنيفة ، وتراجع بعض الكتاب الذين ناصروا مصطفى كمال وأحسنوا الظن به عن موافقهم ، وكان من أبرز المهاجمين لهذا الانقلاب : أمين الرافعى فى جريدة الأخبار ، والشيخ محمد حسنين ، ومحمد البتانونى فى جريدة الأهرام ، والشيخ محمد شاكى وكيل الجامع الأزهر وانشغلت الصحف بأخبار الخليفة عبد المجيد وأسرتة وأخبار المطرودين من آل عثمان وبيان مواقف الزعماء والمفكرين وعلماء الدين فى مصر وفى شتى أنحاء العالم على هذا الانقلاب الخطير ، وعلى ما يتلوه من خطوات تدفع بالترك بعيدا عن ماضيهم الإسلامى وتقطع ما بينهم وبينه من صلات لتلحقه بالغرب ، وحملت على مصطفى كمال الذى أسرف فى حمل الناس على مذهبه ، وقتل كل من ارتفع صوته يدافع عن الإسلام وتعاليمه (٣) .

وكان إلغاء الخلافة الإسلامية بمثابة الشرارة التى تطايرت فى أنحاء العالم الإسلامى وأحدثت تغيرات كبيرة فى كيان الأمة الإسلامية ، حيث انتقلت العدوى من تركيا إلى سائر البلاد ، فقامت فى الهند وفى بعض البلاد الإسلامية هيئات تدعو إلى نقل الخلافة إلى دولة إسلامية ، وكانت بريطانيا تؤيد نقل الخلافة إلى مصر ، وقد أخذ هذا الاهتمام بهذه المسألة يتزايد ، ولا سيما بعد أن اتجه الملك فؤاد لترشيح نفسه إلى الخلافة مستعينا بعلماء الأزهر من أجل الدعوة له (٤) .

ومنذ ذلك الحين كثرت الدعوات لعقد مؤتمر الخلافة ، وبرز اسم مصر واسم الأزهر كمصدر لهذه الدعوات ، ومركز من أهم مراكز النشاط الإسلامى الذى يحاول معالجة هذه المشكلة ، ونشطت حركة الدعوة إلى عقد هذا المؤتمر حين انتشرت الشائعات التى تعلن

(١) السياسة الأسبوعية ، عدد ٢٠ أكتوبر ١٩٢٢ م.

(٢) د. محمد محمد حسين : الاتجاهات الوطنية ، مرجع سابق ، جـ ٢ ، ص ٣٢ ، ٣٣ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٣٧ - ٤٠ .

(٤) أحمد بهاء الدين : أيام لها تاريخ ، القاهرة : مؤسسة أخبار اليوم ، ١٩٥٤ م ، ص ١٢٢ ، ١٢٣ .

ترشيح الحسين بن علي ملك الحجاز للخلافة (١) .

وفى ١٩ مارس ١٩٢٤م اجتمع عدد من علماء الأزهر وطلبته ، وألفوا لجنة تدعو هيئة كبار العلماء والأمراء وغيرهم من قادة الرأي للبحث فى أمر الخلافة وأسندت رئاسة اللجنة إلى الشيخ يوسف نصر الدجوى من هيئة كبار العلماء . وفى ٢٥ مارس اجتمعت بالإدارة العامة للمعاهد الدينية بالأزهر الهيئة العلمية الدينية الإسلامية الكبرى برئاسة شيخ الأزهر أبى الفضل الجيزاوى ، وعضوية كثيرين ، منهم الشيخ محمد مصطفى المراعى - رئيس المحكمة العليا الشرعية - وعبد الرحمن قراعة ، ومحمد على الببلاوى ، وعبد الحميد البكرى شيخ مشايخ الطرق الصوفية ، ووكيل الأزهر السابقين : الشيخ محمد حسنين والشيخ محمد شاكر ، وفيها مديرو المعاهد الدينية ومشايخ الأقسام بالأزهر وغيرهم ، وفيها من المدنيين : أمين سامى وأحمد تيمور من أعضاء مجلس الشيوخ ، وأحمد خشبة وكيل مجلس النواب ، وفيهم محمد وحيد الأيوبى ، والسيد رشيد رضا ، وتولى السكرتارية الشيخ حسن والى مفتش المعاهد الدينية (٢) .

وقد نشرت هذه الهيئة بيانا قررت فيه أن الخلافة رئاسة عامة فى الدين والدنيا ، والإمام نائب عن صاحب الشريعة ﷺ فى حماية الدين وتنفيذ أحكامه وفى تدبير شؤون الخلق الدنيوية على مقتضى النظر الشرعى ، وأن الإمام يتولى الحكم بالبيعة من أهل الحل والعقد ، أو باستخلاف إمام قبله ، أو بطريق التغلب وحده . كذلك صرحت أن ما ينحل به عقد الإمامة - أى خلع الخليفة - هو زوال المقصود من الإمام كالأسر والعجز عن تدبير مصالح الأمة ، أو متى وجد من الإمام ما يوجب اختلال أحوال المسلمين ، ومهدت بهذه المقدمة لتقرير شرعية خلو منصب الخلافة ، وأن خلافة عبد المجيد لم تكن شرعية ؛ لأنها مجردة عن السلطة الزمنية منذ توليته ، والدين لا يعرف هذا التجريد ، وحتى إذا صحت البيعة له فلم يتم لهذه البيعة نفوذ فى الحكم ، ولو كانت صحيحة نافذة فقد انحلت لعجزه عن القيام بتدبير أمور الدين والدنيا ، وخلصت بنتيجة مؤداها أن عبد المجيد ليست له البيعة فى أعناق المسلمين ، ثم دعت الهيئة أيضا لعقد مؤتمر إسلامى بالقاهرة تحت رئاسة شيخ الأزهر يحضره ممثلون بجميع الأمم الإسلامية ، يختارون من يجب أن تستند إليه الخلافة الإسلامية ، وحدد للاجتماع شهر مارس ١٩٢٥م (٣) .

(١) د. محمد محمد حسين : الاتجاهات الوطنية ، مرجع سابق ، ج٢ ، ص٤٣ ، وركريا سليمان بيومى : الإخوان والجماعات الإسلامية ، مرجع سابق ، ص٥٧ ، ٥٨ ، وعواطف عبد الرحمن : مصر وفلسطين ، مرجع سابق ، ص١٢٢ ، ١٢٣ .

(٢) طارق البشرى : المسلمون والأقباط فى إطار الجماعة الوطنية ، مرجع سابق ، ص٢٩٦ ، ٢٩٧ .

(٣) المرجع السابق ، ص٢٩٨ .

وعقد علماء الأزهر مؤتمرا موسعا في ٢٥ مارس ١٩٢٤ برئاسة شيخ الأزهر وقرروا في مؤتمرهم (شعبان ١٣٤٤ هـ - مارس ١٩٤٥ م) دعوة المسلمين بعد عام لاختيار خليفة، وتكونت لجنة للإعداد للمؤتمر ، مكن لها الملك فؤاد والصحف الموالية له عن طريق الدعوة للمؤتمر في شتى أنحاء مصر وغيرها ، كما صدرت صحيفة باسم « المؤتمر الإسلامى » ظهر العدد الأول منها في شهر ربيع الأول ١٣٤٣ هـ ، أكتوبر ١٩٢٤ م ، يرأس تحريرها الشيخ محمد فرج المنيأوى رئيس جمعية تضامن العلماء ، وسكرتير شيخ الأزهر ، واطرد صدور المجلة شهريا حتى العدد الرابع ، ثم صدر منها خمسة أعداد أخرى خلال عامى ١٩٢٥ - ١٩٢٦ م ، وأبرز كتابها : الشيخ رشيد رضا ، وفرج المنيأوى، وحسين والى ، وعبد العزيز الإشرافى ، وعبد الباقي سرور نعيم .

وكتب رشيد رضا مقالا في صدر العدد الأول من المجلة ، بين فيه أهمية هذا المؤتمر لأنه أول مؤتمر إسلامى عام يشترك فيه علماء الدين والدنيا من كل الأمم الإسلامية ، وأكد على أن المطلوب فى هذا المؤتمر هو وضع قواعد للحكومة الإسلامية المدنية التى يظهر فيها علو التشريع الإسلامى ، ووضع قواعد للتربية والتعليم تجمع بين هداية الدين ومصالح الدنيا واختيار خليفة وإمام المسلمين ^(١) . ويلاحظ أن مؤتمر الخلافة لم يجتمع إلا فى أول ذى القعدة ١٣٤٤ هـ ، ١٣ مايو ١٩٢٦ م فى دار المعاهد الدينية التابعة للجامعة الأزهر برئاسة الشيخ محمد أبى الفضل ، وحضره مندوبون من البلاد الإسلامية . وقد اقترح رشيد فى مذكرة قدمها للمؤتمر أنه لاختيار الخليفة على الوجه الشرعى الصحيح الذى أجمع عليه سلف الأمة لا بد من إيجاد وسائل ثلاثة هى :

١ - أهل الحل والعقد .

٢ - النظام الذى يوضع لمعرفة من يوجد من أهل الحل والعقد ؟ وأين يوجدون ؟ ومن هم ؟ فإنه لا توجد خلافة عامة تعترف بها جميع الشعوب الإسلامية أو أكثرها إلا بوجود جماعة أهل الحل والعقد فى جميعها أو أكثرها ، وتعارف هذه الجماعات أو أكثرها على نظام للخلافة يناسب حال هذا الزمان ، وثانيا : على المكان الذى يختار لنصب الخليفة فيه ، وثالثا : على الشخص الذى يختار للخلافة ، ثم تبايعه تلك الجماعات .

وأضاف رشيد رضا : إنه يراعى فى نظام الخلافة المناسب لهذا العصر :

١ - ألا يستطيع الخليفة أن يستبد بالأمر إذا رينت له نفسه ذلك .

٢ - أن يكون مستجمعا للشروط الشرعية حتى لا يكون لزعماء المسلمين عذر فى رفض بيعته .

(١) مجلة المؤتمر الإسلامى ، عدد ١ ، ربيع الأول ١٣٤٣ هـ ، أكتوبر ١٩٢٤ م .

٣ - أن تبنى الأحكام ونظم الدولة فى مملكة الخلافة على التشريع الإسلامى بنصوص الكتاب والسنة القطعية .

٤ - أن يكتفى من الشعوب الإسلامية غير الحرة المستقلة فى أمرها بأن تكون مرتبطة بمقام الخلافة فى شؤونها الدينية .

٥ - انتقاء كل ما يعد عدوانا على حكومات هذه الشعوب (١) .

وقد ناقش المؤتمر فى جلساته الأربع التى استمرت من يوم الخميس أول ذى القعدة ١٣٤٤ هـ - ٧ من ذى القعدة ١٣٤٤ هـ (٢) حقيقة الخلافة وشروط الخليفة فى الإسلام ووجوب الخلافة فى الإسلام (٣) .

وقرر مؤتمر الخلافة فى جلسته الأخيرة المنعقدة يوم الأربعاء ٧ من ذى القعدة ١٣٤٤ هـ / ١٩ مايو ١٩٢٦م أن إيجاد الخلافة الإسلامية الشرعية ممكن ، فيجب على

(١) المنار ج٢ ، ٢٧ ، شوال ١٣٤٤ هـ ، مايو ١٩٢٦ م .

(٢) الجلسة الأولى للمؤتمر ١٣ مايو ١٩٢٦م ، ذى القعدة ١٣٤٤ هـ ، والثانية ١٥ مايو ١٩٢٦م ، ٣ ذى القعدة ١٣٤٤ هـ ، والثالثة ١٨ مايو ١٩٢٦م ، ٥ ذى القعدة ١٣٤٤ هـ ، والأخيرة ١٩ مايو ١٩٢٦م ، ٧ ذى القعدة ١٣٤٤ هـ .

(٣) المنار ، ج٢ ، ٢٧ ، ذى القعدة ١٣٤٤ هـ ، يونيو ١٩٢٦م .

وأعضاء المؤتمر هم : الشيخ محمد أبو الفضل شيخ الجامع الأزهر ، والشيخ محمد مصطفى المراعى رئيس المحكمة الشرعية العليا ، والشيخ عبد الرحمن قراة مفتى الديار المصرية ، والشيخ هارون وكيل الجامع الأزهر ومدير المعاهد الدينية ، والشيخ حسن والى السكرتير العام لمجلس الأزهر الأعلى ، والشيخ فراج الميناوى السكرتير الخاص لشيخ الأزهر ، والسيد الإدريسى السنوسى أمير برقة وطرابلس من المغرب ، وأحمد شتوى القرعلى حاكم مصر طابا سابقا من طرابلس المغرب ، والتهامى قليصة بك رئيس مالية مصر طابا من طرابلس المغرب ، والشيخ عمر الميساوى مفتى الخمس سابقا من طرابلس المغرب ، ومحمد الصالحى التونسي العضو فى مجلس الأمة الكبير فى تونس ، والسيد محمد الصديق من أكابر العلماء والأشراف من مراكش ، وأحمد بهاء الدين أفندى مندوب جمعية الخلافة بجنوب إفريقيا ، وأبو بكر جمال الدين أفندى من الجمعية الإسلامية بجنوب إفريقيا ، والدكتور الحاج عبد الله أحمد من جزر الهند الشرقية ، والدكتور الحاج عبد الكريم أمر الله من جزر الهند الشرقية ، والسيد حسن العطاس سلطنة جوهر ، وعناية الله خان المشرفى رئيس دار العلوم بالهند ، والسيد الميرغنى الإدريسى من أمراء تهامة باليمن ، والشيخ عبد الرحمن بن على من قضاة اليمن وأعيانها ، والشيخ يحيى عدنان باننا من أكابر أشراف الحجاز ، والشيخ خليل الخالدى رئيس محكمة الاستئناف الشرعية من فلسطين ، والشيخ أسعد الشقيرى رئيس مجلس التدقيقات الشرعية بالأستانة ، وإسماعيل الخطيب المحامى الشرعى بفلسطين ، والشيخ حسن أبو السعود من فضلاء فلسطين ، ومحمد مراد أفندى مفتى حيفا من فلسطين ، وجمال الحسينى بك سكرتير اللجنة التنفيذية للمؤتمر السادس بفلسطين ، والشيخ عيسى منون مندوب المجلس الأعلى بفلسطين ، وعطا الله الخطيب أفندى مدير أوقاف بغداد من العراق ، والاستاذ عبد العزيز الثعالبي الاستاذ فى كلية آل البيت ببغداد ويعقوب ستكوفيتس أفندى المفتى الأكبر لجمهورية بولونيا .

المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها تهيئة أسبابها ووسائلها وإعداد ما يلزمها من عدة.

ويرى المؤتمر أنه يجب أن يراعى فى تحقيقها الوجه الذى لا يفرق جماعة المسلمين ولا يثير الخلاف بينهم ، ولذلك يقرر أنه لا بد لذلك من تمثيل جميع الشعوب الإسلامية ليتشاوروا فيما يجب عمله لإيجاد الخلافة المستجمة للشروط الشرعية ، ويرى أنه لم تمثل فيه جميع الشعوب الإسلامية تمثيلا تاما وهو يوجه نداءه إلى جميع المسلمين فى سائر أقطار الأرض ألا يهملوا أمر الخلافة التى هى روح الإسلام ومظهره ، وأن يعملوا جميعا لتحقيقها على الوجه المذكور ، أداء لهذا الواجب ، وخروجاً عن الإثم بتركه (١) .

وهكذا ترى أن اجتماع هذا المؤتمر لم يسفر عن شيء ، وذلك لكثرة عدد الطامعين فى الخلافة أمثال شريف مكة حسين بن على الذى بايعه بعض الفلسطينيين والملك فؤاد فى مصر ، والملك أمان الله خان ملك الأفغان (٢) ، فضلا عن ذلك انقسمت الآراء فى مصر حول الخلافة ، فبعض علماء الأزهر كان يرى ترشيح الملك فؤاد للخلافة ، فى حين عارضت جماعة الخلافة الإسلامية برئاسة الشيخ محمد ماضى أبى العزائم ، وبعض علماء الأزهر هذا الترشيح ، ذاكرين أن مصر لا تصلح لانعقاد مثل هذا المؤتمر ، ولا تصلح دارا للخلافة لسيطرة الإنجليز عليها ، ودعوا لوجوب انعقاد هذا المؤتمر فى مكة المكرمة بعد أن سيطر عليها السعوديون (٣) .

وقد تم بالفعل عقد مؤتمر الخلافة الإسلامية فى الحجاز فى ذى القعدة ١٣٤٤ هـ / يونيه ١٩٢٦ م .

ويلاحظ أن « المنار » أخذت تدعو للأمير عبد العزيز بن سعود وتدعم دولته ، وتعقد عليها الآمال فى الإصلاح الإسلامى ، ومقاومة البدع التى فتكت بالمسلمين وفرقت كلمتهم ، وعلق رشيد رضا آمال المسلمين على الدولة العربية السعودية الجديدة ، ونوه إلى أن محل تركيا فى قيادة العالم الإسلامى ، وحمل لواء الخلافة الإسلامية ، وذهب إلى ما ذهبت إليه جماعة الخلافة الإسلامية بقيادة الشيخ « أبى العزائم » من أن مصر لا تصلح للخلافة الإسلامية لعدم استقلال إرادتها ، واحتلال الإنجليز لها (٤) .

ومن ناحية أخرى تصدرت صحف الوفد والأحرار الدستوريين لمحاربة إقامة الخلافة

(١) المنار ، ج٦ ، م ٢٧ ، محرم ١٣٤٥ هـ ، أغسطس ١٩٢٦ م ، وقع هذا القرار بإمضاء شيخ الجامع الأزهر ورئيس المؤتمر محمد أبى الفضل .

(٢) زكريا سليمان يومى : الإخوان المسلمون والجماعات الإسلامية ، مرجع سابق ، ص ٥٨ .

(٣) محمد حسين : الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر ، مرجع سابق ، ج٢ ، ص ٤٨ ، وطارق البشرى : المسلمون والاقباط ، مرجع سابق ، ص ٢١٧ ، ٢١٨ .

(٤) المنار ، ج١ ، م ٢٧ ، رمضان ١٣٤٤ هـ ، أبريل ١٩٢٦ م .

الإسلامية في مصر ، تأكيداً للتيار القومي المصري^(١) ، فضلاً عن رفض الدعوة التي قام بها بعض مشايخ الأزهر لتنصيب الملك فؤاد خليفة للمسلمين ، وأخذت صحيفة السياسة في مهاجمة مؤتمر الخلافة الإسلامية الذي عقد في الأزهر بمصر ، وأعلنت أن المسألة تمس سيادة الدولة ، ويجب أن يترك بحثها للسياسيين ، وأن الدستور ينص على «أنه لا يجوز للملك أن يتولى مع ملك مصر أمور دولة أخرى بغير رضا البرلمان»^(٢) .

واتهمت السياسة مشايخ الأزهر بأنهم ما روجوا لفكرة إقامة الخلافة في مصر إلا رجاء مطامع معينة إذا ما تولى منصب الخلافة الملك فؤاد^(٣) .

وفي تلك الظروف التي انشغل بها الفكر المصري والرأي العام الإسلامي بقضية الخلافة الإسلامية ، إذا بالشيخ على عبد الرازق - القاضي بالمحاكم الشرعية - يصدر كتاباً بعنوان : « الإسلام وأصول الحكم » ، هذا الكتاب يحدث دويماً وضجة كبرى في الأوساط الصحفية والسياسية ، فقد أنكر فيه المؤلف الخلافة ، زاعماً أن القرآن الكريم والأحاديث النبوية لم يرد فيهما أى نص على الخلافة كنظام للحكم يجب أن يلتزم به المسلمون ، وأورد على ذلك أدلة كثيرة ، منها :

أولاً : أن الخلافة من الناحية النظرية هي الرياسة العامة في أمور الدين والدنيا نيابة عن النبي ﷺ ، وعلى هذا الرأي سار خلفاؤه من بعده ، فجمعوا بين السلطتين الدينية والدنيوية ، وتقيدوا بشيء واحد فقط هو مراعاة حدود الشريعة الإسلامية ، غير أننا عندما نمتحن الأدلة التي وردت في تأييد الخلافة لمجدها لا تكفي مطلقاً لغرض هذا الحكم أو تأييده على الأقل .

ثانياً : أن القرآن والسنة خاليان من العبارات التي تؤيد هذا النظام تأييداً صريحاً لا يقبل الشك ، وأما إجماع الأمة ، وهو الدليل الذي يستند عليه في ذلك فلا يمكن إثبات أنه حقيقة تاريخية ، ويكفى أن نذكر مثلاً أن نظام الخلافة الإسلامية كان عرضة للخارجين عليه في كل لحظة ، وقد اختلفت أدوار الخروج والمعارضة فيه قوة وضعفاً ، وبقي الحال على ذلك من أيام على بن أبي طالب إلى عهدنا بجماعة الاتحاد والترقي في تركيا في أوائل القرن الحالى ، والمعارضة على هذا النحو تجعل دعوة الإجماع غير صحيحة .

ثالثاً : ليس هناك حاجة إلى الخلافة في أمور الدين ولا أمور الدنيا ، ففكرة الخلافة

(١) عواطف عبد الرحمن : مصر وفلسطين ، مرجع سابق ، ص ١٢٢ .

(٢) السياسة ، ٢ ، ٢٦ ، ٢٨ فبراير ١٩٢٦ م .

(٣) المنار ، يناير ١٩٢٦ م ، جمادى الآخرة ١٣٤٤ هـ .

ذاتها باعتبارها نوعا من الرياسة فى الدين والدنيا نيابة عن النبى ﷺ تعتمد على تصور غير صحيح لوظيفة النبى ووظيفته الرسالة ، والرسول نفسه لم يسع إلى إقامة دولة ، ولم يكن ذلك جزءا من رسالته ، ولم يكن هناك ضرورة لزعيم يخلف النبى ﷺ .

رابعا : كل ما شرعه الإسلام من أنظمة وقواعد لم يكن فيه شئ كثير ولا قليل من أساليب الحكم السياسى ، ولا من أنظمة الدولة المدنية ، وإنما هو شرع دينى خالص لهم ولمصلحة البشر الدينية لا أكثر ولا أقل ، أما القوانين المدنية فقد تركها الله لعقولنا وترك الناس أحرارا فى تدبيرها حسب عقولهم وظروفهم وتجاربهم .

ويهدف من ذلك فصل الدين عن السياسة (١) .

ويلاحظ أن هذا الكتاب قد قصد به أصلا هدف سياسى حزبى ، فقد أراد حزب الأحرار الدستوريين أن يؤكد معارضته للملك فؤاد الذى كان يطمع فى الخلافة ، حيث لم يكن فى مقدور الأحرار الدستوريين وقف ما يريده ملك البلاد ، فاتخذوا هذا الأسلوب تدعيما لخطتهم السياسية فى محاربة الملك .

ولكن هذا الكتاب أساء إساءة كبيرة إلى الإسلام وجاء محاولة للفصل بين المجتمع والدين ، وإنكار الخلافة الإسلامية من أصلها (٢) ؛ ولهذا لقى هذا الكتاب هجوما بالغيا من الملك فؤاد وأنصاره وكذلك من علماء الدين الإسلامى ومشايخ الأزهر (٣) ، وكان فى مقدمتهم الشيخ محمد الخضر حسين ، الذى كتب كتابا أطلق عليه : « نقض كتاب الإسلام وأصول الحكم » ، أكد فيه فرضية الخلافة من خلال ما جاء فى القرآن الكريم من أمر بالطاعة لأولى الأمر والحكم بالعدل ، وما جاء فى الأحاديث النبوية مثل قول الرسول ﷺ : « كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته » وحديث : « إذا بويع الخليفةتان فاقتلوا الآخر منهما » وغير ذلك من الأحاديث (٤) ، كما ظهر عدد من الكتب التى دحضت شبهات على عبد الرزاق ، منها كتاب : « حقيقة الإسلام وأصول الحكم » الذى ألفه الشيخ محمد بخيت المطيعى مفتى الديار المصرية السابق ، والذى كان من أنشط الدعاة لمؤتمر الخلافة فى مصر وقتها ، وعلى حد قول طارق البشرى كان يعارض كتاب على عبد الرزاق سطرًا سطرًا (٥) ، ومنها كتاب : « نقض الإسلام وأصول الحكم » من

(١) على عبد الرزاق : الإسلام وأصول الحكم ، ص ٥٦ - ٧٩ ، نقلا عن د. عبد اللطيف حمزة : أدب المقالة الصحفية ، ج ٨ ، ص ٣٤٣ ، ٣٤٤ .

(٢) أنور الجندي : يقظة الفكر العربى ، مرجع سابق ، ص ١٢٢ .

(٣) أحمد بهاء الدين : أيام لها تاريخ ، القاهرة : مؤسسة أخبار اليوم ، ١٩٥٤م ، ص ١٢٧ .

(٤) محمد يوسف موسى : نظام الحكم فى الإسلام ، القاهرة : دار الكتاب العربى ، ١٩٦٣م ، ط ٢ ، ص ٣٤ - ٣٩ .

(٥) طارق البشرى : المسلمون والاقباط فى إطار الجماعة الوطنية ، مرجع سابق ، ص ٣٠٩ .

تصنيف الشيخ محمد الخضر حسين أحد مدرسي جامع الزيتونة وقاضى قضاة المحاكم الشرعية فى تونس والحاصل على شهادة العالمية من الجامع الأزهر ، وكتاب سمي : « حقيقة الإسلام وأصول الحكم » من تصنيف الشيخ محمد بخيت المطيعى أحد هيئة كبار العلماء بالأزهر^(١) . ومنها كتاب بعنوان : « نقد علمى لكتاب الإسلام وأصول الحكم » للشيخ محمد الطاهر بن عاشور مفتى الديار التونسية وقد نوهت المنار أيضا والفتح بشأن هذا الكتاب .

وعلى الجانب الصحفى فقد شنت صحافة الاتجاه الإسلامى حملة بالغة العنف على الكتاب وصاحبه ، وكان من أبرز هذه الصحف صحيفة الأخبار واللواء صحيفتا الحزب الوطنى - فى ذلك الوقت - والمنهاج^(٢) والفتح والمنار ، وواجهت هذه الصحف أفكار الكتاب بالنقد والتفنيد ، وقد وصفت المنار كتاب « الإسلام وأصول الحكم » بأنه « هدم لحكم الإسلام وشرعه من أساسه ، وتفريق جماعته وإباحة مطلقة لعصيان الله ورسوله فى جميع الأحكام الشرعية الدنيوية من شخصية وسياسية ومدنية وجنائية وتجهيل للمسلمين كافة من الصحابة والتابعين والأئمة والمجتهدين والمحدثين والمتكلمين ، وبالجملة هو اتباع لغير سبيل المؤمنين ، فالإسلام برىء منه بحسب ما فهمه المسلمون من العصر الأول إلى عصرنا هذا »^(٣) .

ودعا رشيد رضا العلماء وبخاصة مشيخة الأزهر بأن يعلنوا حكم الإسلام فى كتاب على عبد الرزاق ، وألا يسكتوا عما جاء به من طعن للإسلام وأصوله ؛ لأن هذا الكتاب فى سلسلة العداء الذى يصبه أعداء الإسلام ، والطامعون فيه والقضاء على ملكه وإبطال شريعته بالآراء والأفكار وإفساد العقائد والأخلاق ، والطعن فى جميع مقومات هذه الأمة الإسلامية ، وتقطيع جميع الروابط التى تربط بين شعوبها وأفرادها . وأبان رشيد رضا أن ما جاء به على عبد الرزاق إنما هو بدعة لم يقل بمثلها أحد انتمى إلى الإسلام صادقا أو كاذبا ، وخلاصة هذه البدعة : « أنه ليس للإسلام خلافة ولا إمامة ولا حكومة ولا تشريع سياسى ولا قضائى ، وأنه دين روحانى محض كدين النصارى بالمعنى الذى فهمته شيعة البروتستانت منهم دون قبلهم ، وأن ما ادعاه المسلمون من عهد أبى بكر الصديق رضي الله عنه إلى يومنا هذا من أمر الإمامة والخلافة . باطل من القول وضلال فى العمل وفساد فى

(١) المنار ، ج٦ ، ٢٧م ، محرم ١٣٤٥ هـ ، أغسطس ١٩٢٦م ، وقد أفسحت صدر صفحاتها لكاتب مغربى أشاد بكتاب الشيخ المطيعى وعده انتصارا للإسلام وعلمائه على الملحدتين والمارقين ، سلسلة مقالات بدأت فى المنار من ج١ ، ٢٨م ، شوال ١٣٤٥ هـ ، أبريل ١٩٢٧م .

(٢) « المنهاج » مجلة علمية أدبية إسلامية أصدرها فى نهاية عام ١٩٢٥م فى مصر الشيخ أبو إسحاق إبراهيم الجزائرى الأصل ، وقد أنشأها خاصة للرد على على عبد الرزاق وكتاب « الإسلام وأصول الحكم » ، انظر :

المنار ، ج٨ ، ٢٦م ، رجب ١٣٤٤ هـ ، يناير ١٩٢٦م .

(٣) المنار ، ج٢ ، ٢٦م ، ذو القعدة ١٣٤٣ هـ ، يونيو ١٩٢٥م .

الأرض . . . وأن أبا بكر كان ملكا للعرب أراد أن يحقق وحدتهم ويجعل السلطان لقريش وحدهم وليس له ولا لمؤيديه حجة من الدين ، ولم يكن جميع الخارجين عليه والمنايعين أداء الزكاة له مرتدين عن الإسلام ، وأن قتالهم لم يكن دينيا فحسب بل سياسيا للدفاع عن دولة العرب ووحدتهم ، والدين نفسه لم يجب أن تكون للعرب ولا لغيرهم من المسلمين حكومة يرضونها ، ودين الإسلام لم يقيدهم في ذلك » (١) .

فعلى عبد الرزاق يقول في صفحة ١٠٣ من كتابه : « والحق أن الدين الإسلامي برىء من تلك الخلافة التي يتعارفها المسلمون ، وبرىء من كل ما هيؤوا حولها من رغبة ورهبة ومن عزة وقوة ، والخلافة ليست في شيء من الخطط الدينية ، كلا ، ولا القضاء ولا غيرهما من وظائف الحكم ومراكز الدولة ، وإنما تلك كلها خطط سياسية صرفة لا شأن للدين بها ، فهو لم يعرفهما ولم ينكرها ، ولا أمر بها ، ولا نهى عنها ، وإنما تركها لنا لندرجع فيها إلى أحكام العقل وتجارب الأمم وقواعد السياسة . . لا شيء في الدين يمنع المسلمين أن يسبقوا الأمم الأخرى في علوم الاجتماع والسياسة كلها ، وأن يهدموا ذلك النظام العتيق الذي ذلوا له واستكانوا إليه ، وأن يبنوا قواعد ملكهم ونظام حكومتهم على أحدث ما أنتجته العقول البشرية ، وأمتن ما دلت تجارب الأمم على أنه خير وأصول للحكم » (٢) .

والحقيقة أن كتاب الإسلام وأصول الحكم لا يقصد صاحبه تقدم الأمم الإسلامية بهدم نظام الخلافة ؛ لأن نظام الخلافة - كما أشار رشيد رضا - من النظم التي حققت للمسلمين العزة على مدار التاريخ ، وما ذلوا وما استكانوا كما صرح بذلك على عبد الرزاق ، كذلك يلاحظ أن على عبد الرزاق أنكر الأحاديث الواردة في شأن الخلافة وهو بذلك يهدم الشريعة الإسلامية ، ويجعل أحكام القرآن كغيرها ، لا توجب على المسلمين التقيد بها في حكوماتهم ، ولا تمنعهم أن يأخذوا بما عند غيرهم من تجارب الأمم فيها (٣) .

وذكر رشيد رضا أن على عبد الرزاق اعتمد في تأليف كتابه على كتب الإفرنج التي كتبوها في الخلافة وعلى الأخص كتاب : « خلافت وحاكيت مليه » أو « الخلافة والحاكمية القومية » ، والذي كتبه بعض كتاب الترك لإقناع مسلميهم بما فعلته حكومة أنقرة « الجمهورية » من إلغاء الخلافة الإسلامية والفصل بين الدين والحكومة ، كذلك اعتمد على عبد الرزاق على بعض كتب التاريخ والأدب والكلام مثل كتاب الأغاني ، والعقد الفريد ، ولم يكن فيها كتاب من كتب السنة الصحيحة (٤) .

(١-٣) المنار ، ج٢ ، م٢٦ ، ذو القعدة ١٣٤٣ هـ ، يونيو ١٩٢٥ م ، مقال بعنوان : « بحث في الخلافة والحكومة في الإسلام » .

(٤) المنار ، ج٣ ، م٢٦ ، ذو الحجة ١٣٤٣ هـ ، يوليو ١٩٢٥ م .

وسار على منهاج رشيد رضا محب الدين الخطيب فى صحيفته الفتح ، وهاجم على عبد الرازق وشبهه بكمال أتاتورك والاقْتداء به . قال محب الدين الخطيب : « رأى على عبد الرازق كما رأى مصطفى كمال ، أن الفرق بين الإسلام والنصرانية يرجع إلى أن الإسلام عقيدة وعبادة وحكم ، والنصرانية عقيدة وعبادة ولا علاقة لها بالحكم ، فأراد على عبد الرازق كما أراد مصطفى كمال أن يجعل الإسلام نصرانية بإزالة الفارق الذى يمتاز به الإسلام عن النصرانية ، وهو الحكم ، فزعم أن الإسلام كله نصرانية . . ولا علاقة له بالدين » (١) .

وخلاصة ما جاء فى كتاب « الإسلام وأصول الحكم » : أن المسلمين ليس لهم تشريع إسلامى سياسى ولا مدنى ولا قضائى ، وأن الدين ترك لهم ذلك ليرجعوا فيه إلى أحكام العقل وتجارب الأمم ، فيباح لجميع المسلمين ، ولكل شعب منهم أن يختار لنفسه ما شاء من أنواع الحكم إلا شكل الخلافة الإسلامية والنيابة عن النبى ﷺ فى إقامة ما ورد فى الكتاب والسنة ، وما جرى عليه الخلفاء الراشدون من الحكم الإسلامى .

ويلاحظ أيضا أن كتاب « الإسلام وأصول الحكم » كان مؤيدا من قبل الصحف التغريبية والعلمانية المصرية والتركية ، فقد نوهت الصحف التركية بالكتاب وأثنت عليه وعلى مؤلفه ، وترجم إلى اللغة التركية ، وكان حجتهم فى ذلك هى حرية الرأى ، ولكنهم فى الوقت ذاته لم ينشروا آراء المخالفين له ، مما يدل على عدم صحة دعواهم ، فضلا عن ذلك أنه جاء معززا لرفضهم الشريعة الإسلامية وشكل الخلافة وتأسيس حكومة لادينية علمانية (٢) .

ومن أبرز الصحف المصرية التى أيدت على عبد الرازق صحيفة السياسة ، فقد وقفت هذه الصحيفة موقف المدافع عن على عبد الرازق بحجة الانتصار لحرية الرأى وحرية النقد العلمى النزىه ، واعتبرت الشيخ على عبد الرازق مجتهدا ومجددا وشبهته بالشيخ محمد عبده ، حينما اتهم بمخالفة روح الإسلام لأرائه الجريئة والعصرية (٣) ، لكن تصدت لها صحيفة المنار وكتب رشيد رضا مفنندا لأقوالها ، ذاكرا أن صحيفة السياسة لسان حال اللادينيين فى مصر ، وأكبر مفاسد هذا الكتاب أنه يحاول هدم الشريعة الإسلامية من طريق الدين لذلك تناصره ، وفند رشيد رضا حجة السياسة فى أن ما كتبه على عبد الرازق هو اجتهاد فى الرأى قائلا : « لا ينبغى تسمية الطعن فى الدين وإنكار

(١) الفتح ، عدد ١١٧ ، ٢٧ ربيع الآخر ١٣٤٧ هـ ، ١١ أكتوبر ١٩٢٨ م .

(٢) المنار ، جـ ١٠ ، ٢٧م ، جمادى الآخرة ١٣٤٥ هـ ، يناير ١٩٢٧ م .

(٣) المنار ، جـ ٧ ، ٢٦م ، جمادى الآخرة ١٣٤٤ هـ ، يناير ١٩٢٦ م ، وأحمد بهاء الدين : أيام لها تاريخ ، مرجع سابق ، ص ١٣٢ .

المجمع عليه من أحكامه وأصوله اجتهدا» (١) .

وتجدر الإشارة هنا إلى أنه كان للأزهر وعلمائه دور كبير في مواجهة ما جاء في هذا الكتاب ، فقد رفعوا عريضة إلى الملك فؤاد نشرتها المنار موقعة من ستين شيخا أزهريا ، ذكروا فيها أن كتاب « الإسلام وأصول الحكم » ينكر أشياء معلومة من الدين بالضرورة باتفاق بين العلماء ، كإنكاره الخلافة الإسلامية ، وقوله : إن الأحكام التي جاءت بالسنة هي أحكام وقتية انتهت بموت النبي ﷺ ، فلا يصح الأخذ بها ، وهذه الأشياء التي تحكم على صاحبها بالكفر الصريح (٢) .

وطالبوا الملك - باعتباره السلطة العليا في البلاد - أن يتخذ جميع الوسائل المشروعة للدفاع عن الدين وتأْييده بالحجة والبرهان ، وأن يساعد الأزهر - هذه الهيئة الدينية العظمى - في النزول إلى معترك الحياة العامة ومشاركة الناس في مصالح الحياة العامة ، إعلانا بأن الدين لا ينافي الدنيا وإنما جاء لصالحها (٣) ، ثم لم يقف الأمر إلى هذا الحد حتى اجتمعت هيئة كبار العلماء لرئاسة مشيخة الأزهر وحضور أربعة وعشرين عالما من أعضاء هذه الهيئة في الثاني من أغسطس ١٩٢٥م للنظر في التهم التي وجهت للشيخ على عبد الرزاق في كتابه وهي :

١ - إنكاره إجماع الصحابة على وجوب نصب الإمام .

٢ - إنكاره كون القضاء وظيفة شرعية .

٣ - زعمه أن حكومة الخلفاء الراشدين لا دينية .

٤ - طعنه في حكم الإسلام وفي النبي ﷺ (٤) .

وأصدرت هيئة كبار العلماء حكمها بالإجماع بأن الكتاب يمحو أمورا مخالفة للدين ، كذلك قررت الهيئة أن المؤلف سلك مسلكا لا يصدر عن مسلم ، فضلا عن عالم من علماء الأزهر ، ومن أجل ذلك قررت الهيئة (٥) إخراجه من زمرة العلماء ومحو اسمه من

(١) المنار ، ج٧ ، ٢٦م جمادى الآخرة ١٣٤٤ هـ ، يناير ١٩٢٦ م .

(٢) المنار ، ج٣ ، ٢٦م ، ذو الحجة ١٣٤٣ هـ ، يوليو ١٩٢٥ م

(٣) (٤) المنار ، ج٢٣ ، ٢٦م ، ذو الحجة ١٣٤٣ هـ ، يوليو ١٩٢٥ م .

(٥) نشرت المنار قرار هيئة كبار العلماء في كتاب « الإسلام وأصول الحكم » للشيخ على عبد الرزاق وحيثيات الحكم وتفنيد كبار العلماء لما جاء في كتابه ، وقد أثبتت اللجنة المشكلة أن التهم الموجهة إلى الشيخ على عبد الرزاق ثابتة عليه وهي مما لا يناسب وصف العالمية وفقا للمادة ١٠١ من القانون رقم ١٠ لسنة ١٩١١م ونصها: « إذا وقع من أحد العلماء أيا كانت وظيفته أو مهنته ما لا يناسب وصف العالمية فحكم عليه من شيخ الجامع الأزهر بإجماع تسعة عشر عالما معه من هيئة كبار العلماء المنصوص عليها في الباب السابع من هذا القانون بإخراجه من زمرة العلماء ، ولا يقبل الطعن في هذا الحكم ، ويترتب على الحكم المذكور محو اسم المحكوم=

سجلات الجامع الأزهر ، والمعاهد الأخرى ، وأجمعت الهيئة أيضا على فصله من وظيفته ، وكان قاضيا بالمحاكم الشرعية بمحكمة المنصورة الابتدائية الشرعية ، وعدم أهليته للقيام بأية وظيفة عمومية دينية كانت أم غير دينية ، وقد صدر هذا الحكم بدار الإدارة العامة للمعاهد الدينية فى يوم الأربعاء ٢٢ محرم ١٣٤٤ هـ ، ١٢ أغسطس ١٩٢٥ م^(١) .

وفى أعقاب صدور هذا القرار أشار رشيد رضا إلى أن الشيخ على عبد الرزاق كان مغرورا بأنصاره من الإفرنج والمتفرجين والعلمانيين ، ظانا أنهم يرهون بما يكتبون فى جريدة السياسة كبار العلماء فلا يتجرؤون على الحكم عليه ، ثم إنه كان متكلا على وزير الداخلية إسماعيل صدقى باشا ، ووزير الحقانية ورئيس حزب الأحرار الدستوريين آنذاك^(٢) عبد العزيز فهمى باشا والذى ينتمى إليه على عبد الرزاق ، وقد وعد وزير الحقانية ببقائه فى منصب القضاء الشرعى ، ولم يحفل إسماعيل باشا بقرار هيئة كبار العلماء ولم يجب ما طلبه منه بعضهم قبل المحاكمة بوجوب مصادرة الكتاب ، مما جراً الشيخ على عبد الرزاق فى تمسكه بآرائه^(٣) ، وكان الشيخ على عبد الرزاق قبل الحكم عليه يهاجم هيئة كبار العلماء ولا يحفل بهم ، وكذلك كانت جريدة السياسة وكتابها يهاجمون أيضا هيئة كبار العلماء^(٤) .

ورغم هذا صدر الحكم وامتنع عبد العزيز باشا وزير الحقانية عن تنفيذه ، فكانت النتيجة فصله من الوزارة وخروج حزب الأحرار الدستوريين من الوزارة أيضا ، ذلك أن تنفيذ الحكم منوط فى القانون برئيس الوزارة ، وكان رئيس الوزارة أثناء ذلك فى أوروبا ، وقد وقع نائبه يحيى باشا لإبراهيم وزير المالية على تنفيذ الحكم ، وبلغ وزير الحقانية بذلك ، ولكنه لم يفعل بل أحاله على لجنة قسم القضايا فى الوزارة ، مبينا لها ما عنده من الإشكال فى تنفيذه لترى رأيها فيه ، ولما علم رئيس مجلس الوزراء بالنيابة يحيى باشا إبراهيم بأن عبد العزيز فهمى امتنع عن تنفيذ الحكم ، عرض الأمر على جلالة الملك

= عليه من سجلات الجامع الأزهر والمعاهد الأخرى وطرده من كل وظيفة ، وقطع رواتبه فى أية جهة كانت ، وعدم أهليته للقيام بأية وظيفة عمومية دينية كانت أو غير دينية ، فبناء على هذه الأسباب حكمنا نحن شيخ الجامع الأزهر بإجماع أربعة وعشرين عالما معنا من هيئة كبار العلماء بإخراج الشيخ على عبد الرزاق أحد علماء الجامع الأزهر القاضى الشرعى بمحكمة المنصورة الابتدائية الشرعية ، ومؤلف كتاب « الإسلام وأصول الحكم » من زمرة العلماء ، وصدر هذا الحكم بدار الإدارة العامة للمعاهد الدينية فى يوم الأربعاء ٢٢ محرم ١٣٤٤ هـ ، الموافق ١٢ أغسطس ١٩٢٥ م ، المنار ، ج ٥ ، ٢٦ م ، صفر ١٣٤٤ هـ ، سبتمبر ١٩٢٥ م .

(١) - المنار ، ج ٥ ، ٢٦ م ، صفر ١٣٤٤ هـ ، سبتمبر ١٩٢٥ م .

(٤) السياسة ، عدد ٢٠ ، ذو الحجة ١٣٤٣ هـ ، ١٠ سبتمبر ١٩٢٦ م .

فوافق على فصله من وزارة الحقانية ، وتألفت الوزارة من الاتحاديين وحدهم (١) .

وفصل الشيخ على عبد الرازق من وظيفته اعتباراً من ٢٢ محرم ١٣٤٤ هـ ، أغسطس ١٩٢٥ م (٢) ، وانطلقت جريدة السياسة وكتابتها يهاجمون هيئة كبار العلماء والأزهر ، والتنديد بالحكومة ، وتنشر صور الترخيصات التي تمنحها للعاشرات ليزاولن بها الدعارة الرسمية ، وترخيصات نوادى القمار وبيع الخمر (٣) .

وصارت معركة فكرية حول التاريخ الإسلامى ، والشرعية الإسلامية ، ونظام الحكم فى الإسلام فى الصحافة المصرية ، وقد تصدرت الصحف الإسلامية الحملات الصحف العلمانية وبخاصة جريدة السياسة وكتبها ، والصحف الإنجليزية التى أيدت على عبد الرازق ووصفته بلوثر الإسلام (٤) .

وفى الثلاثينات جددت صحف الإخوان المسلمين الدعوة إلى الخلافة الإسلامية التى تجمع بين المسلمين كلهم فى إطار واحد ، وتوحد جهودهم فى محاربة أعدائهم الطامعين فى بلادهم (٥) ، على أن تكون رابطة المسلمين هى العقيدة الإسلامية ، وأعلن حسن البنا « أن الإسلام يشمل العبادة والأخوة والوطن والجنسية والخلق والمادة والقوة والثقافة والقانون » (٦) ، ودعا أحمد حسين زعيم مصر الفتاة إلى إحياء الخلافة الإسلامية فى مصر فى شخص الملك فاروق ، وأطلق عليه لفظ أمير المؤمنين وخليفة المسلمين (٧) ، وشن الحرب على حزب الوفد الذى عارض دعوة أحمد حسين للخلافة الإسلامية فى شخص الملك فاروق ، وكان يستهدف من ذلك التقرب من الملك (٨) .

(١) أحمد بهاء الدين : أيام لها تاريخ ، مرجع سابق ، ص ١٢٧ ، ١٢٨ .

(٢) دخل الشيخ على عبد الرازق الأزهر فى العاشرة من عمره ، وحضر فيه بعض دروس الشيخ محمد عبده مدة قصيرة ، ثم درس الشريعة على الشيخ أحمد أبى خطوة وهو أحد تلاميذ الأستاذ الإمام ، ومن المعجبين بآراء جمال الدين الأفغانى ، ثم حضر على عبد الرازق فى عام ١٩١٠م عدداً من المحاضرات فى الجامعة المصرية لمدة عامين استمع فى أثناءها إلى بحوث الأستاذ نلليوفا فى تاريخ الأدب العربى ، وإلى دروس الأستاذ سانيلانا فى الفلسفة ، وحصل فى عام ١٩١١م على شهادة العالمية من الجامع الأزهر ، ودرس اللغة الإنجليزية بعد ذلك فى إنجلترا فى عام ١٩١٢ م والتحق بجامعة اكسفورد للحصول على درجة علمية فى الاقتصاد والعلوم السياسية ، غير أنه انقطع عن هذا الدرس لقيام الحرب العالمية الأولى ، وعاد إلى مصر ، وأقام مدة فى الإسكندرية ، ألقى خلالها دروساً فى الأدب العربى ، وفى تاريخ الإسلام ، وذلك بالمعهد الإسكندري الأزهرى ، نشرها بعد ذلك فى كتابه المسمى : « الإسلام وأصول الحكم » . د. عبد اللطيف حمزة : أدب المقالة الصحفية ، ط ١ ، القاهرة : دار الفكر العربى ، ١٩٦٣م ، ج ٨ ، ص ٢٤١ ، ٢٤٢ .

(٣) السياسة ، عدد ١٦ صفر ١٣٤٤ هـ ، ٦ أكتوبر ١٩٢٥م .

(٤) الفتح ، عدد ٢٤ ، ٢٠ جمادى الأولى ١٣٤٥ هـ ، ٢٥ نوفمبر ١٩٢٦م .

(٥) النذير ، عدد ٢٩ محرم ١٣٥٨ هـ . (٦) الإخوان المسلمون ، عدد ٢٧ رجب ١٣٥٥ هـ .

(٧) مصر الفتاة ، عدد ٢٨ يناير ١٩٣٩م . (٨) مصر الفتاة ، عدد ١٦ يونيو ١٩٣٨م .

ومجمل القول فى قضية الخلافة الإسلامية فى تلك الفترة أنه استمرت صحافة الاتجاه الإسلامى تؤيد الخلافة الإسلامية العثمانية حتى أعلن مصطفى كمال أتاتورك قيام الجمهورية وفصل الدين عن الدولة ، وعزل الخليفة العثمانى وحيد الدين وتعيين ولى العهد الأمير عبد المجيد خليفة مجردا عن السلطة .

وكان من أبرز الذين تصدوا لما أحدثه كمال أتاتورك فى الخلافة الإسلامية رشيد رضا وكتب سلسلة مقالات فى المنار بعنوان : « الأحكام الشرعية المتعلقة بالخلافة الإسلامية » للرد على هذا الاتجاه ، وبحث أمور الخلافة من جميع جوانبها .

وتشكل فى مصر تياران مختلفان ، تيار يرى فى حركة كمال أتاتورك نكسة كبرى للإسلام لا فى تركيا وحدها بل فى العالم الإسلامى كله ، قاد هذا التيار رشيد رضا وأنصار الفكر الإسلامى ، أما التيار الآخر فكان يرى فى سياسة أتاتورك اتجاها وطنيا وعمليا يستحق الإعجاب وينبغى الاقتداء به ، وكان يقود هذا التيار جماعة من المثقفين المصريين المتأثرين بالفكر الغربى .

وعارض رشيد رضا فكرة إقامة الخلافة الإسلامية فى الحجاز فى عصر الشريف حسين بن على أمير مكة ، واقترح إقامة الخلافة فى منطقة وسطى تجمع بين العرب والترك ، ورشح لذلك منطقة الموصل فى العراق .

وفى منتصف مارس ١٩٢٤م ألغى مصطفى كمال أتاتورك نظام الخلافة الإسلامية ، وطرد الخليفة وأسرت إلى خارج حدود تركيا ، وتجريدهم من ممتلكاتهم .

وأخذت معظم الصحف المصرية تهاجم مصطفى كمال أتاتورك مهاجمة عنيفة ، وكان فى مقدمة الذين انبروا لمهاجمة رشيد رضا فى صحيفته « المنار » وأمين الرافعى فى صحيفة الأخبار ، والشيخ محمد شاکر ، والشيخ محمد حسنين ، ومحمد البتانونى فى الأهرام .

وبعد إسقاط الخلافة الإسلامية طمع فى تقليد منصب الخلافة أكثر من حاكم فى بعض البلاد الإسلامية ، منهم الملك فؤاد فى مصر ، والشريف حسين أمير مكة ، والملك أمان الله خان فى بلاد الأفغان ، وكان بعض علماء الأزهر يؤيدون ترشيح الملك فواد للخلافة ، فى حين عارضه جماعة الخلافة الإسلامية برئاسة الشيخ ماضى أبى العزائم ، وصحف الوفد والأحرار الدستوريين وغيرهم .

وقد انعقد فى مصر مؤتمر الخلافة الأول فى ٢٥ مارس ١٩٢٥م ومؤتمر ثان فى الحجاز فى يونيو ١٩٢٦م ، ولم يسفرا عن شىء ، وأيد رشيد رضا الأمير عبد العزيز آل سعود ودولته .

وفى عام ١٩٢٦م ألف الشيخ على عبد الرازق كتاب « الإسلام وأصول الحكم » الذى أنكر فيه الخلافة الإسلامية من أصولها ، لكن لقى كتابه معارضة شديدة من الملك وأنصاره ، وعلماء الدين ومشايخ الأزهر ، وكان فى مقدمتهم الشيخ محمد خضر حسين ، والشيخ محمد بخيت ، ورشيد رضا ، ومحّب الدين الخطيب ، فى حين أيدت الكتاب الصحف العلمانية المصرية والتركية والإنجليزية .

وكان للأزهر وعلمائه الدور الأكبر فى مواجهة ما جاء فى هذا الكتاب ، وأصدرت هيئة كبار العلماء حكمها بالإجماع على مخالفة ما جاء فيه للدين ، وإخراج مؤلفه من زمرة العلماء ، ومحو اسمه من سجلات الأزهر ، وفصله من وظيفته .

وأشارت الصحف الإسلامية إلى أن على عبد الرازق تأثر فى تأليف كتابه بكتب الإفرنج فى الخلافة ولا سيما كتاب « خلافت وحاكيت مليه » الصادر عن حكومة أتانورك التى ألغت الخلافة ، وشبه محب الدين الخطيب على عبد الرازق بكمال أتانورك والافتداء به .

وفى الثلاثينات جددت صحيفة الإخوان المسلمين وصحف مصر الفتاة الدعوة إلى الخلافة الإسلامية ، ودعا أحمد حسين إلى تولية الملك فاروق خليفة المسلمين .

المبحث الثانى

صحافة الاتجاه الإسلامى والدعوة إلى القومية المصرية

يركز هذا المبحث على الدعوة إلى القومية المصرية فى أشكالها المختلفة وتطورها فيما بين الحريين العالميتين، والعوامل التى أدت لترويجها فى الفكر المصرى الحديث ، وبيان موقف الصحافة الإسلامية من هذه الدعوة وأنصارها .

كانت الحركات القومية المصرية التى نشأت فى مصر حتى عام ١٩٠٧م تتنفس كلها فى جو إسلامى ، وفى نطاق الاحتفاظ بالسيادة العثمانية ، والثورة العربية التى أعلنت شعار : « مصر للمصريين » لم يكن هدفها من هذا الشعار الانفصال عن الجامعة الإسلامية، وإنما كان شعارا يواجه النفوذ الغربى المقتحم أرض الوطن واستبداد الخديوى، ويتضمن فكرة الأخوة فى الوطن التى أشار إليها رفاعه رافع الطهطاوى ، ولم تتميز حركة «مصر للمصريين» عن الوعاء العثمانى فى ذلك الوقت إلا بأنها حركة مجاهدة للاستعمار والاستبداد، فى وقت تراخت فيه الدولة العثمانية عن المشاركة فى هذا الكفاح أو دعمه^(١).

وفى مقال بعنوان : « النعرة القومية والفكرة الإسلامية » كتبه الدكتور يحيى الدرديرى فى مجلة « الشبان المسلمين » أشار فيه إلى أن الدعوة إلى القومية المصرية قامت فى مصر على أساس صحيح مقبول فى البداية ، وهو تحرير الوطن من كل غاصب مغتال، حتى تصبح مرافق الأمة فى أيدي أبنائها ، وأن يكون اعتماد الأفراد على أنفسهم فى سبيل تحرير بلادهم دون ترك عقائدهم أو هويتهم الإسلامية ، وهذا ما دعا إليه الزعيم مصطفى كامل^(٢) .

ولكن أول حركة قومية مصرية خالصة منفصلة عن الدولة العثمانية والخلافة الإسلامية قد بدأت على يد حزب الأمة الذى تألف فى عام ١٩٠٧م ، وكان لسان حاله صحيفة الجريدة التى كان يحررها أحمد لطفى السيد ، غير أن هذه الفكرة اصطدمت اصطداما عنيفا بالفكرة الدينية الإسلامية التى كانت تعبر عنها فى ذلك الحين حركة الجامعة الإسلامية التى كان يدعو إليها السلطان عبد الحميد العثمانى ، ويروج لها فى مصر

(١) طارق البشرى : الحركة السياسية فى مصر ، مرجع سابق ، ص ٣٢ .

(٢) الشبان المسلمون ، ج ٢ ، ٢م ، نوفمبر ١٩٣٠م .

مصطفى كامل^(١) وعلى يوسف وعبد العزيز جاويش ، وأمين الرافعى فى اللواء والمؤيد والشعب .

ورغم ذلك فقد ظل حزب الأمة يطالب بالقومية المصرية ، ففى عام ١٩١٢ ذهب أحمد لطفى السيد إلى رشدى باشا وزير الحقانية يطلب منه أن تعلن مصر استقلالها عن الدولة العثمانية ، وأن تنصب الخديوى ملكا عليها ، ويعترف لها الإنجليز بهذا الاستقلال ، ولكن هذه الفكرة لم يكتب لها النجاح فى ذلك الوقت^(٢) .

وكان لطفى السيد يعلى من شأن الدعوة إلى المصرية ، ويغالى فى ذلك ، فدعا إلى تمصير القيم ، والأخلاق والعادات ، ودعا إلى التضامن بدافع الوطنية والمنفعة القومية لا بدافع آخر من دوافع الدين ، ثم دعا إلى تمصير اللغة ، وهاجم مساعدة المصريين لإخوانهم فى طرابلس الغرب إزاء غزو إيطاليا لها ، وكتب سلسلة مقالات فى صحيفة الجريدة تحت عنوان : « سياسة المنافع لا سياسة العواطف » ودعا فيه إلى انفصال مصر عن الدول العربية وقال : « لا شىء يربط مصر بجاراتها العربيات ، بل إن مصلحة مصر تناقض مصالح تلك الجارات »^(٣) .

وقد قوبلت هذه المقالات باحتجاجات عنيفة من قبل الصحافة الإسلامية ، وكتبت « المؤيد » سلسلة مقالات للرد على لطفى السيد بعنوان : « التخطيط فى السياسة بين المنافع والعواطف » ، هاجمت فيها دعوة لطفى السيد إلى المصرية أو الإقليمية والانفصال عن الدولة العثمانية^(٤) .

وعلى صفحات العلم قام الشيخ عبد العزيز جاويش بمهاجمة لطفى السيد هجوما مرا ، فوجه إليه خطابا مفتوحا وأطلق عليه إسم عدو الإسلام ، قائلا : « أى عدو الإسلام ، نقتم منا أن ندعو المسلمين لنجدة المسلمين ونستنفر الموحدين ؛ فماذا كنت تريد ؟ أردت أن نتقدم إلى البابا بيد مبسوطة ورؤوس خاشعة ، وأدعية ضارعة أن يدفع عنا بلاء أمة تقول بصليبه وتدين بمذهبه ، إذن لقد ضل عقلك وخطل رأيك ، ثم يلفت نظره إلى ما قام به البابا من مباركة المنشورات التى تدعو إلى استنفار النصارى ، فى الحملة على طرابلس الغرب باسم المسيح^(٥) .

(١) عبد العظيم رمضان : تطور الحركة الوطنية فى مصر (١٩١٨ - ١٩٣٦ م) ، القاهرة : دار الكتاب العربى ، ١٩٦٨ م ، ص ٢٨ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٣٤ .

(٣) أنور الجندى : مقدمات العلوم والمناهج ، دار الاعتصام ، ص ٦٥٥ ، ٦٥٦ .

(٤) المؤيد ، عدد ٦٥٠٤ ، ٣ ذو القعدة ١٣٢٩ هـ ، ٢٥ أكتوبر ١٩١١ م ، وعدد ٦٤٩١ ، ١٩ شوال ١٣٢٩ هـ ، ١٣ أكتوبر ١٩١١ م .

(٥) العلم ، عدد ٣١ أكتوبر ١٩١١ م .

ويلاحظ أن الدعوة إلى المصرية التي طرحت فى فترة ما بين الحربين ، إنما كانت ترفض جامعة الإسلام ، وتدعو إلى الإقليمية الضيقة ، وتضع مفهومًا للقومية يتعارض مع الإسلام وتعاليمه والأخوة الإسلامية الشاملة ، ويرتبط بالفكر الغربى ومفاهيمه عن الحرية والديمقراطية والقومية التي تستمد جذورها من واقع الغرب المختلف تاريخيا وعقائديا عن واقع العالم الإسلامى (١) .

وقد ظهرت هذه الدعوة بشكل جلى فى الصحافة المصرية عقب نهاية الحرب العالمية الأولى ، وهزيمة تركيا التي كانت رمزا للجامعة الإسلامية ، وخفوت صوت رجال الحزب الوطنى (حزب مصطفى كامل) الذى كان يدعو إلى الالتفاف حول دولة الخلافة الإسلامية ، والتمسك بها لمقاومة مطامع الغرب ، واتساع المجال أمام حزب الوفد الذى كان امتدادا لحزب الأمة الذى كان له صلات من التفاهم مع الإنجليز ، ويحارب الجامعة الإسلامية ، داعيا إلى وطنية تقوم على المصلحة المتبادلة ، وعلى المنفعة المادية البحتة ، فضلا عن ذلك فقد ساعد على نمو الشعور القومى لدى المصريين متاعب الحرب العالمية الأولى ، والمظالم التي وقعت عليهم ، ثم ثورة ١٩١٩م التي أوجبت هذا الشعور والتي اشتركت فيها كل طوائف الشعب ، حتى تحولت الثورة إلى حركة قومية خالصة (٢) .

وبذلك نجحت فكرة حزب الأمة الذى كان يدعو قبل الحرب إلى قصر الجهود على معالجة مشاكل المصريين وحدهم ، وبرزت الدعوة إلى القومية الفرعونية على صفحات الصحف المصرية ، وانتهمز دعائها هذه الفرصة المواتية وروجوا لها من خلال الندوات والمحاضرات والكتابات ، واتخذوا شعار الفرعونى « رأس أبى الهول » على طوابع البريد ، وعلى أوراق النقد ، واتخذوا النحات محمود مختار شعارا لتمثال نهضة مصر الذى وضع نموذجه فى باريس ١٩٢٠م .

واتخذت بعد ذلك كل كلية من كليات الجامعة شعارا لها يمثل رمزا من معبودات الفراعنة ، ونقل رفات سعد زغلول بعد وفاته بثلاث سنوات إلى ضريح بنى على طراز فرعونى وشاع هذا الطابع الفرعونى فى كثير من أبنية الحكومة وأوراقها الرسمية وفى الزخرفة والنقش (٣) .

وكانت الحركة الوطنية المصرية قد أخذت تغالى من شأن الفرعونية كرد فعل على

(١) طارق البشرى : الحركة السياسية فى مصر ، مرجع سابق ، ص ٣٢ ، وأنور الجندى : مقدمات العلوم والمناهج ، مرجع سابق ، ص ٦٥٤ .

(٢) محمد محمد حسين : الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ١٣٥ - ١٣٨ .

(٣) المرجع السابق ، ص ١٣٩ .

اتهام الاستعمار لمصر بأنها ليست أمة ، وأنها كانت محتلة من الرومان واليونان والفرس وغيرهم فى تاريخها الطويل (١) ، وقد أدى الكشف عن مقبرة توت عنخ آمون فى عام ١٩٢٠م إلى دعم حركة الاكتشافات الأثرية ، والتي غذت بدورها الاتجاه الفرعونى فى القومية المصرية (٢) . وتطور هذا الاتجاه فى العشرينات من القرن العشرين ، وتألفت فى مصر عدة مؤسسات وطنية للعناية بالتاريخ القديم بالتعاون مع المؤسسات التاريخية والأثرية الأجنبية العاملة فى مصر ، ولا سيما بعد إسقاط الخلافة الإسلامية فى عام ١٩٢٤م (٣) .

ومن أبرز الصحف التى حملت لواء هذا الاتجاه الجديد صحيفة السياسة والسياسة الأسبوعية ، فضلاً عن صحيفة المقتطف والمقطم ، وصحف الأقباط المصريين ، فقد نشطت هذه الصحف الدعوة إلى القومية المصرية « الفرعونية » ، وامتلات صحافتها بالحديث عن حضارة الفراعنة وثقافتهم وأمجادهم (٤) ، وبرز كثير من الكتاب وعلماء الآثار الذين أسهموا بكتاباتهم فى إحياء وبعث القومية المصرية فى فترة ما بين الحربين ، فقد كان تمجيد مصر القديمة ، والدفاع عن حضارتها ، والدعوة إلى بعث ذلك التاريخ من مظاهر القومية المصرية فى تلك الفترة (٥) .

وكان معظم دعاة هذه الفكرة والمتحمسين لها من الأقباط المصريين الذين تبناها وكرسوا أنفسهم للدعوة إليها مثل سلامة موسى ومرقص سمىكة ، بالإضافة إلى بعض المفكرين المصريين ، كالدكتور محمد حسين هيكل ، والدكتور طه حسين ، وعباس العقاد ، والدكتور حسين مؤنس الذى كتب فى تراث مصر القديمة يشير إلى أن الإسلام مسؤول عن إهمال تاريخ مصر القديمة ، إذ أن الفتح العربى قد حمل المصريين على أن ينسوا تاريخهم الفرعونى مثلما جعل الفرس والسوريين واللبنانيين والعراقيين ينسون تاريخ الأكاسرة والآراميين ليكونوا مواطنين فى الدولة الإسلامية القومية الكبرى (٦) .

وقد اتخذت الدعوة إلى القومية المصرية أشكالا كثيرة ، منها : الدعوة إلى أدب قومى مصرى ، وهجر اللغة العربية التى هى لغة العرب وإثارة العامة المصرية ، ورفض الانتماء إلى العالم العربى والإسلامى الكبير . وكتب إبراهيم جمعة على صفحات السياسة الأسبوعية مقالا بعنوان : « أين أدبنا القومى ؟ » ورفض المفهوم القديم للأدب بأنه المأثور

(١) أنور الجندي : مقدمات العلوم والمناهج ، مرجع سابق ، ص ٦٩٢ .

(٢) أنيس صايغ : الفكرة العربية فى مصر ، مرجع سابق ، ص ١٣١ .

(٣) محمد محمد الصواف : المخططات الاستعمارية لمكافحة الاسلام ، مرجع سابق ، ص ١٣٩ .

(٤) محمد محمد حسين ، الاتجاهات الوطنية ، مرجع سابق ، ص ١٤١ ، ١٤٢ .

(٥) عواطف عبد الرحمن : مصر وفلسطين ، مرجع سابق ، ص ٤٣ .

(٦) المرجع السابق ، ص ٤٤ .

من كلام العرب نظما ونثرا ، بل ورفض الانتماء المصرى للعرب ، وزعم أن المصريين ليسوا أولادا لهؤلاء العرب ، وأن البيئة التى نسينها منذ نطقنا بالضاد ليست عربية ، وأنه رغم اختلاط العنصرين العربى والمصرى ، ورغم هزيمة اللغة المصرية أمام لغة العرب ، قد كون المصريون شعبا معروفا ذا عقلية وطبيعة متميزة جد التميز عن العقلية والطبيعة العربية ، ويحبد الكاتب بطريقة غير مباشرة اللغة العامية ، وضرورة العناية بالأدب الشعبى (١) .

وقد نشرت صحيفة المقتطف محاضرة لمرقص سميكة ألقاها فى الجامعة الأمريكية بالقاهرة فى مارس عام ١٩٢٦م عن المتحف القبطى ، وهى تصلح مثلا أيضا لهذا الاتجاه ، فيقول فيها :

«مضى على مصر أكثر من ألفى عام، منذ أن فقدت استقلالها بانتهاء حكم الفراعنة، ومنذ ذلك العهد وهذه البلاد مطمع الفاتحين من أحباش وفرس ورومان وعرب وأتراك وإفرنج » ، ويذكر أن لفظ قبطى معناها مصرى ، وهى محرفة عن اللفظ لإجبتوس ، ويشير إلى أن جميع المصريين أقباط ، بعضهم أقباط مسلمون والبعض الآخر مسيحيون وكلهم فى رعمه متناسلون من المصريين القدماء « الفراعنة » (٢) .

وكتب نقولا يوسف بعنوان : « هل لنا أدب قومى » ينكر أن تكون هناك صلة بين الأدب العربى وبين المجتمع المصرى ، وداعيا أن يكون لمصر أدب قومى خالص ويحدد العقبات التى تعترض طريق الأدب القومى فى رعمه فى :

أولا : اللغة الفصحى .

ثانيا : سفور المرأة ومشاركتها للرجل ومساواتها معه .

ثالثا : تجديد الحياة المصرية والخروج على القيم — وبالطبع يعنى الإسلام والتمرد عليه بدعوى الحرية (٣) .

ويزعم دعاة القومية الفرعونية أن تغير الدين فى مصر من الوثنية إلى المسيحية ثم الإسلام ، وتغير الكتابة واللغة فيها من الهيروغليفية إلى العربية لم يقطع ما بين مصر الحديثة وبين مصر القديمة من صلات ، وكانوا يحتالون لرد حياة مصر المعاصرة فى

(١) السياسة الأسبوعية ، عدد ١٠ ، ١٤ أبريل ١٩٢٨م نقلا عن د . محمد سيد محمد : هيكل والسياسة ، ص ١٦١ .

(٢) عواطف عبد الرحمن : مصر وفلسطين ، مرجع سابق ، ص ٤٤ ، ٤٥ .

(٣) السياسة الأسبوعية ، عدد ١٥١ ، ٢٦ يناير ١٩٢٩م ، ود . محمد سيد محمد : هيكل والسياسة ، ص ١٦١ .

مختلف مظاهرها إلى أصل فرعونى ، ويدعون بكل صراحة إلى أنه يجب أن تقوم النهضة المصرية على المجد الفرعونى القديم ، مثلما قامت النهضة الأوربية الحديثة على بعث التراث اليونانى والرومانى فى عصور الوثنية السابقة على المسيحية (١) .

وكان مما يقترحه هؤلاء الدعاة من الوسائل لخلق هذه الروح المصرية الفرعونية فى النشء هو توجيه المسرح المصرى إلى الناحية القومية ، وجعله مسرحا مصريا روحا وقوة ونتاجا ، والعناية بالأنشيد القومية ، وجعلها مقصورة على التعبير عن آماني المصريين وآمالهم ، والعناية بالأدب الفكهه ، والأدب الرفيى ، أو الشعبى ، إلى غير ذلك من الدعوات والوسائل لجعل مصر فرعونية ، وسلخها من عروبتها وإسلامها (٢) .

ولا شك أن هذه الدعوات وتلك الوسائل كانت لها صلة وثيقة بالاستعمار والصهيونية ، فقد ذكر الدكتور محمد حسين فى حاشية كتابه : « فى وكر الهدامين » أن المليونير اليهودى الأمريكى المتستر تحت النصرانية « روكفلر » أوفد عام ١٩٢٦م الأديب الأمريكى « برستد » صاحب كتاب : « انتصار الحياة » المليء بالمفاسد الذى ترجمته جامعة الدول العربية بإيحاء من السفارة الأمريكية فى القاهرة ، ليعرض على مصر عشرة ملايين من الدولارات لتأسيس معهد للدراسات الفرعونية ، يعين على فصل مصر من عروبتها وإسلامها بالمطبع (٣) .

ومن الحقائق المهمة التى يجب إبرازها فى هذا المجال أنه كان للإنجليز دور فى تشجيع ومساندة النزعة إلى القومية المصرية ، ذلك لأنها تضمن لهم عزلة مصر ، عن العالمين العربى والإسلامى (٤) .

ورغم ذلك فقد التقى بعض المفكرين المصريين الذين كانوا ينادون باستقلال مصر وإجلاء الإنجليز عنها مع الاستعمار البريطانى والأقباط المصريين فى تحييد القومية المصرية، ومن ثم تأييد مطالب أنصار هذا الاتجاه مثل وجوب إحياء الآثار الفرعونية وبعث الأدب المصرى القديم ، وإقامة الأدب الحديث على أساسه ، وتمجيد مصر الفرعونية والتبرؤ من العرب كما سبقت الإشارة إلى ذلك ، والقول بأن لمصر كيانا إنسانيا وحضاريا وثقافيا خاصا ، وأنها لا تمت إلى العروبة بصلة إلا صلة الدين ، والدين فى سبيله إلى الانهزام فى الحياة الاجتماعية المعاصرة ، واللغة وحدها لا تجعل من المتحدثين بها أمة واحدة (٥) .

(١) محمد محمد الصواف : المخططات الاستعمارية لمكافحة الإسلام ، مرجع سابق ، ص ١٣٩ ، ١٤٠ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٤١ . (٣) المرجع نفسه ، ص ١٤٢ .

(٤) عواطف عبد الرحمن : مصر وفلسطين ، مرجع سابق ، ص ٤٤ .

(٥) محمود عبد الحليم : الإخوان المسلمون أحداث صنعت التاريخ ، مرجع سابق ، ج ١ ، ص ١٨٠ .

كذلك كان لليهود المصريين دور فى تشجيع الدعوة إلى القومية المصرية ، وذلك بهدف قطع التأييد والدعم المصرى عن عرب فلسطين ومد يد المعونة لهم ، حيث كتب أحد اليهود فى المقطم مدافعا عن اليهود ، وعن حقهم فى فلسطين فى رعمه ، ثم تطرق إلى الدفاع عن القومية المصرية قائلا : « إنى أدافع عن فكرة القومية المصرية ، وأحاول بكل جهدى أن أحرص على الابتعاد عن الاندماج فى الوحدة العربية ، وذكر لذلك عدة أسباب نوجزها فيما يلى :

١ - ليس المصريون عربا .

٢ - أن الأمم العربية الأخرى لها مشاكلها الخاصة وليس من صالح المصريين التعاون معها .

٣ - أننا يمكن أن نستفيد من التعاون مع اليهود أكثر من أى أمة أخرى ، لأنهم متعلمون أقوياء » (١) .

وقد تصدى لمحاربة الدعوة إلى القومية المصرية ، وتلك المحاولات التى تنشده فصل مصر عن ماضيها العربى والإسلامى أنصار الفكر الإسلامى وقادة الصحافة الإسلامية ، وبرز فى ذلك المجال رشيد رضا فى المنار ، ومحب الدين الخطيب فى الفتح ، والدكتور يحيى الدرديرى فى مجلة الشبان المسلمين ، ومحمد فريد وجدى فى الأزهر ، وحسن البنا فى صحف الإخوان المسلمين ، وأحمد حسين فى صحف مصر الفتاة وغيرهم ، وحفلت الصحف الإسلامية بمواجهة هذه النزعة العنصرية وتفنيدها ونقد أسسها ومنابعها .

وكتب محب الدين الخطيب فى الفتح يرد على ما كتبه أحد اليهود فى المقطم ، والذى أطلق على نفسه حسين محمود فى مقال بعنوان : « مدسوس على اليهود وعلى المسلمين » فند الخطيب مزاعمه عن فكرة القومية المصرية وادعائه بأن المصريين ليسوا عربا ، مؤكدا على عروبة المصريين قائلا : « إن المصريين عرب يتكلمون اللغة العربية من الشمال إلى الجنوب ، فهم عرب كما أن الفرنسيين فرنسيون ، والعبرة فى الحضارات لا تكون بالأنساب ؛ لأن الحضارة أشبه بالبوتقة تمتزج فيها العناصر ، وتضيق فيها مظاهرها ، فنابليون مثلا فرنسى وهو من أصل إيطالى ، لكنه يتعصب للغة ووطنه الفرنسى ، فهل معنى قوله ليس المصريون عربا يكون المصريون أتراكا أو يهودا أو غير ذلك . . المصريون ولدوا يتكلمون العربية ويسمون أولادهم بأسماء عربية ، فهم عرب مثلهم مثل الفلسطينيين والسوريين وغيرهم » (٢) .

(١) الفتح ، عدد ٢١٢ ، ١٩ ربيع الأول ١٣٤٩ هـ .

(٢) الفتح ، عدد ٢١٢ ، ١٩ ربيع الأول ١٣٤٩ هـ .

ومضت الصحف الإسلامية تهاجم صحيفة المقطم والسياسة الأسبوعية والصحف القبطية على ترويجها للقومية المصرية الفرعونية ، مؤكدة أن هذه الدعوة لا يمكن أن تبعد مصر عن الإسلام وفى مقال بعنوان : « العروبة والفرعونية » قدمت الفتح الأدلة على أن المصريين من أصل عربى ، وليسوا بفراعنة ، وذلك من خلال هجرات الأسويين والعرب إلى مصر عن طريق باب المنذب ، وسيناء ، وقد أكد أحمد كمال باشا الأثرى المصرى فى معجمه عن لغة قدماء المصريين أن ثلاثة أرباع الكلمات التى ينطق بها قدماء المصريين يوجد فى لغتنا العربية الحديثة ما يقابلها لفظا ومعنى ، واستنتج من ذلك بأن العرب والمصريين من أصل واحد ، هو الأصل العربى ، ومثبتا أن مينا الذى وحد قطرى مصر كان أسيويا (١) .

وهاجم محمد على علوبة باشا أيضا الدعوة إلى الفرعونية أو القومية المصرية ، وصرح بأنها فكرة عقيمة ، ومن مصلحة مصر أن تهجر عبادة الحجارة الميتة وتستعطف القلوب الحية فى الشرق العربى (٢) .

وأشار الدكتور يحيى الدرديرى إلى أن المصريين مرتبطون ارتباطا وثيقا بالعرب بصلة الرحم والنسب والجوار ، وأن العرب أولى الناس بمحبة المصريين وعطفهم ومساعدتهم ، فرسول الله ﷺ يتصل بالمصريين فى جدته العالية هاجر المصرية أم إسماعيل عليه السلام وهو أبو العرب ، ومصر تمثل قلب العالم الإسلامى والعربى ، وأى عدوان على أى بلد مسلم إنما هو اعتداء على مصر . ومضى الدكتور الدرديرى فى مقاله يناقش الذين يدعون إلى التمسك بالوطنية أو القومية المنفصلة عن الدين رافعين شعار : « الدين لله والوطن للجميع » ، مؤكدا على أنهم يدعون إلى قضية محققة الخسران ؛ لأنهم يدعون إلى مبادئ لا روح فيها ولا حياة ، إذ كيف يتصور حال النشء فى الوطنية وهو مخلو من مبادئ الفضيلة ومراقبة المولى - عز وجل - فى السر والعلن .

وأضاف الدكتور الدرديرى : « أن الوطنية لا بد أن تقوم على أسس دينية ، إذ أن تاريخ المصريين يربط عقيدتهم الدينية قديما وحديثا بالله - عز وجل - والإسلام هو الدستور الطبيعى الذى يوصلهم إلى غاياتهم السامية ، وأشار إلى علاقة الدين بالوطنية وأهمية تلاحم الدول الإسلامية والعربية فيذكر « أن الدين الإسلامى لم يبخرس الوطنية حقها بل جعل حب الوطن من الإيمان ، والدعوة إلى عزل مصر عن بقية الأمم مبدأ لا يتفق مع مصالح المصريين ولا مع مبادئ الإسلام السليمة ، ونحن فى عهد تحالف واتفاقات دولية أصبحت إحدى وسائل القوة والمنعة ، ومن عاش منفردا فى هذا الزمن

(١) الفتح ، عدد ٢٢٩ ، ٢٠ رجب ١٣٤٩ هـ .

(٢) الفتح ، عدد ٢١٢ ، ١٩ ربيع الأول ١٣٤٩ هـ .

عرض نفسه إلى السلب والقهر . . والدعوة إلى القومية التى ألبسها دعاة التفريق ثوب الفرعونية ليخرجوا مصر عن بقية الأمم الإسلامية إنما أرادوا بها انتحار مصر الأدبى»^(١).

كذلك أكد محمود ياسين فى مجلة الهداية الإسلامية على تعارض الدعوة إلى القومية بوجه عام مع الإسلام الذى كان من أول أعماله جمع كلمة أتباعه تحت راية واحدة ، وضم شتاتهم تحت كلمة جامعة ويعنى بها الكاتب كلمة لا إله إلا الله .

وركز الكاتب على فكرة الوحدة الإسلامية فى مقابل الفكرة القومية التى تفرق بين أبناء الإسلام^(٢) ، وفى مقال بعنوان : « الروح الإسلامية ومدى تأثيرها فى النفس البشرية » سجل محمد فريد وجدى : « أن الإسلام يعض النعرات القومية أيا كان شكلها ، ودعا المسلمين جميعا أن يتكاتفوا لإيجاد رابطة إسلامية تجمع بينهم بحيث تمحو الفوارق اللغوية والجنسية واللونية ولا يتميز بعضهم على بعض إلا بالمميزات الأدبية والروحية»^(٣).

وتجدر الإشارة هنا إلى أن الدعوة إلى القومية فى مصر قد تأثرت بما حدث فى تركيا بعد سقوط الخلافة الإسلامية فى عام ١٩٢٤م ، فقد قامت الدعاية التركية على أساس يقول واضعوه : إن تركيا للترك الطورانيين ، وإن العرب ليسوا سوى غزاة استعمروها عن طريق السيف والدين ، وتقوم الدعاية المصرية على زعم مؤداه : أن مصر فرعونية بحتة ، وإن الآداب العربية واللغة العربية دخيلة على مصر بقوة الفتح والدين ، وإنه يجب العمل والجهاد فى سبيل تحرير مصر الفرعونية^(٤) .

وأشارت صحيفة الفتح إلى أن أبرز زعماء هذه الدعاية والقائمين على أمرها هم الدكتور محمد حسين هيكل والأقباط المصريون وفى مقدمتهم سلامة موسى ، ونقولا يوسف ، وكذلك يشير محب الدين الخطيب إلى أن هناك علاقة وطيدة بين الدعوة إلى القومية فى مصر ، وبين الاستعمار ، فكما أن الاستعمار عمل على إسقاط الخلافة الإسلامية وفصل عرى الائتلاف بين الترك والعالم الإسلامى والعربى ، عندما تبين له خطورة الخلافة الإسلامية على نفوذه ، كذلك حينما رأى أن مصر تتبوء منصب الزعامة العربية بدأ يحيك لها المؤامرات ، فعمل على فصل مصر عن العرب ، واتخذت الجامعة المصرية آلة هدامة للكيان العربى عن طريق الأدب والعلوم ، وأعلن القائمون على أمر

(١) الشبان المسلمون ، ج ٢ ، م ٢ ، نوفمبر ١٩٣٠م مقال بعنوان : « النعرة القومية والفكرة الإسلامية » د. يحيى الدرديرى .

(٢) الهداية الإسلامية ، ج ٤ ، م ٣ ، رمضان ١٣٤٩هـ مقال بعنوان : « الدعوة إلى القومية » بقلم محمود ياسين .

(٣) الأزهر ، ج ٢ ، م ٩ ، صفر ١٣٥٧هـ .

(٤) الفتح ، عدد ١٨١ ، ١٩ شعبان ١٣٤٨هـ ، ٩ يناير ١٩٣٠م .

هذه الجامعة الحرب على العرب والعربية، وهذا هو السبب الذى دعيت به الجامعة المصرية، ولم تدع الجامعة العربية فى مصر (١) .

وصارت مصر تقلد تركيا ، فعملت على ترويج النزعة الفرعونية ، كما اصطبغت تركيا بالنزعة الطورانية .

ولكن المتتبع لمسار الدعوة إلى القومية المصرية فى مصر يلاحظ أن صوت هذه الدعوة قد خفت ، وانتصر عليه صوت الدعوة إلى القومية العربية ثم الإسلامية ، وذلك على أثر اشتداد حملات التبشير النصرانية المنظمة فى مصر ، وعلى أثر ما توالى من أنباء وحكايات عن محاولات فرنسا السافرة للقضاء على الإسلام ، وعلى اللغة العربية فى شمال إفريقيا ، وارتكابها وإيطاليا أبشع الجرائم فى التنكيل بالمسلمين وزعمائهم المطالبين بحرية بلادهم وخضوع العالم العربى كله للنفوذ الاستعمارى الغربى النصرانى ، وتمائل الظروف النضالية فى جميع أجزائه ، ونشوب الثورات تباعا فى كل بقعة من بقاعه ، ثم ظهور قضية فلسطين وبروز الخطر الصهيونى ، كل ذلك أدى إلى اتجاه الشعور القومى المصرى ، ليصب فى مجرى الشعور القومى العربى والإسلامى الشامل ، وظهور فكرة القومية العربية ثم الإسلامية فى مصر (٢) .

وقد نشطت الصحف الإسلامية من دعوتها إلى القومية العربية والإسلامية فى مواجهة القومية المصرية الفرعونية ، ونشطت الدعوة أيضا على صفحات هذه الصحف إلى إقامة حلف عربى يضم البلاد العربية الناطقة بالضاد ، وألقى محمد علوبة باشا الذى تولى الدفاع عن حقوق العرب فى جدار البراق الشريف أمام اللجنة الدولية للتحقيق خطابا مهما هاجم فيه الفرعونية هجوما شديدا ، ودعا مصر فى حرارة إلى الانضمام إلى الأمة العربية قائلا : وإنى ليحزننى أيها السادة أن أرى وأسمع بعد أن ذهبت إلى فلسطين ورافعت بضغفى عن قضيتها ، وعلمت أن الأمة العربية أمة واحدة يربطها رباط واحد ، ويحزننى أن أفكر أنه يوجد فى بلادى فريق مهما كان وكان شأنه ، يبت فكرة الفرعونية ، وأكد علوبة باشا على أن مصر عربية ولا يرضى المصريون بغير العربية ، وندد بفكرة الفرعونية وأبطل حجج القائلين بها (٣) .

ونوه محب الدين الخطيب بشأن جمعية الوحدة العربية التى تألفت فى مصر وكانت

(١) الفتح ، عدد ١٨١ ، ١٩ شعبان ١٣٤٨ هـ ، ٩ يناير ١٩٣٠ م .

(٢) محمد محمد حسين : الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ١٥١ ، ١٥٢ ، وعبد العظيم رمضان : الفكر الثورى فى مصر ، مرجع سابق ، ص ٦١ .

(٣) عبد العظيم رمضان : الفكر الثورى فى مصر ، مرجع سابق ، ص ٦٤ ، وأنور الجندى ، الفتح ، تاريخ الصحافة الإسلامية ، ج ٢ ، ص ١٣٢ .

غايته تقوية الروابط الاجتماعية والأدبية واللغوية بين البلاد الناطقة بالعربية ، ومقاومة الدعايات المضادة للقومية العربية ، وأشار إلى أن الإنجليز ومن ورائهم الأقباط المصريون يحاولون محو رابطة مصر العربية ، وأنهم إذا استعرضوا تاريخ مصر قالوا : إنها كانت مستقلة ثم احتلها الأثيوبيون فالأشوريون فالإغريق فالفرس ثم البطالسة والرومان ، ثم احتلها بعدهم العرب فالكرد والترك والجرس ، وغرضهم من ذلك أن يقولوا للمصريين : إنكم فقدتم ملكة الاستقلال منذ عهد طويل ، فإذا خرجنا نحن من هذه الديار سيحتلها بعدنا غيرها من الدول الأخرى ، فنحن خير لكم من غيرنا وأحد أغراض الأقباط المصريين من ترويح هذا القول أن يقولوا لمواطنيهم المسلمين : إن العرب كالأحزاب قوم طارئون على هذا الوطن ، سلبوه استقلاله بجيشهم ولغتهم ودينهم ، وما دام جيشهم قد جلا عن أرض مصر ، فأى معنى لتمسك المصريين بلغة العرب ودينهم (١) .

ويتضح من ذلك أن هدف الإنجليز ومعهم الأقباط من الدعوة إلى القومية المصرية الفرعونية هو سلخ مصر من العالم العربى والإسلامى الواسع ، وذلك ما أكدته صحافتهم وامتلات به مؤلفات بعضهم ، كبديل عن فكرة الرابطة العربية والجامعة الإسلامية التى دعت إليها صحافة الاتجاه الإسلامى فى مواجهة الفكرة الوطنية المجردة عن الإسلام التى تخدم الاستعمار ، وتمثل خطورة على مستقبل المسلمين ، وقد أشار إلى تلك الخطورة شكيب أرسلان فى مقال بعنوان : « الدسيسة الأجنبية على الجامعة الإسلامية باسم الوطنية المجردة » نوجزها فى العناصر التالية :

- ١ - الرابطة الإسلامية تمنع المسلم من أن يندمج فى الإفرنج ، أما الرابطة الوطنية فإنها لا تمنع من هذا الذوبان كما تمنعه العقيدة الإسلامية .
- ٢ - إن الرابطة الوطنية المجردة عن الإسلام معرضة من خطر انحلال الأخلاق التى هى دعائم الأمم .
- ٣ - العقيدة الوطنية المجردة لا تبعث من الآمال فى المستقبل ما تبعته العقيدة الإسلامية .
- ٤ - العقيدة الوطنية المجردة لا تزرع فى صدور الشرقيين عزة النفس والاعتماد عليها ، والاعتقاد بالكرامة الشخصية مما تزرعه العقيدة الإسلامية .
- ٥ - العقيدة الوطنية المجردة تفك ما بين المسلمين من عرى الارتباط مما يفقدهم ذلك

(١) الفتح ، عدد ٢٤٢ ، ٢٢ شوال ١٣٤٩ هـ ، ومحمد الغزالى : من هنا نعلم ، ط ٦ ، القاهرة : ١٣٧٠ هـ ، ص ١٥٩ .

قوة لا عوض لهم عنها (١) .

وكان محب الدين الخطيب يرى أن الجامعة القومية لا تمتنع من الجامعة الإسلامية ، بشرط أن يكون الإسلام هو جامعة الجامعات القومية ، وأن تكون الجامعات القومية جيوشا للإسلام مرابطة في ثغوره ، فالإسلام يأمر المسلم بأن يكون وطنيا ، وأن يجاهد في سبيل وطنه ، ويشير الخطيب إلى أن قراءة التاريخ الإسلامى ترشد المسلمين أن الطامعين منهم لم يسلبوهم نعمة الاستقلال إلا بعد أن نسخوا جامعتنا الإسلامية الكبرى بالجامعات الوطنية الصغيرة (٢) .

وقد أثرت الدعوة إلى القومية المصرية الفرعونية في الجامعة المصرية ، وعقدت الجامعة مناظرة لهذا الغرض موضوعها : « هل من مصلحة مصر أن تأخذ بالحضارة العربية أو تحمي الحضارة الفرعونية » ، وقد نيط برشيد رضا الدفاع عن الحضارة العربية ، وبمحمد لطفى جمعة الدفاع عن الحضارة الفرعونية ، وعقدت المناظرة في يوم الجمعة ٢١ رجب ١٣٤٩ هـ ٢١ ديسمبر ١٩٣٠ م ، وكان الرئيس المنظم للاجتماع الأستاذ وحيد رفعت من أساتذة الجامعة ، وكان المعضد لمحمد لطفى جمعة : محمد أفندى أبو شقة من طلبة الجامعة المصرية ، والمعضد لرشيد رضا : أحمد أفندى حسين من طلبة الجامعة أيضا ، وقد أخذ الكلمة الأولى لطفى جمعة ، وبدأ بتخطئة لجنة المناظرة في قولها المدنية الفرعونية ، وقرر أن هذا التعبير غير صحيح ؛ لأن كلمة فرعون لقب لبعض ملوك مصر الأولين ، وقد تولى حكم مصر بعدهم ملوك البطالسة ، وأمراء العرب وآخرون لقبوا بالسلطين وآخرون لقبوا بالخدويين ، ثم عادت حكومة البلاد الآن ملكية ، فإذا صح أن تسمى مدينة هذا البلاد فرعونية في عصر ما جاز أن تسمى في عصور أخرى سلطانية وخدوية وملكية وغيرها .

وكان رأى لطفى جمعة أن لهذه البلاد مدنية خاصة يجب أن تسمى المدنية المصرية ، ولا يجوز أن تسمى فرعونية ولا عربية ، لا في الأزمنة الماضية ، ولا في هذا الزمن ، واحتج على ذلك بأن المصرى إذا ذهب إلى بلاد العرب كالحجار أو غيرها من الأقطار يقال فلان المصرى لا العربى ، وأطال في وجوب محافظة المصريين على تسمية مدنيتهم مصرية ولا يرى تعارضا بين الجنسية المصرية والديانة الإسلامية .

ثم قام رشيد رضا بعد ذلك ، وقسم الجنسية إلى جنسيتين : جنسية تابعة للمولد

(١) الفتح ، عدد ٢٤٠ ، ٨ شوال ١٣٤٩ هـ ، مقال بعنوان : « الدسياسة الأجنبية على الجامعة الإسلامية باسم الوطنية » لشكيب أرسلان .

(٢) الفتح ، عدد ٢٣٢ ، ١٢ شعبان ١٣٤٩ هـ .

وجنسية تلزم اللغة وتشمل القومية ، وقال إن الأولى لا تؤثر فى الثانية ، فالنجدى مثلا يدعى نجديا ، وهو مع ذلك عربى ، وإن الحضارة تشمل التشريع والاجتماع ، وإن التشريع العربى والإسلامى منطبق على أرقى المبادئ الديمقراطية بأن سوى بين الناس ، وجعل أمرهم شورى بينهم ، وإن مسألة الجنسية إلى مصر نسبة إلى بلد أو قطر ، وليست نسبة إلى دولة أو جيل من أجيال البشر الذين سكنوا هذا القطر ، ويراد بها الجنسية السياسية ، فكل من له حق الجنسية المصرية الآن يقال له : مصرى .

وقد أثبت رشيد رضا أن المصريين القدماء كانوا من العرب ، مستدلا بما ذكره علماء الآثار منهم الأستاذ جبر ضومط من أساتذة الجامعة الأمريكية فى بيروت الذى صرح بأن أصل المصريين من العرب ، وقد بين ذلك نعوم بك شقر فى كتابه : « تاريخ سيناء » القديم والحديث وحفرياتهما « والعالم المصرى الأثرى أحمد كمال باشا فى معجمه عن اللغة الهيروغليفية .

ومضى رشيد رضا فى رده على لطفى جمعة قائلا : « إن المدنية قوامها اللغة والفنون والصناعات والثقافات المعنوية من العقائد والتشريع والآداب » وأكد أن المصريين ولا سيما بعد الفتح الإسلامى قد امتزجوا بالعرب المسلمين ، وغلبت عليهم الحضارة العربية بجميع مقوماتها ، وعاداتها وتقاليدها ، فلغتهم كلهم عربية ودين الغالبية منهم هو الإسلام ينبوع الثقافة والتشريع . ثم عقد مقارنة بين المدنية العربية الإسلامية ، وما يسمى بالمدنية الفرعونية المراد بها القبطية ، وأثبت أن المدنية الفرعونية لا تصلح للبشر فى ارتقايتهم المدنى فى هذا العصر سواء من ناحية الفنون ، أم من ناحية اللغة والثقافة المعنوية ، والعقائد والتشريع والآداب .

وأشار رشيد رضا إلى أن الأقباط كانوا قبل ثورة ١٩١٩م وعلى وجه التحديد فى مؤتمرهم القبطى ، الذى عقد فى أسبوط فى عام ١٩١٢م ، كانوا يريدون أن تصبغ البلاد المصرية بالصبغة القبطية ، ثم تحولت دعايتهم عن اسم الجنسية القبطية إلى المدنية الفرعونية ، ويؤيدهم فى ذلك ساسة الاستعمار ودعاة النصرانية من الإفرنج ؛ ولذلك راجت هذه الدعاية لدى ملاحدة المسلمين المتفرنجين ، والسذج الغافلين فنشروها فى الجرائد والمجلات المختلفة ، وعقدوا لها مناظرة فى كلية الحقوق بالجامعة المصرية باللغة الإنجليزية قبل هذه المناظرة موضوعها : أى المدينتين ينبغى أن تختار مصر ؛ المدنية الفرعونية أم المدنية الغربية ، وكان النصر فيها للمدنية الفرعونية .

وقد رأت لجنة المناظرات والمحاضرات فى الجامعة المصرية أن تعقد مناظرة أخرى

فى هذا الموضوع باللغة العربية ، واختير لها رشيد رضا صاحب المنار لتأييد الجامعة العربية، ظنا منهم أنه إذا فشل ودحضت حجته لا يرجى لأنصار المدنية العربية أن تنهض لهم حجة .

ثم قام بعد رشيد رضا مؤيد لطفى جمعة الطالب محمد أبو شقة ، فانصرف عن الموضوع ولم يأت بلبيل مفيد يؤيد به وجهته ، ثم جاء الدور بعد ذلك على الطالب أحمد حسين مؤيد رشيد رضا وبرهن على قضية العروبة ببراهين كثيرة أيد بها وجهته ومما قاله : « إن المدنية تشمل اللغة والتشريع والأدب والفنون ثم الأمانى القومية ، أما اللغة الفرعونية فلا يمكن أن تقوم بإزاء اللغة العربية ، وأما التقاليد والعادات فأكف أن الفراعنة كانوا بثياب لا تناسب العصر ، وبأسماء مستهجنة كحرحور مثلا ، وعبادة وثنية لا يرضاها المسلمون ، ويتشريع لا يوافق إلا الإنسان فى أطواره البربرية » .

وقد انتصر رشيد رضا ومؤيده فى تلك المناظرة وأيدتهما الجماهير الحاضرة والغالية فى تفضيل المدنية العربية واختيارها ، أما الذين أدلوا بأصواتهم من خلال بطاقات أعدت لهذا الغرض ، فكان المؤيدون للعربية ١٨٧ صوتا تجاه ١٠٣ أصوات فى جانب الفرعونية (١) .

وقد أيدت جريدة الشورى والصحف الإسلامية رشيد رضا والمدنية العربية وعدت ذلك نصرا للجانب الإسلامى ، والقومية الإسلامية على القومية الفرعونية (٢) .

وفى الثلاثينات من هذا القرن تعرضت الدعوة إلى القومية المصرية الفرعونية ، لهجوم شديد من الصحف الإسلامية ، ولا سيما صحف الإخوان المسلمين التى تولت الدفاع عن الفكر الإسلامى ، والدعوة للفكرة القومية الإسلامية فى مقابل الفكرة القومية التى تقوم على عامل الجنس أو الإقليمية الضيقة (٣) .

وكان حسن البنا - المرشد العام للإخوان المسلمين - من أبرز المدافعين عن القومية الإسلامية ، فقد كتب مقالا بعنوان : « قومية الإسلام » فى صحيفة « الإخوان » حدد فيه موقف الإسلام من فكرة القومية واختلاف الناس فى فهمها ، فأشار إلى أن بعض الناس يفهمون من القومية عصبية الدم ، وعنصرية الجنس ، فيجعلون ذلك أساس وحدتهم ورمز جامعاتهم ، وينسون أن الناس لآدم وآدم من تراب ، وبعضهم يفهم من

(١) المنار ، ج ٦ ، م ٣١ ، شعبان ١٣٤٩ هـ ، يناير ١٩٣١ م ، والفتح ، عدد ٢٣ ، ٢٧ رجب ١٣٤٩ هـ .

(٢) المنار ، ج ٦ ، م ٣١ ، شعبان ١٣٤٩ هـ ، يناير ١٩٣١ م ، والفتح ، عدد ٢٣ ، ٢٧ رجب ١٣٤٩ هـ .

(٣) زكريا سليمان بيومى : الإخوان المسلمون والجامعات الإسلامية ، مرجع سابق ، ص ١٦٣ ، ١٦٤ ، وعبد العظيم رمضان : الفكر الثورى فى مصر ، مرجع سابق ، ص ١٦٤ .

القومية الحدود الجغرافية والرقعة الأرضية فيجعلون ذلك مطمح أنظارهم ، وهؤلاء قد ارتبطوا بغير رباط وتقيدوا بغير قيود ، لأن الأرض عرضة للمد والجزر ، تتسع وتضيق مع الظروف والحادثات ، وأضاف حسن البنا : أن الذين ينادون بالعنصرية الجنسية يذكون نار الأحقاد والخصومات في وقت يرجو العالم فيه الهدوء والسلام ، وأن الإسلام لا يقرهم على هذا بل يناديهم كتابه الكريم ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ﴾ [الحجرات : ١٣] ، وإن الذين ينادون بالقومية الجغرافية ينقضون مبدأهم مع غيرهم من الأمم التي تضعف قوتها عن قوتهم ، فيحاولون أن يدمجوا حدودها في حدودهم ، وقد نبههم الإسلام بقوله تعالى ﴿ إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [الأعراف : (١)] .

وفي مقال آخر ذكر : حسن البنا أن القومية لا تنتج إلا الشرور والآثام والحروب والتنافس والتزاحم بين الأمم لأن كل أمة سوف تدعى أنها سيده الجميع ، وتعمل للوصول إلى هذه السيادة ، وبذلك لا تهدأ الثورات ، أو يسود السلام العالمى ، ومن أجل ذلك رفض حسن البنا الدعوة إلى القومية فى شتى صورها ، ودعا إلى الأخوة الإسلامية التي لا تقوم على عصبية الدم ، وعنصرية الجنس ، والتفرقة بين البشر (٢) .

وبين أن « قومية الإسلام تقوم على القرآن والسنة وسيرة السلف الصالح ؛ لأن الإسلام دين شامل جاء للإنسانية بكل ما تحتاج إليه من النظم والقوانين الكلية ووصف لها طريق السعادة . . وكل من دخل فى العقيدة الإسلامية فهو واحد من الأمة التي يربطها الإسلام » (٣) .

ولما كانت الدعوة إلى القومية فى مصر متأثرة بالدعوة إلى القومية الطورانية التي قادها مصطفى كمال أتاتورك فى تركيا ، كما أشرنا قبل ذلك ، فقد شنت صحيفة النذير التي صدرت معبرة عن الإخوان المسلمين بعد توقف صحيفة « الإخوان المسلمين » عن الصدور حملة شديدة على الصحف التي امتدحت كمال أتاتورك فى ذكرى وفاته ولا سيما الصحف الوفدية ، وذكرت أن من أول سيئات أتاتورك إحلال القومية العنصرية محل الإسلام ، ووصفت الذين يمدحونه بأنهم ينفخون فى بوق القومية ، وهو نفس بوق المبشر الاستعماري ، ثم أعلنت هجومها على الأحزاب السياسية المصرية ، التي تدعو

-
- (١) الإخوان المسلمون ، عدد ٢٩ ، ٨ ذو القعدة ١٣٥٢ هـ ، مقال بعنوان : « قومية الإسلام » لحسن البنا .
 (٢) الإخوان المسلمون ، ١١ ربيع الآخر ١٣٥٢ هـ ، مقال بعنوان : « لا القومية ولا العالمية بل الأخوة الإسلامية » لحسن البنا ، وعدد ١٨ صفر ١٣٥٤ هـ ، مقال بعنوان : « دعوتنا » لحسن البنا ، وعدد ٢٧ رجب ١٣٥٥ هـ .
 (٣) الإخوان المسلمون ، ٨ ذو القعدة ١٣٥٢ هـ ، مقال بعنوان : « قومية الإسلام » لحسن البنا .

لفكرة القومية الفرعونية (١) ، كذلك هاجمت الجامعة المصرية لأنها اتخذت شعار كلياتها من رموز فرعونية ، برغم أنها في أمة مسلمة (٢) .

وقد حدد الإخوان المسلمون موقفهم ودعوتهم من فكرة الوطنية التي افتتن بها الناس في ذلك الوقت ، وراجت بين المفكرين وأصبح لها أنصار ودعاة يدعون إليها ، ويشككون في صدق ولاء الإخوان المسلمين للوطن ، ويلمزون عقيدتهم الوطنية ، وذكر داعية كبير منهم لم يصرح باسمه على صفحات صحيفة الإخوان المسلمين : إن كان دعاة الوطنية يريدون بها حب الوطن فذلك أمر مركور في فطر النفوس من جهة ، مأمور به في الإسلام من جهة أخرى ، وإن كانوا يريدون أن الواجب العمل بكل جهد في تحرير البلد من الغاصبين ، وتحقيق استقلاله وعزته فنحن معهم أيضا ، وإن يريدون بالوطن تقوية الرابطة بين أفراد القطر الواحد لصالح هذا الوطن فذلك نوافقهم فيه ، وإن كانوا يريدون بالوطن تقسيم الأمة إلى طوائف تتناحر ويكيد بعضها لبعض ، وتشيع لمناهج وضعية أملتها الأهواء وشكلتها الغايات ، والعدو يستغل ذلك لمصلحته . . . فتلك وطنية رافثة لا خير فيها لدعاتها ولا للناس .

وصرح هذه الداعية أن الإخوان المسلمين مع دعاة الوطنية في كل ما يعود بالصالح لخير البلاد والعباد ، وأن تلك الدعوى لم تخرج عن أنها جزء من تعاليم الإسلام ، ولكن وجه الخلاف بين الإخوان وبين دعاة الوطنية أن الإخوان يعتبرون حدود الوطنية بالعقيدة ، وهم يعتبرونها بالتخوم الأرضية والحدود الجغرافية ، فكل بقعة فيها مسلم هي وطن إسلامي لدى الإخوان المسلمين له حرمة وقداسته ، والجهاد في سبيله واجب ، أما دعاة الوطنية ليسوا كذلك فلا يعينهم إلا أمر تلك البقعة المحدودة الضيقة من رقعة الأرض (٣) .

وقد ظلت أدبيات صحف الإخوان المسلمين تؤكد على القومية الإسلامية والوحدة الإسلامية الشاملة لكل المسلمين ، وأشارت صحيفة « النذير » إلى أن الإخوان المسلمين لن يهدأ لهم بال ، ولن يطمئن لهم خاطر حتى يحققوا الوحدة الإسلامية التي أقرها الإسلام (٤) .

(١) النذير ، ١٣ شوال ١٣٥٧ ، مقال بعنوان : « كيف يجدون رجلا حارب الإسلام » لصالح عشاوى .

(٢) النذير ، ١٣ شوال ١٣٥٧ هـ ، نقلا عن د. زكريا سليمان بيومي : الإخوان المسلمون والجماعات الإسلامية.

(٣) الإخوان المسلمون ، عدد ٤ ، السنة الثالثة ، ٤ صفر سنة ١٣٥٤ هـ ، ٧ مايو ١٩٣٥ م .

(٤) النذير ، ٢١ رجب ١٣٥٨ هـ ، وطارق البشري : المسلمون والاقباط في إطار الجماعة الوطنية ، مرجع سابق ، ص ٥٠٣ ، ٥٠٤ .

ورغم أن صحافة الاتجاه الإسلامى قد ركزت على محاربة الدعوة إلى القومية المصرية ودعت إلى القومية الإسلامية إلا أنها لم تعارض فكرة القومية العربية بل كانت الدعوة إلى القومية العربية تسير جنباً إلى جنب مع الدعوة إلى القومية الإسلامية ، فقد اعتبرها أنصار الفكر الإسلامى سبيلاً إلى تحقيق القومية الإسلامية الشاملة ، وطريقاً إلى الوصول إلى الجامعة الإسلامية ، يقول حسن البنا فى صحيفة الإخوان المسلمين : « إن تمسكنا بالقومية العربية يجعلنا أمة تمتد حدودها من الخليج الفارسى إلى المحيط الأطلسى بل إلى أبعد من ذلك ، ويبلغ عددها أضعاف الملايين المحصورة فى وادى النيل فأى مصرى يكره أن تشاطره هذه الشعوب التى تظلمها العربية شعوره وأماله وأفراحه » ، واعتبر حسن البنا الداعين إلى سلخ مصر من الجسم العام للأمة العربية يعينون الخصوم الغاصبين على خفض شوكة أوطانهم ، وإضعاف قوة بلادهم ، ويساعدون على مقتل هذه الأوطان المتحدة فى قوميتها ولغتها ودينها وآدابها ومشاعرها وطموحاتها (١) .

وحينما وضع الدكتور طه حسين الأمة العربية ضمن الأمم التى غزت مصر ، فأذاقتها صنوفاً من العدوان وألواناً من العذاب ، حتى تغلبت مصر ، فالتهمت العرب فيمن التهمت من الأمم من فرس ويونان وترك وفرنسيين وإنجليز ورومان ، انبرى للرد عليه الشيخ حسن البنا ، مشيراً إلى أن هذه الفكرة التى ينادى بها طه حسين لا ينفرد بها وحده ، بل نادى بها من قبله سلامة موسى ، وحمل لواءها كل من يحمل ضغنا على العربية وحفيظة على الإسلام ، وقد روجها خصوم مصر والعرب ، ولم تظل فكرة خيالية بل برزت إلى حيز الوجود فى مظهرين مهمين وهما : تمثال نهضة مصر ، وضريح سعد زغلول باشا ، وذهب حسن البنا إلى أن تلك الفكرة خطأ محض ، خطأ تاريخى ، وخطأ اجتماعى ، وخطأ فى جانب القومية المصرية لا يغتفر ، أما أن الفكرة خطأ تاريخى فلأن حكم التاريخ مضى بأن الاستعمار العربى لا يقاس بغيره من استعمار الأمم ؛ لأن استعمار الأمم إنما يقصد به الفتح والغنيمة واستبداد الأمة الفاتحة للأمة المغلوبة ، أما الاستعمار العربى فهو استعمار ثقافى إرشادى روحى مهمته تمثيل الشعوب ، وصبغها بالصبغة العربية الإسلامية .

والتاريخ يرشد إلى وحدة الدماء واللغات بين سكان الجزيرة العربية وسكان وادى النيل فى القديم والحديث ، فالكثير من سكان الصعيد وسكان الشرقية والبحيرة والفيوم يعلمون إلى الآن أنسابهم العربية .

(١) الإخوان المسلمون ، غرة جمادى الآخرة ١٣٥٢هـ ، مقال بعنوان : « مصر عربية فليتنق الله المارقون للكلمة » كتبه حسن البنا .

وأما أن هذه الفكرة خاطئة اجتماعيا ؛ فلأن الأمة إنما تتكون قوميتها من لغتها ودينها وعاداتها وثقافتها ، وما إلى ذلك من مظاهر الحياة ، فهل يرى الدكتور طه وغيره أن لمصر لغة غير اللغة العربية ، وأن لها دينا غير الدين الذى حمل لواءه العرب ، وهل يرون أننا نستطيع أن نتخلى عن اللغة العربية أو القرآن الكريم ، والشعور العربى ، ونحل محل ذلك كله لغة ودينا وثقافة تختص بمصر والمصريين ، وما هى ياترى هذه اللغة وما هذا الدين وما تلك الثقافة ؟ لعل القوم يقصدون الهيروغليفية ودين أبيس وآمون وهورس وبتاح ، وأما خطأ الفكرة من ناحية القومية المصرية ؛ فلأن تمسك المصريين بالقومية العربية يجعلهم أمة متحدة مع الشعوب العربية التى تسكن العالم العربى الكبير الممتد من الخليج الفارسى إلى المحيط الأطلسى كما ذكرنا آنفا .

وشارك حسن البنا رأى محب الدين الخطيب والأستاذ عبد القادر حمزة (١) .

والخلاصة : أن القومية العربية الإسلامية لدى الإخوان المسلمين كدائرتين تدور إحداها داخل الأخرى ودعوتهم إلى القومية العربية على أن تكون طريقا إلى الوحدة الإسلامية الشاملة وعدم التخلي عن المسلمين غير العرب الذين يشاركون العرب فى الإسلام الذى أسقط الجنسية من حسابه ويرفض أية دعوة عصبية .

أما عن موقف جماعة مصر الفتاة من الدعوة إلى الفرعونية ، فكان مفهومها لهذه الدعوة أن الفرعونية ليست إلا مجدا مصريا يتغنى به ، يوضع موضع التقدير التاريخى ، أما أن تعخير مصر بين أن تأخذ بالمدنية الفرعونية ، أم بالمدنية الغربية ، فإن الأمر يختلف كل الاختلاف ، ذلك أن أساس الحضارة الدين واللغة ، فهل سيأخذ المصريون بعبادة إيزيس وإيزوريس ، أم هل سيكتبون باللغة الهيروغليفية ، بدلا من اللغة العربية ؟ إن الإجابة على هذا التساؤل هو أن يأخذ المصريون بالمدنية العربية التى يحيون فى امتدادها دينا ولغة وثقافة (٢) ، وقد هاجم أحمد حسين زعيم مصر الفتاة الدعوة إلى القومية المصرية والفرعونية لأنها تباعد بين المصريين وبين إخوانهم فى سائر الأقطار العربية ، ورأى أحمد حسين أن هذا أمر ضرورى تقتضيه حال العصر الحاضر ، عصر الكتل الكبرى ، ونادى بالوحدة العربية وإلى تكوين امبراطورية عربية تتزعم الإسلام وتتكون من مصر والسودان ، وتحالف الدول العربية ، وحدد المقومات التى تقوم عليها هذه الوحدة فى اللغة والدين والثقافة والماضى المشترك (٣) ، وهكذا نرى تلاقى رؤية الإخوان المسلمين وجماعة مصر الفتاة فى رفض القومية المصرية الفرعونية ، والدعوة إلى الوحدة العربية .

(١) الإخوان المسلمون ، عدد ١٥ ، غرة جمادى الأولى ، ١٣٥٢ هـ .

(٢) أنور الجندى ، يقظة الفكر العربى ، مرجع سابق ، ص ٧١ .

(٣) مصر الفتاة ، عدد ٢١ ديسمبر ١٩٣٩ م .

وفى ضوء معالجة الصحف الإسلامية لفكرة القومية المصرية نستطيع أن نسجل أبرز النقاط التالية :

- ١ - ظهرت أول حركة قومية مصرية منفصلة عن إطار الخلافة الإسلامية العثمانية فى عام ١٩٠٧م على يد حزب الأمة ، وصحيفة الجريدة التى كان يحورها لطفى السيد .
- ٢ - انتشرت الدعوة إلى القومية المصرية بشكل واضح عقب الحرب العالمية الأولى لعدة أسباب :

- أ - هزيمة تركيا التى كانت رمزا للخلافة الإسلامية .
- ب - تجمد نشاط الحزب الوطنى المؤيد لانضمام مصر تحت لواء الخلافة الإسلامية .
- ج - ظهور حزب الوفد الموالى لفكرة القومية المصرية .
- د - نمو الشعور القومى لدى المصريين بعد صورة ١٩١٩م .
- هـ - الاكتشافات الأثرية فى عام ١٩٢٠م ولا سيما مقبرة توت عنخ آمون وإسقاط الخلافة الإسلامية فى عام ١٩٢٤م .
- ٣ - كان من أبرز الصحف التى روجت الفكرة القومية المصرية صحيفة السياسة والسياسة الأسبوعية والمقتطف والمقطم وصحف الأقباط المصريين ، وبرر فى هذا المجال سلامة موسى ومرقص سمكة ، والدكتور محمد حسين هيكل ، وعباس العقاد ، والدكتور حسين مؤنس ، وإبراهيم جمعة ، ولطفى جمعة .
- ٤ - اتخذت الدعوة إلى القومية المصرية أشكالا متنوعة ، منها الدعوة إلى أدب قومى مصرى ، وإيثار العامة المصرية ، والعناية بالأدب الشعبى ، والأناشيد القومية ، وتوجيه المسرح المصرى إلى الناحية القومية ، ورفض انتماء مصر إلى العالم العربى والإسلامى .
- ٥ - كان لليهود المصريين دور فى تشجيع الدعوة إلى القومية المصرية فضلا عن الاستعمار والصهيونية ، لقطع الدعم والتأييد المصرى عن عرب فلسطين .
- ٦ - تصدرت الصحف الإسلامية وأنصار الفكر الإسلامى لمحاربة الدعوة إلى القومية المصرية ، وكشفت عن المحاولات التى تهدف إلى فصل مصر عن ماضيها العربى والإسلامى ، وكان فى مقدمة الذين كتبوا فى ذلك رشيد رضا ، ومحج الدين الخطيب ، وحسن البنا ، والدكتور يحيى الدرديرى ، ومحمد فريد وجدى ، وأحمد حسين ، ومحمد على علوية .
- ٧ - أشارت الصحف الإسلامية على تعارض الدعوة إلى القومية المصرية ومع مبادئ

الإسلام ، وعدم اتفاقها مع مصلحت مصر القومية ، وأكدت على خطورتها على مستقبل المسلمين .

٨ - ذكرت الصحف الإسلامية أن أصل المصريين عرب ، وليسوا فراعنة ، وذلك من خلال هجرات الآسيويين والعرب إلى مصر عن طريق باب المندب وسيناء ، والبحوث اللغوية ، وانتساب بعض العائلات المصرية إلى قبائل عربية .

٩ - هاجمت الصحافة الإسلامية الأحزاب السياسية المصرية ، والصحف التي تؤيد فكرة القومية المصرية .

١٠ - تأثرت الدعوة إلى القومية المصرية بدعوة كمال أتاتورك إلى القومية الطورانية في تركيا ، ولذلك كان هجوم الصحف الإسلامية على كمال أتاتورك والصحف التي أشادت به .

١١ - انخفض صوت الدعوة إلى القومية المصرية في نهاية العشرينات نتيجة لحملات التبشير بالنصرانية على مصر ، واضطهاد فرنسا وإيطاليا لمسلمي المغرب العربي ، وخضوع العالم العربي للنفوذ الاستعماري النصراني ، وظهور قضية فلسطين والخطر الصهيوني المهدد لكيان الأمة العربية والإسلامية .

١٢ - نشطت الصحف الإسلامية من دعوتها إلى القومية العربية والإسلامية لمواجهة القومية المصرية الفرعونية ، ودعت إلى إقامة حلف عربي يضم البلاد العربية الناطقة بالضاد .

١٣ - كان هدف الإنجليز والأقباط المصريين من ترويج القومية المصرية سلخ مصر عن العالم العربي والإسلامي الواسع .

١٤ - أثبتت الدعوة إلى القومية المصرية في الجامعة ، وأقيمت لهذا الغرض مناظرة بين أنصار الحضارة الفرعونية وأنصار الحضارة الغربية ، كان النصر حليف أنصار الحضارة العربية .

١٥ - تعرضت الدعوة إلى القومية المصرية في الثلاثينات لهجوم شديد من جانب الصحف الإسلامية ، وبخاصة صحف الإخوان المسلمين ومصر الفتاة ، وراجت الدعوة إلى القومية الإسلامية والعربية .

١٦ - أثبت حسن البنا أن فكرة القومية المصرية خطأ تاريخي ، وخطأ إجتماعي ، وخطأ في جانب القومية المصرية ذاتها ، وأنها لا تنتج إلا الآثام والشرور والحروب

والتنافس بين الدول .

١٧ - نادى أحمد حسين بالوحدة العربية وإلى تكوين إمبراطورية عربية تتزعم الإسلام ، وتتكون من مصر والسودان ، ورأى محب الدين الخطيب أن الجامعة القومية لا تمنع من الجامعة الإسلامية بشرط أن يكون الإسلام هو الجامعة الكبرى .

١٨ - كانت الدعوة إلى القومية العربية تسير جنباً إلى جنب مع الدعوة إلى القومية الإسلامية على أنها وسيلة لإيجاد الوحدة الإسلامية الشاملة .

المبحث الثالث صحافة الاتجاه الإسلامى وقضية فلسطين

كانت قضية فلسطين من القضايا المهمة التى برزت على سطح الصحافة المصرية فى مرحلة ما بين الحربين العالميتين ، ولا سيما بعد حوادث البراق التى نشبت فى عام ١٩٢٩م ، وثورات الفلسطينيين ضد اليهود فى الثلاثينات من هذا القرن ، كل هذا كان له صدى واسعاً فى الصحافة المصرية والإسلامية منها على وجه الخصوص ، وسيجلى هذا المبحث موقف صحافة الاتجاه الإسلامى من قضية فلسطين وتطورها ، والدور الذى أدته تلك الصحف فى معالجتها .

من المعروف أن القضية الفلسطينية بدأت منذ صدور وعد بلفور الذى صرح به وزير خارجية بريطانيا آرثر بلفور فى ٢ نوفمبر ١٩١٧م ، بتكوين وطن قومى لليهود فى فلسطين وقد بذل الصهيوونيون جهوداً مكثفة لكسب الدول الكبرى كإنجلترا وفرنسا ، حتى توصلوا إلى هذا الوعد متضمناً تأييد إنجلترا لإقامة وطن قوى لليهود فى فلسطين حيث كان هذا الوعد نقطة تحول بالنسبة إلى اليهود ، ورغم أن وعد بلفور صدر فى ٢ نوفمبر ١٩١٧م ، إلا أن عرب فلسطين لم يعرفوا به إلا عن طريق الصحف العربية والتركية ، ولم يبلغوا به رسمياً إلا فى ٢٠ فبراير ١٩٢٠م فى بيان أذاعه عليهم السير لويس بولز الحاكم العسكرى العام (١) .

وقد وضعت إنجلترا فلسطين تحت الانتداب البريطانى فى ٢٥ أبريل ١٩٢٠م مع تنفيذ تصريح بلفور ، واستبدلت بالإدارة العسكرية إدارة مدنية تم إنشاؤها فى أول يوليو ١٩٢٠م ، وحل محل المديرين العسكريين أشخاص مدنيون متعاطفون مع سياسة بريطانيا ، وكان السير هيربرت صموئيل أول حاكم مدنى ، وكان يسمى بالمندوب السامى ، وأقرت عصبة الأمم مشروع الانتداب على فلسطين فى ٢٤ يوليو ١٩٢٢م ، وأدمج فى صك الانتداب تصريح بلفور لتكون له حرمة وقداسة المعاهدات الدولية ، وبذلك أصبح فى الإمكان تنفيذ سياسة الحركة الصهيونية ، التى طالما حاولت إنشاء وطن قومى لليهود فى فلسطين متذرعة بما لقيه اليهود من اضطهاد فى أوروبا ، فضلاً عن رغبة اليهود الشديدة فى

(١) عادل حسن غنيم : الحركة الوطنية الفلسطينية من ثورة ١٩٣٦م حتى الحرب العالمية الثانية ، القاهرة : مكتبة الخانجي ، ١٩٨٠م ، ص ٥ .

إحياء القومية اليهودية (١) .

ومنذ ذلك الحين والصحف الإسلامية فى مصر تولى هذه القضية اهتماما كبيرا ، وحفلت هذه الصحف بالحديث عن هذه القضية التى شغلت رأى العام المصرى الإسلامى ولم تتوان هذه الصحف عن الدفاع عن عروبة فلسطين ، وانتفاض قرار الإنتداب البريطانى الذى تضمن أن تكون فلسطين وطناً قومياً لليهود ، ومؤازرة ثورات الفلسطينيين وتأييدهم ضد الاحتلال والصهيونية ، وكان فى مقدمة الصحف الإسلامية والعربية التى اهتمت بهذه القضية صحيفة « المنار » لرشيد رضا ، و « الشورى » لمحمد على الطاهر ، و « الشبان المسلمين » ثم صحف « الإخوان المسلمين » و « مصر الفتاة » .

فعلى إثر قرار الإنتداب البريطانى بجعل فلسطين وطناً قومياً لليهود وجه رشيد رضا خطاباً مفتوحاً على صفحات صحيفة المنار إلى الشعب الإنجليزى والحكومة البريطانية يهاجم قرارها بجعل فلسطين لليهود ومحاولت انتزاع شعب من وطنه أو وطن من أهله وإحلال شعب آخر فى محله ، وإيقاد نار العصية الدينية بين اليهود والعرب وسائر الأمة الإسلامية ومن يشيعها من الشعوب النصرانية (٢) .

وقد نشرت المنار منشوراً النهضة الوطنية الفلسطينية - التى تأسست فى نيويورك وكان رئيسها نظمى عتباوى النابلسى - الذى ينص على :

- ١ - حث العرب على الوحدة بعد خذلان الاستعمار لهم .
- ٢ - الحث على مقاطعة، اليهود ، وتحريم البيع والشراء منهم ولهم .
- ٣ - تأسيس مشروع بنك فلسطينى لتكون مقاومة اليهود على أساس علمى وعملى ليستفيد المزارع والتاجر ، ولكى لا تضر المقاطعة بالوطن .
- ٤ - نشر الدعوة بين جميع العامة فى المدن والقرى ، إما بتأسيس النوادى ، وإما بإلقاء الخطب والمواعظ لإضاءة الأقطار بنور المعرفة .
- ٥ - الحث على القوة والجهاد .
- ٦ - الحث على انتشار العلم لحفظ كيان الأمة ، وعلى الأخص إنشاء المدارس الوطنية التى تولد فى النفوس الوطنية الحققة (٣) .

(١) المرجع السابق ، ص ٨ ، وسهير إسكندر : جريدة المصرى والقضايا الوطنية (١٩٣٦م - ١٩٤٦م) ، القاهرة : سجل العرب ، ١٩٧٦م ، ص ٧٢ .

(٢) المنار ، ج ٦ ، ٢٤م ، شوال ١٣٤١هـ ، يونيه ١٩٢٣ .

(٣) المنار ، ج ٣ ، ٢٤م ، رجب ١٣٤١هـ ، مارس ١٩٢٣م .

وكانت صحيفة الشورى لصاحبها محمد على الطاهر - الفلسطيني الأصل^(١) - من أبرز الصحف الإسلامية والعربية التي كان لها دور كبير في متابعة أحداث القضية الفلسطينية وتطوراتها خلال العشرينات ، وصدرت في عام ١٩٢٤م ، جريدة سياسية تبحث في شؤون فلسطين وسوريا ولبنان وشرق الأردن ، وقد خصصت بابا دائما بعنوان: «شؤون وشجون» يتضمن تعليقات على الأحداث الجارية في فلسطين فضلا عن المقالات والتحقيقات الصحفية التي كانت تشكل المادة الأساسية التي استندت إليها صحيفة الشورى في معالجتها للقضية الفلسطينية من مختلف زواياها ، وكان اهتمامها ينبع من منطلق قومي عربي ذي خلفية فكرية إسلامية ، لذلك نجدها تهتم بالتعليق على الجوانب الإسلامية للقضية وإبراز دور المؤسسات الدينية في حسم بعض المشاكل التي كانت مثارة خلال العشرينات^(٢) .

ثم تابعت صحيفة الشورى نشر أخبار النشاط الوطني الفلسطيني ، وتولت الرد على كثير من الافتراءات والأخبار الكاذبة التي كانت تروجها وكالات الأنباء البريطانية والفرنسية عن الكفاح الفلسطيني ، واستطاعت من خلال المقالات السياسية والتعليقات والتحقيقات الصحفية أن تخلق اتجاهها فكريا مواليا للقضية العربية لنجح في اجتذاب بعض قطاعات الرأي العام المصري حول قضايا العروبة والإسلام^(٣) .

وقد أسهمت صحيفة الشورى مع غيرها من الصحف الإسلامية والعربية في مواجهة الاتجاه الصهيوني الذي كانت تقوده بعض الصحف ذات الاتجاه الصهيوني اليهودي مثل صحيفة الشمس والاتحاد الإسرائيلي ، وإسرائيل ، وتفنيد ما تبثه هذه الصحف من دعايات لصالح اليهود في فلسطين^(٤) ثم توالى اهتمام صحافة الاتجاه الإسلامي بقضية فلسطين ، وقد أخذت صحيفة «الفتح» تكشف عن أبعاد المؤامرة الصهيونية وخطورها ،

(١) ولد محمد على الطاهر في نابلس ١٨٩٦م ، وكان أول من أشار إلى التحذير من الصهيونية وأنها تستهدف إنشاء دولة يهودية في فلسطين في عام ١٩١٤م في جريدة «فتى العرب» التي كانت تصدر في بيروت ، وكان يعمل مراسلا في يافا ، وفي أثناء الحرب العالمية الأولى لجأ إلى مصر هربا من مظالم جمال باشا ، ولكن السلطات البريطانية اعتقلته لمدة عامين (١٩١٥ - ١٩١٧م) ، وبعد انتهاء الحرب عاد إلى فلسطين حيث شارك في تحرير جريدة سورية كانت تصدر في القدس ، وعمل مديرا للبريد والتلغراف بنابلس ، وحين تشكلت الحكومة المدنية برئاسة هربرت صموئيل ، وعين مديري الإدارات من الإنجليز واليهود ، استقال من وظيفته ، وعاد إلى مصر حيث عمل بالتجارة لتدبير مبلغ يمكنه من إصدار صحيفة ، وقد نجح في الحصول على امتياز جريدة باسم جريدة الشورى في عام ١٩٢٤م .

انظر : عواطف عبد الرحمن : مصر وفلسطين ، مرجع سابق ، ص ٥٦ ، ص ٥٧ .

(٢) عواطف عبد الرحمن : مصر وفلسطين ، مرجع سابق ، ص ١٤٤ .

(٣) المرجع السابق ، ص ١٤٥ .

(٤) المرجع السابق ، وأثر الجندي ، الفتح ، تاريخ الصحافة الإسلامية ، مرجع سابق ، ص ١٩٦ .

والمخطط الصهيوني ، وذكرت أن أصبح اليهود هي التي وضعت نظام الماسونية ، ورسمت برنامج البلشفية ، وكتبت قانون الاتحاد والترقي ، والأصبح اليهودية تزخر الأرياء الإباحية للسيدة المصرية في القاهرة والإسكندرية ، فمتاجر القاهرة كلها يهودية شيكوريل يهودية ، وأوروزى باك يهوديا ، وشملا يهوديا ، وتيرينغ يهوديا وأموال البون مارشيه يهودية ، وكذلك كان موروم وقبله ستين وماير وغيرهم (١) .

وأشارت الفتح إلى أن الدعوة إلى رفع الحجاب الإسلامى الصادرة من دار الهلال بقلم سلامة موسى والتي يكتب عنها محمود عزمى ، والتي يخطب فيها خطباء جمعية الشبان المسيحيين ، والتي تشجعها جريدة الأهرام ، كل ذلك ليس بشيء فى جانب الوسائل التي يتخذها اليهود فى محل شيكوريل ، وليجعلوكم أيها المسلمون أمام أمر واقع فى مسألة السفور (٢) .

وكشفت صحيفة الفتح القناع عن مقاصد اليهود فى فلسطين ، وبينت أحاييل الصهيونيين مع العرب والمسلمين ، وفضحت نواياهم ، يقول محب الدين الخطيب فى مقال بعنوان : « البرنامج الصهيونى » : « إن الصهيونية تسعى للإلقاء بدور التفرقة والشقاق فى داخلية كل دولة ودفع الشعوب إلى أن تعتنق عقيدة التساهل الواسع ، ثم تترقى من ذلك إلى تعميم المذهب الراديكالى ، ثم إلى الاشتراكية ومنها إلى الشيوعية ، وبعد ذلك إلى الإباحية ثم إلى الفوضى ، فإذا تم ذلك فى أمم الأرض لا يبقى حينئذ سالم من هذه التعاليم غير إسرائيل فيبسط نفوذه ، ويملى إرادته على الشعوب إن لم يكن مباشرة ، فبواسطة أو سلسلة وسائط » (٣) .

وقد هاجمت « الفتح » جريدة « السياسة » حينما نشرت نبأ زيارة الوفد الإسرائيلى المكون من الدكتور البير موصيرى والمسيو جولد شتاين ، والأستاذ فينا سنيسيو المحامى لي شكرها على موقفها المعتدل تجاه اليهود ، ومطالبتها الجرائد العربية الأخرى بالروية ، والاعتصام بلواء القومية ، وانبرى للرد على ذلك أحمد إبراهيم السراوى ، وكتب فى الفتح تحت عنوان : « جريدة السياسة تخدم الصهيونية يشكرونها على خدماتها » اتهم فيه جريدة السياسة بأنها تخدم الصهيونية ، وتغض الطرف عن أعمال اليهود المنكرة فى فلسطين ، فى محاولة لصرف نظر المسلمين عن العناية بأمر إخوانهم الفلسطينيين وعن القيام بواجب الدفاع عنهم (٤) .

وأكدت الفتح على علاقة الماسونية فى مصر باليهود فى فلسطين ، وأن اليهود

(١) المرجع السابق ص ١٤٥ .

(٢) المرجع السابق ، وأنور الجندى ، الفتح ، تاريخ الصحافة الإسلامية ، مرجع سابق ، ص ١٩٦ .

(٣) أنور الجندى ، الفتح ، تاريخ الصحافة الإسلامية ، مرجع سابق ، ص ١٩٦ ، ١٩٧ .

(٤) الفتح ، عدد ١٦٤ ، ٩ ربيع الآخر ١٣٤٨ هـ ، ١٢ سبتمبر ١٩٢٩ م .

يحاولون استخدام الماسونية فى مصر لمصلحتهم السياسية ضد المسلمين والنصارى فى فلسطين (١) .

وحينما كتب محمد عبد الله عنان : فى السياسة الأسبوعية يشرح نظرية احتلال اليهود لأراضى فلسطين ، ويدافع عما زعمه حقوق اليهود ، انبرى له فى صحيفة الفتح باحث مصرى لم يدل باسمه ، اتهم عبد الله عنان بأنه معتنق للمذهب الصهيونية ، وأنه صاحب هوى فيما يكتب ، وأنه يخدم بذلك المصالح اليهودية (٢) ، وكذلك عرضت صحيفة الفتح لكتاب هنرى فورى الذى ألفه بعنوان : « اليهودى الدولى » وقام بتعريبه الدكتور على مظهر ، هذا الكتاب يشير إلى حقيقة تاريخية على قدر كبير من الأهمية وهى أن المسألة اليهودية قائمة فى الولايات المتحدة الأمريكية منذ زمن بعيد ، وكان اليهود أنفسهم على علم بذلك ، فى حين كان الوطنيون الفلسطينيون لا يدرون عن ذلك شيئا (٣) .

وخلال عام ١٩٢٩م جرت حوادث حائط المبكى ، الحائط الغربى للمسجد الأقصى آخر آثار هيكل سليمان عند اليهود ، ومصعد البراق عند المسلمين ، فقد أراد اليهود امتلاك الحائط ، ووضعوا الستار عليه ، وسارت مظاهراتهم تهتف : الحائط حائطنا .

وهب العرب يؤكدون أن الوطن لهم والحائط للمسلمين ، وحدث من جراء ذلك مصادمات عنيفة بين الطرفين استخدم فيها السلاح وسالت فيها الدماء ، وأعلن عرب فلسطين الثورة على اليهود (٤) .

وكان رد فعل هذه الأحداث والمصادمات فى مصر شاملا لدى صحافة الاتجاه الإسلامى ومختلف الجمعيات والمؤسسات الإسلامية ، ونشطت جمعية الشبان المسلمين ومجلتها فى الدعوة لجمع التبرعات لعرب فلسطين من ضحايا هذه الثورة ، وإرسال برقيات الاحتجاج لعصبة الأمم والحكومة البريطانية ، وعقدت الجمعية فى القاهرة عام ١٩٣٠م مؤتمرا لجمعياتها بمصر وفلسطين بحثت فيه وسائل دعم التضامن الإسلامى وإنشاء بنك إسلامى وجمعيات تعاونية محلية تحفظ أراضى فلسطين لشعبها ، وأوصت بإنشاء عصبة أمم إسلامية ، وسافر إلى القدس كل من محمد على علوبة باشا ، وأحمد ذكى الملقب بشيخ العروبة ، وعبد الحميد سعيد للدفاع عن ملكية العرب لحائط البراق أمام

(١) الفتح ، عدد ١٧٢ ، ٥ جمادى الآخرة ١٣٤٨هـ ، ٧ نوفمبر ١٩٢٩ .

(٢) الفتح ، عدد ١٦٧ ، ٣٠ ربيع الآخر ١٣٤٨هـ ، ٣ أكتوبر ١٩٢٩م ، مقال بعنوان : « هل الأستاذ عبد الله عنان يهودى صهيونى ؟ » .

(٣) الفتح ، عدد ١٧١ ، ٢٨ جمادى الأولى ١٣٤٨هـ ، ١ نوفمبر ١٩٢٩م .

(٤) طارق البشرى : الحركة السياسية فى مصر ، مرجع سابق ، ص ٢٣٧ .

اللجنة التي شكلتها عصبة الأمم لتحقيق النزاع (١) .

وفى تلك الأثناء هبت الصحف الإسلامية فى مصر للدفاع عن أحقية العرب والمسلمين لحائط البراق ، والتنديد بالمذابح اليهودية لعرب فلسطين ، وتأييد المظاهرات الفلسطينية التي اندلعت لإعلان الحكومة البريطانية أن العرب تأكد لهم أن الوطن القومى اليهودى هو وليد السياسة البريطانية ، وأنهم سيوجهون كفاحهم ضد السياسة البريطانية والسياسة الإنجليزية معا (٢) ، ونشرت الصحف احتجاجات الجمعيات الإسلامية على ادعاءات اليهود لامتلاك البراق « حائط المبكى » ومن هذه الجمعيات التي نشرت الصحف الإسلامية احتجاجاتها جمعية الشبان المسلمين بالقاهرة وجمعية الهداية الإسلامية ، وجمعية حراسة المسجد الأقصى ، وجمعية اللواء الإسلامى ، والجمعية المصرية للدفاع عن المسجد الأقصى والأماكن الإسلامية بالقدس ، كذلك تابعت الصحف الإسلامية أخبار الاشتباكات والاعتداءات اليهودية على الفلسطينيين ، ونشرت بعض القصائد الشعرية التي تندد باليهود ، وتؤيد حق الفلسطينيين فى البراق ، هذا فضلا عن نشر المقالات والتعليقات والبيانات التي تصدر عن عرب فلسطين ، وتبرز مطالبهم وبيانات رئيس المجلس الإسلامى الأعلى فى القدس الشيخ محمد أمين الحسينى ، وبيانات لجنة الدفاع عن القدس ، واحتجاج مسلمى فلسطين إلى وزارة المستعمرات بلندن .

وفى محاضرة نشرتها مجلة الشبان المسلمين بعنوان : « المسجد الأقصى وهيكل سليمان » ذهب العلامة أحمد زكى باشا إلى أن هيكل سليمان الذى يتخذه اليهود رمزا لأيام عزهم ومجدهم ، لم يكن له أثر عندما فتح المسلمون بيت المقدس فى أيام عمر بن الخطاب ، وأنه قد مضى على هدم الهيكل ألفا عام ، فى حين لم يمض على بناء المسجد الأقصى أكثر من ألف عام ، ولا يعقل أن يكون ما فى باطن الأرض من بقايا هيكل سليمان مبررا لطمع اليهود فى مسجد يقدهه المسلمون فى كل مكان ، وهو ذلك المسجد الذى بناه على الصخرة عمر بن الخطاب (٣) .

ونشرت المجلة أيضا بيانا أصدرته جمعية الشبان المسلمين تستنكر فيه ما قام به اليهود فى القدس من مظاهرات عدوانية فى مكان البراق الشريف ، وحذر البيان من مغبة هذه الفتنة التي أثارها اليهود ، وناشد مسلمى فلسطين أن مكان البراق وما حوله من وقف سيدى أبى مدين ، وأنه أمانة من الأمانات الإسلامية المقدسة التي وضعتها الأجيال بين أيديهم ، وأن كل مسلم فى كل بقعة من الأرض يعتبر نفسه جنديا مع مسلمى بيت

(١) المرجع السابق ، ص ٢٤٢ ، ود . عواطف عبد الرحمن : مصر وفلسطين ، مرجع سابق ، ص ٩٩ .

(٢) عادل غنيم : الحركة الوطنية الفلسطينية ، مرجع سابق ، ص ١٢ .

(٣) الشبان المسلمون ، ج ١ ، ١ ، جمادى الأولى ١٣٤٨ هـ ، أكتوبر ١٩٢٩ م .

المقدس ، وكذلك نشرت « الشبان المسلمون » مساعى رئيس جمعية الشبان المسلمين إلى شيخ الأزهر لإصدار بيان من الجامع الأزهر يدين تلك الفتنة التى دبرها الصهاينة فى بيت المقدس لاغتيال البراق الشريف (١) .

واعتادت مجلة « الشبان المسلمون » على أن تنشر فى كل عام نتائج اجتماعات جمعية الشبان المسلمين التى تعقدتها بمناسبة ذكرى وعد بلفور ، واحتجاجات الجمعية المستمرة على هذا الوعد المشؤوم ، واقتراحات الأعضاء لمساعدة الفلسطينيين سواء عن طريق الإعانات المالية أو رفع العرائض إلى ملوك الإسلام وحكام الدول الإسلامية وحكومات أوروبا وعصبة الأمم (٢) . وذكر حسن البنا فى مقال بعنوان : « فلسطين المجاهدة » أن قضية فلسطين هى قضية العرب أجمعين ، ثم شن حملة شديدة على وعد بلفور ، الذى عدّه ضربة قاضية وجهت إلى الأمة العربية فى الصميم ، وهاجم دولة الانتداب فى فلسطين التى تعمل منذ صدور هذا الوعد سرا وعلائية على غزو فلسطين بجيوش من مهاجرى اليهود ، ولم تبال فى هذا السبيل بظلم العرب واغتصاب أرضهم وإخراجهم من ديارهم وناشد العرب جميعا أن يوقفوا الهجرة اليهودية إلى فلسطين بكل الوسائل السلمية وغير السلمية ، وألا يكفوا عن المطالبة بذلك ، وطالب أيضا بمواساة جرحى وشهداء فلسطين ، وتقديم يد المعونة لهم ، وجمع الاكتتابات وإرسالها إلى فلسطين ، ونوه بجهود جماعة الدفاع عن الإسلام التى تشكلت فى القاهرة ، لاهتمامها بقضية فلسطين (٣) .

وكتب إبراهيم حسن الخطاب مقالا بعنوان : « حول الوطن القومى الفلسطينى » سجل فيه أن فكرة إيجاد وطن قومى لليهود فى فلسطين مخالفة صريحة للناموس الطبيعى وخروج عن أبسط قواعد العدل والإنسانية ؛ لأنها كما قال إنجليزى حر هو الجنرال بلاكنى : « فكرة تنطوى على محاولة تهجير شعب متوطن فى ديار آبائه وأجداده ، وتوطين شعب آخر محله شتيت فى بقاع الأرض ، حال كون الشعب الأصيل صحيح القومية من حيث سلامة كيانه وتجانسه فى الأخلاق والعادات ووحدة اللغة ، بينما الشعب الدخيل ليست له قومية صحيحة ، لتعدد لغاته ، وانحلال رابطته الجنسية واختلاف مشاربه » (٤) .

وقدمت الشبان المسلمون احتجاج الفلسطينيين على الحكومة التى أنشأت فى بعض قرى اليهود مستودعات للأسلحة ، وتعيين ضابط لتعليم الأهالى اليهود استعمال هذه

-
- (١) الشبان المسلمون ، ج١ ، م٢ ، جمادى الأولى ١٣٤٨ هـ ، أكتوبر ١٩٢٩ م .
 (٢) الشبان المسلمون ، ج٣ ، م٥ ، شعبان ١٣٥٢ هـ ، ديسمبر ١٩٣٣ م .
 (٣) الإخوان المسلمون ، عدد ١٧ ، السنة الأولى ، ٢٠ رجب ١٣٥٢ هـ .
 (٤) الشبان المسلمون ، ج١ ، م٣ ، جمادى الأولى ١٣٥٠ هـ ، أكتوبر ١٩٣١ م .

الأسلحة ضد عرب فلسطين (١) . ونشرت الفتح مطالب عرب فلسطين التي أدلى بها رئيس المجلس الإسلامي الأعلى مع مندوب شركة الصحافة الأمريكية المتحدة في لندن وهي :

١ - تأسيس حكومة نيابية ديمقراطية يشترك فيها جميع الأهالي من مسلمين ونصارى ويهود .

٢- العدول عن سياسة وضع البلاد في حالة سياسية واقتصادية تساعد على إنشاء الوطن القومي اليهودي .

٣ - أن يستعاض عن وعد بلفور بما يضمن تساوى جميع أهالي فلسطين ضمن الحكومة النيابية في الحقوق السياسية والإدارية والاقتصادية بغض النظر عن الجنس والمعتقد ..

٤ - أن يكون منح الامتيازات الاقتصادية - التي هي احتكار صهيوني - وسن القوانين التي يسنها الآن يهودى وصهيونى في يد الحكومة النيابية .

٥- أن تدار جميع الأماكن المقدسة حسب الحالة الراهنة ، بحيث تضمن حرية العبادة والشؤون الدينية للجميع على اختلاف المعتقدات .

٦- أن تكون الهجرة إلى فلسطين ضمن قانون تسنه الحكومة النيابية ، ويراعى فيه استطاعة ومصلحة البلاد الاقتصادية والاجتماعية (٢) .

وواصلت الصحف الإسلامية الحديث عن مشكلة فلسطين وانتهاكات اليهود لحريات المسلمين في فلسطين ، وبينت كيف يحاول اليهود اغتيال المسلمين هناك والاعتداء على المسجد الأقصى ، وتدني موضع براق النبي ﷺ ، ونشرت الفتح نداءات اللجنة المركزية العربية لإعانة المنكوبين في فلسطين ، وما جادت به قرائح الشعراء المصريين من قصائد شعرية لإغاثة منكوبى فلسطين ، وتأييدهم ماديا ومعنويا ، وكان أبرز هؤلاء الشعراء محمد صادق عرنوس ، ومحمد النجمي .

ودعا محب الدين الخطيب عرب فلسطين إلى مقاطعة بضائع اليهود ، وذلك أن المقاطعة على حد قوله من أقوى الأسلحة في محاربة اليهود (٣) . وفى مقال بعرض الصفحة الأولى للفتح بعنوان : « اليهود يعتدون على المسلمين في أماكنهم المقدسة ،

(١) الشبان المسلمون ، ج٣ ، ٦م ، شعبان ١٣٥٣هـ ، ديسمبر ١٩٣٤م .

(٢) الفتح ، عدد ١٦٥ ، ١٦ ربيع الآخر ١٣٤٨هـ ، ١٩ سبتمبر ١٩٢٩م .

(٣) الفتح ، عدد ١٧٥ ، ٢٦ جمادى الآخرة ١٣٤٨هـ ، ٢٨ نوفمبر ١٩٢٩م .

ويوظفون الفتنة النائمة « ندد فيه باعتداء اليهود على المسلمين بعد حادثة البراق وبنائهم حواجز في أوقاف المسلمين ، وهاجم البلاغ الرسمى الضعيف الذى أصدرته سلطة الانتداب البريطانى إثر هذا الاعتداء ، ولم يكن له أى صدق ، واستصرخ محب الدين الخطيب المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها أن يهبوا للدفاع عن مكان البراق الشريف الذى انتهى إليه إسراء النبى ﷺ ، ومنه ابتداء معارجه الشريف ، وحذر اليهود أن انتهاك حرمة البراق سيكون من شأنه استثارة غضب المسلمين فى كل أنحاء العالم ؛ لأن هذا العمل تحدى لشعورهم (١) ، ودعا العرب إلى الالتئام ولم الشمل لمواجهة الكيان الصهيونى ، الذى زرعه الاستعمار فى فلسطين ، كما نعى على الفلسطينيين تشتهم وتفرقهم ، واختلاف كلمتهم (٢) .

وكتب عبد الخالق حامد أيضا فى الفتح ، يؤكد أن ثورة اليهود على أهالى فلسطين القصد منها اغتصاب البراق الشريف والحرم المقدس بمساعدة الإنجليز ، وندد بما قام به اليهود من قتل للأبرياء وتخريب المساكن والتنكيل بالوطنيين ، الذين رفضوا احتلال اليهود للبراق (٣) .

وأخذ رشيد رضا يعدد مساوئ السياسة الإنجليزية فى الشرق العربى ، وأنها ضربت بمشاعر المسلمين عرض الحائط ؛ لأنها تعلم أن الغرض الأعظم من جعل فلسطين وطنا قوميا لليهود ، هو التمهيد لامتلاكها لإعادة هيكلة سليمان لهم ومكان الهيكل فى عرفهم هو المسجد الأقصى الذى له مكانة خاصة فى نفوس المسلمين ، عامة ، والعرب خاصة ، وعرب فلسطين بالأخص .

ولفت رشيد رضا انتباه الحكومة البريطانية فى لندن وفلسطين إلى أن حائط البراق من الأوقاف الإسلامية الثابتة بالتواتر ، وأنه من قواعد ما يسمونه بالانتداب فى فلسطين التى تنص على أن المعاهد الدينية لجميع الملل تبقى على حالها ، لايسمح بالاعتداء عليها (٤) .

ونشرت المنار بيان جمعية حراسة المسجد الأقصى والأماكن الإسلامية فى القدس ، والذى وجه إلى مسلمى العالم كله ، حيث وجه الأنظار إلى أن اليهود يحاولون امتلاك البراق بشتى الطرق ، ويعقدون لذلك المؤتمرات العديدة ، وتعمل الجمعيات الصهيونية

(١) الفتح ، عدد ١١٦ ، ٢٠ ربيع الآخر ١٣٤٧هـ ، ٤ أكتوبر ١٩٢٨م .

(٢) الفتح ، عدد ١٦٧ ، ٣٠ ربيع الآخر ١٣٤٨هـ ، ٣ أكتوبر ١٩٢٩م .

(٣) الفتح ، عدد ١٧٣ ، ١٢ جمادى الآخرة ١٣٤٨هـ ، ١٤ نوفمبر ١٩٢٩م .

(٤) المنار ، ج٦ ، ٢٩م ، ربيع الآخر ١٣٤٧هـ ، أكتوبر ١٩٢٨م .

والصحف الصهيونية على التحريض على ذلك الغرض (١) .

وكذلك نشرت المنار قرارات المؤتمر الإسلامى العام الذى انعقد فى القدس فى مسألة البراق ، وكان من أبرز القرارات التى اتخذت فى هذا المؤتمر هى :

١- تأليف جمعية إسلامية كبيرة تدعى جمعية حراسة المسجد الأقصى والأماكن الإسلامية المقدسة ، مركزها العام القدس ، ولها فروع فى جميع العالم الإسلامى .

٢ - توكيل الوفد السورى فى جنيف باتخاذ التدابير اللازمة لصيانة حقوق المسلمين فى الأماكن المقدسة الإسلامية أمام عصبة الأمم ، والرأى العام الغربى .

٣ - نشر نداء إلى عموم الوطنيين أن يحرسوا على أراضيهم ، وعدم بيعها لليهود .

٤ - نشر بيان مفصل للرأى العام فى العالم فى الشرق والغرب فى قدسية البراق الشريف عند المسلمين ، وحقهم الثابت فيه .

٥ - تأليف لجنة تنضم إلى لجنة الدفاع عن البراق الشريف لوضع قانون جمعية الحراسة المذكورة وتنفيذ مقررات المؤتمر (٢) .

وفى الثلاثينات اشتد هجوم صحافة الاتجاه الإسلامى على تدفق الهجرة اليهودية إلى فلسطين ، ولاسيما بعد تسلم الحزب النازى فى ألمانيا فى عام ١٩٣٣م ، حيث بدأ فى معاداة السامية ، الأمر الذى ساعد على تدفق سيول المهاجرين إلى فلسطين من ألمانيا ورومانيا ، وبولنيا (٣) ، ومن ثم حفلت الصحف الإسلامية بالحديث عن الهجرة اليهودية إلى فلسطين ، وبيان خطورتها على مستقبل فلسطين واستقلالها ، وذكر محب الدين الخطيب أنه إذا كان عدد من ينزل فلسطين من اليهود كل عام ٢٥ ألفا فى كل سنة ، ففى عام ١٩٤٧م أى بعد أربع عشرة سنة يتساوى العرب واليهود فى فلسطين (٤) ، ثم يصير العرب بعد ذلك أقلية وهذه حقيقة مخيفة جدا ، والمسلم الفلسطينى إذا استخف بنتائجها فليتهم نفسه بالخيانة العظمى ، بدون تردد ، والمسلم من أى جنس إن لم يعاون المسلم الفلسطينى على إبقاء فلسطين عربية مسلمة ، فليعلم أن علاقته بجامعة الإسلام قد طرأ عليها وهن ، وأضاف الخطيب يقول : إن تهديد فلسطين يرجع إلى عاملين :

١ - عامل خارجى : وهو السياسة الصهيونية التى سعى إليها اليهود وأقرها الإنجليز .

(١) المنار ، ج٤ ، ص ٣٠ ، ربيع الآخر ١٣٤٨هـ ، أكتوبر ١٩٢٩م .

(٢) المنار ، ج ٨ ، ص ٢٩ ، جمادى الآخرة ١٣٤٧هـ ، ديسمبر ١٩٢٨م .

(٣) أحمد طربين : الوحدة العربية (١٩١٦م - ١٩٤٥م) ، بحث فى تاريخ العرب الحديث منذ قيام الثورة العربية حتى نشوء الجامعة العربية ، القاهرة : ١٩٥٩م ، ص ٨٢ .

(٤) عدد الفلسطينين العرب فى ذلك الحين كان يبلغ المليون ، كما أشارت الصحف إلى ذلك .

٢ - وعامل داخلي : وهو ضعف عرب فلسطين .

ثم تنبأ بأن فلسطين ستكون يهودية بعد أربعة عشر عاما من عام ١٩٣٥م ، وهذا ما أكدته الأحداث إذ قامت الدولة اليهودية في فلسطين عام ١٩٤٨م (١) .

وقد حذرت الشبان المسلمون أيضا من مجيء الصهيونيين إلى فلسطين ومن الهجرات المتزايدة من اليهود التي تفد إلى فلسطين كل عام ، وحذرت أيضا الفلسطينيين من بيع أراضيهم لليهود ، وحينما أنشأ الإنجليز ميناء حيفا بحجة خدمة الفلسطينيين ذكرت الشبان المسلمون أن الإنجليز ما أنشؤوا هذا الميناء إلا ليكون منفذا لأنابيب البترول الذي يأتي من العراق ، ثم لتجارة اليهود ، التي أنشؤوها وعملوا على صيانتها بأموال ومساعدات يهود العالم أجمع ، وكيف يستفيد الفلسطينيون من هذا الميناء وهم قوم يؤساء يموتون جوعا ، ولا يملكون بالطبع ما يصدرونه ولا ما يستوردونه (٢) .

وكان لصحافة الإخوان المسلمين والشبان المسلمين دور بارز في خدمة القضية الفلسطينية منذ بداية تطورها بعد حادثة البراق ، وقد نبع اهتمام الإخوان المسلمين بالقضية الفلسطينية من شعور بحق العروبة ورابطة الإسلام ، على حد قول الإمام حسن البنا ، وكان العامل الديني هو الأساس في احتضان الإخوان المسلمين لقضية فلسطين باعتبارها جزءا من العالم الإسلامي ، الذي يرى الإخوان المسلمون أن أي اعتداء على قسم منه هو اعتداء على باقي الأقسام ، وأن واجب المسلمين في سائر ديارهم مد يد العون بعضهم لبعض (٣) .

وقد دأبت صحيفة الإخوان المسلمين على توجيه اللوم والنقد لموقف المفكرين المصريين المتسم بالسلبية إزاء هذه القضية الإسلامية المهمة ، وكذلك لموقف باقي الفئات الإسلامية في مصر من شباب وأطباء وأثرياء لتقاعسهم عن التطوع للدفاع عن هذا الوطن المقدس ، وعدم التبرع بالأموال لإنقاذ الديار الفلسطينية ، وإرسال البعثات الطبية لعلاج المرضى والجرحى وشهداء الإسلام هناك (٤) .

وانتقدت المنار في عديد من مقالاتها موقف الإنجليز الذين يحاربون اليهود ويمكنهم من الانتصار على الفلسطينيين ، ويمهدون لهم الاستيلاء على مرافقها ، وأعلنت أن غرضهم الباطن من ذلك تفريق الوحدة العربية في قلب بلادها ، وإيجاد أعداء للعرب من غير الإنجليز يشغلونهم بهم عن عداوتهم ، ويعلقون آمال الفريقين ببقاء حكمهم عليهم (٥) .

(١) أنور الجندى ، الفتح ، تاريخ الصحافة الإسلامية ، ج٢ ، ص ٩٦ ، ٩٧ .

(٢) الشبان المسلمون ، ج٥ ، ص ٥ ، شوال ١٣٥٢هـ ، فبراير ١٩٣٤م .

(٣) عواطف عبد الرحمن : مصر وفلسطين ، مرجع سابق ، ص ١٢٦ .

(٤) الإخوان المسلمون ، ٢٨ صفر ١٣٥٥هـ ، مايو ١٩٣٦م .

(٥) المنار ، ج٧ ، ص ٣٠ ، شعبان ١٣٤٨هـ ، يناير ١٩٣٠م .

وفى أكتوبر عام ١٩٣٥م تقرر إعلان الإضراب العام فى جميع مدن وقرى فلسطين احتجاجا على تهاون الحكومة فى دخول الأسلحة والذخيرة لليهود فى فلسطين ، ثم ظهرت حركة ثورية فى منتصف نوفمبر ١٩٣٥م قادها الشيخ عز الدين القسام ، وخاضت المعارك ضد القوات البريطانية ، وانتهت باستشهاد الشيخ القسام وعدد من رجاله ، فى ٢ نوفمبر ١٩٣٥م . ولم يمض سوى بضعة أشهر على هذا الحادث ، حتى شبت ثورة فلسطين الكبرى عام ١٩٣٦م (١) ، واستمرت ثلاثة أعوام ، وخلال هذه الثورة كانت الصحف الإسلامية فى مقدمة الصحف المصرية التى آذرت جهود الفلسطينيين ، وأيدت ثوراتهم وعملت على استثارة الحمية الدينية لدى المصريين لإنقاذ المقدسات الإسلامية فى فلسطين ، فتقول صحيفة الإخوان المسلمين على لسان أحد أعضائها : « لو سار المسلمون كما سرنا إلى أرض فلسطين ، ورأوا أسراب الرجال والنساء ونظروا كتائب اليهود المنظمة ، وجيوش الصهاينة الظالمة التى تفد على أرض فلسطين من سائر بقاع الأرض ، ثم نظروا كيف يتجمعون عند الحرم ، ويقفون عند البراق الشريف فينفخ أحدهم فى البوق خلافا لكل عرف ونظام فيجيبه جمهور اليهود ، لو نظر المسلمون ذلك ، وفهموا ما يرمى إليه اليهود من ورائه لتجافت جنوبهم عن المضاجع وسارعوا لإنقاذ الحرم ، قبل أن يأتى الوقت الذى يريدون فيه الصلاة فلا يستطيعون » (٢) .

ودعا الدكتور يحيى الدرديرى على صفحات مجلة « الشبان المسلمون » إلى الجهاد المقدس لإغاثة الفلسطينيين ، ونعى على المسلمين تأخرهم وتقاعسهم عن نصرة الفلسطينيين وانغماسهم فى الشهوات المادية ، وتضييع الأموال فى المتعة الجسدية والاسترسال فى الملذات (٣) .

وأصدر رئيس اللجنة العليا لإغاثة منكوبى فلسطين فى القاهرة الدكتور عبد الحميد سعيد بيانا حذر فيه بريطانيا من تهويد الأراضى الفلسطينية ، ومساعدتها على قتل الفلسطينيين ، ودعا العالم الإسلامى إلى إنقاذ الفلسطينيين من ويلات الإنجليز واليهود (٤) .

وأشارت صحيفة « الإخوان المسلمون » إلى أن منهاج اليهود والمطامع الصهيونية لا تقف عند بيت المقدس فحسب ، بل هى تتطلع إلى دولة صهيونية واسعة الأكتاف مترامية الأطراف ، وليس أمامهم إلا صحراء سيناء ، وفيها جبل الطور ، ومن ثم فالمجاهدون من

(١) عادل غنم : الحركة الوطنية الفلسطينية من ثورة ١٩٣٦م حتى الحرب العالمية الثانية ، مرجع سابق ، ١٦ ، ١٧ .

(٢) الإخوان المسلمون ، ٨ شعبان ١٣٥٤هـ ، ٥ نوفمبر ١٩٣٥م .

(٣) الشبان المسلمون ، ج ١٠ ، ٧م ، ربيع الآخر ١٣٥٥ هـ ، يوليو ١٩٣٦م .

(٤) الشبان المسلمون ، ج ١ ، ٨م ، رجب ١٣٥٥هـ ، أكتوبر ١٩٣٧م .

أبناء فلسطين حين يدفعون الشر اليهودى يدفعونه عن أنفسهم وأوطانهم ويقومون بالواجب فى حراسة المقدسات عن ٤٠٠ مليون نسمة من المسلمين فى أنحاء الأرض .

وناشدت صحيفة « الإخوان المسلمون » و « الشبان المسلمون » المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها أن يمدوا مجاهدى فلسطين بما يفيض عنهم من نفقة ومال باسم الإسلام والأخوة والإنسانية (١) ، وأن يقفوا فى وجه الاعتداءات الإنجليزية على مقدسات المسلمين فى فلسطين ، وارتكابهم الفظائع والآثام فى حق الشعب الفلسطينى المسلم « فمن نفى إلى تشريد إلى رَجٍّ بالمئات من خيرة شبابه فى غياهب السجون ، إلى فرض الضرائب الباهظة على القرى الآمنة ، إلى تدمير المنازل بالديناميت على من فيها ، إلى الحكم بالإعدام من المحاكم العسكرية الدائبة على إصدار أحكامها بلا شفقة ولا رحمة » (٢) .

وتشير الإخوان المسلمون إلى هدم الاستعمار مدينة يافا بالديناميت وتشيت أكثر من خمسة آلاف من أهلها ، وانتهاك حرمة المساجد فى المدن والقرى كمسجد الشيخ رسلان والشيخ فالح والرفاعى والجامع الكبير ، وتمزيق المصاحف الشريفة ودوسها بالآقدام ، والعدوان على المصلين ، وعلى النساء المخدرات ، وقتلهن بالرصاص ، وفرض الغرامات الباهظة على الأهالى ومنع المؤنة عنهم (٣) .

وتؤيد صحيفة الإخوان الثوار الفلسطينين وتنشر بياناتهم ، وتشيد بما يقومون به من قتل للضباط الإنجليز ، وإطلاق الرصاص على تجمعات اليهود العامة فى دور السينما والسيارات والمعسكرات وحرق الثكنات العسكرية ، وإتلاف أنابيب بترول العراق فى الأراضى الفلسطينية ، والهجوم على القطارات والمحال العامة (٤) .

وقد تشكلت لجنة من الإخوان المسلمين يرأسها الشيخ حسن البنا لمساعدة الفلسطينين وتقديم يد المعونة لهم ، ثم تشكلت عدة لجان فى الأقاليم المصرية لجمع التبرعات لمكوى فلسطين ، وإرسال برقيات الاحتجاج إلى المندوبين الساميين فى مصر وفلسطين ، وكانت صحيفة الإخوان تنشر برقيات هذه اللجان المرسلة إلى الحكومة البريطانية فى لندن ، وإلى صحفها الكبرى ووكالات الأنباء لعرض القضية الفلسطينية ، كذلك كانت تنشر المحاضرات التى كانت تلقى فى دار جمعية الإخوان المسلمين لمناصرة القضية الفلسطينية (٥) ،

(١) الإخوان المسلمون ، عدد ٧ ، السنة الرابعة ، ٥ ربيع الأول ١٣٥٥ هـ ، ٢٦ مايو ١٩٣٦ م ، والشبان المسلمون ، ج٥ ، ٩ ، ذو القعدة ١٣٥٦ هـ ، فبراير ١٩٣٨ م .

(٢) الشبان المسلمون ، ج٥ ، ٢٩ ، ذو القعدة ١٣٥٦ هـ ، فبراير ١٩٣٨ م .

(٣) الإخوان المسلمون ، عدد ٢٠ ، السنة الرابعة ، ٧ جمادى الآخرة ١٣٥٥ هـ ، ٢٥ أغسطس ١٩٣٦ م .

(٤) المصدر السابق نفسه .

(٥) الإخوان المسلمون ، عدد ٨ ، السنة الرابعة ، ١٢ ربيع الأول ١٣٥٥ هـ ، ٢ يونيو ١٩٣٦ م .

واحتجاجات أعضاء جمعية الإخوان المسلمين إلى كل من وزير الخارجية والمندوب السامي بالقدس والقاهرة وسكرتير لجنة الإنتداب، عصبة الأمم، واحتجاجات طلبة الأزهر الشريف ضد حوادث الاضطهاد في فلسطين، ونفى زعماء الثورة الفلسطينية وقادتها^(١).

وحيثما ذهب وفد من الخدمة المصريين وعمال الطهي والسعاة لمرافقة القوة البريطانية التي سافرت من مصر إلى فلسطين، نددت صحيفة الإخوان المسلمين بالحكومة المصرية التي سمحت لهؤلاء العمال بالسفر، واستنكرت عليهم أن يذهبوا لمساعدة من يقاتلون إخوانهم الفلسطينيين، وأشار عبد الرحمن البنا إلى أن هؤلاء العمال قد خلت قلوبهم من الروح الإسلامية، ولم يبق في عروقهم نبضة دم عربية، ووصفهم بالذالة والسقوط، وحمل محمد توفيق دياب المسؤولية على السلطة المحلية المختصة بإجازات السفر إلى الخارج^(٢).

ومضت الصحف الإسلامية تشن الحرب على الإنجليز واليهود، وكتب محمد الشافعي رئيس تحرير صحيفة الإخوان المسلمين مقالا بعنوان: « سياسة الإنجليز مع العرب » أشار فيه إلى خلف الإنجليز لوعودهم مع العرب، وأن صداقة الإنجليز للعرب صداقة مزيفة، فقد أقامت بريطانيا الصهيونية لتكون شوكة في حلق الأمة العربية، وتسخيرها لمآربهم ضد كل نهضة للعرب، وانتقد الدكتور محمد حسين هيكل سياسة إنجلترا تجاه فلسطين فقال: « إنجلترا التي كانت قبل الحروب منذ أكثر من نصف قرن تعمل لتحرير الأرقاء قد صارت لإنجلترا التي تعلن الحرب اليوم على شعب ضعيف أعزل ليكون عبدا رقيقا مقابل الثمن الذي يدفعه الصهليون لإنجلترا »^(٣).

ونشرت مجلة « الشبان المسلمون » استنكار المركز العام للشبان المسلمين على الإجراءات التي اتخذتها الحكومة البريطانية في فلسطين من اعتقال زعماء العرب ونفى كثير منهم، وفصل سماحة السيد محمد أمين الحسيني رئيس مجلس فلسطين الأعلى من منصبه الديني^(٤).

ولما عقد مؤتمر بلودان^(٥) لمناصرة القضية الفلسطينية، بادرت مجلة الشبان المسلمين

(١) الإخوان المسلمون، عدد ٢٢، السنة الخامسة، ٢ رمضان ١٣٥٦هـ، ٥ نوفمبر ١٩٣٧م.

(٢) الإخوان المسلمون، عدد ٢٤، السنة الرابعة، رجب ١٣٥٥هـ، ٢٢ سبتمبر ١٩٣٦م.

(٣) الإخوان المسلمون، عدد ٢٧، رجب ١٣٥٥هـ، ١٢ أكتوبر ١٩٣٦م.

(٤) الشبان المسلمون، جد ٩م، شوال ١٣٥٦هـ، يناير ١٩٣٨،.

(٥) مؤتمر بلودان مؤتمر عربي عقد في مدينة بلودان بسوريا لمناصرة القضية الفلسطينية ومقاومة أخطار الصهيونية التي تهدد الوطن العربي، وإنشاء دولة يهودية في فلسطين، وبلغ عدد الأعضاء الذين حضروه ٤٥٠ عضوا من الشخصيات السياسية والعامة في البلاد العربية.

إلى تأييد هذا المؤتمر ، ونشرت برقية من المركز العام للشبان المسلمين بالقاهرة إلى المؤتمرين تؤيد حقوق الفلسطينيين ، وتعتبر قضيتهم قضية العالم الإسلامى أجمع التى يجب الزود عنها (١) .

وكتب الدكتور يحيى الدرديرى فى مقال بعنوان : « فلسطين الذبيحة بين الحياة والموت » ندد بالسياسة الاستعمارية فى فلسطين التى انتزعت فلسطين من أهلها انتزاعا بغير حق ، وشردت سكانها قهرا دون مراعاة لأبسط الحقوق الإنسانية التى تقضى بها المدنية الحاضرة ، وحذر من السكوت على حل القضية الفلسطينية ، فقال : « فلسطين إن لم تحل مسألتها حلا عادلا يضمن حقوقها كاملة فى وطنها ستكون بمثابة الديناميت الذى يشعل النار فى مساحات واسعة فى جميع العالم الإسلامى والمسيحى وغيره . . لأن مسألة فلسطين ليست مسألة أراضى فحسب ، بل هى قبل كل شئ مسألة دينية إسلامية ومسيحية لها خطورتها الكبرى ، وشأنها العظيم الذى لا يغفل » (٢) .

أما عن موقف صحف مصر الفتاة من قضية فلسطين ، فقد شنت الحرب على إنجلترا ونددت بموقفها المؤيد لليهود ، والمنكر لحقوق الفلسطينيين ، وحملت على سياسة الحكومة المصرية لعدم مؤازرتها للفلسطينيين (٣) ، وأعلن أحمد حسين على صفحات «مصر الفتاة» الحرب على يهود مصر لمساعدتهم يهود فلسطين ، وجعل قضية فلسطين فى صدارة جهاده ، ومن ثم اتهمه اليهود بالفاشية ، وروج لهذه التهمة بعض اليساريين المصريين (٤) .

ورفضت مصر الفتاة مشروع تقسيم فلسطين - الذى اقترحته إنجلترا - إلى قسمين : قسم لليهود ، وقسم للعرب ، وحذرت إنجلترا من فكرة التقسيم هذه ، وذكر أحمد حسين أنه إذا لم تخلع إنجلترا عن هذه الفكرة وإذا لم يتنازل اليهود عن مزاعمهم فى فلسطين ، فإن حزب مصر الفتاة سيعلن الجهاد المقدس والحرب عليهم (٥) ، وكذلك بين أحمد حسين خطر الوجود الإسرائيلى على مستقبل الأقطار العربية ؛ لأنها تمثل عائقا بين تواصل الدول العربية فى التعاون والتعامل فى كل المجالات الاقتصادية والثقافية وغيرها ، فضلا عن خطر الوجود الإسرائيلى على الحدود الشرقية المصرية ، وما يحدثه من قلق واضطراب على سياسة مصر (٦) .

(١) الشبان المسلمون ، ج ١ ، ٩م ، رجب ١٣٥٦هـ ، أكتوبر ١٩٣٧م .

(٢) الشبان المسلمون ، ج ٢ ، ٩م ، شعبان ١٣٥٦هـ ، نوفمبر ١٩٣٧م .

(٣) الصرخة ، ١١ يونيو ١٩٣٦م . (٤) مصر الفتاة ، ٢٥ مايو ١٩٣٩م .

(٥) مصر الفتاة ، ٢٣ مايو ١٩٣٨م . (٦) مصر الفتاة ، ١٠ أكتوبر ١٩٣٨م .

وبعد هذا العرض لمعالجة صحافة الإتجاه الإسلامى لقضية فلسطين نستطيع أن نبرز النقاط التالية :

١ - اعتبرت الصحف الإسلامية قضية فلسطين قضية عربية إسلامية خطيرة يفرض الدفاع عنها على كل مسلم ، لوجود المسجد الأقصى ، ولأن فلسطين هى مفتاح البلاد العربية والأماكن المقدسة الأخرى .

٢- عملت على إثارة هذه القضية لدى الرأى العام المصرى ، واستطاعت أن تخلق اتجاهها فكريا مواليا لمناصرة قضية فلسطين ، واستثارت الحمية الدينية لدى الوطنيين المصريين لإنقاذ المقدسات الإسلامية .

٣ - شنت حملات شديدة على وعد بلفور ، وعارضت فكرة إقامة وطن قومى لليهود فى فلسطين ، وحملت بريطانيا تبعة سياستها القديمة والجديدة إزاء عرب فلسطين .

٤ - أسهمت فى مواجهة الاتجاه الصهيونى الذى كانت تقوده الصحف اليهودية فى مصر ، كصحيفة الشمس وإسرائيل والاتحاد الإسرائيلى ، وكشفت عن أبعاد المؤامرة الصهيونية وخطرها على العرب والمسلمين .

٥ - تابعت أحداث القضية الفلسطينية وتطوراتها حتى قيام الحرب العالمية الثانية ، وأيدت ثورات الفلسطينيين ضد الاحتلال والصهيونية ، والنشاط الوطنى الفلسطينى ، وانتقدت مواقف الإنجليز الذين يحابون اليهود ، ويمكنونهم من الانتصار على الفلسطينيين .

٦- تولت الرد على كثير من الافتراءات والأخبار الكاذبة التى كانت تروجها وكالات الأنباء البريطانية والفرنسية عن الكفاح الفلسطينى .

٧- طالبت بصيانة حقوق العرب من مسلمين ونصارى فى فلسطين ، صيانة تقوم على الاعتراف باستقلالهم الصحيح .

٨ - فندت مزاعم بعض الصحف المصرية التى أيدت حق اليهود فى فلسطين ، ودأبت على توجيه اللوم والنقد لموقف المفكرين المصريين المتسم بالسلبية إزاء هذه القضية ، وأكدت على علاقة الماسونية فى مصر بيهود فلسطين .

٩- دافعت عن أحقية العرب والمسلمين لحائط البراق ، ونددت بالمذابح والاعتداءات اليهودية لعرب فلسطين ، وأيدت الحركة الوطنية الفلسطينية وأفسحت صفحاتها لنشر ما يصدر عنها من بيانات .

١٠- قدمت احتجاجات الجمعيات والمؤسسات الإسلامية على ادعاءات اليهود لامتلاك حائط البراق ، واستصرخت المسلمين فى كل مكان أن يدافعوا عن مكان البراق

- الشريف ، وأثبتت أن مكان البراق من الأوقاف الإسلامية الثابتة بالتواتر .
- ١١ - دعت إلى مقاطعة البضائع اليهودية ، ودعت العرب في كل مكان إلى مواجهة الكيان الصهيوني ، وهاجمت تدفق الهجرة اليهودية وبيان خطورتها على مستقبل فلسطين واستقلالها .
- ١٢ - أعلنت الدفاع المقدس لإنقاذ فلسطين ، ودعت إلى التطوع بالنفس والتبرع بالمال وإرسال البعثات الطبية والأدوية لإنقاذ منكوبي فلسطين .
- ١٣ - أشارت إلى أن منهاج اليهود والمطامع اليهودية لا تقف عند بيت المقدس فحسب، بل تتطلع إلى دولة صهيونية يهودية مترامية الأطراف .
- ١٤ - تنبأت بقيام دولة يهودية في عام ١٩٤٨م واحتلال اليهود صحراء سيناء .
- ١٥ - من أبرز كتاب الصحافة الإسلامية في هذا المجال : رشيد رضا ، ومحمد علي الطاهر ، ومحب الدين الخطيب ، وحسن البنا ، وأحمد حسين ، وأحمد إبراهيم السراوي ، والدكتور عبد الحميد سعيد ، والدكتور يحيى الدرديري ، وأحمد زكي باشا ، ومحمد علي علوية ، وعبد الرحمن البنا ، ومحمد الشافعي ، وإبراهيم حسن الخطاب .

الباب الثالث

صحافة الاتجاه الإسلامى والدعوة الإسلامية

ويشتمل على :

الفصل الخامس : دور صحافة الاتجاه الإسلامى فى التفقيه والإرشاد.

الفصل السادس : دور صحافة الاتجاه الإسلامى فى مقاومة المذاهب المنحرفة.

الفصل السابع : دور صحافة الاتجاه الإسلامى فى مقاومة حملات التبشير بالنصرانية .

الفصل الخامس

دور صحافة الاتجاه الإسلامى فى التفقيه والإرشاد

يعالج هذا الفصل دور صحافة الاتجاه الإسلامى فى تفقيه الجماهير المسلمة بأمر دينها، وإرشادهم إلى السلوك السوى ، الذى يركز على تعاليم الإسلام ، ويوضح إسهامات الصحافة الإسلامية فى نقل التراث الدينى إلى الأجيال الحاضرة ، وبيان وجهة النظر الإسلامية فيما يستجد من آراء ومناقشات حول بعض القضايا الإسلامية، ويشرح قواعد الدين الإسلامى، وحث الناس على إقامة فرائضه ، والتمسك بسنته ، وتقويم الوعاظ والخطباء ، وإرشادهم إلى الطرق الصحيحة فى الدعوة إلى الله ، والاهتمام بقضايا الدعوة فى البلاد الإسلامية ، وإزالة الفوارق بين المذاهب الإسلامية المختلفة ، وتصحيح المفاهيم الخاطئة عن الإسلام وتشريعاته .

فى مجال التفقيه والإرشاد حفلت الصحف الإسلامية بالمقالات والخطب والقصائد والمحاضرات العلمية التى كان يلقيها كبار العلماء عن الدين الإسلامى فى مختلف المناسبات الإسلامية وفى الثقافة الإسلامية ، والتاريخ الإسلامى والفكر الإسلامى ، وأبرز الأمثلة على ذلك ما نشرته « الفتح » من محاضرات الشيخ محمد الخضر حسين عن علماء الإسلام فى الأندلس^(١) ، وسلسلة المحاضرات التى ألقاها الشيخ يوسف الدجوى فى نادى جمعية الشبان المسلمين بالقاهرة بعنوان : « علم الطبيعة برىء من الإلحاد ، والملحدون كاذبون فيما يدعون إليه » ، « أدلة وجود الله وإثبات الروح والبعث »^(٢) . ونشرت مجلة الهداية الإسلامية محاضرة بعنوان : « علاقة الإسلام برقى المجتمع البشرى وسعادته » ألقاها الشيخ حامد محيسن المدرس بالقسم العالى بالأزهر الشريف فى نادى جمعية الشبان المسلمين ، تناول فيها بحث حال المسلمين بالنسبة إلى دينهم وحال غيرهم ، وشرح فيها علاقة الإسلام بالرقى الاجتماعى وإسهام الإسلام فى الرقى الاقتصادى والأخلاقي والأدبى وأيضاً الرقى السياسى الدولى^(٣) .

وكان نادى جمعية الشبان المسلمين ملتقى لرجال الفكر والأدب من كل أنحاء العالم الإسلامى ، وكانت مجلة الشبان المسلمين والصحف الإسلامية الأخرى تنشر مايلقيه هؤلاء من محاضرات ومقالات تتناول كل شؤون الحياة ، وبعض هذه المحاضرات كانت

(١) الفتح ، عدد ١٠١ ، ٣ محرم ١٣٤٧هـ ، ٢١ يونيه ١٩٢٨م .

(٢) الفتح ، عدد ١٣٣ ، ٢٠ شعبان ١٣٤٧هـ ، ٣١ يناير ١٩٢٩م .

(٣) الهداية الإسلامية ، جـ ٢ ، ١م ، رجب ١٣٤٧هـ .

تلقى بلغة غير العربية ، وتقوم بتعريبها الصحف ، ومن ذلك المحاضرة التي ألقاها أمير على الهندي بالإنجليزية بعنوان : « روح التعاليم الإسلامية » ، ونشرتها معربة « الشبان المسلمون »^(١) .

كذلك نشرت « الفتح » خلاصة المحاضرات التي ألقاها الأستاذ عجاج نويهض - مترجم كتاب « حاضر العالم الإسلامى » - فى جمعية الشبان المسلمين بنابلس ، وفى كلية روضة المعارف بالقدس بعنوان : « الغرب والثقافة الإسلامية بعد الحرب العالمية الأولى » ، والذى عرض فيها للانقلاب الاجتماعى والسياسى والثقافى فى العالم الإسلامى^(٢) ، ونقلت « الفتح » محاضرة ألقاها الشيخ محمد العدوى من علماء الأزهر بنادى حزب العمال بالمنصورة عنوانها : « الدين وأثره فى نفس العامل » شرح فيها دور الدين فى تكوين العامل المصرى^(٣) .

وكانت صحيفة « الإخوان المسلمين » تنشر المحاضرات والدروس الوعظية التى كانت تلقى فى المركز الرئيسى للإخوان المسلمين وفروعه المنتشرة فى الأقاليم ، وكانت تقدم على صفحاتها فى القسم التى أطلقت عليه القسم التاريخى بعض الأعلام المشهورة فى التاريخ الإسلامى من الصحابة رضوان الله عليهم ، والدعوة الإسلامية وأسباب انتشارها والعوامل التى ساعدت على نجاحها^(٤) ، هذا بالإضافة إلى المقالات الإرشادية التى تدعو إلى ترك المنكرات والتمسك بدين الله وأوامر شرعه ، وتنعى على المسلمين جهلهم بأمر دينهم وتفريطهم فيما جاء به رسول الله ﷺ ، واندفاعهم فى تقليد الغربيين فى غير تبصر، يتضح ذلك من عناوين المقالات الآتية : « موقف المسلمين حيال المنكرات فى العصر الحاضر » ، « ضياع الدين بين أبنائه » ، « الدين والمدنية » ، « المكر والبغاء » ، « إصلاح النفوس » ، « المواد المخدرة وضررها وأنجح الطرق لتلافي انتشارها » ، « ضرر الإلحاد والإباحة » ، « حق الجماهير المسلمة على علمائهم » ، « الأمة الإسلامية وحركة الاعتداء عليها » .

وشارك الشعراء أيضا فى الدعوة ، وكانت الصحف الإسلامية مجالا لنشر القصائد الشعرية الوعظية ، ومن هذه القصائد قصيدة بعنوان : « حصنان للإيمان » لمصطفى صادق

(١) الشبان المسلمون ، ج ٩ ، م ١ ، محرم ١٣٤٩هـ ، يونيه ١٩٣٠م ، وج ١٠ م ١ ، صفر ١٣٤٩هـ ، يوليو ١٩٣٠م ، محاضرة للدكتور عبد الكريم أحمد السكرى ، بعنوان : « الحصانة الخلقية » ، ومحاضرة أخرى ألقاها الشيخ محمد الخضر حسين بعنوان : « الخطابة عند العرب » ونشرتها الفتح فى عددها ٩٤ بتاريخ ١٣ ذو القعدة ، ٣ مايو ١٩٢٨م .

(٢) الفتح ، عدد ١٣٤ ، ٢٧ شعبان ١٣٤٧هـ ، ٧ فبراير ١٩٢٩م .

(٣) الفتح ، عدد ٣٢ ، ١٦ رجب ١٣٤٥هـ ، ٢٠ يناير ١٩٢٧م .

(٤) الإخوان المسلمون ، عدد ٢ ، السنة الأولى ، ٢٨ صفر ١٣٥٢هـ .

الرافعى ، وقصيدة بعنوان : « الدين والملحدون وواجب العلماء » للشاعر محمد على يحيى الذى قال فى مطلعها :

بالدين جرح فى الحشاشة دام تأباه غيره عالم الإسلام
خطب ألم به فهل أساة ضمدا ذا الجرح أم سكتو مخافة رام^(١)

وغير ذلك من القصائد الشعرية للشاعر محمد البسطامى النابلسى ، والشاعر يس يوسف ، وابن رواحة .

وكانت بعض الصحف الإسلامية تنشر فى معظم الأحيان خطبا دينية منبرية ، واشتهر فى ذلك صحيفة المنار والهداية الإسلامية ، والإخوان المسلمون ، من ذلك خطبة بعنوان : « محاسن الدين الحنيف »^(٢) ، وخطبة أخرى ألقاها الشيخ محمد عبد العزيز الخولى فى جامع الخازندارة بشبرا ، ونشرتها « المنار »^(٣) .

كذلك عنت الصحف الإسلامية بنشر البحوث العلمية والمحاضرات والمقالات الإصلاحية ، ومن أبرز الأمثلة على ذلك ما نشرته « المنار » بعنوان : « كتاب الموجز فى الاجتماع » لصاحبه عارف بك الكندى ، أستاذ علم الاجتماع فى معهد الحقوق وأحد أعضاء المجمع العلمى بدمشق ، وقد أبطل فيه الكاتب مذهب دارون القائل بوحدة أصل الإنسان ، وفند حججه بأسانيد علمية ودينية إسلامية^(٤) . ونقلت المنار البحث الذى ألقاه الأستاذ عبد القادر المغربى فى كلية الصلاحية الإسلامية بالقدس على هيئة إدارتها وأساتذتها وطلابها بعنوان « علاقة الأحياء بالأموات » ندد فيه بما يفعله العوام فى زياراتهم لقبور الأموات من طلب الرزق وطلب النفع لهم والضرر لغيرهم وشفاء مريضهم وقهر عدوهم ، وغير ذلك من الأشياء التى لا ينبغي سؤالها إلا لله ، وأثبت أن السلف الصالح بالرغم من أنهم كانوا يزورون الموتى إلا أنه لم يثبت أن أحدا طلب منهم شيئا ، ولم يثبت أيضا أن الرسول طلب من جده إسماعيل أو إبراهيم شيئا^(٥) .

ونشر رشيد رضا بحثا لشيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن تيمية عن أهل الصفة وأباطيل بعض المتصوفة فيهم وفى الأولياء وأصنافهم والدعاوى فيهم^(٦) ، ونشرت المنار أيضا مناظرات ابن تيمية ومجادلاته لدجاجة الرفاعية ، وهى من أعظم ما تصدى له وقام

(١) الفتح ، عدد ٣٥ ، ٨ شعبان ١٣٤٥ هـ ، ١٠ فبراير ١٩٢٧ م .

(٢) الهداية الإسلامية ، ج ٤ ، م ١ ، رمضان ١٣٤٧ هـ .

(٣) المنار ، ج ٢ ، م ٢٧ شوال ١٣٤٥ هـ ، أبريل ١٩٢٧ م .

(٤) المنار ، ج ٤ ، م ٥ ، ٢٧ ذى الحجة / محرم ١٣٤٤ - ١٣٤٥ هـ ، يوليو / أغسطس ١٩٢٦ م .

(٥) المنار ، ج ٣ ، م ٢٧ ، ذو القعدة ١٣٤٤ هـ ، يونيو ١٩٢٦ م .

(٦) المنار ، ج ٤ ، م ٢٣ ، شعبان ١٣٤١ هـ ، أبريل ١٩٢٣ م .

به شيخ الإسلام تقى الدين أحمد بن تيمية من إقامة فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإحياء السنة ومحاربة البدعة بعد أن أهمل ذلك الحكام ، ففشيت البدع وصار كثير منها يعد من شعائر الدين^(١) ، وكذلك نشرت المنار سلسلة مقالات عن تاريخ الحرم الشريف منذ بناء الخليل إبراهيم حتى العصر الحديث^(٢) ، ومجموعة مقالات عن الدعوة الوهابية وتطورها وانتشارها^(٣) .

ويلاحظ أن الصحف الإسلامية كانت تنقل عن المجلات والجرائد الإسلامية الصادرة في بعض الدول الإسلامية ، وتنتقد أقوالها في بعض الأحيان مثل جريدة القبلة الحجازية وجريدة أم القرى ومجلة الشرق والغرب ، والجريدة العربية الإسلامية التي صدرت في مكة بدلا عن جريدة القبلة ، وكذلك الجرائد الإسلامية في فلسطين وسوريا وغيرها ، ونقلت « الفتح » عن جريدة الجامعة العربية قول المؤرخ الإنجليزي ولز عن مدينة الإسلام: « إن الديانة الحقة التي وجدتها تسير مع المدنية أنى سارت هي الديانة الإسلامية، وإذا أراد الإنسان أن يعرف شيئا من هذا فليقرأ القرآن وما فيه من نظرات علمية وقوانين وأنظمة لربط المجتمع ، فهو كتاب علمي ديني واجتماعي تهديبي خلقي تاريخي ، وكثير من أنظمته وقوانينه تستعمل في وقتنا الحالى ، وستبقى مستعملة إلى يوم القيامة »^(٤) .

وقدمت المنار على صفحاتها نقلا عن مجلة الشرق والغرب بحثا عن بلاد العرب وأحوالها للباحث الإيطالي كيتانى تناول فيه حالة الجزيرة العربية الجيولوجية وطبيعتها الجغرافية وهجرات أهلها منها إلى حيث أقاموا الحضارات القديمة^(٥) ، ونشرت أيضا مقالات من جريدة البيان التي تصدر في نيويورك ، منها مقالة لكاتب أسباني يسمى «أريك دى مناس» نشرها في جريدة هيرالد ريبون عن الأمير محمد عبد الكريم بعنوان : «بطل الحرب والإسلام» تحدث عن بطولاته في الدفاع عن بلاده « المغرب » ضد الفرنسيين^(٦) .

وعنيت الصحف الإسلامية بتقريب المطبوعات الجديدة ، والتعريف بالكتب التي تخرجها المطابع ، ولاسيما ما يخص منها الموضوعات الإسلامية ، فعرضت المنار على

(١) المنار ، ج ٢ ، م ٢٦ ، ذو القعدة ١٣٤٣هـ ، يونيو ١٩٢٥ م .

(٢) المنار ، ج ٩ ، م ٢٤ .

(٣) المنار ، ج ٣ ، م ٢٧ ، ذو القعدة ١٣٤٤هـ ، يونيو ١٩٢٦ م .

(٤) الفتح ، عدد ١١٠ ، ٨ ربيع الأول ١٣٤٧هـ ، ٢٣ أغسطس ١٩٢٨ م .

(٥) المنار ، ج ٦ ، م ١٩ ، ١٣٣٦هـ ، ١٩١٨ م .

(٦) المنار ، ج ٢ ، م ٢٦ ، ذو القعدة ١٣٤٣هـ ، يونيو ١٩٢٥ م .

سبيل المثال لكتاب « شرع البيع فى القوانين المصرية والفرنسية والشرعية الإسلامية » تأليف محمد حلمى عيسى بك (١) ، وكانت هذه الصحف تنشر فصولا من كتب المؤرخين المشهورين ، فنشرت المنار مقتطفات من كتاب اللورد هدى - الذى أسلم ولقب بسيف الرحمن - « إيقاظ الغرب للإسلام » ، وفى هذا الكتاب يصحح بعض المفاهيم الخاطئة الراسخة فى أذهان الغربيين عن الدين الإسلامى والمسلمين ، وأشار فيه إلى جهود أوروبا فى تنصير المسلمين وانتقد عقيدة التثليث لدى النصارى قائلا : « إن عقيدة التثليث هى عقيدة مشوهة لا يقبلها العقل وأن آلافا من الرجال والنساء فى أوروبا مسلمين قلبا ، ولكن خوف الانتقاد ، والرغبة فى الابتعاد عن الاضطهاد الناشئ على التغيير تأمرا على منعهم من إظهار معتقداتهم » (٢) ، وكتب الدكتور نجيب الأرمنازى كتابا عن التشريع الدولى فى الإسلام باللغة الفرنسية ، ونشرته ، « الفتح » على مراحل فى سنتها الخامسة ، بدءا من العدد ٢٠٢ الصادر فى محرم ١٣٤٩هـ ، عرض فيه للسيرة النبوية من وجهة التشريع الدولى ، وبين سبق الإسلام إلى كثير من قواعد هذا التشريع التى يظن الكثيرون من الباحثين أنها جديدة (٣) .

وعرضت المنار لكتاب « من الخرافات إلى الحقيقة » لمؤلفه حسنى عبد الهادى ، شرح فيها فضائل الإسلام ، كحبه على الرحمة والاقتصاد والسخاء والحب على العمل ، واعتناء الإسلام بالعلم والعلماء ، ونبد التطير والتشاؤم والحسد والتميمة والكهانة وغيرها (٤) .

وأولت الصحف الإسلامية اهتماما بالغا بكتب التراث الإسلامى ، وفى مقدمتها كتب السنة النبوية والتاريخ الإسلامى ، وطالبت « الفتح » بالاعتناء بالتاريخ الإسلامى لتواصل الأجيال المسلمة . ولأن دراسة التاريخ هى « المرجع الوحيد لتماسك العصبية أو القوميات ؛ ولذلك حرصت كل أمة على تجديد عصور تاريخها وتاريخ الإسلام وسيرة عظماء الإسلام كفيلان بخلق أمة من العدم ، وإيجاد روح قوية فى شعب نسى أو تناسى ذلك التاريخ الحافل بجلائل الأعمال التى تتعلق بالإنسانية جملة وتفصيلا » (٥) .

وقد نشرت المنار سلسلة مقالات عن الفتوحات الإسلامية كتبها المفكر الإسلامى شكيب أرسلان ، تناول فيها فتوحات العرب لأسبانيا ، وعرض فيها لتاريخ الفتوحات

(١) المنار ، ج ٦ ، م ١٩ ، ١٣٣٦هـ ، ١٩١٨م .

(٢) المنار ، ج ١ ، م ١٦ ، أبريل ١٩٢٥م .

(٣) الفتح ، عدد ٢٠٢ ، محرم ١٣٤٩هـ .

(٤) المنار ، ج ٢ ، م ٢٤ ، جمادى الآخرة ١٣٤١هـ ، فبراير ١٩٢٣م .

(٥) الفتح ، عدد ١٥٤ ، ٢٧ محرم ١٣٤٨هـ ، ٤ يوليو ١٩٢٩م ، مقال بعنوان : « الاعتناء بالتاريخ الإسلامى » ، لإسماعيل شلبى سفعان من الأزهر .

الإسلامية (١) .

وقدمت الصحف الإسلامية تراجم عن مشاهير العلماء ولاسيما علماء الإسلام على اختلاف مشاربهم وتباعد أوطانهم ، واشتهر في ذلك المجال صحيفة الإخوان المسلمين التي خصصت لذلك قسما سمته القسم التاريخي ، وصحيفة الشبان المسلمين التي خصصت لذلك بابا من أبوابها بعنوان : « عظماء الرجال » ، وصحيفة المنار التي كان لها عناية خاصة بهذا الموضوع ، وعلى سبيل المثال : ترجمت المنار لكل من السيد أحمد خان، وخير الدين باشا التونسي ، والسيد جمال الدين الأفغاني ، والشيخ محمد عبده ، وعبد الرحمن الكواكبي ، والشيخ طاهر الجزائري ، والشيخ على يوسف شيخ الصحافة المصرية ، ومولانا الأمير محمد على ، والأمير شكيب أرسلان ، ورشيد رضا ، والأستاذ أبو الكلام ، والسيد سليمان الندوي ومولانا شوكت ، والسيد محمد بن عقيل يحيى من جأوة وغيرهم .

وهكذا نرى الدور البالغ الأهمية الذي أدته صحافة الاتجاه الإسلامي في تفتيقه وإرشاد الرأي العام المسلم ، والعمل على استنارة العقول الإسلامية وشحذها بكل ما يهمها من أمور الدين والعقيدة ، وتزويد الجماهير بالمعارف الخاصة بالثقافة الإسلامية واطلاعهم على بعض جوانب التاريخ الإسلامي والفكر الإسلامي الصحيح ، وإسهامات الإسلام في جوانب الرقى الاجتماعي والفكر السياسي ، ذلك بما كانت تنشره تلك الصحف من مقالات ومحاضرات وبحوث في شتى نواحي الفكر وعلوم الإسلام لأشهر مفكرى الإسلام على مستوى العالم الإسلامي ، ومتابعة ما يكتب عن الإسلام في الصحف والمجلات العربية والإسلامية والأجنبية ، وتقديم آراء المفكرين والعلماء وتصحيح بعض المفاهيم الخاطئة عن الإسلام والمسلمين والتعريف ببعض الكتب التي تمس الجوانب الإسلامية ، والعمل أيضا على بعث التراث الإسلامي .

ويلاحظ أن الصحافة الإسلامية كانت لها عناية خاصة بالدفاع عن القرآن الكريم ، والسنة النبوية المطهرة وكل ما من شأنه أن يمس العقيدة الإسلامية ، وتشريعات الإسلام، وفي بداية الثلاثينات كان مسألة ترجمة القرآن الكريم موضع جدال ومناظرة في الجرائد المصرية ودخل الميدان علماء الأزهر ، فمنهم من أجاز الترجمة ، ومنهم من أفتى بحرمتها .

وتجدر الإشارة هنا إلى أن اقتراح ترجمة القرآن الكريم نشأ في أروقة الجامع الأزهر باعتبار ذلك الوسيلة المثلى لنشر الإسلام في بقاع الأرض ، حيث اعتقد الأزهر أن وجود

(١) المنار ، ج ٢ ، م ٢٤ ، جمادى الآخرة ١٣٤١هـ ، فبراير ١٩٢٣ م .

القرآن الكريم باللغة العربية هو العائق الأكبر أمام من لا يعرفون العربية ، فإذا أزيل هذا العائق بإيجاد القرآن مترجما إلى مختلف اللغات، صار انتشار الإسلام سهلا ميسورا^(١).

وكان من أبرز الذين حملوا لواء فكرة ترجمة القرآن وتحمسوا لها الشيخ محمد مصطفى المراغى شيخ الجامع الأزهر ، ومحمد فريد وجدى مدير مجلة الأزهر ، والشيخ محمد عبد السلام القباني المدرس بكلية الشريعة ، والشيخ محمد بن الحسن الحجوى الثعالبي ، وقد نشرت مجلة الأزهر بحثا مستفيضا عن إمكانية ترجمة القرآن الكريم بقلم الشيخ المراغى ، بمناسبة شروع الأزهر بالاشتراك مع وزارة المعارف فى ترجمة معانى القرآن الكريم إلى أشهر اللغات الأوربية ، وفى هذا البحث اتهم الشيخ المراغى الذين يعارضون الترجمة بأنهم يقفلون باب الاجتهاد ، ورأى أن من الخير أن نوفر لقراء الأجنبية ترجمة للقرآن يحصلون منها على جواز التفسير^(٢) .

وذهب فريد وجدى إلى أن ترجمة القرآن الكريم هى تبليغ للأمانة التى كلف الله بها المسلمين ، وتحقيق لمقاصد الدين الإسلامى العالمية وأهل القرآن إنما ندبوا لذلك ، ولأن هذه المقاصد لا تتم إلا بنشر القرآن واشتراك أمم مختلفة فى إقامته ، وقد أمر من يدين بالإسلام من الناس أن يتحملوا الأعباء التى يفرضها الحق عليهم بالدعوة إلى هذا الإصلاح والهداية الشاملة التى جاء بها القرآن الكريم^(٣) .

وقد دار حوار عنيف بين السيد محمد الغنيمى التفتازانى شيخ السجادة الغنيمية والأستاذ محمد فريد وجدى ، حول ترجمة القرآن الكريم ، ونجم عن حوارهما رأيان متحدران فى المبدأ مختلفان فى الكيفية متفقان فى النتيجة ، وكلاهما يرى تبليغ الدين إلى الأمم الأعجمية بلسانها لتتم الأمانة من فهم هذه الأمم لتعاليم الدين الذى تدعى إليه ، ولكنهما اختلفا فى الكيفية التى يبلغ بها الدين الإسلامى إلى الشعوب غير العربية ، فالسيد التفتازانى يقول بترجمة التفسير مع بقاء القرآن العربى للتعبد ويبنى رأيه على عدم المساس بقدسية القرآن والحذر من تعدد نسخه كما فى الإنجيل ، والأستاذ فريد وجدى يصرح بترجمة القرآن نفسه ، ويبرهن على أن الترجمة لا تتنافى لأن أصل القرآن عربى ، وسيبقى القرآن عربيا ، واللغات الأجنبية جديرة فى زعمه على نقل القرآن إليها نقلا صحيحا ، فإن فيها بلاغة وفصاحة وبيانا وبيديعا ومعانى ، وكل ما فى اللغة العربية من خواص^(٤) .

وقد اشتد الجدل حول هذه القضية ، ومع أن الأزهر هو الذى قدم الموضوع إلى

(١) محمود عبد الحليم : الإخوان المسلمون ، أحداث صنعت التاريخ ، مرجع سابق ، ج١ ، ص ٩٩ .

(٢) الأزهر ، ج ٢ ، م ٧ ، صفر ١٣٥٥هـ .

(٣) ملحق الأزهر ، ج ٢ ، م ٧ ، صفر ١٣٥٥هـ .

(٤) الهداية الإسلامية ، ج ٩ ، م ٤ ، صفر ١٣٥١هـ .

الشعب إلا أن رجلا من رجال الأزهر وهو الشيخ محمد سليمان نائب المحكمة الشرعية العليا بالقاهرة تصدى لهذه الفكرة، غير عابئ بالأزهر ولا بالحكومة التي ساندت الفكرة، وكتب في جريدة الأهرام سلسلة مقالات فند فيها فكرة الترجمة وهاجمها^(١).

وقد أحدثت هذه المقالات صدى واسعا في الصحافة الإسلامية، وانبرت الأقلام لمهاجمة فكرة الترجمة وبيان خطورتها مقرونة بالأدلة والبراهين، وذهب رشيد رضا إلى أنه لا يجوز ترجمة القرآن إلى لغة أخرى وذلك لعدة أسباب:

- ١ - أن اللغة العربية لغة دين الإسلام والمسلمين ورابطة الأخوة العامة.
- ٢ - إجماع الأمة على أن القرآن العربي هو أساس دين الله، وأمر الله رسوله أن يبلغه كما أنزله عليه بنصه العربي المبين، فبلغه كما أمره، وبلغه أصحابه.
- ٣ - إجماع الأمة على أن نزول القرآن باللغة العربية على محمد خاتم الأنبياء والمرسلين معجزة للخلق أجمعين.
- ٤ - إجماع الأمة على أن الله قد تعبد بهذا القرآن العربي كل من آمن به وبرسوله تلاوة وتدبرا.
- ٥ - إجماع الأمة الإسلامية على أن الله تعالى فرض تلاوة القرآن على أمة محمد في الصلاة فالواجب على كل مسلم أن يتلوه بنصه.
- ٦ - إجماع الأمة الإسلامية على أنه لا يباح ترجمة القرآن بلغة أخرى في الصلاة والتلاوة والتشريع.
- ٧ - أن إقامة هذا الدين في عبادته وتشريعه تتوقف على معرفة اللغة العربية.
- ٨ - أنه قد ترجم القرآن علماء الإفرنج بأشهر لغاتهم العلمية كالإنجليزية والفرنسية، ونجم عن هذه الترجمات أغلاط كثيرة مخالفة لمطلوبات عبارته اللغوية والشرعية.

ورغم عدم موافقة رشيد رضا لترجمة القرآن إلى لغات أخرى للأسباب التي قدمها، إلا أنه ختم مقاله هذا بأنه يجوز الترجمة في حالة ما إذا قام بها جماعة من العلماء الراسخين في العربية وعلوم الشريعة الإسلامية، ومتقنين أيضا للغة التي يترجمون إليها، في هذه الحالة يجوز الترجمة^(٢).

ونددت المنار بالأتراك الذين أقبلوا على ترجمة القرآن الكريم، وأشارت إلى أن هذا

(١) محمود عبد الحليم: الإخوان المسلمون، أحداث صنعت التاريخ، مرجع سابق، ج ١، ص ٩٩.
(٢) المنار ج ٣، م ٣٢، ذو القعدة ١٣٥٠هـ، مارس ١٩٣٢م.

مخطط لإزالة كل ما هو عربى من نفس الشعب التركى ولسانه وعقله ووجدانه (١) .

ولكن المتبع لآراء كتاب الصحافة الإسلامية فى هذه القضية يجد أن معظمهم متفقون على عدم استطاعة نقل القرآن الكريم إلى لغة أخرى مهما بلغت من العظمة والجلال ؛ لأن اللغة العربية امتارت ببساطة الألفاظ وكثرة المجازات والكنائيات ، وقد يحمل اللفظ فيها معنى عبارات كاملة برمتها ، وقد اكتسبت بنزول القرآن صفة القداسة ، وصارت آيات القرآن الإلهية لا يستطيع بشر مهما أوتى من العلم والبيان أن يعبر عنها بلغة إنجليزية أو فرنسية أو غيرها ، وقال الشيخ مصطفى الرفاعى اللبان فى صحيفة «الفتح» : إنه لا يجوز قياس القرآن على الإنجيل ؛ لأن الإنجيل كتبه بشر بلغة ساذجة قريبة من العامة ... والعارف بتطورات اللغات الأجنبية على اختلاف العصور يحكم بأن الإنجيل الإنجليزى منذ قرن بينه وبين الإنجيل القرن العشرين تفاوت كبير فى الألفاظ والأسلوب (٢) .

وفند محب الدين الخطيب رعم الشيخ المراغى بأن ترجمة القرآن ممكن أن يعتمد عليها من يدخل الإسلام من الأوربيين لاستنباط الأحكام والاجتهاد فيها ، ورأى محب الدين الخطيب أن نقل معانى القرآن الكريم بتوسع تفسيرى وبدون تقيد بالترجمة الحرفية مفيد فى مساعدة الدعاة إلى الإسلام ، على أداء مهمتهم ، ويكون ذلك فى آيات مخصوصة عند الحديث على أمور مخصوصة من حقائق الكون ودخائل الحياة وأسرار النفس ، وبين خطأ الترجمة الحرفية مشيراً إلى أن ما يترجم حرفياً ليس له صفة الإعجاز فى لغته الأصلية كما هى الحال فى القرآن الذى تحدى الله به أهل الأرض جميعاً (٣) .

وذهب الشيخ محمد الخضر حسين إلى أن كلا من الترجمة الحرفية وترجمة المعنى مع عدم الارتباط باللفظ كلاهما تنطوى على خلل ؛ لأن اللفظ العربى يمكن أن يكون له معنيان أو معان محتملة ، فيضطر المترجم إلى أن يضع بدله من اللغة الأجنبية اللفظ الموضوع لما يختار من المعنيين أو المعانى ، حيث لا يجد لفظاً يشاكل اللفظ العربى فى احتمال تلك المعانى المتعددة ، ومثال هذا ما صنع ماكس هينج مترجم القرآن إلى الألمانية ، فإنه ترجم الإبل فى قوله تعالى : ﴿ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ ﴾ [الغاشية : ١٧] ، باللفظ الموضوع فى الألمانية للسحاب وهو أحد المعانى التى حملت عليها الآية ، وجمهور العلماء يفسرون الإبل بالحيوان المعروف « الجمل » وهو المتبادر ولا داعى إلى

(١) للثار ، ج ١ ، م ٢٦ ، رمضان ١٣٤٣هـ ، أبريل ١٩٢٥م .

(٢) أنور الجندى ، الفتح ، تاريخ الصحافة الإسلامية ، ومرجع سابق ، ج ٢ ، ص ٤١٤ .

(٣) الهداية الإسلامية ، ج ٢ ، م ٤ ، صفر ١٣٥٠هـ .

صرف اللفظ عنه إلى ذلك المعنى المجازى وهو السحاب ، وانتهى الشيخ الخضر حسين فى حديثه إلى أن ترجمة القرآن غير ممكنة ؛ لأن الآيات القرآنية تحتل وجوها متعددة ولا يمكن ترجمتها إلى لغة أخرى إلا على وجه واحد وهو التفسير العام لا على أنها ترجمة مطابقة للأصل (١) .

وفى مقال آخر نشرته الهداية الإسلامية بعنوان : « ترجمة القرآن » عاب كاتبه على الذين يدعون إلى ترجمة القرآن باللغات الأخرى ، وكانت حجته أن الرسول لم يفعل ذلك ، ولو كانت ترجمة القرآن جائزة لأمر الرسول ﷺ سلمان أن يترجم القرآن بالفارسية ، وبلالا بالحبشية ، وصهيبا بالرومية ، ولكنه كتب إلى كسرى وقيصر والمقوقس الكتب باللغة العربية مع وجود من يحسن لغاتهم (٢) .

كذلك هاجمت صحف الإخوان المسلمين فكرة ترجمة القرآن الكريم ، وكتب الشيخ حسن البنا المرشد العام للإخوان المسلمين مشيرا إلى أن الترجمة مستحيلة ؛ لأن التركيب القرآنى العربى فى ذاته معجز للعربى حين يحاول فهمه ، فهو يفهم منه بقدر طاقته فى الفهم والتصور ، وقد يفهم منه عربى آخر ما لم يفهمه الأول لأنه أوسع تصورا ، ويفهم الآية فى عصر من العصور ما لم يفهم فى عصر سابق ، والآية هى الآية ، والألفاظ هى الألفاظ ، فالإقدام على ترجمة القرآن إقدام على مستحيل ومسخ للقرآن ونزول به عن مكانته مما يعد اعتداء على الإسلام فى أقدم مقدساته (٣) .

وعلى إثر إقرار مجلس الوزراء ترجمة القرآن الكريم تألفت جماعة باسم « الدفاع عن القرآن » للسعى دون نفاذ هذا المشروع ، وكان يرأسها على حسين أحمد المهندس ، ووجهت صحيفة الإخوان المسلمين نداء إلى العلماء للنص فى هذه القضية التى طال الجدل حولها (٤) ، وقرر حسن البنا أن الإخوان لا يؤيدون ترجمة القرآن الكريم ، وأن البعد عنه خير من الشروع فيه بأية صورة من الصور ، وأن الجهود التى يستنفذها لو أنفقت فى غيره من وسائل النهوض بالمسلمين أو الدعوة إلى الإسلام لكان ذلك خيرا (٥) .

وهكذا نرى أن ترجمة القرآن الكريم إلى لغة أخرى غير ممكنة ، ويجوز ترجمة التفسير العام لبعض آيات القرآن والأحكام الشرعية لا على أنها ترجمة مطابقة للأصل

(١) الهداية الإسلامية ، ج ٢ ، م ٤ ، صفر ١٣٤٠ هـ .

(٢) الهداية الإسلامية ، ج ٢ ، م ٣ ، رجب ١٣٤٩ هـ .

(٣) محمود عبد الحليم ، الإخوان المسلمون ، أحداث صنعت التاريخ ، مرجع سابق ، ج ١ ، ص ١٠٠ .

(٤) الإخوان المسلمون ، عدد ١٧ ، السنة الرابعة ١٦ جمادى الأولى ١٣٥٥ هـ ، ١٤ أغسطس ١٩٣٦ م .

(٥) الإخوان المسلمون ، عدد ٢ ، السنة الرابعة ٢٩ محرم ١٣٥٥ هـ ، أبريل ١٩٣٦ م .

تماما، لما ورد ذكره من الأسباب التي تجعل الترجمة النصية مستحيلة .

وكما حظى القرآن الكريم باهتمام الصحف الإسلامية حظيت ، أيضا السنة النبوية أيضا باهتمام كتاب الصحف الإسلامية ودعت تلك الصحف إلى الاهتمام بكتب السنة ، ولاسيما الصحيحة منها ، واقترح الشيخ محمد عبد العزيز الخولي لحفظ السنة تشكيل جمعية دينية لهذا الغرض ، يكون مركزها مصر قلب البلاد الإسلامية ، ويكون أفراد تلك الجمعية من خلاصة المعتصمين بالسنة والمتشعبين بروح الدين الإسلامى ، وتنشأ فروع لهذه الجمعية فى البلاد والممالك الإسلامية ، ويكون شعارها قوله تعالى : ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾ [آل عمران : ١٠٣] ، وقوله ﷺ : « شيثان لن تضلوا بعدى ما تمسكتم بهما كتاب الله وسنة رسوله » (١) .

وقد نشرت « المنار » معارك السيد سليمان الندوى الهندي ضد الجماعة التي أطلقت على نفسها « جماعة أهل القرآن » ، والتي دعت إلى التمسك بالقرآن دون السنة بزعم أن السنة إنما كانت أحكاما مؤقتة لأهل عصر النبي ، والآن أصبحت عديمة الجدوى !

وترجمت المنار ما قدم من آراء فى هذا الشأن ، حيث بين الندوى أهمية السنة ، ومضى يوضح حاجة القرآن إلى السنة ، وكيف كان الصحابة يستفتون رسول الله ﷺ فيما يقع لهم من حوادث ، ويعلمهم ما خفى عليهم ، ويضرب على ذلك بعض الأمثلة ، فقد نزلت آية الصيام ولم يذكر فيها حكم الأكل والشرب بالنسيان فى الصوم ، فجاء رجل إلى النبي ﷺ وقال : يا رسول الله ، أكلت ناسيا فى الصوم ، فأفتاه النبي ﷺ بأن صومه صحيح .

وأكد الندوى أن الأحكام التي توجد فى الأحاديث الصحيحة هى مأخوذ ومستنبطة من القرآن الكريم ، استنبطها النبي ﷺ بوحى إلهى وشرح ربانى ، ومن ثم يجب علينا قبولها والعمل بها بشرط ثبوتها إلى النبي ﷺ (٢) .

وأشار رشيد رضا إلى أن الحملات على القرآن الكريم والسنة النبوية يوجهها رجال الكنيسة الذين يعادون الإسلام ويشوهونه ويصدون عن أتباعه ، ويذمون رسوله وكتابه بالأفكار والبهتان وفحش الكلام دون أن يكلفوا أنفسهم مؤنة البحث ودراسة الحقائق الإسلامية .

وفى إطار الاهتمام بالسنة النبوية المطهرة والتعريف بها ، تحدثت الصحف الإسلامية

(١) المنار ، ج ٥ ، م ٢٢ ، شعبان ١٣٣٩هـ ، أبريل ١٩٢١م ، مقال بعنوان : « ماذا يعمل لنشر السنة » للشيخ محمد عبد العزيز الخولي .

(٢) المنار ، ج ٩ ، م ٣٠ ، ذو القعدة ١٣٤٨هـ ، أبريل ١٩٣٠م .

عن أشهر كتب السنة ، وذكرت المنار أن أشهر كتب السنة في القرن الثالث صحيح البخاري ، وصحيح مسلم ، وسنن أبي داود ، وسنن النسائي ، وجامع الترمذی ، وسنن ابن ماجه ، ومسند الإمام أحمد بن حنبل ، والمنتقى في الأحكام لابن الجارود ، ثم مصنف ابن أبي شيبة ، وكتاب محمد بن نصر المروزي ، ومصنف سعيد بن منصور ، وكتاب تهذيب الآثار لمحمد بن جرير الطبري ، والمسند الكبير لابن مخلد القرطبي ، ومسند إسحاق بن راهويه ، ومسند عبد بن حميد ، وسنن الدارمي ، ومسند أبي يعلى الموصلي ، ومسند ابن أبي أسامة الحارث بن محمد التميمي ، ومسند ابن أبي عاصم أبو بكر عمرو بن أبي عاصم الشيباني ، ومسند أبي هريرة لإبراهيم بن حرب العسكري ، ومسند الإمام علي لأحمد بن شعيب النسائي ، ومسند العنبري لإبراهيم بن إسماعيل الطوسي ، والمسند الكبير للبخاري ، ومسند محمد بن مهدي ، ومسند الحميدي ، ومسند إبراهيم بن معقل النسفي ، ومسند إبراهيم بن يوسف الهنجاني ، ومسند مالك لأحمد بن شعيب النسائي ، والمسند الكبير للحسن بن شعبان ، والمسند المجلد لأبي بكر البزار ، ومسند ابن سنجر ، والمسند الكبير ليعقوب بن شيبة ، ومسند علي بن المديني ، ومسند عثمان بن أبي شيبة (١) .

وأشارت المنار إلى أن كتب المسانيد دون كتب السنة في الرتبة ، إذ جرت عادة مصنفها أن يجمعوا في مسند كل صحابي ما يقع من حديثه ، صحيحا كان أو سقيما ، ولذلك لا يسوغ الاجتماع بما يورد فيه مطلقا ، واستثنى بعض المحدثين فيها مسند الإمام أحمد بن حنبل (٢) .

وأشهر كتب السنة في القرن الرابع المعاجم الثلاثة : الكبير والصغير والأوسط للإمام سليمان بن أحمد الطبراني ، فقد رتب في الكبير الصحابة على حروف المعجم وهو مشتمل على نحو خمسمائة وعشرين ألف حديث ، ورتب في الأوسط والأصغر شيوخه على الحروف أيضا ، وسنن الدارقطني وصحيح أبي حاتم محمد بن حبان البستي ، وصحيح أبي عوانة يعقوب بن إسحاق ، وصحيح ابن خزيمة محمد بن إسحاق ، وصحيح المنتقى لابن السكن سعيد بن عثمان البغدادي ، والمنتقى لقاسم بن أصبغ محدث الأندلس ، ومسند ابن جميع محمد بن أحمد ، ومسند محمد بن إسحاق ، ومسند الخوارزمي ، ومسند أبي إسحاق إبراهيم بن نصر الرازي . . . (٣) .

وبمناسبة ما أذاعه فريق من المستغربين - الذين تعلموا في المدارس الحديثة والمتخرجين

(١) المنار ، ج ٥ ، م ٣٢ ، محرم ١٣٥١هـ ، مايو ١٩٣٢م .

(٢) المنار ، ج ٢ ، م ٢٢ ، ربيع الآخر ١٣٣٦هـ ، يناير ١٩٢١م ، مقال بعنوان : « تاريخ فنون الحديث » .

(٣) المنار ، ج ٢ ، م ٢٢ ، ج ٣ ، م ٢٢ ، ربيع الآخر ، جمادى الأولى ١٣٣٦هـ ، يناير ، فبراير ١٩٢١م ، مقال بعنوان : « تاريخ فنون الحديث » .

من جامعات أوروبا - من الدعوة إلى إنكار الأحاديث النبوية وعدم الاعتماد عليها في التشريع بحجة أنها لم تكتب في زمنه ﷺ ، ولو كانت شرعا مستمرا كالقرآن لكتبت بأمره ، وإطلاعه كما فعل بالقرآن ، ويستدلون بالحديث الذي رواه مسلم عن أبي سعيد الخدري قوله ﷺ : « لا تكتبوا عني شيئا إلا القرآن ، ومن كتب عني شيئا غير القرآن فليمحاه » ، هنالك انبرت الصحف الإسلامية للرد على هذا الادعاء الخاطئ والدفاع عن مكانة السنة ومنزلتها من الدين ووجوب العناية بها ، وخطأ الذين يقللون من أهميتها ، وكتب محمد زهران في صحيفة الإخوان المسلمين مشيرا إلى أن الرسول ﷺ لم يأمر بكتابة السنة في أول الأمر إما لخشية اشتباه الأحاديث بالقرآن على بعض الضعفاء ، حيث لم يكن قد كثر في الناس من يحفظونه كثرة تجعله شائعا بينهم ، شيوعا يحصل به تمييزه عند السماع من غيره ، فضلا عن ذلك فإنه قد ورد عن الرسول ﷺ الإذن بالكتابة ؛ روى أبو داود والحاكم وغيرهما عن ابن عمر قال : قلت : يا رسول الله ، إنى أسمع منك الشيء فأكتبه ، قال : « نعم » . قال : فى الغضب والرضا ، قال : « نعم » ، فإنى لا أقول فيهما إلا حقا » ، وغير ذلك من الأحاديث الواردة فى هذا الموضوع ، فالإذن إذن بكتابة الأحاديث ثابت عن الرسول ﷺ ، وإنما وقع النهى عن كتابتها أولا لأمور منها :

- ١ - أن الصحابة كانوا سريعي الحفظ ، وكان ذلك يغيثهم عن الكتابة .
- ٢ - ومنها ما تقدم ذكره وهو خشية التباس غير القرآن بالقرآن على بعض الضعفاء .
- ٣ - أن ذلك صار بعد العصر الأول ضرورة لتوقف حفظ الشريعة الواجب عليها (١) .

وأشار حامد عسكرية رئيس جمعية الإخوان المسلمين بشبراخيت إلى أن السنة المحمدية وهى : قول النبى ﷺ أو فعله أو إقراره أو صفته هى جزء أساسى فى الإسلام لا غنى عنها ؛ لأنها مبينة للقرآن وشارحة لأحكامه والمقصوده بقوله تعالى : ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ [النحل : ٤٤] ، ومنزلة السنة من القرآن بمنزلة اللائحة التفسيرية الداخلية أو المذكرة التفصيلية ، وأكد أيضا على أن الرسول ﷺ حث على تعلم السنة ونقلها لمن لم يسمعها إذ قال : « نضر الله امرأ سمع منا حديثا فوعاه وبلغه غيره ، فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه » (٢) .

واهتمت الصحف الإسلامية بحفظ السنة ، وبيان الأحاديث الموضوعية والغرض من وضعها ، والأسباب التى تكمن وراء وضع الأحاديث وآثار ذلك على الدين ، وكانت صحيفة الشبان المسلمين تخصص بابا بعنوان : « الدفاع عن السنة » ، وكذلك مجلة

(١) الإخوان المسلمون ، عدد ٢٠ ، السنة الأولى ، ١٢ شعبان ١٣٥٢ هـ .
(٢) الإخوان المسلمون ، عدد ٧ ، السنة الأولى ، ٤ من ربيع الآخر ١٣٥٢ هـ .

الأزهر ، وذكر إبراهيم اللبان أن الغرض من وضع الأحاديث هو :

١ - الكيد للإسلام من قبل أعدائه .

٢ - إظهار الدين الإسلامى بمظهر يناقى العقول ، وذلك لزعزعة عقائد الناس وتشكيكهم فى دينهم ، عن طريق وضع الأحاديث الظاهرة الكذب ونسبتها إلى رسول الله ﷺ ، ونذكر هنا طائفة من الأحاديث الموضوعة التى عثت الصحف بإبرازها وبيان ريفها :

« الباذنجان شفاء من كل داء » .

« من أكل فولة بقشرها أخرج الله عنه من الداء بقدرها » .

« من تختم بفص من الياقوت نفى الله عنه الفقر » .

« يوم الأربعاء نحس مستمر » .

« من أكل رمانة حتى يتمها أثار الله قلبه » .

« فُضِّلَ العَدَسُ على لسان سبعين نبيا » (١) .

« من قال لا إله إلا الله ومدها بالتعظيم هدمت له أربعة آلاف ذنب من الكبائر » .

« نظرك إلى وجه العالم خير لك من ألف فرس تصدق بها فى سبيل الله ، وسلامك على العالم خير لك من عبادة ألف سنة » (٢) .

ومن علامات الحديث الموضوع أن يكون فيه وعد شديد على صغيرة ، أو وعد بثواب عظيم على عمل يسير ، ومن أهم ما تحدته الأحاديث الموضوعة من أثر سيئ هو :

١ - زعزعة العقائد .

٢ - ترجيح الآراء الضعيفة وجمع الأنصار حولها .

٣ - ظهور البدع والخرافات .

٤ - التشجيع على ترك الفروض الدينية (٣) .

وفى مجال التفقيه والإرشاد أيضا كانت الصحف الإسلامية تنتهز فرصة حلول المناسبات الدينية ، وتقوم بنشر المقالات الإسلامية والموضوعات التى تخص هذه المناسبات ، ومن أشهر هذه المناسبات التى كانت تتبارى فيها الصحف الإسلامية : ذكرى الهجرة

(١) الشبان المسلمون ، ج ٢ ، م ١ ، جمادى الآخرة ١٣٤٨هـ ، نوفمبر ١٩٢٩ م .

(٢) الإخوان المسلمون ، عدد ٢٧ ، ٣٠ رجب ١٣٥٣هـ ، ٨ نوفمبر ١٩٣٤ م .

(٣) الشبان المسلمون ، ج ٢ ، م ١ ، جمادى الآخرة ١٣٤٨هـ ، نوفمبر ١٩٢٩ م .

النبوية ، حيث كانت الصحف الإسلامية تحتفل بذكرى الهجرة وتشر ما يدبجه الكتاب والشعراء والخطباء فى الاحتفال بهذه الذكرى من منبر الأزهر ، والجمعية الإسلامية تقدم أعدادا خاصة فى هذه المناسبة (١) .

ومن المناسبات الدينية أيضا التى حظيت باهتمام الصحافة الإسلامية حلول شهر رمضان من كل عام ، حيث تتبارى الصحف فى تقديم الموضوعات الدينية عن الشريعة الإسلامية وأحكامها ، والصوم وأحكامه وفوائده الأخلاقية والاجتماعية والصحية ، وكانت بعض الصحف تستكتب الأطباء المسلمين ليكتبوا عن فوائد الصوم الصحية ، وقد اشتهر فى ذلك الطبيب بسيونى بسيونى ، والطبيب تيمى فى الفتاح ، والطبيب محمد توفيق صدقى فى المنار (٢) .

والمتبع لأعداد هذه الصحف ومجلداتها يجدها حافلة بتلك الموضوعات الدينية التى تسهم فى تزويد القراء بأحكام الدين الإسلامى وتعاليمه ، وتجعل أوامر الدين حية وحاضرة فى أذهان الجماهير ، وكذلك كانت ذكرى المولد النبوى الشريف موضع اهتمام لدى كتاب الصحافة الإسلامية ، حيث تقوم الصحف بنشر المقالات والموضوعات عن الدعوة المحمدية ، ونشأتها وانتشارها وحكمة ظهور الرسول فى العرب الأميين ، وبعثته ﷺ وجهوده وجهود الصحابة فى نشر الدعوة الإسلامية ، خارج الجزيرة العربية (٣) .

ويلاحظ أن الصحف كانت تعالج فى هذه المناسبات الفساد الدينى والاجتماعى والخلقى ، وتوضح فضل الإسلام على العالم كله ، وتعرف المسلم بتاريخ الإسلام ، وحوادثه وقادة الفتوح الإسلامية ، كذلك كانت تتخذ منها فرصة للدعوة إلى مقاومة التبشير والإلحاد وتوحيد الصف المسلم فى مقاومة أعداء الأمة الإسلامية .

وتعد الفتاوى التى كانت تبثها الصحف الإسلامية بين حين وآخر رافدا من روافد التثقيف الدينى ، وقد اشتهرت فى ذلك صحيفة الإخوان المسلمين التى كان يقوم بالإفتاء

(١) الأزهر ، ج ١ ، م ٩ ، محرم ١٣٥٧هـ ، والإخوان المسلمون عدد ١ ، السنة الرابعة ، ٢٢ محرم ١٣٥٥هـ ، ١٤ أبريل ١٩٣٦م ، مقالة بعنوان : « إن لنا فى هجرة الرسول لعبرة » بقلم الأستاذ عبد الوهاب خلاف المدرس بالجامعة المصرية ، والشبان المسلمون ج ٩ ، م ١ ، محرم ١٣٤٩هـ ، يونيو ١٩٣٠م ، وكذلك باقى المجلات والصحف ، فى أول كل عام هجرى .

(٢) الأزهر ، ج ٩ ، م ٩ ، رمضان ١٣٥٧هـ ، والفتح ، عدد ٣٩ ، ٦ رمضان ١٣٤٥هـ ، ١٠ مارس ١٩٢٧م ، والمنار ، ج ٨ ، م ٣١ ، رمضان ١٣٤٩هـ ، فبراير ١٩٣١م ، والشبان المسلمون ، ج ٥ ، م ١ ، رمضان ١٣٤٨هـ ، فبراير ١٩٣٠م ، والهداية الإسلامية ، ج ٤ ، م ١ ، رمضان ١٣٤٧هـ .

(٣) المنار ، ج ٧ ، م ١٩ ، صفر ١٣٣٥هـ ، ديسمبر ١٩١٦م ، والأزهر ، ج ٢ ، م ٩ ، صفر ١٣٥٧هـ ، وج ٤ ، م ٩ ، ربيع الآخر ١٣٥٧هـ ، مقال بعنوان : « مولد محمد ﷺ » ، والإخوان المسلمون ، عدد ٤ ، السنة الأولى ، ١٣ ربيع الأول ١٣٥٢هـ ، عددا خاصا عن المولد النبوى .

فيها الشيخ حسن البنا ، وصحيفة الأزهر وكان يتولى الإفتاء فيها الشيخ يوسف الدجوى والشيخ محمد عبد اللطيف الفحام ، وصحيفة الهداية الإسلامية وكانت تقدم الفتاوى للشيخ الخضر حسين ، وأبرز هذه الصحف فى هذا المجال صحيفة المنار لرشيد رضا ، إذ كانت المنار تعقد بابا خاصا للفتاوى والأحكام الدينية ، وتتلقى أسئلة القراء ويجيب عليها رشيد رضا ، وقد حفلت أعداد المنار بفتاوى مهمة فى الأحكام الشرعية الدينية فى شتى النواحي ، وكانت المنار تفتح أبوابها لأسئلة القراء عامة ، غير أنها فى سنوات الحرب العالمية الأولى خصصت هذا الباب لأسئلة المشتركين فى المنار فقط ، حيث تقلص حجم المنار وضاعت صفحاتها عن الإجابة على أسئلة جميع القراء .

ويحسن هنا أن نقدم مختارات من أهم الفتاوى التى قدمتها المنار :

فقد أرسل أحد قراء المنار من سنغافورة يسأل عن حكم التصوير وصنع الصور والتمائيل واتخاذها فى الإسلام .

أجاب رشيد رضا على هذا السؤال مبينا الأحاديث التى وردت فى تحريم التصوير والآثار الواردة فى ذلك ، وأقوال العلماء فى شرحها وفقهها ، أما الأحاديث فتتلخص فى ست مسائل :

١ - أن المصورين يعذبون يوم القيامة ويكلفون إحياء ما صنعوا تعجيزا ، ويوصفون بالظلم الشديد لقصدتهم مضاهاة خلق الله .

٢ - لعن الله المصور كما لعن الذين اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد .

٣ - إنكار نصب الستائر التى فيها الصور والتمائيل وإزالتها .

٤ - تعليل الإنكار تارة بأننا لم نؤمر بكسوة الحجر والطين ، وتارة بكونها فى المصلى تعرض للمصلى فى صلاته وتارة بعدم دخول الملائكة بيتا فيه صورة أو كلب .

٥ - اتخاذ الثياب التى فيها الصور وسائد ومرافق واستعمال النبی لها مع بقاء الصورة .

٦ - أن تغيير الصورة الحيوانية بما يصير به أشبه بالشجر كقطع رأسها يبيح اتخاذها^(١) . أما الآثار الواردة عن الصحابة والتابعين فى هذه المسألة :

١ - استعمال زيد بن خالد الصحابى للستر الذى فيه صور وهو أحد رواة حديث أن الملائكة لا تدخل بيتا فيه صورة إلا رقما فى ثوب .

٢ - اتخاذ أحد أعظم أئمة التابعين القاسم بن محمد أبى بكر رضي الله عنه الحجلة

(١) المنار ، ج ٥ ، م ٢٠ ، ربيع الأول ١٣٣٦هـ ، ديسمبر ١٩١٧ م .

التي فيها تصاوير القندس والعنقاء ، وهو ربيب عمته عائشة وأعلم الناس بحديثها .

٣ - استعمال يسار مولى عمر بن الخطاب رضي الله عنه وخازنه الصورة في داره .

٤ - صنع الصور في دار مروان بن الحكم وسعيد بن العاص ، وكل منهما ولي إدارة المدينة وكانا من التابعين .

وأما أقوال العلماء في شرحها وفقهها ، فمنهم من شدد فيه ، ومنهم من خفف ، وأشهر المشددين من محققى الفقهاء في القرون الوسطى : أبو بكر بن عربى ، والنوى ، فقد جزما بتحريم التصوير مطلقا ، وإن كان الأصل أن ما حل اتخاذه واستعماله حل صنع ، وقال الأول : إن ما له ظل كالتماثيل ذات الأجسام يحرم اتخاذه بالإجماع ، أما ما لا ظل له من الصور ففيه أربعة أقوال :

١ - الجوار مطلقا .

٢ - المنع مطلقا .

٣ - تحريم ما كانت الصورة فيه تامة أو جوار ما قطع رأسها أو تفرقت أجزاؤها .

٤ - جوار ما يمتن دون ما كان معظما .

ومذهب الحنابلة يجيز الصورة في الثوب ، ومذهب القاسم بن محمد بن أبى بكر : أن ما لا ظل له لا يمتنع اتخاذه مطلقا ، فقد صح أنه كان في بيته بمكة حجلة فيها تصاوير كما تقدم ، وفيه حمل أبو على الفارسي الوعيد بعذاب المصورين على المشبهة الذين يعتقدون أن الله تعالى صورة كصور خلقه تعالى عن ذلك .

وجعل الحافظ ابن حبان حديث امتناع الملائكة من دخول بيت فيه خاصا بالنبي وجعله بعضهم خاصا بملائكة الوحي ، وجعله الكثيرون خاصة بملائكة الرحمة ، وقال بعضهم : إن الوعيد على تحريم الصور خاص بمن كان في ذلك الزمان لقرب العهد بعبادة الأوثان وأما الآن فلا .

وعندما سئل رشيد رضا عن منافع التصوير في العصر الحاضر قال : « إن له أنواعا من الفوائد في حفظ اللغة وإيضاح كثير من العلوم والفنون ، وفي الأعمال العسكرية والإدارية والسياسية » ، وذكر الكثير من الأمثلة على ذلك قائلا :

١ - إننا نرى في كتب اللغة أسماء كثير من الأشياء كالنبات والحيوان وغيرها غير مفسرة بما تعرف به المسمى ، بل يقولون : حيوان معروف ، فلو وضعت صورة الشيء عند اسمه كما تفعل الأمم المتحضرة الآن لكان ذلك أحسن في حفظ

اللغة، ولا يغنى عنه الوصف بالكلام .

٢ - يترتب على الجهل بأجناس بعض الحيوان جهل ما يتعلق بها من الأحكام الشرعية ، كأحكام ما يحل أكله منها وما لا يحل .

٣ - أن للتصوير فوائد عظيمة فى علوم التاريخ الطبيعى والطب والتشريح الإنسانى والحيوانى ، وفروع هذه العلوم قد صارت كثيرة فى هذا العصر .

٤ - للتصوير فوائد عظيمة فى الأعمال الحربية ، فلا يمكن لمن يتركه أو يقصر فيه أن يقاتل أعداءه بمثل ما يقاتلون به ، فمنها تصوير المواقع الحربية والطرق والبلاد والجيوش وما لديها من السلاح والذخيرة .

٥ - للتصوير فوائد لدى حكومات هذا العصر فى الأعمال السياسية والإدارية ، ولا يمكن للمسلمين أن يستغنوا عن صناعة التصوير فى التعليم والتأليف والأعمال الحربية^(١) .

وإذا كان هناك من تعليق على استخدام التصوير فالإسلام دين الفطرة قصد الله به رفع الحرج والعسر على عباده ؛ ولذلك فلم يكن يحرم الإسلام صناعة نافعة فى كثير من العلوم ، وأصبحت الصوره الآن لها أهميتها فى كل المجالات ولاسيما فى المجال الصحفى، أما ما يحرم من التصوير فهو التصوير المجسد والأجسام العارية وغيرها مما يكون فيه خروج على منفعة الإنسان المشروعة ، أو التدرع للخروج على الفضيلة وإباحة المنكرات والفواحش .

وفى سؤال ورد فى فتاوى المنار عن حكم اشتغال المرأة المسلمة بالتمثيل ، وحكم تمثيل قصص الأنبياء ، أجاب رشيد رضا :

إن اشتغال المرأة المسلمة بالتمثيل يشتمل على مذكرات محرمة ، منها : ظهورها على أعين الرجال متبرجة ، كاشفة ما لا يحل كشفه لهم من أعضائها كالرأس والنحر وأعالى الصدر والذراعين ، وتحريم هذا مجمع عليه و معلوم من الدين بالضرورة ، فلا حاجة إلى ذكر النصوص فيه ، ومنها : الاشتراك مع الرجال الممثلين فى أعمال تكثر فى التمثيل وإن لم تكن من لوازمه فى كل قصة كالمعانقة والمخاصرة والملامسة بغير حائل ، ومنها غير ذلك من المنكرات التى يشتمل عليها بعض القصص دون بعض كالتشبه بالرجال ، وتمثيل وقائع الفسق والغرام المحرم ، ورغم ذلك فلم ينكر رشيد رضا أن للتمثيل الجاد من فوائد، إذ أشار إلى أنه يمكن للكاتب العالم بأحكام الشرع وآدابه أن يكتب قصة تمثيلية يودع فصولها أعمالاً شريفة وأقوالاً نافعة إذا مثلتها المرأة المسلمة تبرز فى دار التمثيل غير متبرجة بزينة ، ولا مبدية لشيء مما حرم الله إبداءه من بدنها ، ولا آتية بشيء من أعمال الفساد ، ولا من ذرائعه ، فإن تمثيلها يكون بهذه الشروط مباحاً أو مستحباً .

(١) المنار ، ج ٦ ، م ٢٠ ، ربيع الآخر ١٣٣٦هـ ، فبراير ١٩١٨ م .

- أما تمثيل قصص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فقد أنكره رشيد رضا لعدة وجوه :
- ١ - أن أكثر الممثلين لهذه القصص سواء من العامة وأرقاهم في الصناعة لا يرتقى إلى مقام الخاصة ؛ ولذا يعد من الازدراء أن يقال : فلا إبراهيم خليل الله ، أو موسى كليم الله ، أو محمد خاتم الرسل .
 - ٢ - أن العرف الإسلامي العام يعد تمثيل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام إهانة لهم .
 - ٣ - تمثيل الرسول في حالة أو هيئة تزرى بمقامه ولو في أنفاس العوام ، وذلك محظور وإن كان تمثيلا لشئ وقع .
 - ٤ - إن من خصائص القصص التمثيلية الكذب ، وأن الكذب على الأنبياء ليس كالكذب على غيرهم^(١) .

وفي مجال الوعظ الإسلامي حفلت الصحف الإسلامية بالمقالات التي توضح أهميته وآثاره في الأمة الإسلامية ، وكيفية الدعاية للدين الإسلامي في داخل وخارج الديار الإسلامية ، وحاجة البلاد للوعظ الديني وتوجيه الدعاة إلى الطرق المثلى في الوعظ والإرشاد ، وأصول الدعوة ووسائلها :

وقد بينت الصحف الإسلامية معنى الوعظ وآثاره ، فمعنى كلمة الوعظ هو : زجر مقترن بتخويف ، وقيل : هو التذكير بالخير مما يرق له القلب ، وقيل : هو النصيح والتذكير بالعقاب .

وللوعظ آثاره في الواعظين والمستمعين ، وله في الأمة آثار قيمة ، فآثاره في الواعظ نفسه : إلزام نفسه بالاستقامة ، وحمله على تعرف القرآن وإقامة السنة ، والوقوف على آراء الفقهاء والعلم بالعقائد ، ومعرفة عيوب الناس وسياسة الجماهير . أما آثار الوعظ في الأمة فهو تعريفهم بما جهلوا من أمور الدين ، وهدايتهم إلى الصراط المستقيم ، وتبصيرهم بالنافع في الحياة الدنيا ، وما يسعدهم في الحياة الآخرة ، وترغيبهم في الخير وتنفيرهم من الشر ، وحضهم على التراحم والتواد والتعاطف والتعاون ، وبيان أوجه المعاملات المشروعة ، وذلك لا يتحقق إلا عن طريق الدين الحق الذي يقوم على توحيد الله ، وعلى توجيه النفوس نحو المصالح العامة^(٢) .

والسبيل السوي في إعداد المرشد الديني أو الواعظ هو أن يحفظ القرآن الكريم حفظا جيدا ، وأن يلم بالقراءة والكتابة والعلوم الأولية التي تنمي العقل ، وأن يحفظ القواعد النحوية ، وأن يطلع على كتب الأدب الشعرية والنثرية والتدريب على الخطابة والكتابة ، وأن يكون المرشد الديني مستقل الفهم يعرف كيفية انتقاء المعلومة الصحيحة من كتب

(١) المنار ، ٢٩ جمادى الأولى ١٣٣٦هـ ، أبريل ١٩١٨ م .

(٢) الفتوح ، عدد ١٧٢ ، ٥ جمادى الآخرة ١٣٤٨هـ ، ٧ نوفمبر ١٩٢٩ م .

التفسير ، وذلك لأن بعض كتب التفسير تحتوى على بعض الخرافات الإسرائيلية والأباطيل المذهبية .

فضلا عن ذلك ، أن يعرف المرشد الدينى سيرة الرسول ﷺ وسننه ، ويعتمد فى ذلك على الكتب العلمية الصحيحة ، ويتعد عن التقليد لغيره ، وخاصة ممن سبقوه فى الزمن ، وأن ينظر إلى المنكرات الشائعة والحوادث الحاضرة ، ويختار من هذه الحوادث ما يجعله محور خطابه ومدار عظاته ، ذاكرا ما ورد فيها من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الصحيحة ، وأن يصوغ الخطبة فى قالب خطابى يناسب أفهام المستمعين ولغة الحاضرين^(١) ، وأن يكون سياسيا حكيما يأتى الناس من جهة ما يعرفون ليصل بهم إلى ما ينكرون من حيث لا يشعرونه وألا يعرف اليأس سبيلا إليه ، وأن يكون صبورا قادرا على تحمل الأذى فى سبيل الحق ، وأن يكون مؤمنا بما يقول مطبقا له^(٢) .

وكتب الشيخ محمد مصطفى فى مجلة الأزهر مقالا بعنوان : « الأزهر كما ينبغي أن يكون » وذكر فيه الشروط الواجب توافرها فى الداعية ، وأبرزها :

١ - ملازمة الأخلاق النبوية والتبصر فى هدى القرآن والسنة ومجاهدة النفس ورياضتها على تحمل الأذى والمكروه فى سبيل العمل والأخلاق الدينية والشعائر الإسلامية .

٢ - أن يكون الداعى والمرشد شجاعا صادقا قوى الإيمان بما يدعو إليه ، وأن يؤدى احتسابا لله لا على أنه مكلف به يؤديه للأجر وزيادة الدرجات والرواتب .

٣ - أن يكون بصيرا بالوسط الذى يعيش فيه خبيرا بأحوال النفوس واسع الحيلة فى التنقل من طريق إلى طريق .

٤ - أن يكون تقيا ورعا زاهدا عن الدنيا غير حريص على منفعة رائلة أو أجر مادي^(٣) .

وقد ذكر رشيد رضا أصول الدعوة الإسلامية ومقاصدها العامة فى إحدى عشرة مقالة ، بدأها فى العدد السابع من السنة الثانية والثلاثين حتى العدد الثانى فى السنة الثالثة والثلاثين^(٤) ، ونستطيع أن نوجز هنا أهم ما جاء فيها من أفكار فيما يلى :

١ - إصلاح ما أفسده أهل الكتاب ومن سبقهم من اتباع الأنبياء الأقدمين من أركان الإصلاح الدينى الإلهى الثلاثة وهى الإيمان بالله ، والبعث والجزاء ، والعمل الصالح الذى تنزكى به الأنفس البشرية .

(١) المنار ج ٥ ، م ٢٩ ، ربيع الأول ١٣٤٧هـ ، سبتمبر ١٩٢٨ م .

(٢) المنار ج ٤ ، م ٢٧ ، ذو الحجة ١٣٤٤هـ ، ١٠ يوليو ١٩٢٦ م .

(٣) الأزهر ، ج ٦ ، م ٩ ، جمادى الآخرة ١٣٥٧هـ .

(٤) المنار ، ذو الحجة ١٣٥١هـ ، أبريل ١٩٣٣ م .

٢ - بيان ما كان يجهله البشر من حقيقة النبوة والرسالة ، ووظائف الرسل عليهم الصلاة والسلام ، ومعجزاتهم التى أيدهم الله بها .

٣ - بيان أن الإسلام دين الفطرة السليمة والعقل والفكر والعلم والحكمة والبرهان والحجة والضمير والوجدان والحرية والاستقلال .

٤ - الإصلاح الاجتماعى الإنسانى والسياسى وتحقيقه بالوحدات الثمان الآتية : وحدة الأمة ، وحدة الجنس البشرى ، وحدة الدين ، وحدة التشريع بالمساواة فى العدل ، وحدة الأخوة الروحية والمساواة فى التعبد ، وحدة الجنسية السياسية الدولية ، وحدة القضاء ، وحدة اللغة .

٥ - المزايا العشر للتكاليف الشخصية فى الإسلام وهى التى يجمع فيها بين حقوق الروح والجسد ، وكون الغاية منها سعادة الدنيا والآخرة معا ، وكونها يسرا لا حرج فيها ولا عسر ولا إرهاق ، وكونها قصدا واعتدالا فى كل أمر لا غلو فيها ولا إسراف ولا سيما الزينة والطيبات ، وكونها معقولة سهلة الفهم ، واشتمالها على العزيمة والرخصة ، وكونها مراعى فيها درجات البشر فى العقل والفهم وعلو الهمة وضعفها ، وبناء المعاملات فيها على الظواهر دون البواطن ، وبناء العبادات على الاتباع دون الابتداع .

٦ - بيان أن حكم الإسلام السياسى الدولى قائم على أساس سلطة الأمة واجتهاد أولى الرأى ، وعلى أساس درء المفساد ومراعاة المصالح والشورى والعدل المطلق والمساواة فيه ، ومراعاة الفضائل فى الأحكام .

٧ - الإصلاح المالى من جميع النواحي التعبدية والأدبية والخلقية والاجتماعية والدولية .

٨ - إصلاح نظام الحرب ودفع مفسادها وقصرها على ما فيه الخير للبشر .

٩ - العمل على تحرير الرقيق وإعطائهم جميع الحقوق الإنسانية والدينية والمدنية من روحية ومالية وغيرها ، ورفع الظلم والإهانة وتشريع الوسائل لمنع تجديده .

وأشار المرشد العام للإخوان المسلمين الشيخ حسن البنا فى سلسلة مقالات كتبها فى صحيفة الفتاح بعنوان : « الدعوة إلى الله » إلى أن الدعوة الإسلامية فرض مقسم بين طبقات الأمة لكن أهم هذه الطبقات المكلفة بالدعوة والقادرة عليها هى :

أولا : الحكومة ، لأن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن ، وانتقد البنا الحكومة المصرية قائلا : « وحكومتنا الإسلامية - هداها الله - شغلته الأمور السياسية والحوادث الخارجية فى السنوات الماضية عن حال الأمة الخلقية وعللها الاجتماعية حتى عم الخطب » ، وطالب البنا الحكومة أن تعمل على « إلغاء البغاء الرسمى ، وإدخال التعليم الدينى فى كل المدارس ، ومكافحة الصحف الهازلة التى تهدم أخلاق الأمة ، وإلغاء المزار ، ومحاربة دعاة الإلحاد والفلسفات الكاذبة » .

ثانيا : دار النيابة ، وهذه الهيئة القانونية القادرة على الإصلاح الخلقي والأدبي بما أنها السلطة التشريعية ويدها سن القوانين وتأييدها .

ثالثا : الدعاة والسراة ، وهم الطبقة الثالثة ممن يقدررون على الإصلاح ويجب عليهم القيام به .

رابعا : الطلبة على اختلاف مدارسهم ؛ لأنهم قوة فعالة فى الدعوة ، ولاسيما الطلبة الأزهرين^(١) .

وحينما ألف المؤتمر الإسلامى العام المنعقد فى القدس فى بداية عام ١٩٣٢م لجنة الدعوة والإرشاد التى تألفت من الشيخ رشيد رضا والشيخ محمد عبد الرسول من علماء النجف فى العراق ، ورضا بك توفيق فيلسوف تركيا ، والشيخ عبد الوهاب النجار من علماء الأزهر ، والشيخ محمد عبد اللطيف دراز من الأزهر ، والشيخ حسن أبى السعود قاضى الرملة الشرعى ، وإسعاف بك النشاشيبي أديب فلسطين ، والشيخ محمد سعيد درويش البابى الحلبي ، ومحمد على أفندى الحوماني من لبنان - نوه رشيد رضا بمشروع الدعوة والإرشاد الذى انبثق عن هذا المؤتمر ، مشيرا إلى أنه أعظم مشروع إسلامي لإصلاح المسلمين فى أنفسهم ، وتجديد هداية دينهم ومجده من خلال إعداد الدعاة الذين يتخرجون فى مدرسة خاصة وجمعية خاصة لإعداد كوادر الدعوة والإرشاد .

واقترح رشيد رضا أن يسعى المؤتمر لتأليف ثلاث رسائل فى عقائد الإسلام القطعية وفى آدابه وفضائله وأحكام العبادات، يقتصر فيها على الأشياء المجمع عليها من المسلمين، ونشر رسائل أيضا فى نقض أسس الأديان التى يتصدى دعائها لإضلال المسلمين من دينهم، وكانت أهداف جمعية الدعوة والإرشاد تتلخص فيما يلى :

- ١ - بث الدعوة إلى الإسلام .
- ٢ - بث المرشدين بين المسلمين ولاسيما أهل البادية منهم .
- ٣ - نشر رسائل وكتب تشتمل على أصول الإسلام وفضائله ، وآدابه وحكمة التشريع فيه .
- ٤ - إلقاء المحاضرات والخطب ، ونشر المقالات فى الصحف .
- ٥ - إنشاء صحف باللغة العربية وغيرها فى الأقطار المختلفة تعنى بالشؤون الإسلامية .
- ٦ - السعى لإصلاح منهج الخطب المنبرية ودروس الوعظ والإرشاد .

(١) الفتح ، عدد ١٠٣ ، ١٧ محرم ١٣٤٧هـ ، ٥ يولي ١٩٢٨م ، والأعداد التالية له .

٧ - السعى لدى الحكومات الإسلامية لأجل العناية بالتعليم الدينى والتربية الإسلامية .

٨ - الاهتمام بتعليم اللغة العربية فى جميع الشعوب الإسلامية(١) .

واهتم رشيد رضا بانتقاد خطباء المساجد ودواوينهم التى يحفظون خطبها ويقرؤونها على المنابر غيباً أو فى الأوراق المخطوطة والمطبوعة ، وبين أن هذه الخطب معظمها فى ذم الدنيا والتزهيد فيها والتذكير بالموت ومدح الشهور والمواسم حتى المبتدعة منها ، وأكثر ما فيها من الأحاديث ضعيف أو موضوع(٢) ، ويلاحظ أن بعض الخطباء الآن فى المساجد يسرون على هذا النمط السابق ذكره غير مواكبين لأحداث وظروف العصر التى تحتاج إلى معالجة خاصة ووجهات نظر تختلف عن الماضى ، وذلك فى إطار الآيات القرآنية والأحاديث النبوية واجتهاد أهل الذكر فيها .

وقد ألف رشيد رضا كتاباً يسمى « الحكمة الشرعية » ، خصص فيها فصلاً طويلاً فى الخطابة ، بين فيه حكمتها وفوائدها ، وكيفية تحصيل ملكة الارتجال فيها ، وما ينبغى أن تشمل عليه الخطب الدينية فى المساجد ، وأنشأ عدة خطب كنماذج للخطبة العصرية التى يرى أن يتمسك بنمطها الخطباء(٣) ، وأشاد بديوان الخطب الذى ألفه الشيخ جمال الدين القاسمى ، وذلك لخلوه من البدع والخرافات ، ومن الأحاديث الموضوعية والضعيفة ، واشتماله على الموعدة الحسنة التى يحتاج الناس إليها فى جميع الأوقات ، وطفقت « المنار » تنشر نماذج مختارة من الخطب المنشورة فى الديوان بعنوان : « مختارات من خطب القاسمى » اشتملت على بعض الخطب النبوية فى يوم الجمعة وخطب لأبى بكر وعمر وعثمان وعلى بن أبى طالب ، وخطب أخرى فى شتى الموضوعات الدينية والخلقية والإصلاحية(٤) .

ومضت الصحف الإسلامية تؤكد على ضرورة الدعوة الإسلامية فى المجتمعات الأوروبية والأجنبية « لأن هناك بعض المعتقدات الغربية عن المسلمين لدى الأوروبيين ، فهم لا يعرفون عنهم سوى أنهم قوم يعيشون على الفطرة ، ولا يدرون من أمور الحياة سوى التغذى بطعام سيئ يتناولونه بأصابعهم القدرة والارتواء بالماء والقهوة والتسلى بالتدخين والاستمتاع بالنساء والتزواج منهن بغير حساب لأنهن لسن إلا متاعاً للشهوة البهيمية يشترين كما تشتري الأنعام ، ويلفظن كما تلفظ النواة بغير مراعاة لخالتهن ولا لحقوقهن ، وإن

(١) المنار ، ج ٣ ، ٣١ م ، ذو القعدة ١٣٥٠ هـ ، مارس ١٩٣٢ م .

(٢) المنار ، ج ٧ ، ١٨ م ، رمضان ١٣٣٣ هـ ، أغسطس ١٩١٥ م .

(٣) المنار ، ج ٨ ، ١٨ م ، شوال ١٣٣٣ هـ ، سبتمبر ١٩١٥ م .

(٤) المنار ، ج ٩ ، ١٨ م ، ذو القعدة ١٣٣٣ هـ ، أكتوبر ١٩١٥ م .

أطيب الطيبات عندهم سفك دماء المسيحيين ! » (١) .

وكتب محمد رشيد بك آل الحجازي - من أركان الحرب سابقا في برلين - في المنار يطالب الدول الإسلامية أن تنظم وسائل الدفاع عن دينها وسمعة أممها في العالم ، ويبان أن الدين الإسلامي مثل سائر الأديان التي تأمر بالخير وتنهى عن المنكر ، وأنه أوصى بصفة خاصة بمراعاة أهل الكتاب ولاسيما النصارى منهم ، فقد وصفهم القرآن بأنهم أقرب الناس مودة للذين آمنوا ، وبين الحاجة لضرورة تعلم علماء المسلمين اللغات الإنجليزية والفرنسية والألمانية ليدفعوا تلك الأكاذيب ، ويظهروا للأمم فضائل هذا الدين التي تفوق جميع فضائل الأديان الموجودة في العالم (٢) .

ودعا شكيب أرسلان على صفحات صحيفة « الفتح » إلى توظيف أموال الزكاة أو جانب منها في سبيل الدعاية للدين الإسلامي في الديار الوثنية ، أو بين المسلمين أنفسهم الذين خيم عليهم الجهل وأصبحوا لا يعرفون من الإسلام - على حد قوله - سوى اسمه ، واستنهض شكيب أرسلان همم المسلمين للتبرع للدعوة إلى الإسلام وتنظيم الدعاية الإسلامية ، وناط بهذه المهمة جمعيات الشبان المسلمين المنتشرة في معظم أنحاء العالم الإسلامي ، وذلك في مواجهة حملات التبشير النصرانية من كاثوليك وبروتستانت التي ملأت الأقطار الإفريقية وبلاد الصين وجزر المحيط ، وأسست المدارس والمستشفيات والمعامل لنشر رسالاتها الدينية ، وأشار إلى نجاح البعثات التبشيرية في الهند وفي الصين في تنصير المسلمين ، وأن الدعاية الإسلامية قد توقفت في إفريقية وحل محلها التبشير النصراني (٣) .

وقد لبث الجماهير المسلمة دعوة شكيب أرسلان ، وانهارت التبرعات إلى صحيفة الفتح لإعانة الدعوة الإسلامية ومؤازرة دعائها في الخارج ، واقترح محب الدين الخطيب أن يخصص جزء من هذه الأموال في إنشاء مكاتب استخبارات إعلامية إسلامية تستقى منها الصحف الإسلامية الأخبار الصادقة عن المسلمين في كل مكان ، وذلك لتحقيق التواصل والتعاون بينهم وكسر احتكار وكالات الأنباء العلمية المغرضة للأخبار والمعلومات وتزويدها للحقائق الخاصة بالمسلمين ، وكذلك اقترح الخطيب صرف جزء من هذه الأموال في إعداد مبشرين بالإسلام على غرار مبشرى النصارى ينداحون في كل مكان من العالم ينشرون دعوة الإسلام الحق (٤) ، فضلا عن ذلك يرى محب الدين الخطيب أن الدعوة الإسلامية في حاجة إلى أربعة أمور :

(١) ، ١٠ ج ، ٢٤ ، صفر ١٣٤١هـ ، أكتوبر ١٩٢٣ م .

(٢) الفتح ، عدد ١٣٠ ، ٢٩ رجب ١٣٤٧هـ ، ١٠ يناير ١٩٢٩ م .

(٣) الفتح ، عدد ١٣١ ، ٦ شعبان ١٣٤٧هـ ، ١٧ يناير ١٩٢٩ م ، وعدد ١٣٢ ، ١٣ شعبان ١٣٤٧هـ ، ٢٤ يناير ١٩٢٩ م .

- ١ - أن يكون لها جمعية ترسم سياسة الدعوة وتدرأ عنها العدوان والشروع .
 - ٢ - أن يكون هناك مؤسسة تعليمية إسلامية تقدم للإسلام دعاة فنيين يقفون حياتهم على الدعوة الإسلامية ، بالإضافة إلى الأزهر ، فإنه وإن كان يخرج علماء في الدين الإسلامى لكن صناعة الدعوة أصبحت فى هذا العصر ذات أساليب لا يكفى لها العلم الإسلامى العام .
 - ٣ - الملاجئ والمستشفيات .
 - ٤ - إيجاد مناعة فى أبناء المسلمين ، ولا يكون ذلك إلا بحمل جميع مدارسنا على جعل الثقافة الإسلامية أساس التعليم والتربية^(١) .
- وواصل حسن البنا هذه الدعوة وكتب سلسلة مقالات بعنوان : « سبيل الدعوة » ، بين فيها أن الدعوة إلى الإسلام أصبحت واجبة على كل مسلم ولاسيما فى هذا العصر الذى سيطرت فيه التعاليم المادية وانتشر فيها الفساد ، وبات الإسلام يحارب من أبنائه ومن أعدائه على السواء ، فهو يحارب من الملحددين ومن المشككين ، ومن دعاة التجديد الكاذب ومن المبشرين الدينيين والسياسيين^(٢) .
- ومن الأمور المهمة التى ركزت عليها الصحافة الإسلامية فى نطاق الدعوة الإسلامية التركيز على بعث التراث الإسلامى من تاريخ وأخلاق وعلوم وسنن ووصايا ، ونبد آثار الاستعمار فى نفوس الأجيال ، ومطاردة معانى الضعف التى طرأت على مفهوم الدين فى عقول العامة وأشباه المثقفين مما لم يكن له أصل فى الإسلام .
- وركز كتاب الصحافة الإسلامية أيضا على نظام الإسلام الاجتماعى الذى أهمله الدعاة والوعاظ ، وركزوا على جانب العبادات فقط ، ودعا محب الدين الخطيب الوعاظ أن يقدموا النصوص المتعلقة بنظام المجتمع وآدابه ، وما ينبغى أن يتحلى به أفراد من خلائق وسجاي وفضائل ولاسيما أوامر القرآن الكريم والرسول ﷺ فى تكوين الأسرة وتوجيهها ، وفى نظام المجتمع وآدابه ومعاملاته وسلوكياته^(٣) .
- ومن الكتاب الإسلاميين الذين برزت جهودهم وإسهاماتهم فى مجال الدعوة الإسلامية أيضا : الشيخ محمد شاكروكيل الجامع الأزهر ، والشيخ أحمد شاكروالقاضى بالمحاكم الشرعية ، ومحمد الخضر حسين ، والشيخ محمد السيد الطويل ، والشيخ عبد الباقي سرور الذى كان من أنشط الكتاب حديثا عن الدعوة الإسلامية ، حيث استعرض

(١) أنور الجندي ، الفتح ، تاريخ الصحافة الإسلامية ، مرجع سابق ، جـ ٢ ، ص ٥٨ .

(٢) الفتح ، عدد ١١١ ، ربيع الأول ١٣٤٧هـ ، ٣٠ أغسطس ١٩٢٨م ، وما بعده .

(٣) أنور الجندي ، الفتح ، تاريخ الصحافة الإسلامية ، مرجع سابق ، جـ ٢ ، ص ٧٢ - ٧٤ .

فى صحيفه « الفتح » تاريخ الدعوة الإسلامية وبعض المواقف المشهورة لرجال الدعوة ، مشيراً إلى أن دعوة الإسلام لم تكن دعوة سياسية يستحل دعائها الكذب والرياء والنفاق والغش والموربة ، واستغواء العواطف ، واستمالة الأهواء ، بل كانت دعوة إلى الحق فى ذاتها وفيما تدعو إليه ، وفى طريق الدعوة التى اعتمد على الحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هى أحسن (١) .

ويذكر الشيخ محمد عبد الباقي سرور أن مجال الدعوة يحتاج إلى مصلحين لا يميلون نحو الجمود على عبارات المؤلفين ومقاصد المصنفين القدماء (٢) ، وطالب بتطوير الفقه الإسلامى حتى يناسب حاجة العصر الحاضر ، وتطوير الكتب الدينية التى لم تتغير عما كان عليه القدماء منذ خمسمائة سنة فالكتب التى كانت تدرس فى الزمن الماضى هى بعينها التى تدرس اليوم (٣) .

وكتب الشيخ محمد الخضر حسين ، سلسلة مقالات فى صحيفه نور الإسلام دعا فيها إلى الاجتهاد فى استنباط الأحكام الشرعية وحدد شرائط الاجتهاد فيما :

١ - العلم بالقرآن ولاسيما آيات الأحكام .

٢ - العلم بسنة رسول الله ﷺ .

٣ - الإلمام بعلوم اللغة العربية .

٤ - العلم بأصول الفقه الإسلامى .

٥ - معرفة مواقع الإجماع والقياس .

٦ - العدالة والاستقامة (٤) .

وكان للصحف الإسلامية عناية بانتشار الإسلام فى الغرب ، وأشارت إلى بعض الذين ناقشوا الإسلام من كتّاب الغرب ، ومن دخلوا فيه ، وعرضت لبعض المستشرقين وكتاباتهم ، وأولت اهتماما واسعا بالجماعات الإسلامية وأنشطتها ، ودعت إلى تعاونها من أجل خدمة الإسلام والأجيال المقبلة ، وأشارت إلى الجمعيات الإسلامية العاملة لخدمة الإسلام ، مثل جمعية الحضارة الإسلامية ، وجمعية الهداية الإسلامية ، وجمعية مكارم الأخلاق الإسلامية ، وجمعية الإخوان المسلمين ، وجمعية شباب محمد ، وجمعية نشر الفضائل الإسلامية ، وجمعية الجهاد الإسلامى ، وجمعية أنصار الإيمان

(١) الفتح ، عدد ١٩ ، محرم ١٣٤٥هـ ، يوليو ١٩٢٦ م .

(٢) الفتح ، عدد ٥٩ ، ٢٨ صفر ١٣٤٦هـ ، ٢٥ أغسطس ١٩٢٧ م .

(٣) الفتح ، عدد ٦٠ ، ٥ ربيع الأول ١٣٤٦هـ ، أول سبتمبر ١٩٢٧ م .

(٤) الهداية الإسلامية ، ج ١ ، م ١ ، محرم ١٣٤٩هـ .

الإسلامية ، هذا فضلا عن الجمعيات الإسلامية في البلاد الإسلامية كالجمعية المحمدية في جاكارتا والهند وجاوة ، وجمعية شباب محمد في باريس ، وتابعت الصحف الإسلامية أيضا المؤتمرات الإسلامية التي تعقد في الخارج .

ونوه رشيد رضا بالرابطة الإسلامية التي تألفت في سويسرا برئاسة سمو الخديو عباس حلمي الثاني وسكرتيرها السيد ضياء الدين طبطائي ، وكانت غاياتها :

١ - العمل على استدامة الوثام بين مختلف عناصر العالم الإسلامي .

٢ - إنشاء مركز تعاون فكري بين علماء الإسلام وجامعاته ومعاهده .

٣ - السهر على الاحتفاظ بأوضاع الطوائف الإسلامية حينما توجد .

٤ - إعانة أعمال البر والمؤسسات الاجتماعية الإسلامية .

٥ - إطلاع غير المسلمين على الأحوال الصحيحة لعلوم الإسلام ومذاهبه^(١) .

وتحدثت الفتح عن المؤتمر الإسلامي الذي عقد في جنيف بدعوة من محمود بك سالم ، وشكلت لجنة التحضير من ركي إكرام ، وعلى الغياتي ، والدكتور ركي على ، وقد قصد المؤتمر إلى :

١ - إجراء تعارف واسع بين رجالات المسلمين في أوروبا لتثبيت دعائم المحبة وتوطيد روابط الإخاء فيما بينهم .

٢ - البحث فيما يتعلق بالأمور الإسلامية العامة ، واتخاذ ما يجب من التدابير الفعالة لاتحادهم ورقبهم من حيث الأمور العلمية والاجتماعية والتجارية والاقتصادية .

٣ - السعى لترقية مستوى المسلم الأوربي بإدخال ما يجب من الإصلاحات على برامج تعليمه من العلوم الحديثة والتوفيق بينهما وبينها الأصول الإسلامية^(٢) .

وحفلت الصحافة الإسلامية بمقالات عن أحوال الطوائف الإسلامية ، في بلاد جنوب إفريقيا وآسيا وغيرها من بلاد الإسلام ، وكانت أخبار العالم الإسلامي تمثل صفحات كثيرة من الصحف الإسلامية ، وقد تحدثت عن حكم الأئمة في اليمن ، وعن الثورة في إيران ، وأخبار الحكم في نجد والحجاز وأخبار الحبشة والشام وبلاد المغرب العربي ، وأخبار الإسلام في بلاد الصين والهند وتركيا ويوغسلافيا وروسيا وفي كل مكان من العالم الإسلامي .

وكانت الصحف الإسلامية في مصر معرضا لكتابات المفكرين المسلمين من جميع

(١) المنار ، جـ ٣ ، م ٣٢ ، ذو القعدة ١٣٥٠هـ ، مارس ١٩٣٢م .

(٢) أنور الجندي ، الفتح ، تاريخ الصحافة الإسلامية ، مرجع سابق ، جـ ٢ ، ص ٤٠٩ .

البلاد الإسلامية ، وقد ظهرت أسماء كثيرة من كتاب هذه البلاد على صفحات هذه الصحف مثل : عبد الرشيد إبراهيم من « زنجبار » ، وعبد الله بن نوح من « أندونيسيا » ، وشكيب أرسلان من « جنيف » ، والدكتور زكي على ، ومصطفى صبرى شيخ الإسلام من تركيا ، وسليمان الندوى ومسعود غانم الندوى ، ومحمد تقى الدين الهلالى ، وعبد العليم صديقى من الهند ، وعمر الحريرى من باريس ، وعمر الدسوقي من لندن ، ومصطفى السباعى وعلى الطنطاوى من سوريا ، وعجاج نويهض من فلسطين ، وعجاج نور أحمد من بيروت ، وبهجت الأثرى من العراق ، ومحمد بسيونى من جاوة ، ومحمد حبيب العبدى مفتى الموصل ، وغيرهم .

وحفلت الصحف الإسلامية بالمقالات والمواضيع التى تدعو إلى التمسك بالشرعية الإسلامية والدفاع عن القرآن الكريم وسنة النبى ﷺ ، وبيان أن الناس فى حاجة ماسة إلى معرفة ما جاء به الرسول ﷺ ، والقيام به والدعوة إليه ، وأنه ليس للعالم صلاح بدون ذلك ، مستلهمة فى دعوتها تاريخ الأمم الإسلامية أيام اعتصامها بحبل الدين والقرآن الذى احتوى على شرائع الإسلام الظاهرة وحقائق الإيمان الباطنة^(١) ، وبحث هذه الصحف فى أسباب تخلف المسلمين ووسائل ارتقاؤهم وخلصت إلى أن أسباب تأخر المسلمين فيما يلى :

- ١ - الاستبداد والتعصب المخالف لروح الإسلام .
- ٢ - انتشار الخرافات والجهل .
- ٣ - الاعتقاد بالقضاء والقدر على أنهما إجبار ، الأمر الذى سبب الركود العام فى الفكر وعاق التقدم السياسى والاقتصادى للدول الإسلامية^(٢) .
- ٤ - إهمال المسلمين للقرآن الكريم الذى ساد به سلفهم .
- ٥ - فقد المسلمين الحماسة التى كانت عند آبائهم فى الوقت الذى تخلق بها أعداء الإسلام .
- ٦ - عدم التعاون بين المسلمين وعدم تناصرهم .
- ٧ - موالاة بعض المسلمين لأعدائهم على أنفسهم ، وخيانة بعض المسلمين لدينهم ووطنهم .

(١) المنار ، ج ٥ ، م ٣٥ ، يوليو ١٩٣٩ م ، مقال بعنوان : « ما أحوجنا فى هذا الزمان إلى هداية القرآن » .
 (٢) المنار ، ج ٥ ، م ٣١ ، رجب ١٣٤٩ هـ ، ديسمبر ١٩٣٠ م ، وج ٦ م ٣١ ، شعبان ١٣٤٩ هـ ، ديسمبر ١٩٣٠ م .

٨ - الجمود على القديم وعدم الاجتهاد ، ظنا منهم أن الاقتداء بالكفر كفر ، وأن نظام التعليم الحديث من نظام الكفار فلا ينبغي الأخذ عنهم^(١) .

وقد نعت الصحف الإسلامية على العلماء تواكلهم وتقصيرهم عن النهوض بواجب الدعوة الإسلامية ، وتصحيح المفاهيم الخاطئة عن الإسلام وتشريعاته وأحكامه ، الأمر الذى أدى إلى حدوث خلل فى مسار الدعوة ، وإلى تولى مهام الدولة المصرية لطائفة المجددين والعلمانيين التى أوجدت فى صفوف المسلمين ثغورا للإخلال بعقائدهم والتفريق بين جماعاتهم ، ووجهت صحيفة « الفتح » دعوة إلى علماء الإسلام فى مصر والعالم الإسلامى فى مشارق الأرض ومغاربها أن يدافعوا عن الإسلام ، ويتركوا التناؤد والاختلاف فيما بينهم^(٢) .

وحينما ألف أحد الهنود الوثنيين كتابا بعنوان : « الرسول الكذاب » ناشد محب الدين الخطيب علماء الهند المسلمين أن يعملوا على إيجاد تشكيلات للدعوة الإسلامية ، وأن يهبوا للدفاع عن حوزة الإسلام ، وإظهار هذا الدين بمظهره الحقيقى فى المؤلفات العصرية المقبولة لدى النشء وفى المجلات العلمية التى يكون لها من مساعيهم ومجهوداتهم مكان وسلطان ، وفى الصحافة الإسلامية اليومية التى يكون صوتها عاليا ، فلا تطغى عليه أصوات الطغاة والمشائين وذوى الأغراض الهابطة^(٣) .

وزخرت الصحف الإسلامية بالمقالات التى تدعو إلى إزالة الفوارق بين المذاهب الإسلامية ، وإزالة العداوة والبغضاء بين أهل السنة والشيعة ، وسعت سعيها حيثا للتقريب بينهم ، وكثيرا ما كنت تنشر وجهة نظر علمائهم ، والرد عليها ، واشتهرت فى ذلك صحيفة المنار التى أفسحت صدر صفحاتها لرسائل علماء الشيعة من أمثال السيد عيد الحسين نور الدين ، ومحمد الحسين الكاشف ، وحاول رشيد رضا الرد عليها وتصحيح ما جاء فيها ، وكان الهدف من ذلك توحيد كلمة المسلمين وضمهم تحت لواء واحد ، وذلك عن طريق سعى عقلاء العلماء من كلتا الطائفتين (السنة والشيعة) إلى محل الخلاف ومناقشته وإزالته بالبرهان والحجة ، وإصغاء كل منهما لحجة الآخر ، وتحكيم أهل الفضل والإنصاف^(٤) .

(١) سلسلة مقالات كتبها المفكر الإسلامى شكيب أرسلان بعنوان : « أسباب تقدم المسلمين وتخلف غيرهم » ، ثم جمعت بعد ذلك فى كتاب سعى بنفس العنوان . انظر أيضا مقالا بعنوان : « القدر » للدكتور يحيى الدرديرى . صحيفة الشبان المسلمين ، ج ١ م ٦ ، جمادى الثانية ١٣٥٣هـ ، أكتوبر ١٩٣٤م .

(٢) الفتح ، عدد ٥٤ ، ٢٢ محرم ١٣٤٦هـ ، ٢١ يوليو ١٩٢٧م .

(٣) الفتح ، عدد ٥٦ ، ٧ صفر ١٣٤٧هـ ، ٤ أغسطس ١٩٢٧م .

(٤) المنار ، ج ١ م ٣٢ ، ذو الحجة ١٣٥٠هـ ، أكتوبر ١٩٣١م .

وفى ضوء ما سبق نستطيع أن نقدم أبرز المعطيات التى قدمتها صحافة الاتجاه الإسلامى فى تفيقه وإرشاد القراء فى السطور التالية :

١ - زخرت صحافة الاتجاه الإسلامى بالمقالات والخطب والقصائد والمحاضرات العلمية فى الثقافة الإسلامية والتاريخ الإسلامى والفكر الإسلامى ، والمقالات الإرشادية التى تدعو إلى ترك المنكرات ، والتمسك بدين الله وأوامر شرعه ، وسنن نبيه ، وتنعى على المسلمين جهلهم بأمور دينهم ، وتفريطهم فيما جاء به رسول الله ﷺ ، واندفاعهم فى تقليد الغربيين فى غير تبصر .

٢ - عنيت بتقريب المطبوعات الجديدة والتعريف بالكتب التى تخرجها المطابع ولاسيما ما يخص منها الشؤون الإسلامية والفكرية ، وأولت اهتماما بالغا بكتب التراث وفى مقدمتها كتب السنة النبوية والتاريخ الإسلامى ، وتاريخ علماء الإسلام على اختلاف مشاربهم ، وتباعد أوطانهم .

٣ - اهتمت بالدفاع عن القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ، وحاربت كل ما من شأنه أن يمس العقيدة الإسلامية ، وتشريعات الإسلام ، واتفق معظم كتاب الصحافة الإسلامية على عدم استطاعة نقل القرآن بنصه إلى لغة أخرى مهما بلغت من العظمة والجلال ؛ لأن الرسول لم يفعل ذلك ، ولأن اللغة العربية امتازت ببساطة الألفاظ وكثرة المجازات والكنيات ، وقد يحمل اللفظ فيها معنى عبارات كاملة ، وقد اكتسبت بنزول القرآن صفة القداسة وصارت آيات القرآن إلهية لا يستطيع بشر مهما أوتى من العلم والبيان أن يعبر عنها بلغة إنجليزية أو فرنسية أو غيرها .

٤ - ودعت تلك الصحف إلى الاهتمام بكتب السنة الصحيحة وإنشاء جمعية دينية لهذا الغرض يكون مركزها مصر وتصدت للدعوة التى تنكر الأحاديث النبوية وعدم الاعتماد عليها فى التشريع ، وعملت على حفظ كتب السنة وأحاديث رسول الله ﷺ من العبث والتخريب .

٥ - وكانت الصحف الإسلامية تنتهز فرصة حلول المناسبات الدينية كذكرى الهجرة والمولد النبوى ، وشهر رمضان وغير ذلك وتقوم بنشر المقالات والموضوعات التى تخص هذه المناسبات ، وكانت تعالج فيها الفساد الدينى والاجتماعى والخلقى ، وتوضح فضل الإسلام على العالم كله ، وتعرف المسلم بتاريخ الإسلام وحوادثه وقادته ، وتدعوه إلى مقاومة أعداء الأمة الإسلامية .

٦ - تعد الفتاوى التى كانت تبثها الصحف الإسلامية بين حين وآخر رافدا من روافد التثقيف الدينى ، وحل المسائل العصرية التى لها علاقة بالدين وتخص حياة المسلمين .

٧ - وحفلت الصحف الإسلامية بالمقالات التي توضح أهمية الوعظ الإسلامي وكيفية الدعاية للإسلام في داخل وخارج الديار الإسلامية ، وأصول الدعوة الإسلامية ومقاصدها ومتابعة المؤتمرات الخاصة بالدعوة الإسلامية في كل مكان ، وتقويم الوعاظ ، وبيان ضرورة تبليغ الدعوة الإسلامية في الدول الأوروبية وتوظيف أموال الزكاة أو جزء منها في سبيل الدعاية الإسلامية ، وإنشاء مكاتب استخبارات إعلامية إسلامية في الدول الأجنبية تستقى منها الصحف الإسلامية أخبارها .

٨ - وكان للصحف الإسلامية عناية بانتشار الإسلام في الغرب ، ومتابعة أخبار الطوائف الإسلامية في العالم ، وكانت أخبار العالم الإسلامي تمثل صفحات كثيرة منها .

٩ - دعت إلى تعاون الجماعات الإسلامية العاملة لخدمة الإسلام ، وتابعت أنشطتها وجهودها في نشر الدعوة الإسلامية .

١٠ - وكانت الصحف الإسلامية في مصر معرضا للكتاب والمفكرين المسلمين من جميع البلاد الإسلامية وحفلت بالمقالات التي تدعو إلى التمسك بالشرعية الإسلامية ، وإزالة الفوارق بين مختلف المذاهب الإسلامية والتقريب بينها في ضوء تعاليم الإسلام الصحيحة .

١١ - ومن الكتاب الإسلاميين الذين برزت جهودهم في حقل الدعوة الإسلامية : الشيخ حسن البنا ، ورشيد رضا ، ومحب الدين الخطيب ، والشيخ محمد الخضر حسين ، ود. يحيى الدرديري ، والشيخ محمد شاکر ، وأحمد شاکر ، والشيخ محمد السيد الطويل ، والشيخ عبد الباقي سرور ، والمفكر الإسلامي شكيب أرسلان ، والشيخ محمد مصطفى المراغي ، والشيخ محمد عبد العزيز الخولي ، والشيخ محمد عبد السلام القباني ، ومحمد فريد وجدى ، وحامد عسكرية ، ومحمد زهران .

الفصل السادس

دور صحافة الاتجاه الإسلامى فى محاربة المذاهب المنحرفة الهدامة

نتابع فى هذا الفصل إسهامات الصحافة الإسلامية فى معالجة الفكر الشاذ والمنحرف عن جادة الصواب كأفكار بعض المتصوفة والمبتدعين فى الإسلام والدعوات المسمومة التى تريد النيل من الإسلام مثل البهائية والقاديانية وغيرها ، ونقدم هنا معطيات الصحافة الإسلامية ، وآراء كتابها عن غايات وأهداف تلك الدعوات وخطورتها على الفكر الإسلامى والمسلمين .

الصوفية :

يقال : إن كلمة « صوفى » من الصفاء أو الصفو ، وذهب آخرون إلى أن الكلمة منسوبة إلى الصُّفَّة وهى الناحية المسقوفة من المسجد الذى كان يأوى إليها جماعة من فقراء المهاجرين فى أول الإسلام يعبدون الله فيها^(١) . ولكن ينفى الشيخ الخضر حسين أنها مأخوذة من الصفة ، وقال : إن هذا الوجه لا يوافق قاعدة النسب فى اللغة ، فإنها تقتضى أن يقال فى النسب لصفة : صفية لا صوفية^(٢) .

وقيل : إن كلمة صوفى نسبة إلى الصف الأول ، ويذهب بعض مؤرخى الإسلام فى معنى التصوف إلى القول بأن أول من انفرد فى الإسلام بخدمة الله عند المسجد الحرام رجل يقال له : صوفة واسمه الغوث بن مروان ، وسمى الغوث صوفة لأن أمه جعلت فى رأسه صوفة وجعلته ربيطا بالكعبة يخدمها^(٣) .

وذهب ابن الجوزى وآخرون إلى أن الصوفية نسبة إلى صوفة تشبيها لهؤلاء الزهاد المتصوفين بأل صوفة ، وهم قوم كانوا يخدمون الكعبة فى الجاهلية ويتنسكون ، والأقرب أنهم تسموا بالصوفية لأنهم كانوا يؤثرون لبس الصوف تجنباً للبس الفاخر من الثياب^(٤) .

ويقول فريق من العلماء : إن كلمة صوفية دخيلة على الإسلام فبرون الإنجليزى

(١) الأزر ، ج ٢ ، م ٩ ، ربيع الآخر ١٣٥٧هـ ، وتاريخ التصوف الإسلامى وتأثره بالفلسفة : عبد الحميد سامى البارودى .

(٢) الهداية الإسلامية ، ج ٥ ، م ١ ، شوال ١٣٤٧هـ ، محاضرة فى التصوف ألقاها الشيخ محمد الخضر حسين فى نادى جمعية مكارم الأخلاق الإسلامية ٢٨ شعبان ١٣٤٧هـ .

(٣) مجلة الأزر ، ج ٤ ، م ٩ ، ربيع الآخر ١٣٥٧هـ .

(٤) الهداية الإسلامية ، ج ٥ ، م ١ ، شوال ١٣٤٧هـ .

يقول : « إن أصل الكلمة فارسية من باشمينا بوش ومعناها لابسو الصوف » .

ويقول الدكتور ترومب : « إن كلمة الصوفية دخيلة على الإسلام من الهند » ، ويقول صاحب كتاب « اللمع » : « إن الصوفية كلمة جاهلية واسم مبتدع لم يعرفه الصحابة ولا التابعون » ، ويقول فريق من كتاب العصر الحديث : « إن كلمة التصوف ليست عربية ولا فارسية ولا هندية وإنما هي كلمة يونانية من صوفيا ومعناه الحكمة ، وهي كلمة متداولة بهذا المعنى بين اللغات الأوربية إلى اليوم »^(١) .

ويقول ابن خلدون في مقدمته : « التصوف من العلوم الشرعية الحادثة في الملة ، وأصلها العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله تعالى والإعراض عن زخرف الحياة الدنيا وزينتها . . . والانفراد عن الخلق في الخلوة للعبادة ، وكان ذلك عاما في الصحابة السلف ، فلما نشأ الإقبال على الدنيا في القرن الثاني وما بعده ، وجنح الناس إلى مخالطة الدنيا اختص المقبلون على العبادة باسم الصوفية والمتصوفة » .

وأما محمد فريد وجدي فيخالف هذا الرأي في دائرة معارفه حيث يشير إلى أن التصوف موجود منذ ألوف السنين ، فهو يقول في معنى الصوفية : « إن التصوف هو مذهب كان الغرض منه تصفية القلب من غير الله والصعود بالروح إلى عالم التقديس بإخلاص العبودية للخالق والتجرد عما سواه ، وهذا قديم كقدم النزعة نفسها التي أوجدته ، فإن الإنسان منذ ألوف السنين أدرك أنه خلف هذه الغلف الجسدية سرا مكنونا ، فنشأ هذا المذهب وهو معروف في الهند والصين منذ ألوف السنين »^(٢) .

والتصوف بدأ على صورته البسيطة منذ الصدر الأول للإسلام ، فلو حظ على كثير من الصحابة والتابعين ميلهم إلى الزهد ، وإعراضهم عن الدنيا ، ولم تطلق كلمة الصوفية على جماعتهم إلا في أواخر القرن الثاني للهجرة ، غير أنه ظهر بعد ذلك بجانب المتصوفة قوم خلطوا التصوف بشيء من أصول الفلسفة الشرفية والديانية الفارسية ، فأخذ هذا التصوف هيئة غير الهيئة التي عرف بها الزهاد والوعاظ في صدر الإسلام ، وشاع الغلو في الزهد والتواكل ، واتصل بالتصوف بعض البدع العملية كالرقص في حال الذكر وكاستعمال الآلات المطربة في المساجد ، وظهر من ناحية الصوفية تأويل بعض الآيات والأحاديث على وجوه توافق أذواقهم ومواجيدهم ، وارتكبوا من التأويل ما يخالف العقل واللغة وتنكره الشريعة ، وكان من المنتسبين إلى التصوف من يذهب إلى القول بوحدة الوجود ، أي أن الله يحل في بعض مخلوقاته ، وأول من قال بها : يزيد البسطامي ، ثم جاء الجنيد والحلاج في القرن الثالث من الهجرة فنادا بها ، وقال الحلاج :

(١ ، ٢) الأهر ، ج ٤ ، م ٩ ، ربيع الآخر ١٣٥٧ هـ .

« ما فى الجبة إلا الله » ، ومن أجل هذه المقالة أفتى الفقهاء والصوفية المستقيمون بخروجه عن الإسلام وقتل فى خلافة المقتدر سنة ٣٠١هـ (١) .

وبالرغم من أن القرآن لا يشير إلى هذه النظرية مطلقا بعبارة صريحة ، إلا أن أنصارها يشيرون إلى بعض الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التى نستطيع أن نذكر منها قوله تعالى : ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴾ [ق] ، وقوله عز وجل فى الحديث القدسى : « ما زال العبد يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحبته كنت سمعه الذى يسمع به ، وبصره الذى يبصر به » ، وقد اتخذ الزنادقة أمثال هذه الآراء الزائفة ذريعة لإفساد عقائد المسلمين ودينهم ، ولبس الزنادقة لباس الزهاد والوعاظ وحاربوا الإسلام من طريق التأويل ، وحاربوه أيضا من طريق ما يسميه الصوفية حالا وذوقا (٢) .

والحقيقة أن التصوف هو الزهد والإعراض عن الدنيا وأخذ النفس بأسلوب يطهرها من أدرانها ، ويصقلها فيرقى بها فى مدارج الكمال الإنسانى حتى يكون المسلم أداة نافعة لنفسه وذويه وللمجتمع ، وعلى هذه الأسس نشأت فكرة الصوفية ، وهى فكرة يقرها الإسلام ويبحث عليها لأنها بهذا الأسلوب أساس لكل إصلاح ، وقد عمل بهذا الأسلوب رجال أوتوا مقدرة على التربية والتوجيه ، ومن هنا تأسست الطرق الصوفية ، ولكل طريقة شيخ ومريدون وأتباع وتلاميذ يأخذون عنه ، غير أنه مع التخليف والانحطاط اللذين أصابا المجتمعات الإسلامية أخذ بعض مشايخ الطرق فى الانحراف باتباعهم عن الطريق السوى ، واتخذ التصوف وسيلة للارتزاق وجمع المال والتسلط على الناس ، وكسب الصيت والشهرة (٣) .

وقد استحدثت هذه الطرق الصوفية فى مصر بدعا لم تكن فى ذهن واضعى هذه الطرق ، الأمر الذى جعلها تتعرض لموجة من الهجوم والسخط والاستياء من قادة الفكر الإسلامى وكتاب الصحافة الإسلامية على وجه الخصوص .

ويلاحظ أن موجة السخط والهجوم على الصوفية بدأها الشيخ محمد عبده منذ عام ١٨٨٠م ، حيث هاجم مشايخ الطرق وأتباعهم ، وما يفعلونه من مخالفة فى موالد الأولياء والصالحين ، وصور ما يصحب الأذكار من الطبول وهياج الذاكرين والمشعوذين ، الذين يهيمنون هيام من أصابه مس ، ويتجردون من ثيابهم ويأتون أعمالا بعيدة عن الدين

(١) مجلة الهداية الإسلامية ، ج ٥ ، م ١ ، شوال ١٣٤٧هـ ، الأزهر ، ج ٤ ، م ٩ ، ربيع الآخر ١٣٥٧هـ .
رفض الغزالي فى كتاب الإحياء نظرية وحدة الوجود وقال : إن اتحاد العبد مع الرب قضية منقوصة عقلا وغير مقبولة نقلا .

(٢) الهداية الإسلامية ، ج ٥ ، م ١ ، شوال ١٣٤٧هـ ، الأزهر ، ج ٤ ، م ٩ ، ربيع الآخر ١٣٥٧هـ .

(٣) محمود عبد الحليم : الإخوان المسلمون ، أحداث صنعت التاريخ ، مرجع سابق ، ج ١ ، ص ١٣٦ .

الإسلامى كاكل النار والزجاج ، وغير ذلك من المظاهر السلبية التى تحدث فى الموالد ولا تليق بعظمة الدين الإسلامى^(١) .

ثم تابع رشيد رضا أستاذه الإمام فى محاربة شواذ الصوفية ، وكان للمنار - فضلا عن الصحف الإسلامية الأخرى - جولات وصولات ضد ما ابتدعته الصوفية فى الدين كالأذكار المحرفة والهزة والتمايل والإنشاد فى الذكر ، وليس الخرق والأسمار والرايات والذكر بمثل (أنا أنت وأنت أنا) ، والتحدث بين العامة بعبارات الصوفية الغامضة والساذجة خلال الذكر ، وفيما يقع من أرباب الطرق أثناء ذهابهم إلى بعض الأضرحة أو البيوت لإقامة حفلة من رفع الأصوات فى الطرق العامة بالأذكار المحرفة والصلوات المبدلة والفواتح المتعددة ، وفيما يسمى بزفة الرفاعى واليومي والحسين والبدوى والدسوقى وغير ذلك^(٢) .

ولكن لا ينكر أن بعض رعماء هذه الطرق رجال علم وفضل يقومون بالإرشاد والتعليم ، غير أنه لا يزال فى بعض هذه الطرق بقية من المحدثات الدخيلة فى الإسلام على جهالة ، ولا يزال كثير من أصحابها يتناقلون عبارات مفسوسة فى التصوف على سوء نية ، ولبعض هذه الطرق مظاهر تنكرها العقول وتمجها الأذواق ، وقد يحسبها من لا يعرف الإسلام أن لها صلة بالعبادات المشروعة فى الإسلام .

وقد أشار رشيد رضا إلى انحراف التصوف عن غايته الحقيقية ، وهى : رياضة النفس وتربية الإرادة ، والأخذ بالعزائم ، ومحاسبة النفس ، وحسن النية ، والمبالغة فى العبادة . وسرى إلى المتصوفة كثير من بدع الهنود والصينيين واليونان وضلالتهم وشعائهم وشعاراتهم كالسبح والأعلام والرايات حتى أنهم أخذوا عنهم فلسفة وحدة الوجود ، فضلا عما بثه الباطنيون فى التصوف من ضلالات أخرى كالتأويل البعيد للآيات والأحاديث والطاعة العمياء لأوامر شيوخ الطرق^(٣) .

وقد برر من خلال متابعة الصحف الإسلامية خطورة ما تحويه كتب الصوفية من مخالفات وخرافات بعيدة عن حقائق الإسلام وتعاليمه الصحيحة التى جاء بها القرآن والسنة النبوية المباركة ، وذلك كإسناد المعجزات لمشايخ الطرق ، وطرح عليهم صفات الألوهية والنبوة ، ففى بعض كتب الرفاعية : أن الشيخ أحمد الرفاعى كان يفقر ويغنى ، ويسعد ويشقى ، ويميت ويحيى ، وغير ذلك من الصفات الخاصة بالمولى عز وجل ، وأن

(١) زكريا سليمان يومى : الإخوان المسلمون والجماعات الإسلامية فى الحياة السياسية المصرية (١٩٢٨ - ١٩٤٨م) ، مرجع سابق ، ص ٢٧٠ .

(٢) المنار ، ج ٦ ، م ٢٧ ، المحرم ١٣٤٥هـ ، أغسطس ١٩٢٦م .

(٣) المنار ، ج ٣ ، م ٢٢ ، رجب ١٣٤٠هـ ، مارس ١٩٢٢م .

الرفاعى وعده الله بأن من لمسه لا تحرقه النار فى الدنيا ولا فى الآخرة ، وأن هذا له ولمريديه وأتباعه إلى يوم القيامة (١) .

ويلاحظ أن هذه المفاهيم لا تزال تتردد بين العامة من الناس ، وتوزع فى كتيبات تطبعها بعض دور النشر لتروج فى المناسبات الصوفية كالاحتفال بمولد الحسين والسيدة زينب وأحمد البدوى والقناوى والشافعى وغيرهم ، وباتت تلك المفاهيم عقيدة راسخة لدى هؤلاء الذين لم يحصلوا على قدر كاف من الثقافة الدينية ويتصدرون لقيادة بعض الطرق الصوفية ويثبونها إلى أتباعهم ومريديهم .

ويشير الشيخ محمد الخضر حسين إلى أن كثيرا من مؤلفات الصوفية وكتاباتهم مليئة بالأحاديث الموضوعة والقصص المزعومة والآراء التى لا تستند إلى أصول معقولة ، وكان لهذه الكتب الأثر السيئ فى نفوس الأجيال المسلمة ، واتخذها بعض أعداء الإسلام وسيلة للظعن فى علماء الإسلام ، ونسبوا هذه الكتب إليهم ليضعفوا من شأنهم ، ويقللوا من منزلتهم أمام رأى العام الأجنبى (٢) .

وقد عزا رشيد رضا تخلف المسلمين إلى تلك المعتقدات التى تنشرها الصوفية وتروجها بين الناس قائلا : « ولقد أثرت هذه الآراء الصوفية فى عقلية المسلمين حتى أن الألوف منهم باتوا لا يعنون أقل عناية بشؤون أمتهم العامة ولا بشؤون أنفسهم الصحية ولا الدينية ولا الاجتماعية إلا ما تقتضيه الضرورة والعادة من القيام بضروريات المعاش والقناعة منه بأخسه . . . لأن كل ما عدا ذلك موكول إلى أولئك الأقطاب الأربعة فإذا وقع أحدهم فى شدة أو مرض أو حاجة استغاث بأحد الأقطاب الأربعة أو أعوانه وجنده من مشايخ الطرق الصوفية لينقذه من شدته ، أو يشفيه هو أو ولده من مرضه أو ينتقم له من عدوه » (٣) .

وهذا فيه مخالفة ظاهرة وجلية لأوامر الدين الحنيف الذى يحرم أن يستغيث أحد إلا بالله ولا يطلب إلا من الله ، ولا يسأل غير الله ، قال تعالى : ﴿ وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنْ الظَّالِمِينَ ﴾ [يونس] .

ومن جهة أخرى ، فإن هذا الاعتقاد فى الأولياء ينتج عنه شقاء الأمة وتخلفها فى دينها ودنياها ، فلا تواكب ركب التقدم العلمى المدهل فى شتى جوانبه ، فضلا عن ذلك فلم يرو لنا أصحاب الكتب الصحيحة ولا السنن أن الصحابة كانوا يدعون النبى ﷺ عند قبره الشريف ولا عند اشتداد الخطوب فى الحروب ولا فى حالة المرض لأجل النصر

(١) المنار ، جـ ٧ ، م ٢٤ ، ذ القعدة ١٣٤١هـ ، يوليو ١٩٢٣ م .

(٢) نور الإسلام ، جـ ٢ ، م ١ ، صفر ١٣٤٩هـ ، مقال بعنوان : « الانحراف عن الدين » للشيخ محمد الخضر

حسين ، والإخوان المسلمون ، عدد ٣٦ ، ١٩ محرم ١٣٥٣هـ .

(٣) المنار ، جـ ٧ ، م ٢٤ ، ذ القعدة ١٣٤١هـ ، يوليو ١٩٢٣ م .

والشفاء ، ولا روى لنا التاريخ ذلك عن التابعين ولاتابعيهم من علماء الأمصار كأئمة الفقه الأربعة ، وأئمة آل البيت النبوى رضى الله عنهم أجمعين ، بل كانوا ينوطون الأشياء بأسبابها .

ويتعجب رشيد رضا لأمر هؤلاء المتصوفة ، إذ كيف يصح أن يكون أولياء الله الأحياء والأموات يتولون قضاء حاجات المسلمين ودفع المضار عنهم وجلب المنافع لهم ، ونحن نرى المسلمين أسوأ حال من سائر الأمم ولا سيما الإفرنج فى صحتهم وسعة عيشهم وتقدم عمرانهم ، رغم أنهم لا يصدقون بقدرة الأولياء على التصرف فى أمور الكون والحياة^(١) .

ويقسم رشيد رضا الصوفية إلى ثلاث فرق : صوفية الأرزاق ، وصوفية الرسوم ، وصوفية الحقائق ، ثم يتقد كل فرقة من هؤلاء ، فالفرقة الأولى والثانية ابتدعا فى الدين ما ليس فيه ، أما صوفية الحقائق فهم علماء وحكماء ، غير أن رشيد رضا يذهب إلى أنه قد ضل بما دخل فى الإسلام من باب فلسفتهم الروحية أضعاف من ضل بما دخل على المتكلمين وغيرهم من باب الفلسفة العقلية ، وسبب ذلك يرجع فى رعمه إلى جهل شيوخهم بالسنة النبوية فمن أصول الضلالة التى دخلت على المسلمين من باب التصوف المقابلة بين الحقيقة والشرعية ، وجعل الأمر القدرى كالأمر الشرعى فى كل منهما يجب الرضا به والاستسلام له ، والرضا بعدم مقاومة الأمراض والظلم وهضم حقوق الأفراد والأمة ، فضلا عما ابتدعوه من الأذكار والأوراد وتعظيم القبور وجعله من شرائع الإسلام ، ودعواهم أن للدين ظاهرا وباطنا مخالفا لما يفهمه جمهور العلماء منه وما جرى عليه السلف الصالح ، وتأويل الآيات القرآنية والأحاديث النبوية إلى ما يوافق أهواءهم ، والخروج باللفظ عن حقيقته إلى ضرب من ضروب المجاز والكناية ، ويزيدون على ذلك باب الكشف والإلهام والإشارة والرموز^(٢) .

ويرى الشيخ حسن البنا أن التصوف قسمان :

١ - تصوف دينى إسلامى ، يستمد أصوله من الكتاب والسنة . وأعلن أن التصوف بهذا المعنى من لباب الإسلام ، وأن الصوفية الصادقين من خيار رجاله الذين عملوا على نشره وإعزازه وتربية النفوس على مبادئه بطرق لم يسبق إليها غيرهم من الفلاسفة والمربين .

(١) المنار ، ج ٧ ، م ٢٤ ، ذو القعدة ١٣٤١هـ ، يوليو ١٩٢٣ م .

(٢) المنار ، ج ١ ، م ١٩ ، شوال ١٣٣٤هـ ، يوليو ١٩١٦ م .

٢ - تصوف فلسفى عقلى ، تستمد أصوله وقواعده من نظريات الفلاسفة وأحكامهم على العوالم والنفوس^(١) ، وأشار حسن البنا إلى أن التصوف بهذا المعنى أمر فلسفى عقلى لا صلة له بالإسلام البتة ولم يكن على عهد السلف الصالح ، ولم يتكلم فيه كبار الصوفية وإنما هو علم أوجده اتساع العلوم وترجمة كتب الأمم واختلاط قواعد علومها بعلوم الإسلام^(٢) .

وأنكر الشيخ حسن البنا إطلاق كلمة تصوف أو صوفى على كل من ظهرت عليه علامات التقشف ورثاة الثياب وعدم العناية بنظافة الجسم ، أو كل من ظهرت عليه دلائل البله بشؤون الحياة ، أو كل من تكاسل عن أداء الفرائض الدينية ، وارتكب المخالفات وادعى لذلك أعذار مجهولة كأن يصلى فى الكعبة ، أو أنه ينظر فى اللوح المحفوظ ، أو أنه وصل إلى درجة رفع عنه التكليف ، أو أن حقائق الأشياء تنقلب له فيصير الخمر ماء إلى غير ذلك من المزاعم التى ينسبها الصوفيون لبعض شيوخهم^(٣) .

وقد أدت الصحف الإسلامية دورا كبيرا فى محاربة بدع الصوفية ، وتصحيح بعض المفاهيم المغلوطة والشائعة عند الصوفية كدعوى بعض مشايخ الطرق التلقى عن النبى ﷺ ، وإسناد بعض الأحاديث المختلفة من عندهم إليه بدعوى أنهم أهل كشف^(٤) .

وما قاله الإدريسى فى أوراده : « إني اجتمعت بالنبى ﷺ اجتماعا صوريا ومعه الخضر حسين ، فأمر النبى الخضر أن يلقتنى أوراد الطريقة الشاذلية فلقنيها بحضرته ، ثم قال : يا خضر ، لفته ما كان جامعا لسائر الأذكار والصلوات والاستغفار وأفضل ثوبا وأكثر عددا . فقال : أى شئ هو يا رسول الله ؟ فقال : قل : لا إله إلا الله محمد رسول الله فى كل لمحة ونَفَس ، عدد ما وسعه علم الله . . وقال له الرسول : يا أحمد ، قد أعطيتك مفاتيح السموات والأرض ، وهى التهليل المخصوص والصلاة العظيمة والاستغفار الكبير المرة الواحدة منها بقدر الدنيا والآخرة وما فيها أضعافا مضاعفة »^(٥) .

وقد رد على ذلك رشيد رضا فى المنار ، مشيرا إلى أن دعوى رؤية النبى ﷺ بعد موته فى اليقظة والأخذ عنه دعوى باطلة ، وإن صح عقلا أن منهم من يرى أرواح الأنبياء والصالحين فلا يجوز شرعا أن تتضمن هذه الرؤيا تشريعا ولا تعبدا جديدا ، وصرح

(١) الإخوان المسلمون ، عدد ١ ، السنة الأولى ، ٢٢ صفر ١٣٥٢هـ .

(٢) الإخوان المسلمون ، عدد ٢ ، السنة الأولى ، ٢٨ صفر ١٣٥٢هـ .

(٣) الإخوان المسلمون ، عدد ٥ ، السنة الأولى ، ٢٠ ربيع الأول ١٣٥٢هـ .

(٤) الإخوان المسلمون ، عدد ٣٦ ، السنة الثانية ، ١٩ محرم ١٣٥٣هـ .

(٥) المنار ، ج ١ ، ٣٢ ذو الحجة ١٣٥٠هـ ، أكتوبر ١٩٣١م .

أن ما يسمونه الكشف ليس بحجة شرعية ، ولا يجوز العمل بما لا يقوم عليه دليل من الكتاب والسنة ، وكذا رؤية النبي ﷺ في المنام والسماع منه ، وعلل ذلك بعدم الثقة بصفاء أرواح هؤلاء الكاشفين وضبطهم لما يرونه في كشفهم ورؤياهم ولما يروونه ، وأنه من أجل ذلك يجب عرضه على الكتاب والسنة (١) .

فضلا عن ذلك ، فإن قبول هذه الدعاوى يعد زيادة في الدين واستمرار التشريع الذى ادعاه بعض الدجالين المضلين ، كأتباع الدجال غلام أحمد القاديانى الهندى الذين يلقبون أنفسهم بالأحمدية ، ويشير رشيد رضا إلى أن أذكار هؤلاء الصوفيين وأورادهم مزوجة بالبدع والضلالة ، وقد نسخوا بها التعبد بكتاب الله وبالأذكار الماثورة عن النبي ﷺ فى كتب السنة ككتب الأذكار للإمام النووى ، والحصن الحصين للمحدث الجزرى (٢) .

وقد أخذ محب الدين الخطيب على الصوفية ما أدخلوه فى الدين من أن التوكل على الله ينافى الادخار والكسب والأخذ بالأسباب ، وينافى التداوى والتدبير والاحتياط والاحترار ، كذلك فند ما يدعونه من أدلة تؤكد كلامهم ، من ذلك ما قاله أبو سليمان الدارانى : « لو توكلنا على الله ما بنينا حيطان ولا جعلنا لباب الدار غلقا مخافة اللصوص » ويروون عن ذى النون المصرى أنه قال : « سافرت سنين وما صح لى التوكل إلا وقتنا واحدا ، ركبت البحر فكسرت المركبة فتعلقت بخشبة فقالت لى نفسى : إن حكم الله عليك بالغرق فما تنفعك هذه الخشبة ، فخليت الخشبة فطفت على سطح الماء ووقعت على الساحل » (٣) .

وهكذا يروى عن الصوفية من الطوائف والخزعات التى تنافى الدين الإسلامى والعقل الفطرى ، أما مخالفتها للدين فالله يقول فى سورة الأنفال : ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ ﴾ [الأنفال : ٦٠] ، وقوله تعالى : ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ ﴾ [الجمعة : ١٠] ، وأما مخالفتها للعقل فلأن العقلاء يوصون بالادخار والكسب والأخذ بالأسباب ، وكان المسلمون الأوائل يأخذون حذرهم تجاه عدوهم ، ولم يرو عنهم أنهم تركوا الأخذ بالأسباب .

وشنت الصحف الإسلامية الحرب فى أكثر من موضع فى أعدادها المختلفة على مشايخ الطرق الصوفية الذين يتصدرون للفتوى بغير علم ، وينشرون الضلالات بين الناس ، مشيرة إلى أن بعضهم كان يتصدر للعرافة وعمل التمام والرقى بدعوى معرفة

(١) المصدر السابق ، والإخوان المسلمون ، عدد ٣٦ ، السنة الثانية ، ١٩ محرم ١٣٥٣ هـ .

(٢) المنار ، ج ١ ، م ٣٢ ، ذو الحجة ١٣٥٠ هـ ، أكتوبر ١٩٣١ م .

(٣) الفتح ، عدد ٥٦ ، ٧ صفر ١٣٤٦ هـ ، ٤ أغسطس ١٩٢٧ م .

الغيب والإخبار به ، بالرغم من مخالفة هذه الأمور للدين الإسلامى الذى يتمون إليه ، فقد قال ﷺ : « من أتى عرافا فسأل عن شيء لم يقبل له صلاة أربعين يوما » رواه أبو داود عن قبيصة وهو صحيح (١) .

وعاب رشيد رضا على المتصوفة التوسل بالأموات ، ونشرت المنار على حلقات متتابعة كتابا بعنوان : « الدر النفيد فى إخلاص كلمة التوحيد » للإمام محمد بن على الشوكانى ، والكتاب تدور مادته حول التوسل بالأموات وحكمه ، وكذا التوسل بالأحياء والاستغاثة بهم ومناجاتهم عند الحاجة وما يشابه ذلك ، وتعظيم قبور الأولياء والاعتقاد بأن لهم قدرة على قضاء حوائج المحتاجين وحكم الشرع فى ذلك كله (٢) .

وقد كثر فى تلك الفترة الحديث فى مسألة التوسل والوسيلة وانقسمت الآراء فيها ، فكان الشيخ يوسف الدجوى فى مجلة الأزهر يرى أن التوسل بالنبي ﷺ جائز لورود أحاديث فى ذلك ، فقد أخرج النسائى فى سننه والترمذى فى صحيحه وابن ماجه وغيرهم : أن أعمى أتى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله ، إني أصبت فى بصرى فادع الله لى ، فقال النبي ﷺ : « توضأ وصل ركعتين ثم قل : اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد ، يا محمد ، إني أستشفع بك فى رد بصرى ، اللهم شفّع النبي » فرد الله بصره . وأجاز الشيخ الدجوى أيضا نقلا عن الشوكانى : أن التوسل بالأعمال مشروع وأنه يجوز التوسل بأهل الفضل والعلم (٣) .

ولكن هذا لم يجد قبولا لدى أنصار الاتجاه الإسلامى فى الصحف الأخرى ، ونفى الدكتور يحيى الدرديرى جواز التوسل بغير الله والدعاء لغير الله ، مشيرا إلى أنه من القواعد الأساسية فى العبادة أن الله عز وجل يريد أن يستأثر بدعاء عبده فى جميع مهامه وشؤونه من غير واسطة ولا وسيط ؛ لأن الإسلام جاء بالتوحيد الخاص وتحرير النفوس من عبادة غير الله تعالى ، وذهب إلى أن الدعاء لغير الله سواء كان المدعو حيا أو ميتا وسواء كان من الأنبياء - عليهم السلام - وغيرهم فيقال : يا سيدى فلان ، أغثنى ، وأنا مستجير بك ، ونحو ذلك ، فهذا هو الشرك بالله ، واستشهد بآراء الإمام ابن تيمية فى هذه المسألة (٤) .

(١) المنار ، ج ١٠ ، م ٢٣ ، محرم ١٣٤١هـ ، سبتمبر ١٩٢٢م ، والمنار ، ج ٧ ، م ٢٣ ، ذو القعدة ١٣٤٠هـ ، يوليو ١٩٢٢م .

(٢) المنار ، ج ٨ ، م ٢٢ ، ذو الحجة ١٣٣٩هـ ، أكتوبر ١٩٢١م .

(٣) نور الإسلام ، عدد ١ ، م ٢ ، محرم ١٣٥٠هـ ، مقال بعنوان : « التوسل وجهلة الوهابيين » للشيخ يوسف الدجوى عضو هيئة كبار العلماء .

(٤) الشبان المسلمون ، ج ١ ، م ٣ ، جمادى الأولى ١٣٥٠هـ ، أكتوبر ١٩٣١م .

البدع ، كبَدع المساجد والمقابر والأضرحة وزيارة القبور وما فيها من المفاصد ، وبدع الجنائز والمآتم ، وبدع الموالد ، ومنكرات الأفراح ، وبدع الأعياد والمواسم ، والبدع التى تقع فى العبادات ، وبدع الطرق الصوفية وبدع الاعتقادات ، وبدع الضيافة والولائم وخرافات العامة وأوهامهم وغير ذلك (١) .

وذهب رشيد رضا إلى أن اتخاذ الناس قبور الصالحين والأولياء مجالا للعبادة هو أعظم باب للشرك بالله ، وأورد بعض الأحاديث التى تنهى عن الصلاة عند القبر وجعله مكانا للعبادة ، نذكر منها : روى مسلم عن جندب بن عبد الله ، قال : قال رسول الله ﷺ : « ألا إن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحهم مساجد ألا فلا تتخذوا القبور مساجد » ، وأكد على أوامر الرسول بعدم تشييد القبور والأمر بتسويتها لورود الأحاديث فى ذلك (٢) .

وحينما توفى سعد زغلول وقرر مجلس الوزراء أخذ بيته وشراء البيتين المجاورين له وهدمهما وإنشاء قبة عالية يجعل فيها قبره بنقل جثمانه إليها ، وتجعل مسجدا ومزارا للناس فتكون كقبة الشافعى والبدوى ، وقد رسم الرسامون شكل القبر وشكل القبة وطبع ذلك ونشر فى الجرائد ، هاجمت المنار هذا القرار ، ونحت باللائمة على العلماء لسكوتهم على هذا الفعل والنصح للحكومة ألا تجعل قبره مسجدا ؛ لأن بناء المساجد على القبور محرم شرعا لورود الأحاديث الصحيحة فى النهى عنه (٣) ، ووجه رشيد رضا رجاء إلى الحكومة أن تمنع جعل قبر سعد مسجدا لمخالفة ذلك لنصوص الشرع وحكمة التشريع معا ، حتى لا يفتتن الجاهلون بتعظيم القبر تعظيما دينيا ، كذلك هاجم دعاة الإلحاد من القبط والمسلمين فى طلبهم جعل شكل القبة فرعونيا فيها تجعل جنسية المصريين فرعونية وليست عربية ، وأشار رشيد رضا إلى أن سعد زغلول ينتمى إلى أسرة عربية الأصل وليست فرعونية كما يدعون (٤) .

وكتب عبد الله أحمد المحلاوى فى « الفتح » مشيراً إلى أن الأمراض التى أصابت المسلمين فى ذلك العصر هى من جراء ظهور البدع التى أدخلها المبطلون على الدين الحنيف حتى راجت بين الناس وظنوا أنها من الدين وليست منه فى شىء ، وحث الكاتب على اتباع حديث رسول الله ﷺ : « اتبعوا ولا تبتدعوا ، فإنما هلك من كان قبلكم بما ابتدعوا فى دينهم وتركوا سنن أنبيائهم ، وقالوا بآرائهم فضلوا وأضلوا » .

(١) المنار ، ج ٥ ، م ٣١ ، رجب ١٣٤٩هـ ، ديسمبر ١٩٣٠ م .

(٢) المنار ، ج ٧ ، م ٢٨ ، ربيع الآخر ١٣٤٦هـ ، سبتمبر ١٩٢٧ م .

(٣) المنار ، ج ٦ ، م ٢٨ ، صفر ١٣٤٦هـ ، أغسطس ١٩٢٧ م .

(٤) الفتح ، عدد ١٢٧ ، ٨ رجب ١٣٤٧هـ ، ٢٠ ديسمبر ١٩٢٨ م .

وقصارى القول أن الصحف الإسلامية أدت دورا كبيرا فى محاربة بدع الصوفية ، وتصحيح بعض المفاهيم الخاطئة والشائعة عندهم ، وما تحويه كتبهم من مخالفات وخرافات بعيدة عن أصول الإسلام وحقائقه وتعاليمه التى جاء بها القرآن والسنة النبوية كإسناد بعض المعجزات لمشايع الطرق الصوفية وطرح عليهم صفات الألوهية والنبوة والتوسل بهم والاستعانة بالأولياء والصالحين ، فضلا عن البدع الأخرى الدخيلة فى الإسلام ويظنها الناس من تعاليمه .

المذاهب الهدامة :

ظهرت فى تلك الفترة التى خصصناها للدراسة « فترة ما بين الحريين العالميتين » دعوات هدامة ، كلها تستهدف القضاء على الدين الإسلامى بطريقة أو بأخرى ، وبعضها كان يتستر تحت عناوين زائفة بدعوى حب نشر السلام والحرية والوثام بين البشر ، وفى مقدمة هذه الدعوات القاديانية والبهائية وغيرهما .

القاديانية :

كانت هذه النحلة موضع اهتمام كبير على صفحات الصحف الإسلامية ، حيث كان دعايتها ينشرون دعايتها الضالة فى البلاد الإسلامية ، وقد برز لها دعاة فى مصر .

نشأت القاديانية فى بلدة قاديان التابعة للبنجاب فى الهند بمساعدة الاستعمار الإنجليزى ، وكان ميرزا غلام أحمد مؤسس القاديانية عميلا للإنجليز ، ومعظم قادة القاديانية ودعايتها تعلموا فى جامعات إنجلترا ، وكانوا على صلة بالاستعمار الإنجليزى فى الهند .

وقد برزت القاديانية كحركة موجهة للطعن فى العقيدة الإسلامية وتعاليمها ولضرب المسلمين فى ظهرانهم ، وإيجاد التفرقة بين صفوفهم ، وهى نحلة اتسمت بالكفر وخرجت عن الإطار العام للإسلام وتعاليمه ، بالرغم من ادعاء أصحابها أنها حركة إسلامية .

فأول ظهور ميرزا بدعوته كان كرجل داعية ، عندما أعلن فى رسالة له فى عام ١٨٨٤م أنه مجدد الإسلام ، واستند على قول الرسول ﷺ : « إن الله يبعث لهذه الأمة كل مائة سنة رجلا يجدد لها أمر دينها » ، ونادى على هذا الأساس بأنه رجل المائة الأخيرة التى يتم بها الأربعة عشر قرنا التى قطعها الإسلام .

وفى عام ١٨٨٨م أعلن أنه المرشد الذى يهذى الأمة الإسلامية ، وادعى بعد ذلك أن روح المسيح وروح محمد قد حلتا فى جسده ، وعلى هذا فهو نبي ، ثم جنح فى عام ١٩٠١م ليسير بدعوته فى ظلال الإسلام ، فأعلن أنه النبي محمد ، ولا سيما وأن اسمه

أحمد الاسم الثانى للرسول ﷺ الذى ورد ذكره فى القرآن ، والذى بشر به المسيح فى إنجيله ، وحاول ميرزا أن يوهم المسلمين بأنه له معجزات كسائر الأنبياء ومن هذه المعجزات محاولته التنبؤ بالكسوف والخسوف ، وكان الإنجليز يمدونه بحسابات هذه الظواهر الفلكية التى لم تكن معروفة فى الهند آنذاك (١) .

وكانت القاديانية فى عهد غلام أحمد وخليفته نور الدين مذهبا واحدا ، غير أنهم فى آخر حياة نور الدين بدأ الخلاف يدب فى صفوفهم ، وحينما مات نور الدين انقسموا إلى شعبتين شعبة قاديان ورئيسها محمود بن غلام أحمد ، وشعبة لاهور ورعيمها محمد على مترجم القرآن إلى اللغة الإنجليزية (٢) . ويشير الشيخ محمد الخضر حسين إلى أن أساس عقيدة شعب قاديان هو أن غلام أحمد نبى مرسل ، وأما شعبة لاهور فظاهر مذهبها أنها لا تثبت النبوة لغلام أحمد ، وهى تنكر أن يكون المسيح ﷺ ولد من غير أب ، ورعيم هذه الشعبة محمد على يصرح بأن عيسى ﷺ ابن يوسف النجار ، ويحاول تحريف بعض الآيات القرآنية لتوافق مذهب ، وحذر الشيخ الخضر حسين من دعاة القاديانية ولاسيما شعبة لاهور التى تعلن أن غلام أحمد مصلح ومجدد لا نبى ، وناشد العلماء فى مصر أن يتصدوا للدعاية القاديانية التى أصبح الناس لا يعرفون عنها شيئا ويعتقدون أنهم دعاة الإسلام بحق (٣) .

هذا وقد كشفت الصحافة الإسلامية عن أضاليل القاديانية وفساد مذهبها وشنّت الهجوم عليها ، ولاسيما بعد أن انتقلت أفكارها وآرائها إلى مصر عن طريق رجل يسمى منير الحصنى ، وانتشرت دعوتها فى كل أرجاء الدولة الإسلامية ، وصار لها أتباع ودعاة يثبون تعاليمهم فى رسائل يطبعونها ويوزعونها ومقالات ينشرونها ، وتحظى بتأييد الدولة البريطانية الاستعمارية ومساعدتها .

وفى مقال بعنوان : « القاديانيون وأضاليلهم » أشار عزة المرادى إلى ادعاء غلام أحمد النبوة وأنه هو المسيح الموعود الذى يعتقد أكثر المسلمين أنه لم يمت ، وإنما رفع حيا بجسده الشريف إلى السماء ، ولم يكتف ميرزا غلام أحمد بادعاء الكذب على الله وادعاء النبوة ، بل جعل النبوة مستمرة فى أصحابه ولن تنقطع إلى يوم القيامة .

(١) د . أحمد محمد عوف : القاديانية الخطر الذى يهدد الإسلام ، القاهرة : دار النهضة العربية ، ١٩٦٩ م ، ص ٢٥ - ٢٨ .

(٢) أطلق على شعبة قاديان وشعبة لاهور اسم الحركة الأحمدية .

(٣) نور الإسلام ، ج ٧ ، م ٣ ، رجب ١٣٥١ هـ ، مقال بعنوان : « القاديانية » للشيخ محمد الخضر حسين ، تناول فيه نشأة رعيمها فى بحث بلغ ١٦ صفحة من صفحات مجلة نور الإسلام ، تحدث فيه عن أصل غلام أحمد وولادته ونشأته وادعائه النبوة والرسالة والوحى ، وعقائد القاديانيين ومبادئهم .

وقد أبطل القاديانيون فريضة الجهاد ، ودعا غلام أحمد في كتابه : «حمالة البشرى» إلى الانصياع إلى الاستعمار ولاسيما الاستعمار البريطاني ، وعدم مقاومته بالنفس والمال وغير ذلك من أنواع الجهاد والمقاومة^(١) .

وقد نشر دعاة القاديانية في مصر رسالة مطبوعة في الدعوة إلى القاديانية وضعها بالإنجليزية زعيم الحركة الأحمدية في قاديان من بلاد الهند ، وترجمها بالعربية الرحالة عبد المجيد كامل ، وطبعت هذه الرسالة على نفقة الحركة الأحمدية بمصر ، وجاء فيها : «إن طريق الوحي لا يمكن أن يسد في وجوه الناس ، وأن المهدي والمسيح قد ظهرا في الهند بمحل يقال له : قاديان ، وأنه يوجد الآن آلاف من حواريه يستمعون الوحي الإلهي . . وأن المسيح الموعود يعنى غلام أحمد ، وأن الوحي ينزل على أتباعه ، وأن النبي ﷺ ليس خاتم النبيين ، وأن المسلمين الذين لا يقبلون دعوة غلام أحمد كفار ، وهم في زعمهم بمثابة اليهود »^(٢) .

وقد انبرى للرد على هذا المنشور كُتَّاب الصحافة الإسلامية ، وقال رشيد رضا : «كنا نظن أن بدعة القادياني لا تتجاوز بعد موته ما نسخه من أحكام الشريعة وأهمها الجهاد ، ثم علمنا أنهم يدعون استمرار الوحي والنبوة في أتباعه ، وأشار إلى أن مسألة الاعتقاد بالمهدي المنتظر غير صحيحة ، وهي مثار فتن كثيرة وبدع كبيرة كان آخرها في البلاد الإفريقية مهدى السودان ، وفي آسيا الباب الذي ظهر في إيران ، ويوضح رشيد رضا وجه التشابه بين مسيح الهند الدجال وبين باب إيران ، إذ أن كلا منهما كانا مصابا بجنون الهوس الديني حتى لا يبعد أن يكون معتقدا لما ادعاه وفي أن تأثيره كان محصورا في الأعاجم ، إذ تصدى كل منهما لتأويل القرآن والأحاديث بجرأة وجهل وإسراف في الكلام ، فافتتن بهما بعض الجهلة الأعاجم وصدقوهما^(٣) .

ويرد عزة المرادى في صحيفة الفتح على ادعاء القاديانيين النبوة بأن الله أخبر في كتابه والرسول في سنته أنه لا نبي بعده ؛ ليعلموا أن كل من ادعى النبوة بعده كذاب ودجال وضال وكذلك كل مدع إلى يوم القيامة حتى يختموا بالمسيح الدجال ، قال عليه الصلاة والسلام : « إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتا فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة ، فجعل الناس يطوفون ويتعجبون له ، ويقولون : هلا وضعت هذه اللبنة ، فأنا اللبنة ، وأنا خاتم النبيين ، وقال الله - تعالى - في حق نبيه : ﴿وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ »^(٤) [الأحزاب : ٤٠] .

(١) الفتح ، عدد ٢٣٤ ، ٢٦ شعبان ١٣٤٩هـ .

(٢) نور الإسلام ، ج ٧ ، م ٣ ، رجب ١٣٥١هـ .

(٣) المنار ، ج ٨ ، م ٢٤ ، ذو القعدة ١٣٤١هـ ، أغسطس ١٩٢٣م .

(٤) الفتح ، عدد ٢٣٤ ، ٢٦ شعبان ١٣٤٩هـ .

وواصلت الصحف الإسلامية الهجوم على نحلة القاديانية ودعاتها ، وما ترصده من أموال للترويج لها من خلال بعض الصحف المصرية ، وأبرز هذه الصحف « صحيفة الأهرام » التي كانت تروج وتؤيد دعوات القاديانية وتنتشر مقالات في الدفاع عنهم^(١) ، وكان من أكبر دعاة القاديانية في مصر شاب سورى يدعى منير الحصيني ، وقد طبع بعض الرسائل عن المذهب القادياني وقام بترويجها في مصر ، غير أن رشيد رضا وبعض كتاب الصحافة الإسلامية تصدوا له ، ووصفه رشيد رضا بأنه داعية للمسيحية الإسلامية التي يسمونها الأحمدية ، وفند ما ادعاه في صدق المسيح الدجال القادياني ، وأكد على أن هؤلاء القاديانيين أعداء للإسلام كافرين ببعض القطيعات من أصوله ، مضلين لأهله ، ولا أدل على ذلك من نسخ مسيحهم لمشروعية الجهاد ، خدمة للسلطات البريطانية والاستعمار الأجنبي^(٢) .

وذكرت صحيفة الإخوان أن القاديانيين في مصر قد عملوا على ترويج دعاياتهم مستغلين مظاهر الانحلال الخلقي والديني في الأمة ، الأمر الذي نشط من دعاياتهم^(٣) .

وهكذا توالى ردود فعل الصحافة الإسلامية على النحلة القاديانية وتفنيد ادعاءاتها وتحذير الناس من اتباعهم ، وبيان ريفها ، والكشف عما فيها من مخالفة للدين الإسلامي الصحيح ، فضلا عن صلتها بالاستعمار البريطاني ، وإنكارها لفريضة الجهاد الإسلامي خدمة له .

وكان من أبرز الكتاب المسلمين الذين حاربوا المذهب القادياني : الشيخ محمد الخضر حسين ، ورشيد رضا ، وعزة المرادي ، وشكيب أرسلان ، والشيخ مصطفى أبو سيف الحمامي ، والدكتور السيد أحمد الشريف ، ومحجب الدين الخطيب . وقد أسفرت هذه الجهود عن تبرؤ جماعة الدعاية إلى القاديانية في القاهرة من الانتساب لها ، ونشروا في ذلك بيانا بعنوان : « بيان إلى العالم » من شباب التحقوا بالقاديانية ويعلمون الآن براءتهم منها مخلصين ، وكان رئيس هذه الجماعة أحمد حمدي كاتب محكمة الاستئناف الأهلية ، وعلى فاضل كاتب محكمة أيضا ، وأحمد عبد السلام مهندس ميكانيكي ، وعبد السلام أحمد رئيس مطبعة جريدة المطرقة وسكرتير الدعوة والتبشير للجماعة الأحمدية بمصر ، وعبد الحميد السيد بمصلحة التجارة والصناعة ، وحسن أحمد عبد السلام طالب ثانوي ،

(١) أنور الجندي ، الفتح ، تاريخ الصحافة الإسلامية م ٢ ، مرجع سابق ، ص ١٦٩ .

(٢) المنار ، ج ٥ ، م ٣١ ، رجب ١٣٤٩هـ ، ديسمبر ١٩٣٠م ، وج ٦ ، م ٢٨ ، ربيع الأول ١٣٤٦هـ ، سبتمبر ١٩٢٧م .

(٣) الإخوان المسلمون ، عدد ١٩ ، السنة الأولى ، ٥ شعبان ١٣٥٢هـ .

وسيد عبد السلام صحفى بجريدة المطرقة^(١) .

وفى عام ١٩٣٣م حاولت جماعة لاهور أن تنال تأييد الجامع الأزهر لدعوتها ، فبعثت بطالين وألحقتهما بكلية أصول الدين ، وحاول هذان الطالبان نشر كتيبات باسمهما تحت ستار الإسلام ، وأحدهما سمياه « تعاليم الأحمدية » ، والثانى « الأحمدية كما عرفناها » ، فلما علم شيخ الجامع الأزهر بأمر هذين الطالبين شكل لهما لجنة للتحقيق معهما والتحقق من مذهبهما ، وكانت هذه اللجنة برئاسة الشيخ عبد المجيد اللبان عميد كلية أصول الدين وقتها ، وكتبت اللجنة فى تقريرها : إن القاديانيين كافرون ، وتم فصل الطالبين من الكلية واعتبرا ملحدين ، ونشرت عنهما الصحف المصرية ، ومن هنا استثنى استبعاد القاديانيين الأحمديين من الدراسة بالأزهر الشريف^(٢) .

البابية والبهائية :

كذلك حفلت الصحف الإسلامية بالمقالات والتعليقات التى تحارب النحل الضالة والمذاهب المنحرفة الأخرى ، ومن أبرزها البابية أو البهائية والماسونية .

والبهائية نسبة إلى بهاء الله ، لقب يدعى به ميرزا حسين على ، وهو الزعيم الثانى للمذهب الذى تتولاه الطائفة المسماة بالبهائية ، وتسمى هذه الطائفة البابية نسبة إلى الباب ، وهو لقب ميرزا على محمد ذلك الذى ابتدع هذه النحلة .

وأصل نشأة هذه النحلة أن ميرزا على محمد الملقب بالباب نشأ فى شيراز بجنوب إيران وأخذ شيئا من مبادئ العلوم ، ثم اشتغل بالتجارة ، ولما بلغ من العمر الخامسة والعشرين ادعى أنه المهدي المنتظر ، وكان إعلانه بهذه الدعوة ١٢٦٠هـ ، ثم تبعه بعض الجاهلين ، وقام بنشرها فى جهات مختلفة من إيران^(٣) ، ثم ادعى النبوة وأنه عيسى ابن مريم وادعى الوحى ، ولم يقف به التطور عند حد البشرية بل تعداها إلى مقام الألوهية ، فسمى نفسه النقطة ، والأنبياء جميعا مظاهر هذه النقطة ، وقد ركز فى نفوس أتباعه مبدأ تناسخ الأرواح ، وادعى أن شريعته ناسخة لكل الشرائع وأفضلها ، وأنه أفضل من جميع الأنبياء ، وأن كتابه المسمى بالبيان أفضل من القرآن الكريم^(٤) .

وقد تنبه العلماء لهذه الدعاية فقاموا فى وجهها ، وعقد بعض الولاة بينهم وبين

(١) الإخوان المسلمون ، عدد ١٩ ، السنة الأولى ، ٥ شعبان ١٣٥٢هـ .

(٢) د . أحمد عوف : القاديانية ، مرجع سابق ، ص ٥٢ ، ٥٣ .

(٣) نور الإسلام ، ج ٥ ، م ١ ، جمادى الأولى ١٣٤٩هـ ، مقال بعنوان : « البهائية » للشيخ محمد الحضر حسين .

(٤) الهداية الإسلامية ، ج ٤ ، م ٢ ، رمضان ١٣٤٨هـ ، مقال بعنوان : « البابية والبهائية » للشيخ صادق عرجون .

ميرزا على هذا مجالس للمناظرة ، فرأى بعضهم ما فى أقواله من غواية وخروج عن الدين وأفتى بكفره ، ورأى آخرون ما فيها من لغو وفسوق فنسبه إلى الجنون واختلال الفكر ، واعتقل فى شيراز وساقته الحكومة الإيرانية فى عهد الملك ناصر الدين شاه إيران إلى تبريز ، وثارت بين أتباعه وبين المسلمين فتن وحروب سفكت فيها الدماء ، وكان عاقبة أمره أن أعدته الحكومة فى تبريز رميا بالرصاص عام ١٢٦٥هـ (١) .

وكان من أتباعه المقرين إليه رجلان من أولاد الميرزا عباس النورى ، أحدهما: الميرزا يحيى الملقب بصبح الأزل ، والثانى : هو الميرزا على الملقب بالبهاء ، وامرأة تسمى قرة العين ، وكانت فصيحة سافرة وإباحية ، تقول بأمور مستهجنة ، وتدعى أن أحكام الشريعة الإسلامية قد نسخت بظهور الباب ، وخطبت فى مؤتمر « بدشت » قائلة : « إن كل عمل جاء به محمد لغو باطل لا يأتى إلا كل غر جاهل » ، وقد قبضت الحكومة عليها وأعدمت فى عام ١٢٦٤هـ (٢) .

وبعد مقتل الباب كان أتباعه على اختلاف فى شأن من ينوب عنه إلى أن دبروا اغتيال الملك ناصر الدين انتقاما لزعيمهم ، ولكنهم فشلوا فى ذلك ، وأخذت الحكومة تتقصى أثر البابيين وتسوق زعماءهم إلى مجالس التحقيق ، وكان الميرزا حسين على الذى لقبوه بعد « بهاء الله » من شيعة الباب وأخلص دعائه ، فقبض عليه وسجن بطهران بضعة أشهر ، ثم أبعده إلى بغداد ١٢٦٩هـ .

وفى بغداد اجتمع حول الميرزا حسين الملقب « بهاء الله » طائفة من أنصاره ، غير أنه قد حدث بينهم وبين الشيعة ببغداد شقاق ومصادمات ، فقررت الحكومة العثمانية وقتل إبعاد البابيين من العراق فنقلتهم إلى الأستانة ، ونفثهم إلى أدرنة ، ثم قام المسمى « بهاء الله » لهذا العهد يدعوا لنفسه ويزعم أنه هو الموعود الذى أخبر عنه الباب ، وقبل دعوته أكثر البابيين وتسموا حيثل بالبهايين ، وقد رفض دعوته أخوه ميرزا يحيى الملقب « صبح الأزل » ، فأمرت الحكومة العثمانية بإبعاد الفريقين من أدرنة ، فنفت الميرزا يحيى وأتباعه إلى قبرص ، ونفت البهاء وأتباعه إلى عكا بفلسطين ، وبقي البهاء بعكا إلى أن توفى عام ١٣٠٩هـ ، فتولى رأس الطائفة ابنه عباس الذى لقبوه بعبد البهاء ، فأخذ يدعوا إلى هذا المذهب ويتصرف فيه كيف يشاء ، ووجه الدعوة وجهة جديدة تحت ستار توحيد الأديان ، وهو إنما يريد هدم الأديان (٣) . ولليهود دور فى ترويج البهائية وهى جزء من المخططات الماسونية اليهودية لهدم الإسلام .

(١) نور الإسلام ، ج ٥ ، م ١ جمادى الاولى ١٣٤٩هـ .

(٢) الهداية الإسلامية ، ج ٤ ، م ٢ ، رمضان ١٣٤٨هـ .

(٣) نور الإسلام ، ج ٥ ، م ١ ، جمادى الاولى ١٣٤٩هـ .

وحينما راجت الدعاية إلى البهائية في مصر وشارك فيها كثير من كتاب الصحافة المصرية من أمثال سلامة موسى والعقاد وإسماعيل مظهر وغيرهم ، وتكون في مصر المحفل البهائي الروحاني المركزي سنة ١٩٢٥م ، وصدرت كتب تتحدث عن البهائية وكثير الحديث عنها بمناسبة مرور عباس أفندي البهاء بمصر^(١) - هنالك انبرت الصحف الإسلامية للتصدي لهذه النحلة وكشف النقاب عنها وزيف معتقداتها ، وقال رشيد رضا : « إن مذهب البهائية هو خلاصة المذاهب الباطنية وهو أقرب إلى المسيحية من الإسلام » وأشار إلى أن البابية التي تطورت إلى البهائية ليسوا أصحاب مذهب جديد في الإسلام ، بل أصحاب دين جديد وشريعة جديدة ، وأول كتاب طبع لهم في اللغة العربية هو « الدرر البهية » ، وقد أنكر كون القرآن الكريم معجزا ببلاغته وفصاحته ، وقد أجروا تأويل القرآن على ما ينطبق على بدعتهم ؛ ولذلك فهم أخطر من الأحمدية القاديانية الذين جعلوا رعيمهم غلام أحمد القادياني نبيا وليس إلها كما تزعم البهائية ، ولم ينسخوا الشريعة المحمدية إلا أحكاما قليلة كالجهاد وما يتعلق به .

والحقيقة أن البهائية مشركون ، قد اتخذوا البهاء إلها يعبدونه ، وهم يحرفون القرآن والتوراة والإنجيل في مواضع يزعمون بتأويلاتهم الباطنية أنها تدل على هذه الديانة^(٢) .

وليرزا على - المسمى الباب - تفسير لسورة يوسف سار فيه على هذا النمط ، فقال في قوله تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴾ [٤] يوسف : إن المراد من يوسف : حسين بن علي ، والمراد بالشمس : فاطمة ، والقمر محمد ، وبالنجوم : أئمة الحق ، فهم الذين سيكون على يوسف سجدا ، كما فسر حج البيت العتيق بزيارة شيوخ البابية .

وفي كتاب الدرر البهية في تفسير قوله تعالى : ﴿ بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ ﴾ [يونس : ٣٩] : أنه ليس المراد من تأويل آيات القرآن معانيها الظاهرية ومفاهيمها اللغوية ، بل المراد المعاني الخفية التي نطلق عليها الألفاظ على سبيل الاستعارة والتشبيه والكناية .

وقد جعل ميرزا على لأتباعه أحكاما يخالف بها أحكام الإسلام وقواعده ، فجعل الصوم تسعة عشر يوما من شروق الشمس إلى غروبها ، وعين لهذه الأيام وقت الاعتدال الربيعي ، بحيث يكون عيد الفطر عندهم هو يوم النيروز على الدوام ، وجعل ميرزا

(١) محمد إبراهيم البدرى : بين البهائية والماسونية نسب ، مطبوعات مجمع البحوث الإسلامية ١٩٨٦م ، ص ١٩ ،

وأنور الجندي : يقظة الفكر العربي ، مرجع سابق ، ص ٢٧ ، ١٥٩ .

(٢) المنار ، ج ٥ ، م ٢٧ ، أغسطس ١٩٢٦م ، محرم ١٣٤٥هـ ، مقال بعنوان : « البهائية في بلاد العرب » .

حسين - الملقب بهاء الله - الصلاة تسع ركعات فى اليوم ، وقبله البهائيين فى صلاتهم التوجه أين يكون ميرزا حسين « بهاء الله » ، أما الحج فقد أبطله البهاء ، وأوصى بهدم بيت الله الحرام عند ظهور رجل مقتدر من شيعته .

ورعما البهائية يدعون الألوهية ، قال عباس - الملقب عبد البهاء : « وقد أخبرنا بهاء الله بأن مجيء رب الجنود والأب الأزلى ومخلص العالم الذى لا بد منه فى آخر الزمان كما أُنذر جميع الأنبياء عبارة عن تجليه فى الهيكل البشرى كما تجلى فى هيكل عيسى ، إلا أن تجليه فى هذه المرة أتم وأكمل » ، يريد أن الله تجلى فيه بأعظم من تجليه فى أجسام الأنبياء - على ما يزعم - وقد قلد البهائيون الفلاسفة فيما يدعون من قدم العالم ، ففى كتاب بهاء الله والعصر الجديد : « علم بهاء الله أن الكون بلا مبدأ رمنى ، فهو صادر أبدي من العلة الأولى ، وكان الخلق دائما مع خالقهم وهو دائما معهم »^(١).

ولا يؤمن البهائيون بالبعث ولا بالجنة والنار ، ويفسرون يوم الجزاء ويوم القيامة بمجىء ميرزا حسين الملقب « بهاء الله » ، ويفسرون الجنة بالحياة الروحانية ، والنار بالموت الروحاني ، ولا يعترف البهائيون بنبوة سيدنا محمد ﷺ ، ويخالفون ما جاء به من معتقدات وأحكام ويؤولون آيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية كما سلفت الإشارة إلى ذلك .

فضلا عن ذلك ، يخفى البهائيون عقديدهم أمام الجمهور ولكنهم يصرحون بذلك لمن يقع فى شراكتهم بعد أن يثقوا بأنه ثابت على مذهبهم ، كما فعل ذلك خليفة البهاء ولده عباس أفندى البهاء حينما صرح فى مصر بأنه سنى ، وقد أشار رشيد رضا إلى أن من أكبر دعاة البهائية فى مصر أبو الفضل الجوزقانى والشيخ محمد الخراسى المنسوب إلى الأزهر وإلى مدرسة الدعوة والإرشاد التى كونها رشيد رضا ، وقد سافر الخراسى إلى العراق والكويت والبحرين يدعو بهذه الملة ، راعما أنها لا تنافى الإسلام ، غير أن رشيد رضا قد كشف عن عمالته للبهائيين ، وحذر أهل هذه البلاد من هذا الداعية الضال ، وأعلن أنه قد ارتد عن الإسلام ، وأنه لا ينبغى الاغترار بانتسابه إلى الأزهر ومدرسة الدعوة والإرشاد ، وقد حكمت إحدى المحاكم المصرية بارتداده عن الإسلام ، وخروجه عن ملة المسلمين ، وفرقت بينه وبين زوجته^(٢) .

(١) نور الإسلام ، ج ٥ ، م ١ ، جمادى الأولى ١٣٤٩ هـ .

(٢) المنار ، ج ٣ ، م ٢٦ ، ذو الحجة ١٣٣٣ هـ ، يوليو ١٩٢٥ م .

وقد نشرت صحيفة الإخوان المسلمين بحثا للشيخ عبد الوهاب العيسوى أحد أعضاء الإخوان المسلمين عن البابية والبهائية تعرض فيها لتاريخها وأهدافها والعوامل التى ساعدت على نشرها وخروجها عن قواعد الدين الإسلامى ، عدد ١٣ ، ٢١ ربيع الآخر ١٣٥٣ هـ .

وقصارى القول : إن البابية والبهاية نحلة ضالة ، القصد منها هدم الإسلام وزعزعة الكيان الإسلامى بادعاء أنصارها الرسالة والوحى وتأويل آيات القرآن والسنة ، وللإهود والجمعيات الماسونية دور فى نشر هذه النحلة الضالة لإدخال التحريف والتبديل فى الشريعة الإسلامية ، وتشويه معالمها .

وتجدر الإشارة فى نهاية هذا الفصل إلى أن هناك بعض الدعوات الأخرى الهدامة التى هاجمتها الصحف الإسلامية وأشارت إلى خطورتها ، ومن أهمها : الماسونية والصهيونية ، والإسماعيلية ، والبكتشاية واليزيدية ودعوات الشيعة الباطنية .

الفصل السابع

دور صحافة الاتجاه الإسلامى فى مقاومة حملات التبشير بالنصرانية

يتبع هذا الفصل تاريخ الحركة التبشيرية فى مصر حتى الحرب العالمية الثانية وأهداف التبشير ووسائله وغاياته ، وعلاقة التبشير بالاستشراق والاستعمار ، وبيان دور المدارس الأجنبية فى التبشير والكشف عن المغالطات والافتراءات والخطط التى احتوتها كتب المبشرين ومجلاتهم ومنشوراتهم ، ودور الجماعات والمؤسسات الإسلامية والصحف الإسلامية فى مقاومة التبشير .

والتبشير يطلق فى الكتب الحديثة على المنظمات الدينية التى تستهدف تعليم الدين المسيحى ونشره فى دولة ما (١) . والتبشير عند النصارى - خصوصا الأوربيين منهم - هو هجوم النصارى على الديانات المستوطنة فى البلاد التى يتوجه إليها المبشرون النصارى ؛ للتبشير فيها خصوصا الدين الإسلامى ، وكما اعترف ذلك المبشر غادرر حيث قال : «إنه وإن خاب أمل الصليبيين فى انتزاع القدس من أيدي المسلمين ليقيموا دولة مسيحية فى قلب العالم الإسلامى ، لكن الحروب الصليبية لم تكن لإنقاذ هذه المدينة بقدر ما كانت لتدمير الإسلام» (٢) .

ويرجع تاريخ التبشير النصرانى إلى صدر النصرانية ، ويعتبر أول من قام بوظيفة التبشير هو المبشر الأسبانى «لول» فبعد أن فشلت الحروب الصليبية فى الاستيلاء على العالم الإسلامى بطريق القوة ، حيث تعلم «لول» اللغة العربية ثم طاف فى البلاد الإسلامية وناقش الكثير من علمائها ، وفى القرون الوسطى بدأت إرساليات التبشير تصل إلى الهند وجاوه والبلاد الواقعة فى جنوب شرق آسيا ، واختلط المبشرون بالمسلمين منذ ذلك الحين ، وكان (بترهلينغ) من المبشرين الذين احتكوا بمسلمى سواحل إفريقيا ، كما اهتمت هولندا بالتبشير فى جاوه فى أوائل القرن الثامن عشر ، وقسمتها لهذا الغرض إلى مناطق لكل منها كنيسة ومدرسة (٣) .

وقد اهتمت الكنيسة بتوجيه جهودها إلى التبشير بالنصرانية فى العالم الإسلامى

(١) على عبد الحليم محمود : الغزو الفكرى وأثره فى المجتمع الإسلامى المعاصر ، مرجع سابق ، ص ١٦ .

(٢) المستشار محمد عزت الطهطاوى : التبشير والاستشراق أحقاد وحملات على النبى ﷺ ، القاهرة : مطبوعات مجمع البحوث الإسلامية ، ص ١ ، ٢ .

(٣) أ. ل. شاتليه : الغارة على العالم الإسلامى ، ترجمة مساعد اليافى ، ومحب الدين الخطيب ، القاهرة : المطبعة السلفية ، ١٣٥٠ هـ ، ص ١٧ ، ١٨ .

بالذات فى القرون الأخيرة ، وذلك لتقتلع الإسلام من نفوس المسلمين وتحل محله النصرانية حتى أطلق بعضهم على هذه العملية «حملات التنصير» (١) وقد أسس المبشرون النصارى تبشيرهم أو حملات تنصيرهم على أسس علمية منها :

أولاً : على المبشر أو المبعوث النصرانى أن يعرف لغة الشعب الذى سيتوجه للتبشير بين أفرادهم ، وعادات هذا الشعب وتقاليده ، ومعتقداته ونقط الضعف فيه .

ثانياً : أن يكون المبشر على دراية بكيفية الدعوة إلى النصرانية ، وكيفية الهجوم على ديانة الشعب الذى سيتوجه إليه .

ثالثاً : لا يفوت المبشر - إن لم يكن طبيباً - أن يكون ملماً ببعض مبادئ التمريض .

رابعاً : العمل الدائب على نشر الأضاليل عن الإسلام بالذات وتكرارها وترديدتها فى صورة مختلفة .

خامساً : استغلال معاهد وكراسى التدريس فى المدارس والكليات والجامعات فى غرض التبشير .

وفى عام ١٢٩٤هـ اقترح المبشر «رامون» على البابا سلسيتين الخامس خطتين للتبشير بين المسلمين :

الأولى : أن يتم تنصير المسلمين بالقوة إذا لم تنفع الجهود فيهم .

الثانية : أن تتخذ الكنيسة العلم والمدرسة وسيلة للتبشير ويبدو أن خطة العلم والمدرسة لاقت قبولا من جانب الفاتيكان فعمل على تنفيذها ، وشجع غريغورس السادس عشر بابا روما منذ عام ١٨٣١م اليسوعيين على الذهاب إلى سوريا للعمل بها وأعطى البابا ليون السادس عشر فى عام ١٨٨١م اليسوعيين فى سوريا حق منح الشهادات بأنواعها (٢) .

وقد ظهرت حركة التبشير فى مصر فى العقد الرابع من القرن التاسع عشر ، وخاصة فى عهد الخديو محمد سعيد حيث دخلت مع رأس المال الغربى الذى تدفق بعد كسر معاهدة ١٨٤٠م لاحتكار الدولة الذى كان أنشأه محمد على ، ووصلت الإرساليات الأمريكية إلى مصر من دمشق فى عام ١٨٥٤م ، ونشطت مع الإرساليات الإنجليزية وغيرها مستفيدين جميعاً من حماية الامتيازات الأجنبية ومن مؤازرة قناصل الدولة لهم ، وأنشأ الأمريكيون أول مجمع مشيخى لهم فى أبريل ١٨٦٠م برياسة جيمس بارنيت وسكرتارية توماس ماكيج ، وعضوية جوليان لونسيج ، وانضم إليهم القس الاسكتلندى

(١) د . على عبد الحليم محمود : الغزو الفكرى ، مرجع سابق ، ص ١٦١ .

(٢) محمد عزت الطهطاوى : التبشير والاستشراق ، مرجع سابق ، ص ٢ ، ٣ .

يوحنا هوج فى مايو من العام نفسه (١) .

وعملت فرنسا على فرض سيطرتها على مصر من خلال الإرساليات التبشيرية والتعليمية ؛ لذلك أسس الأباء الفراريون أول مدرسة فرنسية فى مصر عام ١٨٤٤ ، ثم مدرسة أخرى عام ١٨٤٥م ، وقد استطاعوا أن ينتزعوا اعتراف الحكومة المصرية بخدماتهم التعليمية للبلاد ، ولم يمر سوى خمسة أعوام ، حتى أعطتهم قطعة من الأرض كى يشيدوا عليها مدارسهم ، ثم توالى بعد ذلك مدارس التبشير ، فأنشأت راهبات المحبة مدرسة لتربية البنات علم ١٨٤٦م ، وحذا حذوهن الراهبات الفرنسيسكان ، فأنشأت مدرسة بالقاهرة عام ١٨٥٩م بالقرب من حى الأزبكية ، ومدرسة ثانية بحى بولاق عام ١٨٦٨م ، ومدرسة ثالثة بمدينة المنصورة عام ١٨٧٢م .

وقد التحق بهذه المدارس التبشيرية كثير من الطلة والطالبات من كل جنس حتى بلغ عددهم فى عهد الخديوى إسماعيل ثلاثة آلاف طالب وطالبة ، على الرغم من أن الغرض الأساسى لهذه المدارس هو نشر الدين الكاثوليكي وخدمة أهداف الاستعمار الفرنسى (٢) .

وأرادت إنجلترا أن تنشر نفوذها أيضا عن طريق الإرساليات التبشيرية والتعليمية اقتداء بفرنسا ، حتى تمهد لها هذه الإرساليات سبيل التدخل السافر فى شؤون مصر ، كما مكنت لها شركاتها التجارية غزو الهند واحتلالها ، فأرسلت أول بعثة تبشيرية إلى مصر عام ١٨٤٠م وجاء البعثة الأسكتلندية البروتستانتية وفتحت لها مدرسة بالإسكندرية ، وتلتها بعثة أخرى ١٨٦٠م برئاسة «مس وتلى» كريمة رئيس أساقفة دبلن ، ووهبت هذه الفتاة حياتها لمهنة التبشير التى جاءت من أجلها مصر ، وأسست مدرسة فى القاهرة لهذه الغاية برغم الصعوبات التى واجهتها ، ولكنها صبرت وثابرت طيلة عشر سنوات فى حمل الفتاة المصرية على التعليم والاستجابة لندائها ، واستطاعت أن تحقق بعد ذلك نجاحا وامتلاأت مدرستها بالتلميذات وقام بتشجيعها الخديوى إسماعيل ، وأمدّها بالمال اللازم ؛ لتشيد هذه المدرسة بحى الفجالة حتى صارت من أرقى مدارس مصر (٣) .

وقد اتسع نطاق التبشير فى مصر بعد الاحتلال البريطانى ، وبلغ درجة بالغه الخطورة ، وتصدى لذلك عبد الله النديم فى مجلة «الأستاذ» الصادرة عام ١٨٩٢م ، ونشر فصلا من كتاب مبشر يدعى يحنا هورى الألمانى سماه «الإسلام وتأثيره على تابعيه» ، قال فيه : «حيث إن الإسلام دين غير صحيح ، وأنه لا تأثير له فى حياة تابعيه الدينية ، ولا

(١) طارق البشرى : المسلمون والاقباط فى إطار الجماعة الوطنية ، مرجع سابق ، ص ٤٧١ .

(٢) عمر الدسوقي : فى الأدب الحديث ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ٩ .

(٣) المرجع السابق ، ص ١٠ .

فى تقدمهم فى العلوم حيثئذ نضع الدين النصرانى محله» ، ويعلق النديم على هذا القول قائلاً : « لو أن أى مسلم كتب مثل هذا التعصب لقامت عليه قيامة أوربا وقالوا : هذا دعاء للحرب الدينية ، وتعرض للدين المسيحى ، وسحبوا قناصلهم ، ونادوا بين أتباعهم المعتمدين فى الشرق بالرحيل بدعوة فقدان الأمن العام وتوحش المسلمين ، فنحن نسأل من ملؤوا أعمدة « التاييز » وغيرها من نسبة التعصب إلى المصريين خصوصاً والمسلمين عموماً : هل رأوا المسلمين اجتمعوا لتغيير دين النصارى ليكونوا معهم ، أو تعرضوا لمسيحى بالمجادلة والمناظرة» (١) .

وأكبر شاهد على تزايد هذا النشاط التبشيرى فى مصر فى ظل الاحتلال البريطانى أن جمعية التبشير الإنجليزىة قد أنشأت فى مصر عام ١٨٩٨م ستة معاهد للتبشير ، فيها كثير من النساء المبشرات ، ويقوم مبشروها بنشر مجلة تسمى «الشرق والغرب» (٢) ، ومجلة أخرى شهرية بعنوان «بشائر السلام» تضمنت هجوماً شديداً على الإسلام ورسوله (٣) .

وقد عقد فى القاهرة فى الرابع من أبريل ١٩٠٦م مؤتمر عام للتبشير فى بيت الزعيم أحمد عرابى بباب اللوق تحت رعاية الاحتلال البريطانى ، وبلغ عدد مندوبى الإرساليات التبشيرية اثنين وسبعين من رجال ونساء منهم واحد وعشرون مندوباً عن إرساليات التبشير الأمريكية فى مصر وإيران وتركيا وسوريا والهند ، وعن إرساليات التبشير الإنجليزىة خمسة ، والباقى عن الإرساليات الأسكتلندية والإنجليزىة المنفردة والألمانية والهولندية والسويدية والدانمركية الموجودة فى بلاد العرب (٤) .

وكان القس زويمر رئيس إرساليات التبشير العربية فى البحرين أول من فكر فى عقد هذا المؤتمر ليجمع فيه إرساليات التبشير البروتستانتية ، وذلك للتفكر والتعاون فى نشر الإنجيل بين المسلمين (٥) ، وكان لفرنسا أيضاً جمعية تسمى الإرساليات العلمية المغربية ، مؤلفة من المستشرقين الذين درسوا الكتب الإسلامية ، والعادات الشرقية واللغة العربية وغيرها من لغات المسلمين خدمة لجماعات فرنسا السياسية والدينية والاقتصادية ، وقد أصدرت هذه الجمعية عام ١٩٠٧م مجلة كبرى مصورة باسم «العالم الإسلامى» يرأس تحريرها المسيو أ . ل شاتليه - أستاذ المسائل الإسلامية فى جماعات فرنسا - وكانت هذه المجلة فى بداية صدورها تظهر بأنها مجلة علمية حتى تم لفرنسا احتلال المغرب فظهرت

(١) أنور الجندى : الفكر العربى المعاصر ومعركة التغريب والتبعية الثقافية ، مرجع سابق ، ص ٢٩٨ ، ٢٩٩ .

(٢) محمد عزت الطهطاوى : التبشير والاستشراق أحقاد وحملات ، مرجع سابق ، ص ٢٢٥ .

(٣) محمد جمال الدين المسدى : دنشواى ، القاهرة ، الهيئة العامة للكتاب ، ١٩٧٣م ، ص ٦٢ .

(٤) محمد عزت الطهطاوى : التبشير والاستشراق ، مرجع سابق ، ص ١٥٢ ، ١٥٣ .

(٥) أ . ل شاتليه : الغارة على العالم الإسلامى ، ترجمة محب الدين الخطيب واليافى .

بظهرها الحقيقى الذى تكون فيه الدروس الدينية ذريعة لغايات سياسية (١) .

ومنذ عام ١٩١٠م نمت لدى المبشرين فكرة اقتحام المجال الإسلامى ، وأعلن جوط موط المبشر الكبير شعار : ضرورة تبشير العالم كله فى هذا الجيل ، وطرح فكرة تنصير العالم غير النصرانى ، كقضية عاجلة ومن أجل ذلك انعقد أول مؤتمر عالمى للإرساليات فى أدنبرة باسكتلندا فى عام ١٩١٠م ، جمع المندوبين من ١٥٩ جمعية من غالب المنظمات والكنائس ، وعرضت على المؤتمر ثمانية موضوعات على رأسها مسألة حمل الإنجيل إلى العالم غير المسيحى ، ومنها - أيضاً - التعليم وأثره فى تنصير الحياة الوطنية وعلاقة التبشير بالاديان غير النصرانية ، وعلاقة الإرساليات بالحكومات التى تعمل فى بلادها ، وأظهر هذا المؤتمر العداء والبغضاء للإسلام والمسلمين ، وأشار إلى أن الإسلام قد انتشر على حساب النصرانية ، وأظهر ضعفها وأقام عقيدة ونظاما اجتماعيا جديدين ، وبدأ قوة هائلة عملت على توحيد الشرق (٢) ، وقد ركز التبشير على مصر بعد الحرب العالمية الأولى على أساس أن مصر هى مركز الثقل فى العالم العربى كله ، وكل ما يثار فيها من تيارات إنما يكون عاملا مهما للتأثير على مختلف الأجزاء فى الوطن العربى كله ، وفى فترة ما بين الحربين العالميتين - موضوع الدراسة - عقدت سلسلة من مؤتمرات المبشرين منها مؤتمر عقد بحلول من ضواحي القاهرة فى الفترة من ١٧ - ١٩ أكتوبر ١٩٢١م ، مثلت فيه كنائس غربية وشرقية فى إطار حركة عالمية لإعادة توحيد الكنائس .

وظن المبشرون فى حركات التغريب والعلمنة الحاصلة فى المجتمع المصرى عنصرا موافيا له فى نشاطهم ضد الإسلام ، مادامت حلت الجامعة الوطنية محل الجامعة السياسية الدينية وألغيت الخلافة الإسلامية ، وحلت القوانين الوضعية محل النظم والقوانين الإسلامية ، وانتشر الفكر الغربى بين المصريين ، واعترفت النظم السياسية بحرية العقيدة والحرية الفردية .

وتركزت المقار الرئيسية للتبشير فى مصر فى مراكز الإرساليات والجمعيات الدينية كجمعية الكتاب المقدس ، وجمعيةى الشبان المسيحيين والشابات المسيحيات ومدارس الإرساليات الأمريكية والإنجليزية ، مثل كلية التجارة بالعطارين بالأسكندرية ومدارس الأمريكان بالقاهرة ، ومدارس الأسقفية الإنجليزية بسرأى القبة ، والجامعة الأمريكية ، وكلية البنات الأمريكية بشارع رمسيس ، ومدرسة الأربكية للبنات ، وكلية أسيوط الأمريكية وكلية البنات الأمريكية بأسيوط ، وكلية البنات الأمريكية بالأقصر ، والمستشفيات : كمستشفيات طنطا الأمريكية وهرميل الإنجليزية بالقاهرة وشبين القناطر وبور سعيد وأسيوط الأمريكية والجرمانى بأسوان ، والملاجئ : كملجأ ليليان تراشر بأسيوط

(١) محمد سعد الدين الجزاوى : أصداء الدين فى الشعر المصرى الحديث ، ص ١٩٥ .

(٢) طارق البشرى : المسلمون والاقباط فى إطار الجماعة الوطنية ، مرجع سابق ٤٧٣ - ٤٧٥ .

والإنجيلي بحلولان (١) .

وكان لمعاهدة لتران التي عقدت في ١٩٢٩م بين الكرسي البابوي والحكومة الإيطالية، والتي حصلت الفاتيكان بموجبها على مساعدات مالية كبيرة أعلن أن الجانب الأكبر منها سيوجه إلى دعم الحركة التبشيرية وكان لهذه المعاهدة أثرها الواضح ، فإنه لم تكذب تمضي على ذلك فترة طويلة حتى اجتاحت مصر والسودان حملة تبشيرية ضخمة (٢) .

ويلاحظ أن هدف التبشير ليس إدخال المسلمين في النصرانية فحسب ، بل العمل أيضا على محاربة العقيدة الإسلامية عن طريق نشر الأفكار العلمانية والمادية وتحطيم مقومات الفكر الإسلامي وقيمه وتغليب طابع التفرنج الذي يقضى على الذاتية الإسلامية والشخصية العربية المستقلة ، هذا ما أكدته محب الدين الخطيب في مقال بعنوان «دعاة النصرانية في ديار الإسلام» وأنه من أهداف التبشير التي أعلنها كبير المبشرين زويمر في مؤتمرهم قبل الحرب العالمية الأولى «هدم الإسلام من قلوب المسلمين ، حتى إذا أصبخوا غير مسلمين سهل علينا - على زويمر - أو على من يأتي بعدنا أن يبنوا النصرانية في نفوس المسلمين ، أو في نفوس من يتربون على أيديهم» (٣) .

واستعانوا على ذلك بالتعليم والخدمات الطبية والاجتماعية والمطبوعات ، يقول زويمر لتلاميذه : «إنكم أعددتكم شابا في ديار الإسلام لا يعرفون الصلة بالله ولا يريدون أن يعرفوها ، وأخرجتم المسلم من الإسلام ، ولم تدخلوه في المسيحية ، وبالتالي جاء النشء الإسلامي طبقا لما أراده له الاستعمار» (٤) . فمن أهداف الاستعمار إذن العمل على إفساد عقول المسلمين ، ونشر الأفكار الهدامة لتهديد الطريق للمبشرين لنشر الدين النصراني ، كما ساعد الاستعمار المستشرقين لنفس الهدف ، ولا شك أن هناك صلة قوية بين التبشير والاستشراق ، رغم ما يتسم به الاستشراق من صفة علمية ، وإن كان هناك بعض المستشرقين الذين يعملون على إبراز الحقيقة العلمية الموضوعية ، لكن غالبية المستشرقين يعملون بالتبشير ، والسبب الرئيسي الذي دعا الأوروبيين إلى الاستشراق هو سبب ديني في الدرجة الأولى وذلك ليتسنى لهم تجهيز وإرسال الدعاة المبشرين إلى العالم الإسلامي (٥) .

فأهداف التبشير والاستشراق واحدة وإن اختلف الأسلوب والطريقة ، وهي تتلخص فيما يلي :

(١) المرجع السابق ، ٤٧٨ .

(٢) أنور الجندي : مقدمات العلوم والمناهج ، مرجع سابق ، ص ٦٩٣ ، ٦٩٤ .

(٣) الفتح ، عدد ٩١ ، ٢١ شوال ١٣٤٦هـ ، ٢ أبريل ١٩٢٨م .

(٤) محمد علي ضناوي : كبرى الحركات الإسلامية في العصر الحديث ، القاهرة ، دار الاعتصام ، ١٩٧٨م ، ص ٧٦ .

(٥) المرجع السابق ، ص ٢٣ ، ومحمد البهي : الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي ، ص ٥٢٢ ، ٥٢٣ .

- ١- تشكيك المسلمين فى إسلامهم وعقيدتهم وثقافتهم والحيلولة دون تجمعهم .
- ٢- اختيار بعض الأشخاص وتعهدهم والإيحاء لهم بخلق اتجاهات معادية للإسلام بغية زعزعة عقائد المسلمين .
- ٣- دراسة التطور الفكرى والسياسى فى المنطقة الإسلامية .
- ٤- تحويل المسلمين إلى النصرانية (١) .

وتحقيقا لهذه الأهداف بلغ استهتار الإنجليز بمقدرات الأمة المصرية وتجاهلوا أنها أمة مسلمة ، ففتحووا للحملات التبشيرية أبواب البلاد بعد أن مهدوا لها بنشر الجهل والفقر والمرض ، وبعد أن اطمأنوا إلى أن مقاليد الحكم فى مصر أصبحت فى يد الفئة التى تدين لهم بالولاء والتبعية ، ومن ثم انتشر المبشرون فى أنحاء البلاد فى المدن والقرى تحت سمع المسؤولين من الحكام وبصرهم ، بل إن هؤلاء الحكام كانوا بحكم تعليمات رؤسائهم يسهلون للمبشرين وسائل دخول المدن والقرى ، كما يسهلون لهم وسائل الاتصال بالجماهير وإقامة ما يشاؤون من منشآت ، والأخذ على يد من يتعرض لهم (٢) .

وقد ذهب زويمر (٣) - كبير المبشرين الأمريكين فى مصر وسوريا وفلسطين - إلى الأزهر الشريف مع ثلاثة من الأجانب من بينهم امرأة ، فتنبهه مراقبوا الجامع الأزهر لعلمهم بنشاطه التبشيرى ، ودخل المبشر ومن معه حلقة درس الشيخ سرور الزنكلونى ، وفى أثناء شرحه لسورة «التوبة» ووزع على الطلبة ثلاث رسائل تتضمن تفسيرات نصرانية لآية الكرسي وأسماء الله الحسنى ، ثم ترك الحلقة إلى غيرها يوزع رسائله ، وأهاج هذا الأمر نحو من ثلاثة آلاف طالب أزهري كانوا موجودين وقتها ، ومزقوا الرسائل ، وساد السخط والاستياء جميع الأوساط العلمية والسياسية والصحفية (٤) ، وبخاصة صحافة الاتجاه الإسلامى ، وكتبت صحيفة «الفتح» متعجبة أن تبلغ الجراة بالمبشرين أن يدخلوا معقل الدعوة الإسلامية فى مصر وهو الجامع الأزهر الشريف ويوزعوا الكتب التبشيرية بين طلابه ، الأمر الذى أحدث ردود فعل واسعة النطاق فى أروقة الجامع الأزهر ، إذا

(١) محمد على ضناوى : كبرى الحركات الإسلامية ، ص٢٤ - ٣١ .

(٢) محمود عبد الحليم : الإخوان المسلمون ، أحداث صنعت التاريخ ، مرجع سابق ، ص ٥٩ .

(٣) كان زويمر المسؤول عن تحرير مجلة «العالم الإسلامى» التبشيرية وواحدا من أقطاب كافة مؤتمرات التبشير التى انعقدت لتنصير العالم الإسلامى ، وعرفت كتاباته بالتعصب والتعسف ضد الإسلام ، وكان لدى زويمر تصريح من وزارة الأوقاف المصرية بدخول المساجد ، وقد استغل هذا التصريح الصادر إليه بوصفه مستشرقاً فى دخول الأزهر وتوزيع بعض رسائل التبشير فى عام ١٩٢٦م ، ثم فى أبريل ١٩٢٨م انظر : طارق البشرى : المسلمون والأقباط فى إطار الجماعة الوطنية ، مرجع سابق ، ص ٤٨٣ .

(٤) طارق البشرى : المسلمون والأقباط فى إطار الجماعة الوطنية ، ص ٤٨٣ ، ٤٨٤ .

طالب علماء هذه الزمرة من المبشرين الذين يهاجمون الإسلام فى عقر داره (١). وأرسل علماء الأزهر أيضا وفدا إلى رئيس الوزراء مصطفى النحاس طالبين إليه وقف أعمال التبشير فى مصر، ووقف توزيع رسائل المبشرين فى الشوارع ووسائل المواصلات ، وعلى صعيد آخر كان من ردود الفعل الغاضبة تجاه دخول المبشرين الأزهر أن قام خليل أبو رحاب ومحمد لطيف وعبد الحميد بك سعيد رئيس جمعية الشبان المسلمين بتقديم احتجاج رسمى فى مجلس النواب إلى رئيس الوزراء ووزير الداخلية ، قال الدكتور عبد الحميد سعيد : هل وصل إلى علم دولة رئيس الوزراء ووزير الداخلية ما يقوم به جماعة المبشرين الأمريكان من إيقاد الفتنة فى أنحاء البلاد بتوزيع كتب وأوراق كلها طعن فى الدين الإسلامى ، وهل علما كيف وصلت السفاهة بالمبشر الأمريكى المدعو زويمر ، حيث اجتراً على إهانة المسلمين وجرح كرامتهم بالطعن على الإسلام فى أكبر وأقدس معهد إسلامى ، ولولا ما تذرع به علماء الجامع الأزهر من العقل والحكمة لكان مصير ذلك السفه القتل ، ودعا الحكومة إلى اتخاذ الإجراءات الرادعة لهؤلاء المفسدين ومراقبة حركاتهم ، وأن تحرم عليهم دخول المساجد والتجول فى القرى ، وتوزيع تلك النشرات التى تؤذى المسلمين فى دينهم وعواطفهم (٢) .

وجاء رد رئيس الوزراء مخيبا للأمال الإسلامية ، إذ راعى ما تفرضه الامتيازات الأجنبية من قيود على حركة الحكومة والدولة عامة ، وما تمنحه للأجانب ومنهم المبشرين من حصانات ، فاكفى بذكر اهتمام الحكومة بالأمر واعتذار القس زويمر عن فعلته ، وامتدح الأزهريين لاتخاذهم موقف الرزانة والحكمة تجاه صنيع زويمر (٣) .

ويبدو أن هذا الرد لم يلقى قبولا لدى الجانب الإسلامى ، فانبثرت الصحف الإسلامية لمهاجمة الحكومة المصرية وكشفت عن تسامح الحكومات مع البعثات التبشيرية منذ عصر محمد على إلى الآن «١٩٢٨م» ، وذكرت «الفتح» أن حكومة مصر الإسلامية لم تكن منذ أيام محمد على إلى الآن متسامحة مع الإرساليات والراهبات الكاثوليكية فحسب ، بل هى أكرمت وفادتهم وأقطعتهم المساحات الواسعة فى أنحاء البلاد وسهلت لهم السبل لإنشاء المعاهد العلمية والأدبية وإحاطتهم بصنوف من الرعاية لم يروها فى فرنسا البنت البكر للكللثة ، ولا من روسيا السوفيتية ، ولا من الجمهورية التركية ، ولا من المكسيك فى القرن العشرين (٤) .

وقدمت الصحف الإسلامية احتجاجات الجمعيات الإسلامية ، فى مصر ، ونشرت

(١) الفتح ، عدد ٦٤ ، ٤ ربيع الآخر ١٣٤٦هـ ، ٢٩ سبتمبر ١٩٢٧م .

(٢) الفتح ، عدد ٩٣ ، ٦ ذو القعدة ١٣٤٦هـ ، ٢٦ أبريل ١٩٢٨م .

(٣) طارق البشرى : المسلمون والأقباط فى إطار الجماعة الوطنية ، مرجع سابق ، ص ٤٨٤ .

(٤) الفتح ، عدد ٥٧ ، ١٤ صفر ١٣٤٦هـ ، ١١ أغسطس ١٩٢٧م .

برقيات الاحتجاج من الجامعات والأفراد والمؤسسات ، وكلها تجمع على استنكار النشاط التبشيري في مصر وتندد بدخول المبشرين الجامع الأزهر الشريف - معقل الإسلام في هذا البلد وقد أعد علماء معهد الزقازيق بياناً يستنكرون فيه الدعاية التي يقوم بها المبشرون في بلاد العرب والإسلام ، ويطالبون بتشكيل لجنة لرسم خطة مثلى لمقاومة المبشرين ، الذين اعتدوا على حرمت الإسلام ومقدساته (١) .

وكتب عالم آخر من علماء الأزهر مقالا بعنوان : «هل من عطف يرحم الإسلام» عبر فيه عن ألمه لما يقوم به المبشرون في مصر وغيرها من البلاد الإسلامية من تنصير للمسلمين من خلال مدارسهم ومستشفياتهم التي أنشئت لهذا الغرض ومضى في مقاله شارحا بعض المطاعن والافتراءات التي يبثها المبشرون على الدين الإسلامي ، ودعا المسلمين إلى مقاومة البعثات التبشيرية وملاحقتها في كل مكان (٢) .

وناشد عمر إبراهيم الدسوقي - أحد كتاب الفتاح - ملك البلاد أن ينظر في أمر هؤلاء المبشرين الذين انتشروا في البلاد انتشارا ذريعا ، وقدم النائب على بك سالم سؤالاً إلى وزيرى الداخلية والخارجية عن الإجراءات التي ينبغي أن تتخذ حيال هؤلاء المبشرين ، والمدارس الأجنبية في مصر التي تقوم بأعمال التبشير وتطعن في الإسلام (٣) .

وكان من أبرز المدارس التبشيرية في مصر المدارس العذارية والفرنسيسكان والفريير والأمريكان والآباء اليسوعيون ، والجامعة الأمريكية بالقاهرة ، وكلية فيكتوريا في الإسكندرية ، وقد تصدى كتاب الصحافة الإسلامية لفضح هذه المدارس التبشيرية وبيان خطورتها في تنصير النشء المسلم ، ودعوا المسلمين إلى الانفصال عنها ودعوا أثرياء المسلمين إلى المساهمة في إنشاء مدارس تضم أبناءهم . ويشير الشيخ مصطفى محمود القاضى في مقال بعنوان : «خطر المراسلين الأمريكان» إلى ما يقوم به المراسلون الأمريكان في كلية أسيوط من تعليم الطلبة المسلمين دروس الديانة النصرانية وامتحانهم فيها ، وأنهم استطاعوا تنصير اثني عشر طالبا ، ونبه إلى خطر هذه المدارس قائلا : «مدارس الأمريكان هي مدارس تقوم بها جمعية غرضها الدعوة إلى الدين المسيحى ، ومعقل هؤلاء الدعاة في القطر المصرى أسيوط ، لهم فيها مدرسة ابتدائية ومدرسة ثانوية ، ومدرسة للبنات ، وفي كل هذه المدارس يضطر الطالب المسلم أن يتعلم دروس الديانة المسيحية ، ولا ينقل من فرقة إلى فرقة إلا بعد النجاح في هذه الامتحان» (٤) .

(١) الفتاح ، عدد ٤٦ ، ١٧ ذو القعدة ١٣٤٥هـ ، ١٩ مايو ١٩٢٧م .

(٢) الفتاح ، عدد ١٥ ، ٥ من محرم ١٣٤٤هـ ، ١٥ يوليو ١٩٢٦م .

(٣) الفتاح ، عدد ١٩٦ ، ٢٥ ذو القعدة ١٣٤٨هـ ، ٢٤ أبريل ١٩٣٠م .

(٤) الفتاح ، عدد ٦٤ ، ٤ ربيع الآخر ١٣٤٦هـ ، ٢٩ سبتمبر ١٩٢٧م .

وكتب عجاج نويهض - مترجم كتاب «حاضر العالم الإسلامي» - في صحيفة الفتح يؤكد أن المدارس الأجنبية المنتشرة في العالم الإسلامي السواد الأعظم منها تبشيرية ، وهي بمختلف علاماتها وأنواع جمعياتها التي تنتمي إليها شر القوى المسطرة على النفسية العامة في هذه البلدان ؛ لأنها مراكز مسلحة بأحداث آلات الفساد وعملها في الغارة على الأمة ونشئها لا يقل بوجه من الوجوه عن الغارة العسكرية الحربية ، بل غارة المدارس الأجنبية أقتل وأنفذ ، وتهدف هذه المدارس إلى تخريج نشء مسلوب الدين والعقيدة فاقد لتاريخ الإسلام والتقاليد العربية الأصيلة (١) .

وطالب الدكتور عبد الحميد سعيد رئيس جمعية الشبان المسلمين وزارة المعارف أن تراقب هذه المدارس لترى أهى مدارس للعلم ، أم هى مفاصد لدين الأمة وأمكنة لنشر أسباب الفتنة والبغضاء بين المسلمين وغيرهم ، مشيراً إلى حادثة وقعت في مدارس الفريز إذ وقف أحد المدرسين يطعن في الإسلام بين التلاميذ ويشكك في تعاليمه (٢) ، هذا فضلاً عن اضطهاد الطلبة المسلمين في تلك المدارس، حيث يحال بينهم وبين دراسة الإسلام ، ويمنعون من قراءة القرآن ، ولم يسمح لهم أن يقرؤوا باب الجهاد في الفقه والآيات التي تحث على ذلك وغير ذلك من المسائل الإسلامية (٣) .

وقد تابعت الصحافة الإسلامية أخبار المنظمات التبشيرية في بعض البلاد العربية والإسلامية ، وآزرت جهود بعض الحكومات العربية في رفض إنشاء مدارس تبشيرية في بلادها ، وقد أشادت الفتح برفض الحكومة اليمنية طلب البعثة الكاثوليكية لإنشاء مدرسة في صنعاء وقالت : «إن الحكومة معذورة في ذلك لأنها ترى في المدارس التبشيرية طلائع عمل استعماري واسع النطاق قد يؤدي إلى وضع البلاد تحت رحمة المستعمرين» (٤) ، وأكد الشيخ عبد الباقي سرور على أن خطر التبشير شديد وأن حركتهم توجه سهامها إلى بلاد العرب مهد الديانة الإسلامية ، وناشد المسلمين في تلك البلاد إلى مقاومة هذا الخطر بتشكيل الجمعيات وجمع الأموال لها ، واختيار الدعاة ، وتنظيم الدعاية ، وذلك لإيجاد حركة مضادة لحركة التبشير (٥) ، التي أعلنت الهجوم على العالم الإسلامي .

وكتب القس زويمر في مجلة العالم الإسلامي التبشيرية والتي يشرف على تحريرها في عدد أبريل ١٩٣١م تحت عنوان «المساحات التي لم تحتل بعد» ذكر فيها أن الأقاليم التي لم

(١) الفتح ، عدد ١٥٨ ، ٢٥ صفر ١٣٤٨هـ ، أول أغسطس ١٩٢٩م .

(٢) الفتح ، عدد ١٣٦ ، ١١ رمضان ١٣٤٧هـ ، ٢١ فبراير ١٩٢٩م .

(٣) المنار جـ ٧ م ٣٥ ، أكتوبر ١٩٣٩م .

(٤) الفتح ، عدد ٥٦ ، ٧ صفر ١٣٤٦هـ ، ٤ أغسطس ١٩٢٧م .

(٥) الفتح ، ٤٦ ، ١٧ ذو القعدة ١٣٤٥هـ ، ١٩ مايو ١٩٢٧م .

يزرها المبشرون للآن يجب أن تكون موضع اهتمام الكنيسة وميدان جهادها ، ولا ينبغي أن يبقى في هذا القرن العشرين للتاريخ المسيحي مكان على وجه الأرض لاتطأه قدم المبشر ، وأشار إلى أن أكثر البلاد لم يحتلها المبشرون إنما تقع في دائرة الظلم الإسلامي وحدد شمال إفريقيا وغرب آسيا والصين والهند والمناطق الواقعة في الشمال الشرقي من أذربيجان وكذلك بلاد الأكراد المتاخمة للحدود التركية وبلاد الحجاز واليمن والعراق وسلطنة نجد والسودان (١) .

وقد وضع رشيد رضا خطة التبشير التي تقوم بها الجمعية العالمية الصليبية للتبشير في العالم الإسلامي وفي بلاد العرب ، ومقر هذه الجمعية لندن ويرأسها مستر إستد والمراقب العام لها القس باركليين ، وترجمت المنار المنشور اللبني أعدته هذه الجمعية لتبشير جزيرة العرب ، وما احتوى من هجوم شديد على الإسلام وعلى دينه ورسوله وعقائده ، فقد جاء في هذا المنشور : «إن بلاد العرب والتي تبلغ مساحتها مليون ميل مربع وفيها من السكان من أربعة ملايين إلى اثني عشر مليوناً يموتون ميتة وثنية لم تبلغهم دعوة الإنجيل بعد ، وفيها مكة يتوجهون نحوها بإغراء الشيطان ليصلوا صلاة كاذبة صلوا من أجل العرب كي ينجيهم الله هم مخدوعون من الشيطان الذي اخترع لهم كتاباً مزيفاً هو القرآن الذي حل محل كلمة الله الحية الكلمة القادرة على تخليص نفوسهم ، فمن يحمل كلمة الدعوة إلى العرب فمن يخرج ويكي ويزرع زرعاً جيداً يعود فرحاً ويقطف بما زرعه . . إن المسيح مات فدية عن الجميع ثم قام من الموت ، هو مات عنكم وعن العرب فمن يقطع أمر المسيح فيذهب إلى العرب بهذه الرسالة ، وحوى المنشور أيضاً دعوة إلى الذهاب إلى مكة والمدينة لتبشير الحجاج حتى يصيروا حجاج المسيح وحده (٢) .

وحينما قبضت الحكومة السعودية على اثنين من المبشرين اللذين حاولا دخول البلاد السعودية كتب محب الدين الخطيب سلسلة مقالات بعنوان «كلمة صريحة حول المبشرين» أكد فيها أن الاستيلاء على بلاد العرب ولا سيما القطر السعودي هو غاية المبشرين لأنها كعبة الإسلام وقبلته وفيها الحرمان الشريفان ، وكشف محب الدين الخطيب عن جهود المبشرين في حلب لتبشير المسلمين هناك ، حيث افتتحوا مكتبة بعنوان : «المكتبة الأمريكية المجانية» هذه المكتبة توزع منشورات على الناس بعنوان : «إلى الله» ، «إنجيل يوحنا» ، «شذرات من التوراة والإنجيل» ، استعد للقاء إلهك ، كل هذا بغير مبالاة بشعور المسلمين هناك (٣) .

وقد أكدت معطيات الصحافة الإسلامية عن موضوع التبشير على أن هناك صلة قوية

(١) نور الإسلام ، ج٣ ، محرم ١٣٤٩ هـ .

(٢) المنار ج٢ ، م ٢٨ ، شوال ١٣٤٥ هـ ، أبريل ١٩٢٧ م .

(٣) الفتح ، عدد ٨٢ ، ١٠ شعبان ١٣٤٦ هـ ، ٢ فبراير ١٩٢٨ م .

بين التبشير والاستعمار ، وأن التبشير عمل استعماري بالدرجة الأولى ، وأن الغرب حينما لم يستطع مقاومة الإسلام بالسيف حاول مقاومته بطريقة التبشير بالدين النصراني من خلال البعثات التبشيرية التي انتشرت في كل البلاد الإسلامية ، وهذه البعثات تستمد تعليماتها من المراكز الرئيسية في عواصم أوروبا (١) . والمدارس التي أنشأتها الجمعيات التبشيرية من فرنسية وإنجليزية وأمريكية وألمانية وإيطالية أدوات لتحقيق الفتح التبشيري وتوطيد الفتح السياسي عن طريق إيجاد خطط للأقطار المراد فتحها ، وأعانتهم على ذلك تلك البعثات المختلفة التي كانت ترسلها الممالك الإسلامية إلى أوروبا (٢) ، فضلا عن البرامج والخطط الأخرى التي أعدتها الحكومات الاستعمارية لمحو الإسلام وإضعاف المسلمين وإذلالهم ، منها : بناء المستشفيات لاستغلال حاجة المرضى المسلمين للعلاج ، ولكنها في الحقيقة للتنصير ، فالأطباء يلبسون ملابس القسس ويرددون على المريض عبارات من الإنجيل ويدعونهم دعوة صريحة للدخول إلى النصرانية (٣) . ومن هذه الخطط أيضا تعضيد فكرة الإلحاد ونشرها بين الطبقات المتعلمة من المسلمين والشرقيين التي تعمل بدورها على تحقيق برنامج المستعمر من خلال تقليل أهمية التعاليم الدينية في المدارس والمؤسسات التعليمية والثقافية ، كذلك تعمل الحكومات الاستعمارية على ترويض الجرائد والمجلات الخلية بين الشباب والشبابات المسلمات ، وإرسال بعثات من أطفال المسلمين إلى البلاد الغربية بدعوى تعليمهم والحقيقة هي لتنصيرهم (٤) .

وقد أخذت الحكومات الأوروبية الاستعمارية - لا سيما بعد الحرب العالمية الأولى - تزداد اهتماما بتأييد الرسائل الدينية والبعثات التبشيرية وعلى وجه الخصوص حكومة فرنسا وإيطاليا وبلجيكا ، وكذلك الحكومات البروتستانتية اهتمت بنشر دعايتها وإرسال رسالاتها ومبعوثيها كحكومة أمريكا وإنجلترا وهولندا ، ويلاحظ أن للألمان البروتستانت رسالات دينية ، وللألمان الكاثوليك رسالات أخرى ، وللفرنسيين الكاثوليك رسالات دينية وللفرنسيين البروتستانت رسالات أخرى ، وهكذا في معظم الدول الأوروبية .

وبين شكيب أرسلان اهتمام الحكومات الأوروبية بالتبشير ، مشيرا إلى أن هذه الحكومات تنظر إلى التبشير الكاثوليكي والبروتستانتى بعين الرضا لأمرين :

الأمر الأول : هو الأمل بأن التدين بالنصرانية يخفف بغضاء الشرقيين للسلطة الأوروبية فيهون على هذه الدول الاستعمار ؛ ولذلك كانت حكومة فرنسا اللادينية تأخذ بيد

(١) الفتح ، عدد ٥١ ، غرة محرم ١٣٤٦هـ ، ٣٠ يونيو ١٩٢٧م .

(٢) أنور الجندي ، الفتح ، تاريخ الصحافة الإسلامية ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ٨٦ .

(٣) نور الإسلام ، ج ٣ ، ١٠ ، ربيع الأول ١٣٤٩هـ .

(٤) الشبان المسلمون ، ج ٩ ، ٢٠ محرم ١٣٥٠هـ ، يونيو ١٩٣١م ، مقال بعنوان : أكيد الاستعمار والمستعمرين لمحو الإسلام واستعباد المسلمين ، د . يحيى الدردري .

الكاردينال لافيجرى سرا فى مهمة تنصير أهل الجزائر ، وحكومة هولندا تساعد المبشرين فى جلاوه ، وكذلك يساعد ضباط الإنجليز المبشرين البروتستانت فى أوغندا ومصر .

الأمر الثانى : هو أن الدول الأوروبية تنظر بعين الحذر إلى انتشار الدعوة الإسلامية فى كل مكان بدون استثناء (١) ، وعلى وجه الخصوص الدعوة الإسلامية التجديدية التى كان يدعو إليها جمال الدين الأفغانى والشيخ محمد عبده وتلاميذهما فيما بعد ، ومحاولة صد هذه الدعوة قبل أن تنتشر وتصبح خطرا يهدد الكنيسة ومبادئها وأفكارها ، وقد أقيمت عدة مؤتمرات تبشيرية لهذا الغرض ، انتدب لها أكابر القسس والمبشرين والمستشرقين ، ووضعت لها البرامج والمناهج لدراسة القضاء على هذه الدعوة الإسلامية التى كان لها صدى واسعا فى العالم كله ، ومن هذه المؤتمرات :

١- مؤتمر القاهرة ، الذى انعقد فى عام ١٩٠٦م فى منزل الزعيم أحمد عرابى باشا بباب اللوق ، كما أشرنا قبل .

٢- مؤتمر أودنبرج فى عام ١٩١٠م ، وقد ضم أكثر من ١٢٠٠ مندوبا منهم ٥٠ من الإنجليز ٥٠٥ من الأمريكيين والباقيون من الدول النصرانية الأخرى ، وكان المستر روزفلت رئيس جمهورية الولايات المتحدة الأمريكية سابقا أحد مندوبى إرسالية التبشير الأمريكية .

٣- مؤتمر لكنو بالهند ، وقد انعقد فى سبتمبر ١٩١١م ، وشارك فيه ١٦٨ مندوبا ، وممثلون عن ٥٤ جمعية تبشيرية ، بلغوا ١١٣ عضوا ، وكان رئيس هذا المؤتمر القسيس روبرت رئيس المبشرين فى الشرق .

٤- مؤتمر القدس الأول (٢) ، الذى دعا إليه القسيس روبرت نفسه ، والذى انعقد فى

(١) الفتح ، عدد ١٣٠ ، ٢٩ رجب ١٣٤٧هـ ، ١٠ يناير ١٩٢٩م .

(٢) كان من أبرز ما اتخذ فى هذا المؤتمر من توجيهات هى :

- ١- فى كل حقل من حقول العمل التبشيرية يجب أن يكون موجها نحو النشء الصغير من المسلمين .
- ٢- التعليم التبشيري هو أفضل وسيلة للوصول إلى المسلمين ورفع كفاءة المبشرين .
- ٣- التحذير من كل نوع من أنواع الجدل السلبي والاعتماد على التبشير الإيجابى بكلمة المسيح المصلوب .
- ٤- القضية محصورة فى مواجهة واحدة هى تعبئة صفوف جديدة .
- ٥- الذين يتصرفون من المسلمين يجب أن ينقلوا إلى جهة اجتماعية أخرى .
- ٦- أن بعض الحكومات الاستعمارية بانث صديقة للتبشير ومعاونة له .
- ٧- الدستور الذى أنشئ فى مصر قد اشتمل على نصوص قاطعة تكفل الحرية الدينية .
- ٨- خير الوسائل هى اقتباس آراء الكتاب والمفكرين ومحاضراتهم كالأراء التى كتبها جرجس سال ونقلها طه حسين فى كتابه «الشعر الجاهلى» .
- ٩- الحرب الكبرى جعلت العديد من المسلمين على صلة مباشرة بالحضارة الغربية ، فانفتحت عيونهم على عالم=

عام ١٩٢٤م فى يافا (١) ، ومؤتمر القدس الثانى المنعقد فى أبريل ١٩٢٨م والذى افتتحه القس جوط موط الزعيم الدولى لجمعية الشبان المسيحيين تحت عنوان : «الهدف توحيد السياسة بين الكنيسة القديمة والجديدة لجعل الضغط الغربى على سائر أنحاء العالم مرتكنا إلى القواعد المسيحية» (٢) .

وقد أحدث هذا المؤتمر التبشيرى الأخير ردود فعل فى صحافة الاتجاه الإسلامى ، ظهرت أصداؤها فيما نشر من بيانات الاستنكار والاحتجاجات التى قدمتها الجمعيات الإسلامية على انعقاد هذا المؤتمر ، وكان فى مقدمة هذه الجمعيات جمعية الشبان المسلمين ، وجمعية الهداية الإسلامية ، والجمعية الإسلامية بنابلس وحيفا ، كذلك أبررت الصحف أخبار وأنباء الاحتجاجات والمظاهرات التى قام بها سكان المدن الفلسطينية ضد الحكومة الفلسطينية التى سمحت بانعقاد هذا المؤتمر فى فلسطين ، وكذلك مؤتمر القدس ١٩٢٤م ، كما نشرت الصحف الإسلامية برقيات الاحتجاج التى وردت إليها من القراء المصريين الذين ندّدوا بعقد هذا المؤتمر التبشيرى فى القدس ، وعرضت الصحف أيضا للقصاصد الحماسية التى تهاجم المبشرين وكبيرهم زويمر ، ومن أبرز هذه القصاصد - على سبيل المثال - قصيدة الشاعر الصاوى على شعلان بعنوان: «كيف نودع رئيس الشياطين؟» إلى الدكتور زويمر ، جاء فى مطلعها :

ألا أبلغ زويمر والعذارى كأمثال الظبا أبت القفار
ترتل فى كنائسها صلاة فتبعث من فؤادك ما توارى

وأكدت صحيفة «الفتح» على صلة الاستعمار العالمى بالمؤتمر التبشيرى فى القدس قائلة : «كانت دواوين الاستعمار فى عواصم الدول العظمى على اتصال بالمؤتمرين وعاملة على إلحاح مساعيهم لتتوصل بها إلى أغراضهم من الاستبداد بالحكم فى الوطن الإسلامى ، وأبرز دليل على ذلك : حضور المندوب السامى البريطانى بنفسه فى حفلة افتتاح المؤتمر بالقدس» (٣) ، وتجاهلت كل الصحف الغربية جميع الاحتجاجات التى قدمت على انعقاد المؤتمر التبشيرى بالقدس من الجماعات الإسلامية فى مصر والشام وغيرها ، مع أن أقل حادثة تقع فى الشرق يملؤون الدنيا بها ؛ ولهذا أصبر شكيب أرسلان على إنشاء مكاتب للاستعلامات أو الاستخبارات فى عواصم أوروبا تمدها الصحف الإسلامية

= جليل ما كانوا يعرفونه من قبل .

انظر : أنور الجندى ، الفتح ، تاريخ الصحافة الإسلامية ، جـ ٢ ص ٨٨ ، ٨٩ .

(١) محمد محمود الصواف : المخططات الاستعمارية لمكافحة الإسلام ، السعودية : دار الإصلاح ، ١٩٧٩م ، ص ٥٦ ، ٥٧ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٩١ .

(٣) الفتح ، عدد ٩١ ، ٢١ شوال ١٣٤٦هـ ، ١٢ أبريل ١٩٢٨م .

بالأحداث التي تقع في الشرق ، تفاديا للتعتيم الإعلامي الأوربي للقضايا الإسلامية ، ولأن الاستعمار يحارب المسلمين بهذه الوسائل فهو يذيع عنهم ما يشاء من أغاليط ، ثم يقوم بتوصيل أصواتهم إلى العالم الخارجي (١) .

وحينما انعقد المؤتمر الأفخارستي الذي أقامه الكاثوليك الفرنسيون من رهبان وغيرهم في قرطاجنة من البلاد التونسية ، هبت الصحف الإسلامية في مصر للتنديد بهذا المؤتمر وبيان خطره في تنصير المسلمين وإخراجهم من دينهم (٢) ، وذهبت الفتح إلى أن هذا المؤتمر يمثل كارثة أكبر من ضياع الأندلس ، وشنت حملة عنيفة على شيخ الإسلام في تونس ، وعدد من حملة الشريعة الذين قبلوا أن تتألف منهم لجنة شرف لحضور مؤتمر التبشير الكاثوليكي ، ولتسهيل مهمة كاثوليكية يقوم بها خمسون ألف قسيس من حملة الصليبان العاملين بهمة وإخلاص لإخراج المسلمين من الدين المحمدي وإدخالهم تحت راية الصليب (٣) .

وأشارت صحيفة الشبان المسلمين إلى أن هذا المؤتمر مظهر للحملة العدائية العنيفة التي يقوم بها رجال الكنيسة ضد الإسلام ، وأنه حملة صليبية تأسع على الإسلام ، ومظاهرة مريبة في سياسة الاستعمار الفرنسي ، وأن فرنسا تمثل مأساة الأندلس من جديد ، وأن الدافع لعقد هذا المؤتمر في تونس هو «تحقيق الفكرة التي كانت تدور بين جنبي لويس التاسع والتي حملها بعده الكاردينال لا فيجري ، وليست هذه الفكرة سوى ما كان يقصده لويس التاسع من حملاته الصليبية على هذه الديار وهو إرجاعها إلى الصليب» (٤) .

وقد زاد النشاط التبشيري في الثلاثينات ، وظهرت حركة تبشيرية كبرى في القاهرة عن طريق الجامعة الأمريكية أحدثت أصداً واسعة في الصحافة الإسلامية ، حيث كشفت هذه الصحف عن دور الجامعة في التبشير ، وكتب حسن البنا - المرشد العام للإخوان المسلمين - مشيراً إلى أن الجامعة الأمريكية تقوم بدور تبشيري خطير ، حيث تقوم بإقامة الحفلات التي يخطب فيها المبشرون ويحضرها بعض المسلمين ، وفي هذه الخطب يسيؤون إلى الإسلام ، ويطعنون في نبيه ﷺ (٥) ، وتؤكد «الشبان المسلمون» على أن الجامعة الأمريكية هي أول معهد للمبشرين والعمل بالطرق الصريحة والملتوية لتنصير المسلمين (٦) .

(١) الفتح ، ٤ ذو الحجة ١٣٤٦هـ ، ٢٤ مايو ١٩٢٨م .

(٢) نور الإسلام ، عدد ٩ ، ١م ، رمضان ١٣٤٩هـ .

(٣) الفتح ، عدد ١٥ مايو ١٩٣٠م .

(٤) الشبان المسلمون ، ج ٢ ، ٢م ، جمادى الآخرة ١٣٤٩هـ ، نوفمبر ١٩٣٠م .

(٥) الإخوان المسلمون ، عدد ٣٠ ، السنة الأولى ، ١٥ ذو القعدة ١٣٥٢هـ .

(٦) الشبان المسلمون ، ج ٤ ، ٥م ، رمضان ١٣٥٢هـ ، يناير ١٩٣٤م .

إضافة إلى ذلك استعمل المبشرون فى تنصير المسلمين طريق التنويم المغناطيسى ، ونشرت الصحف تفاصيل عن حادث محاولة بعض المبشرين إغراء التلميذ يوسف عبد الصمد ابن الشيخ عبد الصمد دياب على تغيير دينه واعتناق الديانة النصرانية ، واستعملوا للوصول إلى هذا الغرض طرقا غير مشروعة ، منها : تنويم الشاب تنويما مغناطيسيا عدة مرات للتأثير فيه أثناء نومه غير الطبيعى للخضوع لإرادتهم ، وأبعدوه عن أهله وأسكنوه بالمعادي عند المبشر المدعو عريان بطرس ، وقد أثبتت هذه الحادثة فى مجلس النواب حيث قدم العضوان الدكتور عبد الحميد سعيد والدكتور عبد العزيز نظمى استجوابا لوزير الداخلية عن مدى علم الحكومة بهذا الحادث وغيره من الحوادث المشابهة ، وما هى الإجراءات الحازمة التى ترى الحكومة وجوب اتخاذها بسرعة اتجاه هؤلاء المبشرين الذين لا يحترمون شعور الأمة الإسلامية ولا قوانين البلاد (١) .

ولهذا عقد المركز العام للشبان المسلمين فى القاهرة مؤتمرا كبيرا ناقش فيه موقف الأمة الإسلامية تجاه عدوان المبشرين على دينها ، ونشرت «الفتح» أهم التوصيات التى توصل إليها المؤتمر ، وكانت على الوجه التالى :

- ١- مراقبة سير التعليم فى مدارس المبشرين والمؤلفات التى تقدم فيها .
- ٢- منع المدراس النصرانية من مطالبة الطلاب المسلمين بأداء العبادات النصرانية .
- ٣- مراقبة مستشفيات المبشرين وأماكن محاضراتهم ، ومنع اتخاذها وسيلة للتعدى على الإسلام بأساليب خبيثة .
- ٤- إنشاء مدارس إسلامية لتغطية حاجة المسلمين إلى التعليم وحتى لا يضطرون إلى دخول مدارس التبشير .
- ٥- قصر جهود الإرساليات على أبناء الديانة التى تتبعها الإرساليات (٢) .

كذلك تألفت جماعة باسم «جماعة الدفاع عن الإسلام» للرد على هجمات المبشرين ، تكونت فى مجلس بنادى جمعية الشبان المسلمين فى ٢٤ صفر ١٣٥٢هـ ، ١٧ يونيه ١٩٣٣م من السادة : فؤاد سليم بك الحجازى ، والدكتور عبد الحميد سعيد ، والشيخ محمد عبد اللطيف ، والشيخ عد الوهاب النجار ، وانضم إليها الشيخ محمد مصطفى المراغى شيخ الأزهر الذى ترأس أول اجتماع لها فى ٢٩ صفر ١٣٥٢هـ ، وفى هذا الاجتماع تم الاتفاق على أبرز الخطط لمحاربة التبشير نذكر منها ما يلى :

- ١- رفع عريضة إلى جلالة الملك فؤاد يذكر فيها أعمال المبشرين ، ويلتمس وضع حد

(١) الشبان المسلمون ، ج ٨ ، ٣ ، ذو الحجة ١٣٥١هـ ، مايو ١٩٣٢م .

(٢) الفتح ، عدد شوال ١٣٥٠هـ ، وأنور الجندى ، الفتح ، تاريخ الصحافة الإسلامية ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ٩٦ .

- ٤- لعدوانهم .
 - ٢- توجيه كتاب إلى الحكومة المصرية بضرورة اتخاذ إجراءات حاسمة وسريعة بشأن أعمال المبشرين .
 - ٣- توجيه كتاب إلى وزراء الدول المفوضين في مصر ينبهون فيها إلى أعمال المبشرين خطرها .
 - ٤- نشر نداء للأمة بتحذيرها من إدخال أبنائها في مدارس المبشرين وملاجئهم ومستشفياتهم .
 - ٥- الدعوة إلى اكتتاب عام لإنشاء مؤسسات إسلامية تغني الأمة عن دور التبشير .
 - ٦- حض وزيراتي المعارف والأوقاف على جعل التعليم في مدارسهما قائما على دعامة إسلامية .
 - ٧- مطالبة وزارة الأوقاف بالإكثار من الملاجئ والمستشفيات .
 - ٨- توجيه نظر العلماء والوعاظ وأئمة المساجد إلى ما يجب عمله نحو المبشرين على الخصوص .
 - ٩- تأليف لجنة من العلماء والكتاب لوضع كتب بالتبشير بالإسلام (١) .
- وعرضت صحيفة الإخوان المسلمين أيضا لتاريخ التبشير في الصين ، وبينت كيف كان المبشرون يعكفون على نشر الدين النصراني بين السكان وتتبع تاريخ الدعاية التي قام بها اليسوعيون في الصين واليابان في القرنين السادس عشر والسابع عشر (٢) .
- وحينما أرسلت وزارة المعارف المصرية إلى مدارسها الأولية منشورا تطلب فيه إحصاء النصارى الذين يتعلمون بها حتى تنفذ قرار الحكومة الذي يقضى بتعيين معلم ديني نصراني بكل مدرسة بها عشرة من النصارى أحدث هذا القرار ضجة كبرى ، وكتبت صحيفة الإخوان المسلمين مقالا بعنوان : «التبشير الرسمي خطر داهم جديد إلى علماء الأمة وأمرائها وحراس الدين» وفي هذا المقال وجه الشيخ محمد زكي إبراهيم صرخة مدوية إلى جلالة الملك وإلى أصحاب السمو أعضاء مجلس الوصاية والسادة العلماء وشيخ الأزهر وطلبة الدين والمسلمين بعامة أن يحتجوا على هذا القرار (٣) .
- وقد شكلت لجنة لمقاومة التبشير في الإسماعيلية من أعضاء الإخوان المسلمين ،

(١) الشبان المسلمون ، ج١ ، ٥ جمادى الآخرة ، ١٣٥٢هـ ، أكتوبر ١٩٣٣م .
 (٢) الإخوان المسلمون ، عدد ٨ ، السنة الرابعة ، ١٢ ربيع الأول ١٣٥٥هـ ، ٢ يونيو ١٩٣٦م .
 (٣) الإخوان المسلمون ، عدد ١٣ ، السنة الثالثة ، ٨ ربيع الآخر ١٣٥٤هـ ، ٦ يوليو ١٩٣٥م .

تكونت على أثر تنصيب المبشرين للشباب إسماعيل بكر ، السواق بالإسماعيلية ، وتولى رئاسة اللجنة الشيخ شافعى إمام مسجد الإخوان بالإسماعيلية ، وسلامة أفندى خاطر ناظر معهد حراء الإسلامى سكرتيرا ، وعبد الحميد أفندى رجب ومحمد أفندى حسام الدين وسعيد الهندى وعبد الرحمن أفندى حسب الله وحسن أفندى موسى وإسماعيل أفندى عز وزكى أفندى المغربى أعضاء جمعية الإخوان أعضاء فى اللجنة ، ومن أبرز ما قرره اللجنة :

- ١- عمل نداء للجماهير ببيان أخطار المبشرين .
 - ٢- إنشاء مدارس إسلامية لإيواء أولاد وبنات المسلمين والحيلولة بينهم وبين مدارس التبشير .
 - ٣- تكوين لجنة من فرقة الأخوات المسلمات المتعلّقات للاتصال بالسيدات فى البيوت وإفهامهن خطر التبشير والمبشرات .
 - ٤- التفكير فى إنشاء ملجأ لإيواء البائسين والبائسات .
 - ٥- نشر هذه القرارات فى الصحف وإرسالها إلى مكتب الإرشاد العام بالقاهرة (١) .
- وهكذا نرى قضية التبشير كانت من أبرز القضايا التى شغلت رأى العام المسلم ، وجعلتها الصحف الإسلامية فى مقدمة القضايا التى ينبغى الاهتمام بها ومقاومتها بكل الطرق ، وكشفت عن المغالطات التى احتوتها كتب المبشرين ومنشوراتهم ومجلاتهم وتبعتها بالنقد والتفنيد ، وبينت أن هذه الكتب والمجلات مليئة بالطعن على الإسلام وكتابه رسوله ﷺ ، ومن هذه المجلات التبشيرية التى هاجمتها الصحف الإسلامية مجلة «العالم الإسلامى» التى يصدرها القس زوير ، ومجلة اليقظة التبشيرية التى رعمت أن القرآن أثبت عدم تحريف التوراة والإنجيل وانبرى للرد على هذا الزعم طه صديق العبادى ، مشيرا إلى أن التوراة والإنجيل شاهدان على أنفسهما بالتغيير والتبديل ، وقد شهد بذلك القرآن الكريم ، قال تعالى : ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ﴾ [البقرة : ٥٩] ، وأضاف العبادى : «إن للنصارى أربعة وسبعين إنجيلا ، ولا يعرف الصحيح أو غير الصحيح من هذه الأناجيل ، مما يدل على عدم صحتها» (٢) .

وفى مقال آخر بعنوان : «ضياح التوراة والإنجيل» أثبت فيه بالأدلة والبراهين الدامغة ضياح نسخ التوراة والإنجيل الأصليتين ، وأن ما جاء فى كتب النصارى واليهود ليس وثيق الصلة بالوحي الإلهى ، وإنما هو آراء تبشيرية كتبت بعد ضياح النسخ الأصلية ، وأن الأناجيل الحاضرة ما هى إلا مجموع روايات مختلطة ببعض آيات مأخوذة من كتب يختلف

(١) الإخوان المسلمون ، عدده ، السنة الأولى ، ٢٠ ربيع الأول ١٣٥٢هـ ، ١٩٣٣م .

(٢) الفتح ، عدد ١٣١ ، ٦ شعبان ١٣٤٧هـ ، ١٧ يناير ١٩٢٩م .

بعضها عن بعض (١) .

وكان المبشرون يتعرضون فى مجالاتهم لمجادلة المسلمين فى دينهم والقدرح فيهم بما ينشرون من رسائل ومقالات ، ونشرت مجلة المبشرين العربية «الشرق والغرب» فى عددها الصادر فى أول أبريل ١٩١٦م مقالة بعنوان : «السنة وصحتها» طعنت فيها على السنة النبوية ، وزعمت أن طعنها يوجب الريب والشك فى الشريعة وترك العمل بها ، وأنها لا قيمة لها فى نفسها ، ومما قالته : «إن صحة الشريعة قضية لا بد لكل مسلم سنى من التسليم بها وذلك متوقف على صحة السنة ، فإذا ارتاب أحد فى صحة السنة فليس ثمة داع منطقى يوجب طاعة الشريعة لأن جانباً قليلاً منها يتوقف على القرآن والجانب الأكبر يتوقف على السنة التى اجتمعت فيها الأحاديث ، فإذا ثبت الريب فى هذه الأحاديث تزعزعت أركان الشريعة وأركان تابعيها من حنفى ومالكى وشافعى وحنبلّى وعددهم لا يقل عن ثلاثمائة مليون من الأتباع» .

وقد تصدى رشيد رضا للرد على ما كتبه هذه المجلة التبشيرية ، ولخص رده فى ثلاث قضايا :

القضية الأولى : الرد على زعم المجلة أنه إذا ارتاب أحد فى السنة ينتفى وجوب طاعة الشريعة ، وأشار إلى أن هذه القضية بديهية البطلان «فإن الإطلاق فى جزاء الشرط لا يدل على أن المراد من القضية الشرطية أن ارتياب فرد من الأفراد فى صحة السنة يستلزم انتفاء وجوب الشريعة على جميع الأفراد ، وإنما المعقول الموافق للمنطق أن ارتياب الفرد أو ظنه أو علمه يترتب عليه ما يستلزم فى حق نفسه ولا يكون ذلك مؤثراً فى غيره ممن لم يرتب ارتياحه أو يعلم علمه ، وكذلك ارتياب الأفراد الكثيرين» ويدل على ذلك قائلاً : «لقد ارتاب بعض علماء أوروبا الأحرار فى وجود المسيح ﷺ وزعموا أنه شخص خيالى أو متخيل ولم يوجد ، فهل استلزم ارتياب أولئك المرتابين فيه انتفاء إيمان فئات الملايين من المسلمين والنصارى وغيرهم بوجود المسيح» ١٢

القضية الثانية : الرد على زعم المجلة أن أكثر الشريعة يتوقف على الأحاديث ، وقد فند رشيد رضا هذا الزعم قائلاً : «هذه القضية غير مسلمة ، فإن الشريعة عندنا تشمل العقائد ، والعبرة فيها بالدلالة القطعية ، وجميع العقائد التى تتوقف عليها حجة الإسلام ثابتة بنصوص القرآن وإجماع المسلمين ، وإثبات الألوهية والنبوة منها مؤيد بالبراهين

(١) الفتح ، عدد ١١٥ ، ٣ ربيع الآخر ١٣٤٧هـ ، ٢٧ سبتمبر ١٩٢٨م ، وعدد ١١٧ ، ٢٧ ربيع الآخر ١٣٤٧هـ ، ١١ أكتوبر ١٩٢٨م .

العقلية ، ولا يوجد شيء منها يتوقف على أحاديث الآحاد^(١) التي يمكن الارتياح في بعضها ، وكذلك أصول العبادات كلها قطعية ثابتة بالقرآن والسنة العملية المتواترة التي لا تتوقف على أحاديث الآحاد . . . وأما أحكام الشرع في المعاملات فأكثرها مأخوذ من القواعد والأصول وكذلك الفروع الواردة في القرآن إما بالنص ، وإما بدلالة النص وفحواه . . . » .

القضية الثالثة : الرد على زعم المجلة أنه إذا ثبت الريب في الأحاديث تزلزلت أركان الشريعة وذهب رشيد رضا إلى أن هذه القضية غير مسلمة أيضا وفيها إجمال وإيهام ، فإذا أراد الكاتب بثبوت الريب في الأحاديث ما أفادته جملته الأولى من ارتياح بعض الأفراد ولو واحدا ، فقد بينا أن هذا لا يترتب عليه إلا ما يستلزمه الارتياح في نفس المرتاب وحده ، وبهذا يظهر بطلان قوله : «تزعزعت أركان الشريعة وأركان تابعيها» .

ثم مضى رشيد رضا يفند المزاعم التي عددها المبشر في مقالته ، ومنها زعمه عدم الاعتماد على رواية مئات الأحاديث من الصحابة كأبي هريرة ، وزعمه أن البخاري لم يخطر بباله الارتياح في صدق الصحابة لاعتقاده عصمتهم ، وشرح رشيد رضا أن هذه القضية باطلة أيضا ، لا لأنها حكم بعموم السلب على شيء يتعلق بالقلب لا يعلمه إلا الله وإن مثل هذا الكاتب لا يناقش في مثل هذا التعبير لأنه لا يفرق بينه وبين القول بأن البخاري لا يهتم أحدا من رواية الصحابة بالكذب ولا بغيره من العلل القادحة في الرواية وإنما نريد بيان بطلان زعمه أن البخاري كان يرى أن رواية الصحابة معصومون ، والصواب أنه كان يقول : «إنهم عدول صادقون لا معصومون ، وما قال هذا القول أو غيره من نقاد المحدثين إلا بعد تتبع تاريخهم كغيرهم من الرواة . . . والبخاري كان أعلم من الطاعن بكل ما قيل في أبي هريرة وبما رواه أبو هريرة ولم يره مسقطا لعدالته ، ولو رآه مسقطا لعدالته لما روى عنه في صحيحه» .

ثم تصدى رشيد رضا لزعم المجلة التبشيرية بأن الأئمة الأربعة أسسوا مذاهبهم على ما رواه البخاري عن أبي هريرة ، ودلل رشيد رضا على بطلان هذا القول ، مشيرا إلى أن البخاري متأخر عن الأئمة الأربعة ، أدرك رابعهم الإمام أحمد بن حنبل وتلقى الحديث عنه ، فقد ولد الإمام أبو حنيفة عام ٨٠هـ وتوفي عام ١٥٠هـ ، وولد الإمام الشافعي عام ١٥٠هـ وتوفي عام ٢٠٤هـ ، وولد الإمام أحمد عام ١٦٢هـ وتوفي عام ٢٤١هـ ، وولد البخاري عام ١٩٤هـ وتوفي ٢٥٦هـ ، وقد رحل من بلاده لطلب العلم عام ٢١٠هـ بعد وفاة الشافعي ببضع سنين ، وبعد وفاة مالك بـ ٣١ سنة ، وبعد وفاة أبي حنيفة بـ ٦٠ سنة

(١) العمل بأحاديث الآحاد في أصول الدين مسألة خلافية ، والذي يترجح أن حديث الآحاد ما دامت قد ثبتت صحته وجب العمل به سواء أكان في أصول الدين أم فروعه .

فكيف تقول المجلة التبشيرية أن الأئمة الأربعة أخذوا عن البخارى ما رواه من الأحاديث عن أبى هريرة وبنوا عليه نظامهم الشرعى .

وأخذ رشيد رضا يرد على مطاعن المجلة التبشيرية فى الصحابى الجليل أبى هريرة ، وقد انحصر الطعن فى ثلاثة أشياء :

أولاً : استكثار بعض الصحابة لروايته . وأجاب رشيد رضا عن ذلك بأن أبى هريرة قصد بذلك حفظ أقوال الرسول ﷺ ليستفيد منها ويستفيد الناس . ثانياً : ملازمته للرسول ﷺ حتى فى زيارته لنسائه وأصحابه . ثالثاً : أنه كان جيد الحفظ قوى الذاكرة ، رابعاً : بشارته النبى له بعدم النسيان ودعاؤه له بذلك ، خامساً : أنه تصدى للتحديث لأنه كان يحفظ الحديث وينشره . سادساً : أنه كان يحدث بما سمعه وما رواه عن غيره من الصحابة .

ثانياً : توقع أبى هريرة تكذيب بعض الناس له ، إذا هو صرح بكل ما سمعه . وفند رشيد رضا هذا الادعاء بأنه كان خاصاً بما سمعه أبو هريرة من أخبار الفتن التى أسر إليه النبى ﷺ شيئاً كثيراً منها ، ومثله فى ذلك حذيفة بن اليمان ، وقد ذكر كل منهما بعض ما سمع تصريحاً أو تلميحاً فوق كما قالوا ، فكان من دلائل النبوة التى لا تحتمل التأويل .

ثالثاً : أن الحنفية لا يحتجون بروايته وأنهم يعتقدون أنه كان كاذباً . وقرر رشيد رضا أن هذه دعوى باطلة تكذبها الألوف من كتب المذهب والملايين من أتباعه ، ويعارض هذه الشبهات الباطلة لإجماع أئمة الفقه ومنهم الأربعة المشهورون على الاحتجاج بما صح عندهم من أحاديث أبى هريرة المرفوعة ، وكذا المرسلة عند الجمهور ، وثناء كثير من الصحابة ومن بعدهم على سعة حفظه وجودة ضبطه .

وختم رشيد رضا هذه الردود بالهجوم على المبشر الذى هاجم الصحابى الجليل أبى هريرة ، والتشكيك فى سند الأناجيل وروايتها قائلاً : ماذا يقول هذا المبشر وسائر دعاة النصرانية لو نقل أن النبى ﷺ طرد أبى هريرة كما طرد المسيح - عليه السلام - بطرس وسماء شيطانا وهو كبير تلاميذه ورسله ، وفى متى (١٤ : ٣١) : أن المسيح قال لبطرس أيضاً : «يا قليل الإيمان» ، وفى (١٧ : ٢٠) وصف التلاميذ كلهم بعدم الإيمان . . وماذا يقول لو وصف النبى ﷺ أبى هريرة بمثل هذين الوصفين أو لو وصف بذلك فى الكتاب المجيد ؟ وهل يقبل منا أن نقول له : لماذا تقبل رواية تلاميذ المسيح بلا سند مع وصف المسيح لهم بما ذكر وهو المعصوم من الخطأ ، ولا تسمح لنا بقبول رواية أبى هريرة ؟ (١).

(١) المنار ، ج١ ، م ١٩ ، شعبان ١٣٣٤هـ ، يونيو ١٩١٦م مقال بعنوان : «السنة وصحتها والشرعية ومكانتها» ردا على دعاة النصرانية بمصر لرشيد رضا .

وقد واصلت المنار الرد على المبشرين أيضا الذين يقترحون في الشريعة الإسلامية ،
وحيثما نشرت مجلة الشرق والغرب التبشيرية أن الشريعة الإسلامية لا قيمة لها في نفسها
ولا في روايتها ؛ إذ قالت بعد سرد الشبهات والطعن على أبي هريرة : « هذا هو الرجل
الذي وضع مع ابن عباس أساس الشريعة ، ولكن ما هي قيمتها ؟ إن السؤال مهم جدا
ويطلب الجواب عليه من الثلاثمائة مليون سني الموجودين في العالم » . وقد أجاب رشيد
رضا على هذه الدعوى مؤكدا على بطلانها عند المسلمين ، وعند من له إلمام بشريعتهم
وتاريخهم من النصارى وغيرهم ، سواء أريد بأساس الشريعة أصول أدلتها التي تستنبط
منها أو أصول مقاصدها وهي العقائد والأحكام والآداب ، ثم مضى رشيد رضا يشرح
قيمة الشريعة الإسلامية ، ونستطيع أن نوجز ما كتبه في العناصر التالية :

١- أنها الشريعة الوحيدة التي تثبت نبوة من جاء بها بالبرهان العقلي العلمي الثابت
الدائم .

٢- أنها الشريعة الوحيدة التي تواتر كتابها تواترا حقيقيا ورويت سنتها رواية متصلة
الإسناد .

٣- أنها الشريعة الوحيدة التي حررت البشر من رق رؤساء الدين فلم تجعل لأحد
سيطرة روحية على أحد .

٤- أنها الشريعة الوحيدة التي أعتقت البشر من رق الملوك المستبدين الذين انتحلوا
لأنفسهم حق الحكم بمحض الهوى .

٥- أنها الشريعة الوحيدة التي رفعت شأن النساء وأعطتهن حقوقهن كاملة .

٦- أنها الشريعة الوحيدة التي ساوت بين أهلها المؤمنين وبين الكافرين بها إذا تحاكموا
إليها .

٧- أنها وضعت للحرب نظاما حرم فيه العدوان والتمثيل والتخريب .

٨- هذه الشريعة فرضت على الأغنياء نصيبا معلوما مما يزيد من أموالهم عن نفقاتهم
يصرف لإعانة الفقراء والمساكين (١) .

وعرض اللورد هدلي - الذي أسلم وسمى نفسه سيف الرحمن - في مجلة
«إسلاميك ريفيو» التي يصدرها الخوجة كمال الدين في تركيا لبعض ما كتبه الصحف
التبشيرية والقساوسة من مطاعن في رسول الله ﷺ والمسلمين وكتاب الله - عز وجل -
وذلك نقلا عن جريدة «نور آفشو» التبشيرية ، التي قالت : « إن الوحي الذي أنزل على
محمد أتى من لدن شيطان ، وخلاص المسلمين مبنى على ارتكاب الخطايا وجعلت
الاعمال الطيبة عندهم كوسيلة للحرمانات ، «وكتب الدكتور هويل راعي الكنيسة الإنجيلية

(١) المنار ج٢ ، ١٩م ، شعبان ١٣٤٦هـ ، يوليو ١٩١٨م .

بلاهور : «إن محمدا ظل خاضعا للشيطان والسحر» وكتب القس السير وليم مور عن القرآن: «أنه مجموعة من الحكايات اليهودية والمسيحية المسروقة من التوراة وغير الموثوق بها» ، وبعد أن عرض اللورد هدلى لتلك الأقوال المفتراة والمطاعن البذيئة هاجم هؤلاء المبشرين واتهمهم بأنهم ضالون مضلون ، ليس لديهم أبسط قواعد الأدب فى الحديث .

وصرح أن تعاليم القرآن قد نفذت ومورست فى حياة محمد ﷺ والذى أظهر من أشرف الصفات الخلقية ما لا يتسنى لمخلوق آخر إظهارها ، وأبرز ما كان يتسم به من الصبر والثبات والحلم والصدق والشجاعة والعفو والإحسان ، وأعلن أن ما ذكره هؤلاء المبشرون ما هو إلا محاولات عمقية يقومون بها لتحقير شريعة النبى ﷺ ، وطمس كثير من الحقائق العظيمة عن حياته وحياة أصحابه ﷺ (١) .

كذلك فند رشيد رضا ما يدعيه المبشر زويمر فى إحدى جرائد التبشير الأمريكية «الإنجليز» من أن المسلمين يرحبون بالنصرانية ، وأن هناك إقبالا من الطلاب والمدرسين ومعلمى الأزهر على تعاليم المسيح ، وأبان رشيد رضا أن الغرض الأول من هذه الكتابة هو استنهاض همم الأوروبيين النصارى لمساعدة البعثات التنصيرية فى بلاد الإسلام (٢) ، ووجه رشيد رضا دعوة إلى المبشرين دعاهم فيها - إن كانوا مخلصين للمسيحية - إلى التخلّى عن تبشير المسلمين والهجوم على الإسلام ، والاتجاه إلى محاربة المارقين من النصرانية إلى المادية ، والذين يطعنون فى الأديان ومنها النصرانية (٣) .

وهكذا يرى أنه كان من أبرز أهداف المبشرين التى كشفت عنها الصحافة الإسلامية : الهجوم على الشريعة الإسلامية والسنة النبوية ، والتشكيك فى روايتها وصحتها وسندها ، وطمس الكثير من الحقائق المشرقة فى حياة النبى ﷺ وحياة المسلمين ، بغية تشكيك المسلمين فى عقائدهم وسنة نبيهم حتى إذا ما تم لهم ذلك انفسح المجال أمام المبشرين لنشر النصرانية فى ديار المسلمين وتمكينها فى عقولهم وبلادهم ، وقد استعان المبشرون للوصول إلى هذا الهدف بكل الوسائل الممكنة من خلال إصدار الجرائد والنشرات والمحاضرات والمؤلفات التى تظهر فساد معتقدات المسلمين ، والمؤتمرات ودور المدارس والمستشفيات التى أعدت لهذا الغرض ، واستنهاض همم الحكومات الأوروبية وقادة الدول لمساعدة المبشرين ودعم مسيرتهم بكل الوسائل المادية والمعنوية .

ودأبت الصحف الإسلامية على التعريف بالكتب التبشيرية التى تباع وتشر وتوزع فى العالم الإسلامى والعربى ، حتى يكون المسلمون على بينة منها فيحذروها .

(١) المنار ج٥ ، ٢٩م ، ربيع الأول ١٣٤٧هـ ، سبتمبر ١٩٢٨م .

(٢) المنار ج٤ ، ٢٢م ، رجب ١٣٣٩هـ ، مارس ١٩٢١م .

(٣) المنار ج٢ ، ١٩م ، شعبان ١٣٣٧هـ ، يوليو ١٩١٩م .

ومن أبرز هذه الكتب التي أشارت إليها الصحف الإسلامية كتاب : «العالم الإسلامي اليوم» ، هذا الكتاب جمع ثلاثا وعشرين مقالة مستفيضة لأشهر الكتاب التبشيريين ، وتشير هذه المقالات إلى حدوث انقلاب في العالم الإسلامي وإلى أن الفرصة سانحة لإخضاع المسلمين وسط هذا الانقلاب للسلطة التبشيرية ، وقد جمع هذا الكتاب ووضع له مقدمة وخاتمة الدكتور جوط موط رئيس المجلس التبشيري الأعلى ورئيس المؤتمر التبشيري العالمي الذي عقد في القدس على جبل الزيتون عام ١٩٢٨م ، وفي خاتمة هذا الكتاب المقررات السرية لمؤتمر المبشرين الذي عقد في القدس عام ١٩٢٤م ، وعدد صفحاته ٤٢٠ صفحة ، وطبع في عام ١٩٢٥م .

والكتاب الثاني بعنوان : «انتشار الإسلام» ، ومؤلف هذا الكتاب هو مؤلف الكتاب السابق ، ويهدف إلى الغرض ذاته ، غير أنه يتطرق إلى نواح أخرى ، ويتوسع في درس ظروف المسلمين العصرية ، ويسوق نتيجة مؤداها : أنه يجب الاعتقاد بأن الإسلام منحل متلاش ، وينطوي هذا الكتاب على ثلاثة عشر فصلا ، ويبلغ عدد صفحاته ٣٠٤ ، وقد طبع في عام ١٩٢٨م ، وفيه مصور جغرافي للعالم الإسلامي ، وفي هذا الكتاب أيضا مقدمة كتبها المستشرق مارجليوث صاحب كتاب «محمد» والذي أساء فيه إلى الرسول ﷺ (١) .

والكتاب الثالث بعنوان : «حياة محمد» لدرمنجهام ، وقد طعن كاتبه في مصداقية الصحابة رضي الله عنهم ، حيث اتهمهم بالتخريف والتزوير قائلا : «غير صعب على عقولنا وهي أشد معرفة بأفعال الله من معاصري النبي ﷺ ومن علماء المسلمين أن نؤمن بوجود فرق بين كلام الله القديم وبين الفرقان المحفوظ في الصدور المرسوم على الأوراق ، وقد يظهر ذلك الفرق بعد الدرس والتفكير ، وربما برز بمجرد النظر . . . ولم يدون القرآن إلا بعد نزوله بلمدة ، وقد ضعفت عندئذ ذاكرة القوم ، وكثر بينهم الخلاق ، وكان ذلك بعد موت النبي ﷺ بسبعين سنة» .

وقد علق رضا رشيد على هذه الأقوال ، وفند ما جاء فيها من مغالطات وافتراءات تؤدي إلى وجود الشك في القرآن الكريم وفي مصداقية الصحابة في تدوين القرآن يقول رشيد رضا : «لا شك أن هذا الرجل سيء النية متعمد الكذب لتشكيك قراء كتابه من عوام المسلمين ، فما كتبه تقولات لأراء أملاها الجهل وقلة الحياء ، وأى جهل وأى وقاحة أشد من دعوى من يزعم أن القرآن كتب بعد انتهاء مدة الخلفاء الراشدين ، وهل كان المسلمون في هذه المدة بغير قرآن» .

(١) المنار ، ج٤ ، م ٣٠ ربيع الآخر سنة ١٣٤٨هـ ، أكتوبر ١٩٢٩م ، والفتح ، عدد ١٥٨ ، ٢٥ صفر ١٣٤٨هـ ، أول أغسطس ١٩٢٩م ، سلسلة مقالات كتبها الفكر الإسلامي عجاج نويهض ونشرتها الفتح .

وعرضت النار لما كتبه أحد المسلمين فى المغرب الأقصى «يدعى اليزيدى» الذى فند أيضا ما جاء فى ذلك الكتاب «حياة محمد» من مطاعن ومثالب ضد القرآن الكريم وصحابة رسول الله ﷺ ، وقد وضع اليزيدى أن الصحابة كانوا يكتبون القرآن عند نزوله ، إما من تلقاء أنفسهم وإما بأمر صاحب الشريعة ﷺ وقد جمعه كثير منهم ، إلا أن ثلاثة مصاحف هى التى اختصت وقتئذ بالثقة ، منها مصحف زيد بن ثابت وقد كان عرضه على النبى ﷺ فى آخر حياته ووافق عليه ، وزيد هذا هو الذى كلف من أبى بكر الصديق ؓ أيام خلافته بكتابة المصحف ، وبقي ذلك المصحف عند أبى بكر حتى توفى - رحمه الله - ثم انتقل إلى عمر ؓ حتى توفى ، فبقى عند ابنته حفصة إلى أن طلبه منها عثمان ؓ ، ثم أمر جماعة من الصحابة الأعلام أن يأخذوا منه عدة نسخ لتوزع فى أنحاء البلاد ، فالقرآن حينئذ جمع أول مرة بعد موت النبى ﷺ بفترة قصيرة ، والمرة الثانية فى عهد عثمان ، وهكذا يتبين أن ما قاله هذا المستشرق المبشر فيه مغالطة واضحة تؤكد الحقائق التاريخية المشهود لها ، وأنه أراد من قوله تقويض دعائم الإسلام تنفيذا للسياسة الكنسية فى التبشير التى تأمر أتباعها من المبشرين والمستشرقين أن يشككوا المسلمين فى معتقداتهم حتى يسهل قيادتهم إلى النصرانية .

فضلا عن هذا ، أثار اليزيدى فى معرض الرد على در منجهام وعلى ما جاء فى كتابه «حياة محمد» من أخطاء ومغالطات بينة يجب على المسلمين ألا ينخدعوا بها ولا يخالجه ريب فى القرآن الكريم الذى لا يأتىه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ، وهو مقدس لدى المسلمين ، وليس الأمر كذلك عند النصراني (١) .

والكتاب الرابع : «العالم الإسلامى فى الثورة» : ومؤلف هذا الكتاب هو معاون القس الأكبر للحملة المصرية وقت الحرب الأولى ، وقد كان مقيما فى مصر قبل الحرب ، وهو يقرأ ويكتب العربية ، وكان يراقب تأثير الحرب وكيف كانوا يخضعون للسلطة الأجنبية المتسلطة ، وقد طبع هذا الكتاب لتتولى توزيعه ثمانى جمعيات تبشيرية ، وطبع سبع مرات ، وعدد صفحاته ١٦٠ صفحة ، ويدور هذا الكتاب حول دعوة العالم النصراني للتبشير فى الدول الإسلامية (٢) .

والكتاب الخامس : «الإسلام الفتى فى طريق السفر» : وهكذا الكتاب يبحث فى اصطدام الإسلام وحضارته وجهازه الاجتماعى بالحضارة النصرانية ، ويوضح كيف تتخلل عناصر الحضارة النصرانية الحضارة الإسلامية وتقضى عليها ، وهو يتضمن سبعة فصول ، أخطرها فصل بعنوان : «ما هى الغاية» وفى هذا الفصل يعلق المؤلف بأسيل مثير أهمية

(١) النار ، ج٦ ، م٣٠ ، جمادى الآخرة ١٣٤٨هـ ، ديسمبر ١٩٢٩م .

(٢) الفتوح ، عدد ١٥٨ ، ٢٥ صفر ١٣٤٨هـ ، أول أغسطس ١٩٢٩م .

كبرى على انقلاب الأزهر إلى جامعة إسلامية منظمة راقية ، ويخشى من وراء ذلك تجديد قوى الإسلام ، كما أنه قد انتقد حال الأزهر ووصف طرق التدريس فيه ونال منها كثيرا ، ويبلغ عدد صفحات هذا الكتاب ٢٠٨ صفحة ، وفيه مصور جغرافى للعالم الإسلامى ، وطبع فى عام ١٩٢٦ م .

والكتاب السادس : « سيرة الإسلام » : ومؤلفه لنت ثيودور السكرتير العام لجمعية نشر التبشير النصرانى فى السودان ، وكان سابقا يشغل منصب السكرتير التعليمى للجمعية الكنيسة التبشيرية التى لها فروع فى القدس وبعض البلاد العربية ، وطبع فى عام ١٩١٦م ، وهذا الكتاب مقدم إلى طلاب المدارس العامة فى بلاد الإنجليز الذين عليهم أن يقوموا بالدور المتعين عليهم ، وهو القيام فى تبديل مستقبل الإسلام ، ويتألف الكتاب من ١٢ فصلا ، ويشمل ٢١٦ صفحة (١) .

والكتاب السابع «توبيخ الإسلام» : وهذا الكتاب - كما أعلن صاحبه - يعنى بتوبيخ الإسلام ، حيث قال : «إن الإسلام هو أبدا مذكر للمسيحية بأنها عاجزة عن تمثيل الرب ، إذ لو لم يكن هذا لكان يجب أن يكون محمد مسيحيا ، أما الآن فيجب رفع هذا العجز بالمبادرة إلى العمل ؛ لأن العالم كله أصبح للمسيح» ، وصاحب هذا الكتاب ينتمى إلى الجمعية التبشيرية الكنسية التى لها فروع فى الدول العربية والإسلامية ، وقد طبع هذا الكتاب للمرة الخامسة عام ١٩٢٠ م .

والكتاب الثامن : «العقلية الإسلامية» : مؤلفه ليفونيان مدير مدرسة اللاهوتية فى أثينا ، وقد طبع هذا الكتاب فى عام ١٩٢٨م ، وهو كتاب ضخم يقع فى ٢٤٨ صفحة ، والغرض منه البحث فى كيفية تقريب النصرانية إلى ذهنية المسلمين ، وقد أسرف مؤلفه كثيرا فى الطعن على الإسلام والمسلمين والاعتداء عليهم (٢) .

والفائدة من هذا العرض : الكشف عن أساليب المبشرين وغاياتهم وأهدافهم وأنشطتهم ، وإحاطة المسلمين بما يحاك لهم من مؤامرات ودراسات تستهدف النيل منهم وتشكيكهم فى دينهم وعقائدهم ، وبيان ما تعرض له العالم الإسلامى من هجوم تبشيري من قبل الهيئات والمؤسسات النصرانية العالمية .

هذا وقد حفلت الصحف الإسلامية بمقالات عديدة تهاجم فيها المبشرين ، وتبين كذب دعواهم فيما يقولون وما يكتبون ، وتعقب هذه الصحف حركة المبشرين والرد على افتراءاتهم على الإسلام وكتابه ورسوله ، وكشفت عن ريف ما يثرون من شبها

(١) المنار ج٤ ، ٣٠م ، ربيع الآخر ١٣٤٨هـ ، أكتوبر ١٩٢٩م .

(٢) الفتح ، عدد ١٥٨ ، ٢٥ صفر ١٣٤٨هـ ، أول أغسطس ١٩٢٩م .

ومغالطات ، وبينت ما فى كتبهم من عورات وسباب للأنبياء عليهم السلام كادعائهم أن لوطا قد زنى بابنتيه وهو سكران لا يدرى ، ويهوذا بن يعقوب قد فسق فى امرأة ابنه ، وداود يخطف امرأة من سطح بيتها لينام معها ، وسليمان يجرى وراء بناء الأمم الكافرة ويعبد الأصنام ويذبح لها وغير ذلك !!

وقد ناقش مصطفى الرافعى مايدعيه المبشرون من مساوئ الإسلام فى موضوع تعدد الزوجات ، مبينا أن الإسلام أباحه لحكمة جليلة ظهرت جليا فى الحرب العالمية الكبرى التى قتل فيها معظم الرجال ولم يبق إلا النساء ، فضلا عن أن الزوجة قد يطرأ عليها مرض وزوجها صحيح ، فأفضل له أن يتزوج بدلا من أن يخادن أو يفسق . والتعدد ضرورة شرعية مقيدة بشرط العدل عند التعدد والاكتفاء بالزوجة الواحدة عند الخوف من العجز عنه ، وقد حث الشرع على الاكتفاء بواحدة ، ويشير إلى أن الجمعية النسوية فى إنجلترا طالبت بالتعدد لإنقاذ حياة المرأة ، والمحافظة على إنسانيتها (١) .

وحيثما هاجم المبشرون الرسول ﷺ ، ونسبوا إليه افتراءات تنقص من شأنه ، ومن شأن فراض الإسلام وتعاليمه ، من ذلك : أن الرسول كان شهوانيا لأنه قد تزوج العديد من النساء ، وقد انبرى للرد على ذلك مصطفى الرافعى فى «الفتح» ، مشيرا إلى أن هؤلاء المبشرين لا يفقهون التاريخ الإسلامى ولا الحكمة المرادة من تعدد زوجات الرسول ﷺ ، ذلك لأن الرسول ﷺ كان يصاهر العائلات القوية ليقوى على ما يريد من الجهاد فى سبيل الله ، ولم يعدد إلا أن بلغ سن الشيخوخة الذى لا تكون فيه شهوة ، كما أراد الرسول أن يكون له نساء يقمن بالوعظ والإرشاد ، كذلك افتراءات المبشرين ضد الشريعة الإسلامية لأنها أباحت الطلاق (٢) .

ومضت الصحف الإسلامية ترد على افتراءات المبشرين واتهاماتهم للإسلام والمسلمين بالتعصب ، وكتب الشيخ إسماعيل شلبى - من الأزهر - يفند هذا الاتهام مؤكدا على أن الإسلام دين التسامح ، وأن وصاياه لشاهد عدل على من يحرفون الكذب عن مواضعه . . والتاريخ لم يرو عن المسلمين أنهم أقصوا النصارى أو الإسرائيليين عن ديارهم حتى فى يوم أن كانت الغلبة لهم ، كما فعلت الملكة إيزابيلا الأسبانية بالمسلمين يوم أن تغلبت عليهم ، فتلك وصمة عار فى تاريخ الأمم النصرانية ، وأن العرب يوم أن دخلوا أسبانيا «الأندلس» عاملوا أهلها بكل أنواع الشفقة والإنسانية ، وأشار إلى أن التعصب الذى يفهمه الإسلام والمسلمون هو الغيرة عليه والتمسك به والدفاع عنه لا الهجوم على ديانات الأخرى كما يفعل المبشرون النصارى الذين ينقمون على الإسلام لا لشيء آخر سوى أن

(١) الفتح ، عدد ١ . ٢ ، غرة محرم ١٣٤٩هـ .

(٢) الفتح ، عدد ٢٣٦ ، ١٠ رمضان ١٣٤٩هـ .

دين محمد ﷺ الداعى إلى التوحيد . والمهد لأسس الديانة النصرانية التى تقوم على التثليث (١) .

وأعلنت الصحف الإسلام عن كذب دعوى المبشرين فى أن الإنجيل موحى من عند الله ، وأن روح القدس كان يسدد كاتبه ، إذ كيف تكون الأنجيل وحيا وقد بلغت سبعين إنجيلا ، وإن كتابا يحذف الناس منه ما يريدون ويبقون ما يحبون لا يليق أن يكون وحيا (٢) . وأكد رشيد رضا على أن النصارى أضاعوا الإنجيل الذى أوحاه الله - تعالى - إلى عيسى ابن مريم ﷺ وإنما هذه الكتب المسماة الأنجيل عندهم هى كتب تاريخية تحتوى على بعض الحكايات التى ليست لها صلة بالإنجيل الذى أنزل على عيسى ، وقد أثبت القرآن الكريم تحريف النصارى ونسيانهم له ، قال تعالى : ﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ [المائدة : ١٤] ، وأشار أن القرآن هو المهيم على الكتب كلها وهو الذى حفظ دون تلك الكتب ، فالنصرانية هى التى يجب أن ترجع إليه دون العكس الذى يحاوله المبشرون بأديان الكنائس المتعارضة (٣) .

وكشفت الصحف الإسلامية عن وجود علاقة قوية بين المبشرين بالنصرانية فى مصر والجمعيات المسيحية المصرية ، وأكدت «الفتح» « على أن الجمعية المسيحية المصرية تابعة لجمعية الشبان المسيحية الدولية فى مدينة نيويورك ، وهى تقوم بدور تبشيري خطير ، يتضح هذا من التقرير الذى نشرته هذه الجمعية أنها تسعى جهد الطاقة لإعلان « المجد لله فى الأعالي وعلى الأرض السلام وبالناس المسرة » ومعنى هذه الآية الإنجيلية نشر المسيحية ومقاومتها لكل دين غيرها» (٤) .

وإزاء ذلك صعدت الصحف الإسلامية من حملته وهجومها فى الطعن على كتب النصارى ومعتقداتهم ، كرد فعل لهجوم المبشرين على عقائد المسلمين ، والتشكيك فى كتابهم والطعن فى دينهم وإلصاق التهم والافتراءات الكاذبة التى تنقص من شأنه ومن شأن فرائضه .

وخوفا من وقوع التصادم والمهاترات بين المسلمين والنصارى فى مصر وانشقاق الصفوف رأى أحد النصارى - ويدعى خرستفورس حبارى - التوفيق بين الإسلام

(١) الفتح ، عدد ١٢٠ ، ١٨ جمادى الأولى ١٣٤٧هـ ، أول نوفمبر ١٩٢٨ م .

(٢) النج ، عدد ١٩٤ ، ١١ ذو القعدة ١٣٤٨هـ ، ١٠ أبريل ١٩٣٠ م ، سلسلة مقالات بعنوان : «مناقشة هادئة للمبشرين» مصطفى الرافي .

(٣) المنار ج٢ ، م ٣٠ جمادى الآخرة ١٣٤٨هـ ، ديسمبر ١٩٢٩ م .

(٤) الفتح ، عدد ١٢ يناير ١٩٢٨ م .

والنصرانية ، ودارت بينه وبين الشيخ حسن الطويل - من علماء الأزهر - مناظرة عرضت لها الصحف الإسلامية ، فقد طلب خرسطفورس من الشيخ الطويل أن يساعده في مسعاه ، فقال له الشيخ الطويل : أنا أعرف أنه يوجد دين اسمه الإسلام وله كتاب معلوم ، ولا أعرف ديناً اسمه النصرانية ، فهل لهذا الدين كتاب معلوم ككتاب الإسلام ؟ فقال : نعم ، له كتب وهى الأناجيل الأربعة ، فقال الشيخ : هل أنزلت هذه الكتب على صاحب النصرانية كما أنزل القرآن على صاحب الشريعة الإسلامية ؟ فقال : لا ، هى كتب كتبها تلاميذه من بعده ، فقال الشيخ الطويل : سم لى بعضها ، فقال له : أحدها : إنجيل متى ، فقال الشيخ بأى لغة كتب متى إنجيله ؟ فقال : بالعبرية ، فقال الشيخ : هل توجد النسخة العبرية التى كتبها متى أو صورة منها ؟ قال : لا ، لكنها ترجمت إلى اليونانية ، فسأله وما اسم الذى ترجمها ؟ فقال : هو غير معروف ، فقال الشيخ : كيف أصدق أن هذه النسخة اليونانية تطابق الأصل العبرانى الذى كتبه متى ؟ فبهت خرسطفورس وقطع الحديث (١) .

ويبدو أن الجهود المبذولة من قبل الصحف والهيئات الإسلامية لم تفلح فى إيقاف الهجمات التبشيرية ، برغم مشاركة بعض الأحزاب السياسية كالوفد والأحرار الدستوريين ، وإن كانت مقاومة هذه الأحزاب للحركة التبشيرية لم يكن لخطرها على الإسلام وإنما لصلتها بالأهداف الاستعمارية (٢) . واستمر نشاط الإرساليات التبشيرية فى مصر حتى قيام الحرب العالمية الثانية ، ثم هداً نشاط هذه الإرساليات وذلك بسبب صعوبة المواصلات وصعوبة إيفادهم من بلادهم إلى مصر والدول الإسلامية الأخرى (٣) .

ولكن يلاحظ أ نشاط هذه الإرساليات لم ينقطع حتى الآن ، فقد نشرت صحيفة «المسلمون» الدولية تحت عنوان : «الدوائر الإسلامية تحذر نصف مليون منصرف يعملون بإشراف الفاتيكان» أن التقرير السنوى لدائرة تنصير الشعوب لعام ١٩٨٦م يثبت مدى انتشار المبشرين فى كل قارات الدنيا وزيادة أعمالهم ومخصصاتهم المالية (٤) ، الأمر الذى ينبغى

(١) الفتح ، عدد ٢٣٩ ، غرة شوال ١٣٤٩هـ .

(٢) أنور الجندي : الصحافة الساسية فى مصر منذ نشأتها حتى الحرب العالمية الثانية ، القاهرة : مطبعة الرسالة ، ١٩٦٤م ص ٦٠ ود . زكريا سليمان بيومى : الإخوان المسلمون والجماعات الإسلامية ، مرجع سابق ص ٣٠٣ .

(٣) طارق البشرى : المسلمون والأقباط ، مرجع سابق ، ص ٤٨٦ .

(٤) «المسلمون» الدولية ، عدد ١٣٧ ، ٢٦ محرم ١٤٠٨هـ ، ٢٥ سبتمبر ١٩٨٧م .

جاء فى التقرير هذا أن عدد المنصرين الكاثوليك فى العالم وصل إلى ٤٧١ ألف منصر ، يتبعهم ٥٨ ألف مدرسة ، هذا عدداً عدد المعاهد الذى يصل إلى ٢٦ ألف معهد ، وقد ذكر التقرير أن مجموع الإعلانات التى وزعتها الدائرة خلال عام ١٩٨٦م قد بلغت ١٢٠ مليون دولار ، أورد التقرير الذى جاء على لسان الكاردينال جوزيف طومكو محافظ دائرة التنصير الكنسية عدداً من البيانات المهمة عن جهود التنصير ، وبصفة خاصة فى قارتى آسيا وإفريقيا ، قال التقرير : إنه فى إفريقيا زاد عدد القساوسة إلى ٣٧٣ قسيساً ، وزاد عدد الرهبان إلى ٣٦٣ راهباً وراهبة ، وزاد عدد المنصرين - أطباء وعرضيين ومهندسين وفنيين - إلى ١٧ ألفاً و٧٨٣ فرداً وبلغ إجمال عدد المطارنة فى إفريقيا ٤٨١ مطرناً .

ان يتنبه له الدعاة المسلمون والمؤسسات الإسلامية القائمة على أمر الدعوة الإسلامية داخل البلاد وخارجها .

وأخيرا نستنتج مما سبق عرضه ما يلى :

١- ظهرت حركة التبشير فى مصر بعد عام ١٨٤٠م فى عهدى الخديوى سعيد وإسماعيل ، وانتشرت الإرساليات الأمريكية والفرنسية والإنجليزية فى مصر ، واستطاعت أن تنشئ المدارس والمعاهد والمحافل والمجامع والمستشفيات التى تقوم بالتبشير ، وقد ازداد النشاط التبشيرى بصورة أوسع فى ظل الاحتلال البريطانى على مصر وحماية الامتيازات الأجنبية وتأييد قناصل الدول الأجنبية .

٢- أبرر المؤتمرات التى عقدت لأغراض التبشير هى مؤتمر عقد فى مصر عام ١٩٠٦م فى باب اللوق بمنزل الزعيم أحمد عرابى ، ومؤتمر أدنبره باسكتلندا عام ١٩١٠م ، ومؤتمر لكهنؤ بالهند ١٩١١م ، ومؤتمر حلوان بمصر ١٩٢١م ، ومؤتمر القدس الأول ١٩٢٤م ، ومؤتمر القدس الثانى ١٩٢٨م .

٣- ركز التبشير على مصر بعد الحرب العالمية الأولى على أساس أن مصر مركز الثقل الغربى ، ولا اعتقاد المبشرين أن الظروف مواتية لهم نتيجة لانتشار الفكر الغربى بين المصريين ، واعتراف النظم السياسية بحرية العقيدة والحرية الفردية والأخذ بالنظم العلمانية ، والقوانين الوضعية ، وسقوط الخلافة الإسلامية وظهور الدعوة إلى الإقليمية فى مصر .

٤- أظهرت المعطيات الصحفية عن وجود صلة قوية بين التبشير والاستشراق والاستعمار ، وأن أهدافهم واحدة ، وإن اختلفت الوسيلة والأساليب ، وهى العمل على تشكيك المسلمين فى دينهم وعقائدهم ، ودارسة التطور الفكرى والسياسى فى المنطقة الإسلامية والعربية ، بغية السيطرة عليها والحيلولة دون تجمع المسلمين واتفاقهم ، وإيجاد أفضل وأنجح السبل فى تحويل المسلمين إلى النصرانية والقضاء على الإسلام .

٥- كشفت الصحف الإسلامية عن تسامح الحكومات المصرية مع البعثات التبشيرية ومساعدتها لهم بالدعم المادى والمعنوى ، ووقوفها موقفا سلبيا تجاه الاحتجاجات والاستنكارات التى قدمتها الصحف والمؤسسات والهيئات الإسلامية .

٦- كان فى مقدمة هذه الهيئات الأزهر ، وجمعية الشبان المسلمين ، وجماعة الإخوان المسلمين ، وجماعة الدفاع عن الإسلام .

٧- تابعت الصحف الإسلامية أخبار المنظمات والبعثات التبشيرية فى بعض البلاد العربية والإسلامية ، وأيدت جهود بعض الحكومات العربية فى رفض إنشاء المدارس

التبشيرية ، وكشفت عن دور المدارس الأجنبية وخطورتها على مستقبل النشء المسلم ، وأكدت على دور الجامعة الأمريكية بالقاهرة فى التبشير .

٨- كشفت الصحف الإسلامية عن المغالطات التى احتوتها كتب التبشير ومجلاتهم ومنشوراتهم ، وتبعتها بالنقد والتفنيد ، وأكدت أنها مليئة بالطعن على الإسلام وكتابه ورسوله وسنته .

٩- من أبرز هذه المجلات التبشيرية مجلة العالم الإسلامى ، ومجلة البقطة ، ومجلة الشرق والغرب ، ومجلة الشرق المسيحى ، والانتليجنسر ، ومن أهم الكتب التبشيرية التى عرضت لها الصحف الإسلامية هى : العالم الإسلامى اليوم ، وحياة محمد ، والعالم الإسلامى فى الثورة ، وسيرة الإسلام ، وتوبيخ الإسلام ، والعقلية الإسلامية .

١٠- حفلت الصحف الإسلامية بالمقالات التى تفند افتراءات المبشرين ضد الإسلام ورسوله وكتابه ، وييان كذب دعوى المبشرين فى صدق الأنجيل وهاجمت عقيدة التثليث لدى النصارى ، وكشفت عن وجود علاقة قوية بين المبشرين والجمعيات المسيحية المصرية .

١١- من أبرز الكتاب الذين هاجموا التبشير فى الصحف الإسلامية : رشيد رضا ، ومحب الدين الخطيب ، والدكتور عبد الحميد سعيد ، والدكتور يحيى الدرديرى ، وشكيب أرسلان ، وعجاج نويهض ، وعمر إبراهيم دسوقى ، والشيخ حسن البنا ، وعبد الرحمن الساعاتى ، الشيخ محمد زكى إبراهيم ، والشيخ حسن الطويل ، والشيخ إسماعيل شلبى ، ومصطفى الرفاعى ، وطه صديق العبادى .

المصادر والمراجع

أولا : الدوريات :

- | | |
|--|--|
| ١٧ - مجلة المؤتمر الإسلامى ١٩٢٤ م . | ١ - الأستاذ ١٨٩٣ م . |
| ١٨ - مجلة العربى ١٩٨٨ م . | ٢ - الإخوان المسلمون ١٩٣٣ - ١٩٣٨ م . |
| ١٩ - المجلة التاريخية ١٩٨٤ م . | ٣ - الأهر ١٩٣٥ - ١٩٩٣ م . |
| ٢٠ - المجلة السلفية ١٩١٧ ، ١٩١٨ م . | ٤ - الأهرام ١٩٨٦ - ١٩٨٨ م . |
| ٢١ - المسلمون ١٩٨٧ م . | ٥ - الحياة ١٨٩٩ م . |
| ٢٢ - مصر الفتاة ١٩٣٨ م . | ٦ - الرابطة الشرقية ١٩٢٨ م . |
| ٢٣ - المقتطف ١٩٢٦ م . | ٧ - الزهراء ١٩٢٤ م . |
| ٢٤ - المقطم ١٩٢٦ م . | ٨ - السياسة ١٩٢٧ م . |
| ٢٥ - مكارم الأخلاق الإسلامية ١٩٠٠ م . | ٩ - السياسة الأسبوعية ١٩٢٢ ، ١٩٢٦ ، ١٩٢٧ م . |
| ٢٦ - المنار ١٨٩٨ - ١٩٣٩ م . | ١٠ - الشبان المسلمون ١٩٢٩ م - ١٩٣٩ م . |
| ٢٧ - النذير ١٩٣٩ م . | ١١ - الشعب ١٩١٣ ، ١٩١٤ م . |
| ٢٨ - نور الإسلام ١٩٣٠ - ١٩٣٥ م . | ١٢ - الشورى ١٩٢٤ م . |
| ٢٩ - الهداية ١٩١٠ - ١٩١٢ م . | ١٣ - الصرخة ١٩٣٣ - ١٩٣٦ م . |
| ٣٠ - الهداية الإسلامية ١٩٢٨ - ١٩٣٩ م . | ١٤ - اللواء ١٩٠٠ م . |
| ٣١ - الهلال الإسلامية ١٩٢٣ - ١٩٢٥ ، ١٩٣١ م . | ١٥ - اللواء الجديد ١٩٢٢ م . |
| ٣٢ - الوقائع المصرية ١٩١٤ م . | ١٦ - مجلة كلية البنات الإسلامية ١٩٨٦ م . |

ثانيًا : الكتب :

أ- كتب عربية :

إبراهيم إمام :

١ - الإعلام والاتصال بال جماهير ، القاهرة ، دار الفكر العربى ، ١٩٦٩ م .

إبراهيم عبده :

٢ - تطور الصحافة المصرية ، ط٤ ، القاهرة ، سجل العرب ، ١٩٨٢ م .

إبراهيم العدوى :

٣ - رشيد رضا - الإمام المجاهد ، القاهرة ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر ، سلسلة أعلام العرب ، بدون تاريخ .

أبو الأعلى المودودي :

٤ - نحن والحضارة الغربية ، بيروت ، ١٩٦٤ م .

٥ - الإسلام والمدنية الحديثة ، ط٢ ، القاهرة ، دار الانصار ، ١٩٧٨ م .

أبو الحسن الندوى :

٦ - الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية ، ط٢ ، الكويت ، ١٩٦٨ م .

أحمد بهاء الدين :

٧ - أيام لها تاريخ ، القاهرة ، مؤسسة أخبار اليوم ، ١٩٥٤ م .

أحمد حسين :

٨ - إيماني ، ط٢ ، القاهرة ، ١٩٤٦ م .

أحمد الشرباصى :

٩ - رشيد رضا - الصحفى المفسر الشاعر اللغوى ، الكتاب الثانى ، القاهرة ،

مطبوعات مجمع البحوث الإسلامية ، ١٩٧٧ م .

أحمد المغازى :

١٠ - الصحافة الفنية نشأتها وتطورها ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ،

١٩٨٦ م .

أحمد طربين :

١١ - الوحدة العربية ١٩١٦ - ١٩٤٥ م ، القاهرة ، ١٩٥٩ م .

أحمد عبد الرحيم مصطفى :

١٢ - تاريخ مصر السياسى من الاحتلال إلى المعاهدة ١٨٨٢ - ١٩٣٦ م ، القاهرة ، ١٩٦٧ م .

١٣ - التجديد الإسلامى فى العالم العربى الحديث ، القاهرة ، ١٩٧١ م .

١٤ - تطور الفكر السياسى فى مصر الحديثة ، القاهرة ، معهد البحوث والدراسات العربية ، ١٩٧٣ م .

أحمد محمد عوف :

١٥ - القاديانية - الخطر الذى يهدد الإسلام ، القاهرة ، دار النهضة العربية ، ١٩٦٩ م .

أحمد محمد غنيم ، أحمد أبو كف :

١٦ - اليهود والحركة الصهيونية فى مصر ١٨٩٧ - ١٩٣٦ م ، القاهرة ، دار الهلال ، ١٩٧٠ م .

أديب مروة :

١٧ - الصحافة العربية - نشأتها وتطورها ، ج١ ، بيروت ، ١٩٦١ م .

أمال كامل السبكى :

١٨ - الحركة النسائية فى مصر ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٦ م .

أنور الجندى :

١٩ - الشبهات والأخطاء الشائعة فى الفكر الإسلامى ، القاهرة ، دار الاعتصام ، ١٩٨١ م .

٢٠ - الصحافة السياسية فى مصر منذ نشأتها حتى الحرب العالمية الثانية ، القاهرة ، مطبعة الرسالة ، ١٩٦٢ م .

٢١ - الصحافة والأقلام المسمومة ، القاهرة ، دار الاعتصام ، ١٩٨٠ م .

٢٢ - الفتح ، تاريخ الصحافة الإسلامية ، ج٢ ، القاهرة ، دار الأنصار ، ١٩٨٦ م .

٢٣ - الفكر العربى المعاصر فى معركة التغريب والتبعية الثقافية ، القاهرة ، دار المعرفة ، ١٩٧٠ م .

٢٤ - مقدمات العلوم والمناهج ، القاهرة ، دار الأنصار ، ١٩٨١ م .

٢٥ - المنار ، تاريخ الصحافة الإسلامية ، ج١ ، القاهرة ، دار الأنصار ، ١٩٨٣ م .

- ٢٦ - يقظة الفكر العربى ، القاهرة ، مطبعة زهران ، ١٩٧٥ م .
- ٢٧ - اليقظة الإسلامية فى مواجهة الاستعمار ، القاهرة ، ١٩٧٨ م .
- أنيس صايغ :
- ٢٨ - الفكرة العربية فى مصر ، القاهرة ، مطبعة هيكل ، ١٩٧٠ م .
- جمال الدين المسدى :
- ٢٩ - دنشواى ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٣ م .
- حسن البنا :
- ٣٠ - مذكرات الدعوة والداعية ، القاهرة ، دار الشهاب ، ١٩٦٦ م .
- ٣١ - مجموعة رسائل الإمام الشهيد ، بيروت ، ١٩٦٥ م .
- خليل صابات :
- ٣٢ - الصحافة المصرية فى ثورة ١٩١٩ م ، القاهرة ، ١٩٦٩ م .
- ٣٣ - حرية الصحافة فى مصر ١٧٩٨ - ١٩٢٤ م ، القاهرة ، مكتبة الوعى العربى ، ١٩٧٣ م .
- رشيد رضا :
- ٣٤ - تاريخ الأستاذ الإمام ، القاهرة ، مطبعة المنار ، ١٩٣١ م .
- رشدى لبيب وآخرون :
- ٣٥ - تاريخ ونظام التعليم فى جمهورية مصر العربية ، ط ١ ، القاهرة ، الأنجلو المصرية ، ١٩٧٢ م .
- رفعت السعيد :
- ٣٦ - تاريخ الحركة الاشتراكية فى مصر ١٩٠٠ - ١٩٥٢ م ، ط ٢ ، القاهرة ، دار الثقافة الجديدة ، ١٩٧٥ م .
- ٣٧ - الصحافة اليسارية ١٩٢٥ - ١٩٤٨ م ، ط ٢ ، القاهرة ، مكتبة مدبولى ، ١٩٧٧ م .
- زكريا سليمان بيومى :
- ٣٨ - الاتجاه الإسلامى والثورة ١٩١٩ م ، ط ١ ، القاهرة ، دار الكتاب الجامعى ، ١٩٨٣ م .

- ٣٩ - الإخوان المسلمون والجماعات الإسلامية فى الحياة السياسية المصرية ١٩٢٨م - ١٩٤٨م ، القاهرة ، مكتبة وهبة ، ١٩٧٩م .
- ٤٠ - الحزب الوطنى ودوره فى السياسة المصرية ١٩٠٧ - ١٩٥٣م ، القاهرة ، ١٩٨١م .
- ٤١ - مصر الحديثة بين الانتماء العقائدى والقومى ، القاهرة ، مكتبة وهبة ، ١٩٧٧م .
- سهير إسكندر :
- ٤٢ - جريدة المصرى والقضايا الوطنية ١٩٣٦ - ١٩٤٦م ، القاهرة : سجل العرب ، ١٩٨٦م .
- سامى عزيز :
- ٤٣ - الصحافة المصرية وموقفها من الاحتلال الإنجليزى ، القاهرة ، ١٩٦٨م .
- سليمان نسيم :
- ٤٤ - صياغة التعليم المصرى الحديث ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٣م .
- سهام نصار :
- ٤٥ - اليهود المصريون صحفهم ومجلاتهم ١٨٧٧ - ١٩٥٠م ، القاهرة ، دار العربى ، ١٩٨٠م .
- شهدى عطية الشافعى :
- ٤٦ - تطور الحركة الوطنية ١٨٨٢ - ١٩٥٦م ، القاهرة ، مطبعة أطلس ، ١٩٥٧م .
- طه حسين :
- ٤٧ - مستقبل الثقافة فى مصر ، القاهرة ، ١٩٣٨م .
- طارق البشرى :
- ٤٨ - الحركة السياسية فى مصر ١٩٤٥ - ١٩٥٢م ، القاهرة ، دار الشروق ، ١٩٨٣م .
- ٤٩ - المسلمون والأقباط فى إطار الجماعة الوطنية ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٠م .

عادل حسن غنيم :

- ٥٠ - الحركة الوطنية الفلسطينية من ثورة ١٩٣٦م حتى الحرب العالمية الثانية ،
القاهرة ، مكتبة الخانجي ، ١٩٨٠م .

عبد الرحمن الرافعى :

- ٥١ - ثورة ١٩١٩ من سنة ١٩١٤ - ١٩٢١م ، ج١ ، ج٢ ، القاهرة ، مكتبة
النهضة المصرية ، ١٩٥٥م .

- ٥٢ - مصطفى كامل باعث الحركة الوطنية ، القاهرة ، دار النهضة ، ١٩٥٠م .

عبد العظيم رمضان :

- ٥٣ - تطور الحركة الوطنية فى مصر ١٩١٨ - ١٩٣٦م ، القاهرة ، دار الكاتب
العربى ، ١٩٦٨م .

- ٥٤ - الفكر الثورى فى مصر قبل ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢م ، القاهرة ، دار المأمون
للطباعة والنشر ، ١٩٨١م .

عبد الرشيد سالم :

- ٥٥ - مقدمات النهضة الأوربية وعواملها فى مصر ، القاهرة ، مكتبة وهبة ،
١٩٧٧م .

عبد اللطيف حمزة :

- ٥٦ - أدب المقالة الصحفية ، ج٣ ، ط١ ، القاهرة ، دار الفكر العربى ، ١٩٥٦م .
٥٧ - أدب بالمقالة الصحفية ، ج٥ ، القاهرة ، دار الفكر العربى ، ١٩٥٤م .
٥٨ - أدب المقالة الصحفية ، ج٦ ، ط٢ ، القاهرة ، دار الفكر العربى ، ١٩٦١م .
٥٩ - أدب المقالة الصحفية ، ج٧ ، ط١ ، القاهرة ، دار الفكر العربى ، ١٩٥٩م .

عفاف لطفى السيد :

- ٦٠ - تجربة مصر الليبرالية ١٩٢٢م - ١٩٣٦م ، القاهرة ، ١٩٨١م .

على جريشه وزميله زيبق :

- ٦١ - أساليب الغزو الفكرى للمجتمع الإسلامى ، القاهرة ، دار الاعتصام ،
١٩٧٣م .

على الخطيب وآخرون :

٦٢ - البائية والبهاية فى ميزان الإسلام ، القاهرة ، ١٩٨٥ م .

على شلى :

٦٣ - مصر الفتاة ودورها فى السياسة المصرية ١٩٢٣م - ١٩٤١م القاهرة ، دار الكتاب الجامعى ، ١٩٨٢ م .

على عبد الحليم محمود :

٦٤ - الغزو الفكرى وأثره فى المجتمع الإسلامى المعاصر ، الكويت ، دار البحوث العلمية ، ١٩٧٩ م .

٦٥ - نحو أدب إسلامى : مصطفى صادق الرافعى والاتجاهات الإسلامية فى أدبه ، الرياض ، مطبوعات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .

عمر الدسوقي :

٦٦ - فى الأدب الحديث ، ج٢ ، ط ٥ ، القاهرة ، دار الفكر العربى ، ١٩٧٠ م .

عواطف عبد الرحمن :

٦٧ - الصحافة الصهيونية فى مصر ١٨٩٧م - ١٩٥٤م ، القاهرة ، دار الثقافة الجديدة ، ١٩٨٠ م .

٦٨ - مصر وفلسطين ، الكويت ، سلسلة عالم المعرفة ، يونيه ١٩٨٥ م .

فتحى رضوان :

٦٩ - مشهورون منسيون ، كتاب اليوم ، عدد ١٩٧ .

مجمع اللغة العربية :

٧٠ - المعجم الوسيط ، القاهرة ، مطبعة مصر ، ١٩٦١ م .

محمد أنيس :

٧١ - الدولة العثمانية والشرق العربى ، القاهرة ، الأنجلو المصرية ، ١٩٦٣ م .

محمد إبراهيم البدرى :

٧٢ - بين البهاية والماسونية نسب ، القاهرة ، مطبوعات مجمع البحوث الإسلامية ، ١٩٨٦ م .

محمد البهى :

٧٣ - العلمانية وتطبيقها فى الإسلام ، القاهرة ، مكتبة وهبة ، ١٩٨٠ م .

٧٤ - الفكر الإسلامى والمجتمع المعاصر ، مشكلات الحكم والتوجيه ، القاهرة ،
الدار القومية للطباعة والنشر ، ١٩٦٥ م .

٧٥ - الفكر الإسلامى وصلته بالاستعمار الغربى ، القاهرة ، مكتبة وهبة ،
١٩٧٥ م .

محمد سعد الدين الجيزاوى :

٧٦ - أصداء الدين فى الشعر المصرى منذ مطلع العصر الحديث حتى ثورة ١٩١٩ م ،
ج١ ، ط١ ، القاهرة ، مكتبة نهضة مصر ، ١٩٥٦ م .

محمد سيد محمد :

٧٧ - الإعلام والتنمية ، ط٣ ، القاهرة ، مكتبة كمال الدين ، ١٩٧٨ م .

٧٨ - اقتصاديات الإعلام ، المؤسسات الصحفية ، ط١ ، القاهرة ، مكتبة نهضة
مصر ، ١٩٥٦ م .

٧٩ - الزيات والرسالة ، الرياض ، دار الرفاعى ، ١٩٨٢ م .

٨٠ - المسؤولية الإعلامية ، القاهرة ، مكتبة الخانجي ، ١٩٨٣ م .

٨١ - هيكل والسياسة ، الرياض ، دار الرفاعى ، ١٩٨٢ م .

محمد عزت الطهطاوى :

٨٢ - التبشير والاستشراق أحقاد وحملات على النبى ﷺ ، القاهرة ، مطبوعات
مجمع البحوث الإسلامية .

محمد عمارة :

٨٣ - الصحوة الإسلامية والتحدى الحضارى ، القاهرة ، دار المستقبل العربى
١٩٨٥ م .

محمد على ضناوى :

٨٤ - كبرى الحركات الإسلامية فى العصر الحديث ، القاهرة ، دار الاعتصام ،
١٩٧٨ م .

محمد فتحى شعير :

٨٥ - وسائل الإعلام المطبوعة فى دعوة الإخوان المسلمين ، السعودية ، ١٩٨٥ م .
محمد محمد حسين :

٨٦ - الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر ، جزءان ، ط٣ ، القاهرة ، ١٩٨٠ م .

محمد يحيى :

٨٧ - فى الرد على العلمانيين ، القاهرة ، مطبوعات الزهراء للإعلام العربى ،
١٩٨٥ م .

محمد يوسف موسى :

٨٨ - نظام الحكم فى الإسلام ، القاهرة ، دار الكتاب العربى ، ١٩٦٣ م .

محمود عبد الحليم :

٨٩ - الإخوان المسلمون أحداث صنعت التاريخ ، ج١ ، ط١ ، الإسكندرية ، دار
الدعوة ، ١٩٧٩ م .

مصطفى حلمى :

٩٠ - نظام الخلافة فى الفكر الإسلامى ، القاهرة ، دار الدعوة ، ١٩٧٧ م .

مصطفى رمضان :

٩١ - العالم الإسلامى فى التاريخ الحديث والمعاصر ، القاهرة ، دار الوفاء للطباعة ،
١٩٨٤ م .

نفوسة زكريا :

٩٢ - تاريخ الدعوة إلى العامية فى مصر وآثارها ، ط١ ، الإسكندرية ، ١٩٦٤ م .

يوسف القرضاوى :

٩٣ - حتمية الحل الإسلامى ، القاهرة ، مكتبة وهبة ، ١٩٧٣ م .

٩٤ - الحلول المستوردة وكيف جنت على أمتنا ، القاهرة ، ١٩٧٣ م .

ب - كتب مترجمة :

أ . ل . شاتليه :

١ - الغارة على العالم الإسلامى ، ترجمة مساعد اليافى ومحب الدين الخطيب ،
القاهرة ، المطبعة السلفية ، ١٣٥٠ هـ .

تشارلز آدمز :

٢ - الإسلام والتجديد فى مصر ، ترجمة عباس محمود ، القاهرة ، ١٩٣٥ م .

ريتشارد ميتشيل :

٣ - الإخوان المسلمون ، ترجمة عبد السلام رضوان ، القاهرة ، مكتبة مدبولى

١٩٧٧ م .

لوثرون ستودارد :

٤ - حاضر العالم الإسلامى ، ترجمة عجاج نويهض ، وتعليق الأمير شكيب أرسلان ، أربعة أجزاء ، ط ٤ ، القاهرة ، دار الفكر العربى ، ١٩٧٣ م .

ماجرات سبرانيان :

٥ - الوفد والإخوان المسلمون ، ترجمة بشير السباعى ، القاهرة ١٩٨٦ م .

ج- رسائل جامعية وبحوث :

جمال النجار :

١ - صحافة الاتجاه الإسلام فى مصر منذ مطلع القرن العشرين حتى نشوب الحرب العالمية الأولى ، رسالة ماجستير ، كلية اللغة العربية ، جامعة الأزهر .

رشدى البدرى :

٢ - أحمد حسين فى الصحافة المصرية ، رسالة ماجستير ، كلية اللغة العربية ، جامعة الأزهر ، سنة ١٩٨٧ م .

على عجوة :

٣ - فن الدعاية والإعلام عند مصطفى كامل ، رسالة ماجستير ، كلية الإعلام ، جامعة القاهرة .

عبد الفتاح إبراهيم محمود :

٤ - دور الصحافة فى تغيير القيم الاجتماعية ، رسالة دكتوراه ، كلية الإعلام ، جامعة القاهرة .

محمد سعد إبراهيم :

٥ - الرافعى صحفياً ، رسالة ماجستير ، كلية الإعلام ، جامعة القاهرة .

محمود جمعة أمين :

٦ - على الغياتى - حياته وشعره ، رسالة ماجستير ، كلية اللغة العربية ، جامعة الأزهر .

مصطفى الدميرى :

٧ - العلمانية وأثرها فى وسائل الإعلام ، رسالة ماجستير ، كلية أصول الدين ، جامعة الأزهر .

الموضوع	الفهرس	الصفحة
---------	--------	--------

المقدمة	٥
التمهيد : اتجاهات الصحافة المصرية فيما بين الحربين	١٣

الباب الأول

صحف الاتجاه الإسلامى فى مصر فيما بين الحربين

الفصل الأول : تطور صحافة الاتجاه الإسلامى	٢٩
الفصل الثانى : اتجاهات الصحف الإسلامية فيما بين الحربين	٤٥

الباب الثانى

موقف صحافة الاتجاه الإسلامى من القضايا الفكرية

والاجتماعية والسياسية

الفصل الثالث : صحافة الاتجاه الإسلامى والقضايا الفكرية والاجتماعية	١٢٥
المبحث الأول : صحافة الاتجاه الإسلامى والتغريب ودعائه	١٢٥
المبحث الثانى : صحافة الاتجاه الإسلامى وتغريب قوانين الشريعة الإسلامية	١٦٣
المبحث الثالث : صحافة الاتجاه الإسلامى والعلمانية	١٧٨
المبحث الرابع : صحافة الاتجاه الإسلامى وتغريب التعليم	١٩٩
المبحث الخامس : صحافة الاتجاه الإسلامى ومعركة الحفاظ على اللغة العربية	٢٢٣
المبحث السادس : صحافة الاتجاه الإسلامى وقضايا المرأة	٢٣٥
المبحث السابع : صحافة الاتجاه الإسلامى وقضايا أخرى	٢٦١

- ٢٦٩ الفصل الرابع : صحافة الاتجاه الإسلامى والقضايا السياسية
- ٢٦٩ المبحث الأول : صحافة الاتجاه الإسلامى وقضية الخلافة الإسلامية
- ٢٩٢ المبحث الثانى : صحافة الاتجاه الإسلامى والدعوة إلى القومية المصرية
- ٣١٣ المبحث الثالث : صحافة الاتجاه الإسلامى وقضية فلسطين

الباب الثالث

صحافة الاتجاه الإسلامى والدعوة الإسلامية

- ٣٣٣ الفصل الخامس : دور صحافة الاتجاه الإسلامى فى التفقيه والإرشاد
- ٣٦٥ الفصل السادس : دور صحافة الاتجاه الإسلامى فى محاربة المذاهب المنحرفة
- الفصل السابع : دور صحافة الاتجاه الإسلامى فى مقاومة حملات التبشير
- ٣٨٧ بالنصرانية
- ٤١٩ المصادر والمراجع
- ٤٢٩ الفهرس

رقم الإيداع: ١٥٥٧٣/١٩٩٩ م

I.S.B.N: 977 - 15 - 0279 - 4

ملخص

- ❖ تؤدي الصحافة دورا مهما في حياة الناس على مختلف طوائفهم وثقافتهم ، فهي تتناول الأحداث السياسية والاقتصادية والاجتماعية وغيرها بالتحليل والدراسة ، كما أنها أداة لتبادل الآراء في مختلف ما يهم الناس من الأمور ، كذلك تسهم في تكوين الرأي العام والتأثير فيه .
- ❖ وتأتي أهمية هذه الدراسة من حيث إن الصحافة في تلك الفترة كانت هي وسيلة الإعلام الأولى التي أسهمت في بناء النهضة الفكرية المعاصرة ، فقد حملت الصحف الوطنية والإسلامية لواء الدعوة إلى مفهوم الإسلام الصحيح والدفاع عن اللغة العربية ، ومقاومة الدعوات التغريبية والغزوات الفكرية التي تعرضت لها مصر في ذلك الوقت .
- ❖ لذا فقد كانت دراسة هذه المرحلة ضرورية وملحة ، وكانت صحافة الاتجاه الإسلامي فيما بين الحربين مظهرا من مظاهر الصحة الإسلامية التي ظهرت كرد فعل لهذا الغزو الفكري .
- ❖ وقد أرخت الدراسة لهذه الصحف بيان نشأتها وأهم القضايا وأشهر الكتاب من المفكرين والعلماء من الأزهر وغيره من الذين وجه التيار العلماني وأنصاره .
- ❖ ويشار الوفاء يسرها أن تقدم هذا الكتاب إلى القراء ، سائلة النفع ، والله من وراء القصد .

Bibliotheca Alexandrina



0429797



الناشر

دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع - ج.م.ع - المنصورة

الإدارة : ش الإمام محمد عبده المواجه لكلية الآداب ص. ب. ٢٣٠

ت : ٣٤٢٧٢١ / ٣٥٦٢٢٠ / ٣٥٦٢٣٠ فاكس ٣٥٩٧٧٨

المكتبة : أمام كلية الطب ت ٣٤٧٤٢٣

